الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية موسومة بـ:

الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس

للعربي بن عبد القادر بن علي المشرفي

المتوفى 1895

-دراسة وتحقيق(إلى نهاية الترجمة الرابعة)-

إعداد الطالب:

عبد الحق شرف

بإشراف:

أ.د. عبد المجيد بن نعمية

لجنة المناقشة

أ.د بن معمر محمد.....	جامعة وهران.....	رئيسا
أ.د بن نعمية عبد المجيد....	جامعة وهران.....	مشرفا
أ.دة بوجمعة جهيدة.....	جامعة وهران.....	مناقشا
أ.د حساني مختار.....	جامعة الجزائر2.....	مناقشا
د. عدّة بن داهة.....	جامعة معسكر.....	مناقشا
د. شخوم سعدي.....	جامعة بلعباس.....	مناقشا

السنة الجامعية:

1432-1433هـ/2010-2011م


بسم الله الرحمن الرحيم



كتاب جليل الشأن في مدح الدولة وأهل العرفان، فجاءت بحمد الله أسراره فرقانية، وأنواره ربانية، وكنوزه رحمانية، ولَعَمري حوى من الأخبار ما لا تسعه الآذان ولم تَحُمْ حوله الأذهان؛ وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

فَمَن خَلَى بعرائس غُرره اغتنى عن كل جليس، ومن آنس بنفائس دُرره استغنى عن كل أنيس، لِأنّ روضه جوهري وحوضه كوثري، ورأيتُ الاقتداء بمن تحبب للدولة لأجل أن يُعدَّ من أهل تلك الصولة، فيُهدي بقلمه للملوك فرائد السلوك.

العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و364و-364ظ

إهداء

إلى أمي الحنون الغالية بارك الله في عمرها ومدّ لها فيه . . .

إلى والدي الكريم الذي كان لي خير سند في إتمام هذا العمل ؛

حفظه الله وبارك في عمره ومدّ له فيه . . .

إلى زوجتي الكريمة التي بذلت الكثير من وقتها وصبرت واحتملت

حتى رأى هذا العمل النور . . .

إلى بَهِيِّ الطّلعة والمُحَيَّا ؛ وإشراقة الصبح الأمثل في كل يوم ؛

وصاحب الابتسامة التي تُذهب كل لوم ، إبني عمر حفظه الله . . .

إلى جميع إخوتي وأخواتي . . .

إلى جميع أفراد عائلة محيوس كل باسمه . . .

إلى السيد الكريم الزاوي الجيلالي المشرفي والسيد المشرفي بن

عبد الكريم اللذان زوّداني بمخطوطات المشرفي

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع . . .

شكر وامتنان

أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى شيخي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية الذي لم ولن تسعه عبارات الشكر والثناء مهما كانت .

وأتقدم كذلك بالشكر العميم إلى السادة أعضاء اللجنة الموقرة المحترمون على تجشّمهم تعب قراءة هذه الأطروحة وإبداء ملاحظاتهم وتصويباتهم حولها .

وإلى كل من قدّم لي يد العون والمساعدة من أجل الحصول على مخطوطات الموضوع وأخص بالذكر :

الدكتور حسن الصادقي معهد الدراسات الإفريقية بالرباط

الدكتور لحسن تاوشيخت مدير قسم الرصد الوثائقي بالمكتبة الوطنية المغربية

الدكتور عبد المجيد خيالي مساعد محافظ المكتبة الحسنية المغربية

الدكتور طارق طاطمي الهواري الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب

السيد بوعزة الخلفوني مسؤول قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية المغربية

عمال الخزانة الحسنية بالمملكة المغربية

عمال الخزانة العلمية الصبيحية بسلا

عمال مؤسسة علال الفاسي بالرباط

عمال قسم المحفوظات بالمكتبة العامة بتطوان

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله



مقدمة

حظي علماء الجزائر في القرن التاسع عشر باهتمام العديد من الباحثين، وجَعَل أكثرهم من دراسة وتحقيق التراث الذي خلّفته هذه الفئة ضمن أولوياتهم الرئيسية. وأثمرت محاولاتهم الجادة في إخراج البعض منها إلى النور، كما كان الحال مع أبي القاسم سعد الله الذي عرّف ببعض مؤلفات علماء الجزائر خلال هذه الفترة وأخرجها من غياهب النسيان. ورغم أن ما تمّ دراسته وتحقيقه يعدّ إضافة هامة للمكتبة الجزائرية؛ فإن الجزء الأكبر من تراثنا لا يزال قابعا في رفوف خزائن المخطوطات.

كما أن اللافت للانتباه في جلّ هذه الدراسات، اهتمامها بالبعض وإهمال البعض الآخر. فنجدها تسلّط الضوء على علماء الجزائر الذين عايشوا نهاية التواجد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي إلى نهاية القرن التاسع عشر، خاصة ممن عاشوا حياتهم كلها بالجزائر. بينما لم يلق تراث من هاجروا من الجزائر إلى غيرها من البلدان العربية خاصة المغرب المصير نفسه، فبقي تراثهم يشكو من الإهمال والضياع بين رفوف خزائن المخطوطات الجزائرية والمغربية خصوصا.

ومن بين العلماء الذين ينسحب عليهم هذا الكلام العربي المشرفي دفين مدينة فاس، الذي توزّعت أهم المحطات في حياته بين الجزائر والمغرب الأقصى، وخلّف إنتاجا علميا غزيرا راوح الثلاثين –أو ما يربو عن ذلك بقليل– لكنه وللأسف الشديد لم يعرف أغلب تراثه النور بعد؛ بل الأغرب ما في الأمر أنّ ما دُرس وحُقّق مِن مخطوطاته كان من طرف المغاربة.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة تحقيق تراث العربي المشرفي، وردّ الاعتبار لهذا العالم الذي فارق الوطن على وقع المحن والشدائد. وقد راودنا هذا المشروع منذ مدة، حيث تم الوقوف على إنتاجه العلمي وما حُقق منه وما لم يحقق، ومن حينها والأمل يحدونا للانطلاق في مشروع يروم تحقيق جميع تراثه. فكانت البداية مع مخطوط الحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس؛ موضوع هذه الأطروحة، حيث عقدنا العزم على دراسته وتحقيقه إلى نهاية الترجمة الرابعة.

ويظهر لقارئ مخطوط الحسام المشرفي، مدى براعة صاحبه وقوّة حاسته التاريخية. وقد خصص أغلب الحديث فيه عن الدولة العلوية التي كان يعيش في كنفها، وهي السمة التي لازمته ولم يستطع التخلص منها طول حياته. وانعكست على جلّ كتاباته التي أتت في مجملها غنية

بالحديث عن المغرب الأقصى، ورغم ذلك فإنه لم يهمل الحديث عن وطنه الأم الجزائر. فتكلّم عن أحداث حساسة جدّا في تاريخها، خاصة ثورات الدرقاوية ضد السلطة العثمانية، ومتصوفة الناحية الغربية خلال هذه الفترة. ضف إلى ذلك ذِكْره لبعض الثورات التي قامت ضد الاحتلال الفرنسي، ومنها ثورة أولاد سيدي الشيخ. كما أنه وعلى عادة المؤرخين القدامى خصص حيّزا هاما للحديث عن فضل علم التاريخ والتعريف به، وذِكْر أوّل من أرّخ، وطَرَق موضوع الأشاعرة والأدارسة ملوك مدينة فاس وغيرها. وهو ما جعل المخطوط ثريا متنوع المواضيع ما بين التاريخ الوسيط والحديث، وغنيا بالاستطرادات التاريخية والأدبية. ومما زاد من أهميته تناوُلُه للأدب الصوفي بالمغرب إلى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ومن هذا المنطلق كان لزامًا طرح إشكال رئيس حول القيمة العلمية لمخطوط الحسام؟ وكيف يمكن الوقوف على قيمته التاريخية؟ وإلى أي مدى تفاعل المشرفي مع أحداث عصره؟

ونظرا للقيمة الكبيرة لمخطوط الحسام المشرفي، فإن هذه الدراسة تروم إخراج نصّه خاليا من الأخطاء كما أراده وكتبه مؤلّفه، حيث كان ذلك من جملة الأسباب التي دفعتنا إلى اختياره كموضوع لهذه الأطروحة والتي نختصرها فيما يلي:

أولا: المساهمة في جمع تراث المشرفي وتحقيقه، خاصة وأنّ جلّه ما يزال قابعا في الخزائن المغربية، والبعض منه قد حققه باحثون مغاربة.

ثانيا: انتماؤنا لمخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا؛ هذا الأخير الذي يَعتبر البحث عن المخطوطات وتحقيقها ونشرها إحدى المهام الأساسية والرئيسية المنوطة به.

ثالثا: محاولة إحياء التراث العلمي لعلماء الجزائر وإنقاذه من الضياع والاندثار، وتوظيفه في الكثير من المحطات التاريخية التي تعاني نقصا كبيرا في مادتها المصدرية.

رابعا: محاولة لمّ شتات التراث الجزائري المبعثر في المكتبات الدولية وإحيائه والاستفادة منه بطريقة ناجعة.

ولتحقيق المخطوط ودراسته كان ولابد اعتماد منهج معين؛ فتم الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية التي أفاد منها صاحب المخطوط ومعارضتها ومقارنتها بالمصادر الأخرى.

وقد تمّ البحث عن نسخ المخطوط في مختلف المكتبات الوطنية والدولية؛ ثم ضبط نصه من النسخة الأمّ ومقارنته بالنسخة الثانية قصد الحصول على نص سليم خالٍ من الأخطاء، وهي في الحقيقة أصعب مرحلة تعترض الباحث في هذا الإطار.

وإذا كان البحث عن نسخ المخطوط أمر لابد منه، فإنه كان بحوزتنا نسخة مصورة عن المخطوط من المكتبة الوطنية المغربية تحمل رقم 2276ك وبها بتر كبير، وقمنا باستنفاذ كامل الأسباب للحصول على نسخ أخرى. وبعد الاطلاّع على فهارس المكتبات الوطنية والمحلية، اقتنعنا بعدم وجود نسخ أخرى من المخطوط بالمكتبات الجزائرية، خاصة المكتبة الوطنية بالحامة ومكتبة شوقي ضيف ومكتبة زاوية الهامل، وهو ما يفسر عدم الانتشار الواسع لمؤلفات المشرفي بالجزائر.

ونظرا لعدم حصولنا على نسخة ثانية للمخطوط، عزمنا على السفر إلى المغرب للحصول على نسخة أخرى. وبتوفيق من الله تعالى ثم بمساعدة بعض الباحثين بالمغرب، حصلنا على نسخة ورقية ثانية من المكتبة الوطنية المغربية تحت رقم 1207ك، وبها بترٌ في موضعين استطعنا أن نتمّم جزاء كبيرا منه بعد عثورنا في شتاء 2009 على جزء -أصلي- من الأصل المفقود لمخطوط الحسام المشرفي يقع في خمس وثلاثين (35) ورقة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 12813. واعتبرنا الجزء الذي تم الحصول عليه مع نسخة رقم 1207ك، نسخة واحدة رُمِزَ إليها بحرف "أ". وبذلك حصلنا على نسخة تامة من مخطوط الحسام، إلا في خمسة مواضع أُتِمَّتْ من النسخة التي كانت بحوزتنا، فكانت النتيجة في الأخير تحصيل نسخة تامة من المخطوط، تمت عملية مقارنتها مع النسخة الأولى إلى نهاية الترجمة الرابعة، قصد الحصول على نص صحيح. وبعد ضبط نص المخطوط من النسخة "أ" – التي نعتقد أنها الأصل الذي كتبه المشرفي- وقراءته عدّة مرات، صحّحنا ما يوجد فيها من أخطاء أو سقط أو تحريف أو تصحيف، أو زيادة أو نقصان أو اختلاف.

إنّ وصول البحث إلى هذه المرحلة المتقدمة لم يكن أمرا سهلا على الإطلاق، فقد واجهته الكثير من الصعوبات التي تم تذليلها والتغلّب عليها بتوفيق من الله تعالى ثم بمساعدة الأستاذ المشرف -الذي وفّر لنا كامل ظروف البحث المريح، النفسية والمادية- كضرورة السفر

المتكرر إلى المغرب للحصول على مخطوطات المشرقي، وتلك التي لها صلة وطيدة بموضوع الرسالة، مع ما في ذلك من صعوبات وعراقيل جمّة. ثم تشتُّتُ أجزاء المخطوط بين رفوف المكتبة الوطنية المغربية والخزانة الحسنية، وهو أمر جعل مِن لمّ شتات المخطوط تحدّيا صعبا لم يُكتب له الاكتمال إلا في شتاء سنة 2009. كما أن المشرقي اعتمد مصادر كثيرة في مخطوطه، ونقل عنها فقرات طويلة حرفيا دون أن يشير أو ينبه على ذلك، بل اقتصر في بعض الأحيان على ذكر الكلمة الأولى للمصدر دون ذكر صاحبه، أو ذكر المؤلِّف دون ذكر الكتاب. وهو ما صعّب عملية ردّ الأقوال إلى أصحابها، بل إن ذلك تعذّر في بعض محطّات المخطوط.

وخلال دراسة وتحقيق المخطوط إلى نهاية الترجمة الرابعة، تم الاعتماد على جملة من المصادر والمراجع التي أَثْرَتْ الدراسة والتحقيق بالتعريفات والتخريجات الضرورية. فتنوعت بين التاريخية والأدبية والصوفية وغيرها، وذلك مِنْ أجل الوصول إلى نصّ سليم وصحيح. وتأتي في مقدمتها المصادر التي اعتمدها المؤلّف مخطوطة ومطبوعة؛ سواءٌ التي نقّل عنها وصرّح بها أو التي نقل عنها و لم يصرّح بها، فتم الرجوع إلى أغلبها وتوثيق جلّ النصوص والنّقول التي اعتمدها المؤلّف.

ومن المصادر التي اعتمدها المؤلّف كتابيه نزهة الأبصار الذي أشار إليه عرضا في الترجمة الأولى، وأقوال المطاعين في الطعن والطواعين؛ حيث نقل منه عدّة فقرات خلال ترجمته لأبي زيان الغريسي.

وقد تم الاعتماد على كتب التاريخ والتراجم والطبقات، لما لها من أهمية كبيرة في ترجمة وتعريف الشخصيات التاريخية. ومنها كتاب وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان لابن خلكان، الذي نقل عنه المؤلف فقرات طويلة، خاصة في الترجمة الأولى من المخطوط. وكتاب طبقات الشافعية الكبرى، ومعيد النعم ومبيد النقم للسبكي اللذين استعان بهما كثيرا.

وخلال حديثه عن عبد القادر الجيلاني، رجع صاحب الحسام إلى كتاب الذيل على طبقات الحنابلة للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الشهير بابن رجب الحنبلي، وبهجة الأسرار للشطنوفي والذي نقل عنه فقرات طويلة دون أن ينبه على ذلك.

وعند بَسْطِهِ الكلام عن الأدارسة، عاد إلى تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي، الذي تحدّث عن قدوم إدريس الأكبر إلى المغرب الأقصى. ونقل بعدها فقرات طويلة عن ابن ريسون محمد بن محمد الصادق الحسنى العلمي، في فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير. وعن ابن زرع الفاسي في الأنيس المطرب بروض القرطاس، ثم الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون لابن غازي.

ومن المصادر التي اعتمدها كذلك؛ كتاب كتر الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار لأبي زيان بن أحمد الغريسي، حيث نقل عنه المؤلف عدة فقرات في الترجمة الرابعة خلال حديثه عن الزاوية الدرقاوية. وكتاب طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، الذي حققه المرحوم يحى بوعزيز. ومع أن المشرفي يعدّ مصدرا مهما فيما تعلّق بثورات الدرقاوية، فقد اعتمدنا عليه في توثيق الأحداث الخاصة بهذه الثورات والتعليق عليها.

وأثناء خوضه الكلام عن علم التاريخ وفضله؛ نقل المشرفي عن عبد الهادي نجا المصري الأزهري، في سعود المطالع لسعود المطالع فقرات طويلة. كما تطرق إلى موضوع الخلافة والملك، واعتمد مقدمة ابن خلدون كمصدر أساسي له في هذا الباب.

وخلال حديثه عن الزاوية الدلائية في الترجمة الرابعة؛ نقل المشرفي فقرات طويلة من البدور الضاوية في أهل الزاوية الدلائية للحوات، والأزهار الندية لليازغي. فنقل عن هذين المصدرين ما يربو عن الثلاثين صفحة، باعتبارهما مصدران هامان في تاريخ الدلائيين.

كما نجده في الإطار نفسه وفي خضم الترجمة الرابعة كذلك؛ حين الكلام عن أصل العربي الدرقاوي، ينقل رسالة كاملة لاحميدة البربوشي التي ألّفها في التعريف به. فنقلها المؤلّف نقلا حرفيا، دون الإشارة إلى صاحبها أو عنوانها. والكلام نفسه ينسحب على كتابي درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب ذي الكعب العلي والفخر الشامخ الجلي القطب الأكبر والغوث الأشهر سيدي علي أبي الحسن الشاذلي، لمؤلفه الصباغ محمد بن القاسم الحميري. والتشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بالزيات، حيث نقل عنهما المؤلف عدة فقرات دون أن ينبه على ذلك.

وفي عملية تخريج الأعلام والتعريف بهم، اعتمدنا على جملة من كتب التراجم والطبقات، مثل كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، الذي يعتبر من المصادر الهامة في أخبار الصحابة والتابعين والخلفاء. ثم سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من الصلحاء مدينة فاس للكتاني، فكان حضوره قويا في الكثير من المحطات على هامش المخطوط. وطبقات الحضيكي للحضيكي، وتعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي الذي ترجم لجملة من علماء وفقهاء وأدباء الجزائر. ومعجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، ومعجم المؤلفين لكحالة. وكتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف، والأعلام لخير الدين الزركلي. وغيرها من المصادر التي أعانتنا على تخريج جلّ الأعلام الواردة في الجزء المحقق من المخطوط.

وفي التعريف بالأقاليم والأماكن الجغرافية، والمدن والآثار التاريخية الواردة في متن المخطوط، تمّ الرجوع بشكل كبير إلى الحموي في معجم البلدان، والحميري في الروض المعطار في خبر الأقطار، وليون الإفريقي في وصف إفريقيا.

ومن المصادر التي اعتمدها المؤلف، وتمت العودة إليها كتب التصوف. ومنها كتاب وُصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى لأبي العباس أحمد بن علي بن محمد البوسعيدي، حيث وظّفه أثناء الحديث عن فضائل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. وكتاب جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر للمسناوي محمد بن أحمد، الذي أفاد منه خاصة في الترجمة الثانية أثناء ردّه على الكنسوس، الذي اتهم الأشاعرة وعبد القادر الجيلاني بفساد الاعتقاد.

وفي ردّه فيها على الكنسوس والتيجانية وشيوخها؛ استعان المشرفي على مؤلَّفٍ جليل القدر في هذا الشأن، ويتعلق الأمر بكتاب بغية الإلف في ابن يركى تلفظ، لأحمد البكاي الكنتي والذي أخذ قسطا وافرا من المخطوط خاصة في الترجمة الأولى.

ومن المصادر المهمة في هذا الباب كذلك؛ كتاب مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن للعربي الفاسي، وشرح المباحث الأصلية لابن عجيبة، وكتاب الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري والرسالة القشيرية للقشيري. وهي من أجلّ المؤلفات التي استعان بها صاحب المخطوط، حيث كان دائم الاستشهاد ببعض الأقوال الواردة فيها.

وقد وظّف المشرفي في حديثه عن بعض المسائل الكلامية، عن الحق هل يُعرف بالرجال؟ أم الرجال يُعرفون بالحق؟ على كتاب المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي، كمصدر من مصادر علم الكلام. وكتاب إحياء علوم الدين للمؤلّف نفسه، وذلك لتوثيق بعض الأقوال المتعلقة بمسألة زيارة الأولياء والصالحين، وردّ بعض الآثار الواردة في المخطوط إلى الإحياء الذي وردت بين طيّيه.

كما اعتمد المؤّلف على مصادر في الأدب واللغة وعلومها، منها ما صرّح به وهي القلّة مثل كتاب الصحاح للجوهري، الذي ذكره عرضا خلال نقله عن ابن خلكان، وتسهيل الفوائد لجمال الدين بن مالك. وهناك مصادر مهمة لم يصرّح بها، وهو ما جعل عملية إحالة النصوص الأدبية واللغوية إلى مصادرها الأصلية عملية صعبة. ومنها كتاب العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأديب والمؤرخ الأندلسي، وهو مصدر في الأدب واللغة، اهتم بجمع الأخبار والطرائف والنوادر في مختلف العصور التاريخية. وقد نقل عنه المؤلف فقرات طويلة، وأبياتا شعرية كثيرة و لم يشر إليها، لكننا استطعنا بعد البحث والتقصي أن نوثّقها كلّها.

وقد أفاد صاحب المخطوط من مصادر التفسير والحديث، ومنها تشنيف المسامع ببعض فرائد الجامع لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي، وهو مصدر مهم في هذا الباب. وكتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، فاستدلّ به خلال حديثه عن ابتداء تاريخ الإسلام. وأما في كلامه عن آل عبد المطلب، اعتمد على ما ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لِيُفِيدَ في حديثه عن القضاء والقدر، من كتاب التمهيد لابن عبد البرّ القرطبي.

ومن المصادر الفقهية المالكية التي وظّفها المشرفي، المدخل لابن الحاج، الذي استدل به في تحقيق مسألة زيارة الأولياء وبيان مشروعيتها من عدمها. والرسالة القيروانية لابن أبي زيد القيرواني، التي اعتمدها لبيان بعض المسائل العقدية.

وأما في تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وبيان صحيحها من ضعيفها، فقد تم الاعتماد على صحيحي البخاري ومسلم، ومسند الإمام أحمد وكتر العمال للمتّقي الهندي، وكتب الألباني.

وفي عملية ضبط الأبيات الشعرية بشكل تام وصحيح، وإحالتها على ناظميها، رجعنا إلى الدواوين الشعرية التي تنوّعت حسب مادة المخطوط، على عصور مختلفة من العصر الجاهلي والعصور الإسلامية. وتمت العودة إليها قصد التأكد من قائليها، وثبوتها في دواوينهم. ومن الدواوين التي تم الرجوع إليها: ديوان الشافعي الذي اعتنى به عبد الرحمن المصطفاوي، وديوان البحتري الذي حققه حسن كامل الصيرفي. ثم ديوان عنترة بن شداد، وديوان طرفة بن العبد الذي اعتنى به عبد الرحمن المصطفاوي، وديوان أبي الأسود الدؤلي، وديوان أبي نواس، وحسان بن ثابت الأنصاري، والنابغة الذبياني، وديوان عامر بن الطفيل، وغيرها من الدواوين الأخرى.

كما أننا لم نهتد إلى قائلي بعض الأبيات الشعرية، لكننا حاولنا قدر المستطاع إحالتها إلى بعض المصادر التي وردت فيها. وفي بعض الأحيان كنا نهتدي إلى صاحب البيت، لكننا لم نوفّق في الحصول على ديوانه، لضياعه أو لعدم توصلنا به. وقمنا في الإطار ذاته بتخريج أغلب بحور ما ورد في الجزء المحقق من المخطوط إلى نهاية الترجمة الرابعة، إلا في بعض المواضع، حيث استعصى علينا استخراجها، وذلك لأن بعضها ورد على غير بحور الخليل.

وأما في بيان ما خفي واستعصى فهمه من ألفاظ المخطوط، فقد تمّ شرحها وتبيانها بالاعتماد أساسا على لسان العرب لابن منظور الإفريقي، والمعجم الوسيط للزيات وآخرين، وكذا كتاب معجم اللغة العربية لأحمد مختار.

كما تمّ الاعتماد على مجموعة من المصادر باللغة الفرنسية، للتعليق على بعض الأحداث الواردة في المخطوط ومنها:

Riin Louis, Marabouts et khouan études sur l'islam en Algérie.
Paul Marty, études Sur L'Islam Et Les Tribus Du Soudan.

وأما بالنسبة لقسم الدراسة، فقد تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع، وجاءت مؤلفّات صاحب المخطوط ضمن لائحتها الأساسية وهي:

أ- مصادر صاحب المخطوط:

1- **كناشة** ك204: وهو المصدر الأساسي لحياة المشرفي، حيث دوّن فيه الكثير عن حياته في المغرب وأثناء الهجرة وخلال سجنه ثم بعد إطلاق سراحه. وقد جاءت الكناشة ثرية جدا

بالأشعار التي كان المشرفي عادة ما يترجم من خلالها حالته ووضعيته المعيشية، ولم يخل لنا حديث عن حياة المشرفي إلا وأحلنا عليها.

2- **نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده الحسن:** ضمّنه إشارات مقتضبة عن حياته وعن أسباب هجرته إلى المغرب، لكنها وعلى قلّتها جاءت مهمة جدا لعدم توفرها في مصادر أخرى.

3- ذخيرة الأواخر والأُول: عمد فيه صاحبه إلى ذكر شيوخه، وضمّنه لائحة مؤلفاته. كما احتوى على الكثير من الإشارات التاريخية ذات الأهمية الكبيرة، والتي تخدم قسم الدراسة في فصولها الثلاث الأولى.

4- **الفتح والتيسير في شرح قصيدة حوت من هم على قدم البشير النذير:** تحدث فيه عن الوضعية الصعبة التي كان يعيشها بفاس، وعدم حصوله على مأوى له ولأفراد عائلته.

5- **مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان:** ذكر فيه بعض النتف عن الجزائر والاستعمار الفرنسي.

6- **ديوان المشرفي:** وقد احتوى على معلومات مهمة، لكونه اشتمل في الفصل الرابع من خاتمته على بيبليوغرافية هامة عن حياته ونسبه ودراسته وشيوخه.

7- **الردّ على أبي راس:** ضمّنه معلومات هامة زمن دراسته بوهران سنة 1824.

8- **الحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس:** أورد بين دفّتيه فوائد تاريخية جمّة، وعرّف فيه بجملة من فقهاء وعلماء عصره.

9- **رحلة إلى نواحي فاس:** هذه الرحلة على صغر حجمها جاءت مفيدة جدّا، واستطعنا من خلالها رسم صورة واضحة المعالم عن حياة المشرفي حين عزم الاستقرار بفاس.

10- **ياقوتة النسب الوهّاجة:** تحدّث فيه صاحبه عن جملة من شيوخه الذين تتلمذ لهم، وذكر فيه بعض تلاميذه.

وهناك مجموعة أخرى من المصادر والمراجع، تمّ اعتمادها في قسم الدراسة، ومنها كتاب تحفة الزائر لمحمد بن الأمير عبد القادر، وحياة الأمير عبد القادر لشارل هنري تشرشل. وقد كانا من المصادر الأساسية التي تم اعتمادها في دراسة عصر المشرفي، خاصة ما تعلّق بمقاومة

الأمير عبد القادر وعلاقاته بالمخزن المغربي. ثم طلوع سعد السعود للآغا بن عودة المازاري، والذي أعطانا صورة موسّعة عن ثورات الدرقاوية والتيجانية ضد السلطة العثمانية. وكتاب دليل الحيران لابن يوسف الزياني والثغر الجماني لابن سحنون الراشدي.

وفي التعريف بالأعلام الواردة في قسم الدراسة، تم الاعتماد على إتحاف المطالع لابن سودة الذي ترجم فيه ترجمة موجزة للعربي المشرفي وبعض أعلام عصره. وكتاب معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي، الذي وردت بين دفتيه إشارة تاريخية مهمة، لم نجد لها ذكرا حتى في مؤلفات المشرفي الموجودة، وتمثلت في سند روايته عن شيخه سقاط عن علمائه.

كما تم الاعتماد على مجموعة من الأبحاث المتأخّرة، خاصة منها كتب أبو القاسم سعد الله؛ ومنها تاريخ الجزائر الثقافي وأبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. ثم كتاب أعلام الفكر والثقافة ليحي بوعزيز، الذي عرّف فيه بأسرة المشارف، وبدورها العلمي والديني في منطقة معسكر. وأفدنا كذلك من كتابات ناصر الدين سعيدوني.

كما تمت الاستعانة ببعض المراجع باللغة الفرنسية مثل:

l'Algérie vue par deux voyageur musulman en 1877

وهو عبارة عن مقال شارك به صاحبه هنري بيريز Henri Pérez في مؤتمر الجمعيات الاستشراقية بالجزائر سنة 1905، وكتاب Voyage Dans La Regence D'Algérie لشاو تومس Shaw Tomas، وغيرهما من المراجع.

ولقد تمت معالجة هذا الموضوع، انطلاقا من خطة منهجية مكونة من قسمين، القسم الأول الخاص بالدراسة ويحوي أربعة فصول، والقسم الثاني خصصناه للتحقيق.

أما قسم الدراسة، فقد تم إنزاله في أربعة فصول. تناول الفصل الأول منه حياة العربي المشرفي ابتداء من نشأته وتكوينه بالجزائر، إلى هجرته واستقراره بالمغرب سنة 1844. وفي الفصل الثاني تم التطرق إلى الإنتاج العلمي للعربي المشرفي في مختلف المجالات، في التاريخ والردود، والآداب والطب والنوازل الفقهية.

وفي الفصل الثالث تمت دراسة عصر المشرفي من ثلاث جوانب، سياسية واجتماعية واقتصادية ثم ثقافية. وأما الجانب السياسي؛ فقد عولج من خلاله ثورة درقاوة والمساعي المغربية للصلح. ثم ثورة التيجانية، والحصار البحري الذي انتهى بالاحتلال الفرنسي للجزائر. وتم في

هذا الصدد عرض موقف المغرب من الاحتلال الفرنسي، وما تبعه من أحداث عقب اندلاع مقاومة الأمير عبد القادر، وتأرجح مواقف المغرب إثر الضغوط الفرنسية بعد هزيمة إيسلي.

وفي خضم الحديث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية، تم عرض أهم مميزات الوضع الاجتماعي مع نهاية العهد العثماني، ثم سياسة التفكيك الاجتماعي للجزائريين بعد الاحتلال، وكذا الأوضاع الاجتماعية للمهاجرين الجزائريين إلى المغرب، ثم دراسة الحالة الصحية بالجزائر والمغرب، وعرض بعض الجوائح والأوبئة، التي اجتاحت البلدين خلال عصر المشرفي.

وفي الحديث عن الحياة الثقافية بالجزائر، تمت الإشارة للحالة المتردية للوضع الثقافي بالجزائرالعثمانية والنقلة النوعية التي أحدثها الباي محمد بن عثمان الكبير، الذي أعاد إحياء الحركة العلمية من جديد أواخر العهد العثماني. كما تمّ إلقاء نظرة خاطفة على الوضع الثقافي بالجزائر غداة الاحتلال، وما تمخض عنه من هجرات جماعية للجزائريين إلى المغرب، مع دراسة للوضع الثقافي الجديد لهؤلاء المهاجرين، وأهم التيارات الفكرية التي سادت مدينة فاس في الفترة محل الدراسة.

وفي الفصل الرابع، قمنا بدراسة فنية لمخطوط الحسام المشرفي. وتم التعرّض أساسا لتاريخ تأليف المخطوط وعنوانه ونسبته إلى المشرفي، ثم دراسة النسخ المعتمدة في التحقيق، ومناسبة تأليف مخطوط الحسام المشرفي. كما عمدت الدراسة إلى عرض مصادر المخطوط، مع تقديم نماذج لكل واحد منها، وانتهت ببعض الوقفات المنهجية مع مخطوط الحسام المشرفي، لتذيّل في الأخير بشرح طريقة التحقيق من وضع الرموز والعلامات وغيرها.

وقد أُنهيت هذه الأطروحة بخاتمة أوجزت النتائج المتحصل عليها، والتي ندعو الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

قسم الدراسة

الفصل الأول: حياة العربي المشرفي

أولا: نشأة المشرفي وتكوينه

1- اسمه ومولده

2- نسبه

3- دراسته وتكوينه

ثانيا: هجرة المشرفي إلى المغرب والاستقرار بفاس (1844-1895)

1- ظروف الهجرة

2- اعتقاله وسجنه

3- استقراره بفاس

4- علاقاته بعلماء فاس

5- تلاميذه وإجازاته العلمية

6- وفاته

أولا: نشأة المشرفي وتكوينه[1]

1- اسمه ومولده:

هو العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي، بناء على ما قيده في كثير من مؤلفاته، أثناء تعريفه بها أو حينما يحيل إلى بعضها[2]. وقد وجد التباس كبير حول اسمه الكامل وكنيته؛ حيث ورد بصيغ متعددة منها العربي بن عبد القادر بن علي[3] والعربي بن علي[4] وأبو محمد العربي بن علي المشرفي[5] والعربي المشرفي[6]، إلاّ أنّ كل هذه الأسماء هي لشخص واحد هو العربي المشرفي.

وبالنسبة لتاريخ ولادته فإنه يطرح إشكالا كبيرا كما هو الشأن بالنسبة لجلّ أعلام هاته الفترة والذي يصعب تحديده وضبطه بدقة. وفي ظل هذا الغموض الذي يخيّم على تاريخ ولادته؛ فإنّه أمكننا أن نهتدي إلى جملة من القرائن والإشارات التاريخية كنا نعتقد أنها قد ترفع هذا الغموض وتقطع بيقينية تاريخ ولادته. فقد صرّح المشرفي في مقدمة كتابه "الحسام المشرفي" أنّه بلغ سن الخمسين عند تـــأليفه حين قال: "وقد ناهز الخمسين جامعه ومؤلفه"[7]، وهذا المخطوط انتهى من تأليفه سنة 1285هـــ/1868م كما أشار إلى ذلك هو بنفسه[8]؛ وبالتالي يكون

1- عن حياة العربي المشرفي؛ راجع دراستنا حول هذه الشخصية والموسومة بـــ: "العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي المتوفى 1895-حياته وآثاره"، مذكرة ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية نوقشت بقسم الحضارة الإسلامية بجامعة وهران سنة 2007.

2- العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، مخطوط بخزانة البشير المحمودي، البرج، معسكر، ص: 19. العربي المشرفي، أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، دراسة وتحقيق: الحسين الفرقان، دكتوراه، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003، ص: 11.

3- عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج9، المغرب: المطبعة الملكية، 1999م، ص: 27. عبد السلام بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج8، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996، ص: 2805. الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج4، بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002، ص: 224.

4- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ص: 27.

Henri Pérès : "l'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877–1878", R.A, N76, 1935, p : 261.

5- العربي المشرفي، الرد على أبي راس الناصر المعسكري، مخطوط بمكتبة بلقرد بوكعبر بولاية معسكر ، ص:1.

6- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 3.

7- العربي المشرفي، الحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1207، و9و.

8- المصدر نفسه، و365و.

قد حدّد لنا تاريخ ولادته تحديدا دقيقا؛ أي سنة 1818 وهو التاريخ الذي رجّحه صاحب الإعلام.[1]

وعلى الرغم من أن هذا التحديد كان إلى حلّ لغز تاريخ ولادته أقرب؛ إلا أنه فاجأنا بعبارة في المؤلف نفسه حين الحديث عن قبيلة الكنسوس قائلا: "فالقبيلة البربرية التي ينتسب إليها وهي إِدَاوْكْنْسُوسْ كما في تأليفنا نزهة الأبصار[2]"[3]. هذه الرواية بدل أن تحلّ المشكلة زادت الأمور تعقيدا، فاستدلّ المؤلف بنزهة الأبصار الذي أتم تأليفه بعد انتهائه من الحسام بخمس سنوات تقريبا؛ أي يوم الأربعاء 18رجب1290هـ/11سبتمبر1873م[4]، وهو ما يطرح إشكالا آخر: متى ألّف المشرفي الحسام حتى نقطع القول بأنه بلغ الخمسين وقتها؟

ومع أن هذا الإشكال يبقى قائما؛ فإن الإشارات التي أوردها المشرفي في عدد من مؤلفاته تجعلنا نجزم أنه من المستبعد جدا أن تكون ولادته سنة 1818، ومن المرجح أنها قبل هذا التاريخ بعشر سنوات على أقل تقدير[5]. وربما يكون قد جاوز سنّ الستين عند تأليف الحسام المشرفي[6]، سَنَدُنَا في ذلك أنّ كل المعلومات التي أمكننا تتبعها لتدلّ دلالة واضحة أنه كان قد بلغ سن الرشد خلال سنة 1818، وهو ما يجعل احتمال ولادته في هذه السنة غير صحيح. فقد أخبرنا بأنه كان يدرُس في وهران سنة 1240هـ/1824 م[7] وأنه غادرها إلى معسكر سنة

1- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ص: 27.

2- وردت العبارة في نزهة الأبصار. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 307.

3- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و33ظ.

4- العربي المشرفي، نزهة الأبصار (نسخة الخزانة الحسنية رقم: 5616)، ص: 3.

5- وهو التاريخ الذي اهتدى إليه محقق كتاب أقوال المطاعين للعربي المشرفي. ينظر: العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 11.

6- ألّف المشرفي بعد إتمام الحسام مباشرة مخطوط الآيات والحوادث الذي ذكر فيه بعض الإشارات عن الحسام وكان ذلك في 29صفر1285هـ/ 1868م أي شهرا ونصف بعد الانتهاء من الأول، وهو ما يجعلنا نقول بأن التاريخ الذي ذكره عن تأليف الحسام صحيحا، إلا أنه يكون قد بلغ أكثر من خمسين سنة عند تأليفه. ينظر: العربي المشرفي، الآيات والحوادث، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 3013، و10ظ.

7- العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 04.

1245هـ/1830م بعد دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ ليتولى تدريس الصبيان[1]، ثم وَصْفِه لمعارك الأمير عبد القادر الأولى ضد الاستعمار الفرنسي[2]، وحضوره أولى التجمعات لمبايعته.[3]

كما جاء في "طرس الأخبار" كذلك؛ أنه ساعد ثلاثة تجار مغاربة سنة 1252هـ/1836م، في الانفلات من كمين لبعض قطاع الطرق وهو خارج من مدينة معسكر، ولخصها كما يلي: "ويومئذ كنت خارجا من معسكر ببعض قرابتي، فرقبت ثلاثة رجال من تجار المغاربة يسوقون لأمتين من الجواري وأصحاب المزاري يريدون نهبهم، فسعيت في إنقاذهم منهم فوفقني الله ومَن معي"[4].

ومما يؤيّد الطرح الأخير؛ ما ذكره صاحب "إتحاف المطالع" مِنْ أنّه توفي سنة 1313هـ/1895م عن عمر يناهز التسعين[5]، مما يعني أن ولادته كانت مع مطلع القرن التاسع؛ وفي السنوات الخمس الأولى على وجه التحديد.

وأما عن مكان ولادته؛ فمن المؤكد أنه ولد بقرية الكرط ضواحي مدينة معسكر[6] ولم يشذ عن ذلك سوى صاحب "إتحاف المطالع" الذي أورد أنه ولد وتعلم بتلمسان[7]. وذهب يحي بوعزيز إلى أنه ولد بغريس[8] التي ربما يَقصد بها سهل غريس الواسع وقرية الكرط جزء منه.

2- نسبه: ينتسب العربي المشرفي إلى أسرة المشارف[9] ذات الأصول الوثيقة

1- العربي المشرفي، ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 5310، و111و.

2- عن هذه المعارك راجع الفصلين الرابع والخامس من طرس الأخبار. ينظر: العربي المشرفي، طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، دراسة وتحقيق: يوسف أخليص، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب ابن مسيك، المغرب: الدار البيضاء، 1999-2000، ص ص: 175-224.

3- المصدر نفسه، ص ص: 180-182.

4- العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص ص: 198-199.

5- ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805.

6- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1983، ص: 303. عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين03 – 14هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص: 177. عمار هلال، "العلماء الجزائريون في فاس"، مجلة الدراسات التاريخية، ع09، مجلة علمية محكمة تصدر عن معهد التاريخ بالجزائر، ص: 41.

7- ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2805.

8- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995م، ص: 232. محمد بن محمد مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ مفاخرها غير المتناهية، ج1، تحقيق ودراسة: إدريس بوهليلة، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2005، ص: 77.

9- Henri Pérès, l'Algérie vue par deux voyageurs, p : 261.

10- أحمد الشباني الإدريسي، مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، المغرب، ط1، 1987، ص: 214.

وهم أبناء مشرف -بكسر الراء وفتحها- بن عبد الرحمن بن مسعود[1]. وأسرة المشارف إدريسية النسب من الفرع الحسني[2]، وقد حصلوا على ظهائر تعترف وتثبت صحة نسبهم الشريف اشتملت على عشرين ظهيرا منها: ظهير الأمير عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد وحفيده السلطان الحسن[3]، ويعود أقدم هذه الظهائر إلى القرن الحادي عشر الهجري.[4]

وسلسلة نسبه كاملة ذكرها في "ياقوتة النسب" قائلا: "ولابد من ذكر نسبنا المتصل بنسب العرهوبيين[5]، فنقول: نسب جامعه ومقيده محمد العربي بن عبد القادر بن علي، بن محمد، بن مسعود، بن عبد الله، بن يوسف، بن عيسى البوخليلي. ابن صالح، بن الحسن، بن أبي القاسم، بن أبي عبد الله، بن محمد، بن الشيخ مولانا يعقوب، بن أبي إسحاق، بن عبد الله، بن أبي عمر، بن موسى، بن الشيخ مولانا صفوان الملقب بلسان القبط عند العجم بشار بن موسى. ابن سليمان، بن يحي، بن موسى، بن عيسى، بن إدريس، بن إدريس، بن عبد الله الكامل، بن الحسن السبط المثنى، بن الحسن السبط، بن مولانا علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول صلى الله عليه وسلم"[6].

ويعود أصل المشرفيين[7] إلى قرية بوصمغون بالجنوب الغربي للجزائر[8] التي نزحوا إليها على عهد الزيانيين إلى منطقة غريس[9]. وقد اضطلعوا بالأدوار الريادية؛ العلمية والدينية والجهادية

1- الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دراسة وتحقيق: يحي بوعزيز، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص: 99.

2- هناك من ينفي نسبتهم للجناب النبوي، ومنهم الشيخ أبو راس الناصر المعسكري في مؤلّفه "نبذة من النسب".

3- الفضيلي إدريس، الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة ومقابلة: أحمد المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، ج2، الرباط: وزارة الأوقاف، 1999، ص: 141.

4- Michaux Béllere, "les Musulmans d'Algérie au Maroc", Archive Marocaine, vol11, 1907, p : 65.

5- **العرهوبيون**: هم حفدة العربي المدعو عرهب دفين تادلة؛ من شرفاء فجيج، بن محمد يعقوب الجدّ الجامع للشرفاء العرهبيين والعفيفيين واليعقوبيين والمغراويين، دفين جبل الدبس قرب مدينة معسكر، بن عبد الله، بن أبي عمران موسى بن صفوان، بن ميمون، بن موسى، بن سليمان، بن يحي، بن موسى، بن عيسى، بن إدريس الأكبر. وهم شعبتان: آل عبد الحق العرهبيون، والمشرفيون. ينظر: الشباني، مصابيح البشرية، ص ص: 214 – 215.

6- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 19.

7- وقد أثبت هذه الأصل صاحب "عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس". ينظر: عبد الرحمن التوجيني، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3323، ص: 05.

8- الطيب بن المختار الغريسي، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، تلمسان: مطبعة ابن خلدون، 1961، ص: 335.

9- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 13.

بغريس، ويعدّ يوسف بن عيسى المشرفي[1] الجد الأوسط للمشارف ومؤسس زاوية الكرط، من أبرز الشخصيات المشرفية التي برزت في الوطن الراشدي[2]. وتتفرع الأسرة المشرفية إلى عدة فروع، أهمها[3]: بيت الشيخ عبد القادر المشرفي، وبيت الحمر، وبيت أولاد سيدي بوجلال ومنه والد العربي المشرفي.[4]

وقد تمكن المشارف من حيازة الرياسة على سائر العائلات الشريفة بالوطن الراشدي[5]، ولذلك كانت النقابة فيهم لا تتعدّاهم ولا تخرج منهم، وحصَرها فيهم ملوك الأتراك[6].كما تعززت هذه الحظوة بما عرف عنهم من تعاطي العلوم وتحصيلها وتدريسها، وهو ما مكّنهم من تولي مناصب القضاء والفتيا على عهد الأتراك، حيث ولي منهم الشيخ الطاهر بن الشيخ عبد القادر المشرفي خطة القضاء للأتراك بوهران، وتصدر للتدريس بها.[7]

وقد حافظ علماء المشارف على هذه الحظوة خلال المقاومة الشعبية للأمير عبد القادر[8]، حيث كان الجهاز الشوري للأمير عبد القادر لا يستغني عن الشيخ عبد الله سقاط في كل نازلة. ومما ينمّ عن الأهمية الكبرى لهذه العائلة خلال هذا العهد؛ أن الأمير عبد القادر أوفد الشيخ سقاط مبعوثا عنه إلى السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام.[9]

ويتضح أن المشرفي نشأ في بيئة عائلية مجبولة على ترسيخ مبادئ التربية المتأصلة في أوساط

1- **يوسف بن عيسى المشرفي(عاش في ق10هـ/16م):** الراشدي الغريسي الحسني، الولي الصالح دفين زاوية الكرط، أحواز مدينة معسكر بالجزائر، ويعتبر الجد الذي يجتمع فيه شرفاء أسرة المشارف. ينظر: الطيب بن المختار، القول الأعم، ص: 387.

2- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 56.

3- عن فروع الأسرة المشرفية راجع دراستنا حول العربي المشرفي حياته وآثاره، ص: 61. العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص ص: 19 – 26.

4- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 21.

5- **الوطن الراشدي:** أو إقليم بني راشد. يمتد هذا الإقليم نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا، جهته الواقعة جنوبا كلها سهول، والواقعة شمالا كلها تقريبا مرتفعات، لكن أراضيها معا صالحة للزراعة. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الرباط: الشركة المغربية للناشرين، ط2، 1983، ص: 26.

6- الطيب بن المختار، القول الأعم، ص ص: 334 – 335.

7- العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 04.

8- الطيب بن المختار، القول الأعم، ص ص: 334 – 335.

9- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، باعتناء: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982، ص ص: 577 – 579.

الزوايا والشرفاء، وتلقين أبنائها علوم عصرها، خصوصا وأنها كانت تمتلك مكتبة خاصة.[1]

3- دراسته وتكوينه:

تفيدنا المصادر التاريخية وفي طليعتها مؤلفات المشرفي؛ أن هذا الأخير تلقّى تعليمه الأولي ببيت عائلته. فوالده عبد القادر بن علي المشرفي الذي اشتهر بين جماعته بغزارة العلم الشرعي وسمعته الطيبة، فضلا عن تدينه وعدله وهو ما جعله قبلة لاحتكام الخصوم إليه. حيث جاء على لسان ابنه العربي ما نصه: "فقد كان في علم الفقه إليه المرجع والمفزع، لا يعجز فيه عن جواب وإن أُعضل، لا يغيب عنه النص في عين النازلة. وكان مصدرا للأحكام الشرعية في وقته، بإذن من ولاة الأمر وقضاة الأمصار...وكانت أحكامه الفاصلة بين الخصوم، وغالبها أن يقضي بينهم بالصلح...ولذلك كانت الخصوم لا تقوم من بين يديه، راضية بفصله، مذعنة لحكمه".[2]

وعلى غرار أبناء بلدته اقتضت التربية الدينية لأبناء المنطقة أن يلتحق المشرفي بكُتّاب بلدته الكرط الذي حفظ القرآن الكريم به قبل أن يبلغ "الحَنَب[3]"[4]، ودرس على يد ثلة من المشائخ أحكام القراءة وغيرها مثل عبد الله بن دِيدة، محمد بن عبد الرحمن، والعربي بُورُوبَة، ومحمد بن عَدْلَة [5]، ثم انتقل إلى مدينة معسكر ليتم مرحلة الجمع والتحصيل. وتعتبر هذه المدينة المحطة الأساسية في مسار تكوين شخصيته باعتبار الدور التاريخي والعلمي لها في غرب البلاد، لِما كانت تتوفر عليه من مراكز تعليمية هامة مثل المدرسة المحمدية[6] والجامع الأعظم[7].

وقد تتلمذ لثلة من الشيوخ الأجلاء ذكرهم في كتاباته وعرّف بهم وبما أخذ عنهم أمثال

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج5، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص: 391.

2- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 21.

3- **الحنب**: قبل أن يشتد عوده. ينظر: ابن منظور الأفريقي محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، د ط، ص: 1016.

4- العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

5- المصدر نفسه، و111ظ.

6- **المدرسة المحمدية**: كانت تعتبر أكبر معهد علمي، يضم أساتذة أكفاء، متفرّغين لمهنة التعليم لا غير، إلى جانب الآلاف من الطلبة والتلاميذ، الذين سارعوا إلى الإقبال على العلم بلهف شديد. ينظر: بلبراوات بن عتو، الباي محمد بن عثمان الكبير ومشرعه الحضاري 1779- 1797، رسالة ماجستير، جامعة وهران 2002، ص ص: 221 – 222.

7- **الجامع الأعظم**: وهو المعروف بجامع العين البيضاء، أو جامع محمد الكبير. شيده الباي محمد بن عثمان الكبير، في الفاتح من ذي القعدة 1195/نوفمبر 1781 من ماله الخاص. وقد كان هذا الجامع قاعدة كبيرة لنشر التعلين في المنطقة، وأصبح فيما بعد من المباني الهامة، أو من العجائب، يقصده الناس للتنزه. ينظر: بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص ص: 215 – 216.

سقاط المشرفي[1] الذي يعدّ من أبرز شيوخه[2]. والطيب بن عبد الرحمن الذي قرأ عليه الألفية في النحو[3]. كما تتلمذ لكلّ مِن أحمد بن التهامي[4] الذي أخذ عنه الفقه وكان كثير التردد إلى مجلسه في وهران حيث كان غاصا بالطلبة وأهل العلم[5]. ومصطفى بن أحمد التهامي[6] شبيه سيبويه في النحويات[7]، وقرأ مختصر خليل على محمد بوسيف العامري التراري[8]. وعن كبار علماء الأسرة المشرفية أخذ المشرفي عدة علوم ومنهم ابن عَبُّ بن المصطفى[9] الذي درّس علم الفروع وتولّى القضاء بمحلة الأمير عبد القادر[10]. ثم العلامة الطاهر[11] المشرفي[12]، وعبد القادر مصطفى بن الأحمر[13] الذي كان على دراية كبيرة بعلم المعقول[14]، وكذا عن الأديب السنوسي

1- **محمد بن عبد الله سقاط**: زين العابدين المشرفي المعروف بسقاط، حفيد عبد القادر المشرفي. كان يحفظ صحيح البخاري وصحيح مسلم بالإضافة إلى حفظ السير والتواريخ وشيوخ المذاهب وفهرسته تشهد له بذلك. توفي رحمه الله بمكناس وقيل مات مسموما. ينظر: الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص: 578.

2- العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن أخبار الدول، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم: 2956، ص ص: 8 – 9.

3- المصدر نفسه، ص ص: 8 – 9.

4- **أحمد بن التهامي**: من كبار علماء منطقة معسكر، وهو والد مصطفى بن التهامي، الذي تزوج عمة الأمير عبد القادر. كان عالما فقيها، وذا جاه عريض، وقد عينه الأمير رئيسا لمجلسه الشوري العالي الأميري، وحسب رواية ابنه مصطفى، فإنه توفي بمصر خلال ذهابه للحج، خلال ثورة الأمير. ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص: 247.

5- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 25. ديوان نظم، و111و. الذخيرة، ص ص: 8- 9.

6- **مصطفى بن التهامي**: ولد بمعسكر سنة1788 من أسرة متدينة وثرية. وقد تولى الفتوى في وهران على عهد الأتراك، وكان مع الأمير عبد القادر من بداية المقاومة إلى آخرها، حيث كان ضمن أعضاء قيادة الجيش الذين استشارهم في آخر اجتماع له في 22ديسمبر 1847. توفي بدمشق سنة 1866. من آثاره: غوثية مصطفى بن التهامي وتتكون من 520 بيتا كتبها بقصر أمبواز بفرنسا. إبراهيم لونيسي: "مصطفى بن التهامي 1788- 1866 العالم ورجل الدولة"، عصور، ع3، 2003، تصدر عن مخبر مصادر وتراجم، قسم التاريخ جامعة وهران، ص ص: 95 – 103.

7- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 25.

8- العربي المشرفي، ديوان نظم، و111و.

9- **السيد بن عب بن المصطفى**: فقيه المشرفيين بمعسكر، وهو ابن مصطفى بن أبي محمد عبد القادر عبد الله سقاط دفين مكناس. هاجر بعد نهاية مقاومة الأمير إلى فاس وتوفي بها. ينظر: العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 08.

10- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 22. الذخيرة، ص ص: 8 – 9.

11- المصدر نفسه، ص ص: 8 – 9.

12- **الطاهر المشرفي**: هو ابن الشيخ عبد القادر، بن عبد الله، بن محمد المدعو بن دحّ المشرفي المعسكري. أخذ العلم عن والده، بمعسكر ثم إلى فاس للدراسة. تولى قضاء الأتراك، بوهران، وله ثبت يرويه العلماء ويتداولونه. ينظر: الكتاني، فهرس الفهارس، ص: 466.

13- **الحاج عبد القادر الأحمر**: ابن عم محمد بن عبد الله سقط، توفي مهاجرا بأهله في مصر عام 1263هـ/ 1853م، بعد أن جاور في الحجاز سنين عديدة وحج واعتمر، وتردد إليه وتكرر. وقد ضرب له الملك الأعظم مثلما ضرب لعلماء الحرم. وقد رثاه علماء مصر يوم وفاته بقصائد كثيرة. ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص: 232.

14- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 21.

بن عبد القادر.[1]

وبعد أن أتم مسيرته الدراسية بمدينة معسكر انتقل المشرفي إلى مدينة مستغانم ليتتلمذ على مشايخها وعلمائها وهم[2] محمد بن صابر[3]، ومحمد بن عامر البرجي وقد قرأ عليه مختصر خليل[4]. ثم محمد بن عاشر[5] وخليل الفرندي[6]، وعبد القادر بن القندوز[7] الذي درس[8] عليه علم الكلام ومختصرا الأخضري[9] والسنوسي[10].

ثم انتقل المشرفي بعد ذلك إلى تلمسان بغية الاستزادة والتتلمذ على علمائها. وقد أشار عرضا إلى مقامه بها وقراءته على يدي الفقيه الحاج الداودي التلمساني[11]، ومحمد بن سعد التلمساني[12]، ومحمد الفخّار.[13]

وفي نهاية المطاف، انتقل المشرفي إلى وهران سنة 1240هـ/1824م[14] ليواصل تعليمه بها. وقد بعثت الأجواء الجديدة التي وجدها بها في نفسه حماسا كبيرا لإتمام مرحلة الجمع والتّحصيل، خصوصا وأنه وجد نفسه بين أشياخه الأوائل الذين تتلمذ لهم في مدينة معسكر[15].

1- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 24.

2- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 9

3- المصدر نفسه، ص: 8.

4- العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

5- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 9.

6- المصدر نفسه، ص: 9.

7- العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

8- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 9.

9- **عبد الرحمن الأخضري**: بن محمد الصغير بن عامر المشهور بالأخضري، من علماء المالكية بالجزائر. ولد عام 920هـ، ضواحي مدينة بسكرة. من آثاره الجوهر المكنون في الثلاثة فنون، السلم المرونق، ومؤلفات أخرى. ينظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، القاهرة: المطبعة السلفية، 1349هـ ، ص: 285.

10- **السنوسي**: محمد بن يوسف السنوسي 832- 895هـ/ 1428- 1490م، من علماء تلمسان، تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن وغيره. من آثاره: العقيدة الصغرى والكبرى، وشرح صحيح البخاري، ونظم العقائد، وغيرها من التآليف. ينظر: ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1908، ص: 237-243.

11- **الحاج الداودي التلمساني**: هو أبو محمد الحاج الداودي التلمساني، الفقيه النحوي المحدث، تولى قضاء تلمسان، قبل الاحتلال، ثم هاجر فاس وتوفي بها بعد ذلك، سنة 1854م، ودفن بالزاوية أحمد الناصرية. ينظر: مخلوف، شجرة النور، ص: 400.

12- العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

13- المصدر نفسه، و111ظ.

14- Henri Pérès, l'Algérie vue par deux voyageurs, p : 261.

15- العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

وبدأ بقراءة مختصر خليل على أحمد بن التهامي وعبد الله سقاط وخليل الفرندي، وعلم الكلام ومختصر الأخضري في المنطق ومختصر السنوسي على يدي عبد القادر المستغانمي، والمختصر أمام محمد بن يوسف العامري التراري. ومحمد بن سعد التلمساني[1] الذي أتمّ علي يديه شرح البخاري وتفسير البيضاوي[2] وحاشية الخفاجي[3] سنة 1245هـ/1829-1830م، كما تتلمذ لابن صابر المستغانمي ومحمد بن عامر البرجي.

وبعد الاحتلال قفل راجعا إلى معسكر بعد أن أمضى ست سنوات من التحصيل بوهران، ليتولى تدريس الصبيان؛ يستشف ذلك من قوله: "ففاجأنا خروج الإفرنس دمّره الله للثغر الجزائري، فلم يتمّ لنا المراد في قراءة التفسير ومتون الصحاح، فرجعت لغريس ظافرا بالنحويات والفقيهات والحمد لله، وانتصبت في حياة والدي للتدريس وقرّت بي عينُه".[4]

وعند رجوعه لمسقط رأسه والتخلي الاضطراري عن مزاولة الدروس لم تتوقف مسيرته التحصيلية عند هذا الحدّ. فانطلق في رحلة جديدة نزل خلالها ضيفا على منطقة مجاجة سنة 1249هـ/1833م لكن خيبة أمله كانت كبيرة لما وجد بها سوى عالمين اثنين[5]. كما نجده يستغل فرصة مروره بمصر خلال رحلته للحجاز سنة 1265هـ/1848م[6] ليلتقي بعالمها الإمام الباجوري[7].

1- **محمد بن سعد التلمساني**: هو العلامة، محمد بن سعد بن الحاج الحسني البيدري التلمساني، من أعلام الفقه والحديث والبلاغة بالجزائر قبل الاحتلال. تولى القضاء بتلمسان على عهد الأتراك ثم هاجر إلى فاس سنة 1836م وتوفي بها في 17 محرم 1264هـ/25 ديسمبر 1847م. من آثاره: شرح على الهمزية، وشرح على الرسالة. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2581.

2- **البيضاوي**: هو عبد الله عمر بن محمد بن علي المعروف بالبيضاوي، المتوفي عام 685هـ أو 691هـ. من تآليفه: مختصر الكشاف، والمنهاج في الأصول وشرحه، وشرح المطالع في المنطق. ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق أبو الفضل محمدّ إبراهيم، ج2، ، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1964،ص: 51.

3- **الخفاجي**: أحمد بن محمد بن عمر أحد شيوخ الحنفية، ولد عام 979هـ/1571م، سمي بالخفاجي نسبة إلى قبيلة خفاجة. توفي بمصر سنة1069هـ/1659م. ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993، ص: 238.

4- العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

5- لم يذكر المشرفي اسما هذين العالمين واكتفى بالقول أنهما كان من العلماء المتضلعين بعلم المعقول والمنقول. كما أشار إلى وجود عالم جزائري هاجر إليهما ويدعى بأبي القاسم البزاغني. ينظر: ياقوتة النسب، ص: 35.

6- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 09.

7- **الباجوري (1198-1277هـ/1784-1860م)**: إبراهيم بن محمد بن أحمد؛ من فقهاء الشافعية كان شيخ الجامع الأزهر الذي تقلد مشيخته سنة 1263هـ/1846م واستمر فيها إلى أن توفي بالقاهرة. نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية بمصر) ولد ونشأ فيها وتعلم في الأزهر، وكتب حواشي كثيرة منها: حاشية على مختصر السنوسي في المنطق، والتحفة الخيرية. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 71.

وهكذا تنتهي المرحلة الأولى من حياة المشرفي التي عاش خلالها متنقلا بين معسكر ومستغانم وتلمسان ووهران حتى انهزام الأمير عبد القادر في معركة عين طاقين[1] 1843، ليشدّ الرحال مهاجرا إلى المغرب.

ثانيا- هجرة المشرفي إلى المغرب والاستقرار بفاس (1844-1895)

1- ظروف الهجرة:

لقد كان لاحتلال الجزائر أثر كبير على نفسية المشرفي؛ خاصة مع الضغط الكبير الذي مارسته قوات الاحتلال الفرنسي من تشريد وتنكيل بالشعب الجزائري الذي لم يقف مكتوف الأيدي، بل رأى في المقاومة والجهاد الأسلوب الأنجع لمواجهته. وكانت مقاومة الأمير عبد القادر من أعنفها وأشرسها لِما تركته من آثار سلبية في صفوف الجيش الفرنسي وما كبّدته من خسائر فادحة في العدة والعتاد والأرواح[2]. فاستطاع أن يجبر الفرنسيين على المهادنة إلى أن بدأت أحواله العسكرية تسوء شيئا فشيئا خاصة مع بداية الأربعينيات وتحديدا عند اكتشاف عاصمته المتنقلة الزمالة وانهزامه في معركة عين طاقين 1843. فكيف كان موقف العربي المشرفي في ظل كل هذه الأحداث؟

أرّخ المشرفي لهذه الأحداث بإسهاب كبير في عدد من مؤلفاته كشاهد عَيَان على أحداث عصره. ولذلك نجده كثيرا ما يذكّر بانتصارات المقاومة على الفرنسيين خاصة تلك التي لها صلة بالأمير عبد القادر. وجاء ذكره للبعض منها قائلا: "وكنا نحضر معه في الجهاد؛ وما فارقه مؤلفه في ثمانين وقعة وتقهقر العدو؛ ومهما فارق البحر بمائة خطوة أو بأكثر إلا وتخطّفته الناس وغنمت سلاحه ورجاله، من سنة خمسة وأربعين في القرن الماضي إلى سنة تسعة وخمسين"[3]. وقد نظمها قائلا:[4]

1- **معركة عين طاقين**: جرت بنواحي تيارت يوم 16 ربيع الثاني 1259هـ/15 ماي 1843م بعد اكتشاف عاصمة الأمير عبد القادر المتنقلة الزمالة، من طرف المتنصر عمر العيادي أحد عملاء الفرنسيين، وقد اكتسحها الجنرال بيجو وخرّبها. ينظر: محمد بن الأمير، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: ممدوح حقي، بيروت: دار اليقظة، ط2، 1964م، ص: 428.

2- عن هذه الأحداث بالتفصيل راجع الفصل الثالث من قسم الدراسة.

3- العربي المشرفي، ديوان نظم، و112ظ.

4- العربي المشرفي، كناشة ك204، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية رقم: ك204، ص: 39 مكرر.

من ثامن عام الأربعين في قرننا ** إلى تاسع الخمسين والحرب دُوَلُ
وديننا في نصر وعزّ وهمّة ** ودين الإشراك مخذول ومذلّل

كما نظم سنة 1844 "مرثية للوطن وأهله" في ثلاثمائة بيت سرد فيها أطوار المقاومة ومراحلها، وتحركات الأمير عبد القادر راصدا فيها عوامل فشل المقاومة ابتدأها قائلا[1]:(الطويل)

سلام على الأحباب أين تحوّلوا ** وباشرهم ريب الزمان تجيّلوا
ودارت عليهم دائرات تغرّبوا ** فخرّبت دار الملك منها تبدّلوا
وغُيّر صرح القصر فانقلبت ** على أُناسنا دنيا أرملُ ومبتّلُ
وصالت علينا صولة الظلم ** فامّحت رسوم غريس من كفّار تطوّلوا

وختمها قائلا: (الرجز)

والآل وتابعيه مِن قرنِه إلى ** انقطاع القرون دول بعد دول

وكتب في آخرها يقول: "تمت وبالخير عمّت، وقت ترادف الأهوال وشغل البدن والبال"[2]. ويبدو مِن خلال تتبع الأحداث التاريخية ومدونات المشرفي أنّ هزيمة عين طاقين كانت هي السبب المباشر لهجرته إلى المغرب، خاصة بعد نفاذ قوة التحمل والصبر واشتداد خناق القوات الفرنسية على المقاومة. فذَكَر في عدة مناسبات سبب وتاريخ هجرته مؤكدا أنّ دافع الهجرة هو الغيرة على الدين ورفض الرضوخ للمستعمر، وبرّرها قائلا: "والسبب الحامل لنا على ذلك وإنْ كنا لسنا أهلا لذلك؛ الغيرة على الدين والكفّ لجزية المشركين"[3].

وأما عن اختياره المغرب دارَ هجرةٍ نجده يقول: "فولاية أهل النبوة أمان لهذه الأمة من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وهذا هو أحد الأسباب التي جاءت بنا للمغرب، واخترنا الهجرة إليه دون الهجرة لأرض تونس وما وراءها من الأمصار التي يحكم فيها سواهم، ولا شك أن

1- وردت الأبيات الأولى في ديوان المشرفي. ينظر: العربي المشرفي، ديوان نظم، و3ظ – و4و. أما عن القصيدة كاملة فقد وردت في كناشة المشرفي. ينظر: العربي المشرفي، ك204، ص ص: 30-40. وللإشارة فالمخطوط من ص39 يتخلّله اضطراب في ترقيم الصفحات والقصيدة كاملة فيه تقع في 21 صفحة.

2- العربي المشرفي، ك204، ص: 40.

3- المصدر نفسه، ص: 87.

البلاء يحوم حول ديارهم ويدفعه الله عنهم بسبب ولايتهم. ألا ترى إلى فاس[1] وأحوازها بل وجميع الإيالة المغربية حاضرة وبادية، كيف نجّاها الله مما أصاب غيرهم من واسطة المغرب وتونس المجاورة، فقد تغيرت أحوالهم بظهور كلمة الكفر في تلك النواحي أعادها الله دار إيمان"[2]. ويُفهم من النص المذكور أن المشرفي كان يؤكّد على ضرورة الهجرة من الجزائر التي أضحت بيد النصارى إلى دار الإسلام المتمثلة في المغرب. وقد هاجر في هذا الإطار إلى مدينة تطوان[3] وطنجة سنة 1830 حوالي ستمائة شخص[4]. وهو الأمر الذي جعل جاك بيرك Jacks Berque يؤكد على أن الهجرة الجزائرية إلى المغرب كانت خوفا من مغبّة حدوث مشاكل عويصة من جرّاء الاضطرابات الاقتصادية والقوانين الفرنسية المجحفة فضلا عن الوازع الديني الذي كان محلّ بحث ونقاش في الجزائر وانتهى بإيفاد الأمير عبد القادر للشيخ سقاط المشرفي إلى الإمام التسولي يستفتيه في الأمر[5].

وقد ظل المشرفي يدافع عن موقفه الداعي إلى الهجرة في الكثير من المناسبات ومنها قوله في مرثيته للوطن؛ واصفا الحالة المعيشية المتردية: (الطويل)

وصرنا كأولاد السودان طوائفا ** بِنَا عَمَرَتْ أسواقهم وقبيّلُ[6]

ونجده في موضع آخر يؤكد على أن الإقامة بالبلاد والاحتماء بالفرنسيين خير من البقاء تحت حكم الأمير عبد القادر إذ يقول: "وطال عليهم الهم وتردد الجفلات[7] بالغم، فرّت منه

1- **فاس**: قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس. ينظر: الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج4، بيروت: دار صادر، 1977، ص: 230.

2- العربي المشرفي، نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده الحسن، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 579، ص: 55.

3- عن الجزائريين المهاجرين إلى تطوان راجع: إدريس بوهليلة: "أصول الحركات الاستقلالية في المغرب المعاصر- الجزائريون في المغرب وحرب تطوان"، مؤلف جماعي تحت عنوان: المغرب والأندلس دراسات وترجمات، تقديم وتنسيق: مصطفى بنسباع، تطوان: مطبعة الخليج العربي، 2011، ص ص: 67-88.

4- G.L. Miége, le Maroc et l'Europe 1830–1894, édition la port, Rabat, 1996, tome2, p: 129. J. Berque, L'intérieure du Maghreb 18- 19 siècle, édite galimard, Paris, 1978, p: 415.

5- محمد بن الأمير، تحفة الزائر، ص: 318. عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ج5، الدار البيضاء: مطابع إديال، ط2، 1990م، ص ص: 50 – 74. محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962 مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، تقديم: محمد كنبيب، الرباط: دار أبي رقراق، ط1، 2008، ص ص: 40-44.

6- العربي المشرفي، ك204، ص: 31.

7- **الجفلات:** والجافل المتزعج. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 644.

للنصارى واستحلّت الجلوس تحت رايتهم ليتوارى فلم يبق معه إلا الحزب الملعون، يدور معه للنهب ويكون له عون؛ فأقام معه على قتل العباد وسبي النساء والأولاد وأباح الفروج لجيش العباد"[1]، "فبذلك وقعت المعايرة بالتنصر لمن لم يهجر نحوه، ولمن لم يعمل مثل عمله حذوه".[2]

وقد وصف المشرفي مشاهدَ هجرته وآلامه الكبيرة في نص طويل ضمن "طرس الأخبار" مما جاء فيه: "اعلم أن النصارى لما اشتدت صولتهم[3] وكثرت إذايتهم، وهالتنا غزواتهم وفجعتنا روعاتهم، فررنا بالحريم للجبال وتركنا وراءنا قوت العيال، وتحصّنا بالأعراب المسلمين وقلنا في زعمنا: أَسْنَدْنَا ظهورنا لإخواننا المؤمنين؛ فإذا بهم قاموا لأخذ مالنا وغاروا عليه أخذا بثأر نهب عمالنا، فوقفنا حائرين حيث أخذنا بجريرة[4] أهل الأمير الجائرين، ولا ألقينا للعدو السلاح إلا باجتماع الأعراب مع النصارى في الاصطلاح، إذ الأعراب تُغير علينا مِن أمامٍ ومِن خلفٍ تُغِير الكفرةُ اللئام، فالنهار حرب معهم ورحيل وعسّات تحرس مِن الجميع الليل، فإن مرّوا بموتانا مثّلوا بهم وتبعوا جرحانا فأدففوا[5] عليهم وهتكوا حرمة الحريم، من أجل ذلك ماتت الأحرار بالتخميم، فلا يشدّ المسلم عضد أخاه ولا يسد خلّة جوعه بجوعه وسخاه. لذلك رجع المستضعف للبلاد بعد أن مرت عليه المشاق وتكررت عليه الأنكاد، ووقع الجلّ منا أسيرا وصار الكافر على مَن رجع للبلاد أميرا، فافترقت جموعنا أيادي سبأ، وتشتتنا جوفا وقبلة وشرقا وغربا، ولما فُقد عنا القمح والشعير ورجعنا لأكل لحم الغنم والبقر والبعير؛ معشر الكبير والصغير، وبلغنا حد الجهد في الجوع لا سيما مَن ترضع الرضيع، فيطبخ بلا ملح الطبيخ، حتى مات بأكل المسّوس الكهل والشيخ، وترادف الرحيل في الفرار بلا إقامة بأرض هناك ولا قرار، وطال بنا الرجا وأعيانا مشي الوجا[6]، فلا محتطب في طريقنا ولا مرعى لسائمة[7] ماشية ترعى، إلا الشيح في بعض الأودية والحلفا، فلا تراها إلا يابسين من جايحة الحرّ والقرّ والأصفا، نيرانها

1- العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص: 240.

2- المصدر نفسه، ص: 240.

3- **الصولة**: السطوة. ينظر: أحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، إشراف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص: 529.

4- **جريرة**: الجناية والذنب. ينظر: أحمد مختار وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، مصر: عالم الكتب، ط1، 2008، ص: 363.

5- **أدففوا**: تدافعوا وتتابعوا. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 755.

6- **الوجا**: الحفا؛ وقيل شدّة الحفا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 4766.

7- **سائمة**: كل إبل تُرْسَلُ ترعى ولا تُعْلَفُ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2158.

باردة لا تُنضِج نَيًّا، فلم تحصل لنا به فائدة، فترى الناس يتداولون طول الليل على إيقادها، فلم ينتج لهم الأمر إلى أَنْ رجعوا لغلي القدّيد، فلم يكملها في إيرادها. عند ذلك هاجت بطون القوم ومات الجلّ بها في النوم، وما سلكنا فجًّا مِن فجاج تلك الأرض إلا امتلأت أفواهنا بالتراب طولا وعرضا، والعدو في أثرنا طالبا مِن حرب الكفاح، فَنَصَرَتْهُ علينا والله عواصف الرياح، وضاقت علينا الأرض بما رحبت، ومِن قلّة الماء والعيش فما وسعت. وكنا رحلنا في هروبنا السنة الأولى رحلة بعد رحلة حتى كملت لنا ستين جفلة، وفي السنة الثانية ثمانين رحلة قاصية إلى أَنْ أتت على آخرنا السنة الثالثة فاحترق ريشنا في المائة الرحلة الكارثة، ولولا موافقتنا لِمَنْ يدّعي الإمارة وجلوسنا معه يمينه وشماله؛ لما صرنا إلى ما ترى ولسَلك الله بنا طريقا يُسْرَى"[1].

ولحسن الحظ فقد حدّد لنا المشرفي تاريخ هجرته بدقة وجعله في جمادى الثانية 1260هـ/ جوان 1844م[2] واعتبره حدا فاصلا بين مرحلتين مهمتين في حياته إذ يقول:[3]

وفي الستين مِن هذا القرن نظمتها ** وفي حُلل الأهوال كنت أرفل[4]

في ثالث عشر القرون أسيدي ** في شهر جمادى الثاني كان التحول

وقد بدأ المشرفي رحلة الهجرة المتعبة إلى المغرب واضطرّ إلى تطليق زوجته خديجة[5] واصطحب معه أبناءه فقط. وقد عبر عن ذلك قائلا: "وهاج شوقي لحليلة[6] فارقتها بالطلاق حيث لم يساعدني أبوها على الهجرة"[7]. وترجم أحداث هذه الرحلة في الأبيات الآتية:[8] (الطويل)

1- العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص ص: 235-237.

2- بخلاف صاحب إتحاف المطالع الذي جعله في أواسط العشرة السادسة. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2058.

3- العربي المشرفي، ك204، ص: 40.

4- **أرفل**: رَفَلَ، يرفُل، رَفْلا ورَفلانا، وأرْفلَ، جرّ ذيله وتبختر، وقيل خطى. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 921.

5- ذكر المشرفي أن اسم زوجته هو خديجة خلال نظمه لقصيدة يسكّن بها فؤاده من لوعة فراقها. ينظر: العربي المشرفي، ك204، ص: 76.

6- تزوج المشرفي كذلك حفيدة ابن عمه سقاط. يشهد بذلك قوله: "تزوجتها بعد التفات الفتن عنّي والسيئات...الهرم معي في الثياب...الحوراء الأنسية، التي قضيت الآن بها بعض ما فاتني من زمن الصبا حفيدة ابن عمنا وشيخنا عالم الدنيا سيدي عبد الله سقاط". ينظر: العربي المشرفي، ديوان نظم، و60و.

7- العربي المشرفي، ديوان نظم، و4ظ.

8- العربي المشرفي، ك204، ص: 31.

ومنا بين البرابر العُجم لُسْنُها ** تخيّم صفر الكفّ لا يتمول[1]
ومنا طريح في الفيافي لحومُه ** تمزّقها النسور والقومُ هُزَّل
ومنا الضمآن مات وسط برية ** ولا يضطرب يمينُه وشُمَيَّلُ
ومنا كل الصبيان ماتت بجوعةٍ ** لما فُطمت عمّا تمصّ تُنَزَّلُ

وبعد هذه الرحلة الشاقة حطّ المشرفي ومرافقيه من الدرقاوية[2] الرحال بمنطقة بوسمغون التي كان أهلها من أتباع التيجانية[3]، لكن مدة إقامتهم لم تطل بسب اختلاف الفريقين في الانتماء الطرقي. وقد عبّر عنه بقوله: "إنّ علماء غريس والمعسكر هاجروا للمغرب، فمنهم مَنِ استوطن جبال ازناتة بني يزناسن[4] ومن استوطن الريف، ونحن معاشر المشارف استوطنا مدينة بوسمغون لأن ديارنا بها، فألفينا طريقة أهلها غير لائقة والسنة المحمدية غريبة بها، فَمَنْ لا يتمسك بطريقة التيجاني فيها ينفضوه قرميطا من القرامطة[5]؛ هاجرنا للغرب بسياسة وكياسة".[6]

و لم تتوقف رحلة التعب التي بدأها المشرفي رفقة عائلته وبني عشيرته عند هذا الحدّ، فبعد التجائهم عند زعيم قبيلة أولاد غرابة[7] الشيخ بن الطيب كادت أن تطالهم عملية نهب وسلب كبيرة من طرفِه؛ لولا أنّهم دفعوا له قسطا من المال مقابل السماح لهم بالمرور وحراستهم إلى أن بلغوا وجدة[8]. وقد عبر المشرفي عن هذه الحدث قائلا:

1- **لا يتموّل**: أي لا مال له. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2139.

2- **الدرقاوية:** أتباع العربي الدرقاوي. راجع: الترجمة الأولى والرابعة من المخطوط.

3- أتباع أحمد التيجاني شيخ الطائفة التجانية بالمغرب. توفي بفاس1814. ينظر: علي حرازم بن العربي برادة، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد اللطيف عبد الرحمن، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ص: 23. سكيرج، كشف الحجاب، تصحيح وتقريظ: عبد الكريم بنيس، ط3، 1961، ص ص: 10-20.

4- **جبل بني يزناسن:** يقع على بعد نحو خمسين ميلا غربي تلمسان. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 43.

5- **القرامطة:** من أتباع الفلاسفة من الفرس يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك. ظهروا سنة 278هـ، وسميوا بالقرامطة نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار. ينظر: ابن كثير أبو الفداء، البداية والنهاية، ج14، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر، 1997، ص: 635.

6- العربي المشرفي، ديوان نظم، و113و.

7- **الغرابة:** قبيلة تقع بحاذاة وادي فاس، على الطريق الرابط بين فاس والرباط. ينظر:

Chatelier, Notes Sur Les Villes Et Tribus Du Maroc En 1890, Angers: imprimerie A. burdin ; 1902, pp : 54–55.

8- Béllere, les Musulmans d'Algérie, p: 46.

توجّهتْ لابن الطيب الشيخ عصبةٌ ** جهابذةٌ فرّوا بدينهم أو ل[1]

وعند وصول الوفد إلى وجدة راسل الشيخ سقاط السلطان عبد الرحمن بن هشام لطلب يد العون والمساعدة؛ فبعث إليهم مجموعة من الفرسان لحمايتهم حتى دخلوا فاس[2]. وأرسل ظهيرا إلى ابنه الخليفة يأمره بإسكان الشيخ سقاط دارا تناسبه بفاس وإعانته على مؤونته.[3]

وإذا كان هذا هو المصير الذي انتهت إليه رحلة سقاط المشرفي، فما هي التفاصيل التي أوردها العربي المشرفي في مسيرة رحلة بقية الوفد؟

أورد العربي المشرفي أنه التقى بالأمير عبد القادر أواخر سنة 1260هـ/1844م عند جبال بني يزناسن قبل الدخول إلى وجدة، أين حاول الأمير إقناعه بالرجوع إلى الجزائر لكنه استطاع الانفلات منه ولحق بالسلطان المغربي في رباط الفتح[4]. وملخص الرواية كما يلي: "فوجدت الحاج عبد القادر بن محي الدين أمام جبل بني يزناسن بدائرته ومعه الرحلى الذي ينزل به ويرحل؛ دخلت وجدة، بعث لي نترل معه في دائرته فقلت له: لم يبق لي نزول معك. فقال لي: ولِمَ؟ قلت له: الشريعة المطهرة تأبى ذلك؛ لأنّ مَنْ دخل في رعية ملك ونوى استيطانها دخل فيما دخل فيه المسلمون من البيعة؛ فأخّر بغضي. ولما سمع بي خرجت بنفسي قاصدا الانتقال لفاس بعث خيلا في طلبي فلم يسلكوا طريقا سلكتها إلى أَنْ دخلت حاضرة فاس ولحقت السلطان المقدس برباط الفتح...ففرح بي غاية وفوق النهاية كنت أدمجتها في مؤلف سمّيته طرس الأخبار لما جرى للمسلمين آخر القرن الثالث عشر مع الكفار. أدخله[5] لسيدنا فأخرج لي فرسا أنثى من الإصطبل الشريف بسرجها ذات سلاح جيّد جديد، وكتب لي للقائد علي بن العربي المراكشي قائد وجدة يكري الحمار ويبلّغ أولادي لمدينة فاس ففعل رحمه الله"[6].

1- العربي المشرفي، ك204، ص: 34.

2- ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 124.

3- المصدر نفسه، ص: 124.

4- **رباط الفتح**: مدينة كبيرة أسسها في الأزمنة الحديثة المنصور ملك مراكش وخليفتها، ويمر على طولها من جهة الشرق نهر أبي رقراق، حيث يصب في البحر، وقد بنيت القصبة عند مصبه، فهي على النهر من جهة، وعلى البحر من جهة أخرى. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص ص: 201 – 203.

5- يقصد الوزير ابن إدريس الجامعي. ينظر: العربي المشرفي، ديوان نظم، و113و.

6- المصدر نفسه، و113و – و114و.

وتجدر الإشارة إلى أن المشرفي عند هجرته لفاس لقي حفاوة كبيرة من بعض العائلات الفاسية الثرية كعائلة بني الغسّال التي آوته وأكرمت نزله فمدحها قائلا:[1] (الطويل)

وإن بني غسّالٍ عرشي وجيرَتي ** تألّفتُ فيهم أُلفة لا تبدَل

ودخري وكتري للشدائد كلها ** هو الشيخ وابن الشيخ حبر فضل

وكانت عدة عائلات جزائرية أخرى من تلمسان ومعسكر ومستغانم قد رحلت إلى فاس، ومنها عائلة المشارف والمهاجيون والمراحيون من معسكر. ومن تلمسان عائلات ابن منصور والمقّريين وغيرها. ثم من مستغانم أُسَرٌ من سويد وصنهاجة.[2]

وقد شكّلت مدينة فاس خاتمة المطاف لرحلة شاقّة ومتعبة بالنسبة للمشرفي وعائلته، إلا أن نزوله على فاس وأهلها لم يكن ليجبر الخاطر المكسور، خاصة بعد اضطراب العلاقة من جديد بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام فانتهى الأمر باعتقاله وسجنه.

2- اعتقاله وسجنه: قبل الحديث عن اعتقال المشرفي لابد أن نستعرض طبيعة العلاقة بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمن بن هشام خاصة بعد المرحلة التي تلت هزيمة إيسلي 1844. ذلك أنه وبعد هذه الهزيمة هاجرت أعداد كبيرة من القبائل الجزائرية وعلى رأسها قبيلتي بني عامر[3] والحشم[4] أقوى حلفاء الأمير عبد القادر واستقرت ضواحي مدينة فاس مع بداية 1846[5] حيث أكرمهم عبد الرحمن بن هشام وأقطعهم أراضي فلاحية خصبة.[6]

كما التجأ الأمير عبد القادر إلى جبال الريف المغربي وشكّل قاعدة خلفية قوية توجّه منها الغارات تجاه الجزائر، الأمر الذي أقلق عبد الرحمن بن هشام والذي أصبح -بدافع الضغط

1- العربي المشرفي، ك204، ص: 31.

2- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، ج3، الدار البيضاء: دار الرشاد، ط1، 1985، ص: 217.

3- **بنو عامر:** بن زغبة؛ مواطنهم في آخر مواطن زغبة من المغرب الأوسط قبلة تلمسن مما يلي المعقل وكانت مواطنهم من قبل ذلك في آخرها مما يلي المشرق. ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، مراجعة: سهيل زكار، ج6، بيروت: دار الفكر، 2000، ص: 68.

4- **الحشم:** فخذ من حميد، من عامر، من بني هلال بن عامر. ينظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج1، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1997، ص: 279. الطيب بن المختار، القول الأعم، ص: 372.

5- حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، ص: 468.

6- محمد بن الأمير، تحفة الزائر، ص: 491. ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 72.

من السلطات الفرنسية[1]- مجبرا على تنفيذ اتفاقيات الصلح بطنجة يوم 10 سبتمبر 1844[2] ولالا مغنية يوم 18مارس 1845[3]. ومما زاد الوضع تأزّما هو انهزام ومقتل قائده محمد بن سالم الأحمر بجبال الريف أمام الأمير عبد القادر يوم 7 جويلية 1847[4] واتّهامه بمحاولة الاستيلاء على الحكم بالمغرب. حتى إن الناصري اعتبر لجوء قبائل الحشم وبني عامر إلى فاس قبل هذا التاريخ جزءا من هذه الخطة[5]. وفي خضمّ هذه الأحداث والأجواء المشحونة صدرت أوامر ابن هشام لقبائل الحشم وبني عامر بالتحرّك إلى الجنوب لكنهم رفضوا الامتثال للأمر، و لم يستطع الجيش المغربي إجبارهم على ذلك[6] حتى جاءت الفرصة السانحة وحوصرت هذه القبائل وأجبرت على الاستسلام.[7]

وقد أعطى الأمير عبد القادر تعليماته لأتباعه من الحشم وبني عامر بعدم مبارحة أماكنهم إلى حين التحاقه بهم[8]، لكنه وفي طريقه إليهم بلغته أنباء نكستهم وما أحدثه فيهم محمد بن عبد الرحمن بن هشام من سبي في النساء.[9]

وقد كان المشرفي ضمن شرفاء الحشم المقيمين بفاس والذين تحركوا إلى مكان اللقاء مع الأمير، لكن أعدادا كبيرة منهم رجعت إلى فاس بعد فشل اللقاء[10]. وعقب هذه الأحداث أصدر عبد الرحمن بن هشام أمرا يقضي بإلقاء القبض على كل المنتمين للحشم وبني عامر المقيمين بفاس حيث كان المشرفي من ضمنهم. وتمّ إطلاق سراح بعضهم في الأخير واستثني

1- أحمد مزيان، فجيج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن التاسع عشر(1845-1903)، المغرب: مطبعة فجر السعادة، 1988، ص: 421.

2- عبد الكريم غلاب، قصة المواجهة بين المغرب والغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003، ص: 73. يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832 – 1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص ص: 43 – 44.

3- أحمد مزيان، فجيج، ص ص: 123 – 124.

4- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، 2004، ص ص: 306 – 307.

5- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج9، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1954، ص: 56.

6- المصدر نفسه، ج9، ص: 56

7- نفسه، ص: 56.

8- Béllaire, les Algériens au Maroc, p: 56.

9- تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص: 307.

10- Béllaire, Op. cit, p: 57.

المشرفي من هذا القرار بسب اتهامه بتحرير رسالة للأمير عبد القادر اعتُبرت مساسا بأمن المغرب الداخلي.[1]

ويعتبر هذا الاتهام نقطة تحول حاسمة في حياة العربي المشرفي، ليبدأ رحلة المعاناة والهمّ والحزَن. وبالرغم مِن كل ما لحقه جرّاء هذا الاعتقال الذي أَرْدَاهُ سجينا، فإنه لم يقف مكتوف الأيدي، وكان كثير الكتابة للسلطان يستعطفه ويثبت براءته من هذه الرسالة التي عكّرت عليه صفو العيش. ومما حفظته لنا مدوّناته مجموعة قصائد أرسلها للسلطان كتلك التي شرح فيها سبب سجنه قائلا:[2] (البسيط)

سُجنت بظلم وهو مطّلع على ** سريرة عبد فيما يأتي وما مضا
رماني عدوي بالذي فيه غيرة ** وحُقَّ بأن يُرمى به فتغلّظَا
فإني سُنّي الشريعة تهْدِني ** وضدّي ابن ماحي الدّين[3] مبتدع محضا
وشيمتي أُبْغِضُ البدائع جملةً ** وأُبْغِضُ أهلها ومن يتفضّض ا[4]
أريني متى زال العداوة بيننا ** أنُوذى بمكتوب الفُسّاق ونُبغَضَا

ومع أن دعوته لم تلق الآذان الصاغية إلا أنه بقي مُصرًّا على براءته، وأنه ضحية وشاية من المولود بن عراش[5] الذي تحسّر كثيرا من حفاوة استقباله حين دخوله للمغرب. لذلك نظم أبياتا في هجوه يقول فيها:[6] (الوافر)

وصاحب الزور في الدنيا مُزار ** ويُكرَم لا يُضام ولا يهان
وتقتفه الوفود وتشتهيه ** وصاحب الحقّ ممقوت جبان

ولم تقف حسرة المشرفي عند هذا الحدّ، بل إنه هجا ابن عراش وبأسلوب جارح في قصيدة من ثلاثة وعشرين بيتا، خرج فيها عن الحد الشرعي ونعته بأسوأ النعوت مما جاء فيها:[7]

1- PH. de Cossé Brissac: "la France et le Maroc Pendant la conquête d'Algérie", Herspérise, Tom 13, 1931, p : 209.

2- العربي المشرفي، ك204، ص: 16.

3- يقصد الأمير عبد القادر.

4- **التفضض**: التفرق. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 692.

5- ليس لدينا ما يؤكد صحة الاتهام غير ما ذكره المشرفي، لذلك تبقى المسألة محلّ بحث لأن المصادر التي بين يدينا لا تمدّنا بتفاصيل كافية.

6- العربي المشرفي، ك204، ص: 9.

7- المصدر نفسه، ص: 13.

(البسيط)

لكن أصلك إسرائيلي تُبغِضُنا ** يا ملعون الأصل من أفّاك غشّاش

فلا يقرّ الإيمان فيكم أبدا ** أو يستقر بقرب عهد الحناش

ثم يقول: (البسيط)

يكفيك سجننا فأكثر شرب ماحية ** ويوم سبتكم فأحسن للفراش

إلى أن يقول: (البسيط)

فلا أساقفة الملاّح تُبغِضُنا ** كبغض هذا الذي يُدْعى ابن عراش

إن هذا الاهتمام الذي وجهه العربي المشرفي للميلود بن عرّاش أحد أبرز وزراء الأمير عبد القادر يجعلنا نشكّك في صحته. ذلكّ أنّ الأمير عبد القادر قد أشار بأنّ هذه الرسالة إنما وصلته من موظفين سامين في المخزن الرحماني عسكريين ومدنيين من العاصمة المغربية، مفادها أن سكان المغرب تذمّروا كثيرا من سلطانهم ويطالبونه بالمجيء سلطانا عليهم لكن الأمير رفض.[1]

وقد تجددت دعوات المشرفي لتبرئته وإخراجه من غياهب السجن؛ ومنها أَنْ نظم قصيدة استعطافية للسلطان جاء فيها:[2] (الطويل)

تثبّت أمير المؤمنين فإنني ** صدوق لكم وفيٌّ شهود تُيْقَضا

تذكّر بما جرى لأجل محبتي ** في حضرتك العليا ولست بمُبْغِضا

ولولاها لم يأخذ على قتلي ** أزعرٌ بمراكش[3] مالًا وبالله أُحفظا

أنلبث في سجن المزابل شهوة؟ ** وقد بغضتني ناسٌ من أجلكم بُغضا

وتُشْمتُ بي الأعادي يا خير سيّد ** إمام الهدى بحر الندى يتفيّضا

كما أن أفراد عائلته ساندوه كثيرا في محنته هذه، وأصروا على أن هذه الرسالة إنما كانت تهمة لُفّقت له وأن نسبتها إليه غير أكيدة[4]. وقد أحدثت الفترة التي قضاها المشرفي

1- تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص: 290.

2- العربي المشرفي، ك204، ص: 16.

3- **مراكش:** شمال أغمات وعلى اثني عشر ميلاً منها بداخل المغرب، بناها يوسف بن تاشفين أمير المسلمين في صدر سنة سبعين وأربعمائة، وقيل سنة تسع وخمسين وأربعمائة. ينظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص: 540. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص: 94.

4- Michaux Béllaire, les Algériens au Maroc, p: 58.

بالسجن شرخا عميقا في فؤاده وهو ما انعكس سلبا على نفسيته التي اتسمت في غالب الأحيان بالانحطاط والمزاج الحادّ، فجاءت جلّ كتاباته خلال هذه الفترة مؤكدة على ذلك. وقد بيّن في إحدى قصائده الحالة الصعبة والظروف القاسية التي كان يواجهها بالسجن إذ يقول:[1] (الطويل)

فساقية تجري من البول وحده ** وسائلة بين المساجين في الفضا
ورائحة الأقذار منها نشمّها ** وقد أُحرِقت منا الخياشيم تَمْرَضا
وزِدْ؛ هيَّجَ الأمراض وطءُ مزابلٍ ** ومنها تولّد الوباء وتفرّضا
فهذا مطعون في الفؤاد وخصره ** بسيف القضا ومقدور الله ما مضا
وذاك يهذو وليس يعقل قوله ** ولا فعلَه وللممات تعرضا
وقد حمِقت أناس من ضيق خاطر ** مجاورة الأقذار للحُمق تقتضا

ولم تقف محاولات المشرفي للتخلّص من سجنه بالكتابة للسلطان وحده؛ بل كتب كذلك إلى ابنه محمد قائلا:[2] (الوافر)

أيُسجن مَنْ يُضادِدُ من عداكم ** ويهجره وقد ظهر الفِتانُ
أيسجن من يباهي بكم عدوا ** يُفاخِرْهُ ويمدحكم لسان
أيُسْجن من يعظّم القدرَ منكم ** وأطلق في عِداتكم اللسان
أيسجن من عادَتْهُ القوم عنكم ** وقد بغضوه نِسْوُهُم الهِجانُ
أيسجن من يُقِيمُ شهود حق ** على مقاله وجب البيان
وقابل بيننا سيدي جميعا ** فليس في الصدق كالخبر العيان
فزدقة الدجاجل ليس تخفا ** على إمام عادل تستبان

ومهما تكن المدة التي قضاها المشرفي في السجن؛ فإنه قد تم إطلاق سراحه في ظروف لا تسعفنا المصادر الموجودة بين أيدينا بالحديث عنها بما فيها مدوّنات المشرفي[3]. ويبقى من الصعب

1- العربي المشرفي، ك204، ص: 15.

2- المصدر نفسه، ص: 10.

3- يذكر ميشو بلير في هذا الصدد أن المشرفي ظل قابعا في السجن حتى عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام 1859–1873 وهو أمر مستبعد جدا؛ لأن المشرفي كان قد رحل إلى الحجاز قبل هذا العهد. ينظر:

Béllaire, les Algériens au Maroc, p:59.

جدا تحديد تاريخ لهذا الحدث المهمّ في حياة الرجل؛ إلا أنّه يمكننا أن نجعله احتمالا في سنة 1848 خاصة في ظلّ التأثير الكبير الذي أحدثته قصائده الاستعطافية في نفسية عبد الرحمن بن هشام الذي عجّل بإطلاق سراحه، ثم انفراج الوضع المسدود بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان بن هشام بعد استسلام الأمير عبد القادر.[1]

ويُفهم من العبارات التي ضمّنها المشرفي كتاباته؛ أن محمد بن عبد الرحمن بن هشام كان وراء إطلاق سراحه ومنها: "وخليفته النجل السعيد أرقّ منه فؤادا وأرحم من جدوده أما وأبا، فَعَمَّنَا في ساعة والده إحسانه"[2]، وقوله: "ووفّى رضي الله عنه بغربتي في نجعتي وأوبتي".[3]

وبعد خروجه من السجن سمح له عبد الرحمن بن هشام بالسفر إلى الحجاز 1849 لأداء فريضة الحج ومَنْحِه قدرا ماليا، حيث انطلق من ميناء طنجة إلى الإسكندرية ومنها إلى الحجاز.[4]

3- **استقراره بفاس:** توافدت على المغرب عدة قبائل وأسر جزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي وحتى فترات لاحقة، حيث قوبلت باستقبال حسن من طرف السلطان عبد الرحمن بن هشام[5]، والذي سمح لها بحُرّية ممارسة جميع الأنشطة. ومن أبرز القبائل والأسر التي شملها هذا القرار قبائل الحشم وبني عامر وأسرة المشارف، حيث قدّم لهم عبد الرحمن بن هشام مساعدات عينية[6] بعد وصولهم فاس خاصة المشارف القادمين من غريس وتلمسان.[7]

وقد تجلّت مظاهر التسامح وإطلاق حرية هذه القبائل؛ بأن سمح لذوي الحرف

1- وقد استفادت من هذا الانفراج قبائل الحشم وبني عامر التي حصلت على ظهير للسلطان محمد بن عبد الرحمن بتاريخ 6صفر 1280هـ/23 جويلية 1863م تعفى بموجبه هذه القبيلة من أداء واجب الزكاة في حبوبها لبيت المال وتصرفه لفقرائها. ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 61. الوثائق، مجموعات وثائقية دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، المجموعة 2، الرباط: المطبعة الملكية، 1976، ص: 405.

2- العربي المشرفي، ديوان نظم، و4ظ.

3- المصدر نفسه، و2و.

4- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 269. كما ذكر المشرفي هذا التاريخ في شرحه على قصيدة ابن الونان. ينظر: العربي المشرفي، فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونّان، مخطوط بالخزانة الملكية بالمغرب، رقم: 12427، مج1، ص: 172.

5- راجع الفصل الثالث من قسم الدراسة.

6- حسب ميشو بلير: 800 مدّ من القمح و800 مثقال 2500 بسيطاس، وأصبح سنة 1894م حوالي 6000 بسيطاس. ينظر:
Michaux Béllaire, "les Algériens au Maroc et en Syrie", Revue de monde Musulman, tom2, 1907, p: 503.

7- ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 123 – 124.

والأنشطة منهم بممارستها على أكمل وجه[1]، وهو ما أشار إليه المشرفي قائلا:[2] (الرجز)

فعاش ذو الحرفة منا وافتخر ** واقتنى مالا ساد فيه وادّخر

وصار يفتخر كل يوم ** حالةَ يقظة وحال نوم

وقد استعان الجيش المغربي بالمدربين التونسيين والجزائريين الذين كانت لهم خبرة بالأسلحة الثقيلة –ولا شكّ أن قبائل الحشم وبني عامر من بينها– لدعم فرقه العسكرية[3]، وتم تعيين العلماء والفقهاء كل حسب درجته العلمية بين مدرّس بجامع القرويين ومدرس للصبيان. وقد اختير المشرفي ليتولى هذه الأخيرة[4] وهو ما تحسّر له كثيرا حينما قال: "وكل هذا أني معدود من حزب الغرباء وإن كنت عندهم من جملة الأدباء، وفي الطبقة الثانية من طبقات المدرسين ومحروم من أحباس المحبسين"[5]. ولعل تعيينه في الطبقة الثانية من المدرّسين وقف حجر عثرة أمام تحقيق طموحاته؛ خاصة إذا وضعنا في الحسبان نسبه الشريف وانتماؤه لعائلة ميسورة الحال كانت نقابة الأشراف لا تتعداها إلى غيرها، فكيف به يصير إلى ما صار إليه؟

لقد قابل المشرفي الأجواء الجديدة بتذمّر كبير، حتى إنه عبّر عن ذلك في الكثير من أشعاره قائلا:[6]

وكنا أهل ثروة في القوم ** ولنا شأنا عاليا في السّوْم

لنا أصول وعقار ** ولنا جمال زانه وقار

وهجرنا العقار والوقارا ** وتركنا الحائط والجدارا

وفررنا بالدين نحو المسلمين ** ونبذنا السكن من برّ المجرمين

وجئنا واستوطنّا أرض فاس ** حمدنا الله بلا قياس

1– أمطاط، الجزائريون في المغرب، ص: 50.

2– العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1264، ص: 316.

3– ثريا برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1997، ص: 242.

4– العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 49.

5– العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

6– العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص: 317.

إلى أن يقول:[1] (الرجز)

فمرحبا بالفقر فخر الأنبيا ** ولكن ضرّنا لسان الأغبيا
نهضنا نسعوا في جماع القوت ** وربما نكسوا أهل البيت
فبرز الأمر الذي أقول ** بعد التجريب يحس المقول

وقد لازمت المشرفي هذه المعاناة حيثما توجه وحلّ. فعبّر عنها في إحدى رحلاته إلى نواحي فاس قاصدا قبائل اشراكة وسلاس[2] وأولاد جامع[3] لطلب الرزق؛ فنظم يقول: (الرجز)

فقلت إني محتاج لزرع ** وأهل خيرٍ هم وأهل ضرع
فسرت نحوهم وخفّفت الخطا ** مسترزقا أبواب العطا
فبتّ أولى ليلة في قوم ** مبيت ماسك بدون صوم
ما بين رائح منهم وغادي ** فقلت تلك حالة البوادي
تمرّ دوني هي ولا تبالي ** وأمواج الهموم كالجبا ل[4]

إلى أن يقول:[5] (الرجز)

فقلت لا حول ولا قوة لي ** قد خاب ظني وخسرت عملي
نظرت حولهم قريبا لاح لي ** مدشر خِيَمٍ فسرّت قلبي
لعلّ آتي من يسدّ جوعي ** وخيرا منهم نجد لبغيتي
فما لقيت إلا من هو أشرّ ** منهم ولا وجدت من هو أبرّ
فألفيت الطباع كالطباع ** والجار مثل الجار في السماع
لكنهم في البخل هم أصناف ** فمنهم من له في إسراف

ونتيجة لتذمره الشديد من هاتين القبيلتين هجاهما بقصيدة جارحة مما جاء فيها:[6]

1- العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص: 317.

2- **سلاس**: قبيلة مغربية تقع بين وادي هوارة ووادي سبو في المنطقة العليا، وهم من أتباع الولي الصالح عبد السلام بن مشيش. ينظر:
Le Chatelier, Notes Sur Les Villes Et Tribus Du Maroc, p: 104.

3- **أولاد جامع**: قبيلة عربية الأصل تنتمي إلى عرب معقل. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 218.

4- العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص ص: 317 – 321.

5- المصدر نفسه، ص ص: 317 – 321.

6- نفسه، ص ص: 317 – 321.

(الرجز)

فلا يرى الخير فيهم زارع ** لا خير في الرؤوس والأكارع
ودون هاتين بني سنوس ** أهل جفا ومنهل نحس
إذا توجهت إلى سلاس ** فقد توجهت إلى الفلاّس

وبعد خيبة الأمل هذه؛ عاد المشرفي إلى مدينة فاس صفر اليدين، حيث ترك عائلته في ضيق عيش تنتظر رجوعه، فوجدها مثقلة بالديون نتيجة لرهنها مجموعة من كتبه مقابل الحصول على بعض الطعام[1]. وقد ألقى هذا الحدث في نفسه غربة ووحشة كبيرة جعلته ينظم أبياتا مؤثرة جدا مما جاء فيها:[2] (الرجز)

رجعت خائبا صفر اليدين ** لأهلي صرت مملوءا بالديْن
ألفيتهم قد رهنوا التصريحا ** وديوان الصفر والتوضيحا
وفي الدقيق رهنوا الموطّى ** لما رأوا نجلي قد توطّى
بالجوع لأنه صغير السنّ ** وجاع كل قويّ مسن
وأم عيالي تقول للجميع ** سيأتي رب البيت بالقوت المريع

ومن خلال ما دوّنه المشرفي؛ يتضح أنه لم يلق الجوّ المناسب الذي يسعى كل عالم للحصول عليه، فهجا وبأسلوب جارح سكان مدينة فاس نتيجة لجفائهم وتنكرهم للعلماء أمثاله. ولا نجد تعبيرا أحسن في هذا المقام مما جاء في مقدمة كتابه "الفتح والتيسير" إذ يقول: "ولما رمتنا الأقدار إلى الديار الفاسية ألفينا أهلها ذوي ثروة ولهم قلوب قاسية، لا يرقبون إلاً ولا ذمة في أولي العلم، ولا يراعون إلا أهل النفاق في الحرب والسلم، هم في إعراضهم عن صلحائهم، وفي غفلة عن مساكينهم وعلمائهم، أعاننا الله على سكناها يوم إذ رخّص الأسعار، فانتفى به عن المهاجر شؤم النفقة والعار، وسكناها في أيام الدولة الرحمانية والمحمدية في أمن وأمان، ورفاهية عيش بين ذوي الثروة ومن يتقي الكذب والبهتان"[3].

1- ذكر صاحب الإعلام أن العربي المشرفي كان مقترا عليه في الرزق. ينظر: عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.

2- العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص: 319.

3- العربي المشرفي، الفتح والتيسير في شرح قصيدة حوت من هم على قدم البشير النذير، مخطوط بالخزانة الملكية بالمغرب، رقم: 5271، و1و.

وقد هجا بدافع الحسرة والألم والوحشة مجموعة من القبائل الفاسية المرموقة؛ هجاء خرج به عن الحد الشرعي قائلا:[1] (الرجز)

فرّخ في ديارها إبليس ** ومن كبار نسله بنيس
ومن إخوانه حيّون وكيران ** مقراض عيشها جماعة الفئران
عشبها جرّدوا كالجرادة ** بنو شقرو ن[2] وبنو برّادة
عُدّوا من الدولة بالبنان ** وشاركوهم أولاد البنّان
أموالهم قد كثرت من الربى ** ومن مكوسٍ صعدت على الربى

ثم هجا قبائل اشْرَاكَة وأولاد جَامِعْ وسْلاَسْ والْجَايَة[3] وأولاد عيسى[4] وسفيان[5] وبني مالك[6]، في قصيدة عنيفة مما جاء فيها: (الرجز)

وعلماؤهم لا يعلمونا ** وبالحرام الصِّرف يكرمونا
قد جمع الكاتب جملة الشرور ** وحاز بالرّذم جهالة الغُرور
لا يكتب الخير ولا ينويه ** ولا يصلّي في مثوى يؤويه
يسوّد القرطاس بالفجور ** ويسعى في الإثم وفي المعكور
يقترف الذنب بأذن وقدم ** وبجوارح كفرج وقلم
جرّده المولى من ثوب الحسنات ** كما كساه بثوب السيئات[7]

و لم يتوقف به الأمر عند هذا الحد فحسب بل تعداه إلى ما هو أسوأ منه؛ فذمّ تجّار فاس

1- العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص: 313.

2- **بنو شقرون**: قبيلة بربرية بالأطلس المتوسط بالمغرب الأقصى، تحدّها شمالا قبيلة زيان وغربا تادلة وجنوبا آيت سيري. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 167.

3- **الجاية**: قبيلة مغربية تقع بين قبيلة سلاس وبني زروال. من أهم فروعها: أولاد بوزولة، أولاد قروم، بني محمد، صنوبر. ينظر:
Chatelier, Op. Cit, pp :102-103.

4- **أولاد عيسى**: قبيلة عربية قدمت من الحجاز بعد وفاة إدريس الأكبر، واستقرت في أحواز مدينة فاس، من أشهر بطونها بني بورزالة. ينظر:
Chatelier, Op. Cit, pp: 38-39.

5- **سفيان**: قبيلة عربية، استقرت ضواحي فاس ومكناس. وقد سكنت المنطقة مباشرة بعد دخولهم إليها. ينظر:
Chatelier, Op. Cit, pp: 27-28.

6- **بني مالك**: قبيلة عربية أصلا، استقرت ضواحي فاس ومكناس كقبيلة بني سفيان السابقة الذكر. ينظر:
Chatelier, Op. Cit, p: 28.

7- العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص ص: 313 – 314.

بقوله: "يجمعون الطريف والتلاد، ولا ينفقونها إلا في شهوات الفروج والأولاد، وانقطع ما كنا نسمعه من معاملة الفقير واليتيم والضعيف".[1]

وبين يدي رسالة بعث بها للسلطان محمد بن عبد الرحمن سنة 1868 أكّد المشرفي على حالته المعيشية الصعبة مما جاء فيها: "وأما حالنا يا مولانا لو بَلَغك على وجهه لرقّيت ومشّتك رأفة ورحمة في جانب مؤلّفه وكم كابد من شدائد الدهر، وكثرة العيال مع شدّة العسر وضعف الحال، ولا حرفة لنا سوى تقليب العيال، وأنتم معدن الخير وإليكم المشتكى"[2].

ولعلّ هذه الصورة القاتمة التي قدّمها العربي المشرفي عن سكان فاس يطرح عدة تساؤلات عن حقيقة الوضع الاجتماعي والاقتصادي وقتها، وهل صدق المشرفي فيما ذهب إليه أم لا؟

بعد الهجرات الجماعية للعديد من الأسر من مدينة معسكر خاصة منها أسرة المشارف في حدود سنة 1260هـ/1844م إلى المغرب، خصّص السلطان عبد الرحمن بن هشام لهذه الأسر استقبالا حسنا ومنحهم استقلالا شبه ذاتي استمر حتى سنة 1906.[3]

ويذكر مصطفى المشرفي أن هذا السلطان سنّ للمهاجرين الجزائريين كل سنة 500 مدّ بالمدّ الفاسي[4] قمحا لخصوص الأشراف منهم مع 500 مثقال كذلك[5]. وقد اندمج هؤلاء المهاجرون مع سكان فاس في فترات لاحقة إلى غاية سنة 1906؛ وأصبحوا يكونون مجتمعا واحدا على حدّ تعبير لوتورنو Lotorno: "وقد انصهروا شيئا فشيئا في سكان فاس وهم الآن جزء منهم لا يتجزّأ".[6]

وبالرغم من هذا الاستقبال الحسن من طرف السلطان عبد الرحمن بن هشام، كيف كان موقف أهل فاس؟ وهل كان هجاء العربي المشرفي لبعض الأسر والقبائل الفاسية انطلاقا من وضع خاص؟ أم هو حال عام اتّسمت به المنطقة ككل؟

1- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 51.

2- العربي المشرفي، الآيات والحوادث، و7و.

3- روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص: 293.

4- حوالي 15.62 كيلوغرام. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 44.

5- المصدر نفسه، ص: 79.

6- روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج1، ص: 295.

وللإجابة عن هذا السؤال نجد لوتورنو Lotorno يؤكد أنّ الفاسيين كانوا على الأقل غير مكترثين إن لم يكونوا معادين لهم؛ لاختلاف اللهجة والعادات، فلذلك لم يزل الجزائريون يكوّنون حتى بداية القرن العشرين –وهي الفترة التي عاش فيها المشرفي– جماعة متميزة تماما. فكانوا يتزوجون فيما بينهم محتفظين بلهجتهم وأسلوب معيشتهم [1] خاصة مع اتّصف به الفاسيون من كرههم لكل ما هو أجنبي، والجزائريون بصفتهم أجانب عنهم فقد شملهم هذا السلوك.[2]

كما أن الوضعية الحسنة التي قوبلت بها الأسر الجزائرية من طرف السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام ووضعيتهم المتميزة بفاس والمتمثلة في حصولهم على ظهير ملكي تعفى بمقتضاه الأسر المنحدرة من الشيخ عبد القادر المشرفي من أداء الضرائب[3]؛ لا تنفي بأي حال من الأحوال الوضعية الصعبة التي كانوا يعيشونها في مناطق متفرقة من فاس[4]، حيث عانوا كثيرا من ضيق الحال وضنك العيش[5]. ومما يؤيد ذلك ما ذكره أبو القاسم الزياني متحدثا عن أهل فاس: أقسى الناس قلوبا وأكثرهم كبرا وعجبا...ولا يتزجرون بما يقع لهم من المصائب وما يلحقهم من الفضائح والنوائب وذلك لخبث طباعهم.[6]

وقد سعى العربي المشرفي جاهدا لتحسين وضعيته والانتقال من مجرد مربٍّ للصبيان إلى مدرّس في المدارس العليا حتى حصل على أمر من السلطان عبد الرحمن بن هشام للتدريس في مدينة القصر الكبير[7] الذي مكث فيه مدة عامين[8]. ويفيدنا المشرفي أنه ظل وبوساطة بعض رجال المخزن يبحث عن طريق للارتقاء إلى منصب مدرّس في مدرسة مكناس لكن مساعيه

1- روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج1، ص ص: 293 – 294.

2- المصدر نفسه، ص: 304.

3- Béllaire, les Algériens au Maroc, p : 65.

4- الحياينة وخريبكة ووجدة ونواحي مراكش. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 59.

5- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 59.

6- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 52.

7- **القصر الكبير:** مدينة كبير أسست في عهد المنصور ملك مراكش وخليفتها، بأمره، وتدل الكتابات والآثار العتيقة، على أن مدينة القصر الكبير عتيقة جدا، لكنها قد تكون خرّبت، وبنا يعقوب المنصور الموحدي مدينة على أنقاضها. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص: 303.

8- العربي المشرفي، ديوان نظم، و60ظ. العربي المشرفي، تمهيد الجبال وما وراءها من المعمور وإصلاح حال السواحل والثغور، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1347، و17ظ.

خابت في الأخير.[1]

كما امتهن المشرفي كذلك حرفة نسخ الكتب، وكان سريع الكتابة لدرجة أنه كان يكتب الكراسة بين العشائين[2]، وقام بنسخ مكتبة كاملة لأحد أعيان المخزن وهو عبد العزيز الغرديسي. وأشاد بفضله عليه قائلا: "فمنذ قدمت مهاجرا لمدينة فاس أغناني عن عطاء الناس، وقد كتبت له خزانة بخط يدي ما تركت فنّا إلا وكتبت له أمهاته بوافر أجرة دون العطايا التي يخصني بها؛ و لم أنس خيره".[3]

وقد قضى المشرفي مدة خمس وعشرين سنة (من1848إلى1873) بحثا عن لقمة العيش، لكنه في الوقت نفسه كان كثير الكتابة والتأليف مهتما بأمور السياسة وكل ما يستجد فيها. فخلال حرب تطوان سنة 1860 أمام الإسبان[4]؛ نجده يخلّد هذا الحدث في مرثية حزينة من واحد وأربعين بيتا مما جاء فيها:[5] (المجتثّ)

يا دهر قل لي على من ** كشّرت جمع السلامه
نصبـــــــــت للدواهي ** و لم تخف من ملامه

إلى أن يقول:

ملّكتـــــــــه للّأعادي ** لست تســـــــاوي قُلامه
فالـــــــدين يبكي بدمع ** يحكيـــــه صوبُ الغمامه

وختمها قائلا: (المضارع)

و لم يزل ذا انتظار ** في كل وقت حمامه
يراقب الله ســـــــــرّا ** وجهرة فاستيدامـــــــه

1- العربي المشرفي، ديوان نظم، و60ظ – و61و.
2- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.
3- العربي المشرفي، ديوان نظم، و69ظ.
4- **حرب تطوان**: وقعت هذه الحرب إثر تجدد النزاع حول منطقتي مليلية وسبتة عام 1859 وبدأت حوادثها قرب سبتة ثم تطورت إلى حرب فشلت بريطانيا في الحيلولة دون اندلاعها وقد خسر المغاربة فيها مدينة تطوان، و لم تتوقف الحرب إلا بدخول بريطانيا إلى جانب المغرب. ينظر: خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856 – 1886، المحمدية: مطبعة فضالة، 1990، ص ص: 140– 164 و ص ص: 167– 176.
5- العربي المشرفي، ديوان نظم، و18ظ- و19و.

يطلب حسن ختـــــــام ** وسُكنى دار السلامه

ويعدّ هذا الحدث بدايةً لعهد جديد في حياة المشرفي، خاصة بعد أن خلّده في المرثية السالفة الذكر؛ إضافة للقصائد التي كان قد نظمها وقدّمها للسلطان في مناسبات مختلفة قَصْدَ التقرب منه وطمعا في الحصول على بعض المكافآت التي يستعين بها على قوت عياله ومنها:[1]

أمالكنا برقّ الدين شرعا ** حماه الله مِن مَلِكٍ وليّ

وناصب راية الإسلام تهلّ ** بها مَن صلّى في أرض الرويّ

وختمها قائلا:

بجاه أسنى خلق الله طرّاً ** وكل صالح حبر تقيّ

عليه ربي في القرآن صلّى ** وسلّم قبل كل أمر حسيّ

وفي السياق ذاته رافق المحلة السلطانية سنة 1289هـ/1873م في الحركة التأديبية لقبائل بني مطير وبني موسى المتمردة[2] بإقليم تادلا[3]. ورسم لنا أحداث هذه الرحلة في قصيدة مطولة[4].

وعلى إثر وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمن يوم الخميس 18رجب 1290هـ/11سبتمبر 1873م[5]، ومبايعة الحسن الأول يوم الإثنين 27رجب 1290هـ/ 20سبتمبر 1874م بمكناس[6] لم يتوانى المشرفي في تقديم التهاني. فأتحفه بنونية يعزّيه فيها بوفاة أبيه ويهنئه باعتلائه العرش، مطلعها:[7] (الطويل)

ضحكنا سرورا بعدما عمّنا الحزن ** وخفنا وعن قرب تدارَكَنَا أمنُ

سرور وحزن دفعة قد تواردا ** كصيحة رعد بعدها قد هما مزن

وختمها قائلا: (الطويل)

1- العربي المشرفي، ديوان نظم، و35و- و38ظ.

2- الناصري، الاستقصا، ج9، ص: 123.

3- **تادلا**: مدينة بجبال البربر بالمغرب الأقصى، قريبة من تلمسان وفاس. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 05.

4- العربي المشرفي، ديوان نظم، و42ظ – و43أ.

5- **الحسن الأول**: هو الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، ولد عام 1832، وتوفي عام 1894. ينظر: ابن زيدان: الإتحاف، ج2، ص: 115. العربي معريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873– 1894، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1989، ص: 61.

6- معريش، المغرب الأقصى، 65.

7- ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص: 127.

ولازِلْتَ في نصر وعزٍّ عنايةٍ ** تصوغ مزايا ما وَعت مثلها أذن
وخذ من نفيس الدرّ عِقدا منضدا ** على شعراء الوقت يبقى به دين

وبعد مبايعة الحسن حدثت عدّة تمردات في نواحي البلاد[1]، فتوجه للقضاء على بعضها. فاصطحب العربي المشرفي في الجولة التي قادته للقضاء على التمرد الذي ظهر بوجدة بقيادة محمد بن البشير اليزناسني[2] سنة 1874، فاستغل المشرفي الفرصة ودوّن أطوار هذه الرحلة في دالية، جاء فيها:[3] (البسيط)

أتت بشائر بالتهاني كالعيد ** والسعد لبّاك زال كل تنكيد
واستحكَمَتْ مِن سماء الملك ثابتة ** طوالع السعد في أبراج تسديد

ثم ختمها قائلا: (البسيط)

لك الهناء بفك كل معضلة ** وفتح مغلقها بإذن مودود
ما قال منشده في رسم دالية ** أتت بشائر بالتهاني كالعيد

ويبدو أن فترة حكم الحسن الأول كانت بادرة خير للمشرفي، فبدأ وقتها يسترجع أنفاسه ويعيد بناء نفسه من جديد. وقد جاء على لسانه في إحدى مؤلفاته أنه تلقى ظهيرا يقضي بتكليفه لشرح رسالة السلطان إلى أعيان وشرفاء زرهون الذين تمردوا على حاكم فاس[4]، فكان من حُسْنِ صنيع السّلطان أنْ تكفّل بتزويج ابنه الأوسط وكسوة عياله[5]، فجاء رد المشرفي قصيدة مدحية من مائة وخمس وعشرين بيتا مما جاء فيها:[6]

أمالكنا برِقّ الدين شرعا ** حماك الله من ملك وليّ
وناصب راية الإسلام تهدي ** بها مَن ضلّ في أرض الدوي

1- معريش، المغرب الأقصى، ص ص: 66 – 67. حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، ص ص: 258 – 270.

2- **محمد بن البشير اليزناسني:** عينه السلطان خليفة على قبيلة بني يزناسن بين سنتي 1864– 1874م، إلا أن سلطته طغت على سلطة عامل وجدة، حيث كان يطمح إلى منصب والي جدة، واستطاع بعد عدة مناوشات بلوغ الهدف بمساعدة من بعض أعضاء المخزن وبعض الفرنسيين، فلم يكن من السلطان إلا أن أقره على ذلك في نوفمبر سنة 1874م لكنه أعاد القبض عليه وأعفاه من مهامه بسبب معارضة القبائل الشرقية لتنصيبه واليا على وجدة. توفي بمراكش سنة 1883م. ينظر: العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 57.

3- ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص ص: 165 – 166.

4- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 57.

5- العربي المشرفي، الآيات والحوادث، و7و–و7ظ.

6- العربي المشرفي، ديوان نظم، و35و – و38ظ.

كما أنه وبعد شفاء الحسن الأول من المرض الذي ألمّ به عام 1887 نظم المشرفي خلال نزهة أقامها المهاجرون بفاس لتهنئة السلطان بشفائه من مرضه، قصيدة من ثمانية عشر بيتا جاء فيها:[1] (البسيط)

لله من نزهة سرّ الفؤاد بها ** وكادت أنفسنا بها تطير فرحا
وقد شفى الله سلطان الورى فلقا ** كل الهنا وكمال الرأي قد صلحا
علينا قد وجب الشكر الجزيل فلقد ** أولانا والده وجدّه المنحا
بنا تكفّلوا في أيام هجرتنا ** وواسوا أسرتنا مواساة السمّحا

ومهما يكن فإن الحظوة التي نالها المشرفي في البلاط الحسني لم تأت وليدة الصدفة، وإنما كانت بوساطة من رجال المخزن خاصة. ومنهم الوزير عبد الله بن أحمد[2] الذي نوّه به المشرفي وبفضله في مؤلّف خاص سماه: "إثمد الجفون فيمن بعهد الله يوفون"[3]. كما حظي بكرم الحاجب أحمد بن موسى[4] حين التحاقه بالمحلة السلطانية شمال المغرب سنة 1889[5] فكيف كان ذلك؟

إن الوثائق المتوفرة تتيح استنتاج ما يفيد بأن المتولّين لمناصبَ في دوائر المخزن في القرن التاسع عشر، كانوا يميلون إلى اصطناع زبناء يساعدون على خدمة مصالحهم، وقد يكون هؤلاء المصطنعون مِن أوساط العلماء أو من أعيان الشرفاء. فهم يشكلون دعائم أقطاب السلطة بالمغرب الأقصى، علما بأن فوائد هذا الدعم تعود على الطرفين في غالب الأحيان[6]. وخير مثال على ذلك الوزير عبد الله بن أحمد والوزير محمد الجامعي[7] اللذين كان للعربي المشرفي صلة وثيقة

1- العربي المشرفي، ديوان نظم، و59و.

2- **عبد الله بن أحمد:** هو الوزير عبد الله بن أحمد، كان مشرفا على تزويد الجيش بالعدّة والؤونة، واحتيار المجندين، خاصة بعد ان أحداث السلطان محمد بن عبد الرحمن وزارة الحرب. وقد ولي عبد الله بن أحمد هذه الوزارة زمن السلطان الحسن الأول، منذ سنة 1873م، واستمر فيها إلى غاية سنة 1899. ينظر: مصطفى الشابي، النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، المحمدية: مطبعة فضالة، ط1، 1995، ص: 36 وص: 116.

3- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

4- العربي المشرفي، ديوان نظم، و12أ.

5- المصدر نفسه، و11ظ.

6- مصطفى الشابي، النخبة المخزنية، ص: 81.

7- **الجامعي**: الوزير والصدر الأعظم؛ ينتمي إلى عائلة آل الجامعي التي ربطتها علاقة مصاهرة مع السلطان الحسن الأول. ينظر: مصطفى الشابي، النخبة المخزنية، ص: 116 وص ص: 171-172.

بهما. وقد مدح المشرفي الجامعي هذا ودعا له بالشفاء بعد المرض الذي ألمّ به في قصيدة من سبع وسبعين بيتا سماها "غوثية البدر المنير السيد محمد بن العربي الوزير".[1]

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الوزير قد كُلّف من طرف السلطان بمنح قطعة أرض للمشرفي ليبني بها مسكنا يأويه وعائلته، ولأسباب تبقى مجهولة لم يتم تنفيذ هذا القرار. وقد جاء هذا القرار بعد القصيدة التي بعث بها المشرفي للسلطان يشكوه مشقة الكراء مما جاء فيها:[2] (الطويل)

نويت وفي نظم القصيدة مطالبي ** أفوه بها لراحم وابن راحم
وأعظمها فقْدُ المساكن جملة ** وشمل البنين في خلال التهادم
وإني أبوهم شِبت في الخدمة التي ** تنبّه منعما لإنعام خادم
ثلاثة أولا د[3] كبـــــار تأهّلـــــوا ** وكل له احتياج مسكن ناعم
وبذل الكراء في كل شهر نودّه ** وكلّيت منه بالعطاء المداوم
قد احتجت للعيال دارا تكنّه ** بإقطاع يا نعْم الملك المقاوم

وقد كتب المشرفي بخصوص عدم حصوله على مسكن يأويه هو وعائلته ما يلي: "إن الدهر لما أهملنا غاية الإهمال، وأنسانا صالح الأعمال ودنّس لنا العقول فعميت علينا الأنباء والنقول مِن أجل الاحتياج للسكنى فإنها والله هي الركن الأسنى أعظم من قوت النفوس ومن ستر العورة بالملبوس، وألذّ مِن شرب الرّاح في الكؤوس، إلى أَن رفعت الشكوى طالبا من الجناب العالي دار معينة بالكراء صراحة لا نجوى، بواسطة إخواننا الوزراء والفقهاء النبهاء السفراء، فخرج الأمر السعيد النافع بتنفيذها كما طلبنا وما وجدنا لإخراج مَن هو بها، وآثروا علينا عاميا هو ساكن فيها بالكراء، ونبذوا الأمر وجعلوه من وراء ظهرهم".[4]

1- العربي المشرفي، الفتح والتيسير، و1و.

2- العربي المشرفي، ديوان نظم، و47ظ.

3- أولاده هم: مصطفى، وقد توفي في حياة والده. ينظر: العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 23. ثم مَحَمّد، وهو ابنه الأوسط الذي تكفل السلطان الحسن الأول بتزويجه. ينظر: العربي المشرفي، ديوان نظم، و35و. وابنه الثالث اسمه أحمد، كان حيا سنة 1907، وامتهن حرفة تصليح أحذية النساء. ينظر:

Béllere, les Musulmans d'Algérie, p : 92.

4- العربي المشرفي، الفتح والتيسير، و2ظ.

وقد امتعض المشرفي لهذا الأمر وتألّم له كثيرا وهو ما كان سببا في زيادة شدة الغربة والحنين فكتب يقول: "ولا سيما من لا ثروة له في هذه المواطن، والعيال والأولاد في كل يوم تطلب منا الزاد"[1]، و"إن من أعظم ما أنا فيه بُعْدِي عن الوطن والأحبة، وفقد الأُنس بعد هذه الغربة التي طال ليلها واشتد ألمها وعزّ علاجها"[2]، "إذ لا غرابة بأرض الإسلام وتقلب أحوال الإنسان وافتقاره، وذلّه واحتقاره، فهو بهذه بمثابة غريب حتى في أرضه، وبلدُه لمعنيّ بتحرّجه، ولا يتحرّج الإنسان من ضيم لحقه من غير أبناء جنسه، وإنما الضيم الذي يلحقه من أبناء جنسه هو الذي له ضرر أعظم من ضرره، والذي به يعدّ غريبا"[3]. ونجده في مقدمة كتابه الآيات والحوادث يؤكّد على ذلك قائلا: "وكاتبه من الذين يتعاطون تدريس العلم والحاملين لألويته ومن المهاجرين بالدين...أيسعى العالم في البادية وحقه في أحباس الحاضرة معلوم؛ معاذ الله أن تنصر هذه الأمة وعالمها محروم".[4]

وبالنظر لما لاقاه المشرفي بالمغرب أرض المهجر فقد ظلت علاقاته مع النخبة العالمة سؤالا مطروحا وقتها.

4- علاقاته بعلماء فاس:

عُرف عن العلماء الجزائريين المهاجرين إلى فاس قوة تمكّنهم في الفقه الحنفي وأصوله، ودراية عدد كبير منهم بالتنظيم العسكري المتطور عما كان بالمغرب. ولذلك لا غرابة في أن يكون لهم من يحسدهم مكانتَهم العلمية تلك، حيث لاقوا جرّاء هذا الأمر مضايقات كبيرة مثلما حدث مع الفقيه محمد بن سعد التلمساني شيخ العربي المشرفي الذي أثارت طريقته في إلقاء الدروس بالقرويين غيرة علماء فاس.[5]

وإذا كان هو حال شيخ المشرفي فإن هذا الأخير عرف المصير نفسه وربما أكثر، حيث عانى تهميشا كبيرا من علماء عصره، خاصة مع الفقيه محمد جنون الذي ردّ المشرفي عليه بمؤلف خاص. ثم إننا نجد صاحب رياض الجنة يؤكد في معرض حديثه عن ابن عمه وتلميذه مصطفى

1- العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 38.
2- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.
3- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 57.
4- العربي المشرفي، الآيات والحوادث، و1ظ.
5- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 62.

المشرفي أن الردود والاعتراضات كانت هي السمة الأبرز في حياته إذ يقول: "العالم الشاعر الهجّاء الكبير أبي حامد العربي المشرفي الشهير، فقد مزّقا أعراض الناس مما كان سببا لنفرة الناس منهما"[1]، ويؤكد آخرُ ذلك قائلا: "وفي مثله قيل: كم تقع في أعراض الناس؟ فقال: هم حفروا للأعمى ولابد للأعمى من الوقوع في الحفر"[2]، وذكر ابن سودة أن تلك عادته رحمه الله.[3]

ورغم ما عرف عن المشرفي من كثرة التأليف والارتحال، فإنه لم يستطع أن يجد لنفسه موطئ قدم في أوساط النخبة العالمة يستشفّ ذلك من قوله: "وكل هذا أنني معدود من حزب الغرباء وإن كنت عندهم من جملة الأدباء، وفي الطبقة الثانية من طبقات المدرسين ومحروم من أحباس المحبسين، وهذا شأن من لفظته الأقدار من أوطانه، وانقلبت محاسني مَسَاوِيَا وأصدقائي أعاديا".[4]

ومع أنه كان للمشرفي أعداء كُثر فإن هذا لم يمنعه من إقامة علاقات طيبة مع بعض علماء عصره بحاضرة فاس، خاصة عبد السلام بن محمد العمراني اللجائي[5] الذي كان يصفُ المشرفي بالأديب النحوي الفاضل. ومحمد الفاطمي بن الحسين الحسيني الصقلي[6] والمهدي بن سودة[7]، والحاج إدريس بن علي القرباوي، والمالكي السناني[8]، والعباس بن أحمد الأبّار.

وتدل مجموعة التقاريظ لعدد من مؤلفات المشرفي عن مدى الحظوة والاحترام الذي حازه لديهم. فهذا الصقلي يقرّظ كتاب الذخيرة قائلا: "العالم الفذّ الأديب النادر، أسد العلوم

1- عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 2003، ص ص: 146- 147.

2- ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805.

3- عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، بيروت: دار الفكر، ط1، 1997م، ص: 313.

4- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

5- **عبد السلام بن عمران اللجائي الحسني**: كان علامة مشاركا مطلعا، له عدة تآليف منها: الدرر السنية والمفاخر العالية في الدولة العلية. توفي يوم 07 ربيع الثاني سنة1913. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2879.

6- **محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي**: أبو الفضل، عالم أديب شاعر فاضل، له النفحات الشمالية العطرة الأنفاس في الرحلة الخمالية لزيارة فاس، رحل إلى الحج سنة 1892 وتوفي سنة1893 بالوباء الذي ضرب المدينة المنورة . ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2795. فوزي عبد الرزاق، المطبوعات الحجرية بفاس فهرس مع مقدمة تاريخية، الرباط: دار نشر المعرفة، 1989، ص ص: 155 – 156.

7- ذكر المشرفي في نزهة الأبصار بعض المواقف الطريفة بينه وبين المهدي بن سودة. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 454- 455.

8- **المالكي السناني**: إدريس بن علي بن المهدي السناني الملكي البكري، كان أديبا ناظما ناثرا مستحضرا له مشاركة واطلاع. من آثاره: ديوان شعر سماه الروض الفاتح بأزهار النسيب والمدائح. توفي سنة1901. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2826.

الخادر، المؤرخ النسابة، الناشر الشاعر"[1]. ثم الحاج إدريس بن علي القرباوي الذي صدّره قائلا: "قد ورث العلم والسرّ السُنّي، ومنه لشهرته عن التعرف الغني"[2]، وهذا محمد الفاطمي الصقلي يُحلّيه بما يلي: "العالم العلاّمة، الحبر الفهامة، الجهبذ النقاد ذي الذهن الوقاد، سنان لسان الدين المشرفي"[3]. وقد مدح المشرفي جملة من علماء فاس وأثنى عليهم أمثال محمد الصنهاجي[4] وأحمد البلغيثي[5] وعبد الواحد بن المواز[6] وأحمد بن الحاج السلمي.[7]

وفي إطار انخراطه في الجدالات الفكرية والأدبية بين أعلام عصره، ساهم المشرفي بحظ وافر في إغناء رصيد هذا الحقل من الثقافة المغربية، في القرن التاسع عشر حيث كان لانتمائه الطرقي للدرقاوية[8] ومذهبه الأشعري[9] المنطلق المحدد لجل كتاباته.[10]

5- تلاميذه وإجازاته العلمية:

خلّف المشرفي ثلّة من التلاميذ أبرزهم ابن عمه محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي[11]،

1- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 01.

2- المصدر نفسه، ص: 01.

3- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 01.

4- **محمد بن أحمد الصنهاجي**: بن عيسى الوزير المشارك الكاتب. بعد أن مرض الوزير العربي الجامعي خلفه الصنهاجي. كان يدرّس في جامع القرويين علم الأصول وغيره. توفي يوم الخميس 1891. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2787.

5- **البلغيثي**: أحمد بن العربي الحسني العلوي، كان عالما مشاركا ناظما ناثرا. تولى الكتابة في فاس مع القائد عبد الله بن أحماد السوسي. من آثاره: شفاء الصدور في نسب العلوي الواضح المشهور؛ توفي في 1889. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2781.

6- **عبد الواحد بن المواز**: الحسني السليماني، الكاتب المقتدر. من آثاره: تأليف في مناقب سبعة رجال مراكش. توفي يوم الجمعة 15 ربيع الأول سنة 1318هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص ص: 2822 – 2823. الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 177.

7- **أحمد بن الحاج السلمي**: محمد الطالب المرادسي؛ مؤرخ نسابة، ولي قضاء مراكش مدة ثم بمقصورة السماط بفاس. من آثاره: الإشراف على من حلّ بفاس من مشاهير الأشراف؛ توفي 1856. ينظر: العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 50 – 52. ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب: عبد القادر الخلادي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977، ص ص: 246ـ 262.

8- عن انتمائه الطرقي الدرقاوي؛ راجع الترجمة الأولى والرابعة من المخطوط.

9- عن عقيدته الأشعرية نجده يقول في مقدمة كتابه مشموم عرار النجد: "فيقول أفقر العباد إلى مولاه العلي؛ أبو محمد العربي بن علي المشرفي الحسني نسبا؛ الغريسي وطنا، المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا". ينظر: العربي المشرفي، مشموم عرار النجد والغيطان المعدّ لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، رقم: 12082، ص: 2. والعبارة نفسها تكررت في خاتمة ورقات في رواج السكة. ينظر: العربي المشرفي، ورقات في رواج السكة بالزيادة، مخطوط بقسم المحفوظات بالمكتبة العامة في تطوان بالمغرب، رقم: 343/1، ص: 15.

10- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 64.

11- تولى قضاء الحياينة وكان أحد العدلين اللذين ذيّلا بختمهما على وثيقة المهاجرين بفاس سنة 1894 تجديدا لبيعتهم للسلطان الحسن الأول. ينظر: عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، ص ص: 146 – 147. محمد المنوني: "وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس"، دعوة الحق المغربية، ع2، السنة العاشرة، ديسمبر 1966، ص ص: 104 – 106.

وقد أجازه بسنده عن الشيخ سقاط المشرفي عن مشايخه[1]. ومنهم كذلك علي بن الحاج بن موسى الجزائري[2] الذي أجازه سنة 1878[3]، وعبد القادر بن البشير وأبو العباس السيد أحمد اللذان ذكرهما عرضا في إحدى مؤلفاته.[4]

وقد كان المشرفي من العلماء الجزائريين الذين منحوا إجازات لعلماء من المشرق والمغرب[5]. كما أورد المشرفي في إحدى كنّاشاته ثلاثة إجازات بخطه لتلامذة لم يذكر أسماءهم، وكَتَبَ في آخرها: "لكاتبه ومسند العلم إلى مولاه العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي الحسني كان الله له آمين"[6].

6- وفاته: تضاربت الآراء حول تاريخ وفاة المشرفي. فذهب ابن زيدان في طبقاته إلى أنه توفي سنة 1310هـ/1892م[7]، وذهب صاحب الإعلام إلى أنه توفي أوائل العشرة الثانية من القرن الثالث عشر للهجرة[8]. وعلى الأرجح فإن وفاته كانت سنة 1313هـ/1895م عن تسعين سنة بفاس، ودُفن قرب ضريح علي بن حرزهم خارج باب الفتوح، وهو التاريخ الذي رجّحه صاحب إتحاف المطالع وغيره.[9]

1- ورد السند كاملا في رياض الجنة عند ترجمة أبي علي الحسن الشدادي. ينظر: عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، ص: 148 – 150.

2- عالم محدث وقاضي ولد بالجزائر سنة 1829 وبها أخذ العلم، ثم تولى القضاء وهو ابن الخامسة والعشرين من العمر في مليانة ثم في تنس وأخيرا بتلمسان من آثاره: ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة؛ توفي سنة 1910. الكتاني(عبد الحي)، فهرس الفهارس، ج2، ص: 176.

3- الكتاني(عبد الحي)، فهرس الفهارس، ج2، ص: 788. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 72.

4- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 09.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 68.

6- العربي المشرفي، كناشة المشرفي 471، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: ك471، ص ص: 54-55.

7- عبد الرحمن بن زيدان، معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين، دراسة بيبليومترية وتحقيق: حسن الوزاني، ج2، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط: دار أبي رقراق، ط1، 2009، ص ص: 211-212.

8- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.

9- ابن سودة، إتحاف المطالع، ص 2805. الدليل: 80. محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج2، الفترة المعاصرة 1730 – 1930، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1989م، ص: 91.

الفصل الثاني: الإنتاج العلمي للعربي المشرفي

أولا: في التاريخ

ثانيا: في الردود والاعتراضات

ثالثا: في الأدب

رابعا: في الطب

خامسا: في النوازل الفقهية

ألّف المشرفي في فنون كثيرة؛ وتعدّ كتاباته بمختلف أنواعها مصدرا أساسيا للعديد من المواضيع، كما أن مؤلفاته التاريخية كذخيرة الأواخر وطرس الأخبار وغيرها تبقى شاهدا حيا على براعته في الكتابة التاريخية. وعلى ما يبدو فإنه كان يميل كثيرا إلى الردود والمهاترات حيث ألّف في هذا الصدد العديد من الكتب ومن أهمها الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس. وألّف كذلك في الآداب والطب، وكان مواكبا لكل ما يستجد من أحداث فأجاب على العديد من النوازل الفقهية ومنها إجابته عن سؤالين وجّها له في موضوعي الحماية القنصلية والمعاملات الربوية.

أولا: في التاريخ

1- التاريخ العام:

- **ذخيرة الأواخر والأُوَلْ فيما يتضمن من أخبار الدول :**[1]

ويعتبر من أهم مؤلفات المشرفي وأجلّها قدرا، وهو تأليف يجمع بين التاريخ والرحلة[2]، ألفه تلبية لطلب تلميذه مصطفى المشرفي. حيث جاء في فاتحة الكتاب ما نصه: "فقد ورد علي مكتوب من لا تسعني مخالفته وتتأكد علي بالقرابة إجابته أن أضع تقييدا قاصرا على سيرة ملوك الأتراك...كما طلب مني ما نعلمه من سيرة ملوك الدولة العلوية ونسبتهم الشريفة النبوية...فلبيته لما دعاه وأجبته لمسعاه؛ وإن كنت لست أهلا لذلك ولا ممن يسلك أوعر المسالك"[3]، "وسميته ذخيرة الأواخر والأُول فيما يتضمن من أخبار الدول، وبادرت لامتثال ما

1- يقع في سفرين من 333 ورقة على ما ذكره القاسمي، ويوجد بعضه بخط المؤلف بالخزانة الفاسية، بينما توجد النسخة الثانية منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2659 كما أخبر بذلك ابن سودة. وقد أشار سعد الله إلى وجود نسخة أخرى بالمكتبة الوطنية الجزائرية لكن لم نعثر لها على أثر. كما ذكر في السياق ذاته أن هناك نسخة أخرى نقل عنها المستعرب الفرنسي هنري بيريز لكنه لم يذكر مكان تواجدها ولا ما آلت إليه، في حين ذكر المنوني أن هناك نسخة أخرى مبتورة الآخر بخزانة خاصة بمراكش دون أن يحدّد اسمها. ينظر: محمد فؤاد خليل القاسمي الحسني، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية بالجزائر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2006، ص: 355. ابن سودة، الدليل، ص: 100. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1990، ص: 81. المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 91.

2- ابن زيدان، معجم طبقات المؤلفين، ص: 212.

3- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 01.

به المكتوب ورد لينجز حرٌّ ما وعد، وهذا الباعث على تسطير هذه الرسالة و لم أماطل في تسويد أوراق العجالة"[1].

وقد صنّف المؤلف كتابه على عادة المؤرخين القدامى في مقدمة وستة أبواب وخاتمة. أما المقدمة عرّف فيها التاريخ لغة واصطلاحا ناقلا بعض هذه التعاريف عن الطبري[2] والسخاوي[3] ومنوِّهًا بأهميته الكبيرة[4] وضعف شأن هذا العلم على عهده إذ يقول: "النسب والتاريخ ضعُفا في هذا الزمان واندرسا، فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع اختلاف كثير في الأمة الواحدة لاختلاط الأنساب واختلاف المذاهب وتباين الدعاوى"[5].

وقد أوجز في الأبواب الأربعة الأولى منه؛ تاريخ البشرية من آدم عليه السلام إلى ظهور الإسلام. وأما الباب الخامس فقد أرّخ فيه للفترة الممتدة من ظهور الإسلام إلى عصره، وأفرد حيّزا هاما فيه لتاريخ الجزائر وأحوالها خلال العهد التركي[6]، وعرّج على ذكر ثورات درقاوة والتيجانية ونتائجهما على الأوضاع السياسية والاقتصادية للبلاد[7]. كما ذكر مدينة الجزائر وتاريخ بنائها[8]، ثم تناول مقاومتي الأمير عبد القادر[9] وأولاد سيدي الشيخ[10]. وخصص جزءا من هذا الباب للحديث عن الإفرنج وبعضا من تاريخهم وأعمالهم بالجزائر كإنشاء المدن وتوسيعها وبناء الموانئ وإنشاء الطرقات واستصلاح الأراضي وإنجازاتهم في قطاع التعليم[11].

1- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 03.

2- **ابن جرير الطبري:** هو محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر عالم مفسّر. ولد بآمن من إقليم طبرستان في أوائل 225هـ/839م، طلب العلم ببلده، ثم رحل إلى العراق ومصر. صنّف: تاريخ الأمم والملوك. توفي 310هـ/923م. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 44.

3- **السخاوي:** محمد بن عبد الرحمن بن محمد نسبته إلى بلده سخا بمصر، عالم محدث، حافظ مؤرخ. ولد سنة 831هـ، ولزم ابن حجر العسقلاني وأخذ عنه، وتنقل بين الشام والحجاز. من آثاره: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 399.

4- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 3.

5- المصدر نفسه، ص: 3.

6- نفسه، ص: 4-6

7- نفسه، ص ص: 04- 08 و ص ص: 08-09.

8- نفسه، ص:11-12.

9- نفسه، ص ص: 39 -45.

10- نفسه، ص ص: 46-48.

11- نفسه، ص ص: 24– 26 و ص ص: 26- 27.

وفي السياق ذاته قدم تراجم وافية لبعض علماء الجزائر خلال هذه الفترة، مثل الحسن بريهمات[1] وأحمد قدورة[2] وعلي العمالي ووالده أحميدة العمالي[3] وحمودة القاضي[4]، وجملة أخرى من العلماء خاصة منهم علماء الأسرة المشرفية وعلماء مستغانم وتلمسان[5].

ثم أفرد للقضاء فصلا مستقلا وتكلّم عن فضله وخطورة تقلّده، حيث عدّه من أعظم الخطط الدينية الست دون الخلافة أكملَ قدرا عند الله تعالى[6]، وشدّد على حسن اختيار أعوان القضاء وتحديد أوصافهم؛ وضرورة رجوع القاضي للعلماء باستشارتهم فيما يستجدّ من النوازل[7]. وقد أنهى هذا القسم بخاتمة مطوّلة تحدث فيها عن أقاليم المغرب الأوسط البحرية والجبلية والصحراوية، واصفا طباع السكان في كل منطقة ومميزاتها الفلاحية وكذا علمائها ومآثرها[8]، وتكلّم عن مصر وأشهر مدنها القاهرة[9]واصفا لموقعها الجغرافي. ثم أشار إلى لقائه بحاكمها محمد علي وما دار بينهما من نقاش طويل أثناء إقامته بها وهو في طريقه إلى الحج 1849[10]. وفي عجالة ذَكر بلاد الشام والحجاز واليمن والجزيرة العربية والدور الحضاري لبعض مدنها كدمشق[11] وحلب[12].

1- **الحسن بريهمات:** فقيه عالم مشارك برع في العلوم الدينية واللغة العربية. ولد حوالي عام 1821. تولى قضاء البليدة عام 1853، وإدارة مدرسة الجزائر الشرعية سنة 1855 ثم عين عضوا في المجلس الفقهي. توفي في 1833. ينظر: الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، الجزائر: مطبعة فونتانة، 1906، ص: 112.

2- **أحمد قدورة:** من علماء الجزائر وفقهائها؛ تولى الإفتاء بعد وفاة أخيه محمد سنة 1695 وتوفي مقتولا عام 1706 بأمر من الباي محمد بكداش. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 356.

3- **حميدة العمالي:** فقيه محدث ولد سنة 1812 وتولى إفتاء مدينة الجزائر سنة 1856، وتوفي عام 1873. من آثاره رسالة في أحكام المياه ورسالة في ترتيب القضاء. ينظر: الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 146.

4- **حمودة القاضي:** فقيه عالم بفروع المذهب المالكي ومداركه؛ قدّمه الولاة من بين العلماء لأهليته بصناعة القضاء وسياسته الدينية والدنيوية وذكائه وفطانته. ينظر: العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 33.

5- العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 23–34 و ص ص: 38–49.

6- المصدر نفسه، ص: 29 وص ص: 33–36.

7- نفسه، ص ص: 32- 33.

8- نفسه، ص ص: 24- 54.

9- **القاهرة:** بناها جوهر الصقلي سنة 358هـ ورحل إليها المعز لدين الله الفاطمي. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص: 301.

10- العربي المشرفي، الذخيرة، ص:27.

11- **دمشق:** بلدة مشهورة بالشام سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 463.

12- **حلب:** مدينة بالشام سميت بذلك لأن إبراهيم عليه السلام كان يحلب فيها غنمه في الجمعات ويتصدق به فيقول الفقراء: "حلب، حلب". ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 282.

وفي الباب السادس؛ عرّف بأقاليم المغرب الأقصى ومُدنه كإقليم السوس الأقصى وإقليمي مراكش وسجلماسة[1] ثم مكناس فاس؛ هذه الأخيرة أسهب في الحديث عن حِرفها وخيراتها ومساجدها، ثم ترجم لأعلامها وفقهائها[2]. ثم انتقل للحديث عن مدن الإقليم الشمالي كالعرائش[3] وسبتة[4] وتطوان ووجدة، ثم تطرّق لبلاد شنقيط[5] وزاوية القنادسة، وختم هذا الباب كاملا بالحديث عن مدينة فكيك[6]، ليختم الكتاب كاملا بخاتمة استعرض فيها عددا من مؤلفاته إلى تاريخ انتهائه منه[7].

وعموما؛ فإن هذا المؤلَّف اعتمد فيه صاحبه على السرد التاريخي وغاب عنه التبويب،كما أنه يتميز على العموم بأسلوب سلس ولغة سليمة عدا ما تخلله من ألفاظ دارجة وعامية نادرا ما كانت تتكرر. إضافة إلى أسلوبه الذي يغلب عليه استعمال المحسنات البديعية وهي السمة الغالبة على مؤلفات هذه الفترة، ويلاحظ عليه كذلك تمكّن مؤلِّفه من العلوم الشرعية فقها وحديثا وتفسيرا، وبراعته في الأدب، وهو ما جعله هذا ثريا بالمعلومات والاستطرادات التاريخية المهمة.

2- تاريخ الجزائر:

- طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجّار:[8]

1- **سجلماسة:** مدينة في جنوب المغرب من طرف بلاد السودان، وهو منقطع جبل درن. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 305.

2- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 73.

3- **العرائش:** مدينة بالمغرب على الأطلسي جنوب غربي طنجة. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص: 302.

4- **سبتة:** من قواعد بلاد المغرب تقابل البرّ والجزيرة؛ بينها وبين فاس عشرة أيام. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص ص: 172 – 173.

5- **بلاد شنقيط:** يحدها شمالا الساقية الحمراء، وجنوبا قاع ابن مهيب، وشرقا ولات والنعم، وغربا بلاد سنكال أو سنغال المعروفة عند أهل شنقيط بإندر. ينظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة: مطبعة الخانجي، ط4، 1989م، ص: 422.

6- **فجيج:** أو فكيك عبارة عن مجموعة من القصور القرى تقع على بعد 375كم جنوبي وجدة. ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط: مطبعة فضالة، سبتمبر1978م، ج2، ص: 511.

7- العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 54 – 58.

8- المخطوط تم تحقيقه في إطار دبلوم الدراسات العليا بشعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك بالدار البيضاء المغربية من طرف الباحث يوسف أخليص خلال السنة الجامعية 1999-2000. كما أعاد نشره الدكتور حساني مختار سنة 2007. ينظر: حساني مختار، ثورة الأمير عبد القادر من خلال ثلاثة مخطوطات- تحقيق، الجزائر: دار الحكمة، 2007، ص ص: 11-125.

أورده المشرفي ضمن مؤلفاته في الذخيرة[1]. وبناه على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة. وقد تناول في الفصل الأول منه سبب ظهور الفرنسيين وغزوهم للجزائر وسبب ظهور جنسهم[2]، أما في الفصل الثاني فقد تحدث عن السنة التي وقعت فيها الحملة والمعارك الضارية التي دارت بين الأتراك والفرنسيين إلى أن احتلوا مدينة الجزائر[3]، ليتحدّث في الفصل الثالث عن احتلال مدينة وهران والمرسى الكبير وخروج الناس منهما بسببه[4]. وأما في الفصل الرابع فتكلم عن نفور المسلمين من أهل غريس وبني عامر ومن والاهم واتفاقهم على قتال العدو[5]، كما أورد خبر وصول الأمير المغربي إسماعيل إلى تلمسان بعد طلب أهل الغرب البيعة من عبد الرحمن بن هشام[6].

وفي الفصل الخامس تناول مبايعة الأمير عبد القادر على إمارة الجهاد، وذكْر عدد الوقائع التي جرت حول الجزائر ووهران ومن مات فيها، حيث نفى في حديثه عن جهاد الأمير عبد القادر أن يكون قد بويع على إمارة الجيش التي هي في نظره تختلف عن مبايعته لإمارة الجهاد[7]، ثم تعرض لأسباب استيلاء الفرنسيين على الجزائر وسبب تشتيت العربان[8]. لينهي كلامه بالفصل السابع الذي تناول فيه حُكْمَ من عاير أخاه بالتنصر في الدعوى، وقال له اهجر معي إني مهاجر وإن بقيت فأنت كافر[9]، وفي الأخير ذيّل كتابه بخاتمة تحدث فيها عن الإمامة الكبرى وأحكامها[10].

وعلى العموم فإن طرس الأخبار ومن خلال قراءته والتمعن في مواضيعه وما طرقه

1- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

2- العربي المشرفي، طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجّار، دراسة وتحقيق: يوسف أخليص، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، الدار البيضاء المغرب، 1999-2000، ص ص: 118-134.

3- المصدر نفسه، ص ص: 135-150.

4- نفسه، ص ص: 151-174.

5- نفسه، ص ص:175- 178.

6- نفسه، ص ص: 175-178.

7- نفسه، ص ص: 179-224.

8- نفسه، ص ص: 225-234.

9- نفسه، ص ص: 235-253.

10- نفسه، ص ص: 253-260.

المشرفي فيه من أفكار ومعاني يتضح أن مؤلّفه كان من دعاة النفوذ الشريفي بالجزائر[1]، إلا أنه يبقى يتميز بروح خاصة تحرّنا إلى القول وكأن مؤلفه وضعه ليدلي بدلوه في الحياة السياسية وقتها[2].

3- تاريخ المغرب:

- **مشموم عرار النجد والغيطان[3] المعدّ لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان:[4]**

ألّفه المشرفي باقتراح من باشا فاس عبد الله بن أحمد بعد الثورة التي نشبت ضدّه من طرف سكان زرهون، حيث كلّف المشرفي بشرح الرسالة السلطانية إليهم وانتهى من تأليفه حوالي سنة 1875/1292، وقد أنزله في ثلاثة محاور:

المحور الأول: في ذكر السلطان الحسن الأول؛ ضمّنه بعض الاستطرادات التاريخية المتنوعة خاصة الأحداث التي لها علاقة بوصول وفد تلمسان إلى فاس لبيعة عبد الرحمن بن هشام بعد احتلال الجزائر، وكذا شرح رسالة الحسن الأول للأشراف العلويين والأدارسة بزرهون. كما تناول فيه بعض أخبار البعثة المغربية إلى تلمسان وما أحدثته بها فرق الأودايا من فوضى قبل الانسحاب وتنصيب الأمير عليها[5].

المحور الثاني: في الحديث عن باشا فاس عبد الله بن أحمد وتفاصيل عقد بيعة السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام، وأسماء الأعيان التي عقدوها في فاس ومراكش، كما تناول الأحداث بالتفصيل إلى غاية حرب تطوان. وفي كلامه عن الحسن الأول عرّف ببعض رجالات

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص:363.

2- المرجع نفسه، ج7، ص:363.

3- **العرار:** نبات شذيّ الرّائحة له أوراق صفراء. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 253. **النجد:** الطريق المرتفع الواضح. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 902. **الغيطان:** الواسع المنخفض من الأرض. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 666.

4- ذكره في الذخيرة. ينظر: العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

5- العربي المشرفي، مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان، مخطوط بالخزانة الملكية بالمغرب، رقم: 12082، ص ص: 6-7.

مخزنه ومدح بعضهم بقصائد شعرية ومنهم ابن المواز وأحمد بن الحاج والتهامي المزواري[1] وغيلان[2] الوزاني[3].

كما أشاد بمدينة فاس وعدّد محاسنَها، وذَكر بعض أسرها كأسرة ابن الغرديس التي أثنى على بعض علمائها وأدبائها مثل عبد العزيز الغرديسي[4]. وتطرّق كذلك لحركات الحسن الأول إلى الأطلس المتوسط لإخماد فتن قبائل زيان وبني مكليد[5] وآيت شخمان[6]، واصفا الاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة عودته من هذه الحركات والمجالس العلمية والدينية التي كانت تقام في حضرته[7]. وإلى جانب ذلك أشار إلى حرب 1870 بين فرنسا وألمانيا وأثبتها بقصيدة للشاعر المصري اسطمبولي حول وقائعها وانهزام القوات الفرنسية، ونوّه بقوة الجيش الألماني[8].

- **تاريخ الدولة العلوية:**

ذكره ابن سودة ضمن جملة مؤلفات المشرفي وعدّه من نوادر المكتبة الفاسية، إلا أنّه أحال إلى ذخيرة الأواخر[9]، وهو ما يجعلنا نعتقد إلى أنه الباب السادس من مخطوط الذخيرة.

- **الآيات والحوادث:**

لم يرد ذكره إلا مرّة واحدة في الذخيرة وعدّه من تآليفه الصغيرة[10]. وقد وقفنا أخيرا بالمكتبة الوطنية الجزائرية بمصلحة المخطوطات والمصورات النادرة على مخطوط تحت رقم 3013 من تأليف العربي المشرفي حول أحداث تخص الدولة العلوية في القرن التاسع عشر يقع في 11 ورقة مكتوبة بخط مغربي مقروء وجميل، انتهى من تأليفه بتاريخ 29 صفر 1285هـ/21

1- **التهامي المزواري:** محمد بن التهامي المكناسي؛ أديب لغوي، توفي سنة 1892. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2791.

2- **عبد الله بن أحمد:** عبد الله بن أحمد بن المبارك السوسي المولود عام 1226هـ. تولى قيادة فاس مدة وأحدث بعض الأمور منها البناء على المقابر وغير ذلك. توفي سنة 1303هـ/ 1886م. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2765.

3- العربي المشرفي، مشموم عرار النجد، ص ص: 138-145.

4- المصدر نفسه، ص: 169.

5- **بني مكليد:** إحدى قبائل البربر الكبار، يرجعون إلى آيت ومالو وهم بطن من صنهاجة. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 167.

6- **آيت شخمان:** قبيلة بالأطلس المتوسط في المغرب الأقصى، من زعمائها علي بن مكي، وهو من قبيلة آل مهاوش، ثار ضد السلطان الحسن الأول. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 167.

7- العربي المشرفي، مشموم عرار النجد، ص ص: 175-176.

8- المصدر نفسه، ص ص: 267-275.

9- ابن سودة، الدليل، ص: 92.

10- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

جوان1868م. ورغم أن المخطوط ليس له عنوان محدّد فإن الغالب على ظننا أنه مخطوط الآيات والحوادث، فمضمونه يدلّ دلالة واضحة على العنوان الذي ذكره في "الذخيرة" حيث يقول عنه: "ولي تآليف بعدها صغيرة كـــالآيات والحوادث"، وحجم المخطوط الصغير ينطبق مع قوله "ولي تآليف بعدها صغيرة". كما أن نَفَسَ المشرفي وطريقته في التأليف حاضرة بقوة في المخطوط، وكل الأحداث التي وردت بين طيّيه لها علاقة بالأوبئة والجوائح التي ضَرَبَ لها المشرفي آيات من القرآن وأحاديث نبوية ولذلك سماه الآيات والحوادث وكأنّ لسان حالِه يريد أن يقول: لكل حادثة آية. ومن أمثلة ذلك: "وتبع آية الجراد هذه الغلاء المفرط في الأدهان مثل الزيت والسمن..."[1]، وقوله: "وكل هذه الآيات من عظيم ذنوبنا وقلّة خوفنا من الله، وفساد المعاملات وأعظمها فساد معاملة القوم بالربا، وقلّة الرحمة في الأغنياء، وما زادهم هذه الآيات التي أعظمها الجوع؛ إلا نفورا واستكبارا"[2]، وقوله كذلك: "ولم يمت بالجوع غالبا إلا تارك الصلاة وذلك مشاهَدٌ، وقارئ القرآن لا يمسه الجوع أصلا وهو مجرَّبٌ"[3]، وقوله: "وعند تتابع هذه الآيات زادت الناس قسوة في القلوب ولم تقلع عن الذنوب"[4]. ثم إن لفظة "آية" تكررت عدة مرات في المخطوط، ودائما كان يعقبُها بحدَث معين، بل إن جلّ مواضيع المخطوط كلها آيات وحوادث.

وهذه الجوائح ضربت المغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وترتّب عنها غلاء مفرط في الأسعار ونقص في المواد الأولية، وقد ابتدأه بقوله: "الحمد لله الذي خصّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بكتاب أخرص الفصحاء وأعجز البلغاء على الإتيان بمثل أقصر سورة من سوره؛ بل آية من آياته..."[5].

وعلى عادته في أغلب في مؤلفاته؛ خصص المشرفي حيزا هاما للحديث عن نسبِهِ وأسرته المشرفية[6]، ثم تكلّم عن غلاء الأسعار بالمغرب خلال عام 1267هـ/1850م وبالمعضلة الاقتصادية

1- العربي المشرفي، الآيات والحوادث، و4و.
2- المصدر نفسه، و5و.
3- نفسه، و5و.
4- نفسه، و6و.
5- نفسه، و1و.
6- نفسه، و2و-و2ظ.

التي أصابت الناس وعبّر عنها قائلا: "وأما الغلاء فقد وفدت على المغرب جيوشه عام 1267هـ، ففي تلك السنة وصل المدّ ثلاثين وقية؛ وكانت ثمان أواق، هي قيمة جيد القمح، وحيث زاد عليها باثنين وعشرين وقية استغرب الناس ذلك وطاشت عقولهم، واشتكى أعراب البادية لملك الوقت...حتى وقع السيل الآتي ذكره ارتفع لخمسين وقية"[1].

وبعد حديثه عن غلاء الأسعار وأسبابه، عرّج للحديث عن المجاعة التي ضربت المغرب خلال سنة 1284هـ/1867م إذ يقول: "وتبع آية الغلاء هذه الجوع العظيم آخر سنة 1284هـ حتى مات به عدد عظيم من أهل ريف البحر وأعراب وجدة ومساكن البادية التي انحشرت بفاس، وكذا فقراء حاضرتها حتى كان يموت ما احتوت عليه الدار من العيال"[2].

و في كلامه عن المجاعة المهلكة؛ أخبرنا المشرفي عن مخلّفات السيل العرم الذي ضرب مدينة فاس سنة 1285هـ/1868م، وقد عقّب عليه قائلا: "وكل آية من هذه الآيات تنسي أختها، وتبث للمستضعفين نعتها، وتُليت في ذلك آيات الشفاء، وليس إلا في الإقلاع عن الذنوب الشفا..."[3].

وبعد أن استنفذ الحديث عن الأحداث الواقعة بالمغرب في عهده من مجاعات وغلاء في الأسعار وغيرها، تحدّث كعادته عن الدولة العلوية من عهد السلطان سليمان إلى عهد محمد بن عبد الرحمن بن هشام[4]. ليختم هذه الكراسة بخاتمة[5] تحدّث فيها عن انقراض جنس العلم في القرن التاسع عشر وما تبعه من حوادث ضربت المغرب فكانت آية لمن اعتبر؛ "وحكايتنا لهذه اعتبارا وليتذكّر أولوا الألباب" [6].

4- الأنساب والمناقب:

- **ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة:**

أو اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة. انتهى من

1- العربي المشرفي، الآيات والحوادث، و3و-و3ظ.
2- المصدر نفسه، و4و-و4ظ.
3- نفسه، و5ظ.
4- نفسه، و7ظ.
5- نفسه، و9ظ-و10و.
6- نفسه، و10و.

تأليفه سنة 1882/1300، ترجم فيه للشيخ محمد بن علي المجاحي، وتكلم عن نسب الأدارسة بالمغرب، وضمّنه أخبارا هامة عن الجزائر والمغرب[1]. وافتتحه بقوله: "الحمد لله الذي باسمه تدون المدونات، وبقدرته تكون المكنونات"[2]، وقد اشتمل على مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة:

القسم الأول: في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين.[3]

القسم الثاني: في التعريف بريحانة الرسول صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما وانتقال نسلهما إلى المغرب.[4]

القسم الثالث: في التعريف بذرية الريحانتين الحسن والحسين رضي الله عنهما.[5]

القسم الرابع: في التعريف بالقطب الواضح سيدي محمد بن علي المجاجي وفي الحكايات الدالة على تعظيم أهل البيت والأحاديث الدالة على محبتهم[6]. كما خصص حيّزا هاما تكلم فيه عن أسرة المشارف وثلة من علمائها وبعض بيوتاتها، وأشار عرضا إلى المدة التي قضّاها في مدينة وهران أيام طلبه للعلم بها، وعرج على ذكر مقاومة الأمير عبد القادر.[7]

- **تاريخ علماء فاس:** ذكر صاحب الإعلام أنه يقع في سفرين[8] ولعلّه هو الذي أشار إليه المشرفي بالعنوان التالي: "لواء الفكر في فضلاء العصر" دون أي توضيح عن سبب التأليف وتاريخه ولا مضمونه[9]،ويرجّح أن يكون من المؤلفات الصغيرة التي أدمجها المشرفي ضمن الباب الرابع[10] من كتابه نزهة الأبصار[11].

1- أبو القاسم سعد الله: "مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر"، الثقافة، عدد 75، سنة 13، 1983، تصدر عن وزارة الثقافة، ص ص: 85 – 86. محمد المنوني: "المصادر التاريخية للمغرب الشرقي في القرن التاسع عشر"، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر الوسط الطبيعي التاريخ والثقافة، وجدة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، ص: 367.

2- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 03.

3- العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص ص: 04-12.

4- المصدر نفسه، ص ص: 12-13.

5- نفسه، ص ص: 13-28.

6- نفسه، ص ص: 19-27.

7- نفسه، ص ص: 28-38.

8- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.

9- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 20.

10- محمد المنوني، قبس من عطاء المخطوط المغربي، مج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999، ص: 768.

11- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 406-500.

- **إثمد**[1] **الجفون في من بعهد الله يوفون:** ألّفه بغرض مدح وزير الحربية ووالي فاس السيد عبد الله بن أحمد المتوفي في 1877، وذكّر فيه بخصاله واهتمامه بالعلماء. وقد ذكره في ثلاثة مواضع فقط؛ في الذخيرة[2] وفتح المنان[3] وفي مشموم عرار النجد[4].

- **الدرّة الوهاجة في نسب صنهاجة:** ذكره الزركلي في الأعلام و لم يذكره غيره[5].

5- الرحلات:

- **الرحلة العريضة في أداء الفريضة:** وهو من المؤلفات الهامة في أدب الرحلة الحجازية كما يظهر من عنوانه؛ ولا نعرف في أي رحلة ألّفه المشرفي؛ في الرحلة الأولى إلى الحج سنة 1849 أم في الثانية سنة 1877. وقد أخبر ابن سودة أنها تقع في مجلد وأن طرفا منها موجود بخزانته الأحمدية[6]، وذكرها صاحب معجم طبقات المؤلفين[7]، وابن سودة في إتحاف المطالع[8]، وصاحبي الإعلام[9] والأعلام[10]. كما ذكر بشير ضيف أن نسخة منها بزاوية الهامل، وأن بحوزته نسخة مصورة عنها[11].

- **نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن**[12] **في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده الحسن:**[13]

1- **إثمد:** حجر يُتخذ منه الكُحل. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص: 698.

2- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

3- العربي المشرفي، فتح المنان، مج2، ص: 299.

4- العربي المشرفي، مشموم عرار النجد، ص: 193.

5- الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 224.

6- ابن سودة، الدليل، ص: 241.

7- ابن زيدان، معجم طبقات المؤلفين، ج2، ص: 212.

8- ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805.

9- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.

10- الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 224.

11- بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث نماذج متنوعة للملعوم والمجهول، ج3، مراجعة وتقديم: عثمان بدري، ط1، 2002، ص: 77. لكننا في لقاء مع أحد أبناء الخزانة بمدينة تيارت في شتاء 2011 بمناسبة قافلة الشؤون الدينية إلى المنطقة؛ نفى جملة وتفصيلا وجود نسخة مصورة عنها بخزانتهم وحتى ما له علاقة بالمشرفي.

12- **الوسن:** الغفوة أو النوم القصير أو النعاس الذي يتقدّم النَّوم. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2442.

13- كان المخطوط قيد التحقيق من طرف حسن أنشاد في إطار دكتوراه التاريخ بكلية الآداب بالرباط منذ سنة 1998. لكننا وفي آخر زيارة لنا سنة 2011 لكلية الآداب بالرباط أُبلغنا بأنه لم يكمل التحقيق.

وهي المسماة كذلك بالرحلة السوسية، ألّفه في مناقب أبي علي الحسن ووالده أحمد بن محمد السوسي الأيسي المعروف بالتمكدشتي، حيث أشار لذلك بقوله: "وأما الكتاب فهو مؤلّف في كرامات ولي الله أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التمكدشتي الميموني، وفي مناقب ولده أبي علي الحسن أدركنا الله برضاهما"[1]. وقد دوّن المشرفي في هذا الكتاب أحداث رحلته إلى سوس التي انطلق إليها من مراكش مع جملة من الفقهاء الذين رافقوا السلطان محمد بن عبد الرحمن سنة 1289هـ/1873م[2]. وانتهى من تأليفه يوم الأربعاء 18 رجب 1290هـ/11 سبتمبر 1873م[3]، حيث أنزله في مقدمة وسبعة أبواب وابتدأها بقوله: "حمدا لله تعالى في الحركة والسكون".[4]

وأما الباب الأول؛ فقد أورد فيه معلومات موسعة ومستفيضة عن السلطان المغربي محمد بن عبد الرحمن[5]، وترجم في الباب الثاني لأبي علي بن الحسن التكمدشتي ووالده أحمد وذكر مناقبهما وتلامذتهما. وقد قسّم هذا الباب إلى تسعة فصول تناول في السادس منها لائحة مطولة لمن تتلمذ على هذين الشيخين وقدّم تعريفات مقتضبة لكل واحد منهم.[6]

وفي الباب الثالث؛ تعرّض للقطر السوسي والزوايا الموجودة به ومآثر الدين[7]، ليترجم في الباب الرابع لعدد كبير جدا من أعلام سوس وفاس ونواحيه ومراكش والرباط وسلا ووزان وبني حسن ومكناس وتازة[8] ووجدة؛ وجاءت بعض هذه التراجم مستفيضة والبعض الآخر مقتضبا.[9] كما تعرض في الباب الخامس لأحداث المغرب الداخلية والخارجية خلال القرن الثالث عشر كاحتلال الجزائر وحرب تطوان[10]، ثم أشار إلى الاختراعات الأوروبية التي شاع

1- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 95.
2- المصدر نفسه، (نسخة الخزانة الحسنية رقم: 5616)، و3ب.
3- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 79.
4- المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 102.
5- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 30-70.
6- المصدر نفسه، ص ص: 70-302.
7- نفسه، ص ص: 302-406.
8- **تازة**: تقع بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 128.
9- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 406-500.
10- المصدر نفسه، ص ص: 500-522.

استعمالها بين الناس في الباب السادس[1]، لينهي حديثه عن مدّة الدنيا وأشراط الساعة في الباب السابع[2].

- **رحلة إلى نواحي فاس:**

وهي أرجوزة من مائة وثمانية وستين بيتا، تقع ضمن مجموع مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية من الصفحة 313 إلى الصفحة 323 تحمل رقم 1264ك[3]. وقد استهلها بقوله: "الحمد لله الذي جعل قلب المؤمن كناشا" وأشار لسبب تأليفها قائلا: "فالغرض بهذا المجلّد ذكر القصائد التي تقادم عهدها وهي منسوبة لنا، ففيه تتجدد ويبقى إن شاء الله ذكرنا بها نخلد"[4]. وقد نظم في هذه الرحلة أخبار مروره بقبائل اشراكه وأولاد جامع وسلاس والجاية وأولاد عيسى وسفيان وبني مالك[5]، والتي تدل في عمومها على سوء ضيافتها له، مما اضطره إلى هجوها وهجو من سمّاهم البلديين من الأسر الفاسية.

- **تمهيد الجبال وما وراءها من المعمور وإصلاح حال السواحل والثغور:**[6]

وقد دوّن فيه مسار الرحلة الحسنية إلى شمال المغرب عام 1306هـ/1889م، لذلك ورد هذا المؤلّف بعدة عناوين تدل على محتواه مثل الرحلة الحسنية شمال المغرب ورحلة القبائل الجبلية[7]. وقد وصف المشرفي في هذه الرحلة بعد التحاقه بالمحلّة السلطانية في ذي القعدة 1306هـ/جوان 1889م، واستقباله من طرف الحاجب أحمد بن موسى[8] الذي أكرم وفادته[9]. ثم

1- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 522-529.

2- المصدر نفسه، ص ص: 529-539. وتوجد من المخطوط ثلاثة نسخ: الخزانة الملكية بالمغرب، رقم 5616 من 348 ورقة. المكتبة الوطنية المغربية، رقم 579 من 612 صفحة يتخللها بتر كبير في المقدمة والخاتمة. وخزانة زاوية تيمكدشت عند حفدة المؤلف. كما أشار أحد الباحثين إلى وجود نسخة أخرى بالزاوية النحلية بقبيلة مزوضة بأحواز مراكش.

3- المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 124.

4- العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم 1264 ك ، ص: 313.

5- المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 124.

6- ورد العنوان بهذا الشكل في و58ب من المخطوط. وتوجد من هذا المخطوط نسختان. الأولى بالخزانة الملكية بالمغرب من 62 ورقة ذات حجم صغير، تحت رقم 2420، وعنها نسخة مصورة على الميكروفيلم بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم 1347.

7- ابن سودة، الدليل، ص: 275. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 466.

8- **أحماد بن موسى:** وزير من وزراء الحسن الأول؛ ولد عام1841 وتوفي سنة 1899. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2822.

9- العربي المشرفي، رحلة القبائل الجبلية، و5أ-و5ب.

تحركات الحسن الأول لقبائل الحياينة[1] وصنهاجة[2] ثم بني زروال وبني مسارة[3] وصولا إلى مدينة شفشاون[4] ومنها إلى جبل العلم. ثم توجه بعد ذلك إلى تطوان وطنجة وأصيلا[5] والعرائش[6] ثم إلى زرهون التي توقف بها لزيارة ضريح إدريس الأكبر، ليقفل راجعا إلى فاس ويختم رحلته بخاتمة مناسبة.[7]

وقد ألّف المشرفي في السيرة كذلك؛ يستشف ذلك من قوله: "ولنا تقاييد على شمائل المصطفى إلا أنها لم تكمل بعد".[8]

ثانيا: في الردود والاعتراضات

- الردّ على أبي راس:

وقد ردّ به على أبي راس الناصر الذي نفى عن المشارفة نسبتهم لآل البيت في مؤلّفه الموسوم بـــ "مروج الذهب في نبذة من النسب ومن انتمى إلى الشرف وذهب"[9]. وقد أفرد حيزا هاما للتعريف بأسرة المشارفة وعلمائها، والرد على من طعن في صحة نسبتهم للجناب النبوي. وافتتحه بقوله: "يقول أفقر العباد إلى مولاه العلي أبو محمد العربي بن علي المشرفي

1- **الحياينة:** قبيلة عربية استقرت منذ العصر السعدي، في شمال شرق فاس، بين نهر سبو وورغة بإقليم تاونات. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 320.

2- **صنهاجة:** بدو بعيدون عن العمران؛ أرضهم محددة ما بين بلاد البربر وبلاد السودان، بعدما نزلوا من ريف الحبشة، ودخلوا المغرب مـــع موسى بن نصير. ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط: دار المنصور للطباعة، 1972، ص: 120.

3- **بنو مسارة:** قبيلة تقع في شمال غرب المغرب، وأهم مراكزها ومدنها مدينة وزان. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 185.

4- **شفشاون:** مدينة بشمال المغرب وهي بلد صغير في الشمال الغربي لمراكش على مسيرة 35 ميلا جنوبي تطوان. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص ص: 331 – 332. عبد القادر العافية: "لمحات تاريخية عن مدينة شفشاون"، دعوة الحق، ع5، جويلية 1977، ص: 115.

5- **أصيلا:** مدينة تقع على الساحل الأطلسي بين طنجة والعراش. احتلها البرتغاليون سنة 876هـــ/ 1471م وحررت سنة 997هـــ/ 1589م. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص: 311.

6- **العرائش:** مدينة في شمال الغربي للمغرب تقع على مصب نهر اللوكس بالمحيط الأطلسي. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ص: 233 – 234.

7- العربي المشرفي، تمهيد الجبال، و45أ-و62ب.

8- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

9- توجد نسخة منه بالخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة تحت إسم" رسالة في نسب بعض أشرف الجزائر" يحمل رقم: 03/261 نُسخ في 10 ربيع الثاني 1263 ومن المرجح أن يكون مروج الذهب. ينظر: عبد الرحيم العلمي، فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمســـجد الأعظـــم بتازة، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2002، ج2، ص ص: 718 – 719.

الحسني كان الله له آمين... الحمد لله الذي شرّف هذه الأمة المحمدية بأشرف الحلل"[1]، وختمه قائلا: "وقد كان ذلك مني في غرة ذي القعدة الحرام سنة 1292هـ[2] وفانا الله خيرها ورزقنا بمنه خيرها آمين آمين".[3]

و لم يدخر المشرفي فيه جهدا ليثني على أسرة المشارفة منوّها بقدرها ومكانتها عند حكام الأتراك إذ يقول: "فعلماء المشارف هم سيوف تلك الدولة وتحفة تلك العصابة وقضاة إيالتها، وإليهم المرجع في الحل والربط والإتقان والضبط، يحلّون ويبرمون ويقرّون الضيف ويُكرمون".[4]

كما أفرد جزءا خاصا تحدث فيه عن أصل الأتراك وحربهم مع الروس في القرم[5]، وعن احتلال الجزائر زمن السلطان العثماني محمود الثاني ومبايعة ابنه عبد المجيد بعد وفاته[6]. ثم شرع ببيت القصيد الذي من أجله سطّر أوراق هذه العجالة وهو الرد على أبي راس الذي طعن في نسب المشارفة إذ يقول: "أما علمتم أن الشيخ أبا راس رحمه الله وسامحه كان إماما عالما نفّاعا مطاعا، شيخ الجماعة والإسلام بحاضرة المعسكر متوليا خطة القضاء بها مدرسا بجامعها الأعظم... ثم إن النفس الأمارة بالسوء حملته على أنْ تكلم في المشارف وفي أولاد سيدي دحّ بن زرفة وفي كل من له شرف ديني أو طيني من أهل غريس، ونفى نسبتهم للجناب النبوي"[7]، وأكّد على أنَّ مَنْ تكلّم في نسب المشارف "كالشيخ أبي راس فإنما تكلم من جهة الحسد لا غير"[8].

1- العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 01.

2- الموافق لسنة 1877م.

3- العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 40.

4- المصدر نفسه، ص: 2.

5- عن هذه الحرب راجع: روبير شنيرب، تاريخ الحضارات العام، نقله إلى العربية: يوسف أسعد داغر وفريد داغر، بيروت: عويدات للنشر والطباعة، 2003، ج6، ص ص: 125- 130.

6- العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص ص:02-04.

7- المصدر نفسه، ص:12.

8- نفسه، ص:13.

وقد استطرد المشرفي كثيرا في ذكره لنسبة عائلة المشارفة وأورد أنها مسطّرة في كتب التاريخ رغما عن أنف الحاسدين مستدلا بما ذكره ابن جزي الكلبي في مختصر نسب آل عدنان وابن الجوزي المزيلي في شرحه لعقد الجمان النفيس.[1]

وفي السياق ذاته أثبت مجموعة من القصائد كقصيدة الشيخ مصطفى الرماصي في رثاء شيخه عمرو التراري[2] مؤكدا من خلالها على مكانة علماء الأسرة المشرفية وعظم شأنهم[3]، ومنبّها على أن من سبّ ذرية النبي صلى الله عليه وسلم هو لا محالة خارجي مستدلاً بما ذكره البخاري في باب قتال المسلم وببعض المقطوعات الشعرية.[4]

وقد غابت الوحدة الموضوعية عن هذا المؤلَّف، فتطرّق فيه لمواضيع أخرى كأصل زناتة وتاريخ بناء مدينة فاس والمرابطين والموحدين وبني مرين والسعديين ثم العلويين الذين عاش في كنفهم[5]، وأصل البربر وتاريخ دخولهم الإسلام؛ وختمه قائلا: "وهذه مبيضة عجالة ألّفها كاتبها مسؤولة منه لسائلها؛ سطرتها أبدي الأقلام معتذرا فيما سطرت لخاصة الأعلام أن يغضوا عني الطرف".[6]

وعلى العموم فان هذا المخطوط يعدّ من نوادر ما ألف المشرفي في باب الردود. وجدير بالذكر أننا لم نجد لهذا المخطوط ذكرا في الفهارس -الموجود والمتداول منها على الأقل- ولم يذكره المشرفي ضمن قائمة مؤلفاته في الذخيرة.

- **جواب على سؤال السند أبي الحسن علي بن طاهر المدني لعلماء فاس:**

انفرد بذكر هذا المؤلّف صاحب معجم طبقات المؤلفين[7]، ويُفهم مما أورده صاحب الإعلام أنه من أعظم مؤلفات المشرفي قدرا حينما يقول: "وله مؤلفات من أعظمها جوابه على

1- العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص:14.
2- المصدر نفسه، ص ص: 19-25.
3- نفسه، ص ص: 26-29.
4- نفسه، ص: 34.
5- نفسه، ص ص: 31-32.
6- نفسه، ص: 38.
7- ابن زيدان، معجم طبقات المؤلفين، ج2، ص: 212.

اللغز العجيب الذي نظمه سيدي علي بن طاهر وألقاه على علماء فاس فلم يقدر أحد على جوابه إلاّ هو؛ وأصله للسيوطي".[1]

- **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس[2] سيء الظن الكنسوس:**

انتهى من تأليفه في 19محرم 1285هـ/12 ماي1868م[3] وقصد به الردّ على محمد الكنسوس في بعض المواضيع من كتابه الجيش العرمرم الخماسي[4]؛ وجاء الردّ في مقدمة وسبعة تراجم وخاتمة.

أما المقدمة فقد خصّصها للحديث عن فائدة علم التاريخ عند العرب وغيرهم من الأمم السابقة[5]، وفي الترجمة الأولى ترجم فيه للكنسوس[6]، وتحدث عن الأشاعرة والشيخ الجيلاني في الترجمة الثانية، حيث ردّ فيها على نعت الكنسوس للأشاعرة بالفرق الضالّة[7]، بينما خصص حديثه في الترجمة الثالثة للكبريت الأحمر مولانا إدريس الأكبر.[8]

وفي الترجمة الرابعة تطرق إلى أولياء المغرب وزواياهم كزاوية وزّان والزاوية الشرقاوية، الزاوية الناصرية بتمكروت، الزاوية الغازية، زاوية سيدي أحمد الحبيب، زاوية كرزاز، الزاوية القندوسية، الزاوية الكنتية، الزاوية البقالية بالحرائق[9]. وقدم ترجمة وافية في الخامسة لقاضي فاس عبد الهادي بن عبد الله العلوي السجلماسي وعبد الواحد بن سودة[10]، وعرض في السادسة لبعض كبار رجال المخزن أيام أبي زيد بن هشام ومحمد الرابع[11].

1- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.

2- **الجعسوس**: اللئيم الخلقة والخُلُق. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 634.

3- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و365و.

4- **الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي**: وهو كتاب ألفه الكنسوسي باقتراح من السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام وتناول فيه تاريخ الدولة العلوية من قيامها حتى عام 1282هـ/1867م. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 134.

5- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و1و-و28و.

6- المصدر نفسه، و28و-و67ظ.

7- نفسه، و67ظ-و82ظ.

8- نفسه، و82ظ-و95و.

9- نفسه، و95ظ-و162ظ.

10- نفسه، 162ظ-170ظ.

11- نفسه، و170ظ-،202ظ.

كما تناول في الترجمة السابعة وهي أطول ترجمة في المخطوط؛ ترجمة مستفيظة لحياة محمد الرابع وابنه الحسن، وذكر بعض العسكريين والمدنيين في دولة أبيه مع ارتسامات عن كل واحد منهم وختم هذا الباب بالتعريف بمدينة مكناس[1].

وفي الخاتمة عرّف بمدينة فاس مع ذكر لبعض أعلامها في القرن الثالث عشر للهجرة، وقدّم في السياق ذاته ترجمة للشاعر والزجال سعيد المنداسي التلمساني الذي أثبت له مجموعة من الأشعار الفصيحة والزجلية[2]. كما ضمّن المشرفي مؤلّفه هذا فوائد تاريخية جمّة وعرّف بجملة من فقهاء وعلماء القرن التاسع عشر وعدد من رجال المخزن الرحماني وابنه محمد.

- **درأ الشقاوة عن السادات درقاوة:** ألّفه انتصارا للدرقاوية وأتباعهم؛ و لم يرد ذكره إلا عند صاحب الإعلام الذي لم يعلّق عليه واكتفى بالقول إن له مؤلّفا يحمل هذا الاسم و لم يزد عن ذلك شيئا.[3]

- **الدرّ المكنون في الردّ على العلامة جنّون:** انتصر فيه لأصحاب الطرق وردّ على المخالفين ردّا شنيعا خرج به عن الحدّ الشرعي[4]، وذكر ابن سودة أنه يقع في مجلّد وسط[5]؛ إلا أن مصيره يبقى مجهولا.

- **المشرفي الحمزاوي لقطع فؤاد الخبزاوي**[6]: ذكره ابن سودة وقال أنه عبارة عن رسالة استهلّها بقوله: "الحمد لله مؤيد المؤمنين من غريس"، وردّ فيه على أحد معاصريه؛ حيث عاب عليه بعض المقطوعات الشعرية صدرت منه[7]. كما أشار إلى وجود نسخة منه في نحو الكرّاسة بالخزانة الأحمدية بفاس[8].

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و203و-332و.

2- المصدر نفسه، و332ظ- و365ظ.

3- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.

4- ابن سودة، الدليل، ص: 316.

5- المصدر نفسه، ص: 316.

6- **الخبزاوي محمد:** الخبزاوي العامري الحجازي، من منطقة الهازج بالقرب من سيدي بلعباس. عمل في محكمة معسكر ثم تلمسان من سنة 1870 إلى سنة 1890، كما كان عضوا في المجلس الأعلى لحقوق المسلمين. ينظر: الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص: 147.

7- ابن سودة، الدليل، ص: 337.

8- المصدر نفسه، ص:337.

- **عجيب الذاهب والجائي في فضيحة الغالي اللجائي:** ردّ به المشرفي على الغالي بن محمد العمراني اللجائي[1] الذي كان يتنطّع على الأمير عبد القادر؛ وتوجد نسخة منه بخزانة محمد بن إبراهيم الكتاني.[2]

- **الحسام المشرفي للمهاجر المقتفي:** ذكره ضمن لائحة مؤلفاته في الذخيرة وعدّه من أهم كتبه الموجودة في المكتبة الملكية.[3]

- **نزهة الماشي في قبائح العياشي المستغانمي:** ذكره عرضا ضمن إحدى قصائده.[4]

- **تقييد في ذم أهل فاس:** ذكره ابن سودة[5] وتلميذه مصطفى المشرفي الذي يقول: "جعل تقييدا في نحو الورقتين في ذمّ فاس على عادته في الهجو".[6]

ثالثا: الأدب

- **حاشية على شرح المكودي**[7]**:** أورده المشرفي ضمن مؤلفاته في الذخيرة[8]، وذكره ابن زيدان[9] وصاحب الإعلام[10]. وقد دون فيه حاشية على كتاب شرح ألفية للمكودي؛ يقول في مقدمته: "الحمد لله الذي شرح صدورنا لفهم كلام العرب"[11].

- **فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونّان:**[12]

1- **اللجائي:** الغالي بن المكي بن سليمان؛ شاعر أديب ناقد رحالة. من أبرز كتاب الحسن الأول. توفي بمراكش سنة 1899. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 86.

2- ابن سودة، الدليل، ص: 340.

3- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

4- العربي المشرفي، ك204، ص: 72.

5- ابن سودة، الدليل، ص: 313.

6- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 143.

7- **المكودي تـ(1214هـ/1800م):** محمد بن عبد الله التازي؛ أبو عبد الله، متصوف من شيوخ المغرب من أهل تازة، له تآليف كثيرة منها: رسالة في سلوك الطريق، وشرح منظومة أبي مدين الغوث. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 71.

8- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56. وتوجد نسخة واحدة تامة منه بالخزانة الصبيحية بسلا (المغرب)، رقم 312، عدد أوراقها: 129ورقة، وقد اطّلعنا عليها سنة 2008 ووجدناها في حالة جيدة.

9- ابن زيدان، معجم طبقات المؤلفين، ص: 212.

10- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.

11- العربي المشرفي، حاشية على شرح المكودي، و1و.

12- **ابن الونان:** أحمد بن محمد الونان الحميري التواتي الفاسي توفي بفاس سنة 1773. أديب شاعر اشتهر بأرجوزته المسماة الشمقمقية. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 33.

أو المواهب السنية في شرح الشمقمقية[1]؛ وهو من المؤلّفات الكبيرة[2]، شرح فيه قصيدة ابن الونان التي تحتوي على 100 بيت[3] من روي القاف على منوال الشعر الجاهلي. وقد حذا فيها حذو معاصريه الذين تناولوا بالشرح هذه الأرجوزة كالناصري في زهر الأفنان من حديقة ابن الوتّان، وانتهى من تأليفه سنة 1877[4] واستهله بقوله: "الحمد لله المحمود بكل لغة وبيان الموجودة قبل تكوين اللغات وجارحة اللسان"[5]. واستعرض فيه قوة عارضته الأدبية وملكته الشعرية الزاخرة، وأطنب كثيرا في ذكر بعض الاستطرادات التاريخية المتنوعة، وذَكَر قصيدته المدحية في السلطان عبد الرحمن بن هشام وسياسته في الحكم. ولم يخل المخطوط وعلى عادة المشرفي مِن ذِكر بعض العادات الاجتماعية كالتبغ والشاي والبن حيث اعتبر أن "التبغ لا يشتريه إلا العامة ورعاع الناس، وطهّر الله من شربه الخاصة"[6]، وذكر أن التاي مباح إذ يقول: "أما عشبة التاي التي انعقد اجتماع المغاربة على إباحة شربه، وغضّوا البصر عما فيه من التبذير، وما هو إلا شهوة استلذّها النفس".[7]

- **الفتح والتيسير في شرح منظومة غوثية البدر المنير السيد محمد العربي الوزير:**[8]

وقد ورد هذا المؤلّف تحت اسم آخر هو الفتح والتيسير في شرح قصيدة حوت من هم على قدم البشير النذير، وقد قصد به المشرفي مباركة شفاء الوزير محمد بن العربي الجامعي من مرضه، ويستعطفه ويشكوه ضيق العيش وفقد المسكن فيقول: "إن الدهر لما أهملنا غاية الإهمال وأنسانا صالح الأعمال، ودنّس لنا العقول فعميت علينا الأنباء والنقول، من أجل الاحتياج للسكنى...عند ذلك تفقدنا من له الكلمة التي لا تردّ وهو الوزير الأكبر السيد محمد بن العربي الجامعي".[9]

1- توجد منه نسختان؛ بالخزانة العامة رقم: 629ج، ثم بالخزانة الحسنية في مجلدين، رقم: 12476.

2- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

3- المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 152.

4- ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 04.

5- العربي المشرفي، فتح المنان، مج1، ص: 1.

6- المصدر نفسه، مج1، ص: 172.

7- نفسه، مج1، ص: 172.

8- تتوفر منه نسختان: الخزانة الملكية بالرباط، رقم: 5271 وخزانة علال الفاسي من 106 صفحات، وقد اعتمدنا عليهما في بحثنا.

9- العربي المشرفي، الفتح والتيسير، و2ب.

وقد خصص القسم الأول من الكتاب لشرح أرجوزته المسماة "غوثية البدر المنير السيد محمد بن العربي الوزير" التي يدعو فيها بشفاء هذا الوزير بعدما أصيب بالشلل[1]، حيث ذكر نص الأرجوزة الذي يتألّف من سبع وسبعين بيتا كاملا وقد جاء في مطلعها:[2](الرجز)

الحمد لله إليه رحلتي * ولديار المسلمين كانت نقلتي

ثم أتبعه بالشرح الذي يقول في بدايته: "حمدا وشكرا لمن جعل الليالي والأيام متداولة بين الخيار واللئام؛ يومًا لمسلم ويما لكافر"[3]، وذيّل هذه المنظومة بقصيدة أخرى من إحدى وثلاثين بيتا ذكر فيها هدية عبد العزيز بن الحسن الأول، لينهي مؤلّفه بقصيدة من سبعين بيتا في ختم البخاري، وانتهى من تأليفه يوم الأربعاء 15رمضان 1306هـ/15ماي 1889م.

- **الكنانيش:**

أ- كناشة ك204[4]: وهي كناشة هامة تحتوي على تقاييد هامة من قراءاته في التاريخ والآداب واستهله بقوله: "الحمد لله جعل قلب كل مؤمن كناشا جامعا لأنوار الخيرات"[5]. كما أنه يحتوي على أشعار متنوعة الأغراض[6] استهلّها بالحديث عن وفاة السلطان العثماني محمود الثاني سنة 1839 ومبايعة ابنه عبد المجيد[7]. وبعد ذلك استعرض المشرفي مجموعة من القصائد المدحية التي نظمها على شرف عبد الرحمن بن هشام[8] وولديه محمد[9] وسليمان.

وفي السياق ذاته أثبت مجموعة من القصائد المدحية الأخرى، نظمها في بعض أعيان المخزن الرحماني كالوزير ابن إدريس الجامعي[10] وأحمد الصقلي الفاطمي واحميدة الشرقي[11]؛

1- المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 166.

2- العربي المشرفي، الفتح والتيسير (نسخة علال الفاسي بالرباط)، و1و.

3- المصدر نفسه، و3ب.

4- تتوفر منه نسخة واحدة ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية المغربية رقمها ك204، وكتاب المشرفي فيه من ص:1 إلى الصفحة 150 ولا يحمل أي عنوان ولا تاريخ تأليف، وهو حالة رديئة ومليء بالخروم، وبه شروح غزيرة بهوامش وحواشي كل الصفحات.

5- العربي المشرفي، ك204، ص:2.

6- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 92.

7- العربي المشرفي، ك204، ص:1.

8- المصدر نفسه، ص: 3.

9- نفسه، ص: 8.

10- نفسه، ص: 6.

11- نفسه، ص: 54.

ومجموعة أخرى، كما أفرد أولياء مراكش السبعة بقصيدة مدحية. ليعرّج إلى الحديث عن الاحتلال الفرنسي للجزائر ضمن أرجوزة مطوّلة جمع فيها عددا من الوقائع التي جرت بين الجزائريين والفرنسيين وأردفها بمرثية للوطن[1]، وختم كلامه في هذا الباب بذكر بعض الأشعار وصف فيها أحوال هجرته إلى المغرب، ثم سجنه واستقراره بها أخيرا بعد أن تم إطلاق سراحه.

ومن المعلومات والاستطرادات التاريخية الهامة التي أوردها المشرفي في هذا المؤلَّف؛ جواب يوسف الفاسي عن سؤال القضاء والقدر وهل بينهما الترادف والتباين[2]، ثم جواب ابن مرزوق عن سؤال الضرورات التي يجب حفظها: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وكذا جواب محمد بن أحمد المسناوي حول النساء اللواتي بهن العنوسة[3]، وقصيدة الأديب سليمان الحوات مخاطبا علي بن ريسون الذي تعرّض للطائفة الدرقاوية[4].

ب- كناشة ك 471: وقد ضمّنها المشرفي تقاييد هامة دوّنها في العديد من المناسبات، واستعرض فيها مجموعة من الروايات التاريخية والأدبية مع ذكر المصادر التي استقاها منها. وقد جاءت هذه التقاييد في عدة قوالب شعرية ونثرية كذكر لأخبار الشعراء والحكماء في فترات متفرقة من التاريخ الإسلامي، مع بعض المصنفات المغربية في المواعظ والأمثال مثل كتاب المحاضرات للحسن اليوسي، وكتاب الإبريز لابن المبارك السجلماسي، والروض الهتون في أخبار مكناسة[5] الزيتون لابن غازي.

كما تخللت هذه الكناشة بعض المقطوعات الشعرية والأراجيز له ولغيره من شعراء الجزائر والمغرب؛ ومنها قصيدة السنوسي بن عبد القادر بن دحو، وقصيدة الرماصي في رثاء شيخه التراري في مائة وخمسين بيتا جاء في مطلعا:[6]

1- العربي المشرفي، ك204، ص ص: 30-40.

2- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 92.

3- العربي المشرفي، ك204، ص: 131.

4- المصدر نفسه، ص: 133.

5- **مكناسة:** بكسر أوله، مدينة بالمغرب قرب مراكش ، في بلاد البربر على البربر الأعظم. ينظر: ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1988، ص ص: 08- 72.

6- العربي المشرفي، ك471، ص ص: 435-440. الزاوي الجيلالي والمشرفي بن عبد الكريم: "نافذة على بعض علماء معسكر رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو التراري"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2-3، 2005/2004، ص ص: 85 -100.

خليلي عوجا على طلل عفا * معالمه قد غيرت ومعاهده

- **ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن:**

ألّفه في دولة الحسن الأول[1]؛ وابتدأه بمقدمة ضمّنها آداب الملك ومدح السلاطين، ثم وصف نظام مخزنه وركائزه من الحُجّاب والوزراء والولاة والكتاب وغيرهم مع تقديم تراجم موجزة عن أبرز من تقلد هذه المناصب.

وفي معرض حديثه عن الحسن الأول استعرض بعض قصائده التي نظَمها فيه ورتبها بحسب المناسبات التي قيلت فيها مع التركيز على أهم المحطات الأساسية في حكمه، مثل قصيدة دخوله مراكش في يوم الإثنين 03 ربيع الأول 1290هـ/1ماي 1873م. ورحلتيه الأولى والثانية إلى إقليم السوس، وحركاته إلى الأطلس لإخماد بعض الفتن التي ظهرت به[2]. كما تضمن قصائد في مدح الحسن الأول في زيارة الصالحين وخلال احتفالات السابع والعشرين من رمضان لختم صحيح البخاري، وذَكَر قصائد في تهنئته بشفائه من مرضه سنة 1887 مما جاء فيها:[3] (البسيط)

لله من نزهة سرّ الفؤاد بها * وكادت أنفسنا بها تطير فرحا

وقد شفى الله سلطان الورى فَلَقًا * كلّ الهنا وكمال الرأي قد صلحا

وقد أثبت المشرفي مجموعة قصائد أخرى لغيره من الشعراء في مدح الحسن الأول مثل أحمد بن الموّاز[4] والتهامي مزوار المكناسي[5]. وقد ذيّل الديوان بخاتمة مطوّلة قسمها إلى أربعة فصول؛ تحدث في الفصل الأول[6] عن فضل الخلافة وشروط الولاية إذ يقول: "فاعلم أن الخلافة من النعم التي أنعم الله بها على صاحبها، وهي منصب رفيع لما فيها من العدل وإقامة مراسيم الدين والذبّ عنه، وهذا الأمر من توابع الملك"[7]. وأما الفصل الثاني[8] فقد تكلم فيه عن فضل

1- العربي المشرفي، ديوان نظم، و2و.

2- عن تفاصيل هذه التمردات ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص ص: 132 – 165.

3- العربي المشرفي، ديوان نظم، و59و.

4- المصدر نفسه، و68و- و69و.

5- نفسه، و 70و- و71ظ.

6- نفسه، و92ظ.

7- نفسه، و92ظ.

8- نفسه، و94و- و96و.

العلم عند الحاكم واعتبره من شروط الملك المضافة إلى العدالة والكفاية وسلامة الأعضاء والنسب.

وأما في الفصل الثالث[1] فقد ناقش مسألة محاربة وجهاد الخوارج على الإمام وأهل البدع، وخلُص إلى القول: إن جهاد المتمردين والمحاربين أفضل من جهاد الكفار؛ مستندا إلى ما ذكره كبار الفقهاء[2]. كما أشاد بفضل الحسن الأول وحلمه وعفوه على العصاة[3]. واستطرد في الكلام عن شروط الجهاد، وأورد قصيدة طويلة تحدّث فيها عن دخول الفرنسيين للجزائر[4]. وأما الفصل الرابع[5] فقد ضمّنه بيبليوغرافية ذاتية حول نسبه ودراسته وشيوخه.

رابعا: الطب

- **أقوال المطاعين في الطعن والطواعين:**[6]

قسّمه إلى مقدمة وسبعة فصول وخاتمة، خصص المقدمة للحديث عن الطاعون الذي حلّ بمدينة معسكر سنة 1249هـ/1833م وتلمسان 1271هـ/1854م ونتائج الوفيات[7]. وفي الفصل الأول[8] عرّف الوباء لغويا واصطلاحيا وذِكر الوقت الذي يحلّ فيه الوباء، والأمكنة التي لا يدخلها في الفصل الثاني[9]. وأما الفصل الثالث فقد ضمّنه الآيات والأحاديث الواردة في الوباء وحكم من مات بسببه ومرتبته[10]، ثم وصف العلاج المادي والعلاج بالتمائم المأثورة في الفصل الرابع[11]، وعما يقع به الحجر للصحيح؛ في الفصل الخامس.[12]

1- العربي المشرفي، ديوان نظم، و96و- و110ظ.
2- المصدر نفسه، و96و.
3- نفسه، و98ظ.
4- نفسه، و105ظ – و110ظ.
5- نفسه، و110ظ- و116ظ.
6- المخطوط حققه الحسين الفرقان في إطار دكتوراه التاريخ بكلية الآداب أكدال بالرباط نوقشت سنة 2003.
7- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 216-238.
8- المصدر نفسه، ص ص: 239- 248.
9- نفسه، ص ص: 249-278.
10- نفسه، ص ص: 279-313.
11- نفسه، ص ص: 314-350.
12- نفسه، ص ص: 351-353.

وأما الفصل السادس[1] فقد تكلم فيه عن حكم الفارّ من الأرض التي حلّ بها الطاعون إلى أرض أخرى خالية منه وأسباب ذلك، ليختم حديثه في الفصل السابع[2] عن نظام الجنازة السنّي وهل تشيع بالذكر أم بالسكوت؟ وهل الطاعون من أمارات الساعة أم لا؟

وفي خاتمة المخطوط أورد نتائج إحصائية لمن توفي بسبب هذا الوباء، وكثرة الصدقات وما صاحب ذلك من جفاف وقحط، ومواضيع فقهية أخرى في الموضوع نفسه.[3]

خامسا: النوازل الفقهية

- **الرسالة في أهل البصبور الحثالة:**

وهذه المخطوطة عبارة عن رسالة صغيرة ألّفها المشرفي في حدود سنة 1270هـ/1852م، حيث عارض فيها الاحتماء بالكفار وقضية الامتيازات الأجنبية[4]، وقد شكلت رسالته هذه مصدرا هاما حول الحماية القنصلية[5] لعدد من الدارسين لهذه الظاهرة في أوساط المجتمع المغربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[6] حيث كاد أن يطغى على سواه من المواضيع[7].

وقد اكتست أهمية تاريخية وفكرية كبيرة باعتبارها من أولى الردود الفقهية الداعية إلى نبذ الحماية حيث استهلها بقوله: "الحمد لله وبعد: فقد توجه سؤال لأهل العلم حفظهم الله بحفظ أهل السنّة وحشرنا في زمرتهم آمين عن حادثة في قرننا هذا في حدود السبعين والمائتين

1- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 354-377.

2- المصدر نفسه، ص ص: 378-407.

3- نفسه، ص ص: 408-409.

4- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 186.

5- **الحماية القنصلية:** وهي أن يمنح الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون المعتمدون في بلد ما حماية دولهم لرعاياهم، فيصيرون وهم يحملون جنسيته ويقيمون باستمرار فوق أرضه، غير خاضعين لقوانينه ولا ملزمين بأداء ما يجب على سائر مواطنيهم من أداء الضرائب، والقيام بما يقومون به من خدمات وطنية. ينظر: عبد الوهاب بن منصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، ط2، 1985م، ص: 05. العماري أحمد، مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب من حوالي 1830 إلى حوالي 1902 من خلال رحلة السوسي منتهى النقول القسم الخاص بالحدود مع تحقيق النص، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب أكدال، جامعة محمد الخامس، 1981م، ص ص: 1178-1192.

6- ب.ح. روجرز، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900، ترجمة ودراسة وتعليق يونان لبيب رزق، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط1، 1981، ص ص: 230 – 231.

7- عمر أفا، تاريخ المغرب المعاصر دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2002، ص ص: 362 – 363.

والألف[1]، وهي دخول المسلمين تحت كلمة الكفر -أعاذنا الله منه- ويعبرون عنها بالحماية، معتذرين بها عن تحصين مالهم من ثقل المغارم، مع أنهم يجعلون حظا وافرا لمن يحميهم بإذلال وطيب نفس. فهل يكون المحتمي بالحماية على هذه الحالة مسلما عاصيا أو خرج عن دينه بالكلية؟ وللإمام أن يحكم فيه باجتهاده".[2]

وقد حكم المشرفي على الداخل تحت راية الحماية بالفسق وضعف الإيمان، وانتهى في الأخير إلى أنه مرتد كافر إذ يقول: "فاجر مُفَسَّق ضعيف الإيمان، غوغاء لا يدين لله بدين، كاد أن يكون مجوسيا...فأفعال هذا الراكن تدل على ردته...وفعله المتضمن لردته هو استنصاره بالنصارى"[3]، وأن "من استمسك بعجم الكوافر وخرج عن الجماعة فقد تهاون بالدين، و لم تبق للمحتمي إلا منازعة الحق جلّ جلاله، وأما منازعة سلطانه فقد نازعه في حكمه، وخرج عن طاعته وصار عيّنا للكفار وجاسوسا لهم يخبرهم بضعف المسلمين وجور حكامهم"[4]، وأما إن كان المحمي قد ولاّه الكفار الحكم على المحميين فهو زنديق يحكم بقتله ودمه مباح.[5]

وبعد أن أصدر المشرفي حكمه على المحتمي؛ نجده يدعو إلى مقاطعة وهجر كل من دخل تحت نظام الحماية بقوله: "وأنّ مذهب أهل السنة لا يكفّر الفاسق ولكن بفعله يعتبر مرتدا...وردّته واستنصاره بالنصارى خروج عن الجماعة وخروج عن طاعة السلطان...وصار جاسوسا للكفار...فواجب على كل مؤمن أن لا يجالس أهل الحماية ولا يصادقهم ولا يعاشرهم"[6].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك مجموعة من الفقهاء أيدت المشرفي في ما ذهب إليه أمثال أبي محمد المأمون بن عمر الكتاني الفاسي المتوفي عام 1892 حيث أعلن التنكير على المحتمين[7]. كما

1- 1270هـ/1852م-1853.

2- العربي المشرفي، الرسالة في أهل البصبور الحثالة، مخطوط ضمن مجموع بالخزانة الملكية بالمغرب، رقم: 13919، ص: 553.

3- المصدر نفسه، ص: 553.

4- نفسه، ص: 553.

5- نفسه، ص ص: 553-554.

6- نفسه، ص: 553- 560.

7- المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ص ص: 326 – 327.

ألّف أبو الحسن علال بن عبد الله الفاسي الفهري[1] عجالة سماها "إيقاظ السكارى المحتمين بالنصارى" أو "الويل والثبور لمن احتمى بالبصبور"[2].

- **ورقات في رواج السكّة بالزيادة:**

وهي عبارة عن جواب لسؤال طُرح عليه حول رواج السكة بالزيادة وعلاقته بارتفاع سعر صرف العملة أو السكة. وقد ألّف المشرفي هذه الرسالة في الثالث صفر سنة 1304هـ/الفاتح نوفمبر1886م وابتدأها بقوله: "الحمد لله خالق الخلق وبسيط الرزق، وباعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا بالحق...أما بعد فمِنْ مِنَنِ الله تعالى ونعمه الضافية على بني آدم خاصة منهم وعامته إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام...بعد أن سُئلتُ بذل المجهول في كشف القناع عن الرواج بالزيادة في الدرهم المألوف والمعهود، ولم يسعني زمانٌ أطالع فيه المطولات، وأتوسع فيما دوّن في المدوّنات، فاقتصرت على تسويد ورقاتٍ لقصر باعي وقلّة اطلاعي"[3].

وقبل أن يصدر المشرفي فتواه بخصوص هذه النازلة؛ نجده يرصد لنا حيثياتها وصورتها قائلا: "جلّ خصومات هذا الوقت دائرة بين أهلها في شأن السكّة، فإن الناس يتعاملون بالأجل ويُشهدون على غرمائهم عددا من المثاقيل، ثم لا يحل أجل تلك السلعة أولا يقضي الدين إلا وقد زاد صرف الريال والبساسيط[4] وارتقى مع أن الرسوم التي بأيدي أصحاب الدين خالية من التعرض لذكر الريال والبساسيط، وإنما يكتب فيه السكة؛ التاريخ؛ جريا على المسطرة المألوفة من غير أن يسمعوا ذلك من المتعاقدين"[5].

وقد حدثت عدّة تغيرات على سعر صرف المعادن خلال هذا العهد خاصة في الفضة الذي طرأه التغيير في وزنه وعدده. وقد عبر عن ذلك قائلا: "قدر مخصوص من سكة الفضة، وهذا قدر طرأه التغيير مرارا في وزنه وعدده، فطورا يكون مدلول المثقال عشرة

1- **علال بن عبد الله الفاسي:** بن عبد الرحمن المدعو بالمجدوب الفاسي الفهري. ولد عام 1812 وتوفي سنة 1896 ودفن بروضة القباب. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2808.

2- المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ص: 327.

3- العربي المشرفي، ورقات في رواج السكة بالزيادة، ص ص: 2-3.

4- يشير إلى البيسيطاس وهو عملة إسبانيا التي كانت متداولة في المغرب عند تأليف هذه النازلة.

5- العربي المشرفي، ورقات في رواج السكة بالزيادة، ص: 4.

دراهم...وطورا يكون الريال كثُلثه أو ربعه أو خمسه إلى سبعه فيقال فيه: يروج بكذا من المثاقيل، فلا يتقرر على حالة"[1].

وقد خلُص المشرفي في الأخير إلى القول: "إذا وقع خلل في السكة فلا تخلو من أن تكون فضة أو ذهبا أو فلوسا، والخلل إما نقصان أو زيادة في الرواج أو بطلان التعامل أو انعدامها في البلد بالكلية، فهي ثلاث صور ضرورية في ثلاث بل أربع. والكل إما مماطلة أو عدمها بثمان عشرة صورة لا يتصور عقلا سواها فتبدّل الرواج في الذهب والفضة بزيادة أو نقص، لا خلاف في وجوب مثل ما وقعت به المعاملة في تاريخها خلافا لمن أجراه فخطئ إذ لا نصّ لمن يساعده، وكذلك في انقطاع التعامل مع وجودها صرفا، كما أنه لا خلاف في وجوب القيمة عند عدمها. وأما صور الفلوس فعند بطلان التعامل بها يجب مثلها على المشهور خلافا لمن أوجب قيمتها"[2].

وقد أنهى المشرفي حديثه في هذه النازلة قائلا: "وإن أمعنت النظر في الكل يتضح لك جميع قلناه فافهم وتفهم تُلهَم. ما أملاه بلفظه رادّا العلم لمولاه؛ عبيد المولى العلي أبو محمد العربي بن علي المشرفي نسبا الغريسي وطنا ونشأة، المالكي مذهبا الأشعري معتقدا، وفقه الله في ثالث صفر الخير عام أربع وثلاث ومائة وألف، بلغه الله سؤله آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"[3].

1- العربي المشرفي، ورقات في رواج السكة بالزيادة، ص: 5.

2- المصدر نفسه، ص ص: 13-14.

3- نفسه، ص ص: 15.

الفصل الثالث: عصر المشرفي

أولا: الأوضاع السياسية

1. ثورة درقاوة
2. المساعي المغربية لإنهاء ثورة الدرقاوية
3. ثورة التيجانية
4. الحصار البحري
5. الاحتلال الفرنسي للجزائر
6. موقف المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر
7. مقاومة الأمير عبد القادر
8. تأرجح مواقف المغرب من مقاومة الأمير عبد القادر بعد هزيمة إيسلي

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

1- الأوضاع الاجتماعية

- الأوضاع الاجتماعية مع نهاية العهد العثماني
- الاستعمار الفرنسي وسياسة التفكيك الاجتماعي للجزائريين
- الأوضاع الاجتماعية للمهاجرين الجزائرين بالمغرب
- الحالة الصحية بالجزائر والمغرب خلال عصر المشرفي

2- الأوضاع الاقتصادية

- الزراعة
- الحرف
- التجارة

ثالثا: الحياة الثقافية

- الباي محمد بن عثمان وإحياء الحركة العلمية أواخر العهد العثماني
- الوضع الثقافي بالجزائر غداة الاحتلال الفرنسي
- الهجرات الجزائرية إلى المغرب ومميزات الوضع الثقافي الجديد

أولا: الأوضاع السياسية

ينتمي العربي المشرفي إلى الجيل الجزائري المخضرم الذي عايش نهاية الحكم التركي بالجزائر، وبداية الاحتلال الفرنسي، وهي من الفترات الحاسمة جدا في تاريخ الجزائر؛ سياسيا، اقتصاديا، واجتماعيا. فمن الثورات التي قامت في وجه السلطة العثمانية كالدرقاوية والتيجانية، إلى الاستعمار الفرنسي؛ أحداث كلّها ارتسمت في حياة العربي المشرفي الذي أرّخ لها في العديد من مدوناته، بل إنها كانت من أكبر الأسباب التي أدّت إلى صقل شخصيته وساهمت إلى حدّ كبير في وضعها على سكة الحياة السياسية بالجزائر وأرض المهجر المغرب.

1- ثورة درقاوة:[1]

تعتبر ثورة الدرقاوية من أخطر الثورات التي واجهت الأتراك العثمانيين بالجزائر؛ حيث ظهرت في وقت عرف فيه الوضع السياسي والاقتصادي تدهورا ملحوظا. الأمر الذي جعلهم عاجزين عن إخمادها بسهولة، وذلك بسبب التسرب والانحلال وضعف الحكومة المركزية وتمردات الجيش، وهو ما جعل بعض الباحثين يؤكد أن سبب هذه الثورة هو ضعف الحكم التركي.[2]

وقد ظهرت هذه الثورة في الناحيتين الشرقية والغربية. أما الشرقية منها فبقيادة ابن الأحرش الملقب بالبودالي[3] الذي قام بالثورة بإيعاز من حمودة باي تونس[4]، حيث أسس بعد رجوعه من الحج سنة 1218هـ/1804م معهدا ببني فرقان نواحي جيجل. جمع فيه الأتباع

1- عن هذه الثورة راجع: أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى 1850 صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1990، ص: 21. 167. يحي بوعزيز: "الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالجزائر"، مجلة الحضارة الإسلامية، تصدر عن المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، ع2، 1996، ص: 205.

2- أندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: اسطمبولي رابح ومنصف عاشور، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص: 178.

3- **ابن الأحرش:** مغربي مالكي المذهب، درقاوي الطريقة، درعي النسب، ادّعى أنه المهدي المنتظر. ينظر: محمد الصالح العنتري، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة، منشور تحت عنوان: "مجاعات قسنطينة" من طرف رابح بونار، الجزائر، 1974م، ص: 29. محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ص: 207.

4- ابن الأمير، تحفة الزائر، ص: 117.

والمريدين، وهيّأهم للثورة وقادهم إلى قسنطينة[1]، أين دخل في أولى المواجهات بداية سنة 1804 ضد العثمانيين بمنطقة وادي الزهور[2] نواحي قسنطينة التي حاصرها بجيش قوامه عشرة آلاف رجل أَمَلاً في استسلامها، واشتبك مع جيش العثمانيين في معركة انتهت بهزيمته وانسحابه إلى وادي الزهور[3]. فتبعه الباي عثمان إليها، لكن هذا الأخير أُجبر على التراجع والانهزام بسب وعورة المسالك وغزارة الأمطار.[4]

وبعد هذه الأحداث توفي الباي عثمان سنة 1804 وخلفه الباي عبد الله؛ الذي أعدّ العدّة واستجمع القبائل والرعية لمساعدته لمواجهة ابن الأحرش، فضيّق عليه الخناق وهزمه وأجبره على الفرار إلى الغرب.[5]

وعلى الرغم من انهزام الدرقاوية في شرق البلاد؛ فإن أتباعهم بالناحية الغربية استطاعوا بإمرة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي أن يجمعوا حولهم قبائل الصحراء من بلاد الأحرار[6] لحرب العثمانيين[7]. وتلاقوا بجيش الباي مصطفى العجمي[8] بفرطاسة نواحي معسكر واشتدّ القتال بينهما إلى أن انهزم الباي هزيمة منكرة[9]. وقد عبّر المشرفي عن هذه المعركة قائلا: ففي حدود العشرين من قرننا هذا ثار عليهم درقاوة...فأول ملك منهم هزموه مصطفى باي[10]. وقد كان لهذه المعركة أثرا كبيرا في مسار الأحداث التالية؛ فالدرقاوي وعلى طعم هذا

1- ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 43.

2- **وادي الزهور**: منطقة جبلية كثيرة الأشجار ووعرة المسالك. ينظر: الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، المذكرات، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص: 86.

3- مختار بونقاب، تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002، ص: 78.

4- الزهار، المذكرات، ص: 86.

5- المصدر نفسه، ص ص: 86-87. ابن الأمير، تحفة الزائر، ص: 118.

6- **الأحرار**: هي قبيلة عربية بنواحي مدينة سعيدة معروفة بالشجاعة والشهامة. كان ولاؤها بمثابة تأييد واسع استغله الدرقاوي في مواجهة العثمانيين بنواحي جبل عمروش في معسكر. ينظر: الزياني، دليل الحيران، ص: 208.

7 -André Delpech, " Résumé Historique sur le soulèvement des Derkaoua dans la province d'Oran", R.A, N 18, 1874, pp : 38 – 58.

8- **الباي مصطفى**: هو الحاج مصطفى بن عبد الله العجمي رابع بايات وهران. تولى سنة 1215هـ/1801-1802م. ينظر، المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص ص: 300-301.

9- المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص: 304.

10- العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر، ص: 17.

الانتصار؛ أصبح يمنّي نفسه وأتباعه بفتح وهران[1]، واستجمع كل القبائل لمساندته في إنجاح هذا المشروع[2].

وبالفعل استطاع الوصول إليها ومحاصرتها من كل الجهات إلاّ البحرية منها سبع سنين متوالية، قطع خلالها الإمدادات عنها[3]. أحداثٌ كلها صوّرها لنا المشرفي قائلا: "ولم تبق بهم مندوحة للجزائر إلا من جهة البحر، ومدة الحصار سبع سنين نالهم الجهد فيها وأخذوا بالسنين، فكان الخبر يأتيهم بالسفن".[4]

ويبدو أن طول فترة الحصار التي امتدت لسبع سنين لم تؤت أكلها، خاصة بعد أن استُغِلَّت الواجهة البحرية للحصول على الإمدادت التي وصلت بعد عَزْلِ الباي مصطفى واستخلافه بالباي المقلّش. هذا الأخير تمكّن من إعادة فتح أبواب المدينة الخمسة التي أغلقها الدرقاوي من قبل وصمم على محاربة الدرقاوية، إلا أنه بقي متوجسا من الأمر. حيث أحس بأن ثورتهم لم تكن دينية فحسب؛ وإنما كان لها أبعاد سياسية يتداخل فيها المغرب الشريفي والجزائر العثمانية.[5]

وقد نجحت محاولات الباي في فلّ شوكة الدرقاوي وأتباعه، وإجبارهم على الانهزام والتراجع إلى معسكر، حينها تعرّض لهجوم من قبائل الغرابة التي ثأرت لنفسها مما فعل بها في طريقه إلى حصار وهران[6]. ومني في الوقت ذاته بهزيمة أخرى على يد قبائل البرجية وأهالي بني شقران قرب سيدي مبارك[7]؛ ليتراجع إلى معسكر[8]. كما خاض معركتان سنة 1808 في وادي

1- الزياني، دليل الحيران، ص: 212.

2- ونص ما كان يخاطبهم به: "إنّنا نزعنا عنكم ما كنتم فيه من الحقرة والذلّة والمسكنة وأداء المغارم والجزية الثقيلة والمؤن الكثيرة الجليلة؛ الذي جميع ذلك هو حرام على من انتظم بالدخول في سلك الإسلام، وقد قطعنا دابر الترك الظلاّم وأتباعهم الشرار اللئام، فالواجب عليكم مبايعتنا والإذعان لنا وطاعتنا". ينظر: المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص: 306.

3- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 502.

4- العربي المشرفي، الذخيرة: ص: 18.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ص: 221.

6- مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص: 53.

7- **سيدي مبارك**: منطقة بنواحي المحمدية، غرب ولاية معسكر، وبها يوجد ضريح الولي الصالح سيدي مبارك. ينظر: ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 212.

8- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب، ص: 53.

المالح قرب تيموشنت وتسالة وهُزم فيهما.[1]

أدرك الدرقاوي بعد الهزائم المتوالية التي مني بها؛ ضرورة تشكيل حلف مع ابن الأحرش -الذي كان قد فرّ من شرق البلاد بعد انهزامه هناك- وهاجما سهل غريس وعاثا فيها فسادا، فاستنجد أهلها بالباي فأسرع لنجدتهم وهزم الدرقاوي وابن الأحرش.[2]

وعلى الرغم من الضربات الموجعة التي تلقّتها الدرقاوية؛ فإنها بقيت صامدة مصمّمة على النجاح رغم الأساليب المستعملة من طرف البايات لإخماد نار ثورتهم، مثلما فعل الباي محمد بن عثمان الكبير الذي أصبح ينتقم من المشكوك فيهم ولو عن طريق الوشاية. وصار مَن يحسد أحدا يَشي به عنده. ويدّعى عليه محبة الدرقاوي فيقتله فورا[3]. ولم يُكتب القضاء على الشريف الدرقاوي إلاّ خلال سنة 1817 على يد الباي حسن بن موسى الباهي، الذي قضى عليه وعلى ثورته التي جرّت البلاد لأكثر من اثنتي عشرة سنة (من 1805إلى1817) إلى وابل من المعاناة. وكانت سببا في توسيع فجوة الخلاف بين الحكام والسكان، وزيادة حدة التوتر مع أصحاب الطرق الصوفية[4]. حيث كان ذلك من أهم الأسباب التي أدّت إلى انهيار دولة الأتراك بالجزائر، والتمهيد للاحتلال الفرنسي[5].

وإذا كان هذا هو السبيل الذي سلكته الثورة الدرقاوية في الجزائر؛ فكيف اتّسم الموقف المغربي في هذا الإطار خاصة وأنه كان يعتبر القاعدة الخلفية والروحية للدرقاوية؟

2- المساعي المغربية لإنهاء ثورة الدرقاوية:

خلال هذه الأحداث ظهرت عدّة مساعٍ مغربية لإنهاء هذا الصراع. حيث بعث

1- المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص: 319.

2- وقد كان الباي خلال هذه الأحداث بنواحي مليانة. ينظر: المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص: 322.

3- ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 45.

4- يذكر العربي المشرفي أن الدرقاويين لما اشتد عليهم ضغط الأتراك؛ لقّنهم الدرقاوي الدعاء على الأتراك في كل صباح ومساء كما يلي: "اللهم يا رب أنزل على الترك صاعقة تكون من عندك يراها كل أحد من خلقك، لا من عندي أنا ولا من عند عبد القادر بن الشريف"؛ فكانت تلك الصاعقة هي الفرنسيس فانقطع بها أثرهم كأنهم لم يملكوا ساعة من النهار. ينظر: العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 19.

5- الزياني، دليل الحيران، ص: 39.

السلطان سليمان[1] للشيخ محمد العربي الدرقاوي[2] ليكفّ تلامذته عن قتال الترك، بعد أن كاتبوه في الأمر عند عجزهم عن مقاومة أتباعه الذين لا يسعهم مخالفة أمره. فسافر العربي الدرقاوي إلى وهران واستطاع أن يكفّ تلميذه عبد القادر الشريف عن الأتراك[3].

وقد عبّر مصطفى المشرفي ضمن نص طويل عن مجريات هذه المحاولات لإنهاء الثورة الدرقاوية قائلا: "وبعث المولى السليمان للشيخ، وقرأ عليه مكتوب التركي من غير أن يقتصر على حديث اللسان ويحكي، وحثّه على السفر لتلك النواحي، وأزعجه لتفريق الجمع الدرقاوي بتلك الضواحي، فامتثل الشيخ أمر السلطان، والتزم له بتسكين الأوطان...وبعد أن سافر الشيخ السفر المباح، وواصل في أيامه الغدو بالرواح، قدم المكاتب أمامه لتلميذه الباني على ثغر وهران خيامه، ودخل باي وهران حصنها وترك الرحلة والإقامة...إلى أن منّ الله عليهم بحضور السيد الأسمى، والبركة النافعة العظمى، فكفّ عنهم يد السيد عبد القادر بن الشريف التي صرفها الله فيهم غاية التصرف، فأمره حينئذ بالرحيل عنهم"[4]. كما حثّ سليمان جلّ رعية الأتراك الفارين من بطشهم إلى المغرب الأقصى خلال الأحداث الدائرة مع الشريف الدرقاوي، بالرجوع إلى بلادهم فرفضوا وما رجعوا إلا بعد إباية منهم وإصرار منه.[5]

ومما يَحْسُنُ التنبيه إليه أن المشرفي كان من المؤيدين في كتاباته لهذه الثورة؛ حيث وردت العديد من الإشارات التاريخية المتناثرة في الكثير من مدوناته مؤكدة على ذلك. ومنها ما ورد في

1- **سليمان بن محمد (1180-1238هـ/1766-1822م)**: بن عبد الله بن إسماعيل؛ أبو الربيع الشريف العلوي. من سلاطين دولة الأشراف العلويين في مراكش. خلف والده محمد بن عبد الله سنة 1791. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 48. ابن زيدان عبد الرحمن، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، الرباط: المطبعة الاقتصادية، 1937، ص ص: 67-78.

2- **العربي الدرقاوي**: العربي بن أحمد، ولد سنة 1746 وتوفي سنة 1823. وهو أول من نشر الطريقة الدرقاوية في المغرب وهي فرع من الشاذلية. مولده ووفاته في قبيلة بني زروال التي قرأ بها وتفقه، وتصوُّفُهُ بفاس. له: رسائل في التصوف وبشور الطوية في مذهب الصوفية. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 462. عبد الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص: 2517. المختار السوسي، المعسول، ج1، الرباط: مطابع الشمال الإفريقي، 1961، ص: 189. عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، الرباط: دار الأمان، ط4، 2003، ص ص: 205-216. محمد بن محمد المهدي التمسماني، الإمام مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية ترجمته وبعض آثاره، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007، ص ص: 18-41.

3- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 52.

4- المصدر نفسه، ج2، ص: 53. العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 4-8.

5- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 55.

الذخيرة: "وفي حدود العشرين من قرننا هذا ثار عليهم درقاوة أهل النظافة والنقاوة"[1]. وفي نزهة الأبصار: "ثار ولي الله تعالى سيدي عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الراشدي على دولة الأتراك بوهران؛ وكان جيشه من الحشم أهل الراشدية، وذلك لما انتشر ظلمهم وفسادهم في البلاد"[2]. ثم إنه خصّ درقاوة بتأليف سماه: "درأ الشقاوة عن السادات درقاوة".[3]

3- ثورة التيجانية:

تبدأ تفاصيل هذه الثورة برجوع الإبن الأكبر لأبي العباس أحمد التيجاني "محمد" من الحج سنة 1825. وفي طريق عودته إلى عين ماضي[4] اعترضته قوات أحمد باي[5] للقبض عليه لكنها فشلت في ذلك ولحق إلى بلاده سالما[6]. وما إن استقر به المقام حتى أعلن في أتباعه الحرب ضد الأتراك[7] وخرج إلى ناحية معسكر التي كان بها من بايعه سرّا[8]، واتجه على رأس 600 رجل من أهل عين ماضي والعرب الصحراوية وقبائل الحشم إلى أن وصل معسكر[9]. ودخلها من حومة باب علي، ثم خرج منها وتوجه إلى غريس[10] التي كانت ترابط بها جيوش الباي حسن بن موسى[11]، والتقى الجيشان بمنطقة عواجة قرب خصيبية وجرت بينهما معركة كبيرة سنة 1826 انتهت بانهزام التيجانية[12].

1- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 17.

2- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 502.

3- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص:27.

4- **عين ماضي**: مدينة تبعد بمسيرة 72 كم غربي مدينة الأغواط. ينظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، 1994م، ص: 336.

5- **أحمد باي**: ابن الشريف محمد حفيد الباي محمد القلي. ولد من أب تركي وأم جزائرية وبالتالي فهو كرغلي. وقد بدأ يبرز كرجل كفء منذ سنة 1809عندما وصل إلى رتبة "قائد العواسي" ثم تعيينه عام 1818 خليفة للباي حيث أثبت جدارته في وظيفته الجديدة وهو ما جعل الداي حسين يوليه بايلك قسنطينة عام 1826. ينظر: الزهار، المذكرات، ص: 160.

6- المرجع نفسه،ج3، ص: 336.

7- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني بالجزائر وعوامل انهياره 1800- 1830، رسالة ماجستير، كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، 1988، ص ص: 91 – 93.

8- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج3، ص: 336.

9- المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص ص: 356 – 357.

10- المصدر نفسه، ص ص: 352 – 353.

11- نفسه، ص ص: 357 – 369.

12- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب، ص: 31.

وبعدها تحالف التيجاني مع الحشم، الذين جعلوه سيّدا عليهم وأنزلوه في عواجة. لكن الباي حسن الذي زار مدينة معسكر كان قد نزل هو الآخر في المكان نفسه وجمع حوله أعيان الحشم والدوابر، واستطاع أن يقضي على التيجاني[1] ويعاقب أتباعه من قبائل الحشم وأهل عين ماضي.[2]

4- الحصار البحري:

عرفت الحياة السياسية بالجزائر تعفّنا كبيرا أواخر العهد العثماني. فانتشرت الرشوة وتدخل الجيش في الحكم؛ وكان الصراع على أشدّه في عقر البيت العثماني بين الكراغلة والحكام إلى بداية القرن التاسع عشر[3]. وبدأ هذا الخلاف بالزوال تدريجيا خاصة بعد قيام ثورات درقاوة، التي أحدثت نوعا من التقارب لمواجهة الحالة السيئة التي آلت إليها البلاد، فاستعان الداي بالكراغلة لإخماد عصيان الإنكشارية سنتي 1808 و1817[4]. وفي خضم هذا الصراع وضع الأتراك ثقتهم في اليهود[5]، لاعتقادهم أن الاستعانة بهم أهون من استعانتهم بالكراغلة، وهو ما استغلّه اليهود لصالحهم. فساهموا في تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية للبلاد وأججوا التوترات والاضطرابات التي حلّت بالبلاد[6]، وسيطروا على معظم المبادلات التجارية[7]، خاصة بعد قدوم أسرتي بكري وبوشناق من ليفورنة عام 1770 إلى الجزائر[8]، وارتباطهما بعلاقات مصاهرة مع الحكام العثمانيين توطّدت العلاقات بموجبها كثيرا. وهو ما

1- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 22. المازاري، طلوع سعد السعود،ج1، ص ص: 355 – 356.

2- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص: 336.

3- يرجع أول تكتل للكراغلة إلى عام 1596، وذلك حينما حاول خيضر باشا حاكم الجزائر الاستعانة بهم لإخماد عصيان الإنكشاريين. ينظر: أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني، ص: 95.

4- المرجع نفسه، ص: 99.

5- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1982، ص: 158.

6- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830، الجزائر: دار هومة، 2004، ص: 189.

7- Eisenbeth. M : les Juifs en Algérie esquisse Historique de puis les origines jusqu'a nos jours, p: 16.

8- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى، الجزائر: دار الفجر للطباعة والنشر، ط1، 2005، ص: 180.

كان مؤشرا خطيرا لسيطرتهما على التجارة الداخلية والخارجية للبلاد[1]، وتمكنوا من الحصول على موافقة الداي حسين باحتكار تجارة الحبوب مقابل دفع علاوات للدولة[2]. وباعوا في هذا الإطار نصيبا كبيرا من الحبوب إلى فرنسا سنة 1793 بعد موجة المجاعة[3]، وكذا خلال سنتي 1796 و1797 حتى أصبحت ديون فرنسا حوالي 24 مليون فرنك فرنسي وخفضتها حكومتها إلى 7 مليون فرنك.[4]

وقد أدت هذه الديون إلى توتر العلاقة بين الجزائر وفرنسا، خاصة بعد مطالبة اليهود لفرنسا بتسديد ديونها المقدرة بـــأكثر من سبعة ملايين فرنكا. وهو ما قوبل برفض الحكومة الفرنسية، فتدخل الدّاي حسين سنة 1797[5] وانتهت المشكلة بحادثة المروحة[6] التي كانت سببا في حصار الجزائر بحريا بعد معركة نافارين[7] من 16جوان 1827 إلى 14جوان 1830 تاريخ إنزال القوات الفرنسية بسيدي فرج وبداية الاحتلال.[8]

5- الاحتلال الفرنسي للجزائر :

أقرّ شارل العاشر في 07 فبراير 1830 مشروع الحملة العسكرية على الجزائر، وأصدر مرسوما ملكيا يقضي بتعيين الكونت ديبرمون Debormon قائدا عاما للحملة، والأميرال دوبري Doubré قائدا للأسطول[9]. وقد بدأ التجهيز للحملة واجتمعت القوات البرية والبحرية ومعدّات الحرب والذخيرة والتموين على البرّ بمينائي طولون ومرسيليا. وبلغت الحملة عدّة

1- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني، ص: 104.

2- صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 180.

3- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني، ص: 105.

4- صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 180.

5- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص: 78. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الجزائر الحديثة، ج2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 363.

6- تتلخص أحداثها في أن الداي حسين ضرب القنصل الفرنسي دوفال Duval بمروحة كانت بيده مرتين أو ثلاث ردا على إجابته المنافية للدبلوماسية والتي قصد من ورائها إهانة الداي وحكومته. ينظر: حمدان خوجة، المرآة، ص: 180. ابن الأمير، تحفة الزائر، ص: 128.

7- Moulay Belhmissi , Marine et marins d'Algerie 1518–1830, tome3, grandeur et décadence, bibliothèque nationale d'Algerie, 1996, pp: 109–112.

8- ناصر الدين سعيدوني: "الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827- 1830"، مجلة الثقافة، ع28، السنة الخامسة، رجب-شعبان 1395هـ/أوت- سبتمبر 1975م، ص: 11.

9- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1982، ص: 33.

وعتادا أواخر شهر أفريل حوالي ثمانية وثلاثين ألف جندي وواحد وتسعين قطعة مدفعية، غادرت ميناء طولون يوم 25 ماي 1830.[1]

ورغم جدّية الأمر فإن الداي لم يستعد كما ينبغي لمواجهة الخطر المحدق بالدولة، بل اقتصر على إعطاء بعض الأوامر للاستعداد لنجدة العاصمة عندما تستدعي الضرورة ذلك[2]. و لم يحسب للأمر عواقبه فأسند قيادة الجيش لصهره الآغا إبراهيم الذي كان جاهلا بالتكتيتك العسكري[3]، و لم يقم بتعبئة القبائل ولا بحفر الخنادق، وتَرَكَ جميع الفرق المكونة لجيشه تقيم على مسافة تتراوح ما بين خمس وعشر مراحل من مدينة الجزائر[4]، وهو ما بان عن ضعف التخطيط لهذا القائد الذي فشل حتى في منع عملية الإنزال الفرنسي يوم 19 جوان 1830.[5]

كما أنه قام بإهانة مقاتلي القوات التي انسحبت إلى هضبة اسطاوالي[6] وكادت أن تُلحِق الهزيمة بالجيش الفرنسي، لكنها فرّت بسبب الإهانة من ساحة المعركة. وتمكّنت القوات الفرنسية من الاستيلاء على الهضبة[7]، فأضحت الهزيمة محققة وأُجبر الداي حسين على توقيع معاهدة الاستسلام يوم 05 جويلية 1830.[8]

فإلى أي مدى تأثر المشرفي بهذه الأحداث وما هي مواقفه منها؟

لقد صوّر المشرفي هول الاحتلال ووقعه في نفوس الجزائريين قائلا: "فأول قاعدة دخلها وفلّ عرشها مدينة الجزائر...وكان دخوله لها ثالث عشر محرم الحرام سنة ستة وأربعين ومائتين وألف[9]، بعد أن نزل بِوادي سيدي فرج اليوم الثاني والعشرين من ذي الحجة الحرام"[10]. "فقد أذهبت هذه الفتنة أجناس الكتب، وأتلفت الأموال والرجال، وأَذهبت بأنفَس الرجال والنساء

1- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج3، ص ص: 382 – 383.

2- محمد العربي الزبيري: "المقاومة في الجزائر 1830- 1848"، مجلة الأصالة، عدد 30/29، 1976، ص: 03.

3- أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المذكرات، تعريب وتعليق محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1973، ص: 25.

4- سيمون بفاير، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص: 64.

5- حمدان خوجة، المرآة، ص: 187.

6- جمال قنان: "معركة اسطاوالي"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر: معهد التاريخ، ع2، 1986م، ص ص: 54 – 61. جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص: 94.

7- سيمون بفاير، لمحة تاريخية عن الجزائر، ص: 85.

8- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج3، ص: 404.

9- الموافق لـــ 05 جويلية 1830م.

10- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 19.

والصبيان والأطفال...وقت تردّد المسلمين في أرض الصحاري وقفار البراري".[1]

كما أرجع المشرفي في "طرس الأخبار" أسباب الاحتلال الفرنسي لبلاده إلى الظرف التاريخي الصعب الذي كانت تمرّ به الدولة العثمانية مع بداية القرن التاسع عشر بعد انهزامها أمام الروس في آسيا وأوربا الوسطى. وحمّل في الوقت ذاته باي الجزائر مسؤولية الاحتلال، مُرجعا ذلك لضعفه وسوء تقديره للأمور فيما تعلق بتدبير مسألة القروض مع فرنسا.[2]

وقد قدّم المشرفي الاحتلال في صورة لا إنسانية حينما حكى حقائق فضيعة عمّا اقترفه في حق الجزائريين قائلا: "وفي كل غزوة يبقر[3] النصارى الصبيان لعنهم الله، ويرمون حشوة بطونهم ويرفعون الجثة...وقد سمعت من امرأة سبيت لمستغانم من العبيد الغرابة؛ حكاية تذيب الحجر وتشيب البشر، في حجرها بنية صغيرة زاهرة اللون سبيت معها، وبمجرد ما وصل العدو بهما لداره جعل للبنية المذكورة حبلا في عنقها وربطها فيه قبالة أمها؛ فصارا ينوحان إلى أن ماتت البنت، شقّ الكافر بطنها ونثر منه الحشوة والباقي قطّعه قطعا وجعله كالقديد وجفّفه للشمس أياما...ونصب لها وأمرها تطحنه...فَفَتَلَتْ طعامهم بالدقيق المذكور وحرّكته في وسط الطبخ المغمور، فالْتَقَم كل منهم لقمة ودخلت بطنه هذه النعمة"[4].

و لم يُخف حقده الدفين للفرنسيين وامتعاضه منهم حينما كان يردد عبارات كثيرة تدل على ذلك أوردها في مؤلفاته كذخيرة الأواخر وغيرها ومنها "دمّره الله" و"لعنه الله" وأخزاه الله". وفي الوقت نفسه نجده يتحدث عن الهزيمة التي منيت بها فرنسا أمام الألمان سنة 1870 بمواقف جريئة جدّا ويدعو السلطان المغربي الحسن الأول لمهاجمة الفرنسيين بالجزائر، مُذكِّرًا إيّاه أنهم ليسوا بالقوة التي لا تهزم[5].

وإذا كان هذا هو موقف عالم جزائري هاجر إلى المغرب بسبب الاحتلال؛ فكيف اتّسم

1- العربي المشرفي، فتح المنان، مج1، ص: 18.

2- العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص ص: 119-123.

3- **يبقر**: مِن بقَر البطْنَ؛ أي فَتَحَه وشَقَّه ووسَّعه. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 230.

4- العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص ص: 164-165.

5- العربي المشرفي، مشموم عرار النجد، ص ص: 267-275.

الموقف المغربي في هذا الإطار؟[1]

6- موقف المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر:

بعد احتلال الجزائر وإرسال قوات الاحتلال جحافلها لاحتلال وهران؛ بعث الباي حسن إلى السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام[2] بالقدوم ليتولى على المغرب الأوسط وبَحْثِ أمر الانضواء تحت بيعته[3]. و لم يتوان عبد الرحمن بن هشام في قبول الأمر وأوفد ابن عمه علي بن سليمان مبعوثا عنه[4] إلى تلمسان وجعلها مقرّا له؛ فبايعه أهل معسكر وقبائل الحشم[5]. وقد عبر المشرفي عن ذلك قائلا: "لما استقر الفرنسيس بها وهو في وهران واقتصر عليهما و لم يمدّ يده في البر، انضمت الإيالة الجزائرية إلى سلطان المغرب، وكان أعيان الإيالة مع علمائها جاؤوا بخليفته فنزل بمحاله على تلمسان، وفرّق القواد على القبائل والمدائن واستوطن تلمسان".[6]

وبعد مرور ستة أشهر على البيعة لم يَرُقْ الحكومة الفرنسية ما فعل السلطان عبد الرحمن بن هشام فأرسلت في إنذاره على حدّ قول صاحب تحفة الزائر: "فلم يَحْلُ هذا الصنيع في نظرة فرنسا لمنافاته لمقصودها و لم تتغافل عنه، وبعثت إلى سفيرها بطنجة أن يقدّم على الفور من قِبلِها التنبيهات المشدّدة إلى سلطان المغرب وينذره بعداوة دولته ويتهدده بالحرب"[7]. وعلى إثر هذا التهديد الصارخ انسحب علي بن سليمان من المنطقة وتركها في فوضى عارمة.[8]

وقد ظل المغرب وفيًّا للقضية الجزائرية حتى بعد انسحاب مبعوث عبد الرحمن بن هشام.

1- عن موقف العلماء والمثقفين بالمغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر راجع: إدريس بوهليلة، "أصول الحركات الاستقلالية في المغرب المعاصر-موقف العلماء والمثقفين من احتلال الجزائر"، ضمن مؤلف جماعي تحت عنوان: المغرب والأندلس دراسة في التاريخ والأكريولوجيا، ع3، تقديم وتنسيق: محمد حبيبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي بالمغرب، تطوان: مطبعة الخليج العربي، 2009، ص ص:85-95.

2- **عبد الرحمن بن هشام**: بن محمد الحسني؛ ولد عام1790. بويع بفاس بعد وفاة عمه المولى سليمان سنة 1822. كان عادلا رافقا برعيته، كثير العناية بالعلم والعلماء. توفي بمكناسة عام1859. ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 51.

3- المازاري، طلوع سعد السعود، ج2، ص: 88.

4- ابن الأمير، تحفة الزائر، ص: 147. عمر أفا، تاريخ المغرب، ص ص: 357 – 358.

5- الناصري، الاستقصا، ج9، ص ص: 26 – 29.

6- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 39.

7- ابن الأمير، تحفة الزائر، ص: 147.

8- الناصري، الاستقصا، ج9، ص: 41.

فقد نظم الوزير محمد بن إدريس العمراوي[1] قصيدة حماسية محفزا المسلمين بالمغرب على الجهاد إلى جنب إخوانهم بالجزائر[2] بعد سقوط مدينة تلمسان سنة 1835[3] يقول في مطلعها:

يا ساكني الغـــرب الجهـــاد الجهـــاد ** فـــالكفر قـــد شـــاركم في الـــبلاد
والشـــرك قـــد نصـــب أشـــراكَه ** مســـــتعبدا بكيـــــده للعبـــــاد

إلى أن يقول:

واســـطة المغـــرب قـــد حازهـــا ** والأمـــر جَـــدَّ والـــبَلا في ازديـــاد
حـــــوى الجزائـــــر ووهرانهـــــا ** وراع حاضـــــرًا بـــــذاك وبـــــاد[4]

كما كان الموقف المغربي المتضامن مع المهاجرين الجزائريين في محنتهم واضحا في عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام. فعند وصول أول باخرتين إلى ميناء مدينة تطوان بعد شهر واحد من بداية الاحتلال، أصدر ابن هشام أوامره لعامل تطوان بحسن استقبال المهاجرين الجزائريين وإيوائهم[5] من خلال رسالة سلطانية مما جاء فيها: "فكلّ من ورد منهم قابله بالبشاشة والقبول، واجبر خواطرهم بالإكرام ولين الجانب فإن جبر القلوب واجب، وأحرى إخواننا المسلمين الذين قهرهم العدو واستولى على أملاكهم وبلادهم، وفرّوا بدينهم؛ جبر الله حالهم بمنّه".[6]

وقد أمر السلطان عبد الرحمن كذلك عامله على تطوان محمد أشعاش بتوزيع التجار والحرفيين على أهل خطتهم[7]، وإدماج العناصر العسكرية في الجيش المخزني حتى يسهل عليهم

1- **ابن إدريس:** محمد بن إدريس محمد العمراوي أبو عبد الله الشهير بابن الحاج وزير من الكتّاب توفي سنة 1847. ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج4، ص: 189. ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2581.

2- محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1985م، ص: 16.

3- عن تأكيد الدعوة للجهاد ضد الاستعمار الفرنسي راجع: العماري، مشكلة الحدود الشرقية، ج4، ص: 1167.

4- راجع نص القصيدة كاملا في: العمراوي محمد بن إدريس، قصيدة دالية في الحث على الجهاد، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية المغربية رقم: 1388د، ص ص: 362-365. العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و181و- و184و. الكردودي عبد القادر، كشف الغمة ببيان أنّ حرب النظام حق على هذه الأمة، طبعة حجرية، المكتبة الوطنية المغربية، رقم: C13972n، ص ص: 99-103.

5- أمطاط، الجزائريون في المغرب، ص: 50.

6- سلسلة الوثائق، المجموعة 1، 1976، ص: 458. والرسالة مؤرخة بيوم الثلاثاء أوت 1830.

7- أمطاط، الجزائريون في المغرب، ص: 50.

الاندماج في المجتمع المغربي[1]. وأَمَرَ ولاّته بتحريرهم وتوقيرهم واحترامهم؛ بحيث لايُؤَاخَذُونَ بكُلفةٍ مخزنية ولا مغرم ولا بهديةٍ كسائر الإيالة؛ مراعاة لهجرتهم وتغرُّبهم عن أوطانهم[2]. كما استفاد المهاجرون الجزائريون من الإدماج في عدّة وظائف كلٌّ حسب تخصصه ومستواه العلمي.[3]

ونجد المشرفي يؤكد على صنيع عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد مع المهاجرين قائلا: "فهذه الدولة العلوية رفع الله درجتها بالعلم والحلم، والرأفة والحنان، والعطف والشفقة، والمواساة للغرباء والمساكين، حسبما شاهدنا ذلك في مولانا المرحوم بكرم الحي القيوم سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن هشام، فلقد شرح الله صدرنا للسكنى بفاس من أجل تحنّنه وتعطّفه علينا...ففضلهما وبرّهما وإحسانهما على معشر المهاجرين من غريس المعسكر وغيرهما عميم، فلقد أسقط الكُلَف والتكاليف سيدنا المرحوم عن كل من هاجر إلى الله ورسوله من أم العساكر أو غيرها".[4]

وإذا كان هذا هو موقف المخزن المغربي تجاه الجزائريين غداة الاحتلال فكيف ستكون مواقفه تجاه المقاومة؟ وهل استفادت المقاومة من دعمه أم لا؟

7- مقاومة الأمير عبد القادر[5]:

بعد انسحاب علي بن سليمان من تلمسان؛ رفع أهل المغرب الأوسط طلبهم إلى محي الدين لقبول البيعة؛ فقَبِل بيعة الجهاد وردّ بيعة الإمارة[6] التي عرض عليهم طرحها على ابنه عبد القادر الذي لم يتردد في قبولها. وإلى ذلك أشار المشرفي قائلا: "فأخرج لهم ولده عبد القادر وهو يومئذ صغير وبايعه بخط يده، فتبعه أعيان العلماء من الرعية والحشم وغيره"[7]، فتمت له

1- أمطاط، الجزائريون في المغرب، ص: 50.

2- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 79.

3- أمطاط، الجزائريون في المغرب، ص ص: 51-54.

4- العربي المشرفي، الآيات والحوادث، و6و-و6ظ.

5- عن مصادر ترجمته راجع: تحفة الزائر لمحمد بن الأمير. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج4، ص: 59.

6- ابن الأمير، تحفة الزائر، ص: 147.

7- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 40.

البيعة الأولى 27 نوفمبر 1832[1]؛ ثم جاءت البيعة الثانية يوم 4 فيفري 1833[2].

وقد استطاع محي الدين أن يهزم القوات الفرنسية في وقائع عدّة خاصة معركة خنق النطاح الأولى يوم 07 أفريل 1832، ومعركة رأس العين في ماي 1832[3]. وشرع الأمير عبد القادر في حربه ضدّ الجيش الفرنسي، فاتجه لحصار وهران وأجبر الجنرال دي ميشيل Desmichels على المهادنة التي عُرفت بمعاهدة دي ميشيل في 27 فيفري 1834[4]، وهي المعاهدة التي انتزع من خلالها اعترافا ضمنيا وقويا كأمير للمؤمنين وبداية مرحلة حكم حقيقية في المنطقة الغربية.[5]

وقد استغل الأمير فرصة توقيع هذه المعاهدة لإعادة تنظيم الصف الداخلي، واستطاع في ظرف وجيز أن يؤسس جيشا قويا استطاع أن يحرز به انتصارا حاسما على تريزيل Trézel في معركة المقطع سنة 1836؛ بعد نقض الفرنسيين بنود المعاهدة السابقة[6]. وهو ما اضطر الجنرال بيجو Bujeaud إلى طلب الهدنة التي انتهت بتوقيع معاهدة التافنة في 20 ماي1837، التي استغلها كلا الطرفين في إعادة ترتيب أموره[7]. فاستطاع الفرنسيون احتلال قسنطينة عاصمة بايلك الشرق وهَزْمِ أحمد باي الذي كان يعتبر بالنسبة لهم حجر عثرة للقضاء على مقاومة الأمير؛ فعمدوا إلى نقض عهدهم معه.

وفي ظل هذا التطور الجديد اجتمع الأمير بمجلسه الشوري في جويلية 1839 لدراسة الوضع ومناقشة إمكانية الرجوع إلى الحرب فتمّ الاتفاق على ذلك، وقامت القبائل الموالية له أواخر نوفمبر من السنة نفسها بقيادة نائبه وخليفته ابن علال بهجوم شامل على إقليم متيجة. ثم

1- راجع نص البيعة كاملا عند: ابن الأمير، تحفة الزائر، ص ص: 157 – 159.

2- راجع نص البيعة كاملا عند: ابن الأمير، تحفة الزائر، ص ص: 163 – 165.

3- المازاري، طلوع سعد السعود، ج2، ص ص: 96 -100. يحي بوعزيز: "تاريخ مدينة معسكر الثقافي وجهاد الأمير عبد القادر"، ملتقى الفكر الإسلامي، 1987، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2005، ص: 76.

4- الحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم: يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995، ص:107. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1992، ص: 176.

5 -C.R. AGeron, Histoire de l'Algérie contemporaine, P.E.F, Paris, 1964, p: 11.

6- المازاري، طلوع سعد السعود، ج2، ص: 141. مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير، ص: 107.

7- ابن الأمير، تحفة الزائر، ص: 277. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص: 181.

توالت الهجمات على الجيش الفرنسي وفي مناطق متفرقة[1]، فبدأ الجنرال بيجو Bugeaud بموجبها يشنّ حرب إبادة واسعة النطاق استهدفت كل المناطق الخاضعة لسلطة الأمير عبد القادر ومنها مدينة تاقدمت ومعسكر، وهو ما اضطره إلى تكوين عاصمة متنقلة تُعرف بالزمالة. وانسحب بها إلى الهضاب العليا[2] بعد أن بدأت وضعيته في التأزّم، إلا أنّ ذلك لم يخفّف عنه حدة الوطأة بسبب الخيانة التي أدت إلى اكتشاف هذه العاصمة وانتهت بانهزامه في معركة عين طاقين في ماي 1843[3]. هذه الهزيمة كانت بمثابة صفعة قوية أجبرته على الانسحاب إلى المغرب الأقصى في أكتوبر 1843[4]؛ حيث استقر بجبال الريف المغربي آملا في مساعدة المخزن المغربي[5]، فكيف كان الموقف المغربي خلال هذه الأحداث؟

8- تأرجح مواقف المغرب من الأمير عبد القادر بعد هزيمة إيسلي:

أشار الناصري إلى الأشكال العديدة التي كان يقدمها المخزن المغربي كدعم لمقاومة الأمير عبد القادر ولخصها في قوله: "كان يقدم له الخيل والماشية، والبارود والرصاص والبنادق والمدافع، إلى جانب المؤن والرجال والخيام والكساوي والمال"[6]. كما ذكر صاحب الإتحاف كلاما يصب في السياق ذاته؛ مفاده أن عبد الرحمن بن هشام كان للأمير عبد القادر عضدا معاضدا وساعدا مساعدا، ومُعينا ماديا وأدبيا؛ أعان بالعين والسلاح، وجياد الخيل وفاخر الملابس؛ سرًّا وعلنا ضد محاربيه[7].

لكنه ومنذ سنة 1841 بدأت الأمور تسير في اتجاه خطير، خاصة بعد إحكام الجنرال بيجو السيطرة على المناطق التي كانت تحت سلطة الأمير -كما مرّ- ولم يعد لهذا الأخير من ملاذ سوى التراجع من وقت لآخر إلى الحدود المغربية خاصة خلال سنة 1843، وهي بداية

1- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص: 46.

2- يحي بوعزيز، تاريخ مدينة معسكر، ص: 80.

3- المازاري، طلوع سعد السعود، ج2، ص: 207.

4- صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 204.

5- ومما يذكر في هذا الإطار أن الأمير عبد القادر كان قد وجّه طلبا لقبائل فجيج لمساعدته سنة 1836 لكن هذه القبائل أعلنت أنها غير قادرة على المساعدة. ينظر: أحمد مزيان، فجيج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن التاسع عشر 1845- 1903، المغرب: مطبعة فجر السعادة، 1988، ص ص: 119 – 120.

6- الناصري، الاستقصا، ج9، ص: 44.

7- ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 67.

التحول الحقيقي في مسار العلاقات بين الأمير عبد القادر والمخزن الرحماني. حيث أخذت هذه العلاقات وبفعل الضغوطات الفرنسية مَنحًى آخر، وسادها التوتر والقطيعة في آخر المطاف. وقد عبّر الناصري عن ذلك قائلا: "ولما كانت سنة تسع وخمسين ومائتين وألف[1]؛ تم استيلاء الفرنسيس على جميع بلاد المغرب الأوسط، وصار الحاج عبد القادر يتنقل في أطرافها، فتارة بالصحراء وتارة ببني يزناسن وتارة بوجدة والريف وغير ذلك، وربما استكثر في هذه التنقلات بمن هو مِن رعية السلطان أو جنده، فمدّ الفرنسيس يده إلى إيالة السلطان".[2]

وتجسدت المساعي الفرنسية للضغط على السلطان المغربي باحتلال الجنرال بيجو مدينة وجدة يوما واحدا، وإرسال الحكومة الفرنسية لأسطول كبير لزيادة الضغط على المغرب بهدف إبعاد الأمير عبد القادر وقواته عن الحدود المغربية. فكان من نتائج ذلك أن ظهرت مشكلة مدينة طنجة يوم 6 أوت 1844 التي أدت إلى اندلاع معركة إيسلي يوم 14 أوت من السنة نفسها. وانهزم فيها المغرب هزيمة كبيرة دخلت على إثرها العلاقات بين الأمير والسلطة المغربية طورا جديدا، وضعت أسسه معاهدة الصلح الموقعة في سبتمبر 1844 ومعاهدة لالا مغنية في 15مارس 1845[3].

ومهما كانت التطورات الحاصلة بعد هذا التاريخ فإن القاسم المشترك بينها هو أن الأمير عبد القادر لم يجد بُدًّا من الانسحاب من الأراضي المغربية خاصة "بعدما أظلم الجو بينه وبين السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام، وساءت الظنون واتسع للأوهام المجال"[4]، واتّهامه بدسّ نوايا توسعية على حدّ تعبير الناصري.[5]

وفي هذا الوقت الحرج وجد الأمير نفسه مرغما على التراجع عن الحدود المغربية إلى الجزائر؛ فانضم إليه كل من بومعزة وأحمد بن سالم بجبال جرجرة، واستطاع أن يهزم الفرنسيين في معركة سيدي إبراهيم في سبتمبر 1845[6] ويكبّدهم خسائر فادحة. وبعد نهاية المعركة

1- الموافق لسنة 1843م.

2- الناصري، الاستقصا، ج9، ص: 49.

3- أمطاط، الجزائريون في المغرب، ص: 57.

4- ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 60.

5- الناصري، الاستقصا، ج9، ص: 59.

6- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج4، ص: 209.

وصلت النجدات سريعة وتم تطويقه في محاولة لزعزعته، ونجحت القوات الفرنسية في ذلك خاصة بعد استسلام أحمد بن سالم في المنطقة الشرقية في شهر مارس 1847 وهو ما كان له أثر سيء على نفسية الأمير عبد القادر، وجعلته يفكر في الانسحاب مرة ثانية إلى المغرب[1]. وبالفعل فقد انسحب إلى مراكش آملا في مساعدة السلطان المغربي الذي لم يرحّب بالفكرة خاصة بعد انهزام محلّة السلطان ومقتل قائدها محمد بن سالم الأحمر بجبال الريف أمام الأمير عبد القادر يوم 7 جويلية 1847[2]. وتحت تأثير الضغوط الفرنسية سيّر إليه قوات ضخمة أجبرته على الانسحاب من المغرب، حينها لم يجد الأمير خيارا آخر فآثر الاستسلام يوم 23 ديسمبر 1847.[3]

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

عاش العربي المشرفي ثلاث فترات مختلفة تماما في حياته اجتماعيا واقتصاديا، فمن المولد والنشأة والتعليم في كنف الجزائر العثمانية، إلى مرحلة اللاّ أمن والتشريد مع بدايات الاحتلال، إلى الهجرة إلى المغرب والاستقرار بفاس. محطّات ثلاث تطرح عدّة تساؤلات عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي عاش في ظلّه العربي المشرفي، وهل استجابت هذه الأوضاع لتطلعاته كعالم جزائري خلّف الكثير من الإنتاج العلمي، ولم تُثْنِهِ الظروف القاسية التي عاشها في بعض المحطات عن ذلك؟

1- الأوضاع الاجتماعية:

إذا كان لعامل الحياة السياسية دور في تنشئة الفرد، فإن لعامل الحياة الاجتماعية بما فيها من أفكار ومعتقدات ولغة وعادات وتقاليد دور أكبر، وذلك بخروج الفرد من نطاق العائلة إلى المجتمع، فتتفرع اتصالاته في الشبكة الاجتماعية بمختلف عناصرها[4].

فما هي أهم العناصر السكانية المؤثرة في الوضع الاجتماعي الذي عايشه المشرفي زمن

1- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص ص: 51 – 52.

2- تشرشل، حياة الأمير، ص ص: 306 – 307.

3- ابن الأمير، تحفة الزائر، ص: 498. عبد القادر القادري: "السلطان مولاي عبد الرحمن والأمير عبد القادر الجزائري"، دعوة الحق، تصدرها وزارة عموم الأوقاف بالمغرب الأقصى، ع4-5، 1957، ص ص: 39-40.

4- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 43.

الأتراك؟ وإلى مدى تدهورت الأوضاع الاجتماعية خلال فترة الاحتلال؟ وهل شكّل المغرب عملية إنقاذ لأوضاع المهاجرين الجزائريين الاجتماعية؟

الأوضاع الاجتماعية مع نهاية العهد العثماني:

تفيدنا بعض المصادر التاريخية وعلى رأسها كتابات العربي المشرفي؛ التي يُفهم من مضامينها أن سكان الجزائر خلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني كانوا على قسمين؛ حضريون وبدويون. وفيما يبدو فإن بعض العائلات والأُسَر الجزائرية تبوّأت الصدارة خلال هذا العهد، وتدل الإشارات التاريخية التي أوردها المشرفي أن الكثير منها كانت تنتمي إلى طبقات مرموقة ومنها عائلة المشارف بمدينة معسكر. فأشار إلى مكانتها الاجتماعية والاقتصادية وحظوتها وعلو كعبها، وهي ملاحظات قد تنسحب على عائلات أخرى. يقول المشرفي[1]:

وكنا أهل ثروة في القوم ** ولنا شأنا عاليا في السّوْم

لنا أصول وعقار ** ولنا جمال زانه وقار

وقد كانت العناصر السكانية تتألّف أساسا من سكان المدن: الأقلّية التركية[2]، والكراغلة[3]، الحضر[4]، والبرّاني[5]، واليهود والنصارى[6].

1- العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص: 317. وعن هذه الحظوة راجع الفصل الأول من قسم الدراسة.

2- تتألّف من الجنود الإنكشارية الذين يستقرون في الثكنات والحصون أو يتوزعون على حاميات المدن. ينظر: صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص ص: 157-158.

3- تكاثروا نتيجة زواج أفراد الجيش الإنكشاري بنساء البلاد، و لم تكن علاقتهم مع الأتراك حسنة، فأُبعدوا عن المناصب الكبرى مدة نصف قرن خوفا من سيطرتهم على شؤون البلاد، ثم عادت في أواخر العهد العثماني لتعرف تقاربا كبيرا. ينظر: مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب، ص: 48. ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص: 43-44.

4- وهم من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد ومن مهاجري الأندلس. وقد مارسوا نشاطاتهم العادية واستثمروا في مزراعهم الواقعة بالقرب من المدن. و لم يتطلعوا إلى الرياسة والزعامة بالرغم من تولي بعض أفرادها لمناصب الإفتاء والكتابة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص: 97.

5- هاجروا إلى المدن الكبرى قصد الحصول على مناصب شغل، وظلوا ينتسبون إلى مواطنهم الأصلية قبل أن يستقروا في المدن الرئيسية، وقد كان أغلبهم من بني ميزاب وبسكرة وجيجل والأغواط وغيرهم، واشتغلوا في مهن متواضعة كالتنظيف وحمل الأثقال والحراسة والبناء، وخدمة المنازل. ينظر: سعيدوني، النظام المالي، ص: 45. الجزائر في التاريخ، ص ص: 99- 102.

6- كانوا أحسن حالا اقتصاديا واجتماعيا من الطبقات الأخرى. وتحصلوا على ثروات ضخمة نتيجة ممارستهم للسمسرة والمراباة، والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية، كما أنهم اكتسبوا عادات وتقاليد أهل المدينة واتخذوا اللغة العربية أداة للتعامل اليومي وفي ممارسة الشعائر الدينية. ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، ص: 75. سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 84.

ثم سكان الأرياف: قبائل المخزن[1]، وقبائل الرعية[2]، والقبائل الممتنعة[3].

الاستعمار الفرنسي وسياسة التفكيك الاجتماعي للجزائريين:

وأما عشية الاحتلال الفرنسي؛ فقد عرفت الوضع الاجتماعي حدّا كبيرا من التدهور، وبرز توجه جديد يدعو إلى طرد الجزائريين جملة من أراضيهم وتمليكها للمستوطنين الأوربيين، مستعملين في ذلك أسلوبا متميزا في الإدارة العسكرية سمي بالسياسة العربية، وأنشأوا مديرية الشؤون العربية ثم المكاتب العربية[4]. ولذلك فإن الجزائر عرفت ومنذ وقت مبكر من الاحتلال سياسة تفكيك كبيرة لبنيتها الاجتماعية، مما يعني إحداث هوة كبيرة داخل المجتمع الجزائري.[5]

ويذكر المشرفي في هذا الإطار خلال تناوله لمسألة الزواج بالكتابية: "أن الفرنصيص حرصوا في قضية النكاح أشدّ حرصا من إبطال الحجاب، لأن الإنسان إذا ذاق عسيلة الكتابية أعرض عن نكاح المسلمة بالكلية سيما إذا كان أعزبا"[6]، وهو ما يعني أن السلطة الفرنسية لجأت منذ البداية إلى نشر الرذيلة داخل أوساط المجتمع الجزائري.

ويبدو أن العربي المشرفي وهو من المعاصرين للوضع الاجتماعي بالجزائر خلال هذه الفترة في كتابه ذخيرة الأواخر –الذي يعدّ من المصادر الأساسية لهذا الموضوع– قد تأثر كثيرا وانبهر بالإنجازات التي قام بها الاحتلال الفرنسي بالجزائر من الإحسان إلى السكان وتوسيع المدن وبناء الموانئ والطرقات، واستصلاح الأراضي، وفتح المدارس والاعتناء بالعلماء ومنحهم أعلى الرواتب والأجور. يقول المشرفي: "وقد شاهدنا إحسان الفرنسيس مع مساكين المسلمين وإشفاقهم من حالتهم، وأما مع العلماء فحدث عن البحر ولا حرج ".

1- كانوا يتعاملون مع الأتراك مقابل فوائد مادية ومعنوية، واتخذوا مع مرور الوقت قبائل مستقلة بذاتها سميت بالدوابر والزمالة. ينظر: سعيدوني، النظام المالي، ص: 49.

2- خضعوا للأتراك وتعرضوا في فترات عدة للضغط والاستغلال، وهو ما دفعهم لشق عصا الطاعة في كثير من الأحيان. ينظر: سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص ص: 107 – 108.

3- وقد ظلوا ممتنعين عن السلطة التركية بأراضي الجنوب، وكانت غالبيتهم تنتمي لمجموعات قبلية اعتمدت في الأساس على فرض نفوذها بالسلطة الروحية أو بالكفاءة الحربية. ينظر: سعيدوني، النظام المالي، ص: 49.

4- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985م، ص: 11.

5- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830– 1960م، ترجمة: جوزيف عبد الله، بيروت: دار الحداثة، ط1، 1983، ص: 33.

6- العربي المشرفي، الذخيرة، ص:35.

الأوضاع الاجتماعية للمهاجرين الجزائرين بالمغرب:[1]

ومهما كانت أحكام المشرفي على الاحتلال الفرنسي؛ فإن هجرة الكثير من العائلات الجزائرية خاصة من المنطقة الغربية تردّ هذا الأحكام. وقد جدت في المغرب الأقصى ملاذا آمنا لها وعلى وجه الخصوص مدينة فاس التي استقبلت أكبر عدد من العائلات المهاجرة، التي أصبحت فيما بعد تعرف بالمهاجرين أو العنصر الجزائري، والذي أصبح ضمن التركيبة الاجتماعية للمجتمع الفاسي. فما هي أهم عناصر هذا المجتمع الجديد؟

العنصر البربري: استوطن هذا العنصر مدينة فاس منذ تأسيسها إلى عهد الدولة العلوية.[2]

العنصر الأندلسي: نزحوا من قرطبة إلى فاس سنة 202هـ/818م بعد اكتساح الحكم الأول ربضهم وحوّله إلى أراضي فلاحية[3].

العنصر الجزائري: وقد تمت أقوى وأكثف هجرة لهم غداة الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 وما بعدها، وكانت تتألّف من فئتين: مهاجروا تلمسان ومهاجروا معسكر ونواحيها[4].

العنصر الأوروبي: كان يمثل الأقلية من سكان فاس خلال القرن التاسع عشر، وقد كان له تأثير كبير على الحياة الاجتماعية بفاس[5]. كما قُسّمت هذه العناصر السكانية على مجموعة من الطبقات: الأغنياء، الطبقة المتوسطة، الطبقة الفقيرة، الارتباط بالعادات والتقاليد.

وفي ظل هذا التقسيم كيف اتّسم الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمهاجرين الجزائريين؟

إذا كان السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام قد خصص للمهاجرين الجزائريين استقبالا حسنا[6] –كما مرّ– فإن الفاسيين[7] لم يعبأوا بإخوانهم المهاجرين بل كانوا معادين لهم. فاختلاف اللهجة والعادات والتقاليد، سمات لازمت المهاجرين الجزائريين حتى مطلع القرن العشرين، حيث كانوا يتزوجون فيما بينهم محتفظين بلهجتهم وأسلوب معيشتهم.[8]

1- عن هذا الموضوع راجع كذلك الفصل الأول من قسم الدراسة.

2- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 43.

3- لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج1، ص: 76.

4- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 44.

5- المصدر نفسه، ج1، ص: 45.

6- راجع: ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 123 – 124. أمطاط، الجزائريون في المغرب، ص: 50.

7- على اعتبارها ضمت الحصة الأكبر من المهاجرين الجزائريين والمشرفي من ضمنهم.

8- روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج1، ص ص: 293-294. راجع كذلك الفصل الأول من قسم الدراسة.

وإذا كانت الوحدة في اللهجة والتزاوج السمة البارزة في حياتهم، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يفسَّر ذلك بعدم وجود انقسام داخل هذه العائلات، فالوضعية الاجتماعية الجديدة التي حصلت عليها كل عائلة كانت هي المحدّد لهذا التقسيم الحاصل. فالتلمسانيين كانوا يسمون أنفسهم بذلك ليميزوا أنفسهم عن بقية العائلات المهاجرة، ثم الأسر الثرية والشريفة التي كانت تتلقى إعانات من المخزن[1] ومنها عائلة العربي المشرفي.

وقد عمد البعض من هذه العائلات إلى تأسيس تجارات مزدهرة، ودخل البعض الآخر في الإدارة، واحتل القليل منهم مناصب صغيرة كالكتابة والتوثيق. بينما مارس فريق آخر حِرَفَ النساجين والخرّازين والقهواجيين[2].

الحالة الصحية بالجزائر والمغرب خلال عصر المشرفي:

عرفت الجزائر خلال القرن التاسع عشر انتشار الكثير من الأوبئة والمجاعات. حيث كان لانتقال العدوى والأمراض من المناطق المجاورة دور كبير في تردي الحالة الصحية، فظهر داء الكوليرا والجدري والطاعون والسلّ وغيرها ظهورا كبيرا في الجزائر، بعد انتقالها أساسا من الحجاز وإسطمبول عن طريق التجار والقوافل التجارية.[3]

وبالإضافة إلى الأمراض الفتاكة، تعرضت الجزائر لعدة جوائح أدت إلى تدهور الحالة الصحية كالزلازل والجفاف والجراد، والتي ساعدت كثيرا على انتشار المجاعات والأمراض المعدية ومن هذه المجاعات سنوات: 1806، 1807، 1814، 1816، والتي هلك فيها كثير من السكان وانعدمت الزرع[4].

وتعتبر مؤلفات المشرفي من المصادر الأساسية التي أرخت للأوبئة والجوائح في الجزائر والمغرب على حدّ سواء خلال هذا العهد. فنجده في حديثه عن الأوبئة التي ضربت الجزائر يقول: "فمنها حادثة الوباء الواقعة رأس القرن؛ أي في أول سنة خمس[5] وعمّت الأقطار ويقال لها وباء الحبة...فقلّ من يجاوز بها أربعة أيام، وكان يموت جميع من بالدار من العيال...وكانت

1- روجي لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج1، ص: 294.

2- Béllaire, les Algériens au Maroc, p: 86.

3- سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 88.

4- المرجع نفسه، ص: 90.

5- 1790/1205.

تنقطع وترجع إلى الأربعة عشر سنة انقطعت ثم رجعت في حدود الثلاثين[1]. ولما كثر الموت بها خرج أهل الحاضرة من أم العساكر للبادية وكانوا يبنون الثياب فوق رؤوسهم تحول بينهم وبين الحرّ ونجوم السماء ليلا، ومن خرجت فيه الحبة ينعزل عنهم في مكان بعيد عنهم".[2]

ويواصل قائلا: "وفي عام الخمسين[3] من هذا القرن ظهر الموت بالوباء لكن بوجع القلب لا بالحبة المذكورة...والعجم الأطباء يسمونه بالريح الحمراء"[4]. كما أشار إلى الكوليرا التي ضربت مدينة تلمسان سنة 1267ه/1850.[5]

ومع نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، ألّمت بالشعب الجزائري عدة مجاعات وقحوط حادة تركت آثارها السيئة، كانتشار الكوليرا والتيفيس[6]، وانتشار موجات المجاعة الكبيرة التي استمرت من سنة 1845 إلى سنة 1850. فكانت سنواتها عسيرة وسيئة للغاية أدّت إلى انتشار الأمراض والبؤس والحرمان[7]. ثم عمّت البلاد بعد ذلك مجاعة أخرى أواخر عقد الستينات من سنة 1866 إلى سنة 1870[8]، وكانت سنوات عجاف أكل الناس فيها جثث الموتى وتوفي عشرات الآلاف منهم[9].

وعن هذه المجاعات نجد المشرفي يقول عن مجاعة 1868: "حلّ بتونس وأهل الواسطة من الجوع الفادح الذي أكلت الناس لحوم الأحياء والأموات، وشاهد القوم الكلاب تأكل الأموات التي لم تدفن. وبلغنا بالتواتر مرّة أن إيّالة الواسطة الجزائرية مات النصف منها وشرعت الموت في النصف الثاني الآخر بموت سبعة أشخاص منه، ومرّة أخرى الرسائل بموت الثلثين، وشرعت الموت في الثلث الثالث".[10]

1- 1230هـ/1814م.

2- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 500.

3- 1250هـ/1834م.

4- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 501.

5- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 220.

6- صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 367.

7- صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، ص ص: 51 – 53.

8- يحي بوعزيز: "المجاعات في الجزائر أواخر عقد الستينات من ق19"، الأصالة، ع 32، ص ص: 7- 29.

9- Charl André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation, Paris, 1964, pp: 439 – 440.

10- العربي المشرفي، الآيات والحوادث، و6.

و لم تكن الجارة المغرب بمنأى عن هذه الكوارث، حيث عرفت وضعا مشابها إلى حدّ كبير لما كان بالجزائر. فإلى غاية سنة 1826 تعرض المغرب لثلاثة كوارث طبيعية تركت كل واحدة منها بصماتها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية[1]، الأولى والثانية تمثلتا في طاعون 1798 و1800، والثانية في مجاعة 1825-1826.[2]

كما اجتاحته مجاعة طاحنة امتدت بين سنتي 1847-1851[3]، وعادت الكوليرا لتضرب بقوة خلال سنوات 1854[4]، 1855 و1859 و1860[5]، وانتشر وباء التيفويد سنة 1879 بمدينة مراكش[6]، لتعود الكوليرا من جديد سنوات 1895-1896[7].

2- الأوضاع الاقتصادية:

عرفت الأوضاع الاقتصادية بالجزائر ركودا كبيرا مع نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي. فتأخر النشاط الزراعي كثيرا بسبب التجهيزات البدائية المستعملة، والصعوبات التي عاشها الفلاح البسيط الذي كان معرضا للحملات العسكرية ومهدّدا من قبائل المخزن وانتشار الجوائح[8].

الزراعة:

كما أصبح معرّضا لكل وسائل التعسف والاضطهاد غداة الاحتلال الفرنسي، فصودرت أملاكه ونُهبت، ومُنحت للزمالة الصبايحية لاستغلالها[9]. وتفاقمت عليه الديون بسبب الضرائب العقارية والفوائد الربوية التي كان يأخذها من البنوك والمرابين اليهود[10]. وعاد محكوما عليه بالتبعية حتى في محصوله الزراعي، فإذا كان المحصول جيدا تنخفض الأسعار إلى النصف تقريبا

1- محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1992، ص: 85.

2- المرجع نفسه، ص: 85.

3- نفسه، ص ص: 174-175.

4- أشار المشرفي إلى الكوليرا التي ضربت مدينة فاس خلال هذه السنة. ينظر: العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 229-233.

5- البزاز، تاريخ الأوبئة، ص ص: 274-279.

6- المرجع نفسه، ص ص: 274-315.

7- نفسه، ص ص: 322-349.

8- سعيدوني، النظام المالي، ص ص: 33 – 34.

9 - Julien, Histoire de l'Algérie, p: 409.

10- صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، ص: 15، وص ص: 47 -50.

وفي يوم واحد بتواطؤ من المعمّرين وبالخصوص اليهود[1].

الحرف:

ولم تكن الحرف والصناعات في حال أفضل في نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال، وأصبح تنوع المصنوعات ضربا من الماضي باستثناء ما يُذكر مِن أن الأمير كان يصنع الذخيرة الحربية بنفسه[2]، وحلّت الصناعات التي تم استجلابها من فرنسا محل الصناعات المحلية، وأصبحت المصنوعات الأوروبية متوفرة في الأسواق أكثر من غيرها[3].

التجارة:

سيطر اليهوديان بكري وبوشناق على التجارة الجزائرية أواخر العهد العثماني داخليا وخارجيا واحتكرا ثلثي التجارة، وهو ما كان له أثر سيئ على الأوضاع الاقتصادية للمجتمع الجزائري[4]. ووُجِّه النشاط التجاري في هذه الفترة لخدمة المصالح الأوربية[5].

وبعد الاحتلال الفرنسي لجأت السلطات الاستعمارية إلى انتهاج عدة سياسات قصد التحكم في دواليب التجارة الجزائرية، فعمدت إلى مراقبة الأسواق والمبادلات التجارية بين السكان الجزائريين، وقامت بضرب حصار اقتصادي خانق على القبائل الثائرة في وجهها[6].

1- فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 346.
2- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص: 43.
3- سعيدوني، النظام المالي، ص: 37.
4- المرجع نفسه، ص: 37.
5- سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 77.
6- صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 351.

ثالثا: الحياة الثقافية[1]

عرفت الحياة الثقافية في الفترة الأخيرة من العهد العثماني ركودا كبيرا، خاصة وأنها لم تكن تخرج عن تقليد السابقين من علوم شرعية وأدب وتواريخ محلية وتصوف[2]. ولم تكن عنايتهم بالطب والحساب والفلك، والرسم والعمارة كبيرة وربما كانت منعدمة[3]. حتى غدا هذا العهد عصر المختصرات الفقهية والتقليد، وغياب الابتكار والإبداع. ولا أدلّ على ذلك من قول أبي راس شاهد العيان على هذه العصر: "إنّي في زمن عُطّلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، وخلت دياره ومراسمه، وعفت أطلاله ومعالمه لا سيما فن التاريخ والأدب، وأخبار الأوائل والنسب. قد طرحت في زوايا الهجران، ونسجت عليها عناكب النسيان، وأشرفت شمسها على الأفول، واستوطن فحولها زوايا الخمول، يتلهفون عن اندراس العلم والفضائل، ويتأسفون من انعكاس أحوال الأذكياء، والأفاضل وإلى الله المشتكى من دهر إذا أساء أصر على إساءته، وإن أحسن ندم عليه من ساعته..."[4].

الباي محمد بن عثمان وإحياء الحركة العلمية أواخر العهد العثماني:

تُعزى إعادة إحياء الحركة العلمية وبعثها من جديد في بايلك الغرب إلى الباي محمد بن عثمان الكبير، الذي قام بتأسيس العديد من المساجد والزوايا والمدارس وهي كالتالي:

1- **المساجد:** كانت المساجد ملتقى العباد ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهي قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حولها كانت تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب[5]. كما كان يجمع بين أهل القرية والمدينة أو الحي خاصة في بنائه وأدائه للوظائف الدينية[6].

1- عن بعض الإشارات المتعلقة بالحياة الثقافية راجع الفصل الأول من قسم الدراسة.

2- أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق: بوركبة محمد، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور بن نعمية عبد المجيد، نوقشت سنة 2008 بقسم الحضارة الإسلامية بجامعة وهران، ص ص: 44-45.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 413.

4- أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، ص ص: 44-45.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 243.

6- صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 351.

وقد عمل الباي محمد الكبير على تشييد المسجد الجامع الذي حمل اسمه "جامع محمد الكبير"من ماله الخاص بمدينة أم عسكر، وهو المعروف عند أهالي المنطقة بـــ"جامع العين البيضاء"[1]، وقام بإعادة ترميم العديد من المساجد الأخرى.

2- **الزوايا:** كان من أهم أهدافها نشر الثقافة والعلم داخل المجتمع، وكانت في الغالب تتألّف من ثلاثة أقسام: الأول منها يقوم بوظيفة تحفيظ واستظهار القرآن الكريم، والثاني يقصده غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلّموا الحروف الهجائية واستظهروا بعض السور من القرآن. وقسم ثالث يقوم بتدريس بعض العلوم المعروفة وقتها مثل الفقهيات والعقائد والنحو والمنطق والفلك[2]. ومن الزوايا المشهورة خلال هذا العهد، زوايا مدينة معسكر ومن أشهرها: الزاوية الراشدية، والزاوية القادرية بالقيطنة ضواحي بوحنيفية. وزاوية الشيخ سيدي محمد سليمان، وزاوية الشيخ سيدي عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي. وزاوية محمد الإدريسي شيخ مصطفى الرماصي[3]، وزاوية الشيخ عبد القادر المشرفي التي تخّرج منها العربي المشرفي.

3- **المدرسة:** هي المكان المخصص لإلقاء الدروس، وهي مدرسة مستقلة متخصصة في التعليم وحده[4]، وكانت تؤدي في المدينة الدور الذي كانت تؤدّيه الزوايا في الريف. وقد انتشرت هذه المدارس في عدة مناطق من الوطن خاصة الناحية الغربية، التي اشتهرت بمدارسها ذات التكوين العالي، ومن أهمها المدارس المنتشرة بمدينة معسكر وهي:

- **المدرسة المحمدية:** وهي من أهم المدارس التي بناها محمد بن عثمان الكبير. وتعتبر كذلك من أبرز المدارس في المنطقة وقتها حيث "كاد العلم أن يتفجّر من جوانبها"[5]. ومن أهم العلوم التي كانت تدرّس بها كتب الفقه مثل حواشي الشيخين الزرقاني والخرشي، وكتب النحو مثل شرح المكودي ومقامات الحريري. وفي الأصول شرح المحلّي، وعدّة علوم أخرى كالتصوف، والفلك، والبيان[6].

1- سعيدوني، تاريخ الجزائر، ص: 249.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 266.

3- المرجع نفسه، ج2، ص: 266.

4- نفسه، ج1، ص: 281.

5- ابن سحنون، الثغر الجماني، ص: 127.

6- حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية، مذكرة ماجستير، نوقشت بجامعة وهران سنة 2003، ص: 43.

- **مدرسة القيطنة:** وقد تأسّست بالقرب من منطقة بوحنيفية حوالي سنة 1787 على يد مصطفى بن المختار جدّ الأمير عبد القادر، وقد جمعت هذه المدرسة كل مراحل التعليم[1]. وفيما بعد أصبحت تسمى معهد القيطنة، لتوافد طلبة العلم والمعرفة عليها. ويؤكد ذلك قول أبي راس الناصر: "فذهبتُ لمعهد القيطنة، وقد اجتمعَتْ جموع من الطلبة".[2]

4- المكتبات: ساهمت المكتبات برصيد كبير في إثراء الحياة العلمية بالجزائر عموما وبمدينة معسكر مسقط رأس المشرفي خصوصا. ولا زالت شهادات الفرنسيين الذين رافقوا الحملة الفرنسية إلى المدينة، أمثال أدريان بير برجد Adrien Piero Bèrged دليلا قويا على ذلك[3]. وتعتبر مكتبة مدرسة المشارف من بين أهم المكتبات بها، ويعدّ شيخها عبد القادر المشرفي الملقب بإمام الراشدية، من أبرز العلماء الذين ذاع صيتهم في هذه الفترة، لتضلعه في علمي الأصول والفروع، ومواظبته على بث العلوم بزاويته في الكرط[4].

الوضع الثقافي بالجزائر غداة الاحتلال الفرنسي:

وبعد الاحتلال الفرنسي عرفت الحياة الثقافية جمودا كبيرا، حيث ركّزت السلطات الاستعمارية ومنذ البدايات الأولى على سياسة تجهيل الجزائريين، وبقي الأمر على هذا الحال إلى فترات مديدة، حتى دعا العلماء إلى التكثيف من إنشاء الزوايا لبث العلوم بالاعتماد على ما كانت تدرّه الأوقاف من أموال[5].

وقد كانت الزوايا كذلك مركز توجيه علمي وديني وحربي، وبذلك فإن التعليم كان محفوظا ومضمونا في المدينة من طرف رجال الزوايا[6]. ويصف لنا المشرفي هذه الحالة في جوابه على سؤال موجه من طرف علماء فاس عن حال العلم والعلماء بالجزائر خلال هذا العهد قائلا: "سألني علماء فاس عن طلبة الجزائر فأخبرتهم أنهم على هدى من ربهم، وأنهم يدرسون

1- حمدادو، أبو راس الناصر، ص: 44.

2- أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص: 24.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 287. وج2، ص: 317.

4- العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، ص:21

5- سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001، ص: 245 – 247.

6- فركوس، تاريخ الجزائر، ص:383.

المعقول والمنقول، ومساجدهم عامرة في أوقات الصلوات"[1]. ويُفهم مما أورده المشرفي كذلك حينما زار مكتبة العاصمة في صفر 1294هـ/فيفري1877م، أن المؤسسات التعليمية وقتها أصبحت من صلاحيات السلطات الفرنسية[2].

الهجرات الجزائرية إلى المغرب ومميزات الوضع الثقافي الجديد:

نتيجة لتضافر عدة عوامل هاجرت أعداد كبيرة من أهل الناحية الغربية وخاصة من معسكر وتلمسان إلى المغرب ومنها عائلة العربي المشرفي، حيث استقرت بفاس التي كانت تمثل وقتها منارة علمية كبيرة. فما هي أبرز سمات الحياة الثقافية بها؟

للإجابة عن هذا السؤال عمدنا إلى تسليط الضوء على أهم التيارات الفكرية التي راجت كثيرا في الساحة الفاسية واسقطبت عددا هائلا من الجماهير الشعبية ورجال الفكر والثقافة وهي كالتالي:

أ- التيار الصوفي: نشط هذا التيار نشاطا كثيرا، وكان ممثلا أساسا في الطرق التالية:

الطريقة التيجانية: وقد اكتسب عددا كبيرا من الأنصار عملوا على نشر تعاليم الدين الإسلامي[3]، وقد ظلّت هذه الطريقة إلى غاية بداية القرن العشرين قبلة للكثير من الأتباع.[4]

الطريقة الدرقاوية: كان أتباع هذه الطريقة يحجون إلى ضريح مؤسسها كل عام، يذهبون راجلين وبيدهم عصي وعلى رأسهم قبعة خضراء تميزهم.[5]

الطريقة الوزانية: انتشرت فروعها في بعض أنحاء المغرب ومنها مدينة فاس[6]. وقد كان الوزانيون موزعين إلى ثلاثة زوايا محلية حسب أصلهم العرقي: أهل توات، والفيلاليون، والتلمسانيون[7].

الطريقة الكتّانية: أسسها محمد بن عبد الكبير الكتاني بفاس حوالي 1850، ونظّمها

1- العربي المشرفي، الذخيرة، ص:35.

2- العربي المشرفي، فتح المنان، مج1، ص ص: 15-18.

3- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 49.

4- لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج2، ص: 869.

5- المصدر نفسه، ج2، ص ص: 870 – 871. راجع كذلك الترجمة الرابعة من مخطوط الحسام المشرفي.

6- بروفنصال ليفي، مؤرخو الشرفاء، تعريب: عبد القادر الخلادي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، 1977م، ص: 50.

7- لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج2، ص: 871. راجع كذلك الترجمة الرابعة من مخطوط الحسام المشرفي.

حفيده الذي كان يحمل نفس الاسم محمد بن عبد الكبير الكتاني[1] حوالي سنة 1890[2].

ب- التيار السلفي: وقد ظهر نتيجة لانتشار مظاهر الفساد والانحلال الخلقي والجمود الفكري في ظل سيادة الفكر الصوفي[3]، وقد قاد هذا التيار المؤرّخ محمد الكنسوس والفقيه محمد بن المدني جنّون[4]، حيث عمل كلّ منهما على محاربة الطرق الصوفية بالرغم من كونهما تيجانيا الطريقة[5].

كما كان لاحتلال الجزائر سنة 1830 ووقعة إيسلي سنة 1844 دور كبير في توجيه مسار الحياة الثقافية بالمغرب. فقد علّق الصوفية والشعراء على هاتين الحادثتين، فجاءت جلّ كتاباتهم ذامّة للمجتمع وأخلاقه، وحاضّة على التشبث بالمبادئ الأساسية في الإسلام، والجهاد في سبيل الله ضد الكفار[6].

وتظهر هذه الانتقادات من وجهة نظر دينية، في شكل محاربة شديدة الصرامة للبدع. ولم تحارب الكبائر وحدها؛ كشرب الخمر والتهتك والفجور، وإنما شملت عادات أخرى أقل ضررا كاستعمال الشاي والقهوة والتبغ[7]، كما قاموا بحملة ضدّ غلاة المتصوفة، باعتبارهم المسؤولين عن انحلال الأخلاق[8]. ويبدو أن هؤلاء المتصوفة أصبحوا موضع شك وحذر من طرف أكثر العلماء، وخاصة منهم الشيخ أحمد التيجاني الذي أثارت شخصيته نقاشا حادة بين أكنسوس التيجاني، والعربي المشرفي الدرقاوي الذي يُعتبر من أكبر خصوم التيجانية[9].

1- **محمد بن عبد الكبير الكتاني الحفيد:** المربّي الكبير والحافظ الشهير. كانت ولادته عام 1290هـ/1873م. له تآليف عدّة أغلبها في التصوف منها: روح النصوص، اللمحات القدسية والمواقف الإلهية في التصرفات المحمدية، وأوراد الطريقة الكتانية. توفي مقتولا يوم الثلاثاء 23 ربيع الثاني 1908/1327. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص ص: 2856 – 2857.

2- لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج2، ص: 871.

3- مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 50.

4- **الشيخ محمد بن المدني جنون:** ولد ونشأ بفاس حوالي 1239هـ/1824م، تولى قضاء مدينة مراكش سنة 1857، وزاول التدريس بجامع القرويين. توفي يوم الفاتح ذي الحجة 1302هـ الموافق 11 سبتمبر 1885م. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 94.

5- لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج2، ص: 869.

6- الأخضر، الحياة الأدبية، ص ص: 394-395.

7- علّق المشرفي على مسألة التبغ قائلا: "لا يشتريه إلا العامة ورعاع الناس وطهّر الله من شربه الخاصة". فتح المنان، مج1، ص: 172.

8- الأخضر، الحياة الأدبية، ص: 395.

9- المرجع نفسه، ص: 395.

الفصل الرابع: وصف المخطوط ومنهجه ومصادره

1- تاريخ تأليف المخطوط وعنوانه ونسبته إلى المشرفي
2- النسخ المعتمدة في التحقيق
3- مناسبة تأليف مخطوط الحسام المشرفي
   - التعريف بمحمد بن أحمد الكنسوسي وكتابه الجيش العرمرم الخماسي
   - سبب تأليف مخطوط الحسام المشرفي
4- دراسة مخطوط الحسام المشرفي
   - وصف مخطوط الحسام
   - أسلوب المشرفي في مخطوط الحسام
   - منهج المشرفي في مخطوط الحسام
5- مصادر مخطوط الحسام
   - القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع
   - مصادر التفاسير
   - مصادر الأحاديث النبوية الشريفة
   - المصادر الفقهية
   - مصادر الأدب واللغة وعلومها
   - المصادر التاريخية وكتب التراجم
   - مصادر الرحلات والجغرافيا
   - مصادر التصوف
   - مصادر علم الكلام
6- وقفات منهجية مع مخطوط الحسام
7- وضع الرموز والعلامات

1- تاريخ تأليف المخطوط وعنوانه ونسبته إلى المشرفي:

أشار المشرفي إلى انتهائه من تأليف الحسام يوم الأربعاء 19محرم 1285هـ/12 ماي1868م في خاتمة المخطوط قائلا: "تمّ على يد جامعه ومؤلّفه بمحروسة فاس ضحاء يوم الأربعاء تاسع عشر المحرم الحرام مفتتح سنة خمسة وثمانين ومائتين وألف1285هـ عرّفنا الله خيرها ووقانا شرّها"[1]. وبعد ما كنّا نعتقد أنّ تاريخ تأليف الحسام هو أمر لا شكّ فيه، فاجأنا المشرفي بعبارة أخرى في الكتاب نفسه أخلطت الأمور كثيرا، وجَعَلَت الجزم بصحة تاريخ التأليف الذي أورده في نهاية المخطوط أمرا صعبا للغاية. فحين الحديث عن قبيلة الكنسوس كَتب يقول: "فالقبيلة البربرية التي ينتسب إليها وهي إِدَاوْكْنْسُوسْ كما في تأليفنا نزهة الأبصار[2]"[3]. فاستدلّ بنزهة الأبصار الذي بدأ تدوين أحداثه في شكل رحلة إلى السوس التي انطلق إليها من مراكش مع جملة من الفقهاء الذين رافقوا السلطان محمد بن عبد الرحمن سنة 1289هـ/1873م[4]، وانتهى من تأليفه يوم الأربعاء 18 رجب 1290هـ/11 سبتمبر 1873م[5]. أي بعد انتهائه من الحسام بخمس سنوات تقريبا، وهو ما يطرح الإشكال التالي: هل فعلا أتمّ المشرفي تأليف الحسام سنة 1868؟ وأيّهما أتمّ تأليفه أولا الحسام المشرفي أم نزهة الأبصار؟

ومع أن الإشكال المتعلّق بالانتهاء من تأليف نزهة الأبصار يبقى قائما، فإن ما تعلّق بتاريخ تأليف الحسام وبعد تتبع بعض الأدلة التي أوردها المشرفي في مخطوط "الآيات والحوادث" الذي أتم تأليف بتاريخ 29صفر1285هـ/21جوان1868م أي بعد شهر ونصف من الانتهاء من تأليف "الحسام المشرفي". أمكننا أن نؤكّد على أن تاريخ تأليفه قد يكون صحيحا ولا غبار عليه، حيث أورد الكثير من الأحداث في "الآيات والحوادث" لها صلة وطيدة بما ذكره في الحسام، بل إن جلّها موجودة في الحسام.

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و365و.

2- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 307.

3- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و33ظ.

4- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، (نسخة الخزانة الحسنية رقم: 5616)، و3ب.

5- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 79.

كما أنه أشار إلى بعض الأحداث التي لها علاقة بالدولة السليمانية والرحمانية والمحمدية، وهي أحداث لم يذكرها إلا في الحسام المشرفي بالتفصيل الذي أشار إليه، و لم يذكرها في غيرها من مؤلفاته. يقول المشرفي: "وكمال المطلوب أني ألفيت تأليفا في الجناب العلي وفي أسلاف سيدنا الطاهرة واحدا بعد واحد، ومدحت الدولة بما يليق أن تُمدح به من شرف المناصب وعلو المناقب، وذكرت وزراء الدول الثلاثة[1] السليمانية والرحمانية ودولتنا المحمدية بأحسن ما يُذكر، ومالهم من تفاوت المراتب، وأفردتهم بترجمة ليقف من يريد من أبناء الوزراء أو أهل المحبة أن يترّه ناظره في محاسن أبيه. كما ذيّلت ترجمة سيدنا بذكر قواد الدولة وأعيان الدائرة وعمال القبائل وولات المدائن...وختمت التذييل بمناقب سيدنا وذكر أشياخه في سائر العلميات[2]، وتحلّيه في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان بحلية الحديث واعتكافه على قراءة صحيح البخاري فيها ومن يحضر مجلسه الشريف من العلماء، وتسمية الذين يسردون أَمَامَهُ الحديث[3]". [4]

إن هذا النص يتطابق فعلا مع ما ذكره المشرفي في الحسام -وقد أحلنا كل حدث إلى موقعه من مخطوط الحسام- وهو دليل قوي على أن المشرفي أتم تأليف الحسام سنة 1868، وذلك اعتمادا على تاريخ تأليف الآيات والحوادث، الذي أشار إليه صراحة بقوله: "في 29 من صفر الخير عام1285هـ، عرّفنا الله خيرها ووقانا شرّها، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين". [5]

وقد اشتهر المشرفي بمخطوطه هذا، في أوساط النُّخبة العالمة المعاصرة له واللاحقة، والتي لم تختلف أيّ منها في صحة ثبوت نسبته إليه، وتَأكَّد لدينا أنه ما من شكٍّ في ذلك. ومما زادنا

1- خصص المشرفي الترجمة السادسة من المخطوط لوزراء الدولة السليمانية ثم الدولة الرحمانية وختم بالدولة المحمدية التي كان يعيش في كنفها، وقن عنونها كما يلي: الترجمة السادسة في انتخاب الوزراء على وفق نظر الملوك والأمراء. ينظر: العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و170ظ- و202ظ.

2- ذكر المشرفي شيوخ محمد بن عبد الرحمن بن هشام في العلميات في الترجمة السابعة من المخطوط. ينظر: العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و316و- 317و.

3- المصدر نفسه، و216ظ.

4- العربي المشرفي، الآيات والحوادث، و7و.

5- المصدر نفسه، و10و.

تمسّكا بهذا الرأي؛ هو أن المشرفي أثبت في مقدمة المخطوط صراحة عنوانه قائلا: "وترجمته بـــالحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس"[1].

كما أشار المؤلف إلى "الحسام المشرفي" في عدة مناسبات. ففي كتابه مشموم عرار النجد ذَكَره بعد حديثه عن فضل علم التاريخ قائلا: "وذكرنا ذلك مفصّلا في تاريخنا المسمّى بالحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس"[2]. وأشار إليه في نزهة الأبصار عند حديثه عن العربي الدرقاوي قائلا: "وقد استوفينا الكلام على مولاي العربي وأصحابه في تأليفنا المسمى بالحسام المشرفي وذكرنا سند أشياخه وسلسلة طريقته نفعنا الله به وبهم وحشرنا في زمرتهم والمسلمين أجمعين"[3]. وعند ذكره لقائمة مؤلفاته في ذخيرة الأواخر أشار إلى الحسام قائلا: "وكما مدحنا وقدحنا ألفنا وإن استهدفنا. ألَّفنـــا طرس الأخبار، والحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس".[4]

ولم تختلف المصادر التي ترجمت للمشرفي في عنوان المخطوط الذي ذكره المشرفي، ولا في صحة نسبته إليه. فقد ذكر صاحب الإعلام أن للمشرفي مؤلفا سمّاه الحسام المشرفي[5]، وأشار إليه ابن سودة في دليله[6]. بينما أورد صاحب معجم طبقات المؤلفين، أن للمشرفي كتابا في الردّ على أكنسوس دون تحديد عنوانه[7]. وأشار إليه الكتاني عَرَضًا في فهرس الفهارس[8].

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و16و.
2- العربي المشرفي، مشموم عرار النجد، ص: 4.
3- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 464.
4- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.
5- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ص: 27.
6- ابن سودة، الدليل، ص: 316.
7- ابن زيدان، معجم طبقات المؤلفين، ج2، ص: 211.
8- الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص: 1152.

2- النسخ المعتمدة في التحقيق:

إن المتتبع لآثار العربي المشرفي يلمس ذلك التنوع المعرفي الكبير في ثقافته. ذلك أنه دوّن جلّ مؤلفاته بطريقة خاصة، أَمْلَتْهَا الظروف التاريخية التي عاشها. ومع أنه كان كثيرا ما يميل إلى طريقة القدامى في التأليف، فإنه كان ذا حاسة تاريخية قوية، أهّلته لأن يؤلّف في التاريخ ويبرع فيه بامتياز. فَكَتَبَ ذخيرة الأواخر وياقوتة النسب، والحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس السيء الظن الكنسوس موضوع هذه الأطروحة وغيرها.

ومخطوط الحسام المشرفي من المؤلفات القيّمة التي خلّفها لنا، وحُفظت من عوائد الزمن بعد أن طالتها بعض الأيادي، إما بغرض إتلافها أو العبث بها، لا لشيء سوى لأن الرجل أدلى بدلوه في الحراك الفكري على عهده.

وبعد البحث والتقصّي عن المخطوط ونُسَخِهِ في المكتبات الوطنية والمغربية، أمكننا الحصول على نسختين:

النسخة الأولى: ليس بها كسور ولا خروم وفي حالة جيدة. وهي الأصل الذي كتبه المشرفي بخطّ يده، والذي يشابه تماما خط عدّة مؤلفات أخرى من تأليفه كمشموم عرار النجد، وغوثية البدر المنير، وديوان نظم، ورحلة إلى نواحي فاس، ونزهة الأبصار، والرسالة في أهل البصبور الحثالة وغيرها. فخطّ جميع هذه المؤلفات هو لشخص واحد الغالب على ظننا أنه للعربي المشرفي.

ومما يؤكّد أن هذه النسخة هي الأصل الذي كتبه المشرفي، ما ذكره بنفسه في معرض حديثه عن مؤلفاته في ذخيرة الأواخر قائلا: "وكما مدحنا وقدحنا ألفنا وإن استهدفنا. ألّفنا طرس الأخبار، والحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس، وأثمد الجفون فيمن بعهد الله يوفون، ونزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار، ومشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق الوالي أنفاس المولى السلطان، والحسام المشرفي للمهاجر المقتفي... وكل هذه التآليف بخزانة المَلك نُسَخُها"[1].

1- العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر، ص: 56.

والمؤلفات التي ذكر أنّ نُسخَها الأصلية توجد بمكتبة الملك ومخطوط الحسام من ضِمنها، معلوم أنها نسخ كان يقدمها هدية للملك، وما يُقَدَّم للملك يكون أصلا خاليا أو قليل الأخطاء. مثل كتاب مشموم عرار النجد، الذي كُتب بطريقة جميلة جدا حتى يقدَّم هدية للملك، وهي ملاحظة تنسحب على كل مؤلفات المشرفي التي وضعها بالخزانة الملكية.

انتهى المشرفي من تأليفه في19محرم1285هـ/12ماي1868م[1]. وحصلنا على نسخة منه مصورة على الورق؛ عن مصورة ميكروفيلمية؛ عن الأصل الذي يعتبر في حكم المفقود إلى يوم الناس هذا. والنسخة موجودة بالمكتبة الوطنية المغربية تحت رقم: 1207ك، كُتب في آخرها "عن طريق عبد السلام بن سودة"، الذي وفيما يبدو أنه قد أهداها إليها. عدد أوراقها 330 ورقة، وأسطرها 19سطرا ما عدا ظهر الورقة الأولى الذي يحتوي على 17سطرا، القياس: 20/15، وبها زيادات كثيرة وبعض التصحيحات على الحواشي بخط المؤلّف.

والملاحظ على هذه النسخة أن بها بتر في موضعين بمقدار 35 ورقة. الأول ابتداء من الورقة 44 ظهر إلى الورقة 69 وجه (بمعدل 25 ورقة). والثاني ابتداء من الورقة 355 ظهر إلى الورقة 365 وجه (بمعدل 10 ورقات).

ويغلب على ظننا أن هذا البتر هو أمر مدبّر، وأن المخطوط قد تعرّض لمحاولة إتلاف مقصودة. ولحسن الحظ فقد استطعنا أن نتمّم جزاء كبيرا من النقص الحاصل في هذه النسخة، بعد عثورنا في شتاء 2009 على جزء -أصلي- من الأصل المفقود لمخطوط الحسام المشرفي، يقع في 35 ورقة. وكان من بين المخطوطات التي تمّت إضافتها لمكتبة الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12813، وهذا المخطوط كان من ضمن محتويات خزانة عبد الحي الكتاني، كما يدل على ذلك توقيع صاحب المكتبة في بعض صفحات المخطوط[2].

ومما أثار استغرابنا وانتباهنا أنّ الجزء الذي حصلنا عليه، عدد أوراقه هو نفسه عدد الأوراق الناقصة من الأصل رقم 1207ك في الموضعين السابقين اللذين أشرنا إليهما. كما أن الجزء الذي عثرنا عليه وبعد مطابقته مع موضعي البتر في الأصل جاءت متطابقة بشكل كلّي. ومسطرته هي مسطرة الأصل نفسها، وكذا عدد الأسطر في كل ورقة هي نفسها. والخط الذي

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و365و.

2- راجع النماذج التي تم رصدها في الملاحق.

كتبت به هو خط واحد لا شكّ فيه، ولذلك اعتبرنا الجزء الجديد مع الأصل 1207ك نسخة واحدة، عدد أوراقها 365 ورقة وقد رمزنا إليها بحرف "أ".

وتجدر الإشارة إلى أن النسخة الأخيرة "أ"، يتخلّلها بتر يسير في أربعة مواضع بمقدار أربع صفحات. صفحتان في الترجمة الأولى من الجزء المحقق إلى نهاية الترجمة الرابعة، وصفحتان في بقية المخطوط. وقد أتممنا النقص اعتمادا على النسخة الثانية، واستطعنا بحمد الله تعالى وتوفيقه الحصول على نسخة تامة كاملة من مخطوط الحسام المشرفي، وجاءت مواضع البتر موزّعة كما يلي:

- بتر عند و29و بمقدار صفحة واحدة والزيادة من النسخة الثانية.
- بتر عند و64ظ بمقدار صفحة واحدة والزيادة من النسخة الثانية.
- بتر عند و323ظ بمقدار صفحة واحدة والزيادة من النسخة الثانية.
- بتر عند و329ظ بمقدار صفحة واحدة والزيادة من النسخة الثانية.

وبالاعتماد على الوصف الخارجي للجزء الأصل الذي عثرنا إليه، فإن النسخة "أ" تكون قد كتبت بخط مغربي، ومداد أسود وأحمر وأزرق، وأحيط متن المخطوط بإطار خارجي باللّونين الأزرق والأحمر في أغلب ورقاته، وخطّها جيّد ومفهوم وموحّد ليس فيه اختلاف.

أول النسخة:

في أعلى الورقة الأولى: "لبسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله"

الحمد لله محصي مَن خلق كثرةً وقلة، خالق الخلق لا لغرض أو علّة، باعث الرسل لتشتيت الأهواء المضلّة، الذي زيّن قلب المؤمن وحلاّه ببياض الإيمان وحسن الاعتقاد، وشيّن قلب المنافق وسوّده بسوء الظن والانتقاد. فسبحانه مِن إله ترجو رحمته العُصاة، ومِن حِلمه شفّع فينا مَن سبّحت في كفّه الحصاة، ومن عفوه وامتنانه يعفو عن السيئات وعنده أم الكتاب، يمح ما يشاء ويثبت ويبدل السيئات حسنات. ولا يضرّ العبدَ إلا الكفر والإصرار على الزندقة والنفاق، فهذا شقي في الدنيا ومَا لَهُ في الآخرة من خلاق، حمدا ممدودا مداه، وأشهد أنه المعبود بالحق لا إله لنا سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بمكارم الأخلاق وعلى آله

وأصحابه المبرّئين من الشّك وسوء الإملاق؛ وبعد: فإن مؤلِّفَه يطلب من ساداته الصالحين نور نظرة تحطّ عنه أسوار ظلمته وتمحق كثافة بشريته، وتردّه إلى مولاه طوعا أو كرها في كل ما يؤمر به أو عنه ينهى، فإنه من عِترهم بل ومن عبيد حضرهم.

آخر النسخة:

تمّ على يد جامعه ومؤلّفه بمحروسة فاس ضحاء يوم الأربعاء تاسع عشر المحرم الحرام مفتتح سنة خمسة وثمانين ومائتين وألف1285هـ عرّفنا الله خيرها ووقانا شرّها، وأقول في دعائي: "اللهم أنت الأبدي القديم وهذه سَنةٌ جديدة أسألك العصمة فيها من الشيطان وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمّارة بالسوء، والاشتغال بما يقرّبني إليك يا رحمان، وإلى الله أضرع أن يقْبله ويُبلّغ به كل مؤمّل في الدارين أمَلَه بجاه خاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين. وقد قلت داعيا في ختمتي:

كمُلَ الكتاب تكاملت ** نِعَمُ السرور لصاحبه

يعفو الإله بفضله ** وبجوده عن كاتبه

ثم أنشدت داعيا أيضا تقبّل الله منا هذا الدعاء:

كتبتُه ودعوت الله مجتهدا ** في توبةٍ وإله العرش توّاب

لعله سبب قد جرّه قدرٌ ** إلى رشادٍ وللأشياء أسباب

إن لم تهب لي أمانًا مِنْكَ يا أملي ** فمَنْ سواك لما أرجوه وهّاب

انتهى الكتاب بحمد الكريم الوهاب.

النسخة الثانية: توجد ضمن مجموع مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية تحت رقم: 2276ك عدد صفحاته 426. ومخطوط الحسام فيه من الصفحة 6 إلى الصفحة 360، وهذه النسخة عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ، عدد صفحاتها 354 صفحة. كُتبت بخط مغربي وتعاقب على نسخها ناسخان مختلفان، من الصفحة 6 إلى الصفحة 120 ثم من الصفحة 247 إلى الصفحة 329 كتبت بخط مغربي صعب القراءة وهو للنّاسخ الأول، وأسطرها ما بين 23 و25 سطر والغالب عليها 24 سطرا؛ ما عدا الصفحة 6 فعدد أسطرها 22 سطرا.

وأما من الصفحة 121 إلى الصفحة 246 ثم من الصفحة 329 إلى الصفحة 360 فقد كتبت بخط مغربي مقروء وجيد وهو للناسخ الثاني، وأسطرها ما بين 20 و22 سطرا الغالب عليها 22 سطرا؛ ما عدا الصفحة 360 فعدد أسطرها 10 أسطر، وقياس المخطوط كاملا: 28/17.

كما أن هذه النسخة كثيرة الأخطاء عند الناسخ الأول وقليلة عند الثاني، وبعض فقراتها مفقودة أو ساقطة وأغلبها تكون سهوا من ناسخ المخطوط. وليس فيها تصويبات واستدراكات وتصحيح من الناسخ في حواشي المخطوط. وهي سليمة من الكسور والخروم، ويتخللها بتر كبير واضطراب في ترتيب الصفحات كما يلي:

- بتر عند الصفحة 120 يقدّر 14 صفحة.
- بتر عند الصفحة 260 يقدّر 40 صفحة.
- اضطراب في ترتيب الصفحات عند الصفحة 229 والصفحة 267.
- اضطراب في ترتيب الصفحات من الصفحة 331 إلى الصفحة 342، ويتخللها بتر كبير بقدر 100 صفحة.
- بتر عند الصفحة 329 إلى الصفحة 343 بمقدار 20 صفحة.

أول النسخة:

في أعلى الورقة الأولى: لبسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله محصي مَن خلق كثرةً وقلة، خالق الخلق لا لغرض أو علّة، باعث الرسل لتشتيت الأهواء المضلّة، الذي زيّن قلب المؤمن وحلاّه ببياض الإيمان وحسن الاعتقاد، وشيّن قلب المنافق وسوّده بحسن الظن والانتقاد. فسبحانه مِن إله ترجو رحمته العصاة، ومِن حلمه شفّع فينا مَن سبّحت في كفّه الحصاة، ومن عفوه وامتنانه يعفو عن السيئات وعنده أم الكتاب، يمح ما يشاء ويثبت ويبدل السيئات حسنات. ولا يضرّ العبدَ إلا الكفر والإصرار على الزندقة والنفاق، فهذا شقي في الدنيا ومَا لَهُ في الآخرة من خلاق، حمدا ممدودا مداه، وأشهد أنه المعبود بالحق لا إله لنا سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بمكارم الأخلاق وعلى آله

وأصحابه المبرّئين من الشّك وسوء الإملاق؛ وبعد: فإن مؤلِّفَه يطلب مِن ساداته الصالحين نور نظرة تحطّ عنه أسوار ظلمته وتمحق كثافة بشريته، وتردّه إلى مولاه طوعا أو كرها في كل ما يؤمر به أو عنه ينهى، فإنه من عِترهم بل ومن عبيد حضرهم.

آخر النسخة:

تمّ على يد جامعه ومؤلّفه بمحروسة فاس ضحاء يوم الأربعاء تاسع عشر المحرم الحرام مفتتح سنة خمسة وثمانين ومائتين وألف1285هـ عرّفنا الله خيرها ووقانا شرّها، وأقول في دعائي: "اللهم أنت الأبدي القديم وهذه سَنَةٌ جديدة أسألك العصمة فيها من الشيطان وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمّارة بالسوء، والاشتغال بما يقرّبني إليك يا رحمان، وإلى الله أضرع أن يقْبله ويُبلّغ به كل مؤمّل في الدارين أمَلَه بجاه خاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين. وقد قلت داعيا في ختمتي:

كمُلَ الكتاب تكاملت ** نِعَمُ السرور لصاحبه

يعفو الإله بفضله ** وبجوده عن كاتبه

ثم أنشدت داعيا أيضا تقبّل الله منا هذا الدعاء:

كتبتُه ودعوت الله مجتهدا ** في توبةٍ وإله العرش توّاب

لعله سبب قد جرّه قدرٌ ** إلى رشادٍ وللأشياء أسباب

إن لم تهب لي أمانًا مِنْكَ يا أملي ** فمَنْ سواك لما أرجوه وهّاب

انتهى الكتاب بحمد الكريم الوهاب.

3- مناسبة تأليف مخطوط الحسام المشرفي:

اشتهر المشرفي بين علماء عصره بمؤلفّاته الكثيرة في شتى المجالات، التاريخية والأدبية والفقهية والردود. هذه الأخيرة هي التي عُرف بها كثيرا، وكانت عادته رحمه الله إلى آخر أيام حياته[1]، وهو ما كان سببا لنفرة الناس منه[2]. فكان كمن قيل له: كم تقع في أعراض الناس؟ فقال: هم حفروا للأعمى ولابد للأعمى من الوقوع في الحفر[3].

1- ابن سودة، الدليل، ص: 316.

2- عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، ص ص: 146- 147.

3- ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805.

- **التعريف بمحمد بن أحمد الكنسوس[1] وكتابه الجيش العرمرم الخماسي:**

وقد ألّف مخطوط الحسام في هذا الباب، فجاء إثباتا قويا لملكته الشعرية الزاخرة وقوة عارضته الأدبية، وشجونه التاريخي الكبير. وقد ردّ به على المؤرخ محمد بن أحمد الكنسوسي، وناقشه في بعض المواضيع من كتابه الجيش العرمرم الخماسي[2].

والكنسوس؛ هو محمد بن أحمد بن محمد بن يونس بن مسعود. عُرف بأكنسوس مبدوءا بهمزة مفتوحة، وبكنسوس دونها منكّرا، وبالكنسوس بدونها أيضا معرّفا، وبالكنسوسي منسوبا على طريقة النسبة في العربية. وتعني هذه الكلمة أنه من إِدَاوْكْنْسُوسْ إحدى قبائل سوس. ويُنسب بالجعفري انتماء إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

ولد عام 1211هـ/1796-1797م بقبيلة تنمرت من قبائل السوس العريقة. سافر إلى أخواله بالزاوية الناصرية فحفظ القرآن واستظهر أمّهات الكتب، ثم إلى فاس سنة 1229هـ/1813م أين استقر به المقام وسكن مدرسة الصفارين[4].

وقد مكّنته سمعته الطيبة، ومكانته العلمية المرموقة، من أن يكون من المقرّبين من السلطان العلوي سليمان الذي جعله كاتبا خاصا له. ثم لما زادت حظوته عنده استوزره سنة 1235هـ/1819م، وكان يعهد إليه بالمهمات الصعبة[5].

ولما توفي السلطان سليمان سنة 1238هـ/1822م، خلفه ابن أخيه عبد الرحمن بن هشام، فكثرت عليه المؤامرات والدسائس فتنحى من تلقاء نفسه من وزارته[6].

1- عن مصادر ترجمته راجع: محمد غريط، فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان، تحقيق: عبد القادر سعود وعبد المجيد خيالي، بيروت: دار ابن حزم، الرباط: دار الأمان، ط1، 2010، ص ص: 23-53. عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج1، قدم له: محمد بن عزوز، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغرب، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2010، ص ص: 654-686. ابن زيدان، الإتحاف. الناصري، الاستقصا، ج9. عباس بن ابراهيم، الإعلام، ج7. سكيرج، رفع النقاب. بروفنصال، مؤرخو الشرفاء. السوسي، المعسول. الأخضر، الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية.

2- عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27. ابن سودة، الدليل، ص: 316. المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 103. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 180.

3- الكنسوس محمد بن أحمد، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، ج2، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، ص: 2.

4- المصدر نفسه، ص: 2.

5- نفسه، ص: 7.

6- نفسه، ص: 8.

كان الكنسوس ذا نزعة صوفية تيجانية، جعلته يرسّخ دعائمها ويثبت أقدامها. فأسس لهذا الغرض زاوية بحي المواسين بمدينة مراكش -التي أصبح من نزلائها في آخر أيام حياته- سنة 1262هـ/1845م. توفي رحمه الله يوم الثلاثاء 29محرم 1294هـ/14فيفري1877م، ودفن بمقبرة السهيلي[1].

ترك الكنسوس آثارا كثيرة منها[2]: الأجوبة التونسية، تأليف في علم الكيمياء، تحقيق القاموس المحيط، تصحيح الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم، والجواب المسكت فيمن تكلم في طريقة التيجاني بلا تثبت. وحسام الانتصار في وزارة بني عشرين الأنصار، والمقامة الكنسوسية، والجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي وهو الكتاب الذي ردّ عليه المشرفي في مخطوط الحسام.

وهذا الكتاب ألّفه استجابة لطلب السلطان محمد الرابع. وقد وضعه في شكل جيش له مقدمة وجناحين وقلب وساقة. يقول الكنسوس: "فرتبت هذا الكتاب ترتيبا عجيبا، داعيا إلى أبواب التيسير ومجيبا، مشتملا على مقدمة وجناحين وقلب وساقة، فكان كالجيش المنصور الذي تولى الفتح المبين...فأوجب الحال أن يسمى بالجيش العرمرم الخماسي، في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي"[3].

وقد تحدث في مقدمة الجيش عن الإمامة العظمى، وفضلها وحكمها في الشرع. أما الجناح الأيمن فقد خصصه للكلام عن دول المشرق وجعل له ست ألوية. بينما خصص الجناح الأيسر لدول المغرب وجعل له سبع ألوية، وجعل قلب هذا الجيش في دولة علي السجلماسي، وساقته في الوزارة والحجابة وغيرها من الولايات الدينية التي تخدم الإمامة العظمى.

وأثناء معالجته لمواضيع كتابه الجيش العرمرم؛ وقع الكنسوس-على رأي المشرفي- في بعض المطبّات والزلّات، فعابها المشرفي وردّها عليه الواحدة بعد الأخرى في كتاب الحسام المشرفي، لقطع لسان الساب الجعرفي، الناطق بخرافات الجعسوس، سيء الظن الكنسوس.

1- الكنسوس، الجيش العرمرم، ج2، ص: 8.
2- المصدر نفسه، ص ص: 10-12.
3- نفسه، ج1، ص ص: 13-16.

- **سبب تأليف الحسام المشرفي:**

وعن سبب تأليفه للحسام، نجد المشرفي يقول في مقدمة المخطوط: "إذ لا زال نور النبوءة هاديا للتائهين مثلي، مرشدا لمن بلغ في غاية الجهالة كجهلي، ويَذكُر لساداته العلماء الممدوحين في الأرض والسماء ما بلغه بالسماع المستفيض عن تأليف عالم مراكشة الذي عيّر فيه أولياء الله ورماهم فيه بالزندقة والفاحشة؛ وهذا هو الباعث لنا على تسطير هذه الأوراق بما يوجب الرد عليه حتى يجول في يمن فاس وشام الغرب وحوز المدينة الحمراء المضاهية للعراق، لأنّي رِقُّ إحسانهم وغريق في بحر جودهم وامتنانهم، ورجاء أن تطلع شمسي في برج الشفاء مِن علل الدنيا، ونُحصّل إن شاء الله في الأخرى فضيلة الضيافة والاصطفاء بمجاورة الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصدّيقين والشهداء والصالحين وأولئك حسن بهم الاكتفاء، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة لمن دعاه جدير".[1]

ثم يضيف قائلا: "غير أنّ الغيرة حملتني أَنْ أرميَ مَنْ رمى الأشاعرة بما به يندقّ ظهرُه وتنشلّ مشاعره، والذكي الماهر يحمل الكلام القاصر على وجهٍ ظاهر، فإنّ سيد الأكياس مَن صوّب خطأ الناس، ومن اتسع علمه قلّ إنكاره؛ ومن قلّ علمه كثر إنكاره؛ ومن كثر إنكاره كُسفت أنواره وربما وقع حيث لا تُقَال عِثاره"[2].

كما كان لاتّهام الكنسوس شيخ الدرقاوية بإذكاء نار الفتنة مع الأتراك سنة 1805 من الأسباب الكبيرة لتأجّج عاطفة المشرفي وتأليف المخطوط، كيف لا وهو درقاوي الطريقة ومن الذادّين عن حياضها، حيث اعتبر هذا الاتهام "إما جهلا منه بحقيقة الأمر لبعده عنه، وما كان له أن يمزّق عرض ولي الله في حياته فضلا بعد مماته بسماع لم يثبت وإما عنادا، وهو يعلم أنه من الكُمّل الذين سرى وِردُهم في المشرق والمغرب، وبلغ بالتواتُر أهل الآفاق كمالُهم".[3]

ويفهم مما أورده المشرفي في حسامه، أن الصراع الكبير بينه وبين الكنسوسي، قد غذّاه كثيرا الانتماء الطرقي لكليهما. فالمشرفي درقاوي الطريقة، والتي تكنّ عداء كبيرا للتيجانية

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و1ظ.
2- المصدر نفسه، و1ظ-و2و.
3- نفسه، و137و.

والكنسوسي من شيوخها، حيث اعتبر المشرفي الردّ عليه ردٌّ على الطائفة التيجانية كلّها بقوله: "والرد على الواحد من الطائفة ردٌّ على الجميع".[1]

ولم يقف ردّ المشرفي عند هذا الحدّ، فتنقّص من قدر شيخ الطريقة التيجانية وحطّ من قيمته إذ يقول: "فالشيخ أحمد التيجاني رضي الله عنه في علم الظاهر شيء كبير وهو سيد هذه الطائفة التيجانية، معدود مِن علماء الظاهر لا من علماء الباطن؛ إذ ليس له في علم الحقيقة وهو مطلوب حتى في علوم الشريعة...ولا يغرّنك أيها الفقيه أنّ للتيجانية مجتمعا ورقصا فيعدّ طريقة، فإن الرّقص لا يكون طريقة لأن الطريقة علم وعمل معا، والرقص لا علم ولا عمل؛ أي لا عبادة... فيصفقون ويرقصون ويزغرتون، وذلك باطل ولَهْوٌ ليست منه العبادة ولا هو منها، وطريق الله تعالى مترهة عن هذا كلّه"[2].

4- دراسة مخطوط الحسام المشرفي:

إنّ مخطوط الحسام الذي ألّفه العربي المشرفي، من المؤلفات التي أغنت الساحة العلمية وقتها. فبالرغم من كونه ردٌّ على واحد مِن كبار رجالات المخزن المغربي، إلا أنه جاء ثريا بالاستطرادات التاريخية والأدبية المهمة. وجاء مصدرا مهمّا لتاريخي الجزائر والمغرب الأقصى في القرن التاسع عشر، حيث أسهم فيه بقسط لا يستهان به في التأريخ لهذين القطرين.

ورغم أن المشرفي قد خصص الحصة الأكبر في مخطوطه هذا للمغرب الأقصى، إلا أنه وفي حديثه عن الجزائر أفادنا بمعلومات غاية في الأهمية ربما سكتت عنها المصادر المعاصرة له، كثورة الدرقاوية ضد السلطة العثمانية، التي وإن أشار إليها باقتضاب، فإنه يكون قد نقل حقائق خفية عنها مِن كتاب درأ الشقاوة للحافظ أبي راس -والذي يعتبر في حكم المفقود- بكل أمانة أملتها عليه الظروف التي كان يعيشها بالمهجر، خاصة وأن المغرب كان طرفا مهما فيها. ورغم أنه قسم مؤلَّفه إلى مجموعة من التراجم، فإن الوحدة الموضوعية كانت تخونه في الكثير من الأحيان، حتى إن القارئ للحسام يجده يبحر في مواضيع مختلفة من تاريخ وأدب وشعر وأعلام وغيرها، وهي من أبرز سمات مؤلفات هاته الفترة.

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و129و.

2- المصدر نفسه، و46و.

أ- وصف مخطوط الحسام:

يقع مخطوط "الحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس" في 365 ورقة من الحجم الصغير (20/15سم)، مكتوب بخط مغربي واضح على العموم ابتدأه بقوله: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله. الحمد لله محصي مَن خلق كثرةً وقلّة، خالق الخلق لا لغرض أو علّة، باعث الرسل لتشتيت الأهواء المضلّة..."، وختمه قائلا: "انتهى الكتاب بحمد الكريم الوهاب". أما القسم المحقق فيحتوي على 162 ورقة (324 صفحة) تكمُل عند نهاية الترجمة الرابعة.

والمخطوط مقسّم بطريقة منظمة ومُمَنهجة إلى مقدمة وسبعة تراجم وخاتمة. وجاءت الترجمة السابعة أطول ترجمة في المخطوط، تليها الترجمة الرابعة. وأقصرها الترجمة الخامسة التي لم يتعدّ عدد صفحاتها 12 صفحة، أما بقية التراجم فجاء متقاربة من حيث الحجم.

وقد تكلم في المقدمة عن فضل علم التاريخ. أما الترجمة الأولى فضمّنها الحديث عن الكنسوس، وفي الترجمة الثانية تطرّق إلى الأشاعرة والشيخ عبد القادر الجيلاني، وعن إدريس الأكبر في ثالث ترجمة. وعن أولياء وزوايا المغرب في الرابعة. كما تطرق في الترجمة الخامسة إلى العالمين عبد الهادي السجلماسي وعبد الواحد بن سودة الفاسي. وعالج في السادسة مسألة انتخاب الوزراء، وفي آخر التراجم تكلّم عن عدة الملوك والدول الأواخر منهم والأوّل، ليختم المخطوط بالحديث عن مدينة فاس.

ب-أسلوب المشرفي في مخطوط الحسام:

طغت الانتقائية والأسلوب السردي الوصفي على جلّ مواضيع الحسام المشرفي. حيث أن أغلب فتراته جاءت سردية وصفية، نقل أغلب مادتها عن المصادر السابقة له خاصة في التراجم الخمسة الأولى، وجزء بسيط من الترجمة السابعة. وعادة ما كان يميل إلى الانتقائية سواء ما تعلق بالإستشهادات الشعرية أو أقوال العلماء وغيرها، لتبرير بعض مواقفه.

وأما فيما تبقى من التراجم خاصة الترجمة السادسة وجزء كبير من السابعة والخاتمة، فقد كان المشرفي مصدرا أساسيا لها. ذلك أنه أرّخ فيها للدولة العلوية زمن عبد الرحمن بن هشام

وابنه محمد من موقع الشّاهد على العصر، فسجّل أغلب آرائه وانتقاداته على هاتين الفترتين إلى سنة 1868 تاريخ انتهائه من تأليف الحسام.

وقد جاء أغلب أسلوب المشرفي سَلِسًا سهلا للغاية، لا تَكلُّف فيه إلا في حالات قليلة مثل قوله: "وقد علمتُ أني لا أَسلَمُ من مُنتقدٍ يتعلق بطوقي يعتقد في نفسه أنه في المعرفة فوقي"، "فإن للعقل نومةٌ وللفهم غفلة وللعبد زلّة"، "واخضرّ بالخصب الفحصُ، ومُحيت ذنوب أهله فتابع المحص فيه المحص"، "عنقاء مُغرب"، " نبوي النطفة والأخلاق وولي العطفة بغير إملاق".

كما أنه كان يميل كثيرا إلى استعمال السّجع والمحسّنات البديعية، ولا يركن إلى استعمال اللغة العامية والألفاظ الدارجة -وهي سمة أغلب مؤلفات عصره- إلا نادرا مثل: "الفيشطة"، "الدوّار" الذي يقصد به البادية.

ومن الأشياء التي يجب التنبيه عليها كذلك، هو أن مخطوط الحسام المشرفي جاءت أخطاؤه الإملائية والنحوية نادرة جدا إلا في بعض المواضع ومنها: "وعارٌ على حامي الحما وهو قادر" والصواب: "وعارٌ على حامي الحمى وهو قادر"، وقوله: "عداني" والصواب "عاداني"، "المنا" والصواب: "المنى"، "الواصع" والصواب: "الواسع"، "سِيَمٌ" والصواب: "سِيَمًا"، "أءابة" والصواب: "ذؤابة".

وقد غلب على أسلوب المشرفي النزعة الطرقية في الطّرح، فجاء أغلب المخطوط ذو توجه إيديولوجي معيّن أملاه عليه انتماؤه الدرقاوي. فلم يألُ جهدا إلاّ ووظّفه في خدمة هذا التوجه، سيما وأنّ الفكرة المحورية التي بنا عليها مواضيع مخطوطه هي الردّ على الكنسوس ذو التوجه الطرقي التيجاني، خاصة في مقدمة المخطوط والترجمة الأولى والثانية والرابعة التي انتصر فيها للدرقاوية والأشاعرة على حساب التيجانية.

كما أنه اتخذ من التشنيع على الكنسوس سنّة له في هذا المخطوط حيث يقول في خاتمته: "واشكر الناس ولا تكن كنسوسيا؛ فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن نظر إلى عيب أخيه ونسي عيب نفسه فقد عميت عيناه، ثم خُذِ الدرّ من الصدق وانتهز الفرص فإنها صدقٌ، وانظر إلى القول دون القائل وإلا فذلك ليس تحته طائل، ولا تأخذك العزّة استكبارا ولا

تحملُك الأَنَفَةُ على الإعراض استحقارا لصاحبه واستصغارا، بل انظر نَظَرَ مستنجد فإنْ رأيت ما يروقك فَاقْبَلْ وأقْبِلْ وإلاّ فأعرِضْ عنه وأدبر".[1]

ج- منهج المشرفي في مخطوط الحسام:

سلك المشرفي في الحسام منهجا سليما اتسّم بالدقة والتنظيم، ومزج فيه بين طريقة القدامى والمحدثين في التأليف، فجاء كتابه مقسّما تقسيما موضوعيا أنزله في مقدمة وسبعة تراجم وخاتمة. تحدث في البداية عن علم التاريخ وفضله وذِكر أول من أرّخ، وغير ذلك من المواضيع التي لها صلة بالتاريخ.

ولما كان محمد بن أحمد الكنسوس هو المعني بهذا التأليف، فقد أفرد له المشرفي ترجمة خاصة -الترجمة الأولى- وهو اختيار منهجي سليم سلكه المشرفي للرد على الكنسوس، فليس من المعقول أن يردّ عليه أوّلاً ويدع التعريف به لآخر المطاف. ثم وقف المشرفي بعد ذلك على أهم النقاط التي عابها على الكنسوس، وعالجها واحدة بواحدة في شكل تراجم. فخصص الترجمة الثانية للحديث عن الأشاعرة والشيخ الجيلاني الذي طعن فيه الكنسوس واتهمه بفساد الاعتقاد، فردّ المشرفي هذا الاتهام عن الأشاعرة والجيلاني بالترجمة لهما، وأتى بالأدلة والحجج الدامغة لإثبات صحة ذلك.

وأما الترجمة الثالثة التي خصصها لإدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة، والذي اتهمه الكنسوس بأنه جاء إلى المغرب الأقصى يطلب مُلكا. فقد دافع فيها صاحب المخطوط كذلك عن إدريس الأكبر ونفى عنه هذه التهمة بأقوال العلماء وأخبار السلف، ومستشهدا في الوقت ذاته ببعض مَن ألّف مِنَ المُحْدَثِين في هذا الإطار، كصاحب فتح الخبير وغيره.

وفي الترجمة الرابعة التي خصصها للحديث عن أولياء وزوايا المغرب. جاء ردّ المشرفي فيها على الكنسوس قويا، حيث ترجم وعرّف بأغلب زوايا وأولياء المغرب الأقصى، وكأنّ لسان حاله يريد أن يقول: إنّ زاوية التيجانية لم ولن يكون لها من الأمر شيئا، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك في الترجمة الخامسة وعرّف بكلٍّ مِن عبد الهادي السجلماسي وعبد الواحدة بن سودة اللذين طعن فيهما الكنسوس، فأفرد لهما ترجمة خاصة إكبارا وإجلالا وتوقيرا لهما.

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و365و.

وعلى حدّ زعم المشرفي، فقد طعن الكنسوس في الدولة الرحمانية والمحمدية وبعضا من رجالات مخزنهما، ومدينة فاس مَجْد أجدادهم. لذلك نجده يخصص الترجمة السادسة والسابعة وكذا الخاتمة للردّ عليه، وينتصر لبعض الأسر المخزنية كأسرة آل الجامعي.

كما عمد في ردّه على التيجانية إلى مدح الدرقاوية والرّفع من شأنهم، واعتبر زاويتهم"من الزوايا التي اشتهرت بمغربنا في آخر الزمان، وغطّت شهرتها كل زاوية نصبت للذكر في أي مكان من الأمكنة أو قطر من الأقطار، زاوية الشيخ المربي العربي الدرقاوي"[1]، والتي "كادت أن تنسخ الجميع لقيام أهلها على ساق الجدّ والاجتهاد، فطريقة غيرها في اضمحلال وهي في ازدياد، والمُجدّون للسير فيها من أهل العلم، فانشرحت صدور العامة للاقتداء بهم حتى صارت العامة من أهل هذه الوسيلة هم الخاصة من سائر الناس، والآخذون لوِردها عن قريب تكمل لهم المآرب، وفحولها صدور في المشارق والمغارب"[2].

ثم إن المشرفي لم يشف غليله بهذا، بل قدح في مدينة مراكش التي كان الكنسوس من نزلائها فقال: "الفقيه السوسي المدعو الكنسوس، نزيل حمراء مراكش التي معناها بلغة المصامدة إمش مسرعا، لأنها كانت مغارة تأوي إليها اللصوص"[3].

ومما ينمّ عن حدة الخصام بين الرجلين، ما جاء على لسان المشرفي في نزهة الأبصار من هجاء جارح خرج به عن الحدّ الشرعي حين قال: "وأقبح المواضع المسكونة بهذ الخط المعمور إداوْكنسوس وإداوْزكري؛ فأرضهم رقيقة فارغة من أوعار الجبال لها شبه بأرض الصحراء ذات شيح وفجاج ريح، أعظم كسبهم الضأن والمعز، وجلّ نبتهم القيصوم والزقوم وشوك السعدان، وغالب طباعهم مركبة من طباع جيرانهم إيلالة من كونهم لا يقرون ضيفا، ومنذ خلقهم الله لم يسلّوا والله أعلم في الجهاد سيفا...وأقبح من هذا كلّه أنّ إداوْكنسوس إذا أراد أحد الأخوين مثلا بقرة يأخذ الآخر في نظيرها جارية تخدمه مدة عمره، أو أخذ أحد الإخوة بغلة مثلا ويأخذ

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و129و-129ظ.

2- المصدر نفسه، و125ظ.

3- نفسه، و28ظ.

الآخر أباه نظيرها مثلا...فالأبوان يُورَثان عندهم بمنزلة المال والعبيد والأرقّاء، فما أقبحها عادة وما أشنعها إرادة".[1]

كما نجده يدافع عن العادة السائدة وقتذاك وهي عادة زيارة الأولياء، ويبررها مستشهدا ببعض أقوال المفسرين وأخبار السنة، والعادات التي شاهدها خلال رحلته للحج 1848 عند مروره بمصر، ويورد في ذات السياق فتوى المهدي بن سودة التي تؤيد ما ذهب إليه[2].

ولم يدّخر المشرفي جهدا في هذا الإطار ليغوص في درر التصوف ويعرّف بأقطابه وشيوخه، مبتدئا بالشيخ عبد القادر الجيلاني وزوايا المغرب الأقصى مثل زاوية أبي الجعد، والزاوية الناصرية، والزاوية الكنتية، والزاوية الدلائية، وزاوية أولاد البقّال، والزاوية الدرقاوية وغيرها.

وإلى غير ذلك من المواضيع المتنوعة والثرية، ضمّن المشرفي مؤلّفه فوائد تاريخية جمّة كحديثه عن ثورة درقاوة بالجزائر، وشيوخ التربية بالوطن الراشدي، وعرّف بجملة من فقهاء وعلماء القرن التاسع عشر، وعدد من رجال المخزن في عهد عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد.

5- مصادر مخطوط الحسام:

تنوعت مصادر الحسام بين التاريخية والصوفية والأدبية واللغوية والحديثية والفقهية. إلا أن الحصة الأكبر فيها كانت للمصادر التاريخية وكتب التراجم والتصوف. ويعدّ القرآن الكريم والتفاسير والأحاديث النبوية الشريفة من المصادر التي اعتمدها في هذا المخطوط، حيث عمد إلى الاستدلال بالآيات القرآنية على رواية ورش عن نافع، والأحاديث النبوية في مواضع كثيرة.

- **القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع:**

اعتمد عليه صاحب المخطوط إلى نهاية الترجمة الرابعة في ثلاثة وستين موضعا، إما مستشهدا أو مبررا ونحو ذلك. فاستشهد في معرض حديثه عن الحسد[3] بقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**﴾[4] ثم في حديثه عن الإعراض عن الجاهلين استدلّ بقوله تعالى:

1- العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 307-308.

2- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و55ظ.

3- المصدر نفسه، و3و.

4- فصلت، الآية 29.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1]. وخلال حديثه عن علم التاريخ[2] نجده يستشهد بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[3]، وعن عدد الشهور[4] ذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾[5]. كما برّر المشرفي عدة مواقف في كتابه مستشهدا ببعض الآيات القرآنية ومنها في حديثه الظلم ونتائجه[6] استشهد بقوله الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[8]، ثم في حديثه عن عظمة الله تعالى[9] استدلّ بقوله: ﴿وهو القاهر فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[10]وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[11] وقوله: ﴿ءامِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾[12].

- **مصادر التفاسير:**

اعتمد صاحب المخطوط على مصدر واحد في التفسير وهو "تشنيف المسامع ببعض فرائد الجامع" لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي، في معرض الحديث في الترجمة الرابعة عن تفسير قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[13] قائلا: "والنقباء اثنا عشرة: سعد بن عبادة، وسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وسعد بن خيثمة، والمنذر بن عمْر، وعبد الله بن رواحة، والبراء بن معرور، وأبو الهيثم بن التيهان، وأُسيد بن حُضير، وعبد الله بن عمرو بن حازم، وعبادة بن الصامت، ورافع بن مالك رضي الله عنهم. فهم الخيار من خيار هذه الأمة

1- الأعراف، الآية 199. ينظر: العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و11و.
2- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و18و.
3- البقرة، الآية 189.
4- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و18ظ.
5- التوبة، الآية 36.
6- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و29ظ.
7- الأنبياء، الآية 47.
8- الشورى، الآية 39.
9- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و75و.
10- الأنعام، الآية 18، الآية 61.
11- النحل، الآية 50.
12- الملك، الآية 16.
13- البقرة، الآية 143.

التي وصفها الله بالفضل. قال القشيري في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الوسط: الخيار. فجعل هذه الأمة خيار الأمم".[1]

- **مصادر الأحاديث النبوية الشريفة:**

وظّف المؤلف الأحاديث النبوية كثيرا، واستدلّ بها في ثمان وخمسين موضعا من الجزء المحقق إلى نهاية الترجمة الرابعة. وللأسف الشديد لم يوفّق في استقائها من مصادرها الأصلية مباشرة كصحيح البخاري وصحيح مسلم. ورغم ذلك فإنه اعتمد على فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني حين حديثه عن ابتداء تاريخ الإسلام قائلا: "فروي عن ابن شهاب الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أمر بالتاريخ فكتب في ربيع الأول...لكن قال في الفتح أنه معضل والمشهور خلافه".[2]

وخلال كلامه عن آل عبد المطلب اعتمد المشرفي على ما ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "وعن عثمان رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أوتي من بني عبد المطلب معروفا فلم يَقْدِر المطلبي على مكافأته فأنا أكافيه يوم القيامة".[3]

ومما يلاحظ على الأحاديث التي اعتمدها في المواضع المذكورة أن جلّها صحيحة إلا في موضعين أو ثلاث، وقد قمنا بتخريجها كاملة وبيّنا صحيحها من ضعيفها، معتمدين على كتب الصحاح والتخريج.

- **المصادر الفقهية:**

لم يعتمد المؤلف كثيرا على المصادر الفقهية. وربما يرجع ذلك إلى طبيعة موضوع المخطوط، حيث اعتمد على ثلاثة مصادر فقهية مالكية، أولها التمهيد لابن عبد البرّ القرطبي الذي استعان به خلال حديثه عن القضاء والقدر قائلا: "وفي التمهيد لابن عبد البرّ بسنده: أن

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و160ظ.

2- المصدر نفسه، و17و.

3- نفسه، و89ظ.

بعض الأمراء سأل محمد بن واسع عن القضاء والقدر فقال له: أيها الأمير؛ إن الله تعالى لا يسأل يوم القيامة عبده عن القضاء والقدر، وإنما يسأله عن عمله".[1]

وأما الثاني فكتاب المدخل لابن الحاج، حيث استدل به في تحقيق مسألة زيارة الأولياء وبيان مشروعيتها من عدمها إذ يقول: "ومن ذلك قول ابن الحاج في المدخل حيث قال: فإن كان الميت المزور ممن ترجى بركته فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل بالميت وترجى بركاته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل يبدو بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم إذ هو العمدة في التوسل والأصل في ذلك كله والمشرع له، فيُتوسّل به صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسان. وقد روى البخاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أنس رضي الله عنه أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان إذا استسقى بالعباس رضي الله عنه يقول: اللهم إنا كنا/و58ظ/ نتوسل إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم فاسقنا؛ قال: فيُسقوْن؛ انتهى"[2].

وأما المصدر الثالث فهو الرسالة القيروانية لابن أبي زيد القيرواني، وقد اعتمده لبيان بعض المسائل العقدية وذلك في موضعين اثنين[3].

- **مصادر الأدب واللغة وعلومها:**

اعتمد المؤّلف على بعض مصادر الأدب واللغة وعلومها؛ منها ما صرّح به وهي القلّة مثل كتاب الصحاح للجوهري الذي ذكره عرضا نقلا عن ابن خلكان، وتسهيل الفوائد لجمال الدين ابن مالك. إلا أن اعتماده على هذا الأخير، كان في موضع واحد فقط. ومما تحسن الإشارة إليه، أنه قد ذكر في الترجمة الأولى كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الذي لم ينقل عنه، وإنما ورد ضمن الفقرات التي كان ينقلها حرفيا عن ابن خلكان في وفيات الأعيان.

وهناك مصادر مهمة لم يصرّح بها أو حتى أشار إليها، وهو ما جعل عملية إحالة النصوص الأدبية واللغوية إلى مصادرها الأصلية أمرا صعبا، وعملية مضنية أخذت منا وقتا كثيرا، وعلى رأسها كتاب العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأديب والمؤرخ

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و32و.
2- المصدر نفسه، و58و.
3- نفسه، و75و-و75ظ.

الأندلسي. وهو مصدر في الأدب واللغة اهتم بجمع الأخبار والطرائف والنوادر في مختلف العصور التاريخية، ونقل عنه المؤلف فقرات طويلة، وأبياتا شعرية كثيرة دون أدنى إشارة إليها. لكننا استطعنا بعد البحث والتقصي أن نوثّقها كلّها ورددناها إلى مصدرها الأساسي العقد الفريد، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

"قيل لعدي بن حاتم ما السَودَدُ؟ قال: السيدُ هو الأحمق في ماله، الذليل في عرضه، المطّرح لحقده"[1]. وفي موضع آخر: "وقال رجل للأحنف بن قيس: لم سَوّدَك قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا أحسنهم وجها، ولا أصبحهم خلقا؟ فقال له الأحنف: بخلاف ما فيك يا بني؟ قال وما ذاك؟ قال: بتركي مِن أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري لا يعنيك"[2]. وفي مكان آخر: "وقالت عائشة رضي الله عنه : كلُّ كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به، تريد أن أوْلى الأمور بالإنسان فِعال نفسه إن كان كريما وآباؤه لئام لم يضره ذلك، وإن كان لئيما وآباؤه كرام لم ينقصَه ذلك من لؤمه"[3].

- **المصادر التاريخية وكتب التراجم:**

تنوعت مصادر الحسام بين التاريخية وكتب التراجم، حيث اعتمد فِعْلِيًا إلى نهاية الترجمة الرابعة على ثلاثة وعشرين مصدرا، نقل عن بعضها معلومات قليلة وعن البعض الآخر فقرات طويلة. وكان الغالب عليه اعتماده على مصادر التراجم بشكل كبير بمعدل ستة عشر مصدرا، تليه المصادر التاريخية بسبعة مصادر.

وقد اعتمد المؤلف على كتابيه نزهة الأبصار وأقوال المطاعين، في بعض المواضع من الترجمة الأولى والرابعة.

ومن كتب التراجم التي اعتمدها كتاب وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان لابن خلكان، الذي نقل عنه المؤلف فقرات طويلة خاصة في الترجمة الأولى من المخطوط. ومن أمثلتها عند ذكره لطويس المغني: "قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني: اسمه عيسى بن عبد الله وكنيته أبو عبد المنعم وغيّرها المخنثون فقالوا عبد النعيم وهو مولى بني مخزوم وطويس

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و32ظ-و33و.
2- المصدر نفسه، و33و.
3- نفسه، و33و.

لقب عليه"[1]. وفي موضع آخر: "وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف في فضل عامر بن عبد الله الصحابي رضي الله عنه: ومن موالي آل كُريز طويس مولى أروى بنت كريز وهي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، واسمه عبد الملك وكان يكنى أبا عبد النعيم".[2]

ومن مؤلفات التراجم التي كانت حاضرة بكثرة، كتاب طبقات الشافعية الكبرى وكتاب معيد النعم ومبيد النقم للسبكي. وقد اعتمد عليهما المؤلف بشكل كبير في الترجمة الأولى. ومن أمثلة ما اعتمده نذكر: "قال التاج السبكي في معيد النعم ومبيد النقم: فلابد أن يكون المؤرخ عالما عدلا عارفا بحال من يترجمه ليس بينه وبينه من الصداقة ما يحمله على التعصب، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغض عنه"[3]. ثم قوله: "وقال السبكي في طبقاته: إن المالكية أخص الناس بالأشعري، إذ لا نحفظ مالكيا غير أشعري، ونحفظ من غيرهم طوائف جنحوا إما إلى اعتزال أو تشبيه، وإن كان مَن جنح إلى هذين من رعاع الفرق"[4].

وقد اعتمد المشرفي كذلك على كتاب الذيل على طبقات الحنابلة للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الشهير بابن رجب الحنبلي عند ترجمته للجيلاني قائلا: "وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش. قال: وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أُنزل على كل نبي أُرسل بلا كيف، وذكر كلاما طويلا وذكر نحو هذا في سائر الصفات. انتهى كلام ابن رجب".[5]

ومن كتب التراجم كذلك بهجة الأسرار للشطنوفي، الذي نقل عنه فقرات طويلة في الترجمة الثانية دون أن ينبه على ذلك كقوله: "وحُكي عن الشيخ سيدي علي بن الهيثمي رضي الله عنه، أنه سئل عن الشيخ عبد القادر الجيلي قال: كان على قدم الموافقة مع التبرّي من الحول والقوة، وطريقة تجريد التوحيد وتوحيد التفريد مع الحضور، في موقف العبودية بسرٍ قائم في

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و29و.
2- المصدر نفسه، و29و.
3- نفسه، و29و-و29ظ.
4- نفسه، و68ظ.
5- نفسه، و73ظ.

مقام العبدية لا بشيء ولا لشيء، فكانت عبوديته مستمدة من لحظ جمال الربوبية، فهو عبدٌ سما عن مصاحبة التفرقة إلى مطالعة الجمع مع أحكام الشرع".[1]

ومن مصادر التراجم التي أفاد منها صاحب المخطوط كذلك، تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي، حيث اعتمده في الترجمة الثالثة في حديثه عن قدوم إدريس الأكبر إلى المغرب الأقصى: "قال الحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء: وفي سنة خمس وأربعين كان خروج الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فظفر بهما المنصور فقتلهما وجماعة كثيرة من أهل البيت، فإنا لله وإنا إليه راجعون".[2]

وفي حديثه عن إدريس الأكبر والدولة الإدريسية في الترجمة الثالثة؛ نقل المشرفي فقرات طويلة عن ابن ريسون محمد بن محمد الصادق الحسنى العلمي في فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير. وعن ابن أبي زرع الفاسي، في الأنيس المطرب بروض القرطاس. حيث اعتمد عدة فقرات نقلها عنهما نقلا حرفيا ومن أمثلة ذلك:

"وقال مؤلف فتح الخبير في تهذيب نسب الإمام الأمير ما نصه: مولانا إدريس الأكبر هو سابع أولاد مولانا عبد الله الكامل، وهو الذي حاز بالمغرب رئاسة الدين والدنيا فارتفعت بسببه كلمة الإسلام وانخفضت كلمة أهل الشرك اللئام، ففراره إلى المغرب بنفسه فيه نكتة عظيمة، وصَحِبه مولاه راشد، فلما حلّ مدينة طنجة لم يجد بها مراده؛ فسار منها إلى بلد زرهون فنزل على صاحبها المتولي على قبائل أوربة إسحاق بن محمد بن عبد المجيد الأوربي بمدينة وليلي فأجاره وجمع البربر على دعوته؛ فاجتمعت عليه فبايعوه بأسرهم، واستقام له الأمر بالمغرب إلى أن مات مسموما رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مترلته ومثواه بجاه جده مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم".[3]

وقوله: "ثم رأيت في كتاب القرطاس لأبي الحسن بن أبي زرع ما معناه: أن الإمام محمد بن عبد الله لما قام على المنصور في السنة المذكورة، جهّز إليه المنصور جيشا ففرّ إلى بلاد النوبة مهزوما فأقام بها إلى أيام المهدي، فأتى مكة أيام الموسم ودعى بها لنفسه فأجابه إلى ذلك أهل

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و77و.

2- المصدر نفسه، و83ظ.

3- نفسه، و84ظ.

الحجاز، وبعث من إخوته من يدعو له في الأمصار، فلما قويت شوكته خرج من مكة في عسكر عظيم وقد نهر إليه جيش المهدي؛ فالتقى الجمعان على ستة أميال من مكة بموضع يعرف بفخّ، فكانت بينهما حرب عظيمة قُتل فيها الأمير محمد وقُتل من جيشه خلق كثير، وكانت هذه الحادثة يوم السبت ثامن ذي الحجة سنة 169هـ"[1].

ومن كتب التراجم التي اعتمدها كذلك، كتاب كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار للغريسي أبو زيان بن أحمد، حيث نقل عنه المؤلف عدة فقرات في الترجمة الرابعة خلال حديثه عن الزاوية الدرقاوية[2].

وأثناء حديثه عن علم التاريخ وفضله، نقل المشرفي عن عبد الهادي نجا المصري الأزهري في سعود المطالع لسعود المطالع، فقرات طويلة ومنها لا على سبيل الحصر: "وقال في سعود المطالع ما نصه: الفن الأربعون في التاريخ: وهو من أجلّ العلوم قدرا، وأجلاها في ظلمات الحيرة بدرا، يُكسب صاحبه النباهة حتى يفوق أمثاله وأشباهه، فيحوز المراتب العليّة ويفوز بالمطالب السنية، إذ به يستنير الفكر والألباب وتُعلم حوادث الأزمنة والأحقاب، وبمرآته ينكشف ما دوّنه الأوّلون من العلوم والصنائع، ويظهر ما خفي من أحوال القرون السالفة وأخبار الأمصار الجامعة وما فيها من الآثار والمنافع".[3]

وقد تطرق المشرفي إلى موضوع الخلافة والملك، واعتمد مقدمة ابن خلدون كمصدر أساسي له في هذا الباب، حيث يقول: "وفي ابن خلدون ما نصه: واعلم أن الشرع لم يذم الملك لذاته، ولا حظر القيام به، وإنما ذم المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع باللذات، ولا شك أن في هذه مفاسد محضورة وهي من توابعه، كما أثنى على العدل والنصفة وإقامة مراسيم الدين والذبّ عنه وأوجب بإزائها الثواب؛ وهي كلّها من توابع الملك[4]. ثم قوله: "فإذًا إنما وقع الذمّ للمُلك على صفة وحال دون حال أخرى، ولم يذمّه لذاته ولا طَلَبَ تركهُ"[5]، وقوله: "وإذا

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و83ظ.
2- المصدر نفسه، و125ظ.
3- نفسه، و17ظ.
4- نفسه، و108ظ.
5- نفسه، و108ظ.

تقرر أنّ هذا نصب وجب بالإجماع فهو من فروض الكفاية وراجع إلى اختيار أهل الحل والعقد يتعين عليهم نصبه، ويجب على الخلق جميعا طاعته".[1]

وفي معرض كلامه عن إدريس الأكبر، نجده يعتمد على مصدر مهم في هذا الباب ويتعلق الأمر بالروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون لابن غازي. فاستعان به للردّ على الكنسوس الذي قال إن إدريس الأكبر قَدِمَ يطلب مُلْكا قائلا: "لما استولى الفتح على المغرب شملَ مدينة وليلي وغيرها، وبها نزل الطاهر التقي النقي إدريس بن عبد الله الكامل رضي الله عنه على شيخ أوربة حسبما هو مذكور في تاريخه".[2]

- مصادر الرحلات والجغرافيا:

أخذت مصادر الرحلات والجغرافيا الحصة الأقل في مخطوط الحسام حتى نهاية الترجمة الرابعة، بمعدّل رحلة واحدة وهي الرحلة العياشية المسماة ماء الموائد، ومصدر جغرافي واحد متمثلا في كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار؛ هذا الأخير اعتمده في موضع واحد عند نهاية الترجمة الثالثة.

أما ما تعلق بالرحلة العياشية، فقد اعتمد عليها في عدّة محطات من الترجمة الرابعة ومنها قوله: "وممن جمع بين الثلاثة ولا أحفظ لها رابعا إمام العارفين أبو سالم العياشي. قال في رحلته: فلما كان يوم الأربعاء اجتمعتُ بالشيخ جمال الدين الهندي بالمدرسة الداوُودية، جمعني به شيخنا وصاحبنا الشيخ علي بَاحَاجْ اليمني بعدما سألته عمّن هو اليوم في الحرمين أفضل هذه الطائفة النقشبندية".[3]

وأما كتاب الاستبصار، فقد أشار إليه في خاتمة الترجمة الثالثة قائلا: "وذكر الباجي في كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: كنتُ بلغتُ قَرْطاجنة ومعي غلام نمشي في آثارها ونعتبر بعجائبها؛ فإذا بقبر مكتوب عليه بالحِمْيَرِية أنا عبد

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و108ظ.
2- المصدر نفسه، و83و.
3- نفسه، و126و.

الله بن الأوْس رسولُ الله صالح، وفي رواية بعضهم: أنا مغيثٌ بُعثت إلى أهل هذه القرية أدعوهم إلى الله؛ أتيتهم ضُحًى فقتلوني ظُلْمًا فحسيبهم الله".[1]

- **مصادر التصوف:**

طغت النزعة الطرقية الدرقاوية على مخطوط الحسام. وهو ما نلمسه كثيرا في التراجم الأربعة المحققة، حيث أخذت المصادر الصوفية الحصة الأكبر في هذا المخطوط بمجموع ثلاثة وعشرين مصدرا توزعت بين العصرين الوسيط والحديث.

وقد كان المؤلف كثير الاعتماد على المصادر الصوفية المغربية على وجه التحديد، ومنها كتاب وُصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى لأبي العباس أحمد بن علي بن محمد البوسعيدي، حيث اعتمده في الحديث عن فضائل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "قال الشيخ أبو العباس في وُصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى ما نصه: وفي تاريخ نيسابور أنّ علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين رضوان الله عليهم أجمعين...".[2]

كما اعتمد كذلك على مخطوط بذل المناصحة في فعل المصافحة لأحمد بن علي السوسي الهشتوكي الصنهاجي؛ هذا المخطوط يعدّ في حكم المفقود وقد ظهرت منه ست ورقات موجودة بمركز آل سعود للدراسات الإسلامية بالدار البيضاء المغربية، ولا تكف لتوثيق ما نقله المشرفي عنه.

ومن المصادر المهمة التي اعتمدها المؤلف في هذا الباب كتاب جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر للمسناوي، حيث وظّفه المشرفي توظيفا حسنا -في الترجمة الثانية بصفة أكبر وبصفة أقل في الترجمة الرابعة- أثناء ردّه على الكنسوس الذي اتهم الأشاعرة وعبد القادر الجيلاني بفساد الاعتقاد. وانتصر لكليهما اعتمادا على ما جاء في هذا المصدر، ومن أمثلة ما اعتمده: "قال في جهد المقل القاصر: ولقد أنصف القاضي تاج الدين السبكي رحمه الله إذ قال في كتابه معيد النعم ومبيد النقم: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة في العقائد يدّ واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ أهل السنّة أبي

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و94ظ-و95و.

2- المصدر نفسه، و90ظ.

الحسن الأشعري رحمه الله، لا يحيد عنها إلا رعاعٌ من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرّأ الله المالكية فلم يُر مالكي إلا أشعريٌ عقيدةً؛ انتهى بلفظه"[1]، وقد اعتمده المؤلف اعتمادا كبيرا في الترجمة الثانية.

وأما كتاب بغية الإلف في ابن يركى تلف لأحمد البكاي الكنتي؛ فهو من المؤلفات القيمة كذلك والتي أخذت قسطا وافرا من مخطوط الحسام، خاصة في الترجمة الأولى التي ردّ فيها المشرفي على الكنسوس والتيجانية وشيخها. حيث ردّ فيها ردّا عنيفا وصل إلى حدّ التنقيص من قدر شيخ التيجانية إذ يقول: "ثم قال في كتابه بغية الإلف في الرد على ابن يركى تَلَفَ رَجُلٍ على طريقة التجاني: إنّك يُذكر عنك أنّك من التجانية وكل تابع على قدر متبوعه وفتحه على قدر فتحه، وكل أناسٍ يَدْعُون بإمامهم"[2].

واعتبر المشرفي الرد على الكنسوس بمثابة ردّ على الطائفة التيجانية كلها حين يقول في موضع آخر: "والردّ على الواحد من الطائفة ردّ على الجميع، واتّكالا على ما سطّره إمام العارفين سيدي أحمد البكاي الكنتي في كتاب بغية الإلف في الرد على ابن يركى تلف من البدع التي عليها أهل هذه الزاوية".[3]

ومن المؤلفات الهامة التي أغنت المخطوط كثيرا في هذا الجانب، كتاب مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن للعربي الفاسي، خاصة فيما يتعلّق بتحقيق مسألة الزيارة، التي يرى التيجانية أنها من البدع المحدثة في زمانهم. فردّ المشرفي على الكنسوس اعتمادا على سطّره صاحب المرآة.

ومن المواضع التي اعتمده فيها على سبيل المثال قوله: "وقد حقق مسألة الزيارة العارف بالله سيدي يوسف الفاسي في جواب له عن سؤال نصه: سئل واسطة عقد حضرة الولاية وعلم أهل الحفظ بالرعاية والعناية عماد الملة والدين ومحط رحال الطالبين، لسان الشريعة والحقيقة، وترجمان ما اعتاص من مُقْفل كلام أهل الطريقة مسائر السالكين وأمانيهم من أراجيف الضلال وتتميمة عقول المجذوبين وصدمة شعاع الكمال، إمام الواصلين ونخبة المقربين ورافع لواء

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و68و-و68ظ.
2- المصدر نفسه، و50و.
3- نفسه، و129و.

العارفين وسلطان المحبوبين، صاحب الهمّة الخافضة الرافعة والقوة الجالبة الدّافعة، مجدّد ما عفا من الدين بعد ما لم يبق منه إلا اسمه، ومُحي ما دثر من طريق الله حين لم يوجد منه مع من يظنّ به تحقيقَه إلا رسمَه، قطب الحال والمقال وإمام جامع أهل القبضة والوصال، شيخنا وعمادنا ووسيلتنا إلى الله سيدي أبو الحجاج يوسف بن محمد القصري".[1]

ويعدّ شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة، من أجلّ المؤلفات الصوفية التي استعان بها صاحب المخطوط. فهو من مراجع الأدب الصوفي بالمغرب في عصر الدولة العلوية المتأخر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع، حيث تحدّث فيه بإسهاب عن الصوفية والمشيخة الصوفية، وغيرها من المواضيع ذات الصلة بموضوع التصوف. وقد استعان به في عدّة مواضع منها: "ففي شرح المباحث الأصلية: التلميذ إذا آثر الدنيا على الآخرة والشبعَ على الجوع؛ والراحة على التعب، وخالف مأمورات شيخه، ناصيته بيد الشيطان. وفيه أيضا: من ادّعى الشيخوخة والتصدير للتربية و لم تكمُل فيه الأوصاف الإثني عشر المذكورة فليس لله به حاجة".[2]

ورغم أن المؤلّف استعان بمؤلفات صوفية لمتصوفة مغاربة من العصر الحديث؛ فإن ذلك لم يمنعه من الاستئناس بمؤلفات المتصوفة المشارقة القدامى، مثل كتاب الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري والرسالة القشيرية للقشيري. فكان دائم الاستشهاد ببعض الأقوال الواردة فيها ومنها: "وفي الحكم العطائية: ربما رُزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة"[3]، وقوله: "ففي الرسالة القشيرية: قال أبو عبد الله بن خَفيف: اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلّموا لهم حالهم: الحارث بن أسد المحاسبي، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رُويم، وأبو العباس بن عطاء، وعمر بن عثمان المكي، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق".[4]

- **مصادر علم الكلام:**

اعتمد المشرفي على كتاب المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي كمصدر من مصادر علم الكلام، وذلك في معرض حديثه عن الحق هل يُعرف بالرجال؟ أم الرجال يُعرفون بالحق؟

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و55ظ.
2- المصدر نفسه، و42و.
3- نفسه، و50ظ.
4- نفسه، و138ظ.

حيث يرى المشرفي بأن الكنسوس إنما طعن في الأشاعرة وعبد القادر الجيلاني وغيرهم من علماء الأمة عن جهل. واستدلّ بما ذكره الغزالي قائلا: "وقال أبو حامد في كتابه المنقذ من الضلال: وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق، فالعاقل يقتدي بمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث قال: لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله. والعارف العاقل يعرف الحقّ ثم ينظر في نفس القول فإن كان حقّا قَبِلَه سواء كان قائله محقا أو مبطلا...هو الغالب على أكثر الخلق، فمهما نسبت الكلام وأسندته إلى قائل حَسُن اعتقادهم فيه؛ قبِلوه وإن كان باطلا، وإن أسندته إلى من ساء اعتقادهم فيه ردّوه وإن كان حقا وأبوا يعرفون الحق بالرجال وذلك غاية الضلال".[1]

وهناك مصادر عامة اعتمدها المؤلف مثل كتاب لقط المرجان في أخبار الجان للسيوطي.

6- وقفات منهجية مع مخطوط الحسام:

يلاحَظ قلّة الأخطاء التاريخية في مخطوط الحسام إلا في حالات قليلة جدا مثل قوله عن وفاة الجيلاني: وقد توفي رضي الله عنه في حدود الخمسين بعد خمسمائة والصواب هو: الستين بعد خمسمائة.

وكثيرا ما كان المؤلف ينقل فقرات طويلة من مصادر معينة دون الإشارة إلى أصحابها، كما فعل مع العقد الفريد الذي نقل عنه فقرات طويلة في الترجمة الأولى دون أن يشير إلى ذلك. ثم كتاب بهجة الأسرار للشطنوفي، وكتاب التشوف للتادلي.

وهناك عدة مصادر ذكرها صاحب المخطوط، لكن لم نستطع الحصول عليها لا في المكتبات الوطنية ولا المكتبات العربية (المغرب)، مثل المنهاج لابن البنا وتاريخ الصوفي وفرائد القلائد وغيرها، لكننا بحمد الله وُفّقنا في الحصول على أغلبها.

كما كان صاحب المخطوط يورد نصوصا أو فقرات، أو أبياتا ومقطوعات شعرية، أو روايات تاريخية دون تحديد هوية القائل كقوله: "قال بعض العارفين في تأليف له في التصوف"[2]

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و30و-و30ظ.

2- المصدر نفسه، و39و.

دون أن يحدد هذا العارف أو مؤلّفه؛ وهو ما تكرر في عدّة مناسبات في المخطوط إلى نهاية الترجمة الرابعة.

ذِكرُ المؤلف للأبيات الشعرية دون ذكر أصحابها، وهو ما تكرر كثيرا في الجزء المحقق، مما اضطرّنا للبحث عن أصحابها وإحالتها إلى مصادرها، حيث قمنا باستخراج أغلبها ورددناها إلى مصادرها الأصلية، مثل قوله في الأبيات التالية وهي لأبي نواس: [1] (من الطويل)

كيف التروع عن الصبا والكأس ** قِسْ ذا لنا يا عاذلي بقياسي

قالوا شمِطْتَ فقلت ما شمِطَتْ يدي ** عن أن تحث إلى فمي بالكأس

وقوله في أبيات لنصر بن كشاجم:[2] (من الطويل)

يقولون تُبْ والكأس في كفٍّ أُغَيْدِ ** وصوت المثاني والمثالث عالي

فقلت لهم لو كنت أَزْمَعْتُ توبة ** وأبصرت هذا كلّه لَبَدَا لِي

وهناك أبيات أو مقطوعات وقصائد شعرية في متن المخطوط صعب علينا تخريجها أو التعرف على أصحابها مثل: (من الكامل)

بغرامِ مَن سَكَنَ الحشا فلتفرحِ ** واترك مناصحة العواذل واطْرَحِ

ومتى يطيق الصبّ كتمان الهوى ** ومتى يَلِذُّ له حديث النصح[3]

وقوله: (من الطويل)

لئن فُجِعَ الأحشاءُ منا بفقده ** فما فاته من أنتَ تعقبُه خيرُ

وإن فقدَتهُ الخلْقُ شيخَ هداية ** فقد طالما أضحت وأنت لها ذخر[4]

وفي الكثير من الأحيان كان ينقل أبياتا شعرية ويتصرف في بعض مفرداتها مثل:

أما (الخيط)[5] فشدَّ ما ذهبوا ** بانوا و لم (يقضوا)[6] الذي يجب

1- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و10و.

2- المصدر نفسه، و10و.

3- نفسه، و96ظ.

4- نفسه، و100و.

5- "الخليط" في الأصل. ينظر: العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و6ظ.

6- "يعطوا" في الأصل.

والـــدار بعـــدهم كوشـــم يـــدٍ ** يـــا دارُ فيـــك وفـــيهمُ العَجَـــب
أيـــن الـــتي صِـــيغَت محاســـنُها ** من فضّة (شـــيبت)[1] بهـــا ذهـــب
وليَ الشـــبابُ فقلـــت أندُبُـــه ** لا مثل مـــا قـــالوا (ولا)[2] نـــدبوا

وقوله:[3]

إن في الأحـــداج مقصـــورة ** وجهها (يهتك)[4] ستر الظـــلام
تحسب الهجـــر حـــلالاً لهـــا ** وترى الوصـــل عليهـــا حـــرام
ما تأسّـــيك بـــدارٍ خلـــت ** ولشعب شـــتّ بعـــد التئـــام
إنما ذِكْرُك مـــا قـــد مضـــى ** (ضُلّة)[5] مثـــل حـــديث المنـــام

وجود بعض الأخطاء الإملائية في كتابة بعض المفردات مثل:

من (رأى)[6] الذلفاء في خُلوة ** لم يـــر الحـــدّ علـــى الـــزاني

وفي الغالب كنا نصحح الأخطاء النحوية والإملائية التي تخلّ بمحتوى المتن، دون التنبيه عليها في الهامش، وقمنا بكتابة بعض الألفاظ والكلمات بالطريقة الحديثـــة المتّبعـــة في تحقيـــق النصوص، وفيما يلي بعض الأمثلة لتوضيح ذلك: القرءان/القرآن، ساير/سائر، العقايد/العقائد، الأيمة/الأئمة، تعلى/تعالى، المغرب الأقصـــا/المغـــرب الأقصـــى، ءادم/آدم، تـــاليف/تـــأليف، الحقايق/الحقائق، الاحساب/الأحساب، الانساب/الأنساب، العصات/العصاة، لاكنني/لكـــنني، لاكن/لكن، الاشراف/الأشراف، المشايخ/المشـــائخ، الادبـــاء/الأدبـــاء، ادريـــس/إدريـــس، القصايد/القصائد، يرجوا/يرجو، الاقدر/الأقدر، مسايل/مسائل، رياسة/رئاسة، تاسيس/تأسيس، توذونا/تؤذونا، الماقول/المقول، مساويهم/مساوئهم، الصفا/الصفاء، فأومن /فأؤمن، البير/البئـــر، البرابر/البربر، الخ/إلى آخره، ه/انتهى.

1- "قد شابها" في الأصل.
2- "وما" في الأصل.
3- العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و6ظ.
4- "مهتك" في الأصل.
5- "جلّةُ" في الأصل.
6- "رءا" في الأصل.

7- **وضع الرموز والعلامات:** ولتوضيح نص المخطوط قسّمنا المتن إلى فقرات وقصائد شعرية ووضعنا لها عناوين تناسبها، واستعملنا الرموز والعلامات التالية:

- ﴿ ﴾: القوسان المزهّران لحصر الآيات القرآنية.
- « »: الفاصلات المزدوجة لحصر أسماء الكتب الواردة في نص المخطوط.
- [ ]: المعقوفتان لحصر كل ما سقط من لفظ أو فقرة في نص النسخة الأصل أو النسخة الثانية المعتمدة في المقابلة، أو لحصر العناوين أو الزيادات التي هي من إنشائنا.
- - -: العارضتان لحصر الجمل الاعتراضية.
- ( ): القوسان لحصر إضافة أو تصحيح خطأ ضروري استدعته عملية التحقيق.
- " ": المزدوجتان لحصر الأحاديث النبوية الشريفة والنصوص المنقولة حرفيا.
- / /: الخطّان المائلان لحصر أرقام ورقات المخطوط المحقق.
- هـ: التاريخ الهجري.
- م: التاريخ الميلادي.
- [كذا]: لحصر الكلمات التي استعصى علينا قراءتها.

قسم التحقيق

مقدمة المخطوط

الترجمة الأولى: في الفقيه السوسي محمد الكنسوس

الترجمة الثانية: في الأشاعرة

الترجمة الثالثة: في مولانا إدريس الأكبر

الترجمة الرابعة: في أولياء المغرب ومَنِ الولاية في غيرهم عنقاء مُغرب

لبسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله

/و**1**و/ الحمد لله محصي مَن خلق كثرةً وقِلَّة، خالق الخلق لا لغرض أو علّة، باعث الرسل لتشتيت الأهواء المضلّة، الذي زيّن قلب المؤمن وحلاّه ببياض الإيمان وحُسن الاعتقاد، وشيّن قلب المنافق وسوّده بسوء[1] الظن والانتقاد. فسبحانه مِن إِلَهٍ ترجو رحمته العصاة، ومِن حِلمه شفّع فينا مَن سبّحت في كفّه الحصاة، ومِنْ عَفوِه وامتنانه يعفو عن السيئات وعنده أمّ الكتاب، يمح ما يشاء ويثبت ويبدل السيئات حسنات. ولا يضرّ العبد إلا الكفر والإصرار على الزندقة والنفاق، فهذا شقيّ في الدنيا ومَا لَهُ في الآخرة مِن خلاق، حمدا مَمْدُودًا مَدَاه. وأشهد أنه المعبود بالحق لا إله لنا سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بمكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه المبرّئين من الشّك وسوء الإملاق؛ وبعد: فإن مؤلِّفَه يطلب من ساداته الصالحين نور نظرة تحطّ عنه أسوار ظُلمته وتمحق كثافة بشريته، وتردّه إلى مولاه طوعا أو كرها في كل ما يؤمر به أو عنه يُنهى. فإنه من عِترتهم بل ومن عبيد حضرتهم، وعارٌ على حامي (الحمى)[2] وهو قادر[3]/و**1**ظ/ فإني مستنير بنظرتهم؛ منتظمٌ بسبقية السعادة إن شاء الله في عَقد عِترتهم.

[ذكر المؤلِّف سبب تأليف الكتاب]:

إذ لا زال نور النبوءة هاديا للتائهين مثلي، مرشدا لمن بلغ في غاية الجهالة كجهلي، ويَذكُر لساداته العلماء الممدوحين في الأرض والسماء، ما بلغه بالسماع المستفيض عن تأليف عالم مراكشة الذي عيّر فيه أولياء الله ورماهم فيه بالزندقة والفاحشة. وهذا هو الباعث لنا على تسطير هذه الأوراق بما يوجب الردّ عليه، حتى يجول[4] في يمن فاس وشام الغرب وحوز المدينة الحمراء المضاهية للعراق. لأني رِقُّ إحسانهم وغريق في بحر جودهم وامتنانهم، ورجاء أن تطلع شمسي في برج الشفاء من علل الدنيا، ونُحصّل إن شاء الله في الأخرى فضيلة الضيافة والاصطفاء بمجاورة الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وأولئك حسن بهم الاكتفاء، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة لمن دعاه جدير.

1- "بحسن" في (ب) وهو تحريف.

2- "الحما" في الأصل والصحيح ما أثبتناه.

3- في إشارة إلى قول عبد القادر الجيلاني: وعار على حامي الحمى وهو قادر* إذا ضاع في البيدا عقال بعير

ينظر: ابن حجة الأموي تقي الدين، خزانة الأدب وغاية الأرب، مصر: المطبعة الخيرية، 1304هـ/1886م، ص: 124.

4- "يحول" في (ب) وهو تصحيف.

وقد علمتُ أني لا أَسلَمُ من مُنتقدٍ يتعلق بطوقي، يعتقد في نفسه أنه في المعرفة فوقي، لكني أُقرّ له بقصر الباع، وقلّة النظر والاطّلاع. غير أنّ الغيرة حملتني أنْ أرميَ مَن رمى الأشاعرة[1]، بما به يندقُّ ظهرُه وتَنْشَلُّ مشاعره، والذكي الماهر يحمل الكلام القاصر على وجه ظاهر. فإنّ سيّد الأكياس مَن صوّب خطأ الناس، ومن اتسع علمه قلّ إنكاره، ومن قلّ علمه/و2و/ كَثُر إنكاره، ومن كثر إنكاره كُسفت أنواره، وربما وقع حيث لا تُقَال عِثاره.

[ذكر محمد الكنسوسي المعني بهذا التأليف]:

وهذا السوسي المدعو الكنسوسي[2]، من بين الطائفة التجانية، ألجم الحسد لسانَه، وأطال على فرس العصبية سنانه. لكن السّلامة منه ومن سائر الخلق قضية في المحال مفروضة، وأعراض الأشراف لم تَزَل بألسنة اللئام مقروضة ﴿**وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[3]. ولا شك أن الكريم حِلْيَتُهُ الغضّ، واللئيم حرفته العضّ. اللهم اغفر ما طغى به القلم، أو زلّت به القدم، فإن للعقل نومةٌ، وللفهم غفلة، وللعبد زلّة. فهو المسؤول سبحانه، ولا أرجُ إلا نواله وإحسانه، فأقول وعلى الله بلوغ القصد والسّول:

إن الفقيه الكنسوسي ممّن غرق في بحر الغفلة، وعَرَى عن التوفيق جملة، واحتوشته[4] جيوش الحسّ، وصار كالذي يتخبطه الشيطان من المسّ. كلّما أُمهل يوما ازداد غفلة، ونسي ما أحدث في اليوم قبله، هذا هو حاله ودَيْدَنُهُ ومُحاله. بدأ الأمر مع ولي الله سيدي أحمد البكاي[5] كما أحكيه لك إن شاء الله بعدُ، ولو خاطبني بما خاطبه لكَثُرَ في الله بُكَايْ، لكنه جامد القريحة، وسوء اعتقاده ضمّنه مع الله ومع عباده صريحُ الفضيحة. حيث ختم في أساطير التاريخ بما

1- **الأشاعرة:** أتباع أبي الحسن الأشعري تـ 324هـ/936م. ينظر: الفاسي عبد الكبير بن المجدوب، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، ج1، ضمن موسوعة أعلام المغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ص: 246. أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، القاهرة: دار الفكر العربي، ص: 151.

2- يعرف بأكنسوس مبدوءا بهمزة مفتوحة، وبكنسوس دونها منكّرا، وبالكنسوس بدونها أيضا معرّفا، وبالكنسوسي منسوبا على طريقة النسبة في العربية. وتعني هذه الكلمة أنه من إِدَاوْكْنْسُوسْ إحدى قبائل سوس. ويُنسب بالجعفري انتماء إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. ينظر: الكنسوس، الجيش العرمرم، ج2، ص: 2.

3- الحج، الآية 68.

4- "واحتشوته" في (ب) وهو تحريف. **احتوش:** أحاط به وجعله وسطًا. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 207.

5- **أحمد البكاي:** بن محمد الكنتي من علماء كنتة، كان من عباد الله الصالحين؛ من مؤلفاته: رسالة في الطريقة التجانية وجواب الفقيه أكنسوس عنها. ينظر: الولاتي البرتّلي أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1981، ص ص: 30-31.

كذب فيه على أزهار/و2ظ/ الشماريخ، ورمى بالفسق زاوية صلحاء أبي الجَعْد[1]، وعيّر غيرهم ممن سبقت لهم العناية بالبُخت والسّعد. ونسب لشيخ المشايخ ومَن له في القُطبانية والولاية القدم الراسخ، مولانا الشيخ عبد القادر[2]، ولا[3] لُبِّس في «غُنيته»[4] على الوارد والصادر. ونفى الولاية عمّن فيه رائحة النبوءة، ومَن أصلُه مَنْبَتُ الوحي والمروءة، وجَدُّه ذو اللّواء والمعراج مولانا إدريس التاج. وَزَنْدَقَ مَنِ انْحَاشَ لتربيته، كلّ غرباوي وشرقاوي، مولانا العربي الدرقاوي، نفعنا الله بمحبتهم وحشرنا في زمرتهم وتحت لواء طائفتهم.

كما أطلق لسانه في قوّاد الدولة وأمرائها وأشرافها ووزرائها، ومِن جفائه وفضاضته أَنْ رمى بالجهل عالم الدنيا في النوازل، وشيخ الجماعة في كل معضَل ونازل، مولانا عبد الهادي السجلماسي[5]، بمثل ما رمى به أديب الأدباء، وإمام الحضرة الإدريسية سيدي عبد الواحد بن سودة الفاسي[6]. وأدّاه ذلك إلى أن وَرِث الحسد من إبليس، فكتم فضائل السيد محمد الصفار[7]

1- **زاوية أبي الجعد**: من أشهر زوايا المغرب، حظيت من العلماء والملوك بالإكبار والإعظام، وضمّت أجداث الأكابر من رجالات العلم والتقوى، ويعتبر الشيخ محمد العربي بن المعطي بن الصالح الشرقي من كبار شيوخها. ينظر: ابن عبد الله، معلمة المدن والقبائل، ص: 09.

2- **عبد القادر الجيلاني (471-561هـ/1078-1166م)**: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي؛ من كبار الزهاد والمتصوفين ولد في جيلان. من مؤلفاته: الغنية لطالب طريق الحق، وفتوح الغيب. ينظر: الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج20، تحقيق: نذير حمدان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط11، 1996، ص: 439. ابن الجوزي أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ج18، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1992، ص: 173. ابن رجب الحنبلي عبد الرحمن بن أحمد، الذيل على طبقات الحنابلة، حققه وقدم له وعلق عليه: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ج2، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2005، ص: 187.

3- "ما" في (ب) وهو تحريف.

4- يقصد كتاب الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني.

5- **عبد الهادي السجلماسي تـ(1056هـ/1646م)**: بن عبد الله بن علي الحسني، فاضل من أهل المغرب؛ توفي بالحرم المكي. له كتاب: فلك السعادة في فضل الجهاد والشهادة. ينظر: العربي المشرفي، الحسام المشرفي، و162ظ-164ظ. الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 173.

6- **عبد الواحد بن سودة تـ(1209هـ/1794م)**: محمد التاودي بن الطالب بن محمد أصله من غرناطة؛ المعروف بابن سودة المري القرشي، الفاسي دارا ومنشأ. ينظر: ابن سودة أبو عبد الله محمد التاودي، الفهرسة الصغرى والكبرى، دراسة وتحقيق: عبد المجيد خيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002، ص ص: 5-7. أحمد النميشي، تاريخ الشعر والشعراء بفاس، فاس: مطبعة أندري، 1924، ص: 84. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج1، الدار البيضاء: دار الثقافة، 2004، ص: 128.

7- **محمد بن عبد الله الصفار**: وزير مغربي من العلماء من أهل تطوان، توفي بدار ولد زيدوح ببلاد تادلة سنة 1880/1298 ودفن بمراكش. ينظر: محمد غريط، فواصل الجمان، ص ص: 85-86. ابن سودة عبد السلام، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2669.

والسيد محمد غريط[1]، والفقيه ابن إدريس. مع أنهم كانوا وزراء الحضرة العادلة، [لم][2] تجادلهم طول عمرهم في مَظْلَمَةٍ مُجادِلة، وسأُعيّن لك إن شاء الله فضل كل واحد باسمه، وننوّه بقدره، ونعرّف في ترجمته بحدّه ورسمه. فقد/و3و/ عرّض والله نفسه للقذف، حتى رماه الناس بأكبر مِنْ حصى الخَزف، وأظهر في الرفض عقيدته، وفضح الله بين العباد سريرته. إذ ما في جعرفية كتابه إلا سقطات حُكيت، وقضايا عقيمة وهمية فيه تُليت. أنكر المحسوس فألجم[3] نفسه وبَكَتْ، فَيَا لَيْتَهُ لو عن عيوبه سكت. قال إمام دار الهجرة سيدنا مالك بن أنس رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلّبه ومثواه، وحشرنا وأهلَ مذهبه جميعا تحت لواه: "أدركتُ أناسا بالمدينة لا عيوب لهم، فاشتغلوا بعيوب الناس فأحدثت الناس لهم عيوبا. وأدركتُ أناسا بالمدينة لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس فسكت الناس عن عيوبهم"[4]. وقال ابن عطاء الله[5]: [الطويل]

إذا الناس غطوني تغطيت دونهم ** وإن بحثوا عني يكن فيهم البحث

وكل هذا مِن حسد أرداه[6]، وجفاء رفضيٍ كأمنٍ أبداه. والحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء والأرض. أما في السماء فحسدُ إبليس آدم عليه السلام، وأما في الأرض فحسد قابيل هابيل. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**﴾[7]، أنهما قابيل وإبليس. فالحسد حمل إبليس على الكفر، وحمل قابيل على قتل أخيه. وقال علي رضي الله عنه: "لا راحة لحسود، ولا أخ لَلُولٍ، ولا مُحِبَّ/و3ظ/ لسيّء الخلق"[8]. وقال المبرد حدثني الرمادي قال: يقال ستّةٌ لا تخطئهم الكآبة، فقير حديث عهد بالغنى، ومكثر يخاف على ماله

1- **الوزير غريط**: محمد بن مَحمد بن إدريس غريط الأندلسي، عمل وزيرا أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام، وكاتبا مع ابنه السلطان محمد، توفي سنة 1280هـ/ 1863م. عن ترجمته ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2623. محمد غريط، فواصل الجمان، ص ص: 77- 84.

2- ساقطة من (ب).

3- "فأفحم" في (ب) وهو تحريف.

4- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، بيروت: دار الجيل، ط1، 1992، ص: 106.

5- **ابن عطاء الله السكندري تـ(709هـ/1309م)**: أحمد بن محمد بن عبد الكريم تاج الدين ابن عطاء الله السكندري؛ متصوف شاذلي؛ من العلماء. من تصانيفه: الحكم العطائية. ينظر: أبو علي الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية، وضع حواشيه: مرسي محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2005، ص ص: 94-96.

6- "أدراه" في (ب) وهو تحريف.

7- فصلت، الآية 29.

8- ابن عبد ربه الأندلسي أحمد، العقد الفريد، ج2، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص: 170.

التلف، والحسود والحقود، وطالب مرتبةٍ فوق قدره، وخليط أهل الأدب وليس منهم[1]. ولله درّ من قال في الحسود:[2] [البسيط]

كل العداوة قد تُرجى (إماتَتُها)[3] ** إلا عداوة مَن عداك (بالحسد)[4]

فويحا له إن كان هذا الاعتقادُ خاتمة أعماله، وويلا لمن كانت هذه الحالة شرّ أحواله. فنعوذ بالله أن نكون من الأخسرين أعمالا ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[5].

ومن علامة الشقاوة والسّلب إطلاق اللسان في عامة أهل الله وخاصتهم، واستعمال[6] القلم فيما لا يحبه الله ويرضاه، [ولو أحبّه وأراد به خيرا، لاستعمله فيما يختاره له ويرضاه][7]. ومن الأحاديث التي رواها السخاوي مسندةً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يؤتى بصاحب القلم يوم القيامة في تابوت من نار مقفل عليه بأقفال من نار، فإنْ كان أجراه في طاعة الله ورضوانه فُكَّ عنه التابوت، وإنْ كان أجراه في معصية الله هوى به في التابوت سبعين خريفا، حتى بَارِي القلم ولائق الدواة"[8] انتهى. ومِنْ أبيات للحسن البصري[9] بل لذي النون المصري[10]: [الوافر]

1- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1995، ص:100. فصل الحسد.

2- البيت للشافعي. ينظر: الشافعي محمد بن إدريس، ديوان الشافعي، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، بيروت: دار المعرفة، ط3، 2005، ص: 47. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 171.

3- "مودّها" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الشافعي، الديوان، ص: 47. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 171.

4- "من الحسد" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الشافعي، الديوان، ص: 47. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 171.

5- الكهف، الآية 104.

6- "استعماله" في (ب) وهو تحريف.

7- ساقطة من (ب).

8- رواه الطبراني في الأوسط والكبير. ينظر: الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حققه وخرج أحاديثه: حسين سالم أسد الداراني، ج2، دمشق: دار المأمون للتراث، باب في من كتب بقلمه خيرا أو غيره، حديث رقم: 581، ص ص:318- 319. المتقي الهندي أبو الحسن علاء الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، اعتنى به: إسحاق الطيبي، الرياض: دار الأفكار الدولية، ط2، 2005، ص: 735، حديث رقم: 14957.

9- **الحسن البصري (21-110هـ/642-728م):** الحسن بن يسار البصري أبو سعيد، من كبار التابعين كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه. ينظر: أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988، ص:131. ابن خلكان شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1994، ج2، ص: 69.

10- **ذي النون المصري:** من أهل مصر توفي بها سنة 245هـ ودفن بالقرافة الصغرى. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 315-319. البغدادي السلمي، المقدمة في التصوف وحقيقته، تحقيق: يوسف زيدان، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ص: 27.

فلا تكتب بكفّك غير شيء ** يسرّك في القيامة أن تراه[1]

[ومما لأبي محمد سيدي عبد الله عياش، نفعنا الله ببركاته من قصيدة طويلة: [الطويل]

ولا تكتبنّ يوما بكفك غير ما ** يسرّك في يوم القيامة أن تقرأ

فوا حسرتي وا حيرتي ومشيختي ** إذا قيل خذ ما كنت تكتبه فاقرأ][2]

/و4و/ وأقبحُ مِنْ دخول النار؛ السلبُ بعد العطاء. قال في «الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز»: "رُوِيَ أنّ شيئا في الدنيا أَحسَنُ من الجنة، هو رؤية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. وشيئا في الدنيا أقبح من النار، وهو السلب بعد العطاء والعياذ بالله"[3]. "ورُوي عن سفيان بن عيينة[4] رضي الله عنه قال: قال عيسى عليه السلام لعالمٍ: يا ملح الأرض لا تَفسدوا، فإن الأشياء إذا فسدت إنما تداوى بالملح، وإذا فسد الملح لم يُداوَى بشيء"[5]. فالملح يُصلح مَنْ يُخشَى تغيّره، فكيف بالملح إذا حلّت به الغِيَرُ. وقال الراسخون في العلم: المراد بملح الأرض هم العلماء، فإنّ بصلاحهم يصلح الخلق، وبفسادهم يفسدون.

وضمّن بعضهم هذا المعنى في بيت من الشعر فقال:[6] [الكامل]

يا معشر العلما يا ملح البلد ** ما يُصلح الملحَ إذا الملح فسد

[وصف مجالس اللهو في عصر المشرفي]:

وفسادهم هو خروجهم عن السنّة، واستعمالهم للبدعة. كما تجدُهم اليوم يجلسون مع العامة، ويعمّرون معهم مجالس اللّهو بالأحاديث الباطلة، التي لا نَفْعَ للفريقين فيها. وإذا حصل

1- ورد البيت عند السبكي. ينظر: السبكي تاج الدين عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ج10، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص: 193. الشنتريني أبي الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، القسم الأول، المجلد الثاني، بيروت: دار الثقافة، 1997، ص: 574.

2- ساقطة من (ب).

3- أحمد بن المبارك السجلماسي، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2002، ص: 441.

4- **سفيان بن عيينة (107-198هـ/725-814م):** بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد؛ محدث الحرم المكي، من الموالي ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها، كان حافظا ثقة واسع العلم كبير القدر. ينظر: أبو نعيم، الحلية، ج7، ص: 270.

5- رواه الإمام أحمد في الزهد باختلاف في اللفظ. ينظر: ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد، الزهد، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999، ص: 78، حديث رقم: 480. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، فهارس كتاب الزهد لأحمد بن حنبل، دار النور الإسلامي ودار البشائر الإسلامية، ص: 128.

6- ورد البيت عند الغزالي في الإحياء كما يلي وهو لمسروق: يا معشر القراء يا ملح البلد** ما يصلح الملحَ إذا الملح فسد
ينظر: الغزالي أبي حامد، إحياء علوم الدين، ج1، دار الشعب، د ت، ص: 102.

لهم الطرب يتواجدون، حتى قست قلوبهم والعياذ بالله. وتارة يلعبون معهم حتى ينشأ عن ذلك ضحك بقهقهة، وصوت ينكره الإنسان من نفسه وحده، فكيف إذا كان في جماعة. وتركوا سنّة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فإنّ ضَحِكَهُ كان تبسّما. وفي الخبر:/و**4**ظ/"إنّ العالم إذا ضحك ضحكة مُجّ من علمه مجّة"[1]، يعني رُمي مِن علمه بعضه، لأنها معصية كبيرة ينتقض بها الوضوء في مذهب مولانا أبي حنيفة[2] رضي الله عنه، ومتّعنا بمحبته.

وروى الأوزاعي[3] في قوله تعالى: ﴿**لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾[4] قال: الصغيرة كالتبسم، والكبيرة كالقهقهة. فالمسؤول منه سبحانه أن يجعلنا ممّن تكون التوبة آخر أشغاله، وأنْ يؤمّن مَن حَسُنَ في عباد الله اعتقادُه، مِنْ بؤس يوم المعاد وأتراحه وأوجاله. فالشقي مَن بارز الله ببُغض أوليائه، وسيّءِ أفعاله وأقواله، ولا سيما عند بلوغ الأربعين من آجاله: [الطويل]

إذِ الأربعون مُنتَهَى الطلوع ** وما بعدها إلا القهقرة والرجوع

ومن حديث ابن وضاح: "إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يَتُبْ، مسح إبليس على وجهه وقال: بِأَبِي؛ وجهٌ لا يفلح أبدا"[5]. وأنشدوا:[6] [الكامل]

وإذا مضى للمرء من أعوامه ** خمسون وهو إلى التقى لم يجنح
ركدَت عليه المخزيات وقلن قد ** أرضيتنا فأقم كذا لا تبرح
وإذا رأى إبليس غرة وجهه ** حيَّا وقال فديت من لم يرجح

1- القول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. ينظر: ابن عبد البر النمري، جامع بيان العلم وفضله، ج1، مصر: المطبعة المنيرية، ص: 141. الغزالي، الإحياء، ج1، ص: 129.

2- **أبو حنيفة (80-150هـ/699-767م):** النعمان بن ثابت التيمي الكوفي، الفقيه المجتهد المحقق إمام الحنفية، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. أصله من أبناء فارس، مولده ومنشؤه بالكوفة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص: 405.

3- **الأوزاعي**: هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، شامي ثقة من خيار الناس؛ توفي سنة 158هـ/775م. ينظر: العِجْلِي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، بترتيب الهيثمي والسبكي مع زيادات ابن حجر، دراسة وتحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ج2، مصر: مطبعة المدني، ص:83.

4- الكهف، الآية 49.

5- ذكره في الإحياء ولا يوجد له أصل. ينظر: الغزالي، الإحياء، ج8، ص: 1388.

6- الأبيات للبحتري. ينظر: البحتري، الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مج1، القاهرة: دار المعارف، ط3، ص: 482. وقد وردت الأبيات ببعض الاختلاف في اللفظ.

وأمّا مَن بلغ الثمانين أو جاوزها، وهو معتكفٌ على ما لا ينبغي، وأقرانُه دَرجُوا قبلَهُ و لم يعتبر بمصرعهم، بل اشتغل بتمزيق أعراضهم، وهم تحت اللّحود قدِموا إلى ما أفضوا إليه مِن خير أو شرّ، فهو أَوْلَى/و5و/ بالتوبيخ حيث لم يتّعظ. ويرحم الله من اتّعظ عند بلوغه هذا السنّ، ومنهم الفضيل بن عياض[1]، ولذلك قال:[2] [المتقارب]

بَلَغْتُ الثّمانين أو جُزتها ** فماذا أؤَمّل ما المنتظر
(أتا لي)[3] ثمانون مِن مولدي ** وبعد الثمانين ما يُنتظر
علّتني السنون فأبْلَتْنِي ** (ودقّت)[4] عظامي وكلّ البصر

وكذا أنشد ابن عرفة التونسي[5] إمام الأئمة، لنفسه لما بلغ هذا السنّ، وكان يستشهد به الإمام ابن مرزوق التلمساني[6] المدعو بالحفيد، هذين البيتين نصهما:[7] [المتقارب]

بلغت الثمانين بل جُزتها ** وَهَانَ على النّفس (صعب)[8] الحِمام
وآحادُ عصري مَضَوْا جُمْلَةً ** وعادوا خَيَالاً كطيف المنام

1- **الفضيل بن عياض (105-187هـ/723-802م)**: أبو علي ابن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل الفنديني، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص ص: 47-50.

2- وردت الأبيات ببعض الاختلاف عند: البيهقي أبو بكر، كتاب الزهد الكبير، حققه وخرج أحاديثه: عامر أحمد حيدر، بيروت: دار الجنان، ط1، 1987، ص: 251. وورد البيت الأول والثالث عند: الذهبي، السير، ج8، ص: 442. ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، ص: 421.

3- "اثنتي" في الأصل في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: البيهقي، كتاب الزهد، ص: 251. الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص: 421. الذهبي، السير، ج8، ص: 442.

4- "وأوهت" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. البيهقي، كتاب الزهد، ص: 251. الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص: 421. الذهبي، السير، ج8، ص: 442.

5- **ابن عرفة التونسي:** محمد بن عرفة الورغمي. عاش في تونس خلال القرن الثامن الهجري وتوفي مع مطلع سنة 803هـ/1401م. ينظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الله عبد الحميد الهرامة، طرابلس: منشورات كلية الدعوة، ط1، 1989، ص ص: 463-471. ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس، الوفيات، حققه: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ص ص: 380-381.

6- **ابن مرزوق الحفيد:** الحافظ النظار أخذ عن أبيه وعمه وجده وسعيد العقباني، وبتونس عن ابن عرفة وأبي العباس القصار، وبفاس عن ابن حياتي والمكودي، وبمصر عن الزين العراقي والسراج ابن الملقن وابن خلدون وغيرهم، وتدبج مع الحافظ ابن حجر، توفي بالقاهرة سنة 782هـ. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 450. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم الأول، ص ص: 225-227.

7- الرصاع أبو عبد الله الأنصاري، شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تحقيق محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، القسم الثاني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، كتاب الفرائض، ص: 694.

8- "ذوق" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الرصاع، شرح الحدود، كتاب الفرائض، ص: 694.

وضمّن العلامة قاضي مكناسة الزيتون، وشيخ جماعتها، أبو عيسى سيدي المهدي بن سودة المري الفاسي[1]، أبيات الفضيل بن عياض، بأبياتٍ لما أنشدتُهم بين يديه ونحن بجامعه بالعُقيبة الزرقاء من محروسة فاس، وحصل له وُجدٌ، وأثّر فيه كلام العارفين بالله، لكونه خرج من قلوبهم، والكلام إذا خرج من القلب لا يستقر إلا في القلب، وإذا خرج من اللسان لا يجاوز الآذان، فقال: [الوافر]

نُهيت فلم أَنْتَهِ وأُمِرْتُ فما ** أَطَعْتُ إلى أين المفرّ

/و5ظ/وداعي المنون حدا سائقا ** وراحلتي انبعثت للسفر

فما حيلتي ما اعتذاري إذا ** تجلّى العظيم لفصل البشر

بلغت الثمانين أو جُزتها ** فماذا أؤمّل ما المنتظر

والتضمين[2] بهذا المعنى، من المحسنات البديعية عند الأدباء. وكان الأمير (مجير)[3] الدين بن تميم[4] مولعا بالتضمين، فقلّما يجد بيتا إلاّ ويضمنه، وينقله إلى معنى آخر. وإليه الإشارة بقوله:[5] [الوافر]

أُطالع كل ديوان أراه ** ولم أزجر عن التضمين طيري

أُضمّن كل بيت فيه معنًى ** فشِعري نصفُه من شِعر غيري

وهو كثير في أشعارهم. منها قول المقدسي[6] مضمنا لأبيات بنات النجار في النبي صلى الله عليه وسلم المعلومة، وهي "طلع البدر علينا" إلى آخره بما نصه: [مجزوء الرمل]

1- **المهدي بن سودة (1220-1294هـ/1805-1877م)**: ولد وتوفي بفاس، ابن الطالب بن محمد بن سودة المري أبو عيسى. قاضي مكناس وزرهون، ورئيس مجلس الحديث السلطاني بفاس. كان من المقدَّمين في دولة عبد الرحمن بن هشام. له حواشي في الحديث والمنطق والفقه والعربية. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 344. ابن زيدان، الإتحاف، ج4، ص ص: 358-365.

2- **التضمين**: هو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هي عبارة عنه. ينظر: الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد النصر، مصر: دار المعارف، ب ت، ص: 412. السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، حققه وخرج أحاديث: شعيب الأرناؤوط، اعتنى به وعلق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2008، ص: 533.

3- "مجي" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ج4، بيروت: دار صادر، 1974، ص:55.

4- **مجير الدين بن تميم الإسعردي**: محمد بن يعقوب بن علي. سكن حماة وخدم الملك المنصور، وكان جندياً محتشماً شجاعاً مطبوعاً كريم الأخلاق، بديع النظم رقيقه لطيف التخيل. توفي بحماة سنة 684هـ. ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص:55.

5- وردت الأبيات عند: الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص:55.

6- **المقدسي(336-380هـ/947-990م)**: محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء شمس الدين، رحالة جغرافي ولد في القدس. من آثاره كتاب: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ينظر: رضا كحالة، معجم المؤلفين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1993، ج3، ص: 52.

قـــم فقـــد طـــاب سمـــاعي ** أو فـــــدعني واســـــتماعي
مـــا يصـــيب الوقـــت إلا ** بـــــانخلاعٍ كـــــانخلاعي
أنـــا عبـــد [لحبيـــب][1] ** سِـــرّه غـــيرُ مُـــذاعي
أنـــــا راضٍ في هـــــواهُ ** بهـــــواني واتضـــــاعي
قُـــم فهـــاتٍ الـــراحَ صِـــرفا ** واســـــقِنيها لانتفـــــاعي
قـــد رضـــعناها قـــديما ** قبـــل أيـــام الرَضـــاع
/و6و/مريـــد ســـاقٍ وتُجلـــى ** وهـــي للعشـــاق داعـــي
ومُغنّـــي الوقـــت غنّـــى ** لـــك في خـــير البقـــاع
أقبـــل البـــدر علينـــا ** مـــن ثنيـــة الـــوداعي
وجـــب الشـــكر علينـــا ** مـــا دعـــى لله داعـــي
أيهـــا المبعـــوث فينـــا ** جئـــت بـــالأمر المطـــاعي

ومنها قول عنترة[2] من قصيدة له[3]: [الكامل]

وإذا صحوتُ فما أُقصِّرُ عن نَدى ** وكما علمت شمائلي وتكرّمي

فقد ضمنه بعض الأدباء بما نصه[4]: [الكامل]

يا وجه معتـــذر ومُقلـــة مُجـــرِم ** كم من دمٍ بهما ســـفكْتِ بـــلا دمِ
أَوَجدْتِ وصلي في الكتاب محرّما ** ووجدَتْ مثلي فيـــه غـــير محـــرّم
كم جنةٍ لكِ قد سكنتُ ظلالهـــا ** متفكّهًـــــا في لـــــذّة وتَـــــنعُّم
وشربتِ من خمر العيـــون تعلـــلا ** فإذا انتشيتُ أجود جود المِـــرْزَمِ[5]

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى، إلى آخره

1- "ساقطة" من (ب).

2- **عنترة**: بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي الشاعر المشهور، من أهل نجد؛ من فحول الشعراء. ينظر: عنترة بن شداد، ديوان عنترة، بيروت: مطبعة الآداب، 1893، ص: 04.

3- المصدر نفسه، ص: 82.

4- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص ص: 300-301.

5- **المرزم**: مفرد المرزمين. وهما نجمان من نجوم المطر. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 301.

ومنها قوله[1]: [الكامل]

وإذا دعونك[2] عـــن مهـــرٍ فإنّـــه ** نسبٌ يزيـــدك عنـــدهنّ خبـــالا

فقد ضمّنه بعضهم بما نصه[3]: [الكامل]

غَنِيَتْ غوانيَ الحـــيِّ عنـــك وربمـــا ** طلعت عليـــك أَكِلّـــةً وحجـــالا

أضـــحى عليـــك حلالهـــن محرّمـــا ** ولقـــد يكـــون حـــرامهن حـــلالا

/و6ظ/إن الكواعب إن رأينك طاويا ** وصل الشباب طوين عنك (وصالا)[4]

وإذا دعونك عمّهن فإنه، إلى آخره

ومنها قوله[5]: [الكامل]

لمـــن الـــديار عفـــا معالمهـــا ** هَطِـــلٌ أجَـــشُّ وبـــارحٌ تـــرِبُ[6]

ضمّنه بعضهم بما نصه[7]: [الكامل]

أما (الخيط)[8] فشـــدَّ مـــا ذهبـــوا ** بانوا ولم (يقضوا)[9] الذي (يجب)[10]

والـــدار بعـــدهم كوشـــم يـــدٍ ** يـــا دارُ فيـــك وفـــيهمُ العَجَـــب

أيـــن الـــتي صِـــيغَت محاســـنُها ** من فضّة (شيبت)[11] بهـــا ذهـــب

وليَ الشـــبابُ فقلـــت أندُبُـــه ** لا مثل ما قـــالوا (ولا)[12] نـــدبوا

لمن الديار عفا معالمها، إلى آخره

1- المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1988، ص: 250.

2- "دعوتك" في (ب) وهو تصحيف.

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 301.

4- "خبالا" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 301.

5- المعري أبو العلاء، الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، ضبطه: محمود حسن زناتي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ص: 133.

6- **عفا:** محا. **الهطل:** المطر الدائم المتتابع. **الأجش:** الذي يسمع معه صوت رعد. **البارح:** الريح الحارة في الصيف. ينظر: المعري، الفصول، ص: 133.

7- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 302.

8- "الخليط" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 302.

9- "يعطوا" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص: 302.

10- "وهبوا" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ج6، ص: 302.

11- "قد شابها" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ج6، ص: 302.

12- "وما" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ج6، ص: 302.

ومنها تضمين بعض الأدباء لهذا البيت، بعد تغيير رويِّهِ في أبياتٍ ميمية، أولُّها ما بعده[1]:[المديد]

لا يقرب امرءا عيشتُه ** كل عيشٍ صائرٍ للزوال
يا وميض البرق بين الغمام ** فعليك لا عليها السلام
إن في (الأحداج)[2] مقصورة ** وجهها (يهتك)[3] ستر الظلام
تحسب (الهجر)[4] حلالاً لها ** وترى الوصل عليها حرام
ما تأسّيك بدارٍ خَلَتْ ** ولشعب شتّ بعد التئام
إنما ذِكْرُك ما قد مضى ** (ضُلّة)[5] مثل حديث المنام

لا يقرب امرءا عيشته، إلى آخره

ومنها تضمين بعض الأدباء لهذا البيت/و7و/ وهي[6]: [المديد]

للفتى عقل يعيش به ** حيث تَهوي ساقَهُ قدَمُه

بما نصه:[7] [المديد]

من محب شفّه سَقمُه ** وتلاشى لحمُه ودمُه
كاتب حنّت صحيفتُه ** وبكى من رحمةٍ قلمُه
يرفع الشكوى إلى قمر ** تنجلي عن وجهه ظُلَمُه
خَلّ عقلي يا مسفّهَه ** إنّ عقلي لست أتّهمه

للفتى عقل يعيش به، إلى آخره

ومنها تضمين هذا البيت وهي[8]: [المديد]

1- كل الأبيات عدا البيت الأول مذكورة عند: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص ص: 292-293.
2- "الأجداح" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص: 292.
3- "مهتك" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ج6، ص: 292.
4- "البحر" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ج6، ص: 293.
5- "حلّهُ" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ج6، ص: 293.
6- البيت لطرفة بن العبد. ينظر: طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به: عبد الرحمن المصطفاوي، بيروت: دار المعرفة، ط1، 2003، ص: 81. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 294.
7- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 294.
8- البيت لعدي بن زيد المتوفى سنة 36ق.هـ/ 587م. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 294.

رُبَّ نـــارٍ بِـــتُّ أرمُقُهـــا ** تَقْضَـــمُ الهنـــدِيَ والغـــارا[1]

بما نصه[2]: [المديد]

زادني لومُـــــك إصـــــرارًا ** إنّ لي في الحـــــب أنصـــــارا

خذ بكفي لا أمُـــتْ غرقـــا ** إن بحـــر الحـــب قـــد فـــارا

أَنْضَجَتْ نارُ الهوى[3] كبـــدي ** ودمـــــوعي تطفـــــئ النـــــارا

رُبّ نارٍ بتّ أرمُقُها، إلى آخره

ومنها تضمين بعض المحدَثين لهذا البيت وهي[4]: [المديد]

اعلموا أنّـــي لكـــم حـــافظ ** شاهدا ما كنـــت أو غائبـــا

[بما نصه][5]:[6][المديد]

عَاتِـــبٌ ظلْـــتُ لـــه عاتبـــا ** رُبّ مطلـــوب غـــدا طالبـــا

من يَتُبْ عن حب معشـــوقه ** لستُ له (عن)[7] حـــبي تائبـــا

فـــالهوى لي قـــدَرٌ غالـــب ** كيف أعصي القـــدَرَ الغالبـــا

ساكنُ القصر ومِـــن حلّـــة ** أصبح القلـــب بكـــم ذاهبـــا

اعلموا أني لكم حافظ، إلى آخره

ومنها تضمين بعضهم لهذا البيت/و**7ظ**/ وهي[8]: [المديد]

إنمـــا الـــذلفاء[9] ياقوتـــة ** أُخرِجَت من كيس دِهقان[10]

بما نصه[11]: [المديد]

1- **الغار**: شجر ينبت بريا في سواحل الشام والغور والجبال الساحلية، دائم الخضرة يصلح للتزيين. ينظر: نفسه، ج6، ص: 294.

2- البيت لابن عبد ربه الأندلسي. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 294.

3- "الهدى" في (ب) وهو تحريف.

4- البيت لابن عبد ربه الأندلسي. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 294.

5- "ساقطة" من (ب).

6- البيت لابن عبد ربه الأندلسي. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 293.

7- "من" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص: 293.

8- البيت لابن عبد ربه الأندلسي. ينظر: نفسه، ج6، ص: 293.

9- **الذلفاء**: المرأة الصغيرة الأنف. ينظر: نفسه، ج6، ص: 293.

10- **الدهقان**: التاجر. ينظر: نفسه، ج6، ص: 293.

11- البيت لابن عبد ربه الأندلسي. ينظر: نفسه، ج6، ص: 293.

أي تفـــــاح ورمـــــان ** يُجتنى مـــن خـــوط ريحـــان
أي ورد فـــوق خـــدٍّ بـــدا ** مســـتقرا بـــين سوســـان

إلى أن قال[1]: [المديد]

من (رأى)[2] الذلفاء في خُلوة ** لم يـــر الحـــدّ علـــى الـــزاني

إنما الزلفاء ياقوتة، إلى آخره

ومن التضمين المستحسن تخميس القصائد، مثل تخميس هذه الأبيات وهي[3]:[الكامل]

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ** أنت المعَدُّ لكـــل مـــا يُتوقـــع

بما نصه: [الكامل]

إنْ كنت حقا من ذنوبك تجـــزع ** فافزع إلى الباري بقلـــب يخشـــع
وأنِب له واخضع بـــدمعٍ يَهمـــعُ ** واسأل وقل بلسان مـــن يتضـــرّع
يا من يرى ما في الضمير ويســـمع ** أنـــت المُعـــدّ لكـــل مـــا يتوقـــع
لم يُحصه[4] عَـــدٌّ فكيـــف بجلّهـــا ** يـــا مـــن لـــه نعـــم أقـــلُّ أقلِّهـــا
يا من إذا نزلـــتْ بفـــادح كلِّهـــا ** وأتت بما يخشـــى أغـــاث بحلِّهـــا
يا من يُرجـــى للشـــدائد كلِّهـــا ** يا مـــن إليـــه المشـــتكى والمفـــزع
يا من إذا لم يقض أمـــرا لم يكـــن ** إذا لم أكن أهلا لعفـــوك فلـــتكن
يا من صفات رسوله فيَ لم يكـــن ** لو لم تكن لي في وجودي لم أكـــن
يا من خزائن رزقه في قـــول كـــن ** امنُ[5] فـــإنّ الخـــير عنـــدك أَجمـــع
/و8و/يا من وسائلنا لديـــه قليلـــة ** وعلى الحقيقة فهـــي ثَـــمَّ جليلـــة
إذ أصْلي توحيد الإله دخيلةٌ ** يا من صنائعُه لديّ جميلة

1- البيت لابن عبد ربه الأندلسي. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 293.
2- "رءا" في الأصل والصحيح ما أثبتناه.
3- البيت للسهيلي. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 14. المقري، النفح، ج2، ص: 102. العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 64-65.
4- "يخصه" في (ب) وهو تصحيف.
5- "امنُن" في (ب) وهو تحريف.

مالي سوى فقري إليك وسيلةٌ ** فبالافتقار إليك فقري أجمع
يا ربُ نفسي بالذنوب عليلةٌ ** وخواطري من أجل ذاك كليلة
مالي سوى قرعي لبابك حيلة ** فإذا رُددتُ فأي باب أقرع
وجوارحي بالصالحات بخيلة ** وعواقبي إن لم نعاف وبيلة
يا رب ذنبي أرتجيك لحسمه ** أولاً فمن أرجوا لدفع مُلحه[1]
ومن الذي أرجو الوثـوق بحِلمـه ** وعقيدتي فهـي الرجـوع لعلمـه
ومن الذي أدعو وأهتـف باسمـه ** إن كان فضلك عن فقـيرك يمنـع
إن كان قلـبي بالمعاصـي قاسـيا ** فاغفر وكن بالصفح عنـه مواسـيا
وانظر إليه وكـن بعفـوك آسـيا ** يا رب لا أقـنط فـأرجع خاسـيا
حاشا لجودك أن يُقـنِط عاصـيا ** الفضل أجـزل والمواهـب أوسـع
هذا القريض زهى بنفحـة طيبـة ** فـاغفر لقائلـه وللـداعي بـه
ولمـن أعانهمـا علـى ترتيبـه ** وأفـاد بالمسـؤول مـن تهذيبـه
وأنِلْهُـم المـأمول مـن مطلوبـه ** يا من يرى ما في الضمير ويسـمع

وممّن اتّعظ قبل بلوغه سنّ الثمانين، العلاّمة الكاتب، المؤرّخ النسابة، أبو العباس أحمـد الغرديسي التغلبي الفاسي[2]، لما ناهز/و**8**ظ/ السبعين التي هي دقّاقة الأعناق، واستشعر النقص من نفسه قائلا[3]: [الطويل]

فلما انقضى سبعون حـان حِماميـا ** وأذهلـني مـاذا أُلاقـي أماميـا
وبدّل مـني كـل وصـف بضـدّه ** وأقعـدني عمّـا أروم سَـقاميا

1- "ملمه" في (ب) وهو تحريف.

2- **أبو العباس أحمد الغرديسي**: كاتب المنصور الذهبي؛ ولد سنة 947هـ/1540م، عُرف عنه ولعه باقتناء الكتب. ينظر: ابن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، ج1، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار التراث، تونس: المكتبة العتيقة، ط1، 1971، ص ص: 103-105. وصاحب درة الحجال يكنيه بالثعلبي وليس التغلبي. القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، القسم الأول، ج3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ص: 1195. أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب، دراسة وتحقيق: الشريف محمد بن حمزة بن علي الكتاني، ص: 240.

3- وردت هذه الأبيات في نشر المثاني والدرر البهية. ينظر: القادري، نشر المثاني، ص: 1195. الفضيلي، الدرر البهية، ج2، ص: 301.

فـــلا أنـــا حـــيٌّ أُرتجـــى لمهمّـــة ** ولا أنا ميّت أكفي همي مَلامِيَـــا

ولله درّه حيث وصف نفسَه بأنه ميّت لم يُقبَر. ولذلك قال بعض الأدباء في وصف شيخ مسنّ أقعده سنّه[1]: [المتقارب]

إذا وجد الشـــيخ في نفســـه ** نشـــاطا فـــذلك مـــوت خفّـــي

ألستَ ترى أن ضوء السراج ** لـــه لهـــب عنـــدما ينطفـــي

ولأديب سبتة مالك بن المرحّل[2] ينادي نفسه لما بلغ الثمانين[3]: [مجزوء البسيط]

يا أيها الشـــيخ الـــذي عمـــره ** قـــد زاد عشـــرا بعـــد ســـبعينا

سكرتَ من كأس خمور[4] الصِبا ** فحـــــدّك[5] الـــــدّهر ثمانينـــــا

يـــا ليتـــه زادك مـــن بعـــد ذا ** لأجـــــل تخليطـــــك عشـــــرينا

وبعضهم رضي الله عنهم، وعَظَهُم زاجر من أنفسهم ووبّخوها قبل بلوغهم هذا السنّ، كالإمام الحفيد ابن مرزوق الملقب بعالم الدنيا. لما ناهز الخمسين، قال في قصيدته المعلومة لزجر الذمياطي ناظم أسماء الله الحسنى: [المتقارب]

وناهزت خمســـين لم أتّعـــظْ ** ولم ألتفـــت لمعـــالي الهمـــم

/و9و/مطلعها[6]: [المتقارب]

رفعتُ أموري لباري النَّسَـــمْ ** وموجدنا بعـــد ســـبق القـــدم

مُمِيتُ الخلائق بعـــد الحيـــاة ** ومنشي العظام ومحيـــي الـــرَّمَم

وجامعنا في بســـاط النشـــور ** وســـائلنا يـــوم حشـــر الأمـــم

إلى آخر القصيدة المباركة، التي ما توسّل بها متوسّـــل، إلا ونـــال ببركـــات ناظمهـــا مقصوده. فالإنسان لو لبث في دُنياه ما لَبِثَ نوح في قومه، لابد من انتقالـــه لـــدار الحســـاب

1- الأبيات لأبي عبد الله النقاش المتوفي سنة 544هـ. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص: 75.

2- **مالك بن المرحل**: بن عبد الرحمن بن فرج ابن أزرق، أديب من مالقة. ولد بها سنة 604هـ/1207م وسكن سبتة. وولي القضاء بجهات غرناطة وغيرها. توفي بفاس سنة 699هـ/1300م. ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم الأول، ص ص: 327-333.

3- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم الأول، ص: 329. كنون، ذكريات، ج2، ص: 994.

4- "أكواس الخمر" في الجذوة. ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم 1، ص: 329.

5- "جدك" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم 1، ص: 329.

6- الأبيات لابن مرزوق الحفيد، والبيت الأول ذكره المقري في النفح. ينظر: المقري، النفح، ج5، ص: 418.

والعقاب، وجميع حياته كساعة من سوائع الزمان. فيرحم الله أبا الوليد الباجي[1] إذ يقول[2]:[المتقارب]

إذا كنتُ أعلمُ علمَ يقينِ ** بأنّ جميع حياتي كساعة
فلِمَ لا أكون ضنينا بها ** وأجعلَها في صلاح وطاعة

وقال غيره: [مجزوء البسيط]

العمر ولو طال ساعة ** فاجعل ما عشتَ طاعة
والذكرَ لازم وواضب ** على صلاتك في الجماعة

وقال غيرهما: [الطويل]

وما عمر الإنسان إلا لُحيظةٌ ** موسّطة في الدهر بين زمانين
فماضٍ مضى لا يُستطاع رُجوعه ** وآت يوافي بالحياة أو الحَيْن

وقال أبو عمران بن بهيج الأندلسي[3]:[4] [مجزوء الرمل]

إنما دنياك ساعة ** فاجعل الساعة طاعة
/و9ظ/واحذر التقصير فيها ** واجتهد ما قدرُ ساعة
وإذا أحببت عزًّا ** فالتمس عزّ القناعة

وكلّهم رضي الله عنهم اتعظوا بمبلغهم سنّ الشيب والهرم، لأنّ لهم واعظا من أنفسهم، وزاجرا من قلوبهم، وفي الحرّ يفشي. تالله مَن لم يكن له مِن نَفْسِهِ واعظ لم تنفعه المواعظ، وقد ناهز الخمسين جامعه ومؤلّفه، وما اتّعظ كغيرِه مِن عامّة طلبة الوقت، إنا لله وإنا إليه راجعون. لازلنا نؤثر الحياة على الممات، وإذا أُصبنا في ديننا لا نستغفر الله من استيلاء الغفلة على قلوبنا، وإذا أُصبنا في دنيانا جَزَعْنَا، فما نحن إلاّ بهائم في صور الرجال. ولله درّ من قال[5]: [الكامل]

1- **أبو الوليد الباجي (403-474 هـ/1012-1081م):** سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، فقيه مالكي كبير، أصله من بطليوس ومولده في باجة بالأندلس. ينظر: ابن خلكان، وفيان الأعيان، ج2، ص: 408. الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 125.

2- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص: 408. المقري، النفح، ج2، ص: 74.

3- **ابن بهيج الأندلسي:** موسى بن بهيج المغربي الأندلسي الواعظ الفقيه العالم، من أهل المرية،نزل مصر. يكنى أبا عمران، كان من أهل العلم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار حُملت عنه. ينظر: المقري، النفح، ج2، ص ص: 220-221.

4- المصدر نفسه، ج2، ص ص: 220-221.

5- البيتان ينسبان لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه، ومنهم من ينسبها لأبي الأسود الدؤلي. ينظر: أبو الأسود الدؤلي، الديوان، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط2، 1998، ص: 397.

أَبُنيّ إنّ من الرجـــال بهيمـــةً ** في صورة الرجل السميع المبصِر
فطِنٌ لكل مصـــيبة في مالـــه ** وإذا أصيب في دينـــه لم يشـــعر

فالمرغوب من الله سبحانه الهداية والرجوع عن الضلالة والغواية.

[ذكر كتاب الجيش العرمرم وذمّ مؤلّفه]:

والذي بلغنا بالتواتر عن صاحب «الجيش العرمرم»، أنه لا زال قاضي الهـــوى وشـــيخ المجون، يتغزّل في مُهَفْهَفِ الخَصْر، البِكر منه والحَيزبون[1]، وفي الفتيات والفتيان، كـــي يُهـــيّج الشهوة ويُلّذذ المعاصي لمريد الإتيان. ومَن أحسن ما قيل في أمثاله وسُطّر في أشكاله: [الرجز]

أثقلُ من رَضْـــوَى وصـــاخْ[2] ** شيخ تصابى وصبيٌّ قـــد تشـــاخ[3]

/و**10**و/ ويحه ذهب منه الأطيبان[4]، وبقي فيه الاطينان، وهو معتكف على سماع الـــوَتَر، وحسو[5] الشهوة الإتائية التي نسخت بنت الدنان[6]. "سُئل شيخ مسنّ عن حاله فقال: ذهب مني الأطيبان؛ السنّ والأيْر"[7]، أو طيب النكاح وطيب النكهة، "وبقي فيَّ (الأرطبـــان)[8] الضّـــراطُ والسعال"[9]، أو سمج النكاح ونتن النكهة. والمُحدَّث عنه اجتمعت فيه الأربعة، ونـــتن النكهـــة أشدّها، فهو كمُجالد (المقول)[10] فيه: [الوافر]

نكهتُ مجالدا فشممتُ منـــه ** كريح الكلب مات حديثَ عهـــد

1- **الحيزبون:** العجوز من النساء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 855.

2- **رضوى:** جبل جهينة في عمل ينبع من المدينة على سبع مراحل، ميامنة طريق المدينة ومياسرة طريق البر لمن كان صاعدا إلى مكة. ومن رضوى تحمل حجارة المسن إلى سائر الأمصار. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 173.

3- ورد البيت عند المشرفي في نزهته؛ لكننا لم نهتد لقائله. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 532.

4- مثل يضرب لمن قد أسَنَّ، أي لذة النكاح والطعام. ينظر: الميداني أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، حققه وفصّله وضبط غرائبه وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، مطبعة السنة المحمدية، 1955، ص: 281.

5- "حشو" في (ب) وهو تصحيف.

6- **الدنان:** الخمر. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 226.

7- الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مج2، ج3، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ص: 270.

8- "الأطيبان" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ص: 270.

9- الأصبهاني، محاضرات الأدباء، مج2، ج3، ص: 270.

10- "الماقول" في الأصل والصحيح ما أثبتناه.

ومِن سوء أخلاقه لم يتب مع كبر سنّه. قالت أم المؤمنين سيّدتنا عائشة رضي الله عنها: "ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق، فإنه لا يتوب مِن ذنب إلا عاد في شرّ منه"[1].

ومما يحسنُ إنشاده فيه قولهم[2]: [الطويل]

يقولون تُبْ والكأس في كفِّ (أُغَيْدِ)[3] ** وصوت المثاني والمثالث عالي

فقلت لهم لو كنتُ أَزْمَعْتُ توبة ** وأبصرتُ هذا كلّه لَبَدَا لِي

وقول الآخر[4]: [الكامل]

كيف التروع عن الصبا والكأس ** قِسْ ذا لنا يا (عاذلي)[5] بقياسي

قالوا (شِمِطْتَ)[6] فقلت ما (شِمِطَتْ)[7] يدي ** عن أن (تحثّ)[8] إلى فمي بالكأس

/و**10**ظ/ ولم يكتفِ بهذا، وزاد أَنْ تعرّض لسخط الله وسخط رسوله بسبّ[9] أولياء الله، نعوذ بالله من أوّل الذنب وآخره، وجليله وحقيره. ولا أكتفي بما ذكرتُ في طالعة كتابي هذا فيه، بل لابد من إفراده بترجمةٍ تتضمن لُؤْمَه والتَّسْفِيه، فماذا يُؤَمل ويرجو مَن يمدحُ لحصول الغرض الفاني أو يهجو. جرّده الله من حِلْيَةِ[10] الدِّين وكساه ثوب الأدب، والأدب بلا دين عين الشقاوة والعطب، ولو أحبه الله لكساه إياهما. ويرحم الله من قال وأجاد في المقال: [البسيط]

أصبحتُ فيمن له دينٌ بلا أدب ** ومَن له أدبٌ عارٍ مِنَ الدِّين

أصبحتُ فيهم غريبَ الشّكل منفردا ** كَبَيْتِ حسّان في ديوان سحنون

1- رواه الطبراني في الصغير؛ وقال الألباني حديث موضوع. ينظر: ينظر: الألباني محمد ناصر الدين، ضعيف الترغيب والترهيب، ج2، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص: 192، كتاب الأدب وغيره، حديث رقم: 1611.

2- البيتان لنصر بن كشاجم أحد فحول الشعراء في عصر المتنبي، وقد وردا ببعض الاختلاف عند الشنتريني. ينظر: الشنتريني، الذخيرة، القسم الرابع، مج02، ص: 512.

3- "شادي" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، مج2، ص: 512.

4- البيتان لأبي نواس. ينظر: أبو نواس، ديوان أبي نواس، مصر: المطبعة العمومية، 1898، ص: 295.

5- "صاحي" في الأصل والتصحيح من ديوان أبي نواس. ينظر: المصدر نفسه، ص: 295.

6- "كبرت" في الأصل والتصحيح من ديوان أبي نواس. ينظر: نفسه، ص: 295.

7- "كبرت" في الأصل والتصحيح من ديوان أبي نواس. ينظر: نفسه، ص: 295.

8- "تسير" في الأصل والتصحيح من ديوان أبي نواس. ينظر: نفسه، ص: 295.

9- "بسبب" في (ب) وهو تحريف.

10- "حيلة" في (ب) وهو تحريف.

[ذكر ما كان للأعشى مع مسحل بن أثاثة]:

فله شبه بالأعشى الشاعر المعلوم، كان له قرينٌ من الجنّ يلقّنه الشعر والعياذ بالله. فمِن "«شرح ديوان الأعشى للآمدي» ما نصه؛ قال: رُوي عن الأعشى أنه قال: لما خرجْتُ أريد قيس بن معد يكرب بحضرموت[1]، فضلَّيْتُ في بلاد اليمن فرُمِيتُ ببصرى، فوقعت عيناي على خبإٍ من شَعْر، وشيخ على باب الخبإ، وأصابني مطر حينئذ، فسلّمت عليه فرحّب بي وأنزلني وقال لي: إلى أين تريد؟ فقلت: أريد قيسا. قال لي: أظنك قد مدحتَهُ بِشِعْرٍ؟ قلتُ: نعم. قال: أَنْشِدْنيهِ فقلت: [الكامل]

رَحلتْ سُمَيّة غُدوةً أحمالَها ** غَضْبَى عليك فما تقول بدَا لَها

فقال لي: مَن سمية التي نسبتَ بها؟ فقلتُ: لا أعرفها، ولكنه اسم أُلقي في رَوْعي. فنسبتُ به فنادى يا سمية اخرُجي، فأنشدَتْهُ القصيدة من أوّلها إلى آخرها. ثم قال لي: هل قلت غير هذه في أَحَد؟ قلتُ: نعم، كان بيني وبين عمّ لي يقال له فلان[2] لحّاء[3] فهجاني وهجوته فأفحمته. قال: وما قلتَ فيه؟ قال قصيدة أولها:[4] [البسيط]

ودَع هريرة إن الركب مرتحل ** وهل تطيق وداعا أيها الرجل

فقال لي ومن هريرة التي نسبتَ بها؟ قلت لا أعرفها، وسبيلها سبيل التي قبلها أعني سمية. فنادى يا هريرة، فإذا جارية أسنّ مْن الأولى، قال: أنشدي عمّك قصيدتي التي هجوتُ بها أبا ثابت يزيد بن مسهر[5]، فأنشدَتْها من أوّلها إلى آخرها، وما أسقطَت منها حرفا واحدا. قال الأعشى: فتحيّرت وغشيتني رِعدة، فلما رأى ما نزل بي قال: ليسْكُن روعك أبا بصير، أنا صاحبك مِسْحَل بن أُثاثة الذي ألقى على لسانك الشعر فسكَنَتْ نفسي. ولما سكن المطر قلتُ

1- **حضرموت**: ناحية باليمن مشتملة على مدينتين يقال لإحداهما شبام وللأخرى تريم وهي بقرب البحر في شرقي عدن. ينظر: القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، ص: 35.

2- يقصد يزيد بن مسهر ويكنى أبا ثابت. ينظر: البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج8، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط4، 2000، ص: 396.

3- **لحّاء:** مَنْ يترع اللِّحاء من الأشجار أو الجذوع الخشبيَّة ويعدّها للصِّباغة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2002.

4- الباقلاني، إعجاز القرآن، ص:425.

5- **يزيد بن مسهر**: بن أصرم بن ثعلبة الذهلي الشيباني، فارس جاهلي من سادات بني شيبان. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 188.

له: ادْلُلْنِي على الطريق، فدلّني عليه وأراني سُمْتُ مقصدي، وقال: لا تعُجْ يمينا ولا شمالا حتى تقع في بلاد قيس". انتهى من «لقط المرجان في أخبار الجان»[1]. ومن هذا المعنى قيل[2]: [السريع]

الكلب والشاعر في رتبة ** يا ليت أني لم أكن شاعرا
هل هو إلا باسطٌ كفّهُ ** يستمطر الوارد والصادرا
والله لولا حرقات الهوى ** ما كنتُ إلا رجلا تاجرا

ولا تجوز شهادة الشاعر إذا كان يمدح بالعطاء ويهجو بالمنع، وتجوز شهادته وإن كان يصف النساء والخمر في شِعره إذا كان عدلا. وقد فعل ذلك سيدنا حسان بن ثابت[3]، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم. ومِن حقّ مؤلفه الإعراض عنه، ولو سبّ/و11و/مَن يضاهيه في الجهل أمثالي، ومَن ظُلمةُ حالِه تحاكي ظلمة أحوالي، لقول الكبير المتعالي فيما أَنزله على خير المرسلين: ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[4]. ومعنى هذه الآية يشير إليها قول الأديب[5]:[مخلع البسيط]

أعرض عن الجاهل السفيه ** فكل ما قال فيك فيه
ما ضرّ بحر الفرات يوما ** أنْ خاض[6] بعض الكلاب فيه

وقال بعضهم في معناه أيضا[7]: [الطويل]

إذا سبّ عرضي ناقص القدر جاهل ** فليس له إلا السكوت جوابُ
ألم ترَ أن الليث ليس يضيره ** إذا نبحت (يوما عليه)[8] كلاب

وأَخَصُّ من هذين البيتين ما تضمّنه هذا البيت: [الطويل]

1- السيوطي جلال الدين، لقط المرجان في أحكام الجان، دراسة وتحقيق: مصطفى عاشور، القاهرة: مكتبة القرآن، 1988، ص ص: 159- 161. وقد نقل المؤلف عنه حرفيا.

2- الأبيات لأبي سعد المخزومي. وقد ورد البيتان الأولان عند: عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج1، بيروت: دار المعرفة للنشر، ط2، 1972، ص: 362.

3- **حسان بن ثابت تـ(54هـ/674م):** بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 175.

4- الأعراف، الآية 199.

5- البيتان للشافعي. ينظر: الشافعي، الديوان، ص: 129.

6- "بال" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ص: 129.

7- البيتان للشهاب المنصوري. ينظر: السيوطي جلال الدين، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره: فليب حتي، بيروت: المكتبة العلمية، 1927، ص:81.

8- "عليه يوما" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص: 81.

إذا لم يضرّ الكلب إلا نبيحه ** فدعه إلى يـــوم القيامـــة ينـــبحُ

وأخص منها ما للإمام الشافعي رضي الله عنه[1]: [الطويل]

إِذا سَبَّني نَذلٌ تَزايَدْتُ رِفعَـــةً ** وَما العَيبُ إِلّا أَن أَكونَ أُســـابِبُه

[تشنيع المشرفي على الكنسوس في سبّ أولياء الله]:

وبالجملة: أجرى الله عادَتَهُ في خلَفِهِ بمحض اختياره "أنَّ كل ذي وصفٍ حميدٍ محسودٌ". وفي دالية اليوسي[2]:[3] "إن الكرام مظنّة للحُسّد"[4]. وما ضرّنا الإعراض عنه أو السكوت، لـــولا خشية تجرّي العامة بكلامه على الخاصة، إذ في حفظنا قول من قال[5]: [البسيط]

قالوا سكَتَّ وقد خُوصِمْتَ قلـــتُ لهـــم ** إنّ (الجـــواب)[6] لِبَـــابِ الشـــرّ مفتـــاح[7]

أما تَرى الأُسْدَ تُخْشى وهـــي صـــامتة ** والكلبُ (يُخسى)[8] (لعمري وهو)[9] نبّـــاح

لكن حيث لم تبق بينه وبين أهلِ نسبةِ الله صداقةٌ، بغضـــناه في الله ولله. وفي الحـــديث الكريم: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل/و**11**ظ/ الإيمان"[10]. ولما بلغني ذلك عنه، أجابه لسان حالي بقول ابن الأسْلَت[11] "مهلا لقد أبلغت سماعي"[12]:[البسيط]

مَنْ قال صادِق لئامَ الناس قلتُ له ** قول ابنِ (أسلتَ)[13] قد أبلغت أسماعي

1- الشافعي، الديوان، ص: 32.

2- "السوسي" في (ب) وهو تحريف.

3- **اليوسي (1040-1102هـ/1630-1691م)**: الحسن بن مسعود بن محمد أبو علي نور الدين اليوسي: فقيه مالكي أديب، ينعت بغزالي عصره، من بني يوسي بالمغرب الأقصى. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج5، ص: 1801. مخلوف، شجرة النور، ص: 328.

4- يشير إلى قول اليوسي في داليته: "إذنا ولولا فوزها لم تحسد". اليوسي أبو الحسن، دالية اليوسي، مخطوط بمركز آل سعود، الدار البيضاء: المغرب، رقم: 366، ص: 19.

5- البيتان للشافعي. ينظر: الشافعي، الديوان، ص: 42.

6- "السكوت" في الأصل والتصحيح من: ديوان الشافعي، ص: 42.

7- "مفتوح" في (ب) وهو تحريف.

8- "يخزى" في الأصل والتصحيح من: ديوان الشافعي، ص: 42.

9- "وطول الدهر" في الأصل والتصحيح من: ديوان الشافعي، ص: 42.

10- رواه أبو داوود؛ وقال الألباني: حسن صحيح. ينظر: الألباني محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، ج3، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2000، كتاب الأدب، باب الترغيب في الحب في الله، حديث رقم: 3029، ص: 165.

11- **ابن الأسلت المتوفى سنة (01هـ)**: صيفي بن عامر الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي الأنصاري، أبو قيس: شاعر جاهلي من حكمائهم؛ كان رأس الأوس وشاعرهم وخطيبهم، وقائدهم في حروبهم. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 211.

12- المعري، الفصول والغايات، ص: 135.

13- "الأسلت" في الأصل والتصحيح من سقط الزند. ينظر: المعري أبو العلاء، سقط الزند، بيروت: دار صادر، 1957، ص: 131.

كأنّ كلّ جواب أنــت ذاكــره ** شَنْفٌ يُنَاطُ بأُذْنِ الســامع الــواعي[1]

وكثير من الناس من اقتبس هذا المثل الذي ضَرَبه نظما فقال[2]: [السريع]

قالت و لم تقصد لنيل الخنــا[3] ** مَهْلاً لقــد أبلغــتَ أسمــاعي

وأجابه لسان مقالي بما ستقف عليه إن شاء الله، إذ الواجب علينا معارضته صَونا لنسبة الله، أن يتطرق إليها كلام أهل الزيــغ والضــلال، ويجعلــه وســيلة للطعــن فيهــا عامّــة الجهّال:[البسيط]

إني امرؤ لا أصوغ الحُلــيّ تعمَلُــه ** كفّاي لكن لساني صائغ الكَلِــمِ[4]

وإني لنَظّــامُ القلائــد للعُلَــى ** ولستُ بنظّــام القلائــد للنحــر

إني وإن فاتني صدر الزمــان فــيَ ** رُدَّ على الصدر مِن أيَّامِه العجُــز

أخوض في بحر أفكار الأولى سلفوا ** وأجْتَني منه ما عن ذكره عجــزوا

ولأبي تمام[5]: [الكامل]

لــيس التقــدم بالزمــان مقــدِّمًا ** أحدًا ولا التأخير فيــه (يُــؤخِّرُ)[6]

فلكــل وقــت مســتجَدٍّ تُبَّــعُ ** ولكل وقت [مقبل إســكندرُ][7]

وهذا المتجاسر على أولياء الله، وعلماء الشريعة، إنِ استصغر كلامي فسيرى من علماء هذه الحضرة التي سبّ ابن نبيّها، الياقوت الأحمر مولانا إدريس الأكبر، ما يُحزِنه/و12و/ نظما ونثرا. لأنه سبّ مَن تتوسّل القوم باسمه برّا وبحرا، فهو وإن لَسَعَتْهُ عقرب فقد مدّ يــده لحَيَّــةٍ، وفتح عليه بابا يعسُر عليه سدّه. إذْ إنكارُه على مَن تحلّى بالفضائل الدينية، وأهــل نســبة الله

1- البيتان للمعري. ينظر: المعري، سقط الزند، ص ص: 131-132.

2- البيتان لأبي قيس بن الأسلت. ينظر: نفسه، ص: 131.

3- **الخنا:** الفحش في الكلام. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص: 313.

4- البيت الأول لإبراهيم بن علي بن سلمة بن هَرْمَة الفهري. ينظر: الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، شرح وتحقيق: محمد عبد السلام هارون، ج1، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7، 1998، ص: 160. والأبيات الباقية لم نهتد لقائلها.

5- البيتان لم نعثر لهما على أثر في ديوان أبي تمام؛ وقد وردا عند صاحب معاهد التنصيص دون نسبة. ينظر: العباسي عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص، ج1، مصر: المطبعة البهية، 1316هـ/1898م، ص: 222.

6- "خلي يؤخر" في الأصل والتصحيح من معاهد التنصيص. ينظر: العباسي، معاهد التنصيص، ج1، ص: 222.

7- الكلمتان ساقطتان من الأصل والزيادة من (ب) ووردت في معاهد التنصيص. ينظر: العباسي، معاهد التنصيص، ج1، ص: 222.

العليّة، وهم موتى في دار الحق خُرقٌ وحُمقٌ، بل لو كانوا أحياء وسار الركبان بخيرهم وصلاحهم، ما كان له أن يتكلّم فيهم.

نعم؛ لو كان الواحد فيهم حيا، وادّعى بين يديه بدعوى مُخالِفة لِما يعتقده في الشرع، ولم يظهر له تأويلها، ما ساغ له الإنكار عليه، إذ الكلام له ظاهر وباطن. وأهل الظاهر لهم نظر قاصر، وأهل الباطن نور البصيرة طَهّر لهم السرائر، وإذا صدر منه الإنكار فبخشوع وخضوع. وليقتدي بقول من قال: "لولا إنكار العلماء على أكابر الأولياء العظام، لادّعى التصوف سفهاء العوام. غير أن الأشراف لم تزل تُبتَلَى بالأطراف؛ فكان لآدم عليه السلام إبليس، ولنوح حام وغيره، وكان لداوود جالوت، وكان لسليمان صخر. وكان لعيسى في حياته الأولى بختنصر وفي الثانية الدجال، وكان لإبراهيم النمرود، وكان لموسى فرعون. وهكذا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فكان/و**12**ظ/ له أبو جهل، وكان لابن عُمر عدوّ يعبث به كلّما مرّ عليه إلى آخره"[1]. "ورموا الشيخ أبا مدين الغوث[2] بالزندقة، وأخرجوه من بجاية[3] إلى تلمسان[4] ومات بها"[5]. ذكره الشعراني[6] في كتاب «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»[7].

وقال السيوطي: "واعلم أنه ما كان كبيرٌ في قوم قطّ، إلا كان له عدوٌّ مِنَ السَّفَلَةِ يؤذيه"[8]. ثم قال سيدي عبد الوهاب: "وإنما ذكرنا لك يا أخي مِحَنَ هؤلاء الأئمة المتقدمين

1- الشعراني عبد الوهاب، اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر، ج1، مصر: المطبعة الميمنية، 1306هـ/1888م، ص: 13.

2- أبومدين الغوث تـ(694هـ/1294م): عبد الله بن محمد بن علي بن عبيد الله؛ أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي دفين العباد بتلمسان. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات، ص ص: 297-298. ابن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ص ص: 127-130.

3- **بجَايةُ:** بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياءٍ وهاءٍ ، مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من احتطها الناصر بن علناس بن حماد بن زِيري بن مَناد بن بُلُكين في حدود سنة 457هـ. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص: 339.

4- **تلمسَان:** وبعضهم يقول تِنمسَان بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان إحداهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة احتطها ملوك المغرب واسمها تافرزت، واسم القديمة أقادير. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 44.

5- الشعراني، اليواقيت والجواهر، ج1، ص: 14.

6- **الشعراني:** عبد الوهاب الشعراني المولود في 898هـ/1493م ببلدة قلقشندة، انتقلت به عائلته إلى قرية أبيه ساقية أبي شعرة وإليها انتسب فلقب بالشعراني. أحصى له بركلمان ما ينيف عن 60 مؤلفا؛ توفي سنة 973هـ. ينظر: عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق: طه عبد الباقي سرور والسيد محمد عيد الشافعي، ج1، بيروت: مكتبة المعارف، 1988، ص ص: 5-13.

7- الشعراني، اليواقيت والجواهر، ج1، ص: 14.

8- وجدنا هذا القول عند الكتاني. ينظر: الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ج1، ص: 542.

والمتأخرين تأنيسا لك"[1]. ولتتأسّى بهم في الصبر على البلايا والمحن مِنْ أبناء عصرك، فإنه لا سلامة مِن الخلق، ومَن رامها فقد رام المحال.

وأهل البيت الشريف وعلماء هذه الأمة المذكورون في التراجم الآتية، ابتلاهم الله بالكنسوسي السوسي، وهم في قبورهم منذ أَعصارٍ رَمَمٍ. فيا للعجب من حَسَدِهِ الذّميم الذي أدّاه إلى أنْ وَصَفَ الموتى بأوصاف يُستهجن ذكرُها، ويُقبّحَ وصفهم بها. وفي الحديث الصحيح: "اذكروا محاسن[2] موتاكم وكفّوا عن مساوئهم"[3]. كما لا ينبغي له ذكرهم بسوء في حال الحياة، وجلّهم من العارفين بالله وأهل نسبة الله، وهو أدنى مترلة مِن عبيدهم، بل ومن إيمائهم. ولله درّ أبي العلاء المعري حيث يقول[4]: [الطويل]

إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَ بِالْبُخْلِ مَادِرُ ** وعَيَّر قَسًّا بالفَهَاهَةِ باقِلُ

/و13و/وقال السُّهَى[5] للشَّمْسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ ** وقال الدُّجَى للصُّبْحِ لَوْنُكَ حَائِلُ

وطاولت[6] الأرض السماء سفاهة ** وفاخرت الشهب الحصى[7] والجنادل[8]

فيَا مَوْتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذَمِيمَةٌ ** ويا نَفْسُ جِدِّي إنَّ دَهْرَكِ هَازِل

ولا جَرَمَ أن الله سبحانه يكفي أولياءه وأنقياءه أمر الحسَدَة، على ما جَرَتْ به سبل الشريعة في المحاربين لأوليائه، أَنْ يتولى الحقّ سبحانه وتعالى محاربة من حاربهم، ومغالبة المستهزئين بهم. فكان كما قال مؤلف «النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب»: "ولقد شاهدنا جماعة منهم عوقبوا بأنواع العقوبات، ومنهم مَن طال سجنه، ومنهم من غُرّب عن بلده الزمن الطويل، ومنهم من صار عونا للظَلَمَة يستعملونه في سُخرية الحَشَمَة. ومنهم مَن

1- الشعراني، اليواقيت والجواهر، ج1، ص: 14.

2- "مجالس" في (ب) وهو تحريف.

3- رواه الترمذي وقال حديث غريب. والحديث ضعفه الألباني. ينظر: الألباني، ضعيف الترغيب، ج2، كتاب الجنائز، باب الترهيب من النياحة، حديث رقم: 2064، ص: 398.

4- المعري أبو العلاء، سقط الزند، بيروت: دار صادر، 1957، ص ص: 194-195. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 450.

5- **السهى**: كوكب خفي تمتحن به الأبصار. ينظر: المعري، سقط الزند، ص: 195.

6- **طاولت**: باهرت وفاخرت. ينظر: المعري، سقط الزند، ص: 195.

7- "الحضى" في (ب) وهو تصحيف.

8- **الجنادل**: الحجارة. ينظر: المعري، سقط الزند، ص: 195.

نكص على عقبه، وطبع الله على قلبه، فكان لا يَرُدُّ وجهه لقِبْلَةٍ، ويتهافت على حُطام هذه الفانية، إلى أَنْ بلغ أرذل العمر ومات على حالة سيئة، وجعل الله ماله نهبا للولاة"[1].

"ومنهم من عاقبه الله بالعمى، ومنهم من أقامه الله في إذاية الخلق من عباده وأوليائه، وجعله كلبا عقورا لأحبائه وأصفيائه، ثم سلّط عليه مَن قَتَله بالحديد وأذاقه العذاب الشديد ﴿**وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾[2]. وما أحسن/و**13**ظ/ قول من قال: لحوم الأولياء مسمومة، وعادة الله فيمن تنقّصَهُم وآذاهم معلومة.

ثم قال: تنبيه؛ عادة الله وسنّته في أنبيائه وخاصته مِن أوليائه، أَنْ يجعل لهم العباد على قسمين: قسمٌ يعتقدهم ويصدّقهم في علومهم وأسرارهم. وقسم ينتقد عليهم ويكذبهم فيما أخبروا به حسدا وكراهية. فتجد[3] العموم منهم يستبعدون كرامة الأولياء، ويستغرب عقولهم إنعام الله عليهم، ثم يحملهم ذلك الحسد على إذاية أولياء الله والتسليط عليهم، وعلى مَن تعلق بهم من أحبّائه وأصفيائه، فيمدّ الله سبحانه ذوي الولاية العرفانية، والعناية الربانية بالصبر، لترتفع أقدارهم وتزهر أنوارهم"[4].

"قال أئمتنا: وفائدة ذلك وسرّ حكمته، أنْ يُخلّص الله قلب وليّه من إحسان الخلق، ويتعلّقَ نظرُه بالمَلِك الحق لا إله إلا هو، إذْ لو كان الخلق كلّهم مصدّقين للولي، لفاته ثواب الصبر على تكذيب المكذبين منهم، ولو كانوا كلهم مكذِّبين له، لفاته الشكر على نعمة تصديق المصدِّقين له. فالولي قائمٌ بحقّ عبودية مولاه، فيمن صدّقه بالشكر، وفيمن كذّبه بالصبر" انتهى[5].

قلت: لما طبع الله/و**14**و/على قلب هذا المُبعَد عن رحمة الله، حجبه عن إدراك نور الله في أوليائه، وطَمَسَ بصيرتَه واستولى عليه الحسد، وتكلّم بسبّهم في كتابه بالقصد.

1- ابن صعد، التلمساني، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، ج1، دراسة وتحقيق: بلحاج محمد، مذكرة ماجستير، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد بن معمر، نوقشت بقسم الحضارة الإسلامية بجامعة وهران، 2008، ص: 146.

2- طه، الآية 127.

3- "فتحد" في (ب) وهو تصحيف.

4- ابن صعد، النجم الثاقب، ص: 146.

5- المصدر نفسه، ص: 147.

[ذكر الغالي اللجائي وما كان منه تجاه لحسن قنبور]: ومثلُه الغالي اللجائي[1]، أنكر حال العلامة المبرور، السَنِيُّ المشهور، السند المذكور، السّيد الحاج لحسن[2] قنبور[3] وقال: لم يكن زاهدا في ملبسه ومطعمه. وما علِمَ هذا الجاهل أنَّ الزّهد في الدنيا هو اعتقاد حقارتها وملازمة هَوانها، وعدم ركون النفس إلى لذّاتها. أما فراغ اليد منها وترْكِهَا في الظاهر، مع تعلّق القلب بها في الباطن فليس ذلك من الزهد في شيء.

وكيف يتوهم المتوهّم أن هذا السيد الأتقى، كان ممّن يحب الدنيا ويرغَب فيها، وهو لم يتّخذ حرثا ولا محراثا، ولا اكتسب ثاغية[4] ولا راغية[5]، وكانت عنده بقرة في بعض السنين، اتّخذها لصِغَرِ أولاده يشربون حليبها. فكان يذهب بها لموضع يملكُه ترعى فيه وهي مُلجمة، وعند رجوعها مِن المرعى يَرُدُّ لجامها، إلى أن يدخلها بيته وموضع سكناه. فحصل له حينئذ الملل في أقرب مدّة فباعها لئلا يقع في محذور حالَةَ مَرْعَاهَا، وما التفت لمراد أزواجه وأولاده، وإنما كانت همته/و**14**ظ/ فيما يلقى به مولاه.

وكانت له حمارة يركبها في بعض أسفاره، لزيارة الأولياء وأشياخه بالحضرة الإدريسية، فإنْ مَشَتْ به سافر، وإنْ وقفت ساعدها ورجع، ولم يثبت عنه أن ضربها أصلا. وقد نزل على ظهرها يوما في بعض أسفاره، وساقها قُدّامَه فضربها ولدُه لتسرع في المشي، فنهره انتهارا شديدا وقال له: اتركها عليك تمشي كيفما أحبّت.

فكيف لا يكون هذا زاهدا في الدنيا، وهذه حاله منذ عقل الغُربة، وقرأ العلم ورجع من هجرته الظاهرة، وتوجه إلى الله بالهجرة الباطنية، بين قوم همّتُهم بطونهم وشَرَهُهُم متاعهم، ولا عليه فيهم. هو معهم بظاهره، ومع مولاه بباطنه، ومع ذلك قد أعطاه الله الشهرة بين أظهرهم

1- الغالي اللجائي: محمد الغالي بن محمد العمراني الحسني اللجائي نسبته إلى قبيلة لجاية، توفي بفاس سنة 1289 هـ/1872 م. من كتبه دوحة المجد والتمكين في وزارة بني عشرين. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2645. الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 324.

2- جاء على هامش المخطوط: قف على قضية الغالي اللجائي مع سيدي الحاج الحسن قنبور، بل هو شريف النسب ثابت الحسب، ذكر جدّه مولانا عبد الرحمن الشريف غير واحد من المؤرخين كالقادري في نشر المثاني وغيره ممن لا يحصى كثرة والله يغفر للجميع". والخط الذي كتبت به هذه الفقرة يقينا ليس بخط المؤلف.

3- **لحسن قنبور:** أبو عليّ الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز قنبور بقاف معقودة الورياكلي الأصل اللجائي المولد والمدفن، خاتمة أعلام أئمة القراءات بالمغرب ومحدثيه. توفي 17 ربيع الثاني1283هـ/1866م؛ ودفن بقبيلة الجاية. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 459. الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ج1، ص ص: 291-292 وص: 497.

4- **الثاغية:** الشاة والبعير. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 97.

5- **الراغية:** الناقة. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 358.

وهم ما بين أشراف وأطراف، وحسدوه على تلك المنزلة أولاد ابن عبد الرحمن الشريف، لوقوفه مع السنّة، ومعرفته بالله دون ما سواه. فكانت قبيلة لجاية[1] تشاوره في أمورها كلها تبرُّكًا واقتداء به، وتقلِّدُه العامة والخاصة منهم في أمر الحلال والحرام، والمعوّل على ما يقول، واشتدّ بُغْضُ هؤلاء الحسدة له في حياته، وكانوا يسرقونه ولا يلتفت/و15و/ إليهم.

[شكاية لحسن قنبور إذاية قبيلة لجاية]:

[ومن نصّ كتاب له كتبه لبعض تلامذته بفاس، شاكيا له بإذايتهم. بعد الحمدلة والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه قائلا: "من عبد ربه وأسير ذنبه، الحسن بن محمد قنبور، كان الله له وليًّا وبه حَبِيًّا. إلى أخيه في الله وحِبّه ومحبوبه، الفقيه الأستاذ المجوّد، المؤدِّب للصبيان، السلام التام الأكمل على حضرتك السَّنِيَة، والرحمة مِن الله والبركةُ تعمّان طلعتك البهية، أما بعد: بموجب الكتاب إليكم، السؤال عن أحوالكم المرضية، جعلها الله بخير وعافية، وتجديد العهد بصحبتكم، والتعلّق بأذيالكم، وإعلانكم بأن العُبَيْدَ الحقير، قد كثرت إذايته من الجيران، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت؛ مع كبر السنّ وضعف البدن عن الحركة، والحمد على كل حال. وهذا حال الدنيا إذا أضْحَكَتْ قليلا أبكت كثيرا، ولنا أسوة فيمن سبقنا من السادات الكرام كالأنبياء والعلماء، قد أُخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله، فقدِموا على ربهم فأكرمهم على ما صبروا.

فتذكّر يا أخي ويا صفيّي: الفقيه العلامة سيدي المكي بن جريْدَ، قد جاء مكبّلا من مراكش، وأُخرج من داره وجيء بعيّاله ومات بفاس الجديد، وقد طرق سمعكم ما جرى لنا مع أهل الزاوية. قال الله العظيم: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ**﴾[2]، ثم قال: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[3]، ثم قال: ﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[4]. قال سيدنا عمر رضي الله عنه في معنى الآية "نِعْم العدلان ونعم العلاوة"[5].

1- **القبيلة اللحائية**: قبيلة مغربية ذات حدائق جميلة، وافرة القرى، لقبت بالبهجة. ينظر: بن عبد الله، معلمة المدن والقبائل، ص: 163.

2- البقرة، الآية 155.

3- السورة والآية نفسها.

4- البقرة، الآية 157.

5- ورد القول في الإحياء للغزالي. ينظر: الغزالي، الإحياء، ج12، ص: 2171.

والآن يا سيّدي ويا ولدي عطفًا وشكايةً نرغّبك لله وفي الله، إنْ كانت الدويرة تجمع شملي فهيّئها لي، وأخرِجْ الحاج العباس منها ولابدّ. وَهَا ولداي الفقيه والسيد أحمد أصلَحَهُمَا الله، يَقْدُمَان عليك يتكلّمان معك. وإنْ ظهر لك مسكن للكراء فأخبرني في بطاقة، وفي كريم علمك أنَّ سُكْنَى المدينة يشقّ عليّ اليوم، لقلّة ذات اليد والضَّعف لكن الرجاء في الله قويّ "أنا عند ظن عبدي"[1] في الحديث، إلى آخر البطاقة فانظرها يا أيها الأخ، ما جرى له مع أهل هذه الزاوية][2].

ولما قضى الله بوفاته من مرضٍ مَرِضَهُ، أوصى قُربَ وفاته بأن يُدفَن مع أشياخه، بروضة القُبُبْ من فاس المحروسة من كل بأس. وأراد أولاده تنفيذ الوصية ونَقْلِهِ، فمَنَعَتْهُم منه القبيلة اللجائية، ودفنوه بساحة داره وبنوا عليه قبّة، فتمالأ الحاسدون على هدمها، ليبقى جدّهم منفردا بالقبة، خوفا مِن أَنْ تأتي القبيلة لزيارة هذا العالم، وتنسخ قبّتُه قبّةَ جدهم، وهذا منهم عقوق لأستاذهم ولجدّهم. إذْ لو كانوا بارّين لطلبوا دفنَه ملتصقا بظهر جدهم، أو بوسط ضريحه علّ جدَّهم ينتفع بدفن هذا السَني معه أو بمجاورته إيّاه. لكنهم اغترّوا بتزويق قبّة جدّهم بالقرمود، وما دَرَوْا ما هو آيلٌ إليه جدّهم المدفون بوسطها. قال سيدي عبد الرحمن الثعالبي[3] الجزائري رضي الله عنه[4]: [الكامل]

وإذا وليتَ أمور قومٍ ليلةً ** فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حملت إلى القبور جنازة ** فاعلم أنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقّش سطحه ** ولعله من تحته مغلول

ولَمَّا لمْ تتركهم القبيلة المذكورة يهدمون قبّة هذا العالم، تداعوا مع أولاده إلى أمير الوقت وحاسم مادة النزاع والمقت، أبي المكارم سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن بن هشام، وزعموا أن البقعة التي دفن/و**15**ظ/ بها، يملكونها بديارها التي كان يسكن بها، وفيها بَلَغَ أرذل

1- رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وصححه الألباني. ينظر: الألباني، صحيح الترغيب، ج2، كتاب الذكر، حديث رقم: 1487، ص: 202.

2- ساقطة من (ب).

3- **الثعالبي (786-875هـ/1384-1470م):** عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري؛ أبو زيد: مفسر من علماء الجزائر، زار تونس والمشرق. من كتبه: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 333.

4- وردت الأبيات عند القرطبي. ينظر: القرطبي أبو عبد الله، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مج1، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ص: 304.

العمر، وَسِنُّ أولادِه الذين ازدادوا بها تابعة لسنِّهِ، وقالوا: لا يدفن ميّت بمُلكهم. فأنهى أيّده الله القضية للشّرع المطاع، فتحقق حينئذ شيخ الجماعة خار[1] الله له في دار التراضي، مولاي محمد بن عبد الرحمن القاضي، عند نزاع الفريقين ووقوفهما لديه، أنّ هذا من باب التنافس والتحاسد والحَميّة الجاهلية. فسكتَ عنهم وأعرَضَ عن جهالتهم وتعصُّبِهم، فندبهم بعضُ مَنْ حَضَرَ مِنْ جانب السلطان المؤيد بالله، كالسيد محمد المسعودي المدعو بابن الضاوية، والسيد عبد السلام البقالي للصّلح، فانتدبوا له مع كُمُونِ الحقد والغلّ في صدورهم. إذْ بَعْدَهُ تجرّؤوا على أولاده وأخرجوهم من ديارهم، فسكنوا قبيلة أسلاس[2] فارّين مِنْ إقامة الفتنة وأهلها بين يقظة ونوم، وباء المُبْغضون بالشرّ والإفلاس.

[رجع الحديث عن الكنسوسي]:

رجعٌ منا إلى الكلام مع الكنسوسي، الذي تجاسر على أولياء الله في التأليف، وهو ليست له مَلَكَةٌ يقتدر بها على التصنيف، إذ هو فيه أعيا من باقل[3]، والحافظ أَوْلَى منَ النّاقل، ولكن الأيام قُدِّمَتْ فيه بغير استحقاق، وآذَنَتْ بأنَّ الحرّ[4] يُقدِّمُه ذو استرقاق: [الطويل]

[عجبت لقُمري يزاحم بازيا ** بلى أكل لحم طير غير قاتل

متى يعرف القمري لحما ** .....[5]][6]

ولا شك أنّ هذا من أشراط الساعة. ففي صحيح البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا وُسِّد الأمر"[7]، وفي/و**16**و/ رواية

1- **خار**: من خار الشَّيءَ انتقاه واصطفاه. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 710.

2- **قبيلة سلاس:** قبيلة مغربية صغيرة لا يتجاوز طولها أربعة كيلومترات طولا وعرضا. ينظر: ابن عبد الله، معلمة المدن والقبائل، ص: 273.

3- مثل تطلقه العرب على العِيِّ وهو خلاف البيان. **وباقل**: هو رجل من ربيعة، بلغ مِن عِيِّه أنه اشترى ظبياً بأحدَ عشَرَ درهماً، فمرّ بقوم فقالوا له: بكم اشتريت الظبي؟ فمد يده وَدَلَعَ لسانَه يريد أحد عشر، فَشَرَدَ الظبي وكان تحت إبطه. ينظر: أبو هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، ضبطه: أحمد عبد السلام، خرج أحاديثه: أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988، ص: 63.

4- "الحن" في (ب) وهو تحريف.

5- هكذا ورد البيت الثاني في الأصل دون عجز.

6- هذان البيتان ساقطان من (ب) و لم نهتد لقائلهما.

7- رواه البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، اعتنى به: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ط2، 2006، ص: 21، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، حديث رقم: 59. والحديث ضعّفه الألباني. ينظر: الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 2009، ص: 855، باب الخلافة والبيعة والطاعة والإمارة، حديث رقم: 4376.

"أسند الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة"[1]. وكلّنا ذلك الرجل، فَمِنْ أين لنا القدرة على التأليف، لولا الغيرة حملتنا على مقابلة الكلام بالكلام، والملام بالملام، فسوّدنا الصحف كما سوَّدَهَا والسلام.

وتَرْجَمْتُهُ بـ: **الحسام المشرفي، لقطع لسان السابّ الجعرفي، الناطق بخرافات الجعسوس، سيء الظن الكنسوس**. وقد احتوى على سبعة تراجم عدّ الأيام السبعة، لا عدّ السُلاميات[2] والبراجم[3]:

الأولى: تتضمن القدح فيه ليتفطن لعيبه كلَّ نبيه. **الثانية**: في الأشاعرة وذي السُّمت الرباني شيخ المشايخ مولانا عبد القادر الجيلاني. **الثالثة**: في الكبريت الأحمر مولانا إدريس الأكبر. **الرابعة**: في أولياء المغرب ومَنِ الولاية في غيرهم عنقاء[4] مُغرب، من زواياهم بالخير مشهورة لا من زاويته على البدع مقصورة. **الخامسة**: في العالمين الجليلين العاملين النبيلين، مولاي عبد الهادي السجلماسي، والسيد عبد الواحد بن سودة الفاسي. **السادسة**: في انتخاب الوزراء على وفق نظر الملوك والأمراء. **السابعة**: في عدّة الملوك والدول الأواخر منهم والأوّل.

[مقدمة في فائدة علم التاريخ وشرفه]:

ولابد من ذكر مقدمة في فائدة علم التاريخ، وشرفه وابتدائه عند هذه الأمة، التي هي منتهى طرفه، وذِكْرُ الله له. وأقدّمه ومعناه لغة واصطلاحا/و**16**ظ/ فنقول: كفى بعلم التاريخ شرفا وفائدة، أنه أبطل حجّة اليهود المستظهرين برسمٍ يتضمن توقيرهم بحطّ الجزية[5]، ورَبْطِ العمائم في خلافة مولانا إسماعيل[6] سنة ثلاث عشرة ومائة وألف[7]، لكونهم من أهل بيت صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ومجَّد وكرّم ووالى عليه وأنعم.

1- رواه البخاري. ينظر: البخاري، الصحيح، ص: 104، باب رفع الأمانة، حديث رقم: 6496.

2- **السلاميات**: العظام التي بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 446.

3- **البَرَاجِمُ**: إناث واحدها برجمة؛ وهي مفصل الإصبع. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 47.

4- "غنقاء" في (ب) وهو تصحيف.

5- كتب اليهود كتابا وزعموا أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل الخيبر، وفيه شهادة جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: سعد بن معاذ ومعاوية بن أبي سفيان. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص: 129 في ترجمة أحمد بن علي بن ثابت.

6- **المولى إسماعيل**: إسماعيل بن المولى الشريف أحد سلاطين الدولة العلوية. تولى 16 ذي الحجة الموافق 13 أبريل 1082هـ/ 1672م، وأقام في الخلافة سبعا وخمسين سنة استقلالا، وسبع سنين خليفة عن أخيه الرشيد. توفي يوم السبت 28 رجب 1139هـ/ 29 مارس 1726م. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 279 و ص: 326 وص: 328.

7- 1113هـ/1701م.

وهذا الكتاب مزوّر عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان[1] رضي الله عنه، وشهوده عتيق بن أبي قحافة[2] وعبد الرحمن بن عوف والأقرع بن حابس[3] رضي الله عنهم، وتاريخه لتسع من الهجرة النبوية. ومثل هذه النازلة وقعت في المائة الخامسة ببغداد[4]، فعُرض رسمها على الحافظ أبي بكر البغدادي رضي الله عنه فقال: هذا مزوّر لأن معاوية أسلم عام الفتح[5] وفتْحُ خيبر سنة سبع[6]، وشهوده علي بن أبي طالب وسعد بن معاذ[7] ومعاوية ابن أبي سفيان، وسعد مات يوم بني قريظة[8] قبل خيبر، فبطل الكتاب وخَسر مُظهِره وخاب[9].

[ابتداء التأريخ]:

والمعروف أنّ التاريخ من الهجرة، وأول ما حدث في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأما كُتُبُ النبي صلى الله عليه وسلمّ المنقولة/و**17**و/ في كتب السير وغيرها، للملوك أو غيرهم، فليس فيها تاريخ. والكلام على التاريخ، أي على ابتدائه ما نصه: ففي صحيح البخاري

1- **معاوية بن أبي سفيان:** بن حرب بن أمية بن عبد شمس، شهد حنينا مع النبي صلى الله عليه وسلم. توفي في شهر جب سنة 60هـ/679م وهو ابن ثمان وسبعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج6، ص ص: 15-34.

2- **عتيق بن أبي قحافة:** هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ينظر: الطبري محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1968م، ص: 164.

3- **الأقرع بن حابس:** بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي المجاشعي الدرامي أحد المؤلفة قلوبهم؛ توفي سنة 31هـ/651م. ينظر: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 2001م، ج6، ص: 163-164 وج9، ص: 37. ابن عبد البرّ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مج1، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط1، 1992، ص: 103.

4- **بغداد:** اختطها السفاح قرب الكوفة، ومصّرها أخوه المنصور، وشرع في عمارتها سنة 145هـ ونزل بها سنة 149هـ. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص ص: 456 – 467.

5- يقصد فتح مكة سنة 08هـ/629م. وعن أحداث فتح مكة ينظر: ابن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، تحقيق: أحمد جاد، المنصورة – مصر: دار الغد الجديدة، ط1، 2005، ج4، ص: 38.

6- 07هـ/628م. وهي من الغزوات التي انتصر فيها المسلمون على اليهود. عن أحداثها راجع: ابن سعد، الطبقات، ج2، ص: 100. ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص: 293. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1999، ص: 485.

7- **سعد بن معاذ تـ(5هـ/626 م):** بن النعمان بن امرئ القيس الأوسي الأنصاري. صحابي جليل من أهل المدينة. كانت له سيادة الأوس التي حمل لواءها يوم بدر. شهد أحدا فكان ممن ثبت فيها، وكان من أطول الناس وأعظمهم جسما. دفن بعد وفاته بالبقيع وعمره سبع وثلاثون سنة، وحزن عليه النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 88.

8- كانت هذه الغزوة في 5هـ عن أحداثها راجع: ابن سعد، الطبقات، ج2، ص: 70. ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص: 70.

9- عبد الهادي نجا المصري الأزهري، سعود المطالع لسعود المطالع، مخ بالمكتبة الوطنية المغربية ضمن مجموع رقم: 1428د وهو في آخر المجموع، و262ظ. وسينقل عنه المؤلف فقرات طويلة حرفيا وسننبه عليها في مواضعها.

باب التاريخ ومِن أيْن أرّخوا[1]. القسطلاني: أي مِنْ وقتِ كان ابتداؤه؟ فعند ابن الجوزي: أنه لما كثر بنو آدم أرّخوا بهبوط آدم عليه السلام، فكان التاريخ إلى الطوفان ثم إلى نار الخليل، ثم إلى زمن سليمان ثم إلى زمن عيسى عليه السلام، ورواه ابن إسحاق عن ابن عباس. وقيل: أرّخت اليهود بخراب بيت المقدس، والنصارى برفع عيسى عليه السلام.

[ابتداء تاريخ الإسلام]:

وأما ابتداء تاريخ الإسلام، فرُوي عن ابن شهاب الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما قدم المدينة أمر بالتاريخ فكُتِبَ في ربيع الأول. رواه الحاكم في «الإكليل»[2]، لكن قال في «الفتح»[3] أنه معضل والمشهور خلافه[4]. وفي الصحيح: ما عدّوا ذلك إلاّ مِن مَقْدَمِه المدينة [مهاجرا][5] وإنما جعلوه من المحرم، لأن ابتداء العزم على الهجرة كان أول هلال استهلّ بعد الهجرة بل بعد البيعة. والعزم على الهجرة هلال المحرم، فناسب أن يُجعل مبدَءاً، وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه سنة سبع عشرة[6]، فجمع الناس فقال بعضهم: أرِّخ بالبعثة/و**17**ظ/ وقال بعضهم بالهجرة، وقال عمر: الهجرة فرّقت بين الحق والباطل، فأرِّخوا بها وبالمحرم لأنه منصرَفُ الناس في حَجَّتهم فاتفقوا عليه، رواه الحاكم وغيره. والذي تحصل من مجموع الآثار، أن الذي أشار بالمحرّم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم[7].

وقال في «سعود المطالع» ما نصه: "الفن الأربعون في التاريخ: وهو مِنْ أجلّ العلوم قدرا، وأجلاها في ظلمات الحيرة بدرا، يُكسب صاحبه النباهة حتى يفوق أمثاله وأشباهه، فيحوز المراتب العليّة ويفوز بالمطالب السنية. إذ به (يستنير)[8] الفكر والألباب، وتُعلَم حوادث الأزمنة والأحقاب، وبمرآته ينكشف ما دوّنه الأوّلون من العلوم والصنائع، ويظهر ما خفي من

1- البخاري، الصحيح، ص: 535، حديث رقم: 3934.

2- يقصد كتاب: الإكليل في شرح مختصر الشيخ الخليل - تأليف محمد بن محمد بن أحمد السنباوى الشهير بالأمير. ينظر: البغدادي إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص: 116.

3- يقصد كتاب: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

4- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، اعتنى به: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ج8، الرياض: دار طيبة، ط1، 2005، باب التاريخ، حديث رقم: 3934، ص:727.

5- ساقطة من (ب).

6- 17هـ/638م. وعن خلافة عمر رضي الله عنه راجع: ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص: 574.

7- نقل حرفي من فتح الباري، والحديث رواه أحمد في مسنده. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج8، ص ص: 730-731.

8- "تستنير" في الأصل والتصحيح من سعود المطالع، و262و.

أحوال القرون السالفة، وأخبار الأمصار الجامعة، وما فيها من الآثار والمنافع. ولله درّ من قال[1]: [الكامل]

ليس بإنسان ولا عاقل ** مَنْ لا يعي التاريخ في صدره
ومن درى أخبار مَنْ قَبلَه ** أضاف أعمارا إلى عمره[2]

ولذا كان بعض الملوك يوصي ولده[3] دائما بقوله: يا بني لا تغفل عن قراءة الكتب، ولا سيما التواريخ القديمة، فإنك تطّلع بها بكل سهولة على ما كسبه غيرك بكل تعب"[4].

"ومن فوائد التاريخ كشف عورة الكاذبين، وتمييز حال الصادقين. ولا تخفى حكاية اليهود لما أظهروا كتابا وزعموا أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بإسقاط الجزية /و18و/عن أهل خيبر، وفيه شهادة جماعة من الصحابة، منهم (سعد بن معاذ)[5]، ومعاوية بن أبي سفيان. فظهر بذلك كذبهم، لأن فتح خيبر كان سنة سبع، وسعد[6] مات يوم قريظة قبل خيبر بسنتين، ومعاوية إنّما أسلم عام الفتح، ولا يجهل نفعَه إلا ساقط الهمّة جامد القريحة"[7].

[أول من أرّخ]:

"وقد ذكر الله تعالى التاريخ في كتابه فقال: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾[8]، وأول من أرّخ أولاد آدم كما رواه ابن عساكر[9] في تاريخه قال: لما أُهبط آدم من الجنة وانتشر ولده، أرَّخَ بنوه من هبوط آدم. فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحا، فأرّخوا بمبعثه حتى كان الغرق فهلك من هلك، وخرج نوح وذريته ومن معه، فكان التاريخ من الطوفان إلى زمن نار إبراهيم. وأقدم التواريخ التي بأيدي الناس تاريخ القبط الآتي، لأنه بعد

1- ورد البيتان دون نسبة؛ وذكرهما صاحب الإتحاف. ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج1، ص: 10.
2- "أعماره" في (ب) وهو تحريف.
3- "أولاده" في (ب) وهو تحريف.
4- سعود المطالع، و261ب.
5- سعد بن أبي وقاص في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج2، ص: 70. ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص: 70.
6- يقصد سعد بن معاذ رضي الله عنه.
7- الأزهري، سعود المطالع، و262ظ.
8- البقرة، الآية 189.
9- **ابن عساكر:** علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر مولده ووفاته بدمشق (499-571هـ/1105-1176م). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 309.

الطوفان، ثم اجتمع رأي كل ملّة، فأرَّخَ الروم واليونان بالإسكندر، والقبط بملك بختنصّر، وبنو إسحاق من مبعث نبي إلى آخر، حتى أتى عام الفيل (فجعلوا)[1] تاريخا"[2].

[مفهوم التاريخ في اللغة والاصطلاح]:

واعلم أن "التاريخ في اللغة: مصدرٌ بمعنى تعريف وقت الشيء، مُعرَّبٌ من ماه روز. ومعنى ماه: الشهر، وروز: اليوم. وعادة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف، فعرّبوا ماه روز بمُورَخْ وجعلوا مصدره التاريخ، واستعملوه في وجوه التصاريف. وفي الاصطلاح: تعريف الوقت بإسناده إلى أول/و**18**ظ/ حدوثِ أمرٍ شاعَ، كظهور ملّة وكوقعة الطوفان"[3]. "وفي «مفاتيح العلوم»[4]: التاريخ كلمة فارسية أصلها ماه روز فعُرّبت. ويقال إنّ الأرَخَ: الوقتُ، والتاريخ: (كلمة)[5] التوقيت. وفي «الصحاح»[6]: التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله، وأرّختُ الكتاب يوم كذا ووَرَّخْتُهُ بمعنىً واحد. وقد فرّق الأصمعي[7] بين اللغتين فقال: بنو تميم يقولون ورّخت الكتاب توريخا، وقيس تقول أرّخته تأريخا"[8] انتهى.

[أنواع التواريخ]:

"وقد أشار ذلك الاسم[9] بعشر جمل ثالثة وهو الميم، وذلك أربعةٌ للمؤرخ إلى عدد التواريخ التي اعتبرها المنجّمون من سائر التواريخ فهي أربعة: تاريخ العرب، وتاريخ الروم، وتاريخ الفرس، وتاريخ القبط"[10].

1- "فجعلوه" في الأصل وهو تصحيف؛ والتصحيح من سعود المطالع.

2- الأزهري، سعود المطالع، و262ظ.

3- المصدر نفسه، و262ب.

4- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، قام بطبعه وتصحيحه وترقيمه: عثمان خليل، مصر، ط1، 1930، ص: 48.

5- "كأنه" في الأصل وهو تحريف؛ والتصحيح من سعود المطالع.

6- الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مج1، بيروت: دار العلم للملايين، ط3، 1984، ص: 418.

7- **الأصمعي**: عبد الملك بن قريب بن علي المعروف بالأصمعي؛ ولد سنة 122هـ/740م. أديب لغوي، له تصانيف كثيرة، توفي سنة 216هـ/831م. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص: 170-176. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ج2، القاهرة: دار المعارف، ط4، ص ص: 147-151.

8- الأزهري، سعود المطالع، و263و. وقد ورد اللفظ عند السخاوي. ينظر: السخاوي محمد بن عبد الرحمن شمس الدين، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1986، ص: 16.

9- جاء على هامش المخطوط: "أعني إسماعيل".

10- الأزهري، سعود المطالع، و263و.

[*تاريخ العرب*]: "فأما تاريخ العرب[1]، فإن الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض، وضع اثني عشر شهرا وسمّاها بأسمائها وهي: المحرم وصفر إلى آخره. كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا**﴾[2]، ثم أنزل ذلك في كتبه المنزّلة، وبقيت على ترتيبها إلى أن جاء إبراهيم عليه السلام، ورسّم الحج في عاشر ذي الحجة. وكانت العرب بعده تحج كذلك، فكان الحج يأتي في الفصول كلّها، وأهلُ مكّة على ما هم عليه من الضيق والخصاصة. فإن جاءت العرب في غير وقت الخصب وإدراك الغلاّت، قلّ ما معهم من البضائع والأزواد، وكثُر الجوع والقحط بمكة. فوقعت الشورى بين العرب في ذلك/و**19**و/ فأشار لهم خطيبهم ورئيسهم بأن يعيّن لهم في السّنَة وقتا واحدا لا يتغير يحجّون فيه، وهو إدراك الغلاّت وكثرة المياه، فتقصدهم العرب بما معها من الخيرات، فيصيبون منها ويدّخرون فوافقوه على ذلك"[3].

"فلما كان وقت الحج، أقبلت العرب مِنْ كلّ مكان، فقام فيهم خطيبُهم فشكى ضيق أهل مكة وقال: إني أسألكم في هذه السنة شهرا -أي أزيده فيها- وكذلك أفعل في ثلاث سنين، حتى يأتي حجّكم في أطيب وقت من كل سَنَةٍ، فوافقوه. فنشأ شهر المحرم وأُخِّر المحرم القديم إلى صفر، وصفر إلى (الربيع)[4] وهكذا إلى آخرها. فوقع في السنة الثانية [غير][5] المحرم محلّه وجعل تلك[السنة][6] ثلاثة عشر شهرا، فمضى على ذلك مائتان وعشر سنين أو وعشرون سنة، وكان انقضاؤها[7] سَنَةَ حجّة الوداع وهي العاشرة من الهجرة، فاتفق فيها رجوع الحج إلى عشرة ذي الحجة. فحج النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين فيها، وقال في جملة ما خطب به[8]: أَلَا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض -يعني رجوع الحج إلى الوضع

1- عن هذا التاريخ راجع: القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، ج6، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط1، 1922، ص ص: 255-256.

2- التوبة، الآية 36.

3- الأزهري، سعود المطالع، و263و- و263ظ.

4- "ربيع" في الأصل وهو تحريف؛ والتصحيح من سعود المطالع، و263ظ.

5- ساقطة من سعود المطالع والزيادة من المؤلف. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و263ظ.

6- ساقطة من الأصل والزيادة من سعود المطالع. ينظر: المصدر نفسه، و263ظ.

7- "قضاؤها" في (ب) وهو تحريف.

8- عن هذه الخطبة ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج2، ص: 167. ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص: 630.

الأول- ثم تلا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا**﴾[1]، وأمر بإبطال الزيادة ورجوع الحج والشهور إلى الوضع الأول"[2].

"وقد كان للعرب في اليمن والحجاز تواريخ كثيرة (يتعارفونها)[3]، خَلَفًا عن سلف فيما شجر بينهم من الوقائع والحروب كعام الفيل وغيره. فلما قدِم صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بالتاريخ/و**19**ظ/ كما قاله المحبّ الطبري[4]: وكانوا يؤرخون بالشهر والشهرين مِن مقدَمِه صلى الله عليه وسلم[5]. فلما هاجر صلى الله عليه وسلم، اتُّخِذَتْ هجرته مبدأ التاريخ وسُمّيت كل سنة أتت عليها باسم حادثة وقعت فيها. وكان اسم السنة [الأولى][6] سنة الإذن أي بالرحيل إلى المدينة، والثانية سنة الأمر، والثالثة الابتلاء. وعلى هذا المنوال إلى خلافة عمر رضي الله عنه، فسأله بعض الصحابة في ذلك فقال: هذا يطول وربما يقع في بعض السنين اختلاف وغلط، فقيل: إن للعجم حسابا تسميه ماه روز أي حساب الشهور والأيام. وقال له بعض مسلمي اليهود: لنا حساب مثله فنُسنده إلى الإسكندر، فقال رضي الله عنه: نحن العرب لا نسند حسابنا إلى الأكاسرة، ولا إلى الإسكندر، بل نسنده إلى مبدأ السَّنَةِ التي هاجر فيها نبينا صلى الله عليه وسلم من غير تسمية السنين بما وقع فيها، فامتثلت الصحابة رأيه واستعملته في (وجوه)[7] التصرفات"[8].

"وروي أن أبا موسى الأشعري[9] كتب إلى عمر رضي الله عنه: يأتينا مِن قِبَلِك كُتُبٌ ليس لها تاريخ فأرِّخْ لنا[10]. فاستشار عمر رضي الله عنه في ذلك فقال [بعض: أرِّخ بمبعث النبي

1- التوبة، الآية 36.

2- الأزهري، سعود المطالع، و263ظ.

3- "فيتعارفونها" في الأصل وهو تحريف؛ والتصحيح من سعود المطالع، و263ظ.

4- **المحب الطبري (1100-1173هـ/1689-1760م)**: محمد بن علي بن فضل بن عبد الله بن المحب الطبري الشافعي المكي؛ مؤرخ يلقب بالجمال الأخير، مولده ووفاته بمكة. من كتبه: عقود الجمان في سلطنة آل عثمان. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 296.

5- الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص: 388.

6- ساقطة من (ب).

7- "وجوب" في الأصل وهو تحريف؛ والتصحيح من سعود المطالع. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و264و.

8- المصدر نفسه، و263ظ - و264و.

9- **أبو موسى الأشعري (21ق.هـ-44هـ/602-665م)**: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، من بني الأشعر من قحطان. صحابي جليل من الولاة الفاتحين وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية رضي الله عنهما بعد صفين. ولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة 17هـ فافتتح أصبهان والأهواز. ينظر: أبو نعيم، الحلية، ج1، ص: 256. الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 114.

10- الراوي هو الشعبي وليس أبو موسى الأشعري عند الطبري خلال حديثه عن الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام.

صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون: بوفاته؛ فقال رضي الله عنه][1]: بل بهجرته، فإنما هي التي فرقت بين الحق والباطل، وأنّها وقتُ استعلاء ملّة الإسلام، وتوالي الفتوح فأرِّخْ بها. فهو أول مَن أنشأه في الإسلام، وذلك يوم الأربعاء لعشرين من جمادى الأخيرة سنة سبع عشرة من الهجرة[2]. وأفاد السهيلي[3] رحمه الله/و20و/ أنّ الصحابة أخذوا تاريخ الهجرة من قوله تعالى: ﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ**﴾[4]، فأول سنة الهجرة عند يونس الحاكمي المصري يوم الخميس وهو المعتمَد، وإن كان بالرؤية حسبما حرّره ابن الشطي يوم الجمعة بمكة المشرفة"[5].

"واعلم أنّ بناء التاريخ العربي على دور القمر، وهو زمان مفارقة القمر وضعا مفروضا من الشمس، إلى أن يعود إلى ذلك الوضع. وجُعلت السنة تابعة للشهور، فاحتيج إلى معرفة أوائل الشهور برؤية الهلال، وهذه الرؤية تختلف باختلاف البلاد ومطالع آفاقها. ومِن هنا قد يكون عدد الشهر ثلاثين يوما، وقد يكون تسعة وعشرين. وأهل الحساب لما رأوا اختلاف الأهلّة في الرؤية، لم يلتفتوا إليها بل أخذوا الشهر من اجتماع الشمس والقمر في درجة واحدة من ذلك البرج إلى اجتماعٍ آخرَ بينهما. وزمان ما بين الاجتماعين على ما وُجد في الرّصد، تسعة وعشرون يوما واثنتا عشرة ساعات[6] وأربع وأربعون دقيقات. فجعلوا أيام الشهر الأول ثلاثين، والشهر الثاني تسعة وعشرين اصطلاحا، منهم على أنّ الكسر في الأول يقوم مقام العدد إذا كان زائدا على نصفه، وأنّ كسر الشهر الثاني يكون جبرًا لنقصان الأول كما تَقدَم بسطه في فنّ الفلك"[7].

1- ساقطة من الأصل والزيادة من سعود المطالع حتى يستقيم المعنى. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و264و.

2- الموافق ليوم الخميس 9جويلية 638م.

3- **السهيلي (508-581هـ/1114-1185م):** عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي. حافظ عالم باللغة والسير. ولد في مالقة وكُفّ وعمره 17سنة. توفي بمراكش. ينظر: ابن فرحون المالكي إبراهيم، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996، ص ص: 242- 248. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 143.

4- التوبة، الآية 108.

5- الأزهري، سعود المطالع، و263ظ - و264و.

6- "ساحة" في (ب) وهو تحريف.

7- الأزهري، سعود المطالع، و264و-و264ظ.

[*تاريخ الروم*]: "وأما تاريخ الروم[1] ويقال له التاريخ الرومي، والسرياني[2] والعجمي، ويستعمِله أهل الكتاب واليونانيون والروم. وقيل لا يستعملونه/و**20**ظ/ وإن كان مشهورا بهم. فالجمهور نسبوه إلى الإسكندر الثاني ذي القرنين[3] بن فَيْلَيْفِس المقدوني الرومي المعروف بالبنّاء، واتفقوا على أن مبدأه في الأيام شروق يوم الاثنين واختلفوا في السنين. ففي «المنهاج» لابن البنا وغيره كما في «الفيض»، أنه مِنْ أوّلِ سنة من سنين ولايته. وفي «تاريخ الصوفي» أنه مِنْ أوّل السنة السابعة من ابتداء مُلْكه عند خروجه لتملّك البلاد. وفي «المبادئ والغايات»[4] أنه أول السنة التي مات فيها. ومن المحققين من نسبه إلى سَوْلوقسَ[5] الذي بنا الأنطاكية[6] [ومَلَك الشام والعراق وبعض الهند[7] والصين[8]][9]، وصححه ابن أبي الشكر، ونقله غير واحد من مؤرخي الحكماء، بعد أن ذَكر أنّ جماعة من المؤرخين نسبوه للإسكندر وليس كما ظنوا، لأن بطليموس أرّخ بعض أرصاده في المجيطي لأول سنة ممات الإسكندر، الذي هو أول سنة أربعمائة وسبعة وثلاثين لبختنصر، وعلى زعمهم تكون الولاية بعد الممات وهو محال. وبهذا القول جزم السلطان آغ بيك في زيجه، متوقفا على نسبته إلى أحد المَلِكَيْن لتعارض الدليلين، فقال هو بعد وفاته باثنتي عشرة سنة شمسية اصطلاحية. واعتمده العلامة محمد بن سليمان المغربي[10] وهو سابق على الهجرة بتسعمائة واثنين وثلاثين سنة شمسية"[11].

1- عن هذا التاريخ راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص: 254. وما نقله المؤلف في هذا الموضع بسط القلشندي الحديث فيه.

2- **السريانيون**: هم النبط ولغتهم يقال لها السريانية. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص: 279.

3- "دون القرنين" في (ب) وهو تحريف.

4- هو كتاب جامع المبادي والغايات في علم الميقات للحسن بن علي بن عمر أبو علي المراكشي الرياضي، كان حيا سنة 750هـ.

5- "سولونس" في (أ) و(ب) وهو تحريف؛ والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص: 266.

6- **أنطاكية:** بناها وسكنها أنطاكية بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص: 266.

7- **الهند:** بلاد واسعة فتحها محمد بن القاسم الثقفي سنة 94هـ، مسافتها ثلاثة أشهر في الطول وشهرين في العرض. والهند والسند أخوين من ولد توقير بن يقطن بن حام بن نوح عليه السلام. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 596.

8- **الصين:** بلاد في مطلع الشمس، يقال إن فيها ثلاثمائة مدينة ونيفاً عامرة كلها، ومن خرج إليها قطع سبعة أبحر، لكل بحر منها لون وريح وسهك ليس في غيره، أول بحورهم بحر فارس. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 370. القزويني، آثار البلاد، ص: 53.

9- ساقطة من سعود المطالع وهي زيادة من المؤلف.

10- **محمد بن سليمان المغربي (1039- 1094هـ/1630-1683م):** الروداني؛ صاحب صلة الخلف بموصول السلف ودفن بسفح جبل قاسيون من دمشق الشام. ينظر: محمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط4، 1986، ص: 176.

11- الأزهري، سعود المطالع، و264ظ-و265و.

"وهذا التاريخ مبنى كيفية التواريخ ما عدا العربي على السنة الشمسية، وهي مفارقة أية نقطة فُرضت مِن فلك البروج، إلى أن تعود إلى تلك/و**21**و/ النقطة بحركتها الخاصة التي هي من المغرب إلى المشرق، وذلك الزمان في أرصاد بطليموس ومن بعده كالمأمون والحاكمي والبناني ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم [إلا كسرا، وفي أرصاد مَن تَقَدَّمَهُ ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع][1] بلا زيادة ولا نقصان، وعليه بناء تاريخ الروم والفرس".[2]

"ثم الروميون اصطلحوا على أنّ أيام أربعة أشهر منها، وهي تشرين الأخير ونيسان وحزيران وأيلول، ثلاثون؛ ثلاثون. وأيام سبعة منها هي تشرين الأول وكانون وآذار وأيّار وتموز وآب أحد وثلاثون [أحدٌ وثلاثون][3]. وأيام واحد منها وهو شباط في ثلاث سنين متوالية، ثمانية وعشرون [ثمانية وعشرون][4]، وفي السنة الرابعة التي هي الكبيسة تسعة وعشرون يوما. لأنهم لما أخذوا الشهور على الوجه المذكور، حصل لهم ثلاثمائة وخمسة وستون يوما، وبقي ربع يوم اجتمع منه في مدة أربع سنين يوم واحد فزادوه في آخر شباط[5] بخصوصه، لأنه[6] وإن لم يكن آخر شهورهم إلاّ أنه أنقصها أياما"[7]. "والمغاربة والإفرنج يستعملون هذا التاريخ لكن بشهور أُخَر مخالفة لتلك الشهور في الأسماء والمبدأ فقط ويسمونها عجمية، وبعض الإفرنج يؤرّخ من مولد المسيح عليه السلام وهو بعد مبدأ هذا التاريخ"[8].

[***تاريخ الفرس القديم والجديد***]: "وأما تاريخ الفرس[9] فهو اثنان، قديم وجديد. فالقديم ينسبه القوم إلى يزدجرد بن شهريار ابن أبرويز أنوشروان[10] المعروف بالعادل آخر ملوك/و**21**ظ/ العجم، ولم يكن بعده مَلِكٌ منهم. ومبدأ هذا التاريخ شروق يوم الثلاثاء فاتح سنة جلوس

1- ساقطة من الأصل والزيادة من سعود المطالع ليستقيم المعنى. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و265و.

2- نفسه، و265و.

3- ساقطة من سعود المطالع والزيادة من المؤلف. ينظر: نفسه، و265و.

4- ساقطة من سعود المطالع والزيادة من المؤلف. ينظر: نفسه، و265ظ.

5- "سباط" في (ب) وهو تصحيف.

6- "أي لأنه" في (ب) وهو تصحيف.

7- الأزهري، سعود المطالع، و265ظ.

8- المصدر نفسه، و265ظ.

9- عن هذا التاريخ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص ص: 256-257.

10- **يزدجرد**: آخر ملوك الفرس. ينظر: ابن خلكان، الوفيات، ج1، ص: 405.

يزدجرد على كرسي مُلك الفرس بالمدائن[1]، وكانت الفرس قبله تؤرخ بأيام الملك القائم فيهم، فإذا مات أرخوا بأيام القائم بعده إلى أن قام يزدجرد فأرخوا به. وبقي تاريخه إلى الآن بعد ذهاب دولة الفرس على يده، وانتقالها للعرب في خلافة عثمان رضي الله عنه، بمحاربة العرب له بمَرْو[2] فقُتل؛ عند ذلك انتقلت الأعاجم إلى الإسلام.

وقد جعلوا أيام شهورهم في هذا التاريخ ثلاثين؛ ثلاثين، وزادوا في آخر شهرين منها خمسة أيام استَرَقوها من جميع السّنَة. لأنهم لما أخذوا الشهور ثلاثين؛ ثلاثين، حصل لهم في السنة ثلاثمائة وستون يوما، وبقي خمسة أيام منكسرة تسمى باللواحق فزادوها فيما ذُكر. لأنهم كانوا يمتنّعون أن يكبسوا السنة بيوم واحد، كما فعله الحُسّاب والروميون، بل كانوا يتركون الكسر الذي هو ربع يوم، إلى أن يجتمع منه في مدة مائة وعشرين سنةٍ شهرٌ. ثم يزيدون ذلك الشهر على شهور سنة بلغ الكسر فيها [ثلاثين يوما، فتصير تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ويسمونها شهرك[3]][4]، ويسمّون الشهر الزّائد باسم شهر زائد، فيزيدون الخمسة المسترقة أيضا في آخر ذلك"[5].

"وأما الفارسي الجديد: ويسمى بالتاريخ الجلالي[6]، نسبة إلى جلال الدين شاه ابن البارسلان السلجوقي. فمبدؤه يوم الجمعة/و22و/ عاشر شهر رمضان سنة أربعمائة وإحدى وسبعين هجرية[7] على المعتمد. وبين هذا التاريخ وأول سنة الطوفان أربعة آلاف ومائة وثمانون سنة. قيل: ومِن مبدأ العالم إلى أول سنة قِران نوح عليه السلام الدالّ على الطوفان، مائة ألف وثمانون ألف سنة شمسية"[8].

1- **المدائن**: إنما سميت المدائن لأن زاب الملك الذي بعد موسى عليه السلام ابتناها بعد ثلاثين سنة من ملكه وحفر الزوابي وكَورَها، وجعل المدينة العظمى المدينة العتيقة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص: 74.

2- **مرو**: من أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيراً، بناها ذو القرنين. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 532.

3- "سهرك" في (أ) و(ب) والصحيح ما أثبتناه.

4- ساقطة من سعود المطالع والزيادة من المؤلف. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و266و.

5- المصدر نفسه، و265ظ- و266و.

6- عن هذا التاريخ راجع: الجبرتي عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ج4، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1997، ص: 01.

7- الموافق لـ 1078م.

8- الأزهري، سعود المطالع، و266و.

[***تاريخ القبط***]: "وأما التاريخ القبطي[1]، ويسمى أيضا تاريخ الشهداء. فقد ذُكِر أنّ القبط في قديم الزمان، كانت تؤرّخ لبختنصّر البابلي الأول. أما المُحْدَثُون من القبط، فقال البيروني: تاريخهم بأغشطس أول القياصرة. ويوجد في كتب النجوم تاريخ دَقْلِطيانُوسْ: ومبدأ هذا التاريخ شروق يوم الجمعة غرّة تُوتْ، أول شهر من السنة التي غلب فيها دقلطيانوس على أهل مصر، وكل شهر من شهورهم ثلاثون وأسماؤها: توت، بابه، هاتور إلى آخر ما تقدم في الفلك، وهذا التاريخ يتقدم على التاريخ الهجري بعُشر سنةٍ شمسية"[2].

[***تاريخ بنو إسرائيل***]: "ومن التواريخ المشهورة وإن لم يعتبره المنجمون، تاريخ بني إسرائيل، وهو تاريخ آدم عليه السلام، ويسمونه تاريخ الخليقة[3]. يزعمون أنّ الله تعالى أوجد العالم يوم الأحد، ونفخ في آدم يوم الجمعة السادس من المبدأ، وكان اجتماع النَيِّرَيْنِ في الثالثة من دُرج الميزان آخر الساعة الرابعة عشر من ليلة الجمعة، وذلك وقت خلق الهلال. فأرادوا أن يجعلوه/و**22**ظ/ مبدأ تاريخهم فقالوا: لا جائز أن يُجعل هذا الاجتماع الواقع في يوم الجمعة أول التاريخ، لفوات الخمسة الأيام قبلَه. ولا جائز أن يُجعل يوم الأحد، لخُلوّه عن الاجتماع. فتوهّموا قبل الخمسة من الأيام تمامَها لسنة قمرية، وسمّوها سنة وهمية. لأنه لم يكن مبدأ العالم سوى خمسة أيام منها، فكان مبدأ الأيام المتوهّمة يوم الإثنين[4]، فجعلوه مبدأ التاريخ، وزعموا أنّ بينه وبين مولد موسى عليه السلام، ألفين وثلاثمائة وثمانية وستين سنة شمسية. ومنه إلى غرق فرعون ثمانون سنة، ثم منه إلى تاريخ الإسكندر بزعمهم ألف سنة، منها أربعمائة وثمانون من غرق فرعون إلى مجيء بني إسرائيل بيت المقدس وعمارته. ثم قام عامرا مائة وثلاثين، ثم خرّبه بختنصر وأقام خرابا سبعين، ثم عمّره العزيز، وأقام عامرا أربعمائة وعشرين سنة. ثم أتاهم الإسكندر، فكان من زمن آدم إلى الإسكندر على زعمهم؛ ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانية وأربعون. فإذا زيد عليه الماضي من تاريخ الإسكندر، حصل تاريخ آدم لوقتك. وثَمَّ تواريخ أُخَر، كتاريخ الايْفُور وغيره، لا حاجة بنا إلى ذكرها"[5]. انتهى[6]

1- عن هذا التاريخ راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص: 255.

2- الأزهري، سعود المطالع، و266و.

3- "الخليفة" في (أ) و(ب) والصحيح ما أثبتناه.

4- "منها" زيادة في (ب).

5- الأزهري، سعود المطالع، و266و- و266ظ.

6- المؤلف يشير إلى الانتهاء من النقل الحرفي من سعود المطالع، لكنه سيعود وينقل فقرات طويلة من المؤلف نفسه فيما يأتي.

[**التاريخ الحرفي**]: "وأولى بك أيها الحريص على اكتساب الفوائد، واغتنام الشّوارد، أنْ لا تسأم مما نستطرده هاهنا، مِن ذكر ما لا/و**23**و/ تجده مجموعا في غير هذا الكتاب، مما يتعلق بالتاريخ في الجملة، وأنّ تفصيله لَحَسَنٌ بَلْ أَحْسَنْ. وذلك هو التاريخ الحرفي [وشروطه وأنواعه][1] ولَطائفُه، وهو ما دلّ على ابتداء زمنٍ بطريق جُمَلِ حروفٍ معدودة أو ما في معناها"[2].

"وفي [كتاب][3] «فرائد القلائد»[4]: التاريخ الحرفي؛ هو أن يأتي بعبارة تشير إلى جمع جُمل حروفٍ مجتمعة أو متفرقة أو ممثلة، بطريق صحيحة الأوضاع، مقبولة عند الطباع. فقوله مجتمعة أي غير محتاجة إلى غيرها، يشير إلى المستوفي وهو أحد الأنواع الآتية. وقوله أو متفرقة، يشير إلى المُذيل. وقوله أو ممثلة، يشير إلى الممثل. وسيأتيك كل منها في الأنواع"[5].

"قال سيدي مصطفى البكري الصديقي[6] في «شرح بديعيته»: وأوّل مَن أدرج التاريخ في البديعيات، سيدي عبد الغني النابلسي[7]، انتهى. ولينظر أول من استعمله كذلك. وقد رأيت في بعض التواريخ ما يقتضي أنه كان مستعملا في الجاهلية الأولى عند شعرائها. وأما شروطه فقال السيد المذكور في ذلك الشرح: ويُشترَط أن يتقدّم على ألفاظه المقصودة ما كان مشتقا من مادة التاريخ، كلفظ أرّخ وتاريخه من غير فصل بينه وبينها، وأن لا تكون كلماته متعقدة ولا مرتبطة بما قبلها. وأن يجتنب فيه ما اختُلف في رسمه/و**23**ظ/ بين الألف والياء مَثَلاً، لئلا

1- ساقطة من سعود المطالع والزيادة من المؤلف. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و267و.

2- المصدر نفسه، و267و.

3- ساقطة من سعود المطالع والزيادة من المؤلف. ينظر: نفسه، و267و.

4- لم يشر المؤلف لمؤلّف الكتاب وهو ما أوقعنا في حرج كبير، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أن الكتاب بهذا العنوان ورد عند العديد من المؤلفين ومنهم: علي بن علي بن أحمد النجاري علاء الدين الحنفي الذي صنف "فرائد القلائد وغرر الفوائد في شرح العقائد للنسفي" وقد فرغ منه سنة 967هـ. وكذلك "فرائد القلائد" لرشيد محمد بن محمد الكاتب الوطواط المتوفى سنة 573هـ. ثم كتاب "فرائد القلائد في علم العقائد" للشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني.

5- الأزهري، سعود المطالع، و267و.

6- **مصطفى البكري(1099-1162هـ/1688-1749م)**: بن كمال الدين بن على البكري الصديقى، الخلوتي طريقة، الحنفي مذهبا؛ متصوف من العلماء، كثير التصانيف والرحلات والنظم. ولد في دمشق، ورحل إلى القدس، وزار حلب وبغداد ومصر والقسطنطينية والحجاز، ومات بمصر. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 239. البغدادي، إيضاح المكنون، ج1، ص: 291.

7- **عبد الغني النابلسي(1050-1143هـ/1641-1731م)**: عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي، شاعر عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف؛ متصوف. ولد ونشأ في دمشق وتوفي بها. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 32.

يدخله الغلط، وأن (يستقلّ)[1] بالمعنى إذا جُرِّد عن غيره، وأن يتضمن واقعة الحال"[2] انتهى. "وذلك كقول ابن المبلط[3] في تاريخ تولية السلطان سليم: [الطويل]

تولى مليك العصر وابن مليكه ** بعزٍّ وتأييدٍ ونصرٍ وسلطان
ودولة مُلكٍ قلت فيها مؤرخًا ** سليمٌ تولى الملكَ بعد سليمانِ[4]

وفي اشتراط عدم الفصل بين لفظ التاريخ وكلماته نظرٌ إلا على الغالب، وإنما التاريخ كما ذكره في «النصر»[5]، ما يعيّنه المعنى ويشهد بصحته الذوق، كما في قوله في تاريخ بستانٍ: [البسيط]

يا ابن أمير المؤمنين الذي ** بمدحه يفتخر الشاعر
يهنيك تاريخ أتى ضبطه ** بستانُ بسطٍ باهرٌ زاهرُ

فإن جملة "أتى ضبطُه" بمنزلة الضمير في قولهم: تاريخ، وكقوله: [الطويل]

يحق لقاضي المسلمين بمصر[6] أن[7] ** يقول اغنموا وقتي وفوزوا بإنعامي
فمحمودُ اسمي وهو نعت لسيرتي ** وتاريخ حكمي نفّذ الله أحكامي

وقوله:

قالت مؤرخةً ديار سرورهم ** أنا دارُ مَنْ بمرادهم دار الفلك

وقول عبد الرؤوف المكي مؤرّخا وفاة الأمير محمد الذي أجرى عين عرفة في آخر مرثيته:

/و**24**/وإذا قيل أرّخ الموتَ قلنا ** خالدا بالجنان أمسى محمد

1- "يستعمل" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و267.

2- المصدر نفسه، و267.

3- **ابن المبلط**: إبراهيم الأديب الشاعر برهان الدين المصري، من شعراء الريحانة، توفي سنة991هـ/1583م. ينظر: ابن الغزي شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن، ديوان الإسلام، ج4، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990، ص: 293.

4- التاريخ بحاسب الجمل يشير إلى سنة 974هـ/1566م وهو تاريخ تولية السلطان سليم الثاني بعد سليمان القانوني، وهو تاريخ صحيح. راجع: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بالتحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1988، ص: 97.

5- يريد كتاب "نصر من الله وفتح قريب" لكبريت أفندي شرح فيه أبياتاً لبعض أفاضل عصره. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 240.

6- **مصر:** سميت مصر بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام؛ فتحها عمر وبن العاص رضي الله عنه. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص: 137.

7- "من" في (ب) وهو تحريف.

بل ربما[1] تقدّمت كلمات التاريخ كلها على لفظ التاريخ كقوله: [المتقارب]

ولما أباحت ظِبانا لنا ** دمَ الشاة واستحكمت سَلْخَهُ

فتحنا العراق وذا اللفظ من ** رشاقته جاء تاريخه

ولفظ "قلنا" وما اشتق منه بعد لفظ التاريخ، من شأنه على مقتضى القواعد أن لا يكون داخلا في الحساب. وقد يُتوَسَّع بإدخاله كما فعل أبو السعود المكّي لتاريخ (982هـ)[2] إذ قال:[مجزوء الرجز]

إنْ قيل ما تاريخه ** قل زائر وترحلَ[3]

هذا وقد كان يخطر لي[4] اشتراط جعل كلماته في شطر واحد، خلافا لما درج عليه كثير من أدباء العصر، فلم أَجْسُرْ على التصريح بذلك، بل ذكرتُ في «النجم الثاقب»[5] ما نصه: والذي يشهد بحسنه، الذوق السليم تجري، جعله في شطر واحد"[6] انتهى. "والآن رأيت في «شرح الخريدة الغيبية»[7] ما نصه: ومما ينبغي أن يُنبَّه عليه، أنْ يقع التاريخ في شطر واحد بجملة مستقلة"[8] انتهى.

[أنواع التاريخ الحرفي]: "وأما أنواعه فلم أَرَهَا مجموعة في كتاب. ولقد (تصيّدت)[9] من شواردها المشتّتة، والتقطت من فرائدها المنتثرة ما ذكرته هنا[10]: فمنها **المستوفي**: وهو ما لا تحتاج كلماته المذكورة إلى ضميمة غيرها، كأكثر التواريخ المتداولة. ومنها **المذيّل**: وهو

1- "كلّما" في (ب) وهو تحريف.

2- "992هـ" في الأصل والصحيح ما أثبتناه، لأن التاريخ عن طريق حسابه بالجمل على هذا الشكل يدل على سنة 982هـ على الشكل التالي: قل= ق+ل= 100+30= 130. زائر= ز+ا+ر والهمزة لا قيمة لها= 7+1+200= 208. وترحل= و+ت+ر+ح+ل= 6+400+200+8+30= 644. والمجموع العام= 130+208+644=982.

3- التاريخ بحاسب الجمل يشير إلى سنة 982هـ.

4- "في" في (ب) وهو تحريف.

5- يقصد: النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب لعبد الهادي نجا الأبياري. ينظر: البغدادي، إيضاح المكنون، ج2، ص: 626.

6- الأزهري، سعود المطالع، و267و- و268و.

7- الخريدة الغيبية للألوسي المتوفى سنة 1854م، وقد شرح فيه القصيدة العينية لعبد الباقي الفاروقي. ينظر: البغدادي، إيضاح المكنون، ج1، ص: 428. الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 176.

8- الأزهري، سعود المطالع، و268و.

9- "تصديت" في الأصل والتصحيح من سعود المطالع. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و268و.

10- ساقطة من (ب).

أن/و**24**ظ/ يكون جمله ناقصا، فيُكمل بحرف أو أكثر مع التنبيه على ذلك. كما في قوله لتاريخ ثمانمائة واثنين وعشرين[1]: [مجزوء الرجز]

تاريخه خيرٌ بدا ** مع كمال العفة

أي مع التاء الذي هو تمام لفظ العفة. ومنها **المستثنى**: وهو بعكس ما قبله. كما في قول بعضهم، في تاريخ بناء مقعدٍ سنة ألف واثنين وستين:

عندما تم مقعد الصدق هذا ** قيل: أَرِّخه؛ قلت: يا صاحِ حاضرُ

هاكَ تاريخُه ولا شينَ فيه ** مقعد للخليل عالٍ وعامرُ

فقوله "ولاشينَ فيه" أي أُسقط من عدد جمل التاريخ الذي هو قوله: مقعد للخليل إلى آخره، عدد جمل حرف الشين وهو ثلاثمائة يكون الباقي هو التاريخ"[2]. "ومنه ما للشيخ جمال الدين العصامي[3] في تاريخ وصول قاضي مكة المشرفة، وكان يسعى حسنا وهو قوله: حسنٌ قاضينا حسن، [بلا كلام، أي أسقط جُمَلَ قوله: بلا كلام من جمل حسن][4]، فالباقي هو التاريخ، ولا يخفاك حُسن التورية فيه"[5].

"**ومنها المتوّج**: وهو ما تحسب أوائل كلماته دون باقيها، كقوله: [مشطور البسيط]

قد جاء عام جديد ** لكل خير يحوز

أرَّخَ أوائل قولي ** بكل خير تفوز

ومنها الممثل: وهو ما كان بالتمثيل. كقولهم في سنة تسعمائة وتسعة وثمانين، محمل بين علَمين. وذلك لأن صورة هذا العدد بالقلم الهندي، تماثل المحمل بين العلَمين؛ أي الرايتين. ومثله علَم[6] بين محملين لسنة/و**25**و/ ثمانمائة وثمانية وتسعين. ومنه ما لبعض الأفاضل في وفاة بعض الأعيان سنة ثمانمائة وثمانية وثمانين وهو قوله: انقلب محراب الديانة، والدين والزهد. وذلك أنّ

1- الموافق لـ 1419م.

2- الأزهري، سعود المطالع، و268و.

3- **العصامي (978-1037هـ/1570-1627م)**: عبد الملك بن جمال الدين العصامي الإسفراييني، المعروف بالملا عصام، من علماء العربية. له نحو ستين كتابا منها: بلوغ الأرب من كلام العرب. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 157. ابن معصوم الحسني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص: 121.

4- ساقطة من الأصل والزيادة من سعود المطالع حتى يستقيم المعنى. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و268و- و268ظ.

5- ساقطة من الأصل والزيادة من سعود المطالع حتى يستقيم المعنى. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و268و- و268ظ.

6- "على" في (ب) وهو تحريف.

حرف الدال يشبه المحراب، فإذا انقلب أشبه صورة الثمانية بالهندي، ومعنى ثلاث دالات؛ دال الديانة ودال الدين ودال الزّهد، فإذا انقلبت الثلاثة كانت هكذا ٨٨٨ وهو ما ذكر. قال كبريت أفندي[1] في «نصره[2]»: وعندي أنه بصورة السبعة أشبه فتأمّله. أي أن الدال إذا انقلب كان على صورة السبعة [لا الثمانية، لكن بالتأمل الذي أمر به وجد أنه بصورة السبعة][3]، يقال إنّه معتدل لا منقلِبٌ، فالأشبه تشبيهه في انقلابه بصورة الثمانية كما ذُكر"[4]. "ومنها **تاريخ المقابلة:** وهو أن يقابل حساب جمل الشيء المؤرخ، اسما أو نعتا أو نحوهما، بجمل جملة مناسبة للحال مع التصريح بالمقابلة. كما قيل في تاريخ ولادة مولود اسمه ضياء تاريخه مقابل لاسمه. وشبيه به قول ابن أبي الطيب [الدمشقي][5] في قطب الشام الشيخ رِسْلان:[الكامل]

والشام في التعداد قوبل باسمه ** فلذاك سمّوه غفير الشام

ومنها **المبسوط:** وهو أن يحسب حروف كلماته بطريق البسط. ولم أر من نبّه على اشتراط الإشارة فيه بالبسط، والظاهر الاشتراط. كما يقال لسنة ثلاثمائة وستة وأربعين مثلا تاريخه بالبسط أحسن"[6].

[المصرح]: "ومنها ما يصرح فيه باسم شهر الواقعة، محسوبا من جملة جُمل السنة. كأن/و**25**ظ/ يقال في مولود ولد في رجب: وما ألطف إن كان اسمه رمضان، جاء رمضان في رجب. ولم أر من سمّى هذا النوع باسم مخصوص، ولا بأس بأن يسمى بالمصرَّح. ومنه ما أرخّتُ به لتولية صاحب الإسم الشريف لُملك مصر، وهو قولي في مطلع قصيدةٍ: [الطويل]

بعزِّك إسماعيلُ قد سَعِدَت مصرُ ** فطوبى لها بِشرا ودام لك البِشْرُ

فكان مِنْ هذين الشطرين تاريخ لتلك التولية، لكن الشطر الثاني فيه التورية باسم الشهر الذي حَصَلَتْ فيه التولية وهو شهر طوبى القبطي. وكان تقديم هذه القصيدة لأعتابه العليّة قبل حصول التولية بنحو ستة أشهر، فصدّق بفضل الله العيان اللسان، ولله أتم الحمد. وكذا قولي في

1- **كبريت أفندي:** من أعجب خلق الله تعالى في الأخذ بأهداب الفنون، ولد بالمدينة سنة 1012هـ/1603م وبها نشأ وحفظ القرآن. توفي في رمضان سنة 1070هـ/1660م. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 455. البغدادي، إيضاح المكنون، ج1، ص: 182.

2- يقصد الكتاب نصر من الله وفتح قريب.

3- ساقطة من الأصل والزيادة من سعود المطالع حتى يستقيم المعنى. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و268ظ.

4- المصدر نفسه، و268ظ.

5- ساقطة من الأصل والزيادة من سعود المطالع. ينظر: نفسه، و269و.

6- الأزهري، سعود المطالع، و269و.

تاريخ طبع رسالة الأستاذ الفاضل الشيخ العدوي[1] المسماة بـــ «كتر المطالب»[2] وهو: بالحُسن تم طبعُ الكتر في صفر"[3].

"ومنها **المجوهر:** وهو ما أُرّخ فيه بالمهمل فقط، أو بالمعجم فقط. وأخبرني نادرة الزمان حضرة عبد الله بيك فكري، عن مصاحبي الحضرة الخديوية، أن بعضهم يسمِّي المؤرّخ بالمعجم دون المهمل مجوهراً، أو عكسه عاطلاً. ويظهر لي اشتراط التنبيه في هذا النوع أيضا على الإعجام أو الإهمال"[4].

"ومنها **الحالي والعاطل:** ويسمى بالتام أيضا، وبالمرصّع كما أفادنيه حضرة البيك المذكور. وهو ما كانت حروف كلماته نصفُها مُهْمَل، ونصفها معجم في كل شطر، ومجموع/و**26**و/ الشطر تاريخ. ولابد فيه مِن أن تكون السنة زوجا، ليكون لها نصف صحيح. وإذا نُظم بهذه الكيفية بيتان خرج منها ثمانية وعشرون تاريخا، وهو أقصى ما يمكن فيه، كقول شيخ الإسلام عارف بيك، تهنئةً لسلطانه بمولودٍ اسمه مراد سنة ألف ومائتين وستة وعشرين[5]:[6][الرجز]

صَدع الدهر ولآل عثمان أنجُل ** خاصا لرؤيا جوهر الأولاد

كم قلتُ مع صدق الرجا لمديحه ** محمود مجد هاك خير مراد

فكل شطر من هذين البيتين على حِدَتِهِ تاريخٌ، وبضميمة مُعجمِهِ أو مُهْمَلِه إلى مُهْمَلِ[7]، أي شطر[ومعجمه يخرج بقية العدد المذكور. وهذه الطريقة للعرب، وزاد الأتراك أنّ

1- **العدوي**: حسن بن العدوي الحمزاوي المري المالكي ولد سنة 1220هـ/1805م وتوفي سنة 1303هـ/1886م. من آثاره: كتر المطالب في فضل البيت الحرام والحجر والشاذروان وما في زيادة القبر الشريف من المآرب. ينظر: البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، ج1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، طبع باستانبول سنة 1951، ص: 303.

2- يقصد كتاب:كتر المطالب في فضل البيت الحرام والشاذروان وما في زيارة القبر الشريف من المآرب للشيخ حسن ابن العدوى الحمزاوى. ينظر: البغدادي، إيضاح المكنون، ج2، ص: 387. هدية العارفين، ج1، ص: 303.

3- الأزهري، سعود المطالع، و269و.

4- المصدر نفسه، و269و- و269ظ.

5- الموافق لـــ 1811م.

6- وجدنا نسبة البيتين لشخصين هما: إلياس إدّه ونقولا الترك الإسطنبولي وكليهما توفي سنة 1828م. وقد ذكرهما صاحب "تاريخ الآداب العربية" في عدة مواضع. ينظر: لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية 1800-1925، بيروت: دار المشرق، ط3، 1991. ونقولا الترك له العديد من المؤلفات منها: ذكر تملّك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية أو الحملة الفرنسية على مصر والشام، والكتاب حققه وقدم له ووضع حواشيه ياسين سويد، ونشرته دار الفارابي في بيروت سنة 1990. راجع: الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 47.

7- "مهل" في (ب) وهو تحريف.

يكون كل شطر مثلا مُهْمَلُهُ على آحاد وعشرا ومئين. وكذلك معجمه، فيؤخذ أيُّ عدد من هذه الأعداد، ويضم له ما عدا مماثله من أي شطر][1] بعده يكون تاريخا وهكذا. ولا يلزم فيه تساوِي عددِ مُهملِ كلّ شطرٍ مع معجمه، وبهذه الطريقة يمكن أن يُضمِّن الشاعر الأبيات القليلة كثيرا من التواريخ. كما في قول صاحبنا الأديب الأريب، الشيخ مصطفى سلامه[2] في سنة خمس وسبعين ومائتين وألف[3] في أبيات: [الرجز]

والبِشرُ شِيدَ صفو عام أسعدِ ** لخصال عدلٍ بالمَحامد يرفَد

ملك خطير البأس وصف كماله ** بالمدح في صدر العلا مخلَّد

فكل شطر من هذه الأبيات مركّب من معجم ومهمل، وكل مهملِ شطرٍ منها يماثل معجمَه، في تركيبّه من آحاد وعشرات ومئين. فإذا أخذْت آحاد مهمل الشطر الأول، وضممتَ إليها عشرات ومئين المهمل، وجميع المعجم من أي شطر بعده كان تاريخا. ويتحصّل من ذلك ثلاثة تواريخ/و**26**ظ/ إذا كانت الأبيات اثنين وخمسةً، إذا كانت ثلاثة وسبعة، إذا كانت أربعة وهكذا. وإذا أخذْتَ عشرات مهملة، وضممت إليها آحاد ومئين المهمل، وجميع المعجم من أي شطر بعده كان تاريخا. ويتحصل من ذلك ثلاثة تواريخ فأكثر، على نحو ما ذُكر. وإذا أخذت مئين مهملة، وضممت إليها آحاد وعشرات المهمل، وجميع المعجم مِن أي شطر بعده، كان تاريخا، ويتحصّل من ذلك ما تحصل فيما قبله. وإذا أخذت آحاد معجمة، وضممتَ إليه جميع المهمل وعشرات ومئين المعجم من أي شطر كان تاريخا، ويتحصل من ذلك مثل ما سبق. وإذا أخذت عشرات معجمة، وضممت إليها جميع المهمل، وآحاد ومئين المعجم [من][4] أي شطر كان تاريخا، ويتحصل معك كما ذُكر. وإذا أخذت مئين معجمة، وضممت إليه جميع المهمل، وآحاد وعشرات المعجم من أي شطر كان تاريخا، وتحصل معك ما تحصل في ما سبق. وإذا

1- ساقطة من الأصل والزيادة من سعود المطالع حتى يستقيم المعنى. ينظر: الأزهري، سعود المطالع، و269ظ.

2- **مصطفى النجاري (كان حيا 1279هـ/1862م):** فاضل من آثاره: نظم المدائح السعيدية في أمجاد الدولة الخديوية، عقود المحاضرة وسحر المذاكرة. ينظر: أحمد تيمور، تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، دار الآفاق العربية، ط1، 2002، ص: 137.

3- الموافق لـ 1858م.

4- ساقطة من (ب).

أخذت آحاد وعشرات مهملة، وضممت إليها مئين المهمل، وجميع المعجم من أي شطر كان تاريخا، وتحصل معك ما علمت، وعلى هذا أبدا فقس"[1].

[المماثل]: "وقد جمع صاحبنا المذكور بين طريقتي العرب والترك المذكورتين، بأن جعل كل شطر نصفه مهمل، ونصفه معجم. وكل من النصفين المذكورين، مشتمل على آحاد وعشرات ومئين، يماثل آحاده آحاد النصف الآخر منه. ومن الشطر الثاني مثلا وعشراته ومئاته كذلك، ولا يكون هذا/و27و/ إلا في السنة الزّوج. وأخبرني أنه أول مَن صنع ذلك بإشارة بعض الأمراء، وسمّى هذا النوع المماثل"[2].

[الهوائي]: "ومن الأنواع أيضا، ويناسب أنْ يسمَّى بالتاريخ الهوائي، لما فيه من أعمال الحساب الهوائي. كما في قول الشيخ حسن الشامي[3]، مؤرخا قدوم إبراهيم باشا: [البسيط]

لمصر قد جاء إبراهيم يحكمها ** تاريخُه في اسمه ضرب من العجب
حروف آحاده أضرب في المفصل ** من حروفه وكذا في عدّها تُصِبِ

وقوله: [البسيط]

عثمان أعدل سلطانٍ ولايتُه ** تاريخها في اسمه يهدى لِذي أدب
أضف لأعداده معدود أحرفِه ** في أولٍ ثم ربع ما تقي تُصِب

وقوله: [البسيط]

سلطاننا أحمد عزّت ولايته ** تاريخها في اسمه للناس أن حسبوا
أعداد مبسوطه أضرب في الأصول ** وفي ثانيه رابعُه يظهر لك العجب

ومن التواريخ الغزلية قوله: [البسيط]

قد قلت لّما رنت نحوي بمقلتها ** غمازة قدّها كالغصن يهتز
لا تنكروا غمزة من لحظي قاتلتي ** فهذه سنةٌ تاريخُها غمز

1- الأزهري، سعود المطالع، و269ظ- و270ظ.

2- المصدر نفسه، و270ظ.

3- **حسن الشامي (959-1011هـ/1552-1602م)**: حسن بن زين الدين بن علي بن أحمد بن صالح العاملي الجبعي الشهير بالشامي؛ فقيه أصولي محدث، وأديب شاعر. ولد وتوفي بجبع. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص ص: 552-553.

هذا، وينبغي أن تعلَمَ أنهم اختلفوا في حساب ما اختُلِف رسمه ولفظه، كالمقصور من نحو موسى وعيسى مما يُكتَب بالياء ويُقرَأ بالألف، هل تحسب حروفه المرسومة أو المنطوق بها. فاعتبر بعضهم الرسم، وبعضهم اللفظ. قال: لأنّ كلمات التاريخ إنما جُعِلَت لتُقرَأ وتُحسَب، باعتبار أنّ حروف/و**27**ظ/ هذا اللفظ دالّة بالحساب على السَّنَة المقصودة، ولا دخل للكتابة في الحرف المحسوب، وإلاّ لتوقَّفَ حساب التاريخ على كتابته. لكن الذي اعتمدوه الأول، أعني اعتبار الرسم. فما كان من ذوات[1] الواو والياء، فإنه يُحسب بما يُرسَم به مِن أَلِفٍ أو ياءٍ، كما أن المضعّف كمؤلف يحسب بحرف واحد، إلا ما يعينه المقام. كما استخرجوا عدد الرسل من اسم محمد صلى الله عليه وسلم بطريق بسط حروفه، وذلك أنّ في الاسم الكريم ثلاث ميمات بمائتين وسبعين، ودالا بخمسة وثلاثين، وحاء بتسعة. فجملة العدد ثلاثمائة وأربعة عشر. والمعرّف كالحسن والراضي يُحسب بأداة التعريف، وهمزة إبن إن رُسمت حُسبت وإلا فلا، كما أوضحتُه في «النجم الثاقب»[2].

والمركّب يُحسَب بكماله، كعبد الله وأبي طالب وبعلبك وبرق نحره، خلافا للمنجمين في مثل فلان الدين، فإن "الدين" منه عندهم ساقط كما في «النصر». وكذا التاء الموقوف عليها بالهاء، تُحسب بخمسة لأنها تُكتَبُ بصورة الهاء. ومن الناس من زعم أنها تحسب بأربعمائة، ومنهم من فصل فقال: إنْ كانت في كلمة وقعت آخر الكلام حُسبت بخمسة، لأنها حينئذ يُوقَف عليها بالهاء، فهي هاء لفظا وكتابة، وإن كانت في كلمة وقعت أثناء الكلام غير موقوف عليها حُسبت بأربعمائة كالتاء. فنَحْوَ: رحمة الله شاملة، تاء رحمة تحسب فيه بأربعمائة لأنها تاء في اللفظ، وتاء شاملة تحسب بخمسة لأنها هاء لفظا، والحق أنها تحسب بخمسة مطلقا.

نعم إذا كُتبت/و**28**و/طويلة كما تفعل الأتراك، في نحو شكوتُ ورفعتُ وطلعت وعزّت وغير ذلك مما يسمونه مخلصا أي لقبا فإنها تحسب بأربعمائة. والحاصل أن المدار على صورة المكتوب لا الملفوظ، نعم قد يكتب ما لا يحسب كالهمزة في قائل وسائل ومؤذن، فإنها في ذلك ونحوه ترسم بصورة قطعة على الياء والواو، ولا تحسب أصلا وإنما يحسب كرسيها وهو الواو والياء كما في «الفيض» فليُحفَظ"[3].

1- "دوات" في (ب) وهو تصحيف.

2- يقصد: النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب لعبد الهادي الأبياري. ينظر: البغدادي، إيضاح المكنون، ج2، ص: 626.

3- الأزهري، سعود المطالع، و270ظ- و271ظ.

"هذا؛ واختار الخير الرملى الحنفي[1] في «فتاويه»[2]، جواز كل من الأمرين، أعني اعتبار الرسم واللفظ من غير ترجيح لأحدهما على الآخر. وقال: إنّ هذا بحسب الاصطلاح، فلا مانع من العمل بكلّ"[3]. "والذي أراه أنّ ذلك بحسب ما تيّسر للشاعر، سيمَا مع مراعاة النكات والمحسنات مع الانسجام. بحيث لو لم يتأتّ له ذلك إلا باعتبار أحدهما دون الآخر، فهو الأجدر بالاعتبار، ولا نظر مع ظهور القرائن إلى اللُبس. نعم قد يتوقف فيما إذا كان الأمر بينهما قريبا، كما بين الهمزة والواو. وفي «النصر» أنّ واو عمرو لا تحسب، ولعلّه بِناءً على اعتبار اللفظ، ومثلها واو أوخَيِ مصغّر أخ، على القول بلزوم كتابة[4] الواو[5]، وفيه فرقا بينه وبين أُخي المكبّر. أما على القول بعدم لزوم الواو فيه، فظاهر أنها لا تحسب، كما لا تحسب واو عمرو باعتبار الرسم، فيما لا تلزم زيادتها فيه كالقافية. وكذا على القول بعدم لزومها مطلقا. كما نقل ذلك القول الشهاب الخفاجي[6] عن ابن التلمساني[7]، فاغتنم هذه الفوائد فإنها غنيمة باردة"[8].

1- **خير الدين الرملي (993-1081هـ/1585-1670م)**: خير الدين بن أحمد بن علي الأيوبي العليمي الفاروقي الرملي الحنفي؛ مفسر، محدث، فقيه، لغوي، نحوي، صرفي، بياني، عروضي. ولد برملة فلسطين. ينظر: البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص: 358.

2- يقصد كتاب: الفتاوى الخيرية لنفع البرية. ينظر: البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص: 358. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص: 694.

3- الأزهري، سعود المطالع، و271ظ.

4- "الكتابة" في (ب) وهو تحريف.

5- ساقطة من (ب).

6- **الشهاب الخفاجي (977-1069هـ/1569-1659م)**: أحمد بن محمد بن عمر المصري، نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر. رحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر واستقر إلى أن توفي. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 238.

7- **ابن التلمساني (567-644هـ/1171-1246م)**: عبد الله بن محمد بن علي أبو محمد؛ فقيه أصولي شافعي أصله من تلمسان. اشتهر بمصر وتصدر للإقراء. من تصانيفه: شرح المعالم في أصول الدين. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 125.

8- الأزهري، سعود المطالع، و271ظ- و272و. وفي هذا الموضع ينتهي النقل الحرفي عن سعود المطالع.

[الترجمة الأولى: في الفقيه السوسي محمد الكنسوس]

وتتلو هذه المقدمة/و**28**ظ/ الترجمة الأولى في الفقيه السوسي المدعو بالكنسوسي، نزيل حمراء مراكش، التي معناها بلغة المصامدة[1] إمش مسرعا، لأنها كانت مغارة[2] تأوي إليها اللصوص، فنقول:

إن الفقيه الكنسوسي ممّن صدّره قلمه للكتابة، فآل الأمر إلى أنْ رَقَمَ عيبَه وعتابه، ووشّى به رايات تخفق على رأسه بالفضيحة، وتشير لمساوئه وشنائعه القبيحة. نشَرَ مِنْ سريرته ما طواه الزمان الماضي، وأفشاه لعُدول الحَفَظَة فحكم به القاضي. وما رأَيْنَا مِنْ خَطْبٍ بين العشيرة، وقرّر ما انطوت عليه السريرة، وقال: عبادَ الله جَنَيْتُ على نفسي بلساني، وأنا مريد للشيخ التيجاني، كنتم تظنون أني كالقَرَني أُوَيْس[3]، فإذا أنا أشأم من طُوئِس[4].

[التنبيه على ما في كتاب الكنسوس من الأغاليط]:

ولا شؤم أعظم من الكلام في السادات الأبرار الصالحين الناسكين الأخيار. هذا مضمّن ما في تراكيب تأليفه، وتأفُّفُ[5] مَنْ رأى ذلك فيه، وما أبرد حرّ تأفيفه، وكل مَنْ نظر مِنَ العلماء كتابه استبطن بُغضه وعتابه. لأنّه مزّق بسهم لسانه الفؤاد، ورشق بسنان بنانه قلوب الأولياء الأفراد. إنه لأَخٌ كؤود[6]، اعتزل السنّة ولم يتمسك بالعهود، أغرى العوام/و**29**و/ وحرّض على الخاصة الهوام. قد قال فأسْمَعْ، ولسع فأوجع، وكنا نظنّه يقف على أبواب الخيرات بلا دعوى، ويقوم في أمر السبّ من الغير بلا شكوى، ويَصطَفِي مجالسة الخيار في العلانية والنجوى، ويتجنب البغض وأبناء دار الندوى. إذْ حُبّهم خروج عن السنة واعتزال وبغي، والبغي لا يصدر إلا من أولاد البغي، أو من فيهم عرق السوء، لا أبقى الله عرق السوء في الإسلام.

1- **المصامدة**: هم أهل مصمودة؛ يستوطنون ما بين ملوية إلى آسفي والأطلس. ينظر: ابن عبد الله، معلمة المدن والقبائل، ص: 346.

2- مفازة في (ب) وهو تحريف.

3- **القَرَني أُوَيْس**: أويس بن عامر ويقال بن عمرو أصله من اليمن مرادي يعد في الكوفيين. ينظر: الجرجاني عبدالله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج2، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: 109.

4- **طويس**: اسمه طاوس مولى بني مخزوم، أول من غنى الغناء المتقن من المخنّثين وأول من صنع الهزج والرمل في الإسلام. ينظر: ابن قتيبة محمد عبد الله، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة: دار المعارف، ط4، ص: 322. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 506-507.

5- تأفقا في (ب) وهو تحريف.

6- **كؤود**: يقال عقَبَةٌ كَؤُود وكَأْداءُ، أي شاقَّة المَصْعَدِ صَعْبَةُ المُرْتَقى. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3208.

الناس يُذكرون بالأحساب والأنساب، وهو يُذكَر بالغالط في العدّ وتاريخ الحساب، ويُذكَرون بمتابعة شيخ التربية[1]، وهو ضالّ وحده في مغارة[2] برّية. فالمستفاد من ضواديه[3] الشتم في غير الدولة التي هي أوّل مبادئه، وإذْ فكّرتُ فيما سطّرتُه أنشدتُه بما خاطبته: [البسيط]

يا أيها الرجل المُهدِي ضوادِيَهُ ** أبْصِر طريقك لا يطمح بك البصر
لا زلتَ حربا ولا سالمتنا أبدا ** فما لديك لنا نفع ولا ضرر
فإن دنوت فلا أهل ولا رحُبَتْ ** أرض عليك ولا اختيرت لك الخِيَرُ
وإن نأيت فأقصاها وأبعدها ** عنّا وعفّت على آثارك المطر

فالضوادي: الكلام الرديء مثل الشتم والكذب؛ واحدها ضادية.

[تشبيه المشرفي الكنسوس بطويس]:

وقولنا: أشأم من طويس، "هو مثلٌ يُضرَب لمن يُتشاءم منه. [4]وطويس هذا كان يقول: إنّ أمي كانت تمشي بالنميمة بين نساء الأنصار، وولدَتْهُ في الليلة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفطمتني في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وخُتنتُ في اليوم الذي قُتل فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبلغت الحُلُم يوم مات الحسن بن علي رضي الله عنه، فمن مثلي"[5]. ويقال له: طويس المغني. "قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني»: اسمه عيسى بن عبد الله، وكنيته أبو عبد المنعم، وغيّرها المخنثون فقالوا: عبد النعيم وهو مولى بني مخزوم[6]، وطويس لقب عليه"[7]. "وقال ابن قتيبة في كتاب «المعارف» في فضل عامر بن عبد الله الصحابي رضي الله عنه: ومن موالي آل كُريز طويس مولى أروى بنت كريز، وهي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه، واسمه عبد الملك [وكان][8] يكنى أبا عبد النعيم"[9].

1- **شيخ التربية:** هو من تكفي عنه الصحبة لذي دين عاقل ناصح. ينظر: أحمد بن أحمد البرنسي المغربي الشهير بزروق، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة، ضبطه وعلق عليه: محمد بيروتي، دمشق: دار البيروتي، ط1، 2004، ص: 97. أحمد بن محمد بن عجيبة، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مصر: عالم الفكر، ص: 89.

2- "مفازة" في (ب) وهو تحريف.

3- **الضوادي:** الكلام القبيح الفاحش. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 536.

4- بداية البتر من الأصل والزيادة من (ب).

5- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص: 506- 507.

6- **بنو مخزوم:** بطن من بني عبس من قيس بن غيلان، من العدنانية. ينظر: كحالة، معجم قبائل العرب، ج3، ص: 1058.

7- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 506. وسينقل المؤلف عن ابن خلكان نقلا حرفيا سننبه عليه في مواضعه.

8- ساقطة من الأصل والزيادة من: ابن قتيبة، المعارف، ص: 322.

9- المصدر نفسه، ص: 322. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 506.

"وقال الجوهري في «الصحاح»: اسمه طاووس، فلما تخنث جعله طُوَيْسًا، وتسمّى بعبد النعيم، وقد وقع الاختلاف في اسمه كما تراه. وقيل: إنّ الأصح أنه عيسى، لتطابق جماعة من العلماء عليه. وكان طويس المذكور من المبرّزين في الغناء المجيدين فيه، وممن تُضرَبُ به الأمثال"[1]. وإياه عَنَى الشاعر بقوله في مدح معبد المغني[2]: [الطويل]

(أجاد)[3] طُوَيْسٌ وَالسُّرَيْجيُّ بَعْدَهُ ** وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إلا لِمَعْبَد[4]

"وقد ذكر في كتاب «الأغاني» ترجمته، وأطال الحديث في أمره. وهو الذي يُضرَب به المثل في الشؤم فيقال: أشأم من طويس. وإنما قيل له ذلك، لأنه وُلد في اليوم الذي قُبِض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى آخر ما تقدم لنا آنفا، وهذا من عجائب الاتفاقات. وكان مُفرِطا في طوله، مضطربا في خُلقه، أحول العين. وكان يسكن المدينة، ثم انتقل إلى السويداء وهي على مرحلتين من المدينة في طريق الشام. فلم يزل بها حتى توفي سنة اثنين وتسعين من الهجرة[5] رحمه الله تعالى وسامحه، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. وقيل: إنه توفي بالمدينة والله أعلم"[6] انتهى. ذَكر هذا كلّه ابن خلكان.

وما أشأم مَن تكلّم في أهل النسب الديني والطيني الوثيق، وما أَلْأَم من سطّر الأساطير فيما ليس من شأنهم على التحقيق. ولقد صنّف في التاريخ وما أحسنه، لولا تعصَّبَ فيه، وأكمَلَهُ لولا نقصٌ يعتريه. قال التاج السبكي في «معيد النعم ومبيد النقم»: "فلابد أن يكون المؤرخ عالما [عدلا][7]، عارفا بحال من يترجِمُه، ليس بينه][8]/و29ظ/ وبينه من الصداقة ما يحمله

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 506.

2- **معبد المغني تـ(126هـ/743م)**: معبد بن وهب، أبو عباد المدني، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. نشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه. ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة، ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه. وكان أديبا فصيحا، وعاش طويلا إلى أن انقطع صوته، ومات في عسكر الوليد ابن يزيد. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 264.

3- "تغنى" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص: 287. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 506. ابن الأثير أبي الفتح ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، قدمه وحققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، ص: 233. القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص: 303.

4- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 506.

5- الموافق لـ 710م.

6- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص: 506-507.

7- ساقط من الأصل بسبب البتر، وساقط من (ب) والزيادة من: السبكي تاج الدين عبد الوهاب، معيد النعم ومبيد النقم، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد علي النجار وآخرون، القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1، 1948، ص: 74.

8- نهاية البتر من الأصل.

على التعصب، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغض عنه"[1]، فانظره بتمامه. نقله صاحب «نشر المثاني في أخبار القرن الحادي عشر والثاني».[2]

وهذا مدَحَ تعصّبا، وذمّ عداوةً، اتّباعًا لهوى النفس الأمّارة بالسوء، وسكتَ عن بعض الوزراء، إعراضًا عن ذكرهم، وسكوته يُؤْذِنُ بذمّهم[3]، وأنّهم ليسوا على شيء، كما سيأتي لنا التنبيه على ذلك إن شاء الله[4]، وعند الله تجتمع الخصوم، ويؤخَذ من الظالم حقّ المظلوم، كما قال سبحانه: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾[5].

[**سبب معارضة المشرفي للكنسوسي**]: والحامل لنا على معارضته، والبحث في كلامه، والردّ عليه ومجازاته بما فَعل، نُصرة ذلك الشيخ الكامل[6]، وتنزيه جنابه العليّ عمّا لا يليق بمن هو دونَه مِن أولياء الله بمراحل، عسى أن تكون لي عنده يدًا أعتدُّها، مِن أوثق ما لديّ مُدَّخَرًا، وأجِدُها بفضل الله ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا**﴾[7]: [الطويل]

فنحن كلاب الدار طبعًا ولم نزل ** نُوال مُوالِيها ونحرس بابها
نَسبْتُ لهم إذ كانوا أهل عناية ** فإنّ كرام العُرب تحمي كلابَها
/و30و/ إذا طُرِدَتْ يوما كلاب قبيلة ** فقَوْمي كرامٌ لا تهينُ كلابَها[8]

ولم يمنعني من البحث في كلامه والردّ عليه، جلالته عند غيري الذي يصدّقُه فيما قال، ويقبل كلامه على كل حال: [الوافر]

إذا قالت حذام فصدقوها ** فإن القول ما قالت حذام[9]

1- السبكي، معيد النعم، ص: 74.
2- القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1041.
3- ربما يقصد صاحب المخطوط وزراء الدولتين الرحمانية والمحمدية ومنهم الوزير الجامعي.
4- سيتحدث صاحب المخطوط عن وزراء الدولتين الرحمانية والمحمدية في الترجمة السادسة والسابعة.
5- الأنبياء، الآية 47.
6- جاء على هامش المخطوط: "وهو الشيخ عبد القادر".
7- آل عمران، الآية 30.
8- الأبيات لرضوان الجندي، وورد البيتان الأولان منها عند المشرفي في رحلته. ينظر: العربي المشرفي، رحلة القبائل الجبلية، و47و-و47ظ.
9- القول للجيم بن صعب. ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص:99. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص: 18.

قال العلماء رضي الله عنهم: لا يمنعك من البحث في الكلام الغير الموافق للحقّ، ما عُرف من جلالة القائل لأنّ الحق لا يُعرف بالرجال الأماثل، وإنما يعرفه الإمّعة الجاهل:[المتقارب]

ولست بإمّعة في الرجال ** أسائل هذا وذا ما الخبر؟[1]

وقال أبو حامد في كتابه «المنقذ من الضلال»: "وهذه عادة ضعفاء العقول، يَعرِفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق. فالعاقل يقتدي بمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حيث قال: لا تعرف الحق بالرجال، [بل][2] اعرف الحق تعرف أهله. والعارف العاقل يعرف الحقّ ثم ينظر في نفس القول، فإن كان حقّا قَبِلَه سواء كان قائله محقا أو مبطلا"[3]. إلى أن قال: "هو الغالب على أكثر الخلق، فمهما نَسبْتَ الكلام وأسندتَه إلى قائل، حَسُن اعتقادهم فيه قبِلوه وإن كان باطلا، وإن أسندته إلى مَن ساء اعتقادهم فيه، ردّوه وإن كان حقا/و**30**ظ/ وأَبَوْا يعرفون الحق بالرجال، وذلك غاية الضلال"[4] انتهى.

[ضمن الكنسوس في الجيلاني والعربي الدرقاوي وصلحاء أبي الجعد والأشاعرة]:

ولا نسلّم للمُعارَض ما قاله لجلالته عندهم، ولو قاله في أي مسلم كان، وأما جناب الشيخ عبد القادر، ومَن قَدَحَ فيهم مِن أولياء الله الكُمّل، مثل مولاي العربي الدرقاوي وصلحاء أبي الجعد، رفيع القدر على أمثاله، يتلجلج[5] فيه لسان أشكاله "ورُبّ غريق في بحر التقليد، مِن أبناء الزمان يستعظم ذلك منه، وينشد قول أحمد بن سلمان شاعر معرة النعمان[6]: [الوافر]

أرى العنقاء تكبَر أنْ تُصادا[7] ** فعاند مَن تطيق له عنادا[8]

1- البيت للشافعي. ينظر: الشافعي، الديوان، ص: 64.

2- ساقطة من (أ) و(ب) والزيادة من المنقذ. ينظر: أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، ترجمه إلى الفرنسية وقدم له وعلق عليه فريد جبر، بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ط2، 1969، ص: 25.

3- المصدر نفسه، ص: 25.

4- نفسه، ص ص:26-27.

5- **يتلجلج**: يتردّد. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 816.

6- **شاعر معرة النعمان**: هو أبو العلاء أحمد المعري اللغوي الشاعر؛ ولد بالمعرّة سنة 363هـ/974م. كان متضلّعا في فنون الأدب وله العديد من المؤلفات والأشعار. توفي سنة 449هـ/1057م بالمعرّة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص ص: 113- 116.

7- "تضادى" في (ب) وهو تحريف.

8- المعري، سقط الزند، ص: 197. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 450. البغدادي، خزانة الأدب، ج7، ص: 137. اليوسي الحسن، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط1، 1981، ج2، ص: 261.

ولم يزل العلماء الفحول، يبحث معهم فيما يقولون، فاضل مماثل أو رفيع ونازل، ثم لا يُخلّ ذلك[1] بشيء مِنْ واجب إكبارهم، كما لا يُنقِص شيئا مِنْ عَلِيِّ مِقدارهم، فهذا سبيلٌ لست فيه بأوحد. وقال الشيخ زروق[2] رضي الله عنه في «قواعده»: العلماء مُصدَّقون فيما يقولون، لأنه موكول إلى أمانتهم، مبحوث معهم فيما يقولون لأنه نتيجة عقولهم، والعصمة غير ثابتة لهم، فلزم التبصُّرُ طلبا للحق والتحقيق، لا اعتراضا على القائل[3]"انتهى[4].

وقَصَدْنا الإنكار عليه، حيث رمى الأشاعرة وهم أئمتنا/و**31**و/ معشر أهل السنة، جالَدوا عليها اثنين وسبعين فرقة -كما سيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله-[5]، ورمى مولاي العربي الدرقاوي بما خرق به الإجماع المنعقد على صلاحه، وطعن في نسب ذوي النسب الظاهر، ومزّق عرض المسلم الذي لا ينبغي لأحد هتْكُه. وسطّر عيوب الناس وأظهرها للعامة الذين يُجْرُونَ أقوال العلماء على ظاهرها، فيَفْسُد اعتقادهم في أولياء الله، فكانت أساطيره فضيحة لا نصيحة. قال الشيخ زروق رضي الله عنه: "تعريف العيوب مع الستر نصيحة، ومع الإشاعة والهتك فضيحة، فمن عرّفك بعيبك مِن حيث أن لا يشعر الغير فهو الناصح، ومن عرّفك من حيث شعور الغير فهو الفاضح. وليس لمسلمٍ أن يفضح مسلما إلا في موجب حكم بقَدْرِهِ، من غير تتبّعٍ لما لا تَعَلُّقَ له بالحكم، ولا ذكر عيب أجنبي عنه، وإلا انقلب عليه الحكم بقهر القدرة الإلهية، وبحسب الحِكَمِ الربّانية والوعد الصادق" إلى آخره[6]. وبحسب الجبلّية الطبيعية في الإنسان يقابَل الوجود[7] بما قوبل به، والمرء مقتول بما قَتل به. وإذا ظُلم الإنسان وبُغي عليه يحتجّ بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾[8]، وينشد قول من يقول: [الطويل]

1- "بذلك" في (ب) وهو تحريف.

2- **أحمد زروق الفاسي (846-899هـ/1442-1493م):** أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، فقيه محدث صوفي من أهل فاس. تفقّه في بلده وقرأ بمصر والمدينة، وتوفي في تكرين من قرى مسراتة. له تصانيف كثيرة منها: النصيحة الكافية، وقواعد التصوف. ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم الأول، ص ص: 128-129. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، بيروت: دار الجيل، ط1، 1992، ص: 222.

3- زروق، القواعد، ص: 54.

4- المؤلف ينقل حرفي من جهد المقل. ينظر: المسناوي، جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر، مخطوط بمركز آل سعود، المغرب: الدار البيضاء، رقم: 342، و1و-و1ظ.

5- سيتحدث المؤلف عن الأشاعرة في الترجمة الثانية من المخطوط.

6- زروق، قواعد التصوف، ص: 271.

7- "الموجود" في (ب) وهو تحريف.

8- الشورى، الآية 39.

/و**31**ظ/"وكنتُ إذا قوم رموني رمَيتُهُم ** فهل أنا في ذَا يال هَمَدَانَ[1] ظالمُ[2]

وإذا عوتب ونُهي عن المُجارات في هذا المضمار، ألحّ وأماط عن وجهه الخمار وقال: من استُغضِب و لم يغضب فهو حمار[3]: [البسيط]

لا تطمعوا أن تهينونا ونكـــرمكم ** وأن نكفّ الأذى عنكم وتؤذونا"[4][5]

فلو لم تُنبّه القطـــا[6] مـــا ســـرت ** ولا كانت قبل الإصباح انتشـــرت

"ومما جرّأنا على جوابه أيضا –مع حقارة أنفسنا عندنا– ما قاله الشيخ زروق رضي الله عنه، نصُّه: تَحقُّقُ العلم بالمزيّة لا يبيح السكوت، بعد تعيّن الحقّ إلاّ عند العلم بحقيقة ما عليه الفاعل من غير شكّ، ثم إنْ وقع إنكارٌ فليس بقادح في واحد منهما، كما قال الخِضر لموسى عليه السلام في أول أمرهما[7]، إلى آخر كلامه"[8].

"ومع هذا العذر الواضح في المعارضة، أنّ الحق الذي لا مِرية فيه، أننا في غنى عن تلك المعارضة، لأن الله عز وجلّ متكفل بالدفاع عن حوزة[9] أوليائه، وهم أيضا ليس شيء يُنْقِص من (عَلِيِّ)[10] أقدارهم، وربما حاول المُنقّص تنقيصهم، فيزيدهم بذلك شرفا وكمالا"[11]. "قال ابن عباد: من اعتُرض عليه من أهل الحق، ونُسب إلى الضلال والزندقة، وهم خاصة الأولياء نعمةٌ[12]

1- **همدان**: بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو همدان بن مالك بن زيد بن أو سلمة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان. ينظر: كحالة، معجم قبائل العرب، ج3، ص: 1225.

2- البيت لابن براقة الهمداني. ينظر: المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: محمد أحمد الدالي، ج1، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1997، ص: 351.

3- القول للشافعي. ينظر: الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد، سراج الملوك، 1319هـ، ص: 86.

4- البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، وقد ورد صدرُه في دلائل الإعجاز للجرجاني. ينظر: الجرجاني عبد القاهر، كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمد محمود أبو شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2000، ص: 226.

5- ورد البيت في رسائل البكاي والكنسوس. ينظر: رسائل البكاي والكنسوس، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية رقم: 1071د مكرر، و21و. أما البيت الثاني فليس تابعا للأول و لم نهتد لقائله.

6- **القَطا**: وهو نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء ويتخذ أفحوصة في الأرض ويطير جماعات. الزيات، المعجم الوسيط، ص: 748.

7- زروق، قواعد التصوف، ص: 119.

8- بداية النقل من: رسائل البكاي والكنسوس، و6ظ. وسينقل المؤلف عددا من الفقرات ويتصرف فيها في الكثير من الأحيان دون التنبيه إلى النقل أو التصرف في الصياغة، وسننبه إلى الفقرات التي نقلها في مواضعها.

9- "جوزة" في (ب) وهو تصحيف.

10- "على" في الأصل والتصحيح من عندنا حتى يستقيم المعنى.

11- رسائل البكاي والكنسوس، و6ظ- و7و.

12- "نغمة" في (ب) وهو تصحيف.

جزيلة لا يُقدَّر قدرها ولا يوفّى شكرها. بَيْدَ أنّهم لم يُنقّصهم ذلك ذرّة واحدة/و**32**و/ مِن أحوالهم المكينة، و لم ينقلب متنقّصهم إلا بالعين السخية[1]"[2].

فويحًا له لو اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره، لكان[3] أولى له، "فإننا والعياذ بالله غرقى في غمار عيوب أنفسنا، وحصائد جوارحنا. قال الشعراني رضي الله عنه: قال لي أخي: أفضلُ الدين لو كوشف للإنسان، لرأى ذاته كلّها عيوبا ضُمَّ بعضها إلى بعض، فصارت صورة إنسان[4]. انتهى"[5]. وفي «التمهيد» لابن عبد البرّ بسنده: "أن بعض الأمراء سأل محمد بن واسع[6] عن القضاء والقدر، فقال له: أيها الأمير، إن الله تعالى لا يسأل يوم القيامة عبدَه عن القضاء والقدر، وإنما يسأله عن عمله"[7]، انتهى.

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها ** لنفسيَ في نفسي عن الناس شاغل[8]

وتصدِّينَا لمعارضته أيضا حقٌّ مفترَضٌ، عملا "بما رواه ابن المبارك من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الساكت عن الحق كالمتكلم بالباطل، وكاتم الشهادة كالشاهد بالزور، ومحرم الحلال كمحلل الحرام"[9] انتهى. وهذا المعارَضَ تكلّم بباطل في جانب الله، وهم بُرءاء مما رماهم به، محفوظون عند الله، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في تراجمهم.

[تبرير المشرفي لطعنه في الكنسوس]: وحاصله، أن الطّعن فيمن أشاد الدين طعنٌ في الدين/و**32**ظ/ والطعن في الدين طعنٌ في المتديِّن به، ومنافحتي عليهم منافحة على الدين والمتديِّن

1- "السخينة" في (ب) وهو تحريف.

2- رسائل البكاي والكنسوس، و7و.

3- "فكان" في (ب) وهو تحريف.

4- ورد القول عند صاحب الفيض القدير. ينظر: المناوي، فيض القدير، ج4، ص: 281.

5- رسائل البكاي والكنسوس، و7و.

6- **محمد بن واسع**: بن جابر بن الأخنس، الإمام الرباني القدوة؛ أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأزدي البصري؛ أحد الأعلام. حدث عن أنس بن مالك، وعبيد بن عمير، ومطرف بن الشخير، وعبد الله بن الصامت، وأبي صالح السمان، ومحمد بن سيرين وغيرهم، وهو قليل الرواية. وقد أورد الذهبي تاريخين لوفاته؛ الأول سنة 123هـ والثاني سنة 127هـ. ينظر: الذهبي، السير، ج6، ص ص: 119-123.

7- ابن عبد البرّ أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، ج3، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ، ص: 141.

8- البيت من بحر الطويل، وهو للربيع بن خيثم وهو من الطبقة الثانية من كبار التابعين؛ ومنهم من ينسبه لبكار بن قتيبة (182-270هـ/798-884م). ينظر: ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1998، ص: 99.

9- رسائل البكاي والكنسوس، و7و.

به. فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه، ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال[1]: [الوافر]

هجوت محمدا وأجبت عنه ** وعند الله في ذلك الجزاءُ

فقال له صلى الله عليه وسلم: "جزاؤك الجنة يا حسان"[2]. لأن منافحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منافحة عن دين الله. وحيث صدر مِن هذا المتكلَّم معه، ما صدر في جانب العلماء وأهل الله، لم تَبْقَ بيننا وبينه صداقة وتعيّن بُغضه، عملا بالحديث المنقول سابقا، البغض في الله والحب في الله.

[قدح المشرفي في مروءة وعدالة الكنسوس]:

والكلام في قِلّة مروءته وعدالته، ونَسَبِهِ وسيادته وتقديمه، وشيخوخته التي يدَّعيها، فنقول: بسبّه قلّت مروءته، لأن مَنْ سبّ المسلم [فضلا عن أولياء الله][3]، فضلا عن علماء دينه، فصدّ[4] عن أمر ربّه وخرج عن طاعته. قال بعض الحكماء: المروءة أنْ لا تبخل ولا تَسُبّ ولا تُسبّ، وإذا انتفت مروءته انتفت عدالته، وإذا انتفت عدالته انتفت سيادته وتقديمه، وإذا انتفى تقديمه وسيادته تعيَّن لؤمه، إذ السيادة من الصفات الجامعة للفضائل والفواضل. قال ابن عبد ربه[5]: "قيل لعدي بن حاتم[6]/و33و/ ما السَودَدُ؟ قال: السيدُ هو الأحمق في ماله، الذليل في عِرضه، (المطّرح)[7] لحقده"[8].

1- حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان حسان، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: عبدا مهنا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1994، ص: 20. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، إشراف: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ج2، الرياض: دار طيبة، ط1، 2006، ص: 1163، كتاب: فضائل الصحابة، حديث رقم: 2490. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص: 351.

2- حديث صحيح رواه مسلم باللفظ التالي: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله". ينظر: صحيح مسلم، ج2، ص: 1163، كتاب: فضائل الصحابة، حديث رقم: 2490.

3- ساقطة من (ب).

4- "فسب" في (ب) وهو تحريف.

5- يقصد ابن عبد ربه الأندلسي صاحب كتاب "العقد الفريد" والذي نقله عنه المؤلف فقرات طويلة سنبّه عليها في مواضعها.

6- **عدي بن حاتم تـ(68هـ/687م)**: بن عبد الله الطائي، مهاجريّ يكنّ أبا طريف، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان من سنة سبع للهجرة. ينظر: عبد البر، الاستيعاب، مج3، ص: 1057. ابن سعد، الطبقات، ج8، ص: 144. الذهبي، السير، ج3، ص: 162.

7- "المطرد" في (أ) و(ب) والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج2، ص: 144.

8- المصدر نفسه، ج2، ص: 144.

وقال رجل للأحنف بن قيس[1]: "لم سَوّدَك قومك وما أنت بأشرفهم بيتا، ولا أحسنهم وجها، ولا أصبَحِهم خُلُقًا؟ فقال له الأحنف: بخلاف ما فيك يا بني؟ قال وما ذاك؟ قال: بتركي مِن أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري لا يعنيك"[2]. "وقالت عائشة رضي الله عنها: كلُّ كَرَمٍ دونه لؤم فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به. تريد أنّ أوْلى الأمور بالإنسان فِعال نفسه، إنْ كان كريما وآباؤه لئام لم يضرّه ذلك، وإن كان لئيما وآباؤه كرام لم يُنقِصْهُ ذلك من لؤمه"[3]. [ومنه قول بعض النصحاء من أدباء العقلاء: "كن عصاميا ولا تكن عظاميا"[4]، يشير إلى قول عصام[5]:[6] [الرجز]

"نفْس عصام سَوَّدَتْ عصاما ** وعلّمته الكرّ والإقداما

وجعلته ملكا هُماما][7]

وقال عامر بن الطفيل العامري[8]:[9] [الطويل]

إني وإن كنت ابن سيد عامر ** وفارسها المشهور في كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة ** أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكني أحمي حماها وأتقي ** أذاها وأَرْمِ من رماها بمنكب"[10]

انتهى. "وذكر ابن عساكر عن الأحنف أنه قيل له: بأي شيء سوّدك قومك؟ قال: لو عاب أحد الماء ما شربتُه. وكان يقول: ما نازعني أحد إلا وأخذت من أمري أحد ثلاث: إن كان فوقي عرفت قدره، وإن كان دوني رفعت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت

1- **الأحنف بن قيس (3ق.هـ- 72هـ/619-691م):** السعدي التميمي يكنى أبا بحر واسمه الضحاك بن قيس وقيل صخر. كان قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على عهده و لم يره ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج1، ص: 144.

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص ص: 144-145.

3- ورد القول عند صاحب العقد الفريد باختلاف في اللفظ. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 149.

4- البغدادي، خزانة الأدب، ج9، ص: 365.

5- **عصام:** بن شهير حاجب النعمان بن المنذر، وهو الذي تسميه العرب الخارجي. ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص: 331.

6- البيت ينسب للنابغة الذبياني. ينظر: النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، بيروت: دار المعرفة، ط2، 2005، ص: 114. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 148. البغدادي، خزانة الأدب، ج9، ص: 365.

7- ساقطة من (ب).

8- **عامر بن الطفيل (70ق. هـ-11هـ/554- 632 م):** عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج3، ص: 80.

9- عامر بن الطفيل، ديوان عامر بن الطفيل، بيروت: دار صادر، 1979، ص: 13. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 149.

10- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 149.

عليه[1]/و33ظ/ وكان يقول: لا مروءة للكذوب، ولا راحة للحسود، ولا حيلة للبخيل، ولا سؤدد لسيء الخلق، ولا أخ لملول[2]"[3]، انتهى.

[نسب الكنسوس]:

وأما نسبه الطيني الذي يعتمد عليه، فالقبيلة البربرية التي ينتسب إليها وهي إِدَاوْكْنْسُوسْ كما في تأليفنا «نزهة الأبصار»[4]، وانتسابه بقلمه للجعفري. قال بعضهم: أظنه والله أعلم تصحيفا بقلم أو تحريفا[5]، ولعله ينتسب للتلَعفري[6]، المهجو بقول من لا يعترف له بالفضل[7]:[الكامل]

يا شاعرا بشعوره لم يشعرِ ** ما كنتَ أول طالب لم يَظفر
لو كنتَ تعرف والدا تسمو به ** لم تنتسب (ضعة)[8] إلى تلَعفر

وقيل فيه أيضا[9]: [الوافر]

سما التلعفري إلى وصالي ** ونفس الكلب تكبر عن وصاله
ينافي خُلقه خُلقي وتأبى ** فعالي أن تُضاف إلى فعاله
فصنعتي اللطيفةُ[10] في لساني ** وصنعته الخسيسة في قذاله[11]

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 141. المبرد، الفاضل، ص: 92.

2- "للؤوم" في (ب) وهو تحريف.

3- ورد القول عند صاحب العقد الفريد باختلاف في اللفظ. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 150.

4- يقول المشرفي في نص طويل مشنّعا بقبيلة الكنسوس واصفا لها؛ هذا مقتطف منه: "وأقبح المواضع المسكونة بهذ الخط المعمور إداوْكنسوس وإداوْزكري؛ فأرضهم رقيقة فارغة من أوعار الجبال لها شبه بأرض الصحراء ذات شيح وفجاج ريح، أعظم كسبهم الضأن والمعز، وجلّ نبتهم القيصوم والزقوم وشوك السعدان، وغالب طباعهم مركبة من طباع جيرانهم إيلالة من كونهم لا يقرون ضيفا، ومنذ خلقهم الله لم يسلّوا والله أعلم في الجهاد سيفا...". ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 307-308.

5- عن التشكيك في هذا النسب نجد محقق كتاب الجيش العرمرم يقرّ بذلك قائلا: "وهو ينسب بالجعفري نسبة إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو قد كان في شكٍّ من صحة هذا النسب فتركه حينا". ينظر: الكنسوس، الجيش، ج2، ص: 2.

6- **التلعفري (593- 675هـ/1197-1277م)**: محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، شهاب الدين، أبو عبد الله التلعفري نسبة إلى (تل أعفر) بين سنجار والموصل. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 151. كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 789.

7- البيتان لأبي الحسن محمد بن عبد الله السلامي العراقي. ينظر: الثعالبي النيسابوري أبي منصور عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج2، شرح وتحقيق: محمد مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983، 468.

8- "منه" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، 468.

9- الأبيات لأبي الحسن محمد بن عبد الله السلامي العراقي. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 405. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص ص: 468- 469. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 405.

10- "فصنعة النفيسة" عند ابن خلكان. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 405.

11- **القذال**: جماع مؤخر الرأس من الإنسان وهو القفا. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 722.

فإنْ أشعر فما هو من رجالي ** وإن يصفع فما أنا من رجاله

انتهى[1]. [وقد ردّ عليه محمد بن عبد الواحد بن سودة، في تُوَيلِفٍ صغير الجرم، وتشاءم في تسميته حتى ذمّ نفسه][2] حيث سمّاه «الطالع المنحوس في الرد على الكنسوس»، والصواب أن يقال الطالع المحسوس بدل المنحوس، لموافقة الكلمة الأخيرة في السجعة.

وأما نسبه الديني: فيقال إنّ طريقته عارية منه والله أعلم، إذْ لم (يَذْكُرْ)[3] أهل التحقيق لطريقته نسبا/و**34**و/ فهو فيها مقطوع النسب، إذ ليس لشيخه شيخٌ. فصار كالعُقاب التي هي من جنس الطيور، يسافدها[4] ذَكَرُ الثّعلب من جنس المواشي، ولذلك تهجو العرب مقطوع النسب بها، قال شاعرهم[5]: [الكامل]

ما أنت إلا كالعقاب فأمُّه ** معروفة وله أب مجهول

[ذكر العربي الدرقاوي وأحمد التيجاني]:

وشيخه مذكور بالعلم لا بشيخ التربية، وبهذا انعقد إجماع معاصريه. كما انعقد إجماع أهل العصر على أن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي شيخ تربية، وله في التصوف الباع الذي لا يُدرَك. كما أنّ سيدنا أحمد التيجاني له الباع في علم الظاهر، الذي لم يُدركه غيره في وقته. ويشهد للأول ما في رسائله[6]، التي هي كرسائل ابن عباد[7]، المحتوية على قواعد التصوف. وظهرت على يده النتائج العظام، كشيوخ التربية الآتي عدّهم إن شاء الله، وامتدّ مدده شرقا وغربا، قبلة وجوفا، ولم يمت رحمة الله عليه، حتى ترك العمران في البادية والحاضرة، معمورا بشيوخ التربية المذكورين بعدُ في ترجمته. أهذا[8] الذي يقول ابن الكنسوسي بزندقته؟ [الطويل]

/و**34**ظ/ وكم عائب ليلى ولم ير وجهها ** فقال له الحرمان[9] حسبك يا فتى[10]

1- يقصد انتهاء النقل من يتيمة الدهر للثعالبي ووفيات ابن خلكان.

2- ساقطة من (ب).

3- "يذكروا" في الأصل والتصحيح اقتضاه السياق العام للمعنى.

4- **يسافدها**: من السِفاد، وهو نَزْوُ الذكر على الأنثى. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 3، ص: 2023.

5- البيت للشاعر ابن عنين الدمشقي المتوفى سنة 630هـ/1232م. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص: 153.

6- يقصد رسائل العربي الدرقاوي المتوفى سنة 1239هـ/1823م وقد حققها بسام محمد بارود، وطبعت سنة 1999 بالإمارات العربية.

7- يقصد رسائل ابن عباد إسماعيل الصاحب المتوفى سنة 385هـ/995م. ينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، القاهرة: دار الرشاد، ط1، 1992، ص: 282.

8- "هذا" في (ب) وهو تحريف.

9- "العمران" في (ب) وهو تحريف.

10- ورد البيت عند: ابن عجيبة في سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر، ضمن روائع ابن عجيبة، ص: 67.

[سؤال ابن حمدون وجواب أحمد التجاني]:

ويشهد للثاني، جوابه الذي أجاب العلامة سيدي حمدون بن الحاج[1] حين سأله عنه. **ونصُّ السؤال والجواب:** بعد الحمدلة والصلاة على سيدنا محمد، بارك الله في سيدنا أبي العباس أحمد ابن محمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وأدام طوله، غاية ما طلبْنا من سيدنا: هل الستة الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض، وقد ورد في الآثار تعيينها، وأن ابتداءها يوم الأحد ويوم الجمعة آخرها. وفيه خلق آدم مع [ما في][2] آثارِ آخرِ مَنْ خَلَقَ الملائكة قبل آدم بآلاف من السنين. أو الستة الأيام كل يوم بألف سنة، وهو وإن انتفى عنه الإشكال في الجملة، بقي أنه خلاف الظاهر من قوله تعالى: ﴿**فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾[3] المُظهر لعظيم قدرته. والله يبقيك لنا سالما برضاك بتبجيل وتعظيم.

الجواب فيما سألتَ عنه[4]: المطلب الأول فيه، أن ّالله عزّ وجل قادر على خلق العالم كلّه، منَ الأزل إلى الأبد دفعة واحدة بجمله وتفاصيلهّ. ليس في قدرته سبحانه وتعالى عجزٌ عن ذلك كلّه، وما خلق العالم لنفعٍ يرجوه منهم، أو لضرر يختشيه/و**35**و/ أو لحاجة دعته إليه. بل له الغنى التامّ المطلق، الذي لا يتصرّف إليه النّقص والخلل بوجهٍ من الوجوه، ولا لِاعتبارٍ من الاعتبارات. وإنما خلَق العالم سبحانه وتعالى لأمر تعلّقت به مشيئته، ونفَذَ به حكمه، والعالَم كلّه من حيث ما "هو؛ هو"، نشأ عن القدرة الإلهية، وعن المشيئة الذاتية، وعن الكلمة الربانية التي قال فيها لكل شيء كُنْ، وعن إحاطة علمه سبحانه وتعالى بجمله وتفاصيله.

ثم إنّه جلّ جلاله، رتّب وجود العالم جمله وتفاصيله لأزمنة قدّرها له، وأوقاتا حَكَمَ بها عليه وآجالا ألزمه إياها. وكل ذلك التفصيل في الآجال والأوقات، ما هو لعجزِ قُدْرتِه عنه أن يخلقه في آنٍ واحد، بل تفاصيل العالم اقتضاها حكمه ومشيئته، وكلمته التي هي قوله "كُنْ"، ما لحقَه في ذلك كلّه عجز عن خلقها في آن واحد. ولكن مشيئته الإلهية اقتضت أن تكوِّن كل مكوَّن في الوقت الذي شاءه فيه، وفي المكان الذي حكم به عليه، وهكذا تفاصيل العالم لها في

1- **حمدون بن الحاج السلمي (1174-1232هـ/1760-1817م)**: المرداسي أبو الفيض؛ المعروف بابن الحاج. أديب فقيه مالكيّ من أهل فاس. من مؤلفاته: حاشية على تفسير أبي السعود. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج3، ص ص: 5-7.

2- ساقطة من (ب).

3- الأعراف، الآية 54. يونس، الآية 03. هود، الآية 07. الفرقان، الآية 59. السجدة، الآية 04. ق، الآية 38. الحديد، الآية 04.

4- يقصد جواب التيجاني.

المشيئة أوقات مقدّرة، وآجال مقرّرة، وأماكن محدّدة، لا يتأتّى أن يتقرّر في المشيئة[1] شيء من هذا ثم يتخلف.

وإنّ كلّ ما ذكرنا مقرّر في صورة العلم الإلهي/و**35**ظ/ ما خرج منه شيء عن دائرة علمِهِ، وسرُّ هذا التقديم والتأخير، والاختصاص بالأوقات، والآجال والأمكنة، كل ذلك استبدّ به سبحانه وتعالى، ما أوْقَفَ عليه أحدا مِن أنبيائه ورسله، ولا ملائكته ولا ذوي الخصوصية من خلقه. فالساعي في طلب هذا السرّ ساعٍ في التّعب والمشقّة، لأنّ هذا من أسرار الألوهية الغامض لا يعلمه إلا هو.

وحيث قلنا: إنّه قادر على خلق العالم كلّه من الأزل إلى الأبد في دفعة واحدة، وفي آن واحد، وإنما منع ذلك اختيَارَه وحكمَه فقط، وما وراء هذا مما يُقدَّر في العقل من قول القائل: لو لم يكن كذا لكان كذا، فإنّ تلك المرتبة التي ذكرناها هي مرتبة الألوهية الخاصة، لا يعلمها إلا هو تبارك وتعالى.

وحيث كان الأمر هكذا؛ فخلْقُه السماوات والأرض في ستة أيام، هو أمر تعلّقت به مشيئته ونفذ به حكمه، لا لثقل لحقه ولا لإعياء سبقه. يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾[2]. فإذا عرفتَ هذا فكونُه خلق السموات والأرض في ستة أيام، فإن شئت جعلتَها كل يوم فيه ألف سنة، وإن شئت قلتَ كأيامنا هذه، الكلّ صحيح على ما اقتضاه العلم/و**36**و/ والحكم والمشيئة لأنّا قلنا: قادر على خلق العالم كلّه من الأزل إلى الأبد، دفعة واحدة في آن واحد. وقلنا: ما منعه [من ذلك][3] عجْزٌ ولا إعياء ولا استثقال. فإذا عرفتَ هذا فكونه خَلَقَهَا في ستة أيام، واليوم ألف سنة فصحيح، وإن قلتَ في ستة أيام كأيامنا هذه فالكل صحيح.

ثم ترتيب العالم على ما تقرّر عند أهل الباطن، أن الله عز وجل خلق أول مخلوق، حيث لم يكن إلا هو وحده في الوجود، خلق الروح الشريف وهي الحقيقة الأحمدية، لِمَا تقرر في الخبر عنه سبحانه وتعالى أنه قال: قبضت قبضة من نور وجهي، ثم قلت لها كوني روح حبيبي محمدا صلى الله عليه وسلم. [فهو أب الوجود كلّه، وعنه نشّأ العالم كلّه سبحانه وتعالى، ولكن

1- "المسألة" في (ب) وهو تحريف.

2- ق، الآية 38.

3- ساقطة من (ب).

لو سبق في علمه ألاّ يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم][1]، لسبق في علمه ألاّ يخلق شيئا من الأشياء، وبقي وحده كما كان، ولا تلتفتْ[2] لما يَسْتَشْكِلُهُ المتجعرفون من كونهم يقولون حين سمعوا هذا القول: أنه لو لم يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم، ما خلق شيئا مِنْ خَلْقِه، وطعنوا في قول البوصيري[3] رضي الله عنه: "لولاه لم تخرج الدنيا من العدم صلى الله عليه وسلم"[4].

/و36ظ/وأمْرُ هذه القبضة التي قبضها من نور وجهه عز وجل، وسَرَيَانه في الأكوان صلى الله عليه وسلم، هو أمر لا عِلْمَ لأحدٍ به، لا يعلم حقيقته إلاّ الله سبحانه وتعالى. وإلى هذا أشار الجنيد[5] رضي الله عنه بقوله: ما عرف قدر محمد إلا الله. وكذا "قول أويس القرني رضي الله عنه لسيدنا عمر رضي الله عنه، وسيدنا علي رضي الله عنه، حين لقياه قال لهما: لم تريا مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ظلّه، وما رأيتموه قطّ. قالا له: ولا ابن أبي قحافة؟ قال لهما: ولا ابن أبي قحافة. لأن أويس القرني رضي الله عنه، غاص لجج المعارف، وخاض بحار الألوهية العظمى، فمازال كذلك طالبا للوقوف على عين حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي هي أول موجود أوجده الله، فقيل له في تلك الحضرة: هذا أمر عجز عنه أكابر الرسل، يعني أنهم طلبوه كما طلبتَه، فعجزوا عنه و لم يحظوا منه بشيء"[6].

"قال أبو يزيد[7] رضي الله عنه، وكان من كبار الأقطاب، قال: غُصْت لجج المعارف طلبا للوقوف على عين حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال[8]: فمازِلْتُ كذلك حتى بقي بيني وبينها ألف حجاب من النور، لو دنوتُ للحجاب الأول منها لاحترقتُ/و37و/ كما

1- ساقطة من (ب).

2- "يلتفت" في (ب) وهو تصحيف.

3- **البوصيري (762-840هـ/1360- 1436م)**: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي المصري. من حفاظ الحديث. من كتبه: فوائد المنتقي لزوائد البيهقي. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص: 251.

4- يشير إلى قول البوصيري: وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةُ مَنْ ** لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم.

ينظر: إبراهيم الباجوري، شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية، حققها: عبد الرحمن حسن محمود، القاهرة: مكتبة الآداب، ص: 40.

5- **الجنيد البغدادي تـ(297هـ/910م):** بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم؛ صوفي من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص ص: 373-375. الذهبي، السير، ج14، ص: 66. السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص: 260.

6- النبهاني يوسف بن إسماعيل، جواهر البحار في فضائل المختار، ج3، ص: 835. ابن عجيبة، كتاب شرح صلاة القطب ابن مشيش ضمن روائع ابن عجيبة، جمع وتقديم: العمراني الخالدي عبد السلام، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ص: 23.

7- **أبو يزيد (188-261هـ/804-875م)**: طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، وهو من أشهر الصوفية الأوائل. ينظر: الذهبي، السير، ج13، ص: 86. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص: 312. الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 235.

8- ساقطة من (ب).

تُحرق الشّعرة إذا أُلْقِيَتْ في النار، فعلمتُ أنه لا مطمع في نيل ذلك"[1]. "وفيه يقول القطب الأكبر، مولانا عبد السلام بن مشيش[2] رضي الله عنه: وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق. ويتّضح لك مما قلناه أنه لا مطمع لأحد في درك حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3].

ثم نرجع إلى تمام الخبر: فإنه صلى الله عليه وسلم، أول موجود أوجده الله، ثم بقي مدة طويلة وحده في الوجود مع الله تعالى لا شيء معه، يعبده في تلك الحضرة وحده، وبهذا أمره الله تعالى بقوله في الآية الكريمة: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾[4]. وذلك الزمان له قدر مخصوص معروف عند أهله، لا يُذكر ولا يُباح به. ثم بعد ذلك الأمد، خلق الله الأرواح كلّها سبحانه وتعالى دفعة واحدة، وبقيت الأرواح في حضرة القرب تسعمائة ألف سنة وثمانين ألف سنة، يغذّيها سبحانه وتعالى بأنوار قربه وملاطفاته، وتُحَفِ إعزازه وتكريمه، في هذه المدة كلّها. ثم فَصَلَ سبحانه وتعالى عن هذه الحضرة، كما ينفصل الرضيع عن ثدي أمه، فلما فَصَلها قالت/و**37**ظ/ إلهي لا أطيق هذا الانفصال، فقال الله لكل روح منها: ما خلقناك لتكون مريدا في نفسك، وإنما خلقناك لنُظهر فيك سرّ وحدانيتنا. فبكت مِن ثقل الأمر فجرت من بكائها بحور وأنهار، ومن تلك البحور والأنهار خلق الله ذوات العالم بتفصيله. فصّل إجماله بحضرة العلم الأزلي، وخلق ما شاء هناك من ذوات الوجود العالم.

ثم لمّا أراد خلق السماوات والأرض وما فيهما، وما بينهما أَمَرَ الله الماء أن تضطرب أمواجه ألف حَقَبٍ، في كل حقب ألفُ قرن، في كل قرن ألف سنة؛ في كل سنة ألف شهر؛ في كل شهر ألف يوم؛ في كل يوم ألف ساعة؛ في كل ساعة مثل عمر الدنيا سبعين ألف مرة. وعمر الدنيا هو مِن خلق السماوات والأرض، إلى النفخ في الصور تسعة وسبعون[5] ألف سنة، فاجتمع في هذه المدة كُوم منَ الزبد فوق الماء، ثم بسط الله ذلك الكُوم على الماء فكوّنه أرضا، ثم أثار مِنْ ذلك الزّبد دخانا، فكوّن منه السماوات/و**38**و/ وكلُّ خَلْقِ السماوات والأرض في

1- النبهاني، جواهر البحار، ج3، ص: 835.

2- **عبد السلام بن مشيش تـ(622هـ/1225م):** ابن أبي بكر (منصور) بن علي (أو إبراهيم) الإدريسي الحسني، أبو محمد. ناسك مغربي اشتهر برسالة له تدعى "الصلاة المشيشية" شرحها كثيرون. ولد في جبل العلم بثغر تطوان وقتل فيه شهيدا، ودفن بقنة الجبل المذكور. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 6. الكوهن، طبقات الشاذلية، ص: 59.

3- النبهاني، جواهر البحار، ج3، ص: 835. ابن عجيبة، روائع ابن عجيبة، ص: 43.

4- الزخرف، الآية 81.

5- "تسعون" في (ب) وهو تحريف.

ستة أيام. ثم خلق [تفصيل][1] ما في السماوات والأرض شيئا فشيئا على ما اقتضاه حكمه ومشيئته؛ انتهى. ومِن تمامه: أن الزّبد الذي خلقه الله أرضا[2] على وجه الماء، كانت المياه تضطرب به، فخلق الله من تلك الأرض الجبال فأرساها به؛ انتهى.

وزاد أيضا رضي الله عنه: أنّ الله عز وجل خلق السماوات والأرض في ستة أيام كما قالها، وقلنا: يصحّ أنها كأيامنا هذه، ويصحّ أنها كأيام الله، كما قال في الآية الكريمة: ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾[3]. لكن اللائق بالأمر الذي يميل إليه الذّهن، أنّ تلك الأيام هي مِنْ الأيام التي ذكرها ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ**﴾[4]. وبيان ذلك: أنه اتّفق أهل الباطن أن الله عز وجل حين ابتدأ الخلقَ، خَلَق عالم السماوات والأرض، كان طول اليوم في ذلك الوقت مقدار ألف عام من هذه السنين، وأيامنا هذه القصيرة كانت معدومة هناك، لم يظهر وجودها إلا في آخر وجود/و**38**ظ/ العالَم. فدلّ هذا البيان على أنّ الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض، كانت[5] على مقدار أيام ذلك الوقت، لأنّ ذلك الوقت الذي خلق الله فيه السماوات والأرض، كان اليوم فيه ألف عام.

وأما خلق العوالم[6] مِن غَيْرِ عالم السماوات والأرض، فهي مخلوقة قبل خلق السماوات والأرض، منها الملائكة. وفي الخبر أن جبريل عليه السلام، سأله النبي صلى الله عليه وسلم: كم لك من العمر؟ فقال له: لا أدري، إلاّ أنّي كنتُ أعرف نجما لا يطلع إلا على رأس اثنين وسبعين ألف سنة، ثم يطلع مرة أخرى وهكذا. ثم قال: وقد رأيتُه طلع اثنين وسبعين ألف مرة، كل مرة منها طلع على رأس اثنين وسبعين ألف سنة، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: أنا ذلك النجم. فدلّ هذا على بُعد الزمان قبل خلق السماوات والأرض، لأنّ خلقَ السماوات والأرض، غايةُ بقاءِ وجودِه تسعة وسبعين ألف سنة، فلا نسبة له للمدة التي ذكرها جبريل عليه السلام.

1- ساقطة من (ب).

2- "زبدا" في (ب) وهو تحريف.

3- الحج، الآية 47.

4- السورة والآية نفسها.

5- ساقطة من (ب).

6- "العالم" في (ب) وهو تحريف.

والمخلوقات التي ذَكَرَها في ترتيب مخلوقات/و39و/ العالَم، هي في عالم السماوات والأرض فقط، أوّل يوم خلقه الله يوم الأحد، وخلق فيه ما شاء من الأجناس، ثم خلق يوم الإثنين وخلق فيه أجناسا أخرى. فلم يزل هكذا في كل يوم إلى آخرِ يوم الجمعة، فرغ فيه من خلق الكائنات كلها، وفي يوم السبت لم يخلق شيئا، اتّخذته اليهود عيدا، واتخذت النصارى يوم الأحد عيدا، واتخذ المسلمون يوم الجمعة عيدا للاجتهاد في العبادة. وأما آدم عليه السلام خُلق على رأس اثنين وسبعين ألف سنة، مِن نشأة العالم آخر النهار يوم الجمعة تحقيقا، فعُمره وذرّيته من الدنيا سبعة آلاف سنة ثم تنقرض الدنيا والسلام. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فالشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه في عالم الظاهر شيء كبير، وهو سيد هذه الطائفة التجانية، معدود من علماء الظاهر لا من علماء الباطن، إذ ليس له سند في علم الحقيقة، وهو مطلوب حتى في علوم الشريعة. قال بعض العارفين في تأليفٍ له في التصوُّف: وأما السند بالنسبة/و39ظ/ إلى علوم الحقائق والأذكار، فاعلم أنّ مبنى علم الصوفية على الكتاب والسنّة، والإجماع وعمل سالف الأمة[1]، وأن طريقتهم مؤسّسة على سيرته صلى الله عليه وسلم، وسيرة أصحابه مما نصّ عليه العمل فيما بينهم. فهو طريقة الصوفية، وافقَهُ عملُ مَن بعدَهم أو خالفه، والسّند عندهم العروة الوثقى التي بها يتمسكون، والرّكن الأقوى الذي إليه يستندون، والمدد الأوفى الذي منه يستمدّون. فكان أحدهم يجوب الفيافي والقفار، ويتردّد إلى القرى والأمصار، طالبًا للاجتماع بمرشد ناصح أو مُرَبٍّ صالح، وإنْ لم يجتمع به إلاّ قَدْرَ ما يبلّغه كلمة الشهادة بسندها. فإن أفسح الله في مدّة الاجتماع، أخذ عنه أصول دينه وقواعد طريقته، وشرح أحواله وتصفية أخلاقه، ويُسنِد ذلك إلى مَن أخذ عنه سبيل الاتصال بنفحات[2] رسول الإرسال عليه مزيد الصلاة والسلام والتبجيل والإجلال. يتحرّى في السند الأقوم طريقا فالأكمل تحقيقا، كما راعى غيرهم الأضبط دراية فالأحفظ رواية. وذلك أن طريقهم طريقة غريبة المسالك، كثيرة القواطع والمهالك/و40و/ لا تستقيم إلا للمشمّر السالك، المتمكّن من زمام أحواله المالك.

فمِن ثَمَّ قالوا: كل صوفي أهمل أحواله من النظر في معاملة الخلق كما أُمر فيها، وصَرَفَ وجهه نحو الحق دون نظر لسنّة في عباده، فلابد من غلط في أعماله، أو شطح في أحواله، أو

1- "سالف الأمة وعمل السلف من الأمة" في (ب) وهي زيادة من الناسخ.

2- "نفحات" في (ب) وهو تحريف.

وقوع طامّة في أقواله. فإمّا هلك أو أهلك، أو كانا معًا جارِيَيْن عليه، ولا يتمّ له ذلك مَن لم يصحبه متمكّنا صادقا أو قيّما صالحا، إذْ لا يتّهمه ولا يهمله، وإنما احتيج في هذا الطريق إلى الإسناد لكثرة المدّعين فيه، لقربته وبُعد الأفهام عنه لرقّته. وكثرة الإنكار على أهله لنظافته، وتحذير الناصحين من سلوكه لكثرة الغلط فيه. فمهما كان السند قويا والإسناد متّصلا، أَمِنَتْ هذه المعاني كلّها، ومِن ثم قالوا: من اتصل بشيخ واصل وصل، ومن اتصل بمدّع منقطع انفصم. وقالوا: مَن لم يمت تحت بيعة شيخ، مات ميتة جاهلية، ومن لا شيخ له فالشيطان شيخه. والشيخ المذكور لا سند له في علوم الحقائق والله أعلم، إذ لم يبْلُغنا عنه أنه دعا الناس إلى التربية أو ادّعاها، ومن ثَمّ لم تظهر على يده نتيجة في قائم حياته لأحد.

وأما الشيخ مولاي العربي الدرقاوي/و**40**ظ/ في حياته ادّعاها ودعا الناس إليها، وظهرت على يده النتائج، كما دعا الشيخ التجاني للأخذ عنه وما أجابه، وما دعاه مولاي العربي حتى رآه أهلا لما دعاه إليه. وقد دعا عالم تطوان[1] سيدي محمد الحراق[2] فأجابه[3]، ففتح الله عليه في علم الباطن، ونُوّرت سريرته فكان شيخ تعليم، يرشد غيره وليس بشيخ تربية، ولكنه أشرف عليها، وظهرت فضيلة شيخه عليه، ونطقت بها أشعاره الفارضية ومنها: [مجزوء الرجز]

الشمس مني تطلع ** وأنا ما دريت

والتجاني بالعلم أزهرَ بستانُ جنانه و لم يُثمر، أي لم تظهر النتيجة في واحد من مريديه في حياته ولا بعد مماته، وإن كثروا وانتشر عددهم. فطريقته طريقة تبرّك، وحُجّة مريديه يوم القيامة ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا**﴾[4]. فهو شجرة نبتت بنفسها، إذ لو استُنبتت لأثمرت. قال الإمام الدقاق[5] رضي الله عنه: الشجرة إذا أنبتت بنفسها لا تُثمر، وإنْ أثمرت لا تتمّ ولا يتمّ نتاجها، انظر ما قتَله الكلبُ المعلّم، كيف جاز أكله، ومَن لم يقتله المعلَّم لم يجز أكله، يا معشر المريدين من لم ير مفلحا لم يفلح؛ انتهى.

1- **تطوان**: أو تيطاوان؛ مدينة بقرب مليلة؛ كثيرة العيون والفواكه والزرع طيبة الهواء والماء. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 145.

2- **محمد الحراق**: أبو عبد الله محمد بن محمد الحراق، ينتهي نسبه إلى موسى بن مشيش شقيق القطب عبد السلام بن مشيش. أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ؛ وطريقة التصوف عن العربي الدرقاوي. توفي سنة 1261هـ/1845م ودفن بتطوان. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 464. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 389.

3- الإجابة ذكرها المشرفي بالتفصيل في نزهته. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 464.

4- آل عمران، الآية 193.

5- **الدقاق (304-390هـ/916-1000م)**: محمد بن عبد الله بن الحسين أبو الحسين الدقاق؛ محدث ثقة بغدادي، من تصانيفه: الفوائد المنتقاة. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 226.

/و**41**و/فالشيخ الذي يجلس للبيعة والتربية، هو من اتصف باثني عشرة وصفا: من آدم بالحزن، ومن نوح بالبكاء، ومن إدريس بالذكر، ومن يعقوب بالشوق، ومن يوسف بالعفّة، ومن داوود بالتوبة، ومن موسى بالإخلاص والمناجاة، ومن عيسى بالسيّاحة والزهد، ومن أيوب بالصبر، ومن يحي بالشكر، ومن محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بالخُلق والإيثار والعلم، ومتى عجز الشيخ عن هذه فبيعته حرام؛ انتهى.

[**شروط التصوف**]: وهذا الشيخ التجاني مسلَّم له في علم الظاهر؛ عاجز عن هذه الأوصاف.

وتلميذ العاجز عاجز ** والمرء في ميزان أتباعه[1]

ومِن هنا قالوا: فتْحُ كل أحد ونوره على حسب فتح متبوعه ونوره، ومن اتصل بشيخ واصل وصل، ومن اتصل بمدّعٍ انفصل. وكون هذا الفقيه مريدا له، ومقَدَّما على مريديه بحسب النيابة، دون كمال الشيخ ورسوخ قدمه، وقيامه بوظائف الطريقة وآداب الشريعة والحقيقة، بوجه ضلال وإضلال. فلا يُتوصَّل لهذه الطريقة إلا بالرفيق، وهو الشيخ المتمكن بأحد الطريقين: الجذب الإلهي أو السلوك على يد شيخ، وبدون ذلك الوصول محالٌ. فقد طلبه قوم بغيرها/و**41**ظ/وغاب عنهم أنّ طريق التصوف علم وعمل، فكان غايتهم الحرمان والعياذ بالله، بل نفى بعضهم طريق التصوف رأسا وقال: ليس ثَمَّ طريق إلى الله غير ما نحن فيه من الفقه ونحوه[2]، وظنَّهُ بعضهم حفظا بقوله نحفظ. فأخذ يدرس نحو رسالة القشيري[3]، والعوارف والحِكَم[4]، ويقررها بحسب فهمه المخالف لما عليه هذه الطائفة، وظنّ أنه صار صوفي بغير عمل، وما درى أنّ دائرة الولاية تأخُذ من نهاية دائرة غيرها، كما أنّ دائرة النبوّة تأخذ من بعد نهاية الولاية. فعُلِم أن التصوف مبدؤه جزء بعد نهاية الفهم والفكر، ولا يسمّى صوفيا إلاّ مَن عَمِلَ بعلمه على وجه الإخلاص، وعرف أخلاق القوم ورسومَهم، ومشى على طريقتهم، ومَنْ ظَنّ أنه يصل بغير شيخ فقد خبط في غير طريق.

1- البيت لم نهتد لقائله وهو من بحر السريع.

2- "وغيره" في (ب) وهو تحريف.

3- يقصد الرسالة القشيرية لمؤلفها الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري المتوفى سنة 465هـ/1073م. ينظر: أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، الرسالة القشيرية، وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002، ص: 5.

4- يريد كتاب الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري.

[**المشيخة الصوفية ومن يصح الأخذ عنه**]: وقد جرى خلاف بين متأخري أهل المغرب، في الاكتفاء بالكتب عن المشايخ المرشدين. وكتبوا بذلك للآفاق فأجاب كلٌّ بحسب فتحه[1]. قال بعض العارفين بالله من شيوخنا[2]: "وجملة الأجوبة تدور على ثلاثة أولها: شيخ التعليم تكفي عنه الكتب لحاذق يعرِف موارد العلم، وشيخ التربية تكفي عنه صحبة/و**42**و/ ديّن عاقل ناصح، وشيخ الترقية والهمّة[3] هو الذي يترقّى به المريد ويحصل له الفضل والمزيد"[4]، حسبما نذكر ذلك في ترجمة مولاي العربي الدرقاوي[5].

وابن الكنسوسي هذا، إنِ ادّعى التقديم في الطريقة دون إِذْنٍ من شيخه، أو بإذنه منذ أعصار رَمَمٍ، وحاله هذه لم يتنقّل عنها، ولا تبدَّل بها إلى حالة مرْضية سِواها، إمّا دليل على عدم كمال شيخه، أو دليل على أنه اجترأ بلفظ التقديم، وأعرض[6] عن مأمورات شيخه إعراضا كلّيا، فهو في كلتا الحالتين مغبون.

ففي «شرح المباحث الأصلية»: التلميذ إذا آثر الدنيا على الآخرة والشبعَ على الجوع؛ والراحة على التعب، وخالف مأمورات شيخه، ناصيته بيد الشيطان. وفيه أيضا: من ادّعى الشيخوخة والتصدير للتربية ولم تكمُل فيه الأوصاف الإثني عشر المذكورة، فليس لله به حاجة[7]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يكون العالم عالما، حتى يكون بعلمه عاملا"[8]، و"أشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لم يُنفِّعه الله بعلمه"[9]. وكان يحي بن معاذ يصيح ويقول: "يا معشر العلماء قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وأثوابكم جاهلية، فأين الملّة المحمدية"[10]. وقال الحسن البصري: "ألسنٌ واصفة، وقلوب عارفة/و**42**ظ/ وأعمال مخالفة، ليس في القيامة أشدّ حسرة مِن رجل علّم الناس علمًا

1- ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص: 89. وقد نقلها المؤلف بتصرف.

2- يقصد ابن عجيبة صاحب الفتوحات الإلهية.

3- **شيخ الترقية**: يكفي عنه اللقاء والتبرك. ينظر: زروق، القواعد، ص: 97. ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص: 87.

4- نقل حرفي من شرح المباحث. ينظر: ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص:89.

5- سيعود المشرفي في الترجمة الرابعة ويتحدث عن العربي الدرقاوي بشيء من التفصيل.

6- "واعترض" في (ب) وهو تحريف.

7- ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص: 370. وقد نقلها المؤلف بتصرف.

8- ذكره الغزالي في الإحياء. ينظر: الغزالي، الإحياء، ج1، ص: 98.

9- رواه الطبراني في الصغير؛ وضعّفه الألباني. ينظر: الألباني، ضعيف الترغيب، ج1، ص: 69، كتاب العلم، حديث رقم: 106.

10- المناوي، فيض القدير، ج2، ص: 419.

فعملوا به وهو لم يعمل به، ففازوا وهلك"[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخوف ما أخاف عليكم أئمة مضلّين"[2].

[أقسام العلماء]:

وقال الإمام المحقق سيدي أحمد بن علي السوسي الهشتوكي[3] الصنهاجي، في كتابه «بذل المناصحة في فعل المصافحة[4]»:[5] "إن العلماء على أربعة أقسام: قسم خلفاء الرسل، وهم الذين تبحّروا في الكتاب والسنّة بالتّقوى، مأذونًا لهم في تربية النّاس وهم على درجات. وقسمٌ خلفاء الأنبياء، وهم في المعرفة والحال كالأوّلين، إلا أنّهم لم يؤذن لهم في تربية الناس، وكلّهم جلساء الرحمن يوم لا ظل إلا ظله. وقسم لم يرتفعوا في هذا الأمر أنُملة، لضعفهم في آداب الشريعة، باقين في أخلاط العامة ﴿**خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾[6]. وقسم أفاعي وسموم، وهم المذكورون في الصحيح. أخرج البخاري من حديث أسامة بن زيد[7] رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُطحن به كطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله/و43و/ وأنهى عن المنكر وأفعله[8]. ثم سرد أحاديث في ذلك يطول ذكرها"[9].

تعلَّم ما استطعتَ لقصد وجهي ** فإنّ العلم من سفن النجاة
وليس العلم في الدنيا بفخرٍ ** إذا ما حلّ في غير الثقات

1- القول لحاتم الأصم رضي الله عنه. ينظر: الغزالي الإحياء، ج1، ص: 107.

2- رواه الهيثمي في مجمع الزوائد باختلاف في اللفظ؛ وقال الألباني: حديث ضعيف. ينظر: الألباني ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1988، ص: 673، حديث رقم: 4671.

3- **أبو العباس الصنهاجي (970-1046هـ/ 1562-1636م)**: الهشتوكي أحمد بن علي البوسعيدي عالم بالحديث وتاريخ رجاله، من قبيلة هشتوكة في بلاد السوس. من كتبه: بذل المناصحة، وصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 181.

4- هذا المخطوط يعتبر اليوم في عداد المفقود وقد ظهرت له نسخة مؤخرا بمركز آل سعود بالدار البيضاء بالمغرب لكنها مبتورة بترا كبيرا ولا تحوي سوى 6 ورقات موضوعة تحت رقم: 331. وسنستعين في توثيق نصوصه على المصادر التي نقلت عنه كالقادري في نشره وغيره.

5- بداية النقل من نشر المثاني. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1349.

6- التوبة، الآية 102.

7- **أسامة بن زيد(7ق.هـ- 54هـ/615- 674م)**: بن حارثة من كنانة عوف. صحابي جليل ولد بمكة ونشأ على الإسلام. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا جما. توفي بالجرف في آخر خلافة معاوية. روى 128 حديثا. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 291.

8- رواه البخاري ومسلم باختلاف في اللفظ؛ وقال الألباني: حديث صحيح. ينظر: الألباني، صحيح الترغيب، ج2، ص: 583، حديث رقم: 2326، كتاب الحدود وغيرها.

9- نهاية النقل من نشر المثاني. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1349.

ومن طلب العلوم لغير وجهي ** بعيدٌ أن تراه من الهُداة[1]

فأرباب التربية المنتسبين للدراية والمعرفة، قد صاروا يأخذون من الدنيا فوق الكفاية، فهدموا بذلك أركان الولاية، انتهى بخطّه[2]. ولله در من قال وأجاد في المقال: [الطويل]

فلا تغترر بالنّسْك من ربّ بدعة ** ولا تنصرن القول منه على وهم

فكم من غشوم في سكينة صالح ** له حُجَج بالجَوْر تعلو على الخصم

إذ لو كان الشيخ رضي الله عنه شيخ تربية لربّاه، وإن ناداه لتهذيب الأخلاق لبّاه، وَهَبْهُ أنّ هذا الشيخ شيخ همة، فإن الكنسوس لم ينل منه ما تقتضيه همّته. قال الشيخ زروق رضي الله عنه: "ما صَحِبَ أحدٌ وليا، إلا ونال منه ما تقتضيه همّته، فإن وافقت نيته همة الولي حصل الانتفاع والله أعلم"[3]. ثم قال أيضا: "قال بعض مشايخنا[4]: ارتفعت التربية بالإصطلاح في سنة أربع وعشرين وثمانمائة[5]، ولم تبق الإفادة إلا بالهمّة والحال، فعليكم باتباع السنة من غير زيادة ولا نقصان، يعني الجادّة مع التزام العدد"[6].

[نصيحة أحمد البكاي للكنسوس]:

وقد انعقد إجماع أهل الوقت المعاصرين للشيخ التجاني، أنه ليس من أهل التربية، بل صرح الشيخ سيدي أحمد البكاي/و**43**ظ/ الكنتي، أنه لا شيخ له في كتابه «بغية الإلف في ابن يركى تلف»، ودعى تلميذه الكنسوسي في آخر رسالته، على وجه النصيحة إلى الملاقاة ببعض المريدين له، عسى أن يأخذ بيده فلم يجبه. ونصّ دعائه: ولعلّك أيها الفقيه الكنسوسي، تتلاقى بأخينا ومريدنا الفقيه عبد الله بن الفاطمي ممن له علم وفقه، فتكلّمْ معه واصحبه بخير على خير. فإنّ دينكما واحد، وربكما واحد، ونبيّكما واحد، انتهى. بعد أن أشار إليه في أولها أنه غافل القلب، محتاج إلى من ينبهه ويرشده إذ لا مرشد له. فاستولى عليه الوهم والحرمان، ولم يستيقظ من نوم غفلته، حتى فاته التدارك بموت هذا الشيخ المبارك، الوارث للطريقة المحمدية، طريقة أسلافه. لكنه صرّح في قصيدته الآتي ذكرها، بأنه لا يَضَعَن عن حيّه، ولا يترك واديه المقدس،

1- الأبيات لم نهتد لقائلها وهي من بحر الوافر.

2- يقصد الانتهاء من النقل من بذل المناصحة.

3- زروق، القواعد، ص: 96.

4- وهو الشيخ أبو العباس الحضرمي. ينظر: زروق، القواعد، ص: 286. رسائل البكاي والكنسوس، و14ظ.

5- 824هـ/1421م.

6- زروق، القواعد، ص: 286. ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص: 75.

فظهر بذلك أنه متغافل لا غافل، وهو على كلتا الحالتين مانع شيطاني وكائد نفساني نعوذ بالله منه.

[رسالة الشيخ البكاي إلى الكنسوس]: ونص الرسالة: من عبد ربه أحمد البكاي بن محمد بن المختار بن أحمد، بسلام أسنى إلى الأخ الحبيب سيدي محمد الكنسوسي وبعد: بلغني عنك من الثناء، ما قضى لك مني بالإخاء وصادق المحبة والصفاء، وتنبيه الأحبّاء والإخوان/و**44**و/ من خصال الشرف والإيمان. فإن العاقل ربما كان غافلا في عقله، والعالم ربما كان واهما في علمه، حتى إذا وجد منبّها تنبّه لحينه وتفطّن بيقينه. وأنت والحمد لله نسمع منك من الخير والدين والعلم، مع ما فيك من محبّتنا ومحبّة مَن ينتسب إلينا، ما حملنا على أن نكلّمك وننبّهك ونعلّمك، فنقول:

تَعْلَم أيها السيّد الفقيه، أنه لا يؤخذ شيء من ديننا هذا ولا من علمه، إلا عن ثقة في العقل والدين والعلم والصلاح، لا سيما طريق الصوفية الأولياء، وطريقة الأوراد والأسماء، لعزّتها وغرابتها وقلّة أهلها، وغموض أمرها وذلك لشرفها، فإنها رأس جبل الدين وقُلَّته وقُنَّته، وأنت يقال عنك أنك على طريقة التجانية وهي لا شيخ فيها، إلاّ أنْ يُصلَّى بإمامها أو يوصل إليها بأعلامها، مِنْ حيث أنك أخذتها على غير أصل كامل فخاطر بنفسك، ومن حيث أنه يأخذها عليك غيرك فخاطر بغيرك. ولم أسمع للتيجاني نفسه طريقة[1] بل له وردٌ، ومن ساد اتخذ وردا، ولو كان إبراهيم [صَحْني][2].

"وأما الطريق التي يذكر التجانيون عن التجاني فليست بطريق، إنما ذكروا تواجدا ورقصا ولعبا وهجرانا لأولياء الله، هذا ما بلغني من طريقهم"[3]. وأنتَ ممّن يربأ بنفسه وتربأ به، ونظن/و**44**ظ/ بمثله أن يُضلّه كلام ليس له إمام، فإنْ كنتَ تحرص على وِرده أو يعجبك وردُه، فدُمْ على ورده إن شئت بعد أن تعرضه، ولابد من عرضه على شيخ ماهر، وليٍّ يأذنُ لك فيه أو ينهاك عنه، أو يبيّن لك فيه على علمَه. وقلّ مَن أخذ الأوراد بنفسه، لا عن شيخ إلاّ ظهر عليه انتقاص ما، ولو إلاّ أنْ يَخِفَّ في عقله، وفي شأنه بعضُه أو كلُّه، قد جُرّب هذا تجريبا يعرفه الخاص والعام، وإن كان المرء بعيد عن نفسه.

1- رسائل البكاي والكنسوس، و8ظ.

2- كلمة غامضة.

3- رسائل البكاي والكنسوس، و11و.

ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم، هو أعلم الخلق بكل شيء، وأبصرُهم بوجوه جميع المنافع وأحرصهم عليها، لم يوظف لأمّته[1] وردا[2] من الأذكار، إلاّ الذكر ثلاثا وثلاثين بعد كل صلاة، ثم مائة مِن سبحان الله وبحمده في كل يوم، ومائة مِن لا إله الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كذلك. وهو أعلم من المشايخ بالذي وظفوا من الأذكار والأوراد، ولستَ من الغافلين ولا من المغفّلين حتى تقتدي بغير قدوة، أو تسير بلا دليل، أو تدخل بلا ضياء، أو تعمل في غير معمل. فإن التجاني لا علم لك به إذ لم تلقَه و لم تلق عنه ذا علم تثق به، ولا شيخ في طريقته، فإنّ لكل صاحبِ وردٍ طريقًا يشاكل ورده ويناسبه، لا يكون إلا كذلك، حتى إنّ القوم إذا رأوا ذاكرًا قالوا له: أنت لك من الأعمال كذا وكذا/و**45**و/ وإذا رأوا عاملا قالوا له: أنت لك كذا وكذا من الذكر، والتجاني ليس من أهل التربية وإن كان من أهل الصلاح، فانتسابُ مَن يَنتسِب إليه إمّا جهل في نفس المنتسب، وإما خديعة لغيره كأنه على شيء وليس على شيء.

ولا يوحشنّك منّي أني أنتقص التجاني فإني لم أنتقصه، إذْ قلتُ أنه مِنْ أهل الصلاح وما كذبتُ في أنّه ليس من أهل التربية، فمن ادّعى أنه من أهل التربية فليخبرني وليصحح لي دعواه، وإلاّ فإنما نصحتك، ولا شحناء ولا حسدَ بيني وبين التجاني رحمه الله. وليس ندبي إلى الطريقة القادرية لعصبيّة، فإن كُلاًّ من المشايخ لا أحبّه إلا لله، وتفاضلهم عندي على تفاضلهم عنده في اعتقاده، فإنه يُذكَرُ عن التجاني أنه وليٌّ فأُحِبُّهُ[3] على قَدْرِ عِلْمِي فِيهِ وسمعي عنه. ويُذكَر عنه أنه شريف فأُعظِّمه على قدر صحة ذلك عندي وضعفه. فليس لعصبيةٍ أندبُكم إلى الطريقة القادرية ووِردِها، ولكن دعاء الخير ونصيحة لأهل الخير، وليس أيضا أني أحسد التجاني ولا التجانية، ولا أني أغبطُهم[4] أنْ تكون لهم طريقة في أكثر الطرق غيرها، لا يصحّ أن تُعدَم من الدنيا، واللهُ أوجدَها وشاءها في كل نوع، وضرب حتى تكون منها يهودية ونصرانية. ولا ريب ولا شك أنه لا أهل طريقٍ، إلاّ يعلمون أن الطريقة القادرية أفضل وأكمل.

فأما/و**45**ظ/ مَنْ كان مع شيخ كامل، ولا يجد إلى الشيخ عبد القادر سبيلا، فإنه لا يقول لنفسه ولا يقول له غيره: اترك شيخك واطلب هذا الأكمل الذي لا سبيل إليه، حتى ولو

1- "لأمنه" في (ب) وهو تصحيف.

2- "ردا" في (ب) وهو تحريف.

3- ساقطة من (ب).

4- **أغبط**: أَغْبَطَ وغَبَطَ الرجلَ يَغْبِطُه غَبْطاً وغِبْطةً؛ حسَدَه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص: 3208.

وجد إليه سبيلا، فإنّه لا يكلَّف بذلك ولا يتكلّفه، فإنّه مستغنٍ بفاضل والكلّ فضلٌ. وإنما يضيق العذر القبيح عن رجل له نظر صحيح، يجد الشيخ عبد القادر ويجد إليه سبيلا، ويجد طريقته ويجدُ فيها دليلا، ثم يصدّ عنه إلى شيخ معدوم وطريق غير معلوم بلا إمام ولا مأموم، عن هذا أنصح وأَصُدّ ولمثلك عنه أَرُدُّ، لأنك ممّن أُحبّ[...][1]، وعسى أنّ شفيع به مشفّع، ويفهمه فقيه مستمع. والدليل على انقطاع الطرق غير الطائفة القادرية، قول الشيخ لعبد القادر: يا عبد القادر كل ديك يصرخ ثم يسكت إلا ديكك، فإنه يصرخ إلى يوم القيامة. ففي هذا إخبار بانقطاع غيرها، وفي هذا تبشير بعدم انقطاعها، والكل مشاهَدٌ[2] معروف[3].

ومعنى انقطاع الطرق ذهاب رجالها، وإلاّ فالطُّرق أكثر مما يحصى، فإن الطرق إلى الله على/و**46**و/ عدد أنفاس الخلائق، ولكن أين علماؤها؟ فمعنى انقطاعها انقطاع أهلها، كما أن العِلم لا يقبض انتزاعا، وإنما يقبض بقبض العلماء.

"ولا يغرّنك أيها الفقيه، أن للتجانية مجتمعا ورقصا فيُعدّ طريقة، فإن الرقص لا يكون طريقة، لأنّ الطريقة علم وعمل معا، والرقص لا علمَ ولا عمل، أي لا عبادة. قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾[4]، يعيب عليهم ما يظنون أنه تعظيم للبيت، وهم يعلمون أن تعظيم البيت مِن مرضات الله، فيصفقون ويرقصون ويزغرتون، وذلك باطل ولَهْوٌ ليست منه العبادة ولا هو منها. وطريق الله تعالى مترهة عن هذا كلّه، فإنها مبنية على التعظيم والإجلال وشهود العظمة والجلال، برؤية من هذا الخبال والخيال، بعيدة من هذا السفه والضلال"[5]. ولولا تعيين الاختصار لقلق السِّفار[6]، لجلبنا لك من التِذكار ما يعجب أولي الأبصار، ويزري بنتيجة التقطار، انتهى. وختم هذه الرسالة بالكلام المذكور أولا مؤرخة في 09 ربيع النبوي عام 1271[7].

1- بياض في الأصل.

2- "مشهور" في (ب) وهو تحريف.

3- رسائل البكاي والكنسوس، و1ظ.

4- الأنفال، الآية 35.

5- وردت الفقرة في فتح القدوس. ينظر: البكاي، فتح القدوس، و5ظ-و6و.

6- يريد القلق الحاصل نتيجة السفر.

7- الموافق لـ30 نوفمبر 1854م.

[رد الكنسوسي على رسالة البكاي]: وقد أجاب الفقيه المخاطَب بهذه الرسالة، جوابًا سوّد فيه نحو الكراستين نثرا، وما أجاد فيه مضمّنه ما في قصيدته الرائية نصها[1]: [الطويل]

دعت بعدما أبْدا مباسمه الفجر ** وزال عن الإشراق من ليلهِ الحجْـر
مُهَفْهَفَـةٌ[2] يسبي العقولَ جمالُها ** أَفِي لَحْظِهـا سحرٌ بلى إنه السّحـرُ
تقول استَبِـقْ[3] إنّ الرّكائب ساقَهَا ** وأحرجها من قبلِ إسفارِه السفـر
/و46ظ/ فقلت لصحبي والأباعد تشتكي ** بهدر وما تغني الشكاية والهدر
أتأمُلُ ذات الخال أني ظاعن[4] ** عن الحيّ ما يقضي بما (تأمل)[5] الدهر
وأني للواد المقدّس تارك ** وتلك التي لا يستقلّ بها (العذر)[6]
وهل تترك العيس الهوامي مَسَارِحًا ** مَباركُها أمن ومنهلها غَمْرُ
وإن (هاج)[7] من حيِّ الهواجر فيحُها ** أفاءت عليه الظل أدواحه الخضر
فلا والذي خص المُجاب وقومَه ** بما لم ينل زيدٌ سواهم ولا عمْرُ
بني عقبة الشيخ الهجان[8] بن نافع[9] ** مناسبٌ تأبى أن يفوقهم فخر
ولا خير إلا في نزار وخيرهُم ** على كل حال ما توارثه فهر
بأسيافهم فتح المغارب كلها ** على حينٍ عمّتْهَا الضلالة والكفر
ومن نورهم فتح القلوب التي دجت ** بها ظلم الأهواء واحتاجها الوِزْر
بسيدنا المختار[10] لا زال ذكره ** يحق به الرضوان أن جلى الذكر
وبالشيخ مولانا الإمام محمد ** فدان هما الشمس المنيرة والبدر

1- عن القصيدة كاملة ينظر: رسائل البكاي والكنسوس، و5و-و5ظ. وقد أشار سكيرج في كشف الحجاب إلى الردود والملاسنات الدائرة بين الكنسوس والبكاي عند ترجمته للكنسوس؛ وقد انتصر سكيرج للكنسوس والتيجانية. ينظر: سكيرج، كشف النقاب، ص: 328- 342.

2- **مُهَفْهَفَـةٌ**: بيْضاء غيرُ مُفاضةٍ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ص: 4677.

3- "استفق" في رسائل البكاي والكنسوس، و5و.

4- **ظاعن**: ظَعَنَ يَظْعَنُ ظَعْناً وظَعَناً بالتحريك وظُعوناً ذهب وسار. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج4، ص: 2748.

5- "تأمله" في الأصل. ينظر: أحمد الكنسوس، الجواب المُسكت في الردّ على من تكلّم في طريق الإمام التجاني بلا تثبت، ص: 02.

6- "القدْرُ" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الكنسوس، الجواب المسكت، ص: 02. رسائل البكاي والكنسوس، و5ظ.

7- "هام" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الكنسوس، الجواب المسكت، ص: 02. رسائل البكاي والكنسوس، و5ظ.

8- **الهجان**: البِيضُ وهو أَحسنُ البياض وأَعتقه في الإبل والرجال والنساء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ص: 4626.

9- يقصد عقبة بن نافع يس فاتح بلاد المغرب، وسيأتي التعريف به في الترجمة الثالثة.

10- يقصد المختار الكنتي الكبير المتوفى سنة 1811م وسيأتي الحديث عنه في الترجمة الرابعة.

ونجلهما المختار خير خليفة ** كما تخلف الآساد أشبالها الخزر[1]
ورابع أركان الجلالة أحمد ** أولئك في أوج المعالي هم الزهر
بهم نُصر الإسلام وازدان وازدهى ** ولازمه في ظلهم ذلك النصر
بهم نشر الله العلوم فأصبحت ** وقد طاب منها بعد طيّتها[2] النشر
بهم فاضت الأسرار والنور والتقى ** فأضحوا لديهم كالعلانية السرّ
/و47و/أسيدنا البكاي يا من إذا بدا ** محيّاه حيّتنا البشاشة والبِشر
خَلَفتَهم في المكرمات وفي العُلا ** وشيّدت ما شادوا وشُدّ بك الأزر
وأبديت سرا لم يكن قبلُ باديا ** كذلك فضل الله ليس له حصر
وبابك باب الله فاض به الندى ** لمستمطريه لا بكِيٌّ ولا نزر
وعلياك لا يستوعب القول وصفُها ** وفضلك يكبو دون غايته الفكر[3]
فلا زال كل الكون يثني وأهلُه ** عليك كما يثني على الوابل الزهر

[رد البكاي على جواب الكنسوس]: وقد أجابه بمثلها في بحرها وفي رويّها سيدي أحمد البكاي رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه وعرفانه آمين هذه: [الطويل]

أتت قبل ما أبدا بتَنفُسي الفجر ** فزاح بها هجرٌ وزال له هجر
وزارت فأزرت[4] بالضحى وضحائه ** سنًا وسناء فوق ما بدر البدر
مبتلة[5] غيداءُ[6] جيداءُ[7] رَوُدةً ** يرد الأماني دونها الحصر والقطر[8]
بعينين حوراوين ما رقرقَتْهُما ** بسحرهما إلا عنَّ لهما السحر
وفي ريقها قَطرٌ بلى مفتّق ** هو الخمر للخمر السُّلاف[9] بها السكر

1- **الخزر**: نقول خزر الشاب عينيه فعل ذلك دهاء و الشيء ضيقه. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 231.
2- "طيبتها" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الكنسوس، الجواب المسكت، ص: 02. رسائل البكاي والكنسوس، و5ظ.
3- "الفخر" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: رسائل البكاي والكنسوس، ص: و5ظ.
4- **أزرت**: من الأَزْرُ وهو الإحاطَةُ والقُوَّةُ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص: 71.
5- **مبتلة**: بتشديد أي تامَّة الخَلْق. ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص: 207.
6- **غيداء**: ناعمة. الزيات، المعجم الوسيط، ص: 667.
7- **جيداء**: طويلة العنق. الزيات، المعجم الوسيط، ص:150.
8- في (ب) هذا البيت سبق الذي قبله.
9- **السلاف**: أفضل الخمر و أخلصها و من كل شيء خالصه. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 444.

يمج[1] بها كالمسك ثغرٌ رجاؤه ** يُنسي هوانا ما يُخوّفه الثغر
عرفنا بها أنّ الجَمال وإن جلا ** جلالٌ علا فالزهد للجُبن والكبرُ
غنّينا بها عن غيرها فالهوى بها ** وفيها ومنها ما بغى للهوى شفر
شُغِلنا بها عنّا ففي كل ذرّة ** من أجزائنا نور به وبها سر
/و47ظ/ مقدّسُ واديها مقامةُ صبها ** يروح ويغدو لا يروعه السفر
ركابها ما ساقها قطّ للنوى ** ولم يحدُها لَبِيسَ عسر ولا يسر
مبارِكُها سرّ مسارحها مَتر ** معاطنها[2] دُرٌّ مواطنها ذَرّ
مصائفها[3] محْيا مخارفها[4] حَيَا ** مشائتها[5] زَهرٌ مرابعها[6] زُهر
مُنى عارفِيها في مِنَى عَرَفَاتها ** فحُجّتهم جَهْرٌ وحَجَّتهم دهر
يطيب بها جليّها[7] وجُنيدها[8] ** وسهل فلا سهل يغيب ولا بِشْر
محمدها في بيته غير غائبا ** ومختارُها بالحمدُ في البيت والخير
ومن دونها آخرُ تُساق ركابُها ** ويحدى[9] بها قالوا مهفهفة بِكرُ
وقد زعموا يسبي العقول جمالُها ** وفي لحظها سحرٌ محظي به الشعر
ويعشقها قوم كرام بعلمهم ** ونحسب لا خلّ هواها ولا خمر
يهيم بها الشامي عليها محمد ** ابن أحمد كنسوس الفتا له الفخر
لقد زانها من فضله وجلاله ** فما لم تزنه لا كذاب ولا غدر
لما شانها أو لم تشنه ولم يعب ** فما شانه شيء ولا عابه أمر
به فخرُ تِجانية الغرب ليته ** ألَا ليت ذاليا وقد صدق الخبر

1- **يمج**: نقول مجّ الماء أو الشراب مِن فِيه ومج به مجا لفظه. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 854.
2- **معاطنها**: من المعاطن وهي مَبْرَك الإبل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3000.
3- **مصائفها**: من الصيف.
4- **مخارفها**: من الخريف.
5- **مشائتها**: من الشتاء.
6- **مرابعها**: من الربيع.
7- يقصد من هو على طريق الشيخ الجيلاني.
8- يقصد من هو على طريق الشيخ الجنيد.
9- "يُحدث" في (ب) وهو تحريف.

ألا رُبَّ حُرٍّ كان كُفْؤًا لحُرّةٍ ** وكم أَمَةٍ قد زانها بعلمها الحُرّ
هما للفتى حِلّ وليس له سوى ** بها واحد تسقى وفضلهما نَشْرُ
فللطيبات الطيبون كما أتى ** والأشراف للأشراف الممهدة المهرُ
/و48و/ وما عِبْتُ تجانية غير أنني ** حسود لعصفور تَصيَّدَ[1] له الصّقْرُ
محمد يا بن الحرّ أحمد جاءني ** كتابك فيه الدرّ نظمك والتبر[2]
لقد بَهَرَتْ ألفاظه كل سامع ** وأمّا معانيه بها انبهر البحر
فكم قائل إذ ذاك لله درّه ** وكم حاسد ما قال أسكته الذعر
لقد فُقْتَ عِلمًا في الزمان ورتبة ** وعقلا كما كان المغيرة أو عَمرُ
ولو قمت في صف القتال مضاربا ** أتيت بما تأتي الردّ نيتة السُمر
وأي امرئ في ذا الكتاب كتابُه ** يفوت له في الجدّ ورد ولا صدر
بفضلك كان السمع يخبر قبلها ** فحدَّثنا عن فضلك النظر الشزر[3]
وكنا بحب واحد قبلها فقد ** تضاعف منك الحب لا اثنان لا عشر
نحبك في الله العزيز ونصطفي ** ودادَك لا عتبٌ لدينا ولا هجر
أخانا ومولانا وصاحب ودّنا ** فأنت لنا زيد وأنت لنا عَمْرُ
وما ضرنا إن كنا لأم ووالد ** تفرُّقُ زوجات لناظمها الخدر[4]
فخذ لك تجانية قد عرفْتَها ** وذُلّ لك منها السهولة والوعر
ونأخذ من شئنا لنا قَدَرِيَة[5] ** لها شرف في قومنا ولها قدر
توارثها عن كابر كل كابر ** وعن كل حَبر قد تلقّفها حَبرُ
تداولها قرنٌ فَقَرْنٌ تعاقبٌ ** ومرّ عليها العصر لبيعه[6] العصر
فوثَّقها من كل قوم أئمة ** وسلّمها من كل طائفة كبْرُ

1- "مصيد" في (ب) وهو تصحيف.
2- **التبر**: الذهب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص: 854.
3- **النظر الشزر**: فيه إعراض كنظر المعادي المبغض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج4، ص: 2255.
4- **الخدر**: الستر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص: 1109.
5- **قدرية**: أي قادرية الطريقة.
6- ساقطة من (ب).

/و48ظ/ كذلك أنت لا نريد معابةً ** فليس لأهل الخير إذ عندنا شر
على أننا من قادري وغيره ** أبونا كما قلنا أبٌ واحد برّ
أبونا النبي المصطفى وهو شيخنا ** وقدوتنا لا غيره فانتفى النُّكر
وأشياخُنا مِن بعده لا لأنهم ** لهم طُرقٌ في أَخْذِها النهي والأمر
ولا أنهم في سُنَّة يُقتدى بها ** لِآخذها أجرٌ لتارِكِها وِزر
ولا بهم يوم التغابن حُجّةٌ ** ولا بهم زُلفى إذا أضمر القبر
ولا منهم سخط ولا منهم رضىً ** ولا بهم كُفرٌ ولا بهم شكر
ولكنهم قوم حَوَوْا بعض علمه ** وأنواره قد أشرقت فيهم الغُرّ
فنحن نُداريهم عليه وربما ** نُدَارُ بهم يوما ليعطفهم أطرُ
وهم لهم عنّا غنىً بعلومه ** ونحن إليهم بل إليها لنا فقر
نُقبِّل من أقدامهم وأكفّهم ** ومقصَدنا في الانسا للأولى سر
فمن يتبّع شيخا كما قلتُ مهتد ** ولكن جُلّ الناس بالباطل اغتر
بهم أمد قد طال[1] حتى قسى لهم ** كأهل الكتاب القلب والرأي والحجْر
فصوفية ضلّوا بِوَهْمٍ له جَرَوْا ** وفقهية ضلوا بظن[2] له انجرُّ
فغرّهم في الدين ما يفترونه[3] ** وأمرُ نبي الله عن علمه فرُّ
هل الأمر إلا للنبيّ وعلمِه ** ولا النّفع إلاّ منه لو عقل الغُمر
سهَوْا عنه فاختاروا انتسابا لغيره ** فطاش بهم طيشٌ وطار بهم طير
/و49و/ عبيد له سادوا بجهلِ كلامه ** رأى الغُرُّ ما سادوا ولم يعِه الغَرُّ
ولولاه قد كنا سواسية وهم ** فكنا وهم كالحُمْرَا وخيرنا الحمرُ
فلله مَنْ سُدنا به وبقوله ** وإلاّ لذي خطر إذ معه خُطر
به ساد قومٌ ضل قوم بهم بقوا ** غنىً بهم عنه فأغناهم شر
ولو فقِهوا من سنّة أو كتابها ** لما كان من رجل لِماش بها عثر

1- "طالى" في (ب) وهو تحريف.
2- "فظن" في (ب) وهو تحريف.
3- "يمترونه" في (ب) وهو تحريف.

لبان لهم من باطن العلم ظهره ** ولاح لهم من ليلة المظلم الظهر
فإن ردّ قولي مبطلٌ ردّ قولَه ** عليه كتاب الله والسنن الحُمر
عليها أبو بكر وأقرانه إلى ** أخي مالكٍ ثم الجنيد الذي نقرْ
وقام بها الجيلي ظاهر علمه ** وباطنه والشيخ والدنا الحبر
وعنه أخذنا العلم أخذ رويّة ** بعلم كتاب لا يخالطه الهدر
أولائك آبائي فجئني بمثلهم ** جدير إذا أفضى بنا المجمع العجر[1]
وقد قلتُ دالاً قائلا عنك سيئا ** ولا عاينا سوءا ولكن كذا أعرُّ[2]
كذا طلب الإخوان دعوى إلى الهدى ** والإسلام والإيمان حلوهما مر
أضاعهما الأقوام واتّركوهما ** وراموا مقاما دونه منهما النَّسْر
مقامات الإحسان التي يدّعونها ** للإسلام والإيمان من دونها حِجر
ومن كانت تحت الأرض كيف وصولُه ** لأفق السماء فوقه الترب والصخر
يد المرء ما لم تَحْوَ الإسلام كله ** والإيمان فالإحسان منه هما صِفر
/و49ظ/ بداية هذا السير الإسلام أولا ** فالإيمان فالإحسان ذا البطن ذا الظهر
ومن هاهنا يبغي المريد بداية ** نهايتها لا يستقلّ بها الفِكر
وأنّى لهذا العصر أتى[3] لأهله ** سلوك ومَن أحواله حالهم قفر
نصحناك لا عن ورد شيخ لآخر ** ولا لطريق عن طريق بها أصرُ
فكل ولي مرتضى ثم إننا ** بذكر يربي أو يروى له ذكر
وهل ذاكر الله ينهاه[4] ذاكر ** وهل صاحب للصالحين به خُسر
ولكن تَفطَّنْ لا يغرّنك قائل ** ولا تخدعنَّك النفس أراؤها الغُبر
فإبليس أغوى الناس إلاّ أقلُّهم ** عل كلّ كيد الناس عن كيده حضر
ألم تره من عهد آدم كيدُنا ** وعاه وعنّا كيده حجب الستر

1- **العجَر**: الحَجْم والنُّتُوُّ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2814.
2- **أعرّ**: جرِب. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 592.
3- "أنى" في (ب) وهو تصحيف.
4- "ينويه" في (ب) وهو تحريف.

رأى مكرنا حتى وعاه وعقلُنا ** وقد غاب عنا عقله هو والمكر
فاسأل ربي أن يعينك بالنُّهى ** عليه يواليها الهدى منه والنصر[1]
[ويوتيك الإسلام والرشد أولا ** والإيمان ملزوما لك الحق والصبر][2]
وقرّبك الله القريب لحضرة ** نفوسُ الورى فيها وقلَّت لها قهر
ويُغنيك عن شيخوخة بِبُنُوَّةٍ ** فما تشبه الشمس النجوم بها الزهر
ومني سلام لا يزال مكرّرا ** يؤدّيه عني الصبح والظهر والعصر
وإكرام مشتاق إليكَ محرّرا ** من الليل حتى فيه يطلعُ الفجر

[النصائح التي احتواها جواب البكاي]: وقد أهدى صاحب هذه القصيدة لابن الكنسوسي: أولا الرسالة/و50و/ المحتوية على خطاب الإرشاد والهداية من الله ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[3]. وخير ما أهدى أخ لأخيه علمٌ يرشده ويهديه، ويصدّه عمّا يريده ويُرديه. وقد علمتَ كلام هذا العارف في الحقيقة والشريعة، وكلام ابن الكنسوسي فيهما معلول ودَمه مطْلوُل[4].[5]

ثم قال في كتابه «بغية الإلف في الرد على ابن يركى تَلَفَ، رَجُل على طريقة التجاني»: "إنّك يُذكر عنك أنّك من التجانية، وكل تابع على قدر متبوعه، وفتحه على قدر فتحه، وكلّ أناسٍ يَدْعُون بإمامهم"[6].

[نفي المشيخة الصوفية عن التجاني]:

"وأنتم معشر التجانية، اعتقدتم أنكم على مذهبه ومن مشرَبه، فلابد أن تكونوا منه، وعلى هذا لا علم لكم به، هل هو صدّيق أو زنديق، أم سنيّ أم بدعي، لأنكم لم تروه ولم تلقوه، وليس من الأشياخ المشاهير الذين اتفّقت علماء الأمة على إمامتهم، وديانتهم ورئاستهم، في العلم شريعة وحقيقة، وأقدميتُهم في الفضل سيرة وطريقة، ومَن لم يره العاقل، ولم يُنقَل له

1- "الصبر" في (ب) وهو تحريف.
2- البيت ساقط من (ب).
3- القصص، الآية 56.
4- **مطلول**: مهدور. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ص: 2696.
5- المؤلف ينقل بتصرف عن البكاي. ينظر: البكاي أحمد الكنتي، بغية الإلف في جواب يركى تلف، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية تحت رقم: 3713، ص: 65.
6- بداية النقل من بغية الإلف. ينظر: البكاي، بغية الإلف، ص ص: 65-66. وسينقل المؤلف حرفيا عدة فقرات سننبّه عليها في مواضعها.

عنه الثقة مثله، لم يعتقد له و لم يأتمَّ به، ليعتقد ويأتمّ بمن لا يدري، أَيَزِلُّ به عن السنّة أم يَضِلّ به عن الجنة. إنّما يُعتقد ويؤتَم بمثل الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي لم يختلف في ثبوت ولايته ورئاسته اثنان، ثم جرّبه أهل العلم والسنّة، حتى علموه جُذَيْلُهَا المحكّك وعذيقها المرجّب[1]، فمثله يُقتدَى به ويؤتمّ، بعدما عُرف منه الكيف والكم"[2].

[الردّ على التيجانية ونفي ولايتهم]:

"ومن العجب أنّ مثلَك في حِجاه وفي عقله، يعتقد إنسانا شيخَه ويأخذ وردَه/و**50**ظ/ من غير أنْ يأخذه على شيخ واصل كامل، يَصِلُهُ بذلك[3] الشيخ ويخبره عنه ويعرّفه به. فإنّ وِرْدَ الشيخ سيدي عبد القادر، الذي هو أصح الأوراد وأشهرها، وهو أشرفها وأظهرها، لا يؤخَذ إلا عن شيخ واصل، ومازال من عصر الشيخ سيدي عبد القادر شيخٌ واصل عن آخرَ، إلى يومك هذا، فكيف تأخذونه -أي ورد التجاني- ولا شيخ للتجانية ولا شيخ فيهم بعده. وما يدريكم أنه وِردُه و لم ينقله إليكم عنه ثقة، بل التجانية ينفون الولاية عن أنفسهم[4] وعن غيرهم بقولهم: إنه خاتم الأولياء، وأيّ فائدة حينئذ في ورده ولا في الاقتداء به، إذا كان غير موصول للولاية"[5].

"وقد أدركنا مَن أدرَكه[6]، و لم يقل عن نفسه شيئا مما يقال عنه، و لم يدّع التربية قطّ. وقد رأينا تصنيف تلميذه[7] في أخباره وكراماته، فذكر عنه أنه أمر بتمزيق كتابه الذي صنّف فيه، ثم لم يذكر له من الكرامات إلا مَرَائِي في نوم ذكرها عنه ذلك التلميذ"[8]. وفي «الحكم العطائية»: "ربما رُزق الكرامة مَن لم تكمل له الاستقامة"[9]. "و لم نر في مصنَّفه ذلك، ما يدل على التربية من كلام أهلها، فإن الرّجُل يُعرف من كلامه. فإنّما ذكر من الأذكار في مصنّفه،

1- **الْجُذَيْل**: تصغير الْجِذْل وهو أصل الشجرة. **والمحكّك**: الذي تتحكّك به الإبل الْجَرْبى وهو عُود ينصب في مَبَارك الإبل تتمرَّسُ به الإبل الْجَرْبى. **والعُذَيْق**: تصغير العَذْق -بفتح العين- وهو النخلة. **والمرجَّب**: الذي جعل له رُجْبَة وهي دِعامة تُبْنَى حولَها من الحجارة وذلك إذا كانت النخلة كريمةَ وطالت تخوَّفوا عليها أن تنقعر من الرياحِ العواصِفِ. ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص: 31.

2- البكاي، بغية الإلف، ص: 66.

3- "بذك" في (ب) وهو تحريف.

4- "عنهم عن غيرهم" في (ب) وهو مخلّ بالمعنى.

5- البكاي، بغية الإلف، ص: 66.

6- يقصد أحمد التجاني.

7- يقصد تلميذه علي حرازم بن العربي برادة صاحب كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني.

8- البكاي، بغية الإلف، ص ص: 66-67.

9- البوطي محمد سعيد رمضان، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج4، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2003، ص: 229.

ذِكْرًا له أجورٌ رَتَّب عليها في الجنة قصورا، وليس ذلك من كلام الأشياخ، فإن الأشياخ لا يتكلّمون في الأذكار من جهة الأجور، فليس ذلك بمقامهم ولا مِنْ عِلْمِهِمْ، بل هو مقام الأنبياء وعِلْمُهم، وإنما يتكلّم الأولياء في خواص الأذكار والأسماء والحروف، فإنّه عِلْمُهُم ومقامهم"[1].

/و51و/"ومن مَرَائِهِ[2]: ذَكَرَ تلميذه[3] أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو شيخه، وأنه حَضَرَ عليه أنْ يزور الأولياء، وفي هذا نوعان من الجهل والضلال: أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيّ رسول لا شيخ. فإذا اعتبرنا أنه قدوة فإنه قدوة[4] وإمامٌ لجميع الأمة، لا للتجاني وحده حتى يَعُدّ ذلك أو يعدّه له تلاميذه فضيلة. وإما أنه له شيخ مربّ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُربَّى إنما يُربِّي الشيخ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرفع من الشيخ، والصاحب أرفع من التلميذ، فالشيخ يربي التلميذ، لأنه يبلّغه مقام فهم الصحابي لكلام الرسول، وليس ذلك من أمر النبي ولا من شأنه"[5].

"فما أضَعْفَ[6] عقل من يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم شيخَه، دون جميع الأمة مؤمنُها وكافرها. وما أكْذَبَ لسان من يتكلم بمثل هذا، وما أسخفَ فَهْمَ وإدراك مَن يقبله مِن قائله، إنما مثلُ مَن يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يربّيه وأنه له شيخ، كمثل من يزعم أن السلطان نجّار حدّاد وأنه خبير بالتجارة ونحوها. وأمْرُ السلطان وشأنه معروف رفيع، وإنّما النجّار والحدّاد وغيرهما من أهل الحرف، خَدَمٌ له في مهمّات له هو، أكبر مِن أن يباشرها بنفسه، أو يكون من أهل مباشرتها، وإنْ كان له النجّار والنجارة وله وبه قام وقامت"[7].

"وبيان ما قلنا (وأنّ)[8] كثيرا يجهله، وإنما الشيخ مَنِ انتصب ليعلِّم مريده السنّة وطريقها، مع نوع دلالة وإعانة بعقله مرّة وبكلامه مرّة، وببركته مرّة، وبدعوته مرّة، وبتصريفه مرّة/و51ظ/ وبهمته مرّة، وبشفاعته مرّة. فلا يزال به هكذا يقوّمه ويقوّيه ويصوّبه ويصفيه، حتى يفتح له عينه وسَمْعه على النبي صلى الله عليه وسلم، وبقوّته وأمرِه وكلامِه. فإذا باشر سِرُّه سِرَّ

1- البكاي، بغية الإلف، ص: 67.

2- عن مرائي التجاني ينظر: حرازم، جواهر المعاني، ج1، ص ص: 42-44.

3- ساقطة في (ب).

4- "قوة" في (ب) وهو تحريف.

5- البكاي، بغية الإلف، ص: 67.

6- "في الضعف" في (ب) وهو تصحيف.

7- البكاي، بغية الإلف، ص ص: 67-68.

8- "فإن" والتصحيح من بغية الإلف. ينظر: البكاي، بغية الإلف، ص: 68.

النبي صلى الله عليه وسلم، وعقلُه خَامَرَه منه ما خَامَرَه، فانجذب سمعَه وبصره وقلبَه بكلِّيته إلى ربه، فذاق فَوَصَل إلى مقام الصاحب، فانصرف عن اسم تلميذٍ ومريدٍ إلى اسم صاحبٍ وصديق. إلا أنّ زمن الصحبة قد مضى كزمن الهجرة، ولكن معناهما وحكمهما باق، فإذا وصل المريد إلى مقام الصحابي فقد وصل فلا يُربّى، فإنما كان يُربّى لهذا بالصحابي غير مربّ، والنبي صلى الله عليه وسلم غير مربّ، والنبي صلى الله عليه وسلم[1] لصحابي غير تلميذ، والنبي صلى الله عليه وسلم غير شيخ"[2].

"فببيان هذا بعد البيان الأول: أنّ مطلوب الله تعالى من عبده، ومقصود النبي صلى الله عليه وسلم فيه، ومراد الشيخ به، أن يقوم ويصِلَ إلى المعرفة الصحيحة والإيمان الصادق، والدّين الخالص ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾[3]. فلهذا خلق الله تعالى عبده وإليه يدعو نبيه، ولأجله يريد شيخه. فأما صاحبَ النبي صلى الله عليه وسلم، فإنّه قَبْلَ النبي صلى الله عليه وسلم في غفلة من الدين لا يعرفه ولا يعلم ما هو، حتى إذا خرج من الكفر، خرج منه خروجا كلّيا، وباشر الإيمانُ قلبَه مباشرة كلّية فملكَه واستملكه. وهذا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، قد ظهر نوره بعينه وخلص سرّ بركته إلى قلبه، فتشهّد بكلمة الحق خالصا مخلصا بتلقين النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل فيما دخل فيه دخولا كلّيا ببركة الإخلاص الذي جاء به. والنبي الذي هو[4] بين يديه، وعظمة اسم الله الذي تشهّد به، يصل حينئذ إلى المعرفة الصحيحة، والإيمان الصادق واليقين التام/و52و/ والدين الخالص. ثم يترقى بعدُ لا بتربية بل بترقية لا تنتهي أبدا، فيتفاضل فيها الرجال بقدر هممهم وما سبق لهم من العناية، فالنبي لهذا نبي ورسول لا شيخ ولا مربٍّ، وهذا الذي معه صاحب لا تلميذ فإنه صديق، والصديق تحت النبي بدرجة وهي النبوءة"[5].

"وأما صاحب الشيخ فلم يكن في الكفر، وإنما كان في دين يزعمه عقلُه مِن صِباه على غير وجهه ولا معناه. فأخذه عادة مذ عرفها هكذا، فبالحرف ينصرف عن عادته ولا يتوجه إلى سواها. وقد عرف الشيخ أنه جاهل بالحال الصحيح والمعنى المستقيم، ولكنه على حَرف من الدين ظاهرا، فلا يزال الشيخ يعلّمُه برِفقٍ ويُسمعه بلطف، ويربيه بعقل إلى أن يعرف معنى ما

1- ساقطة من (ب).

2- البكاي، بغية الإلف، ص: 68.

3- الزمر، الآية 03.

4- ساقطة من (ب).

5- البكاي، بغية الإلف، ص: 68-69.

هو فيه من الدين والعبادة، ويلقنه مَنْ ربُّه ونبيه وما دينه وما نفسه. فإذا انتبه لهذا وعَقِلَه، تشهّد بكلمة الحق مخلصا للعليّ، تلقينا عن النبي لا عن الشيخ ولا له ولا به، فإن الشيخ لا مدخل له هنا، ما هو برَبّ يُعبد ولا نبي يشهد، إنما هو أخ معين فقط. وهنا يقول له الشيخ كما قالوا: ما أنت وربك؟ فينقطع عنه الشيخ، وما أَرَبَهُ الآن إلا الشيخ إلا أن يحتاج إليه احتياج العاقل الغير بالشيء إلى العاقل المجرّب فيه[1]، كسؤال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام فقال: تواضع[2]. وكتعليم موسى له ليلة الإسراء، وتعلّم موسى على الخضر عليه السلام. فالشيخ لهذا شيخٌ ومُربّ لا نبي ولا رسول، فالنبي لا يترل إلى الشيخ ومربّ، والشيخ لا يرتفع إلى نبي ورسول/و52ظ/ والصاحب صاحبٌ وصديق لا تلميذ ولا مريد، والتلميذ تلميذ ومريد لا صاحب ولا صديق. وقد اختصرنا كثيرا من أمر النبي والصاحب والشيخ والمريد، ليقضي الكلام فيفيد معناه ولئلا يطيل فلا يعقل منحاه"[3].

"ومقصودنا أنَّ زعم التجانية أن لا شيخ لهم، وأن النبي شيخهم؛ أنّهم كذبوا به على شيخهم، فإن قاله فإنه ليس بشيخ، وإن ادّعوا فخرا وفضيلة فليس له في سخافة حمقهم حيلة. أَتَرَاهُمْ يجهلون أن النبي صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن نبي وإمام، وإن كان يطلق عليه اسم شيخ فإنه لكل مؤمن شيخ. فما أَكْذَبَ التيجانية إن قالوه؛ وما أحمقهم إن خالوه، ومن عموم جهالتهم وحماقتهم أنه لا متفطِّنَ منهم لهذا، كأنهم عامدون الكذب، فإن العاقل يستمر على الكذب عامدا ما لم يستمر على الجهل خالدا"[4].

[تحريم التجانية زيارة الأولياء والردّ عليهم][5]: ***ثانيهما:*** أنهم كذبوا على النبي صلى الله عليه وسلم، والكذب عليه من الكبائر الموجبة للنار، ومطلق الكذب من أقبح العار. ولضعف

1- ساقطة من (ب).

2- حديث صحيح؛ رواه ابن حبان في صحيحه. ولفظه: "جلس جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له جبريل هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة فلما نزل قال يا محمد أرسلني إليك ربك أملكا أجعلك أم عبدا رسولا قال له جبريل: تواضع لربك يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بل عبدا رسولا". ينظر: الألباني، صحيح الترغيب، ج3، ص: 278، حديث رقم: 3280، كتاب التوبة والزهد.

3- البكاي، بغية الإلف، ص: 69-70.

4- المصدر نفسه، ص: 70.

5- عن تحريم زيارة التيجانية للأولياء ينظر: السوداني محمد الطاهر بن يوسف، سفينة النجاة من مهلكات البحر الخفية لمن أراد أن يكون أصيلا في الطريقة التيجانية، ص:4. وللاستزادة كذلك ينظر: الخريدة للدرديري، والرسائل الميرغنية، غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ التجاني، ومنية المريد، والفتح الرباني، وقصد السبيل لمحمد الحافظ عبد اللطيف سالم، والياقوتة الفريدة لمحمد بن عبد الواحد النظيفي. وهي كلها تقول بحرمة زيارة الأولياء وعليها معتمد التيجانية في تبرير هذا القول. ويراجع كذلك: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 431.

عقولهم لم يكذبوا فيما يشتبه على عاقل، فإنه لا يأمر بقبيح ولا يأمر اليوم بما نهى عنه قبلُ، ولا ينهى الآن بما أمر به أمس. فكيف ينهاهم عن زيارة أولياء الله [بعدما أمر بها، بل كيف يأمرهم بهجران أولياء الله][1] وينهاهم عن وصلهم، بل كيف يجرّ مؤمن أن يكذب عليه لا سيما هذه الكذبة، وإنّ لسان المرء من لم تكن له حصاة على عوراته لدليل"[2].

"وحسبك من سفاهة أرائهم السخيفة[3]، وسخافة أفكارهم الضعيفة، وضعافة أحلامهم الخفيفة[4]، أنّ مِن قواعد طريقتهم أنْ لا/و53و/ يزوروا أولياء الله تعالى، ما سبقهم ولا شَرَكَهُم إلى هذه الضلالة ولا فيها حتى الكفرة، فإنّ أول ما ضلّ الناس بالصالحين بوُدّ وسواع ويغوث ويعوق ونسرا. وقد رأينا كفرة السودان ومشركوهم يتبرّكون بأولياء الله تعالى، ويزوروهم ويخشوهم[5] ويجلّوهم لجلال الله، وقد رأينا مثل ذلك في الظَّلَمة الفسقة الفجرة"[6].

"وهؤلاء التجانية يهجروهم، ويجانبوهم ويتحاموهم، ويجعلون ذلك لهم دينا ودَيْدَنًا، فبئس لدينهم ودَيْدَنِهم. فلا شك إذاً أنّهم ممّن (ملك)[7] الشيطان عنانه وزمامه، ولبس عليه[8] خَلْفَهُ وأمامه، وهل يشك ذو مسكة ليس بذي فكّة، أنّ هذا من فعل الشيطان الجنّي[9]، ومِن وحيه إلى الشيطان الإنسي[10]. وكيف يكون هجران أولياء الله تعالى ومقاطعتهم ومباعدتهم فعلُ المؤمن ولا العاقل حتى تكون له عقيدة يعتقدها، [وقاعدة يقتعدها][11] ما أضلّهم وأزلّهم وما[12] أقلّهم وأذلّهم. أمَا علموا أنّ مَنْ وصل أولياء الله وصله الله، ومن قطعهم قطعه الله، ومَنْ أَحبَّهم أَحبّه، ومن أبغضهم أبغضه، ومَن أجلّهم وأكرمهم أجلّه وأكرمه، ومن لاَ أهانه وأذلّه وحرمه. حتى أنّ مَن أراد أن يعرف حاله، فلينظر كيف حاله معهم، فقد قال صلى الله عليه وسلم في

1- ساقطة من (ب).
2- البكاي، بغية الإلف، ص ص: 70- 71.
3- "السخافة" في (ب) وهو تحريف.
4- "الخيفة" في (ب) وهو تحريف.
5- "يحبوهم" في (ب) وهو تحريف.
6- البكاي، بغية الإلف، ص: 71.
7- "هلك" في (أ) و(ب) والتصحيح من بغية الإلف، ص: 71.
8- "خلفهم" في (ب) وهو تحريف.
9- "الجاني" في (ب) وهو تحريف.
10- "الإنساني" في (ب) وهو تصحيف.
11- ساقطة من الأصل والزيادة من: بغية الإلف، ص: 71.
12- ساقطة من بغية الإلف وهي زيادة من المؤلف. ينظر: البكاي، بغية الإلف، ص: 71.

النفر الثلاثة: ألا أخبركم عن القوم؟ أمّا أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض، فأعرض الله عنه[1]، نعوذ بالله"[2].

"وقد جاءني يوما إنسان من بعض أهل المغرب الأقصى/و53ظ/ مِن شبابهم في نحو عشرين سنة، فخَلَص بي نجيا فقال: أنّي مِن أهل الورد التجاني، وأنّي سمعت بك فاشتقت إليك، ولما وصلتُ منعني من كثرة الإلمام بك مع تعلق قلبي بك، ما عندنا من شروط زيارة الأولياء. فكنتُ كلما سمعت كلامك مِن غير أن أكون بحيث تراني، زاد تروُّعي إليك لأَن أجلس بين يديك ويمنعني ذلك المانع، مع أني لا يزال يقوم بخاطري أن طريقنا هذه لا يعجبني منها، بل لِيُربي منها أنّ وصْل الأولياء أمر فيها مسخوط، وإنّ تَرْكَ زيارتهم شرط لها مشروط. وقد ظهر لي أنّه لا يكون هدى ولا مرضيا أبدا، فأرشِدْني إلى ما هو أَرشَدُ لي، إن كان لا يضرّني الخروج من التجانية إلى القادرية، فأخرِجْني من هذه وأدخلني في تلك. فقلت له: أرشدك الله وقد رشَدْتَ، وقد توجهت إلى السعادة وسعِدْت، التجانية في هذه لا تستتر ولا تُستر، وحماقتهم فيها أظهر وأجهر، مع أنّ حيلة الشيطان عليهم فيها واضحة، وهي لهم على الأشهاد فاضحة، إنّما يريد أن يصدّهم عن الله وعن أهل الله، ويبعدهم عن ذكر الله وحبّ الله. وليشهدوا على أنفسهم لو كانت لهم شهادة أو قلوب، أنهم ليسوا من أولياء الله، فإن أولياء الله أهل أولياء الله، وإنّ أولياء الله إخوان وأصحاب أولياء الله. وليشهد عليهم بها أيضا غيرهم، هذا مع كذبه عليه أنه خاتم الأولياء، فهم لا وليَّ لله فيهم بزعمهم، ثمّ لا ولي لله في غيرهم [وهو في غيرهم][3] على زعمهم. كل هذا لينفوا/و54و/ وجود الأولياء، ثم لا يعقلون على ذلك، فيثيبون الأولياء ثم يهجرونهم فلا يزورونهم، فانظروا إلى هذا من الحماقة مع هذا من الغباوة، وإلى هذا من الجهالة بعد هذا من الشقاوة"[4] انتهى كلامه رضي الله عنه[5].

[حكم زيارة الأولياء وأدلتها]: وقال مؤلفه وجامعه سامحه الله وعفا عنه: زيارة الأولياء الأحياء ثابتة بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ**

1- رواه الترمذي؛ والحديث صحيح. ينظر: الألباني محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، ج3، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 2000، ص: 89، حديث رقم: 2724، كتاب الاستئذان.

2- البكاي، بغية الإلف، ص ص: 71-72.

3- ساقطة من (ب).

4- البكاي، بغية الإلف، ص ص: 72-73.

5- نهاية النقل الحرفي من بغية الإلف للبكاي.

﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[1]. وفيه دليل وبرهان جليٌّ على ثبوت مشروعية السير، وطيّ المسافات القاصية، وطيّ البلاد النائية لزيارة الأخيار والأبرار. قال في «عمدة الأخبار»: إنما جاء لطلاّب العلم. قلنا الجواب عنه ظاهر لأرباب العرفان والعلوم، وإنْ كان فيه غموض على أذهان العميان والعموم. وعن بعض العلماء أنه قال: ما عِلْمُ الخضر في عِلْمِ موسى، إلاّ كعِلم الهدهد في علم سليمان إذ قال: أحطتُ بما لم تحط به علما[2]، لا يقال ربما كان مشروعا في المسألة الموحديّة ليس غير، لأنّا نقول: شَرْعُ من قبلنا شرعٌ لنا، حتى يدل دليل على خلافه قال تعالى: ﴿فبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[3].

فهذه الآيات من أجلّ البرهان وأوضح الحجج، على إثبات ما نحن بصدده من استحباب قطع المسافات إلى زيارة العلماء والصلحاء، وأهل الخير من الكُمّل الكُبراء. وقد جاء في التفسير أن الخِضر كان ببلاد الأندلس وموسى بمصر[4]. فانظر إلى هذه المسافة العظمى التي سلكها في لقي عبد صالح وقال: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[5]/و54ظ/ ولو أنّي أسير سنين كثيرة، والحقب سبعون سنة أو ثمانون وقيل أكثر.

فمثل هذا النبي الكريم الجليل الكليم، الذي سار[6] إلى لقاء هذا العبد الصالح في السنين الكثيرة، حتى ظفر بلقياه، فكيف بزيارة العبد المؤمن المذنب المقصّر المفرّط، لملجئه وملاذه عند المكاره والمخارق، ومفزعه عند المهالك والمتالف، وشفيعه إذا زلّت به القدم بسعي[7] يسير، وبَذْلٍ حقيرٍ بالنسبة إلى ما ذُكر من تلك المسافات.

ولا يخفى على من نوّر الله قلبه وصفَى فهمُه ولبُّه، أنها متوجّهة متعيّنَة، ومشروعيتها من كتاب الله الكريم واضحة مثبتة ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[8]. أما دلائل السنة كثيرة جدا ونشير إلى زبدتها:

1- الكهف، الآية 60.

2- ورد القول عند المناوي باختلاف يسير في اللفظ. ينظر: المناوي، فيض القدير، ج4، ص: 30.

3- الأنعام، الآية 90.

4- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج13، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، ص ص: 334-335.

5- الكهف، الآية 60.

6-"شار" في (ب) وهو تصحيف.

7- "وبسعي" في (ب) وهو تحريف.

8- النور، الآية 40.

"**الأول**: ما رويناه عن الإمام مسلم بن الحجاج وأبي عيسى الترمذي مصححا محسنا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ولفظه من الترمذي: قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة[1]. ثم قال: والعمل [على هذا][2] عند أهل العلم لا يرون بزيارة القبور بأسًا وهو قول ابن المبارك[3] والشافعي وأحمد وإسحاق"[4].

"**الثاني**: من حديث أبي هريرة قال: زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمّه فبكى وأبكى مَنْ[5] حوله فقال: استأذنتُ ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنْتُه في أن أزورها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت[6]"[7]. هذا ثبوت فعله صلى الله عليه وسلم/و55و/ بقول الصحابي وحصول الإذن الرباني بالوجه الصادق وفيه دليل المشروعية بزيارة القبور.

الثالث: ما رويناه من عند مسلم عن أبي هريرة يرفعه: "أن رجلا زار أخًا له في قبره فأرصد الله على مدرجته ملكا"[8] الحديث. فإذا كان هذا في حق من أَثبتَ وصف الإيمان أُخوّته، فكيف في حق مَنْ رفع الله على كل نبيّ نبوّته، وأعلى على كل درجة درجته.

ثم قال: وأما الإجماع الذي هو من أعظم الدلائل في الفتاوى والمسائل، فهو في مسألة الزيارة النبوية، وزيارة أولياء الله على أتمّ الوجوه وأكمل الأقسام. وإن الإجماع قد يكون قوليًا، وقد يكون عمليا، وقد يكون من أهل عصر دون عصر، ومن أهل بلد دون بلد. وهنا بحمد الله يعني السند الإجماع الحاصل الثابت من أهل جميع الأعصار المتقدمة قرنا بعد قرن، وأمة بعد أمة وطبقة بعد طبقة. ولم يَبْرَح منذ ارتفعت الألوية الإسلامية، وعَلَتْ كلمة الإيمان في الأيام،

1- رواه الترمذي والحديث حسن صحيح. ينظر: الألباني، صحيح الترغيب، ج3، كتاب الجنائز، باب الترغيب في زيارة الرجال للقبور، حديث رقم: 3544، ص: 388.

2- ساقطة من الأصل والزيادة من: ابن عبد الحميد العباسي، كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، تصحيح محمد الطيب الأنصاري، طبع على نفقة أسعد طرابزوني الحسيني، ص: 15.

3- **عبد الله بن المبارك (118-181هـ/736-797م):** بن واضح الحنظلي التميمي، الحافظ شيخ الإسلام المجاهد. جمع الحديث والفقه والعربية. مات بهيت على الفرات منصرفا من غزو الروم. له كتاب في الجهاد. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 115.

4- العباسي، عمدة الأخبار، ص: 15.

5- "كل من كان" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العباسي، عمدة الأخبار، ص: 15.

6- "للآخرة" في الأصل والصحيح ما أثبتناه.

7- العباسي، عمدة الأخبار، ص: 15. والحديث صحيح رواه مسلم وغيره. ينظر: الألباني، صحيح الترغيب، ج3، كتاب الجنائز، باب الترغيب في زيارة الرجال للقبور، ص: 388، حديث رقم: 3542.

8- رواه مسلم؛ والحديث صحيح. ينظر: الألباني، صحيح الترغيب، ج3، كتاب البرّ والصلة، باب الترغيب في زيارة الإخوان، ص: 689، حديث رقم: 2577.

وظهر نور الهدى للخلائق، وطلع فجر الملّة الحنفية مِنْ أَشْرَقِ المشارق، أن تُشَدَّ الرحال إلى سيد المرسلين من جميع الآفاق.

قلت: والإجماع حاصل أيضا من أهل الأعصار التي مشينا بها في أسفارنا، فرأينا الناس يشدّون الرحال لسيدي أحمد البداوي بمصر وغيره من أولياء الله، ورأينا الناس يشدون الرحال بالمشرق وأقصى المغرب، لزيارة الشريفين المنيفين مولانا عبد السلام بن مشيش وجده مولانا إدريس الأكبر بزرهون[1]، الذي زعمت طائفة التجاني أن شيخهم حرّم عليهم/و55ظ/ زيارتهما وزيارة كل ولي لله.

[تحقيق يوسف بن محمد القصري الفاسي لمسألة الزيارة]:

وقد علمت فضل الزيارة ومشروعيتها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، حسبما ذكر ذلك صاحب «عمدة الأخبار في طيبة مدينة النبي المختار»[2]. وقد حقق مسألة الزيارة العارف بالله سيدي يوسف الفاسي[3]، في جواب له عن سؤال نصه[4]: سُئل واسطة عقد حضرة الولاية، وعَلَمُ أهل الحفظ بالرعاية والعناية، عماد الملّة والدين ومحطّ رحال الطالبين، لسان الشريعة والحقيقة، وترجمان ما اعتاص من مُقْفل كلام أهل الطريقة، مسائر السالكين وأمانيهم، مِنْ أراجيف الضلال، وتَتْمِيمَةِ عقول المجذوبين، وصدمة شعاع الكمال. إمام الواصلين ونخبة المقرّبين، ورافع لواء العارفين وسلطان المحبوبين، صاحب الهمّة الخافضة الرافعة، والقوة الجالبة الدّافعة، مجدّد ما عفا من الدين بعد ما لم يَبقَ منه إلا اسمه، ومُحي ما دثر من طريق الله حين لم يوجد منه، مع من يظنّ به تحقيقَه إلا رسمَه. قطبُ الحال والمقال، وإمام جامع أهل القبضة والوصال، شيخنا وعمادنا ووسيلتنا إلى الله، سيدي أبو الحجاج يوسف بن محمد القصري[5] منشأ ودارا ونسبا، الفاسي استيطانا ولقبا رضي الله عنه ومنّ عليّ[6] برضاه بما نصه: بعد الحمد لله، سيدي رضي الله عنكم وأرضاكم وجعل الجنة مترلكم ومثواكم، بعد السلام

1- **زَرْهُون**: جبل بقرب فاس. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص: 140.

2- العباسي، عمدة الأخبار، ص: 12.

3- **يوسف الفاسي**: المحدث الناسك الترِيه أبو الحجاج وأبو عمر يوسف بن أبي حامد العربي بن الشيخ أبي المحاسن. ولد في شهر رجب سنة 1018هـ/1609م، وفاته بفاس في 1089هـ/1687م. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص ص: 365-366.

4- في تحقيق مسألة الزيارة سينقل المؤلف فقرات طويلة نقلا حرفيا عن صاحب مرآة المحاسن وسننبه على ذلك في مواضعه.

5- **يوسف بن محمد القصري الفاسي(937 -1013هـ/1530-1604م)**: أبو المحاسن؛ فقيه متصوف، كان شيخ وقته في المغرب. ولد ونشأ في القصر الكبير، وانتقل إلى موطن أسلافه بفاس، ثم تصوف وزاد ذلك في شهرته. ينظر: العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 73.

6- "علينا" في (ب) وهو تحريف.

عليكم سيدي، والتماس صالح دعائكم، جوابكم السديد ورأيكم الموفق الرشيد، فيما قاله الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد الشارمساحي[1] حيث قال: السفر قسمان هرب وطلب. أما الهرب فالخروج/و56و/ مِن أرض الحرب وأرض البدعة، وأرض غلب عليها الحرام، ومِن خوف الأذى في البدن، ومن أرض الغمّة، المسألة. إلى حيث قال: "وزيارة الموتى بترحّم الأحياء وقصدِ الانتفاع بالميت بدعة، إلا في زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين"[2]. بَيّنْ لنا سيدي ما هذه البدعة في قصد الانتفاع بالميت، بيانا شافيا لعلّ يزول غَيْمُنَا في هذه المسألة، والله يحفظكم ويرعاكم والسلام عائد عليكم والرحمة والبركة.

فأجاب رضي الله عنه ومَنَّ عليّ بتأييد رضاه وخدمته: الحمد لله الذي انفرد بجلال عزِّهِ وعظمته، وتعزّز بعلو (آحَادِيَتِهِ)[3]، (وتقدّس)[4] بسموّ صمدانيته وديمومته، المخصَّصُ [بما شاء مَن شاء][5] مِن عباده، كما سبق في علمه ومشيئته، المُفيض إحسانه وضروب امتنانه على من يشاء من خواص[6] عباده وأهل محبّته، الذين صَفَتْ منهم الأسرار، وخلصت لهم الأنوار من أهل تخصيصه وعنايته، وصلى الله على سيدنا محمد عروس مملكته وقطب حضرته، وآله وأصحابه الذين قاموا من بعده بأمر الله، حماية لدينه ونصرته وبعد: فقد طالعنا السؤال الذي سطّرتم وما إليه أشرتم، فأنْسَانَا أنّ غاية مطلوبكم على المسألة الأخيرة وهو قول الفقيه المذكور: زيارة الميت لقصد الانتفاع به بدعة.

اعلم أن ما ذكره الفقيه المذكور قد سبقه به غيره، وقال ليس من طريق القوم، وذكره ابن العربي[7] أيضا وقال: أنه لا يُزار قبر ينتفع به غير قبره صلى الله عليه وسلم. ولكن/و56ظ/ الذي عليه الجمهور، وجرى به العمل في البوادي والقصور، زيارتهم والانتفاع بهم واقتباس

1- **الشارمساحي (589-669هـ/1193-1271م)**: عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المعري الأصل، الشارمساحي المولد، السكندري المنشأ والدار، المالكي. من تآليفه: نظم الدر في اختصار المدونة. ينظر: مبارك علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مصر: مطبعة بولاق الأميرية، ط1، 1305هـ/1887م، ج12، ص: 115. كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص: 251.

2- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 165. ومن هذا الموضع يبدأ المؤلف النقل الحرفي من المرآة دون تنبيه إلى ذلك.

3- "أحديته" في الأصل والتصحيح اقتضاه السياق العام للمعنى.

4- "تقدّ" في الأصل والتصحيح من (ب).

5- "من شاء بما شاء" في (ب) وهو تحريف.

6- "بخواص" في (ب) وهو تحريف.

7- **ابن العربي الحاتمي (560-638هـ/1165-1240م)**: محمد بن علي بن محمد بن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي؛ الملقب بالشيخ الأكبر. فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى إشبيلية. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة منها: الفتوحات المكية، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 161.

بركاتهم. إذْ هم أبواب الله وخزائن فضله، وكهف عطاياه ومحلّ جوده. ودليله ما ذكره الشيخ أبو حامد الغزالي[1] وغيره. قال: في كتاب آداب السفر من «الإحياء»[2]: وكل من يُتبرّك بمشاهدته في حياته، يُتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض، ولا يَمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم: لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى[3]. لأن ذلك في المساجد لأنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا فرّقَ بين زيارة [قبور][4] الأنبياء و[بين][5] الأولياء والعلماء في أصل الفضل، وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله"[6]. "ثم قال: وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة، وسوى الثغور للرباط بها. فالحديث ظاهر في أنه لا تشدّ الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة"[7] انتهى.

"وقال الأبي في «شرح صحيح مسلم»: ولا يقال إنّ النهي عن شدّ الرحال مخصوص بجواز شدّها لزيارتهم، لأنّ هذه المذكورة لا يتناولها[8] اللّفظ حتى يخصص بإخراجها، لأنه إنما يتناول شدّها للصلاة. وقال البرزلي[9] عن ابن عبد البرّ[10]: حديث لا تُحمل[11] المطية مخصوص بالصلاة. قال: وتوقّفَ بعض الناس في زيارة القبور وآثار الصالحين، ولا توقُّفَ في ذلك لأنها من العبادات غير الصلاة، ولأنها من الزيارات والتذكر"[12].

1- **الغزالي (450- 505هـ/1058-1112م):** محمد بن محمد بن محمد بن أحمد حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسي الفقيه الشافعي لم يكن في آخر عصره مثله. درّس بالنظامية نيابة عن أخيه لما ترك التدريس زهادة فيه. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص ص: 216-219. الذهبي، السير، ج19، ص: 322. السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص ص: 191- 289.

2- الغزالي، الإحياء، ج6، ص: 1084.

3- رواه ابن ماجة، والحديث صحيح. ينظر: الألباني، صحيح سنن الترمذي، ج1، ص: 194، حديث رقم: 326، كتاب الصلاة.

4- ساقطة من (أ) و(ب) والزيادة من الإحياء. ينظر: الغزالي، الإحياء، ج6، ص: 1084.

5- ساقطة من الإحياء والزيادة من المؤلّف. ينظر: الغزالي، الإحياء، ج6، ص: 1084.

6- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 165.

7- الغزالي، الإحياء، ج6، ص: 1084. وقد نقله عنه صاحب المرآة. ينظر: العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 166.

8- "يتناوله" في (ب) وهو تصحيف.

9- **البرزلي(641-844هـ/1340-1440م):** أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني المعروف بالبرزلي؛ أحد أئمة المالكية في المغرب. من كتبه: جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام. ينظر: ابن مريم، البستان، ص: 150.

10- **ابن عبد البر(368-463هـ/978-1071م):** يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث. ولد بقرطبة، وتوفي بشاطبة. من مؤلفاته: جامع بيان العلم وفضله، والتمهيد. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص: 66.

11- "تعمل" في (ب) وهو تحريف.

12- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 166.

"وقال ابن حجر في «شرح صحيح البخاري»: اختُلف في شدّ الرحال إلى غيرها/و57و/ كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا، وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها. فقال محمد الجويني[1]: يحرم شدّ الرحال إلى غيرها عملا بظاهر هذا الحديث[2]. ولقبول أبي هريرة إنكار أبي (بصرة الغِفَاري)[3] عليه الخروج إلى الطور، وأشار القاضي حسين إلى اختياره وبه العمل؛ قال عياض[4] وطائفة"[5].

"والصحيح عند إمام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرُم، وأجابوا عن الحديث بأجوبة منها: أنّ المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شدِّ الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها، فإنه جائز"[6]. وهو ظاهر ما في رواية أحمد الآتية. "ومنها أن المراد حكم المساجد فقط، وأنه لا تشدّ الرحال إلا إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه الثلاثة. وأما (قصد)[7] غير المساجد لزيارة صالح أو قريب أو صاحب، أو طلبُ علمٍ أو تجارة أو نزهة، فلا يدخل في النهي. ويؤيده ما رواه أحمد من طريق شهر بن حوشب[8] قال: سمعت أبا سعيد وذُكِرَتْ عنده الصلاة في الطور فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي للمصلي أن يشدّ رحاله إلى مسجد تُبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي. وشهر بن حوشب حسن الحديث وإن كان [فيه][9] بعض الضعف"[10].

"قال بعض المحققين: قوله إلاّ إلى ثلاثة مساجد المستثنى منه محذوف، فإما أنْ يقدّر عامًا فيصير: لا تشد الرحال إلى أي مكان في أمر كان إلا إلى الثلاثة، أو أخصّ من ذلك لا سبيل

1- **الجويني(419-478هـ/1028-1085م):** عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الملقب بإمام الحرمين. ولد في جوين نواحي نيسابور. من مصنفاته: غياث الأمم، والعقيدة النظامية. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص: 167-170.

2- ابن حجر، الفتح، ج3، ص: 603.

3- "برة الغباري" في (أ) و(ب) والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن حجر، الفتح، ج3، ص:603، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

4- **عياض(476-544هـ/1083-1149م):** بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. توفي بمراكش مسموما. من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك. ينظر: المقري التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه: مصطفى السقا وآخرون، ج1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1939، ص: 23.

5- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 166. ابن حجر، الفتح، ج3، ص:603، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

6- ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص:603.

7- "نص" في (أ) و(ب) والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص:603.

8- **شهر بن حوشب:** أبو سعيد الأشعري الشامي مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية. ولد زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو من كبار علماء التابعين. اختلف في وفاته: سنة 98هـ ومنهم قال سنة 100هـ. ينظر: الذهبي، السير، ج4، ص ص: 372-378.

9- ساقطة من الأصل والزيادة من الفتح. ينظر: ابن حجر، الفتح، ج3، ص:604.

10- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 166.

إلى الأول لإفضائه إلى سدّ باب السفر إلى التجارة، وصِلَةِ الرحم وطلب العلم وغيرها. فتعيَّن الثاني، والأَوْلى أن يقدّر ما هو أكثر مناسبة/و**57**ظ/ وهو: لا تشد الرحال إلى مسجدٍ للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول مَن مَنَعَ شدّ الرّحال إلى زيارة القبر الشريف، وغيره من قبور الصالحين. انتهى كلام ابن حجر"[1].

"وقال الحافظ أبو القاسم العبدوسي[2]: الخروج لزيارة قبور الصالحين والعلماء جائز، طال السفر أو[3] قصر. وممن نصّ على ذلك القاضي أبو بكر بن العربي وحجة الإسلام الغزالي، فهذا ما يرجع إلى الخروج إلى زيارتهم، الذي ساق إليه كلام حجة الإسلام وإشارته إلى الحديث"[4].

"وأما ما يُقصد بها أو يُحصّل منها، فقال الشيخ أبو العباس زروق في «قواعده»: ما صحّ واتّضح وصَحِبَهُ العمل، لازم الإباحة كزيارة المقابر، فقيل ليس إلا لمجرد الاعتبار بها لقوله عليه الصلاة السلام: فإنها تذكر الآخرة. قيل: ولنفعها بالتلاوة والذكر والدعاء الذي اتُّفِقَ على وصوله كالصدقة. قيل: وللانتفاع بها[5]، وهو الذي في الإحياء. وقد قال الشافعي رضي الله عنه: قبر موسى الكاظم[6] الترياق المجرّب[7]"[8].

"وقال في «شرح المباحث»: زيارة الموتى: قال ابن ليون في «اختصار رسالة الششتري»: ليست من طريق القوم[9]. وذكر ابن العربي من الفقهاء أنه لا يُزار قبر لينتفع به، غير قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال في الإحياء: كل من يُتبرّك به في حياته يتبرك بغيره بعد وفاته[10]. ونقله ابن الحاج في «مدخله» واعتمده بنصه وحروفه، وظاهر كلام

1- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص ص: 166-167. وقد نقله عن ابن حجر. ينظر: ابن حجر، الفتح، ج3، ص:604.

2- **العبدوسي**: أبو القاسم محمد بن موسى العبدوسي المغربي نزيل تونس المالكي، كان واسع الباع في الحفظ والرواية، مات سنة 937هـ/1531م. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص: 139.

3- "أم" في (ب).

4- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 167.

5- زروق، القواعد، ص: 208.

6- **موسى الكاظم (128-183هـ/745-799م)**: بن جعفر الصادق بن محمد الباقر سابع الأئمة الإثنا عشرية. كان من سادات بني هاشم ومن أعبد أهل زمانه. ينظر: ابن خلكان، الوفيات، ج5، ص: 308. الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 321.

7- زروق، القواعد، ص: 209.

8- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 167.

9- ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص: 208. وقد نقله عنه صاحب مرآة المحاسن.

10- الغزالي، الإحياء، ج6، ص: 1084.

المتأخرين وأحوالهم العمل عليه، وظهرت بركته على خلق كثير في أمور شتى لو اشتغلتُ بها لاستدعت/و58و/ أسفارا[1] عديدة ووقع لنا منها غزيرا، انتهى"[2].

"وقد نظم الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم التازي[3] قصيدة في ذلك فقال: [الطويل]

زيارة أرباب التقى من هم سرّي ** ومفتاح أبواب الهداية والخير"[4]

إلى آخرها[5]. وقد اقتصر سيدي يوسف في جوابه منها على قوله: ولا فرق في أحكامها بين سالكٍ مربٍّ ومجذوب[6]، وحيّ وذي قبر. فقال: وهذا محل الحاجة منه. ومِنْ ذلك حكاية الشيخ العارف بالله سيدي أحمد بن عقبة[7] حيث "سأل تلميذ سيدي أحمد زروق مختبرا له: يا أحمد أي المددين أقوى؛ مدد الحيّ أو مدد الميت؟ فقال له سيدي أحمد زروق: إنهم يقولون مدد الحي وأنا أقول مدد الميت، فقال له الشيخ: صدقتَ لأنه على بساط الحق. فالظاهر من كلامهما أن زيارة الميت أنفع والظاهر، من قول أبي القاسم القشيري جوازها حيث قال في رسالته: قبر معروف يُستشفى به ترياق مجرب"[8].

"ومن ذلك قول ابن الحاج في «المدخل»[9] حيث قال: فإن كان الميت المزور ممن ترجى بركته، فيُتوَسَّلُ إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل بالميت وترجى بركاته إلى النبي صلى الله عليه وسلم. بل يبدو بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم، إذ هو العمدة في التوسل والأصل في ذلك كلّه والمشرَّع له، فيُتوسّل به صلى الله عليه وسلم ومَن تبعه بإحسان. وقد روى البخاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أنس رضي الله عنه، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا استسقى بالعباس رضي الله عنه يقول: اللهم إنّا كنا/و58ظ/

1- يقصد الأسفار وهي جمع سِفر والمقصود الكتاب أو المؤلَّف.

2- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 167.

3- **إبراهيم التازي**: المغربي كان صالحاً عالماً له قصائد بديعة، مات في سنة 966هـ. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص: 387.

4- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 167.

5- تقع القصيدة كاملة في عشرين بيتا. ينظر: الطاهري حمدون بن أحمد، تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، رقم: 5331، و102و-102ظ. محمد بن محمد الكرزازي، المناقب المعزية في مآثر الأشيخ الكرزازية، مخطوط بمكتبة الحاج بوفلجة عبد الكريم بكرزاز بجنوب الجزائر، ص ص: 31-32. وقد أشار إليها المشرفي في نزهته. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 431.

6- مجذوب أو مجذوب. **والجذب:** أو الجذبة تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية لكل ما يحتاج إليه بلا كلفة أو سعي منه. ينظر: عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم: عبد العادل شاهين، القاهرة: دار المنار، ط1، 1992، ص: 65.

7- "عقية" في (ب) وهو تصحيف.

8- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص ص: 167-168.

9- ابن الحاج أبو عبد الله محمد العبدري المالكي، المدخل، ج1، القاهرة: مكتبة دار التراث، ص ص: 254-255.

نتوسل إليك بنبيّك صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعمّ نبيك صلى الله عليه وسلم فاسقنا، قال: فيُسقوْن[1]. انتهى"[2]. "ثم يُتوسل بأهل تلك المقابر -أعني الصالحين منهم- ثم قال: ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى، لأنه سبحانه قد اجتباهم وكرّمهم وشرّفهم، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أَكْثَرْ، فمِن أراد حاجة فليذهب إليهم وليتوسل بهم، فإنه الواسطة بين يدي الله تعالى وبين خلقه"[3].

"وقد تقرّر في الشرع وعِلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء، وذلك كثير مشهور. ومازال الناس من العلماء والأكابر؛ كابرا عن كابر، مَشرقًا ومَغربًا، يتبرّكون بزيارة قبورهم فيجدون بركةَ ذلك حسًّا ومعنى. وقد ذكر الشيخ الإمام أبو عبد الله بن النعمان في كتابه المسمى «بسفينة النجا لأهل الالتجا في كرامات أبي النجاء» في أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه: تحقق أهل البصائر والاختبار، أن[4] زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرّك، مع الاعتبار بأنّ بركات الصالحين جارية بعد مماتهم، كما كانت في حياتهم، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفّع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين، ثم ذكر ما نقلناه أولا من «الإحياء» مستحسنا له"[5].

وأيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم للرّاعي، حيث سأله عن أفضل الأعمال فقال له صلى الله عليه وسلم: جلوسك بين يدي ولي ولو بقدر حلب شاة، فقال له يا رسول الله: حيا كان أو ميتا؟ فقال له صلى الله عليه وسلم: حيا كان أو ميتا[6]. وإن كان في هذا/و59و/ [...][7] فهو مؤسَّسٌ بالنصوص السابقة، وقد ذكر بحث الإمام الغزالي وغيره وأثبتوه في كتبهم وصيّروه دليلا واضحا سبيلا.

"ولنرجع إلى مراد السائل وجوابه عن وجه البدعة وكونها بدعة، فأقول والله الموفق للصواب بفضله: إنّ وجه البدعة أنّ الزيارة على وجه الانتفاع بالميت، لم ترِد عنه صلى الله عليه

1- رواه البخاري وقال الألباني: حديث صحيح. ينظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، مج1، ص: 478، حديث رقم: 1509، كتاب الصلاة، باب الاستسقاء.

2- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 168.

3- المصدر نفسه، ص: 168.

4- "أين" في (ب) وهو تحريف.

5- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 168.

6- الحديث لم نجد له أصلا ولا أثرا في كتب التخريج والحديث.

7- بياض في الأصل.

وسلم، وإنما ورد عنه الزيارة على وجه الرحمة والاستغفار. والبدعة مما أُحدِث على غير مثال سابق، ثم لا يكفي ذلك في كونها مذمومة، حتى يشهد الشّرع بقبحها. فإنّ مِن البدع على هذا التفسير ما شهد الشرع بحُسنه فلا تكون مذمومة، ويبقى الكلام مع هذا القائل في المتكلَّم فيه مِن أي القسمين هو، وقد تقدم ما فيه كفاية في ذلك. ثم إنّ النفع بغيره صلى الله عليه وسلم متعذر"[1].

وتمسُّكَ القائل بالبدعة بظاهر حديثه صلى الله عليه وسلم: "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة"[2]. فصار السفر والنقلة مقصورا على المساجد الثلاثة، وحيث لا دليل من الشرع فهو وجهُ البدعة، لأن أفعالنا مقصورة عليه صلى الله عليه وسلم، ووقفوا عندما حُدَّ لهم، ولم يرد منه صلى الله عليه وسلم إلا الزيارة على وجه الرحمة والمغفرة لا غير، ولكن النفع بغيره متعذر مع وجوده. "ولا تُتَصَوَّر البركة من غيره عند فقد شخصه؛ وذلك محال لمن اعتبره، ومن رامه مِن غَيْرِه فذلك لقصور نظره، وجهل قدره وعلو منصبه صلى الله عليه وسلم عند ربه، فضلا عن حقيقته الباطنة السارية في جميع العوالم. فمن تحقق هذا لم تُرَ إلاّ منه/و59ظ/ وبه، ومن لم يصل إليه رأى النفع من غيره وهو بعيد"[3]. "وهذا؛ فعلى[4] هذا الخلاف الواقع في الزيارة، خلافٌ قولي لمن اعتبره، وسنبيّنه إن شاء الله فنقول قول من قال لا يُنتفع إلا بقبره، واقتُصر بالزيارة عليه صلى الله عليه وسلم، هو مرجوح ومخالف للجمهور. وعلى كلٍّ، قولُ الانتفاع به صلى الله عليه وسلم حاصل ولا يخفى على واصل، وشهد لذلك النقل الصحيح والكشف الصريح"[5].

"**أما النقل** فقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[6]. على القول بأن القرابة أحبّاؤه، وما ثبت في صحيح الأخبار. ودلائل الآثار لا يسعه هذا القرطاس، ومَن أرادها يطلبها مِن أَهْلِهَا ويطالعها في محلّها. **وأما الكشف**، فالمعروف عند المحققين وأرباب القلوب من العلماء المهتدين، ولا مخالِف في ذلك أنّ زيارة الأولياء والعلماء رضي الله عنهم،

1- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 168.

2- الحديث سبق تخريجه.

3- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 168.

4- "وفعل هذا" في (ب) وهو تحريف.

5- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 169.

6- الشورى، الآية 23.

صلة ومواصلة له صلى الله عليه وسلم، إذْ كل خير وبركة قلّت أو جلّت، منه حصلت وبطلعته ظهرت. وكيف لا وسائر العلماء والأولياء رضي الله عنهم، صوَّرَ تفصيلَه صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه ومظاهر تعيُّناته، فما منهم إلا وهو سائح في نوره، وممتدٌّ من بحره على حسب مقامه، فهو الجامع لما افترق، والرسول على الإطلاق. قال سيدي علي بن وفا[1] رضي الله عنه في صلاته: وسرّك المنزّه الساري في جزئيات العالم، وكلياته علوياته وسفلياته، من جوهر وعرض ووسائط ومركبات وبسائط. إلى أن قال: وأرى سريان سرّه في الأكوان، ومعناه المُشرِق في مجاليه الحسان"[2].

"فعلى هذا فلا[3] زائر ولا مُزار/و60و/ إلا له ومنه صلى الله عليه وسلم، إذ هو أول موجود أُخرج من العدم، ورابطة بين الحدوث والقِدم، رأسُ الخليقة على التمام، كما قال صلى الله عليه وسلم: أول ما خلق الله نوري، ومن نوري خلق كل شيء[4]. وإذا كان هو[5] عليه السلام هو أول نور بدأ، كان عليه السلام هو أول نور تلقّى من حضرة الوجود، بل لا [متملّق][6] على الحقيقة إلا هو. فهو بذرة الوجود، وأقرب موجود ويعسوب الأرواح، كما قال صلى الله عليه وسلم: أنا يعسوب الأرواح[7]. فعنه امتدّ الوجود كلّه، كما امتدت الشجرة على البذرة، حتى كملت الموجودات الكليات. ثم خلق آدم عليه السلام وولده، والنور يمدّ الكل من الأصل الذي هو الروح الأعظم، وآدم الأكبر من نقطة أحمد الظاهر بمحمد. قال[8] صلى الله عليه وسلم: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين[9]، وفي رواية: بين الروح والجسد[10][11].

1- **علي بن وفا الشاذلي**: أبو الحسن بن العارف الكبير محمد بن محمد. ولد بالقاهرة سنة 759هـ/1357م، مالكي المذهب، وله نظم كثير. مات في ذي الحجة 807هـ/1404م. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص: 21. الكوهن، طبقات الشاذلية، ص: 101.

2- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 169.

3- "لا" في (ب) وهو تحريف.

4- الحديث لم نجد أصلا ولا أثرا في كتب التخريج والحديث.

5- ساقطة من (ب).

6- بياض في الأصل، والزيادة من: مرآة المحاسن، ص: 169.

7- الحديث لم نجد له أصلا ولا أثرا في كتب التخريج والحديث.

8- ساقطة من (ب).

9- حديث موضوع. ينظر: الألباني، السلسلة الضعيفة والموضوعة، مج4، ص: 1782، حديث رقم: 8964، كتاب المناقب والمثالب.

10- حديث "بين الروح والجسد" رواه الترمذي وصححه الألباني. ينظر: الألباني، صحيح سنن الترمذي، ج3، ص: 484، كتاب المناقب، حديث رقم: 3609. التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مج3، بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1979، ص: 1604، كتاب الفضائل والشمائل، حديث رقم: 5758.

11- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 169.

"فبانَ أنّ نور الوجود[وكماله وخيره وجماله][1] في البواطن والظواهر، إنما استُمدّ ويُستمدَّ من نور ذاته الباطنة، فجميع الأولياء بل وجميع الأنبياء منسوبون إليه ويستمدون منه. فلا ترى على الحقيقة كرامة، ولا آية ولا خَرقَ عادة، إلا وهي قوله صلى الله عليه وسلم، فهذا قد تحقَّقَه الصوفي حيث كشفه مِن[2] سرّه الأحمدي، الممتدّ في الذوات الكاملة كلّها، الماضية منها والآتية"[3].

"وبالجملة، فقد اتّفقت كلمة أولياء الله والعلماء بالله، على أنّ المردّ العلمي كلّه منه صلى الله عليه وسلم، فهو الرسول المطلق، وكل مَن تَقدّم من الأنبياء والرسل قبله، فعلى حسب النيابة عنه، فكانت قبل بعثته/و60ظ/ ووجود شخصه نبوءة وبعدَه ولاية. فهو الظاهر بهم والباطن فيهم، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن؛ قال صلى الله عليه وسلم: نحن الآخرون السابقون[4]. ولهذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، نسخة من كتاب آدم ومحمد على الكمال، والعارفون الوارثون نسخة من آدم عليه السلام وظاهر محمد، فلهذا قال صلى الله عليه وسلم: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل[5]. وقد ذكر بإسقاط القاف، وحديث الأمثال مشهور، قال صلى الله عليه وسلم: إني لو شئت أخبرتكم بأمثال الأنبياء من أمتي إلى آخرهم، ثم قال أبو بكر: مثل إبراهيم، وعمر: مثل نوح إلى غير ذلك[6]"[7].

"ومِن أوجه التشبيه بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أن سائر علماء الأمم السالفة لا تستمدّ منه صلى الله عليه وسلم إلا بواسطة أنبيائها، وليس كذلك علماء هذه الأمة المشرّفة، فهي تستمدّ منه وتتلقّى عنه بغير واسطة، كما تتلقّى الأنبياء الصلاة والسلام منه بغير واسطة. فشابهتِ العلماء الأنبياء من هذا الوجه والله أعلم"[8]، انظره. "والحق أنه لا يعلم حقيقته غير ربّه لقوله عليه الصلاة والسلام: يا أبا بكر، والذي بعثني بالحق لم يعلّمني حقيقةً غيرُ ربي[9]. وبالجملة

1- "وخيره وكماله وجماله" في (ب) وهو تحريف.

2- "عن" في (ب) وهو تحريف.

3- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 169.

4- رواه البخاري ومسلم؛ وصححه الألباني. ينظر: الألباني محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج2، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1988، ص: 1143، حديث رقم: 6752.

5- الحديث لا أصل له. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، مج4، ص: 1231، حديث رقم: 6264، كتاب العلم والسنة.

6- الحديث لم نجد له أصلا ولا أثرا في كتب التخريج والحديث.

7- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 170.

8- المصدر نفسه، ص: 170.

9- الحديث لم نجد له أصلا ولا أثرا في كتب التخريج والحديث.

فهو صلى الله عليه وسلم إكسير[1] السعادة، وكلُّ سعيد في الكون سعادتُه بواسطة بركته صلى الله عليه وسلم، وقُرْبُ مترلته مِن مولانا على حسب استمداده منه. فمن حصل له شرفٌ مِن ذلك ليس إلا بمدد باطني، كلٌّ على حسب مقامه المقدّر له أزلا في سابق علمه، على ترتيب مشيئته وتخصيصه"[2].

"وأما مَن قَصر/و61و/ عِلمُه ووقف مع حسّه، وكان وهينَ رمسِه[3]، إذْ لا نفوذ له لغيره لغشاء بصيرته، فما ضَرب له الأمثال تُقرِّب المراد إن شاء الله تعالى، وتزيل الإشكال ويثلج لها الفؤاد، ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ**﴾[4]. فالسر الأحمدي الساري في الوجود، والمُمِدُّ كل موجود، فكما ترى المحسوس المنبسط على وجه الأرض، وامتدت منه جداويل وأنهار، وانتشرت في أقاليم الأرض وسائر الأقطار، وكل مدّة انبسطت منه حيث ما كانت، فهي عينه باعتبار ذاته، وغيره باعتبار تعيينه؛ فافهم"[5].

"ولك أن تقول: الأنوار الظاهرة على أولياء الله، إنما هي من إشراق أنوار النبوءة عليهم، فمثال الحقيقة المحمدية كالشمس، وقلوب الأولياء كالأقمار، إنما ظهر وأضاء لظهور نور الشمس فيه ومقابلته إياها. فإذا الشمس مستمرة الوجود، مضيئة نهارا وليلا، لظهور نورها في القمر الممدود منها، فلا غروب لها في وقت ما؛ فَافْهَمْ محلّ الحاجة"[6].

"فعلى هذا؛ يجب داوم أنوار الأولياء، لدوام ظهور أنوار الرسول صلى الله عليه وسلم فِيهِمْ، فهو الظاهر بهم والباطن فيهم. وإن شئت قلت أيضا: فأرواح أمّته صلى الله عليه وسلم متعلقة بروحه صلى الله عليه وسلم، ورُوحُه واسطة بين الحدوث[7] والقِدم كما تقدّم. فالرابط باطنا سرّه الحسي، وظاهرُ اتِّباعه على أهدى سنن ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[8]. فلا دخول لأحد إلاّ من بابه، ولا وصول إلا به وعلى يده. إنما حُرِموا الوصول لتُصِيبَهُم الأصول، فبقدر/و61ظ/ وجهة العبد وقُربه ومحاذاته بمترلته وسرّه، ينجذب لحضرة ربه

1- **إكسير:** مادَّة مركَّبة كان الأقدمون يعتقدون أنّها تحوِّل المعدن الرخيص إلى ذهب. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 107.

2- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 170.

3- **الرّمْس:** القبر. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 107.

4- الحشر، الآية21.

5- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 170.

6- المصدر نفسه، ص: 171.

7- "الروح" في (ب) وهو تحريف.

8- آل عمران، الآية 31.

بواسطته صلى الله عليه وسلم، انجذاب الحديد من المغناطيس، ويجري عليه حكم الواسطة الرابطة بين الواسط والموسوط. فالمغناطيس يجذب[1] الحديد إلى نفسه، لجنسيةٍ روحانيةٍ بينهما، فيكسيه حلّةَ خاصيته، بحيث بجذب حديدة يتأتّى منها جذب حديدة أخرى"[2].

"ولا شك أن الخاصية المغناطيسية في الحديد، ليست التي للمغناطيس [وإن وَجدتُها منه ظاهرا، فهي تقول بلسان الحال: أنا صفة المغناطيس][3]، فكذا روح المطهر النبوي بالنسبة إلى الحضرة الإلهية كالحديدة الأولى بالنسبة إلى المغناطيس، جذبُهُ[4] الذات الأقدس إليها بخاصية المحبة الأزلية أوّلاً بلا واسطة، ثم أرواح أمّته بواسطة روحه صلى الله عليه وسلم روحا فردا، متعلقة به كالحديدة المتعلق بعضها ببعض. وكل حديدة ظهر فيها خاصية المغناطيس كأنها المغناطيس، وإنْ تغايرَ الجوهران فتَنبَّه"[5] فهذا محلّ الحاجة أيضا.

"وقد أشار صلى الله عليه وسلم لهذه الحالة بقوله: فمن رآني فقد رأى الحق[6]. وقد ظهر هذا على بعضهم حالا أو مقالا، ويكون تصريحا أو تلويحا مما تكلّم به بعض[7] أمّته، بكلام رباني أو نبوي، على طريق الحكاية لا يتوجه عليه إنكار، وليسلّم إلى أهله وإلاّ فهو جناية، والتسليم ولايةٌ، والتصديق عناية"[8] والسلام.

"وأما من قصُر علمه وكَلَّ فهمه، ووقف خلف الضَلال لعقله بالعقل، وتقييده بظواهر النقل، فقد تخلّف عن مشهده خَلَفٌ، شاهده قائمه لحبيبه في/و62و/ محراب وجوده[9]. فحسبُه عن زيادة حصول الأجر وموعظة القبر، مَنْفَعُهُ حاصلٌ وخيره واصلٌ. وقد تقدم دليله وسبق تعليله، انظره في محله وقِف عليه ولا تتعداه. ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾[10]، ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا**

1- "يجدب" في (ب) وهو تصحيف.

2- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 171.

3- ساقطة من (ب).

4- "جدبه" في (ب) وهو تصحيف.

5- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 171.

6- رواه البخاري ومسلم؛ وصححه الألباني. ينظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، مج2، ص: 1297، حديث رقم: 4610، كتاب الرؤيا. الألباني، صحيح الجامع، مج2، ص: 1073، حديث رقم: 6253 و 6254.

7- "ببعض" في (ب) وهو تحريف.

8- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 171.

9- "وحوده" في (ب) وهو تصحيف.

10- الإسراء، الآية 84.

﴿لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1]. ومن زاد مع قصر الباع، وضِيقِ المتّسع، ضلّ في الأوهام وصدَق عليه قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[2]. وأما من فني في التوحيد وحصل له الجمع التام، وكان فرداني الصفات وحداني الأفعال دائم الشهود، واتخذ عنده الشاهد والمشهود، فقد راح واستراح وطلع فجره ولاح، فذهبت عنه عِلل التقييد وأوصال التوحيد، قد استوى [جمعه وفرقه وإثباته][3]، ومحوه وبعدُه وقربُه. فهو إنْ فعل فبالله[4]، وإن قال فمِنَ الله، وإنْ جلس فمع الله، وإن ذهب فإلى الله. وحيث نظر رأى الله قد اتخذ قراره وأحاطت به أنواره، فهذا مقام تقصر عنه العبارة، ولا تلحقه إشارة ولا إيماء، وإشارة العارف للعارف، إذ لا يفهم عنك إلا من هو أشرقَ فيه ما أشرق فيك. فليترك لأهله ويقبض العنان على الخوض فيه ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾[5] والسلام"[6]. انتهى

وهو كلام باهر وأثر السنة عليه ظاهر، إذ قد أتى فيه بما يأخذ الضعيف منه حقه، وبما لا يدركه القوي، وإن مدّ إلى ذلك عنقه، وبالغ في الإيضاح بضرب الأمثال، فزاح عن المسألة الإشكال. وكفى بهذا الجواب شاهدا على تبحر الشيخ في العِلْمَين، ورسوخ قدميه في الفنّين، إذ قد يراه بعلم الظاهر وأبدع فيه غاية، وخَتَمَه بالنظر من حيث الباطن، وحققه نهاية رضي الله عنه وأرضاه، ومَنَّ عليّ بدوام خدمته ورضاه.

فأين مبيت هذه الطائفة التيجانية التي حرّمت زيارة أولياء[7] الله، الأحياء والأموات، مع هذه النصوص القاطعة لظهور العموم والخصوص، وأين شيخها التي زعمت أنه حرّمها، وهذا الإمام ردّ قول المانع لها بصريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. فالله يرزقنا قوّة حتى لا نعجز عن زيارة أولياء الله، آمين والحمد لله رب العالمين.

[ذكر بعض من ردّ على الكنسوس]: فمن حرّم زيارتهم عرّض نفسه عند علماء الشريعة لأن يُرمى بالسّفه والطيش، فالجُلّ[8] منهم سفّهوه وسطّروا حُمقه، حيث تكلم في أولياء

1- الإسراء، الآية 36.

2- يونس، الآية 39.

3- "قربه وجمعه وإثباته" في (ب) وهو تحريف.

4- "فياليته" في (ب) وهو تحريف.

5- الكهف، الآية 109.

6- العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص ص: 171-172، وفي هذا الموضع ينتهي النقل الحرفي من مرآة المحاسن.

7- "الأولياء" في (ب) وهو تحريف.

8- "فالحل" في (ب) وهو تصحيف.

الله وواسطة عقدهم، مولانا عبد القادر الجيلاني[1]، وفي الأشاعرة. فمنهم من ألّف في خذلانه وسمى تأليفه «الطالع أو الكوكب المنحوس في الرد على الكنسوس»، ولسيدي أحمد البكاي صاحب «بغية الإلف» تأليف أيضا سماه «فتح القدوس في الرد على ابن الكنسوس»[2]، لم يوجد إلا عند مريده الفقيه بن دَحُّ القاطن بثغر أزمور[3] من دُكالة[4].

ومنهم من استغنى بهجوه في القصائد/و**62**ظ/الشعرية عن التأليف فيه، وهم الجمّ الغفير وحُقّ لهم أن يذمّوه، إذ نسبة التنقيص للمسلمين بلا مُنَقّص، والإعراض عن الاشتغال بالنفس، والمعالجة لعيوبها، والاستزواد للمَعَادِ خُذْلانٌ للمرء. وهذا اشتغل بالفضول البعيدة عنه بمراحل، ودأب على تنقيص أولياء الله المؤمنين، ونسبته إليهم ما هم بُرءاء منه، وآذى الأحياء بسبب الأموات ﴿**سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾[5].

ولما ورد هذا التأليف المشحون بسبّ[6] أولياء الله الأموات، وعلماء هذه الحضرة الإدريسية على سلطان الوقت، وحاسِم مادة النزاع والمَقت، أبي المواهب سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام العلوي. بعثه لقاضي الجماعة وإمام الأئمة، وشيخ المدرسين في هذا الزمان، مولاي مَحمد بن عبد الرحمن الشريف العلوي، بقصد المطالعة ومحاضرة العلماء والمناظرة فيه. فإن سلّموه ورأوا ما فيه أهلاً لمن أراد استفادة الفوائد، ومطالعة أخبار مَن مضى مِن سير الملوك والوزراء، ذوي الصلات والعوائد، وسلف العلماء الصالح، وأولياء الدين الفالح، الذين أتحف الله بهم كل دولة وتلقوه بالقبول. كان أولى بأن يتأبّطه المتأبطون، ويحفظه الشرفاء والمرابطون، وأنْ تُؤخذ منه النُسخ، وتُجعل في الخزائن العلمية ويتداوله المؤرخون، ويشهدَ بصلاح مؤلِّفه العلماء الراسخون[7]، فإذا به حديثُ خرافةٍ كسّر صاحبُه الصرح النبوي.

1- رسائل البكاي والكنسوس، و16و، و17ظ، و18ظ. الكنسوس، الجواب المسكت، ص ص: 17-18.

2- كتاب ألّفه أحمد البكاي للردّ على الكنسوس، وتوجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية المغربية تحت رقم: 2455ك، ابتدأه بقوله: "أخي سيدي محمد بن أحمد الكنسوس قدس الله سرّه القدّوس، ورفع له الدعائم والأسوس". ينظر: البكاي، فتح القدوس، و1ظ.

3- **آزمور**: من ثغور المغرب الأقصى، وتقع شمال مدينة أصيلا. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 5.

4- **دكالة**: مدينة مغربية كانت تمتد قديما بين أم الربيع ووادي تنسيفت والمحيط. ينظر: بن عبد الله، معلمة المدن، ص: 198.

5- النور، الآية 16.

6- "سبب" في (ب) وهو تحريف.

7- كان السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام قد شجّع التأليف خلال فترة حكمه، ومنها التشجيع المالي والمادي. فبين يدي ظهير سلطاني أرسل إلى ابنه الحسن يعبر صراحة عن ذلك، يأمره فيه بإجزال العطاء للكنسوس على تأليف كتابه الجيش، إذ يقول: "ولدنا الأبرّ الأرضى، سيدي حسن أصلحك الله...فقد وصلنا كتابك، وعلمنا منه توصل الفقيه السيد محمد الكنسوسي بما أنعمنا به عليه من الدراهم والكسوة، وبالمنعم به من على مخرج مبيضة تأليفه...والسلام في 12 ذي الحجة 1283هـ/1866". ينظر: ابن زيدان، الدرر الفاخرة، ص: 95.

كمْ مِن شرّ آفةٍ بسببّ السلف الصالح، والعلماء ذوي الدين الفالح، وانعقد إجماع العلماء بعد المطالعة فيه/و**63**و/ على أنه مزّق ثوب السنّة و لم ير فيه، فقالوا بلسان رجل واحد: وَيْلَهُ فضح للناس سريرته، وعُدّ ممن كشف لِحُمْقِهِ سَوْءَتَه، فلا حيّا الله المَلِكُ الديّان شيخ السوء هيّان بن بيان[1]: [البسيط]

وقد وجدتَ مكان القول ذا سَعة ** فإن وجدتَ لسانا قائلا فقُل[2]

[قصيدة الأديب المكناسي في هجو الكنسوس]:

وفي هجوه يقول الأديب المكناسي من قصيدة مطلعها هذا البيت: [الطويل]

تترّس[3] كنسوس بتُرْس المعائب ** وجال مجالا للبلا والمصائب

وتمامها هذا:

ونمنم[4] رايات النفاق بعكس ما ** عليه انطوى مِن بغض دِمْر وحاجب

فشنّ على مَن عزّ بالله جاهُهم ** إغارةَ مَن رام انتشار الكواكب

أولئك أهل الله من أَمَّ بَابَهُمْ ** وعِظَمُهم يُكفى جميع النوائب

[أولئك أرباب العناية من بهم ** نعوذ من الأسوأ وصولةِ غائب][5]

[لهم كم عَزى في معرض الشرّ ما عزى ** وبطشهم قد صار ضربة لازب[6]][7]

لهم نَسَبَ الإغرا مع الجهل وازْدَرَى ** بقدرهم العالي على كل غالب

و لم ينج مَيْتٌ من جمار لسانه ** وأحياؤنا أهل السَّنَا والمراتب

أسرّ لهم حَسَدًا ليُدرك منهم ** رغائبَه عبدُ اللّهى[8] والمواهب

لَعَمْرُك ما هذا الجفاء بهيّنٍ ** ولكنه عين الشقا والشواغب

وعهدي بشيخ السوء تاب لربه ** وفارق أصحاب الهوى والمناصب

1- مثلٌ تطلقه العرب لمن لا يعرف أصله. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 80.

2- البيت للمتنبي. ينظر: المتنبي أبو الطيب، الديوان، بيروت: دار بيروت، 1983، ص: 338. البغدادي، خزانة الأدب، ج9، ص: 374.

3- **تترس:** من الترس وهو ما كان يتوقى به في الحرب. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 84.

4- **نمنم:** يقال نمنمت الريح التراب خطته وتركت عليه أثرا كالكتابة. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 965.

5- البيت ساقط من (ب).

6- **ضربة لازب:** مثل يراد به معنى اللازم الواجب الشديد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص: 4026.

7- البيت ساقط من (ب).

8- **اللُّهى:** العطايا؛ واحدها لُهوة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص: 4091. الزيات، المعجم الوسيط، ص: 843.

وأَبغَضهم حتى ترهّب نافضا ** يديه من الخُلاّن بَغضة راهب
فلم يك إلا أن تلوّن وانتدى[1] ** مجالس دنياه بأخلاق غاصب
خلائق أقصته عن الله فهو في ** تعنّته لم يُصْفِ وُدّاً لصاحب
وعَنْوَن عن خُبْث[2] الطوية مُعجبا ** بخدعته لا بالقنا والمقانب[3]
عليه زرود المَقْتِ تَظْهرُ أنها ** وقايته من غير سوء العواقب
وجاء بجيش[4] كالسراب فلم نجد ** له في قضايا الصدق غير الأكاذب
وألويةً قد حبّر الشّتمُ بُرْدَهَا[5] ** وصيّرها ألوانَ نشرِ المثالب
تحمّلها مع شِيبِه فكأنّه ** إلى زاده للقبر قام بواجب
أساء وأَيْمُ الله سمعا وما صَفَتْ ** مقاصده في عدّ هذي المناقب
مناقب مولانا الإمام محمد[6] ** وأسلافه تيجان ملك المغارب
ملوكٌ كرامٌ طيّب الله ذِكرَهم ** ونزهه عن سيء النطق عائب
صنائع أهل الخير فيه[7] مآلُهَا ** ضَياعٌ وكفران فَسَلْهُ كحاسب
ومن يجعل المعروف في غير أهله ** كمن لم يُصدّق بيّناتَ التجارب
أثار أمورا أخمل الله ذكره ** وأوْدَعَها في طرسه[8] كالمشاهب
وخلّدها في جبهة الدهر سُنّةً ** أحاطت بها الأنام من كل جانب
صحائف بالطيش الشنيع تسوّدت ** وما ارتسمت إلا بشوك العقارب
ورِقَّة دِينٍ مع سخافة مَنْبَتٍ ** لذي الشاني العادي العدو المحارب
له كان في ذا الغرب أصلٌ محجب ** عن الباحث النقّاد مبدي العجائب
فأضنى عليه البحث من كل وجهة ** فأُلفيَ لا أصلٌ نقيَّ الترائب

1- **انتدى**: القوم ندوا وفلان كثر عطاؤه، ويقال ما انتديت منه شيئا أي ما نلت منه خيرا. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 912.
2- "حبت" في (ب) وهو تصحيف.
3- **القنا**: إثخان الجراح. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 959. **المقانب**: الجماعة من الخيل. ينظر: المعجم الوسيط، ص: 761.
4- يقصد كتاب الجيش العرمرم الخماسي لمحمد بن أحمد الكنسوسي.
5- **البُرد**: من البردي وهو نبات مائيّ عُشبيّ، يكثر وجوده في أعالي النيل، ومنه ورق البَرْديّ. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 185.
6- يقصد السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام.
7- "منها" في (ب) وهو تحريف.
8- يعني في كتابه الجيش العرمرم.

شواهده مرسومة في كتابه ** بألوية منصورة وكتائب

[قصيدة المشرفي في ذمّ الكنسوس]:

وفيه قال جامعه ومؤلفه غفر الله ذنبه وستر بمنّه عيبه: [البسيط]

مِن الجفا أن يسب المرء موتاه ** وأن يمزّق عرضا صانه الله

وأن يقول في أهل الله مَن سَلِمَتْ ** صدورهم من عيوب هِيَ بَلْوَاهُ

ومَن دِيانتُهم للخلق قد ظهرت ** ظهور شمس الضحى في جو علياه

ومَن عبادتُهم كانت على سَنَنٍ ** للمصطفى ممّا خصّه وأولاه

ومَن بمعرفة الإله قد صدقت ** أقوالهم في أُولَى الأمر وأُخْراه

ومَن مذاهبهم بالحق قد عُرفت ** والحق من يتقي الله ويخشاه

ومَن شمائلهم تُرضى وقد حسنت ** أفعالهم وافقوا فيها ما يرضاه

ومَنْ زواياهم للدين قد بُنيت[1] ** والمجلس العلمي فيها الباني[2] أحياه

سقيًا ورعيًا لهم من سادة سَلِمَتْ ** خواطر وصفَتْ قلوبٌ ترعاه

كفى بذا شرفا لنسبة عظُمت ** وعمّ نفعها أدنى الأرض أقصاه

جزعا وكيًّا لكنسوس فما حُمدت ** له السريرة سوء الظن أضناه

/و**63**ظ/ بمنكر[3] القول قد رمى ذوي حسب ** يا وَيْلَه ما أغرّه وأشقاه

لو لم يكن في أبي الجعد[4] الذي سَعِدت ** بجدّه الخلق من عظيم لقياه

إلا الولي الذي مِنْ أَجْلِهِ كرُمَت ** أخلاق قوم وأُهْدِيتْ بمرآه

أبو المواهب والصلاة من صَلُحَت ** أحواله ودعى الخلق لمولاه

فذو الذخيرة المعطى[5] عنده ادُّخرت ** ذخيرة[6] لأهاليه وقرباه

سبحان من أعطى لابن صالح[7] رُفِعَتْ ** له المكانة كل خير أعطاه

1- "سقت" في (ب) وهو تحريف.

2- "الثاني" في (ب) وهو تصحيف.

3- "فمنكر" في (ب) وهو تصحيف.

4- يقصد العربي بن المعطي المتوفى 1819 صاحب زاوية أبي الجعد. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2503.

5- "العظمى" في (ب) وهو تحريف.

6- "دخيرة" في (ب) وهو تصحيف. والمؤلف يقصد هنا كتاب ذخيرة المحتاج للمعطي بن الصالح شيخ زاوية أبي الجعد.

7- يريد والد العربي بن المعطي؛ الشيخ صالح الشرقاوي العمري. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2503.

أهدى على قدره هدية شَرُفَتْ ** بها بِقاعُهُ يا حُسْنَ ما أهداه
فذو الدلائل لم يدرك هديتَه ** مع فضله نسبةً لما قد أنشاه
ولا ذوُ تنبيهٍ للأنام قاطبةً ** فيما علمنا وكم من فضل أبداه
ولا إمامَ غنيمةٍ فما غنمتْ ** غنيمةً مثلُ تلك كانت غُنماه
ولا مُؤَلّفٍ نفح الطيب[1] مُذ شرقتْ ** شمس ولايته فالله أسماه
حريمه حَلّهُ مَن يَتّقيه ومن ** كان الشفاء أخي في كَفِّ يمناه
وما أظن جيرانه وما عُهدت ** فيه المحبة واهتدى بلُقياه
أن يُحرَمُوا أو يَخِيبُوا وهو قد عظُمت ** له المنازل عند الربّ مولاه
فأهل عصره فضل الله يشملُهم ** ولا غرابة أن الله أعلاه
ما أَلِفَ القوم أو أهدى الإله لهم ** في مدح خيرة خلقه مصطفاه
ولا علمنا بهذا الغرب مذ نُشِئت ** به الزوايا ممن سعى كمسعاه
/و64و/ فضْلَ ابن ناصر حازه وما نُسجت ** صُحْفُ الغنيمة باليمين كفّاه
طابت بقاعٌ بأرضٍ كان يترلها ** وما لتادلا[2] عادلا في دنياه
فضل (الذخيرة ذخرهم)[3] ونفعُهم ** قد همّ غربنا دَانِيَهُ وأقصاه
قل للذي ينكر المحسوس ويحك مَن ** يُدرك شأو ابن صالح ومعناه
قل للجَحُود ومُنكر الفضائل قل ** ما أنت أول جاحد قد أرداه
سوءُ اعتقاده في الأشراف فاشتبهتْ ** له الأباطيل حالُ البغض أعياه
أعشى البصيرة شر الناس مَن قصُرت ** في الله همته والكيد أصماه
ما أنت أوّلُ مُنكِر وقد طُمست ** له البصيرة والشيطان أغواه
بئس القرين قرينكم فما سلِمَت ** أحوالكم والشقي ربِّ أخزاه
فَتَحْتَ فاك بما أشقاك فافتضَحَتْ ** لك السريرة أمر السبّ أشقاه
ماذا تقول في أهل الخير مَن كُتِبَتْ ** أسماؤهم في أعلا عليِّ علياه

1- يقصد مؤلّف نفح الطيب المقري التلمساني المتوفى سنة 1041هـ/1631م. ينظر: الحفناوي، تعريف الخلف، ج1، ص: 44.
2- **تادلة:** بفتح الدال واللام، من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 5.
3- "الدخيرة دخرهم" في الأصل والصحيح ما أثبتناه، وذلك لأن المؤلف يقصد كتاب الذخيرة للمعطي بن صالح وليس.

ماذا تقول في عالي القدر قد عظُمت ** له الولاية أنّ المولى أولاه
مولاي سر الوجود العربي[1] من شرقت ** شمس ولايته كم ميّت أحياه
ماذا تقول في شيخ عارف كُشفت ** له الحقائق عند مولًى ولاّه
ما تقول في صدر مَصْدَرٍ سلمت ** وصحَّتْ أفعاله وصح عقباه
شيخ مربٍّ بحضرة ومن لَحِظَتْ ** عيناه يرقى فقل يا سَعْدَ مَرْقَاهُ
كم من مريد له صفّى سريرتَه ** وفيه سرّه إذْنُ الله أعلاه
/و**64**ظ/ في ونشريسَ[2] إمام الوقت من شهِدَت ** له الأئمة أن الله أعطاه
سرا فكان إمام العارفين صَفَتْ ** له البواطن للأفراد أبقاه
لابن عطية سيدي العربي[3] تُعزى أخي ** أسنى الكرامات مهما رُمْتَ لقياه
له التلامذ عدّ الشهب مُذْ خَلُصت ** له الطوية فاهتدى بدعواه
وحوز قلعة راشد[4] إذا ذُكِرَت ** آيات ربي مِن خلقه فأسماه
هو ابن حواء عبد الله[5] من حيِيَتْ ** به القلوب فنُوّرت بمرآه
مثل ابن عبّاد[6] في علم وفي عمل ** وربما فاقه لم يرْقَ مرقاه
والفضل منه فإن الله ذو كرم ** وفضل ربي لمن يشاء يؤتاه
شهيد وهران يوم الموت قد رُئِيَتْ ** ليْلاً على قبره أنوار مولاه
لما رآه مليك الوقت قاتَله ** عضّ البنانَ وذاك القتل أضناه

1- يقصد العربي الدرقاوي.

2- **ونشريس**: بها جبل شاهق من جبال مملكة تلمسان؛ كانت تسكنه قبيلة بنو توجين التي حاربت ملوك تلمسان عدة مرات ودامت هذه الحروب أكثر من ستين عاما. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 45.

3- **العربي بن عطية**: العماري البوعبدلي الملقب بالطويل المتوفى 1855، الشلفي مولدا ومنشأ، الونشريسي دارا وقرارا، التونسي هجرة ووفاة وضريحا. عاصر الباي حسن بوهران. من مؤلفاته: الاستمدادات الربانية فيما منّ الله عليّ من بحر الوحدانية. ينظر: بوعناني مختار، الشيخ مولاي العربي بن عطيةالملقب بالطويل سيرته ومؤلفاته، مقال ألقي بجامعة الشلف يومي 2 و3 فيفري 2009، ص ص: 2-4.

4- **قلعة بني راشد**: أو قلعة هوارة. مدينة مبنية على شكل قلعة في منحدر جبل بين الشعاب. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1985م، ص: 178.

5- **عبد الله بن حواء**: محمد بن قدار بن الجيلاني بن عبد الله بن أحمد التوجيني نسبا المستغانمي منشأ ودارا؛ من مؤلفاته سبيكة العقيان. ينظر: الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص ص: 363- 365.

6- **ابن عباد (733-792هـ/1333-1390م)**: محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي الحميري. ينظر: التليدي، المطرب، ص: 140. الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 299.

والبوزيْدي[1] الصوفي كامل بَهَرَت ** أسرارُه علماء الوقت أرقاه
عليهم فاقتدَوْا به وصُحبتُهم ** له بها قطفوا مِن سِرِّ معناه
فكان لابني عجيبة[2] مِنْ صُحبَتِه ** سرٌّ عظيم فياله ما أبهاه
والمازوني[3] إذا عُدَّت كرائمُه ** تفوق عدّ الحصى والله أحصاه
جاءته ذات لُيَيْلةٍ لصوص وقد ** شجّته وهو يقول حسبي الله
واغفر لقومي الله فهي ما علِمَتْ ** هذا هو السرّ والبرهان أملاه
وحوز تونس شيخ كامل ظهرت ** على يديه خوارق في تقواه
[شاعت[4] طريقته في القوم وانتشرت ** حدا بها الحادي في ابتداء مسراه
عمر إن سطا بُريد جُند سبحته ** وسِرْ إلى مصر في أعراب بدواه
كذا حواضر جربة[5] وساحلها ** إلى طرابلس[6] نورُ الله أضواه
في عبده المدني[7] الحَبر مَن رَقَمَت ** أقلامُ قدرته بِسِرٍّ أخفاه
وشاع في وقته تلميذه فغدت ** مليانة[8] والمْدِيَ[9] دار سكناه
أبو عمران أبو السعود موسى ومَن ** في أُمّة المصطفى كموسى مسعاه
ومِنْ كُناه أبو الحمار يركبُه ** وقت الجهاد وعند الحرب تلقاه
مِن وقته لم نرَ خيرا ووقعتِهِ ** مع ماحي الدين[10] اعتدى عليه أعداه
وفي مدينة لُقمان استقر بها ** شيخ الطريقة نور الله أبداه

1- **البوزيدي:** محمد بن أحمد البوزيدي السلماني الغماري؛ شيخ ابن عجيبة؛ توفي 1814. ينظر: التليدي، المطرب، ص ص:216- 219

2- **ابن عجيبة (1160-1224هـ/1747-1809م):** أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجينة، الحسني الانجري؛ مفسر صوفي مشارك من أهل المغرب. من مؤلفاته: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية. ينظر: التليدي، المطرب، ص ص: 220-226.

3- لعله قصد المازوني تـ(883هـ/1478م) يحيى بن موسى أبو زكريا المغيلي المازوني الفقيه المالكي صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة. ينظر: التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ص637. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 281.

4- بداية البتر في الأصل والزيادة من (ب).

5- **جربة:** جزيرة بالمغرب من نَاحية إفريقية قرب قابس يسكنها البربر. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 118.

6- **طرابلس:** من مدن إفريقية على ساحل البحر يضرب في سورها. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ص: 389- 390.

7- **محمد المدني:** أو المديني كما ذكره المشرفي في نزهته. كان مستوطنا بزاويته بين تونس وطرابلس ونشر الطريقة الدرقاوية في معمور الحاضرتين. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 125. وسيأتي الحديث عنه في الترجمة الرابعة من المخطوط.

8- **مليانة:** مدينة في آخر إفريقية بينها وبين تنس أربعة أيام وهي مدينة رومية قديمة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص: 196.

9- **المدية:** بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد ثمانين ميلا من البحر المتوسط. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص ص:41-42.

10- يقصد الأمير عبد القادر.

حتى به نُوّرت مصر وساكنُها ** عمّت وسيلته المِصرُ وبدواه
يدعى الشعبي[1] سقاه ضلي من سَعدت ** أحوازُ تونس ذا المذكورُ أعلاه[2]
وكلهم تركوا كتبا مؤلَّفة ** معنى التصوف فيها كان أحياه
شيخ المشايخ من بني دُريقة من ** يدعى الدرقاوي ياله ما أسناه
في أقصا مغربنا أمداده انتشرت ** أيضا فاشتكى المحسوسَ أعداه
فمن يقول فهذا القطب مَن كَملت ** له المحاسن والأقطاب ترعاه
الله ينفعنا به وما اعتقَدَت ** فيه ضمائرنا غدًا سنلقاه
هو المجدّد وَصْلَ الدين بعد عفا ** رسمٌ له ودَرْسِ مبناه

[إعراض العلماء عن الكنسوس]: وقد أعرض العلماء العاملون، عن مقابلة هذا المغتاب ومؤلِّف السبّ، في كتابٍ بالسوء وعن مجازاته، فقُل: وإنّ وِرْدَ المرء مقتول بما قَتل به. ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾[3]، بعد أنْ أنكروا عليه ما سطره في نظمه، والقريض وعدُّوه هذيان مريض، واتخذوا سبّه وِردًا كل ما ذُكر اسمه عندهم زوجا وفردا.

[تورّع المهدي بن سودة الفاسي في الردّ على الكنسوس]: غير أن إمام الحضرة المكناسية، وقاضي جماعتها العلامة النحرير، ذو الفصاحة والبلاغة والتحرير، أبا عيسى سيدي المهدي بن سودة الفاسي[4] ثم المرّي[5]، لما خوطب بالرد عليه تورّع، ورأى أن الردّ عليه من الاشتغال بما لا يعني، واعتذر عن ذلك بتسويد ورقة ونصف. فاتصل الاعتذار بِيَدِ أمير المؤمنين المذكور[6] فيها واستحسن ذلك منه، وربما أدّى اعتذار هذا العالم إلى عفو السلطان المؤيد بالله عن مؤلِّف ذلك الكتاب. ولذلك أمَرَه بأن يستدرك بالثناء ما سطّرَتْهُ الأيدي العادية.

ونص الاعتذار: ولما وقفَ كاتبه المهدي بن الطالب بن سودة، على ما ألّفه بعض المهاجرين من الأدباء، ورأيتُ الخروج منه فيه إلى ما لا يُقصد، ولا يُرادُ من ذكر مساوئ الناس

1- يقصد الشعيبي مقدّم الدرقاوية في مصر وسيأتي الحديث في الترجمة الرابعة من المخطوط.

2- يقصد محمد المدني.

3- النساء، الآية 123.

4- **المهدي بن سودة (1220-1294هـ/1805-1877م)**: محمد المهدى بن الطالب بن سودة؛ فقيه مالكي؛ كتب حواشي كثيرة منها: حاشية على المحلي شرح ابن السبكي. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 445. ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2656.

5- **المرية**: مدينة محدثة أمر ببنائها عبد الرحمن الناصر سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 537.

6- يقصد السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام العلوي.

وتعيينهم لها وهو غيبة، والغيبة حرّمها الله، على أنّ بعض ما نسبه لهم ربما هو كذلك في نفس][1]/و65و/ الأمر، فكان اختلافا فكان الواجب التثبّت، بل ولا يُعَيِّنَ أحدا بالسّوء. فإن كانت المحاسن ذَكَرَهَا وعيّن أربابها، ليُجلوا أو يُقتَدَى بهم، وإن كان السوء أعرض عنه حتى لو ذَكَرَهُ لأمرٍ، فلا[2] يعيّن أربابه فرارا من الغيبة المحرمة. وقد ذَكر أيضا بعض الأولياء والأقطاب في معرِضٍ لَوْ قَبِلَ الناس كلامه فيهم، لوقعوا من ذلك القطب وغيره في الارتياب، والنظر إليه لا بعين الإجلال والتعظيم وحاشا فهذا معاذ الله. فإن السادات الأخيار العلماء والصالحين والمقربين والأبرار، هم الواسطة بيننا وبين مولانا المصطفى المختار، وبهم وصل إلينا الدينُ دينُ سيّد النبيّين والمرسلين، الواسطة العظمى بين الله سبحانه وسائر المخلوقين، الذي لولاه لم تخرج الدنيا من العدم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين. وكان قد طُلِبَتْ منه الكتابة على ذلك التأليف، فأمسكتُ عنان القول، وقلم الكتابة عن ذلك وقلتُ: إنّي أقول كما قال بعض الأئمة رضي الله عنهم لما وقف على تأليفِ بعض أهل السنة، والحق في مسائل ثلاث: مسألة الغرانيق[3]، ومسألة إيمان فرعون، ومسألة تأثير القدرة الحادثة. وقد حاد في ذلك وخرج عما[4] عليه الجماعة رضي الله عنهم فيه، فلم يوافقه أحد على عمله، فقال ذلك البعض من تلك/و65ظ/ الأئمة رضي الله عنهم: سبحان الله إن الشيطان لم يَجِدْ لترغته إلا لسان[5] هذا العالم الجليل، فللّه الأمر من قبل ومن بعد.

أنشأتُ جوابا لها[6] هذه القصيدة، وغالب ظني أنها لو وصلتْهُ قبل إبرازه التأليف، لنبّهَت منه غافلا، فاعتبَر متأمّلا وتأنّى متأجّلا، ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا. ومن المعلوم أن "من

1- انتهاء البتر في الأصل.

2- "بلا" في (ب) وهو تحريف.

3- **الغرانيق:** طائر أبيض وقيل هو طائر أسود من طير الماء طويل العُنُق، وفي الحديث: "تلك الغَرانِيقُ العُلا". ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3249. وملخّص مسألة الغرانيق على ما ذكره القرطبي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ "والنجم إذا هوى" فلما بلغ: "أفرأيتم اللات والعُزّى ومناة الثالثة الأخرى" سَهَا فَقَالَ: "إِنَّ شَفَاعَتَهُمْ تُرْتَجَى"، فَلَقِيَهُ الْمُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَفَرِحُوا، فَقَالَ: "إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآية 52 من سورة الحج. قال النحاس: وهذا حديث منقطع وفيه هذا الأمر العظيم وكذا حديث قتادة وزاد فيه: وإنهنّ لهنّ الغرانيق العلا؛ أي الملائكة. قال القرطبي: الأحاديث المروية في نزول هذه الآية ليس منها شيء يصح. ينظر: القرطبي، الجامع، ج14، ص ص: 424-432.

4- "على ما" في (ب) وهو تحريف.

5- "الإنسان" في (ب) وهو تحريف.

6- ساقطة من (ب).

ألّف فقد استهدف، فإن أصاب فقد استعطف، وإن أخطأ فقد استقذف"[1]. فلو اقتصر على ما هو بصدده مِن ذكر ساداتنا الملوك الأشراف العلويين، الذين أحيا الله بهم مآثر الإسلام، وأقام بهم في ظل الأمان معشر الأنام، فيذكُرَ مِن مفاخرهم ومآثرهم، ومحبّتهم في العلم وأهله من علم الحديث وغيره، وبناءاتهم للمساجد وشعائر الإسلام، وتعظيمٍ لأهل الطاعات وأهل الله، وإنفاقهم الأموال عليهم وعدلهم وإنصافهم، وثناء الناس عليهم ومدحهم وذِكرِ سيَرهم. وذِكر أربابِ دولةِ كلِّ واحدٍ منهم وفضلهم، فإنّ حُسن الجوانب هو مِن حُسن الأصل، وما في البحر يظهر في أنهاره وجداوله، كيف ومحاسن كل واحد منهم تملأ الدواوين وتزيد.

[ذكر محمد بن عبد الرحمن بن هشام]: فإن سيّدنا محمدا إمام وقتنا نصره الله، لَتَزِيدُ أوصافه الجميلة ومآثره الحميدة، على العدّ مِنَ الحياء والحِلم والرزّانة، وسعة الصدر وانشراحه/و66و/ ولين الجانب مع الله، والسخاء والإنصاف والصبر، والمشاركة في العلوم والأحاديث النبوية، وحُسنُ العهد، والوقوف عند أوامر الله ونواهيه، وشدّة اتّباعه للسنّة وعبادته. وصَرَفَ كُلِّيَّتَهُ واعتمادَه على مولاه سبحانه، وغير ذلك مِنَ الأخلاق النبوية التي انفرد في وقتنا بها. ولقد شاهدنا تولّي الله سبحانه لأموره كلّها، فمهما وقعت شدّة في زمانه فرّج الله ضيقها، وصارت عواقبها محمودة، وحفّتها الألطاف[2] الربانية. اللّهم أدم نصرك وتأييدك وتوفيقك له، واجعله يوم القيامة من حزب الأئمة المقسطين. وقدّس اللهم روح والده الإمام الصالح الناسك، العابد سيّدنا ومولانا عبد الرحمن في مقعد صدق. فمآثرُه الجميلة وخصاله لا تنتهي ولا تعدّ ولا يسعها دواوين، اللهم ارحمه وزده إكراما وكذا جميع الأئمة قبلهما. اللهم قدّس أرواحهم، وزد في مبوّآتهم في دار النعيم، فأنت الكريم الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

[قصيدة المهدي بن سودة في الرد على الكنسوس] ونص القصيدة: [البسيط]

في غاية الحسن ذا التأليف لو ذَكَرا ** ما للورى من جميل الخير واقتصرا
طيّ المساوئ على الأخيار مُنْحَتِمٌ ** من يهتدي هديَهم قد فاز وانتصرا
/و66ظ/ فَفُزْ مِنْ نَشْرِهَا إن كنت مهتديا ** فَنَشْرُها يجلب الأسواء والضررا

1- يشير إلى قول القائل: مَنْ صَنَّفَ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَهْدَفَ، فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدْ اسْتَعْطَفَ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدْ اسْتَقْذَفَ. ينظر: الماوردي أبي الحسن، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، بيروت: دار إقرأ، ط4، 1985، ص: 356.

2- "الإطلاق" في (ب) وهو تحريف.

فمن يَحِدْ عن سبيل الفضل قد وقعا ** بالنفس في ضرر وما أسا البشرا
ذِكْرُ الأصول بما يؤذي الفروع دعا ** حَرْبَ التزال وذاك المقت فالحذرا
كل الأنام لهم عيبٌ ومَكْمَلَةٌ ** وذو الكمال لغير الحسن ما نظرا
والكون للمرء مِرآة تقابله ** بما يقابلها فَأَمْعِنِ الفِكَرَا
ألم يقل سيد الأكوان مَنْ خُلقا ** من نوره كل هذا الكون وانفجرا
أنت بما قد سقيتَ الناس تشربُه ** فاسْقِ إذا ما تشاء الصفو أو كدرا
والمسلم الكامل الإسلام من سلما ** مِن شره المسلمون أو كما ذكرا
عمّ الحديث جميع المسلمين سواء ** من قضى نحبه أو عاش وانتظرا
فكل حيّ يُرى بالقرب منتهجا ** نهج الحِمام وبَعدَ عينه أثرا
فليُذْكَرِ الكلَّ بالصنع والجميل فهم ** أفضوا لما قدّموا كما أتى خبرا
طوبى لمشتغل بعيبه فدرى ** فالنفس أمّارة وعيبها كثرا
ما يلفظ المرء من قول فراقِبُه ** لديه يحصي مقاله ولو نَزُرا
يا سعد شخص رأى الأفعال جملتها ** مِنْ قاهرٍ بِرِدَاء العزة استترا
سبحان من خلق الأشياء يسّرها ** إلى الذي في قديم العِلْم قد قَدَرا
أعطى الأمور تمام خلقها وهدى ** صُنْعَ الذي أتقن الأشياء حين برا[1]
فالخير يُذكرُ مع تعيين فاعله ** كَيْما نُجِلَّ ونقتدي بما صدرا
/و67و/ وليُخْفِ من يَذكر القبيحَ صاحبَه ** فمن يُعَيِّن يسيء ويغتب البشرا
دليله[2] في الولا مَا بالُ مَنْ شرطا ** ومن أطال بمقتد وقد نفرا
هذي النصيحة من نور النبي طلعت ** ونحن فيها سَوَا وكلنا عَثْرا
لكنّ أفضلَنا مَن يُبْصِرُ الرّشدا ** لو مسّه الطائف الشيطان لا ذَكَرا
والله نرجو لكشف رانِ[3] غفلتنا ** ويُخلِصُ القلب لله كما ظهرا

1- "كيف سرا" في (ب) وهو تحريف.
2- "دلائله" في (ب) وهو تحريف.
3- **ران:** من الرّان؛ وهو الغطاء والحجاب الكثيف والصدأ يعلو الشيء الجلي كالسيف والمرآة ونحوهما والدنس وما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 386.

فهو الذي يبتلي العبد ويرحمُه ** ويقبل التوب ممن تاب واعتذرا
ثم الصلاة على المختار شافعنا ** فهو الملاذ إذا الجبار قد حَشرا
والآل والصحب والأتباع جملتِهم ** ما لاح ضوء بأفق الفجر وانتشرا

انتهى.

[رأي المشرفي في رد المهدي بن سودة على الكنسوس]:

وإذا تأمل المتأمل فيما سطّره هذا العالم نثرا ونظما، أَلْفَاهُ عَيَّرهُ ووبّخه توبيخا لم يوبّخه مَن تصدى للردّ عليه. أما في النثر فقد ذكر وقال: ذِكرُ مساوئ الناس وتعيينهم لها غيبة محرمة شرعا. وهذا المُحدَّث عنه ذَكر مساوئ الناس، بل الخاصة مِن أهل الله، وكلامه هذا صريح في الردّ عليه.

ثم قال: وقد ذكر ابن الكنسوسي بعض الأولياء والأقطاب، في معرضٍ لو قَبِل الناس كلامه فيهم، لوقعوا من ذلك القطب وغيره في الارتياب، والنظر إليه لا بعين الإجلال والتعظيم. فهذا صريح أيضا في انعقاد إجماع العلماء بالحضرة الإدريسية، على عدم قبول هذا التأليف من مؤلِّفه، وأنهم يخالفوه في كل ما/و**67**ظ/ رمى به أولياء الله وعلماء دينه، بل فسّقوه في الاعتقاد وزيفوا كتابه. وأما في النظم فقوله أولاً في مطلع القصيدة: [البسيط]

في غاية الحسن ذا التأليف لو ذَكَرا ** ما للورى من جميل الخير واقتصرا

يؤذن بأنّه يُفهم منه أنّ هذا التأليف في غاية القبح، حيث ذكر فيه عيب الناس، بل وصف خيار هذه الأمة المحمدية بالسوء، وكذا ما بعد هذا البيت إلى آخر القصيدة. [ومَن أمعن النظر][1] فيما سطّره هذا العالم نظما ونثرا، يجد ذلك بأبلغ إشارة وأتقن عبارة، والله يهدي من ضلّ وزلّ.

من قال آمين أبقى الله مُهجته[2] ** وهذا منا دعاء يشمل البَشَرا[3]

1- ساقطة من (ب).

2- **المهجة**: الرُّوح أو النَّفْس. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2132.

3- البيت لابن الطيب الشرقي الفاسي وهو من بحر البسيط.

الترجمة الثانية: في الأشاعرة رضي الله عنهم

[التعريف بالأشاعرة]: فهم قوم أقام الله بهم السنّة، وقاموا بكل ما شرّعه لنا النبي صلى الله عليه وسلم من الدين وسَنَّهْ، وذبّوا عن حوضها وكفّوا المعتزلة[1] عن خوضها. فعليهم معتمَدُنا، وكاهِلُهُم مستندنا. فرقة قليلة وفئة جليلة، قوّى الله مددها وكثّر بمنّه عددها، لها قدرٌ عند الله وجاه و﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[2]. وفضلها لا يُجهل، وَوِرْدُها عَذْبُ المنهل، إذْ هم أهل السنة المنسوبون لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن بشير بن إسحاق بن أبي سلام بن إسماعيل، بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى/و68و/ الأشعري[3]. منهم أبو بكر الباقلاني[4]، وإمام الحرمين، وأبو بكر بن الطيب[5] وغيرهم. ويدخل في الأشاعرة الأشعريون رهط أبي موسى الأشعري[6]، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي قال فيهم النبي عليه السلام: "هم مني وأنا منهم"[7].

1- **المعتزلة:** هم الذين جمعوا القول بالأصول الخمسة: التوحيد والعدل، الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن جمع هذه الأصول فهو معتزلي. ينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص: 119.

2- البقرة، الآية 249.

3- **أبو الحسن الأشعري (260-324هـ/874-936م):** علي بن إسماعيل بن إسحاق، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري. ولد في البصرة، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. توفي ببغداد. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 284. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص: 29؛ وابن الجوزي يرى أنه توفي سنة 331هـ.

4- **الباقلاني (338-403هـ/950-1013م):** أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم البصري، المتكلم المشهور. كان على مذهب أبي الحسن الأشعري.كان في علمه أوحد زمانه وانتهت إليه الرئاسة في مذهبه، وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، وسمع الحديث. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص ص: 269-270. الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 176.

5- **أبو بكر بن الطيب:** هو نفسه الباقلاني، ولعل المؤلف قد اختلط عليه الأمر فجعلهما شخصان منفصلان. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص ص: 269-270. الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 176.

6- **أبو موسى الأشعري (21ق.هـ-44هـ/602-665م):** عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب من بني الأشعر من قحطان. صحابي جليل ولد في زبيد باليمن، وقدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم وهاجر إلى الحبشة، ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مج4، ص: 1762. ابن سعد، الطبقات، ج2، ص: 297.

7- رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني. ينظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، مج3، ص: 1689، حديث رقم: 5981. الألباني، ضعيف الجامع، ص: 859، حديث رقم: 5963. الألباني محمد ناصر الدين، ضعيف سنن الترمذي، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 2000، ص: 452، حديث رقم: 3947.

فقول ابن الكنسوسي: أنهم من الفرق الضالة[1]، عن الصواب بمعزل، ومن التحامل وسوء الظن في أسوأ منزل. ولا يخفى على مَن طالع كتب السير والأخبار، وتصانيف التعاريف المتضمِنّة لتراجم الأعيان والأخيار، أنّ أرباب المذاهب المفضول والفاضل، والعليم والجاهل، والناقص والكامل، والمتمكّن الواصل، ومن هو فوقه بمراحل، كلّهم على اعتقاد الأشاعرة. قال في «جهد المقل القاصر»: "ولقد أنصف القاضي تاج الدين السبكي[2] رحمه الله إذ قال في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم»: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية، وفضلاء الحنابلة في العقائد يدٌ واحدة، كلّهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ أهل السنّة أبي الحسن الأشعري رحمه الله، لا يحيد عنها إلا رعاعٌ من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاعٌ من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرّأ الله المالكية، فلم يُر مالكي إلا أشعريٌ/و**68**ظ/ عقيدةً"[3] انتهى بلفظه[4].

"فأنت تراه خصّ ذلك بالرعاع الذين هم حثالة الأتباع. وقال السبكي في «طبقاته»: إنّ المالكية أخصّ الناس بالأشعري، إذْ لا نحفظ مالكيا غير أشعري، ونحفظ من غيرهم طوائفَ جنحوا إمّا إلى اعتزالٍ أو تشبيهٍ، وإنْ كان مَن جنح إلى هذين من رعاع الفرق[5]"[6] انتهى. وقال في «طبقاته» أيضا: "أعلمُ أنّ المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني أحدا، والشافعية غالبهم أشاعرة لا أستثني إلا مَن لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به. والحنفية أكثرهم أشاعرة – أعني يعتقدون عقد الأشعري– لا يخرج عنه إلا مَن لحق منهم بالمعتزلة، والحنابلة أكثر فضلا،

1- يرى المشرفي أن الكنسوس قد طعن في الأشاعرة ووصفهم بصفات لا تليق بهم، وذلك في معرض حديثه عن حكم الإمامة شرعا. ففي حديثه عن رأي المعتزلة في ذلك نجده يقول: "وذهب المعتزلة إلى أن طريق الوجوب العقل؛ بناء على أصلهم الفاسد من التحسين والتقبيح العقليين، وقد عُلم إبطال ذلك في كتب المتكلمين والأصوليين". وفي تنبيهه على بعض المسائل المتعلقة بهذه الفئة ذكر أبا الحسن الأشعري وبعضا من مشايخ الأشعرية كالباقلاني وإمام الحرمين. وعلى ما يبدو فإن المشرفي قد فهم إنكار الكنسوس على المعتزلة بأنه إنكار على الأشعرية. ينظر: الكنسوس، الجيش، ج1، ص ص: 27-28.

2- **تاج الدين السبكي(727-771هـ/1327-1370م):** عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. ولد في القاهرة وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفي بها بالطاعون. من تصانيفه: طبقات الشافعية الكبرى. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 184.

3- السبكي، معيد النعم، ص: 75

4- المسناوي، جهد المقل، و10ظ.

5- السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص: 367.

6- المسناوي، جهد المقل، و10ظ.

متقدّميهم أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعري إلا من لحق بأهل التجسيم، وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم"[1] [2] انتهى.

[رد المشرفي على الكنسوسي]: قلت: إسناد ابن الكنسوسي القول للشيخ عبد القادر في «غنيته»[3]، أنّ الأشاعرة مِن الفرق الضالة الذين لا تُسنّم قبورهم، ولا تؤكل ذبائحهم – ومعاذ الله أن يقول هذه القولة الشنيعة قطب دائرة الأولياء–، يؤذن بأنه متمسك بمذهب المعتزلة، واستَتَرَ بهذا الولي/و69و/ المبارك. فهذا دليل على أنه مطعون عليه في عقائد إيمانه، مَلْمُوزٌ بنَقْصِ العقل فضلا عن عرفانه. ومقتضى ذلك أنه لا يُعتبر بنقله ولا بتصرّفه في العلم، فعنده على أهل السنة تحامل مفرط، فالواجب بسطُ اللسان فيه، والمبالغة في التشنيع عليه في هذا الموضع، وفي عدة مواضع من كتابه.

وكيف يسعنا السكوت عليه، وقد ملأه بهذه العظائم[4] التي لو وقف عليها العامي لأضلّته ضلالا مبينا، ولقد يعلم الله مني كراهية الإزراء بأبي الحسن الأشعري إمام الوجود حِفْظًا، ومذهب العصر معنىً ولفظا، وشيخ الجرح والتعديل، ورحلة الرجال في كل سبيل، عَلَمُ أهل السنّة والكتاب، وقادة مَن تُشدّ إليهم الرّحلة لتحقيق الحقّ وإصابة الصواب.

وما ذكره السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى»[5]، مِن أنّ أرباب المذاهب الأربعة كلهم على طريق الأشعري وعقيدته[6] –أي على مثل طريقته ووفق عقيدته– هو الحق الذي لا امتراء فيه، إذ كلّهم عن حِمَى شيخهم أبي الحسن الأشعري يناضلون، وبسيفه الصارم يقاتلون. فهو الإمام الذي تصدّى للذبّ عن عقائدهم، ومناظرة مَن أراد النقض عليهم، وإبطال الحقّ الذي عضّوا عليه بنواجذهم.

وذلك أنّ مذهب/و69ظ/ المعتزلة كان قد شاع في وقته وكانوا أهل رياسة، منهم الولاة والقضاة، وكان هو في ابتدائه على مذهبهم، فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم في النوم في

1- السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص ص: 377- 378.

2- المسناوي، جهد المقل، و10ظ.

3- يقصد كتاب "الغنية لطالبي طريق الحق" للشيخ عبد القادر الجيلاني.

4- "المظالم" في (ب) وهو تحريف.

5- السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص ص: 377- 378.

6- جاء على هامش المخطوط: "قف: المذاهب الأربعة على طريق الأشعري".

رمضان ثلاث ليال يأمره بإثبات مسألة الرؤية، وأن القرآن غير مخلوق، وأن كل شيء بِقَـدَرٍ، وأن الله خالق كل شيء، فشرح الله صدره لذلك[1].

[مناظرة أبي الحسن الأشعري للجبائي المعتزلي]: وأفاد سعد الدين التفتـازاني[2]، أن أول مناظرة [ألهمه[3] الله، مناظرة][4] في إبطال قاعدة المعتزلة مِن إيجاب الصلاح والأصلح على الله تعالى. "فأتى إلى الجبّائي[5] فقال: ما تقول في ثلاث إخوة مات أحدهم مُطيعا، والآخَر عاصـيا، والثالث صغيرا؟ فقال: الأول يثاب بالجنة، والآخر يعاقب بالنار، والثالث لا يثاب ولا يعاقب. قال الأشعري: فإنْ قال الثالث: يا رب لِمَ أمتّني صغيرا و لم تُبقني حتى أكبر فـأؤمن وأطيـعَ، فأَدخُل الجنة مع أخي؟ قال: يقول له إني علمت منك أنك لو كَبُرتَ لعصيت فدخلْتَ النـار، فكان الأصلح لك أن تموت صغيرا. قال الأشعري: فإن قال الثاني: لَمْ تُمتني صغيرا لئلا أعصي فلا أدخل النار، ماذا يقول الرب له؟ فبُهت الجبّائي[6] وقال أَبِكَ جنون؟ قال الأشعري: بل وقف حمار الشيخ في العقبة"[7]. ثم أخذ الأشعري في هدم قواعدهم المختلفة، وتأسيس قواعـد أهـل السنة.

وقد كان الناس على عقدٍ واحد حتى تبع جهـم[8] ومعبـد وشـيعته آخـر عصـر الصحابة/و70و/ قائلين: إن الأمر أُلِفْ. فلم تزل مذاهب أهل الأهواء تَظهر، حتى بلغت الفرق المختلفة العدد الذي أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله: "افترقت بنو إسرائيل على

1- السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص: 348.

2- **التفتازاني(712-793 هـ/1312-1390م):** مسعود بن عمر بن عبد الله، من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان من بلاد خراسان وتوفى في سمرقند ودفن في سرخس. من كتبه: تهذيب المنطق، وشرح العقائد النسفية. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 219.

3- يقصد أبا الحسن الأشعري.

4- ساقطة من (ب).

5- **الجبّائي**: أحد أئمة المعتزلة. وهو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان رضي الله عنه. ولد سنة 235هـ، أخذ عنه أبو الحسن الأشعري علم الكلام. توفي سنة 303هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص ص: 267- 269.

6- المصدر نفسه، ج4، ص: 267- 268.

7- نفسه، ج4، ص: 267.

8- **جهم بن صفوان تـ(128هـ/745م):** محرز من موالي بني راسب رأس الجهمية. قال عنه الذهبي: الضال المبتدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما. ينظر: الذهبي، السير، ج6، ص: 26. الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 141.

اثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، الناجي منها واحدة"[1]. قال المنجور[2] وغيره: في المعتزلة عشرون فرقة، وفي الشيعة[3] اثنان وعشرون، وفي الخوارج[4] عشرون، وفي المرجئة[5] خمسة، وفي النجارية[6] ثلاثة، فهذه سبعون وواحدة جبرية[7]، وواحدة مشبِّهة[8]، وواحدة أهل السنة. "وأسند الرُّشاطي إلى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[9]، هم أهل السنّة والجماعة". نقله المقري[10] في «أزهار الرياض»[11].

وكان أهل السنة يُلَقَّبُون قبل الأشعري بالمُثْبِتَة، لإثباتهم ما نفاه المعتزلة من صفات المعاني القائمة بالذّات، وخلقِهِ تعالى لأفعال العباد، ورؤيته تعالى في الآخرة، وسؤال الملكين، والصراط والميزان والشفاعة، وخروج عُصاة المؤمنين من النار وغير ذلك، فلما ظهر الأشعري لُقّبوا

1- رواه ابن ماجة؛ وصححه الألباني. ينظر: الألباني، صحيح الجامع، مج1، ص: 409، حديث رقم: 2042. الألباني محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجة، مج3، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1997، ص: 307، حديث رقم: 3241، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم. وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله. ينظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج2، ص: 67.

2- **المنجور:** اختُلف في تاريخ ولادته، فمنهم من رأى أنها سنة 926هـ وآخر 928هـ وثالث 929هـ، والتاريخ الأخير هو المعتمد على ما ذكره تلميذه ابن القاضي في لقط الفرائد. وقد توفي سنة 995هـ/1587م. من تصانيفه: الحاشية الصغرى على شرح كبرى السنوسي. ينظر: ابن القاضي، لقط الفرائد، ج2، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ص: 945.

3- **الشيعة:** ظهر مذهب الشيعة أواخر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونما وترعرع زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد التحكيم في صفين سنة 37هـ. ينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص: 33.

4- **الخوارج:** فرقة ظهرت بعد التحكيم في الصفين سنة 37هـ، وهي الفرقة التي لم ترض بقبول علي رضي الله عنه بالتحكيم. ينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص: 56.

5- **المرجئة:** وهي الفرقة التي وقفت موقفا حياديا بعد الصفين سنة 37هـ، فلم تنحز لصف علي ولا لصف معاوية رضي الله عنهما. ينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص: 118.

6- **النجارية:** هم أتباع الحسين بن محمد النجار، وقد كانوا على رأي القدرية في نفي العلم عن الله تعالى وقدرته وسائر صفاته الأزلية. ينظر: البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1995، ص ص: 207-208.

7- **الجبرية:** هي فرقة نفت الفعل حقيقة عن العبد وأضافته إلى الربّ، وقالت بأن العبد لا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة ولا إرادة ولا اختيار. أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص: 98.

8- **المشبّهة:** وهو صنفان؛ صنف شبّه ذات الباري عزّ وجلّ بذات غيره، وصنف آخر شبّهوا صفاته بصفات غيره. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص: 225.

9- الصافات، الآية 173.

10- **المقري تـ(1041هـ/1631م):** أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى أبو العباس. ولد ونشأ في مقرة بتلمسان، وانتقل إلى فاس فكان خطيبها والقاضي بها، ومنها إلى القاهرة؛ وتنقل في الديار المصرية والشامية والحجازية، وتوفي بمصر ودفن في مقبرة المجاورين. من تصانيفه: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ونفح الطيب. ينظر: المقري أبو العباس أحمد، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، الجزائر: مكتبة الرشاد، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بجامعة وهران، 2004، ص ص: 5-8.

11- المقري، أزهار الرياض، ج3، مطبوع سنة 1942، ص: 305.

بالأشعرية والأشاعرة. فهم من ذرية أبي موسى الأشعري الصحابي المعلوم، الذي روى حديث التبشير بالجنة للخلفاء الثلاثة يوم البئر[1]، حيث كان حاجبا يومئذ للنبي صلى الله عليه وسلم. فرَضِي الله عن الأشاعرة وأماتنا على معتقدهم.

[مؤلفات أبي الحسن الأشعري ومناقبه]: ولأبي/و**70**ظ/ الحسن الأشعري تآليف عديدة[2] في عقائد أهل السنة والانتصار لهم، يقال بلغت ثلاثمائة وثمانين وأزيد[3]. وألّف كتاب «المختزن في التفسير»[4] في أربعمائة سِفر، وعدّه عياض في «المدارك» من المالكية، والسبكي في «طبقاته» من الشافعية، وردّ على مَن قال أنه مالكي[5]. ويقال إنّه صلّى الفجر بوضوء العشاء عشر سنين[6]. وألّف ابن عساكر في مناقبه مجلدا[7]، وقال التاج ابن السبكي: "ونرى أن أبا الحسن إمام في السنّة مقدّم"[8]. قال المحلي: ولا التفات إلى من تكلّم فيه بما هو بريء منه، ولد سنة ستين أو سبعين ومائتين بالبصرة، وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة ببغداد[9]، ودفن بين الكرخ[10] وباب البصرة[11].

1- الحديث صحيح؛ رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ونصه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فِي حَائِطٍ بِالْمَدِينَةِ عَلَى قُفِّ الْبِئْرِ فَمَدَّ رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ فَدَقَّ الْبَابَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ائذن لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ). والحديث بطوله موجود في البخاري ومسلم في كتاب فضائل الصحابة. ينظر: صحيح البخاري، حديث رقم: 7097، ص: 977. صحيح مسلم، حديث رقم: 4203، ص: 1127.

2- جاء على هامش المخطوط: "قف: ألّف الأشعري في عقائد أهل السنّة تآليف عديدة بلغت 380".

3- تؤكد المصادر التاريخية أن مؤلفات أبي الحسن الأشعري قد جاوزت الثلاثمائة مؤلّف. بينما ذكر ابن حزم الأندلسي أن له خمسة وخمسون مصنّفا على ما ذكره ابن خلكان. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 285. الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 263.

4- ابن عساكر الدمشقي أبو القاسم علي بن الحسن، تنبيه كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دمشق: مطبعة التوفيق، 1928، ص: 117.

5- السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص: 352.

6- المصدر نفسه، ج3، ص: 351. وهي فيه عشرون سنة.

7- يقصد كتاب: تنبيه كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر الدمشقي.

8- السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص: 352.

9- ورد اختلاف في تاريخ ميلاده ووفاته. فمنهم من يرى أنه ولد سنة 260هـ، ومنهم من قال سنة 270هـ. أما وفاته فقد اختلف فيها كذلك. فذكر ابن خلكان أنها سنة 324هـ أو 330هـ. كما أورد ابن الجوزي تاريخا آخر لوفاته وهو سنة 331 هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 285. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص: 29.

10- **الكرخ:** مدينة صغيرة عامرة بشرقي دجلة في الجانب الغربي من بغداد. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ص: 490-491.

11- **البصرة:** مدينة بالعراق بنيت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة أربع عشرة، واختطّ عتبة بن غزوان المنازل بها وبنى مسجداً من قصب. ويقال: بل كان ذلك سنة سبع عشرة، وعتبة أول من اختطها ونزلها في ثمانمائة رجل. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 105.

[الرد على اتهام الكنسوسي للجيلاني بفساد الاعتقاد]: وقول الكنسوسي: إن الشيخ عبد القادر الجيلاني من أهل الاعتقاد الفاسد، وهو حنبلي المذهب[1]. طعْنٌ فيه وفي مذهبه، أدّاه إلى التضليل والعياذ بالله، ولو نَظَرَ نَظْرَ ماهرٍ منصف، لوجد الأشاعرة بُرآء ممّا رماهم به من فساد الاعتقاد، كما أن الحنابلة ومنهم الشيخ عبد القادر بُرآء مما رُموا به.

[ذكر أبي سالم العياشي]: قال أبو سالم[2] في «رحلته» التي قال العلامة المسناوي[3] فيها: "إنّها جمّة الفوائد[4] عذبة الموارد، غزيرة النّفع قليلة الشفع، جليلة القدر، جامعة بين المسائل العلمية المتنوعة، لِما يَفُوتُ الحصر، سَلِسَة المساق والعبارة، مليحة التصريح والإشارة"[5]. وقال غيره: هي من مصنفاته العجيبة ومؤلفاته الغريبة، رحلة منسوجة على مناول الأسفار أبهى حلّة، وفي جبهة دُهَم هذه الدهور غمرة، سائرة ولا كالشمس في الأقطار، واستطار صيتها في القرى والأمصار. كما قال فيها بعضهم من أبيات: [الطويل]

وقد لقَطَتْ من كل علم عجيبَه ** ومن حُلل الأخبار أعذبَ حلّة
ومن نُتَف الأشعار ما ليس بعدها ** مرامٌ ففات المثل في غير مُثلة
ومن طُرَف البلدان أنفسُ طُرفة ** ومن جمل الأخبار أجمع جملة
ومن سِيَرِ الإخوان أحسن سيرة ** ومِن أحسن الأخلاق أجود خصلة
وطار[6] لها صيتٌ يطيب استماعه ** ودارت بأفق الحسن فوق الأهلّة

"ولقد أحسن شيخنا[7] رضي الله عنه بالتوفيق بين/و**71**و/كلام الحنابلة وكلام الأشاعرة، وبرّأهم من كثير ممّا نَسب إليهم متأخروا الأشعرية. كما أنّ الأشعرية مبرّؤون مما نَسَبَ إليهم

1- جاء على هامش المخطوط: "قف: قولة الكنسوسي هذه تجاوزت الطعن إلى المذهب الحنبلي".

2- **العياشي (1037-1090هـ/1627-1679م):** عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو سالم؛ فاضل من أهل فاس. اشتهر برحلته الموسومة بماء الموائد أو الرحلة العياشية. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1622- 1629. الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص: 832.

3- **محمد بن أحمد بن المسناوي (1072-1136هـ/1661-1724م):** بن محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الدلائي، فقيه مالكي من علماء المغرب. من مصنفاته: نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق، جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر. ينظر: الحضيكي محمد بن أحمد، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، ج1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2006، ص: 362. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج3، ص ص: 59-61.

4- جاء على هامش المخطوط: "قف: على مدح المسناوي لرحلة العياشي".

5- المسناوي، جهد المقل، و5ظ. وقد ورد القول عند الكتاني كذلك. ينظر: الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص: 833.

6- "وطاب" في (ب) وهو تحريف.

7- يقصد العياشي.

الحنابلة منَ التّعطيل والتحريف لكلام الله عن مواضعه، والكـلّ علـى هُـدًى إنْ شـاء الله، يتمذهبون بمذاهب أهل السنة والجماعة، يُصدّق كلام بعضهم بعضا، ويصدِّقون كلّهم بكـلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو مصدِّقُهم.

وإن اختلفوا في التأويل والتفويض، فَهُمَا طريقان مسلوكان منتهجان منسوبان معا لأهل السنّة والجماعة، وإنْ كَثُرَ التفويض مِن عند السلف لعدم احتياجهم إلى التأويل، بظهور أهـل الأهواء المتمسّكين بمُتشابه الآيات والأخبار، الحاملين لها على قبيح أرائهم. فتعيّن علـى أهـل السنّة والجماعة المناضلين عنِ الاعتقاد الحقّ، تأويلَها على ما يوافق الحقّ، ليُبطل تمسُّك المبتدعـة بها. و لم يقل أحد من الأشعرية بوجوب التأويل، وأنه لا يجوز الإيمان بالمتشابه من القرآن علـى ما هو عليه، بل يستحبّ التأويل للغرض المذكور[1]. انتهى كلام الرحلة بعضه باللفظ وبعضـه بالمعنى"[2].

فإن اعتُمد على أنّ الشيخ عبد القادر فَسُدَ اعتقاده بمجرد كونه حنبليا، فلا نسـلّم أنّ معتَقَد الحنابلة فاسدٌ وإنْ زَعَمَهُ كثير من المخالفين لهم في المذهب. مثلا بدليل مـا في الرحلـة العياشية لأبي سالم عن شيخه العلامة النظار المحقق، الشيخ إبراهيم الكردي[3] من قولـه/و**71**ظ/ "قال لي: لما أمعنتُ النظر في رسائل القوم -يعني الحنابلة ومصنفاتهم- وجدتُهم بُرآء مِن كثير مما رماهم به أصحابنا الشافعية من التجسيم والتشبيه، وإنما القوم متمسّكون بمذهب كُبراء المحدّثين كما هو معروف مِن مذهب إمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه، مِن إبقاء الآيات والأحاديث على ظاهرها والإيمان بها، كذلك مفوِّضين فيما أشكل معناه، وهذا لا يذمّه أحدٌ من الأشعرية. غير أن الحنابلة مُشدّدون في ردّ التأويل، مُجهِّلون مَن يذهبُ إليه من جهة عدم وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة"[4] إلى آخره[5].

1- العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية، حققها وقدم لها: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ج1، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص: 573.

2- المسناوي، جهد المقل، و3ظ.

3- **الكردي**: أبو إسحاق إبراهيم بن حسن الكوراني الكردي، فقيه متصوف جاور بالمدينة وتوفي بها عام 1101هـ/1690م، له مؤلفات كثيرة أثارت جدلا واسعا بين العلماء والفقهاء. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 237.

4- العياشي، الرحلة، ج1، ص: 571.

5- الكلام كله منقول عن المسناوي. ينظر: المسناوي، جهد المقل، و48ظ.

[رأي المشرفي فيما لحرقه العياشي]: "وإن سلّمنا أن ذلك الاعتقاد فيهم، لا نسلّم الحُكم بذلك على الجملة والجنسِ كلِّهم، حتى يلزمَ عند مَن ذُكِر مِن نسبةِ الواحد بمجرد كونه منهم، إلى ذلك المعتقد المقُول عنهم، لِمَا لا يخفى على العارف المُنصِف مِن أنّ القوم كغيرهم فيهم الفاضل والمفضول، والعالم والجهول، والناقص القاصر، والكامل الماهر"[1]. "وقد سبق كلام السبكي والبكي[2]، تخصيص ذلك المذهب بمن هو مِن رِعاعهم وجهالة أتباعهم، دون الأئمة القادة والعلماء الأجلّة منهم، وأنّ فساد الاعتقاد موجود في رعاع سائر المذاهب، وإنِ اختُلِفت فيه بالقلّة والكثرة، فلا خصوصية لهؤلاء به عن غيرهم، ففي كل واد بَنُو سعد[3].

ولا تحسبًا هنداً لها القدْرُ وحدها ** سجيّةُ[4] نفسٍ كلُّ غانية هندُ[5]

/و72و/ونحن وإن سلّمنا أيضا صحة ذلك الحكم السابق، وعمومه للسابق منهم واللاّحق، وفرَضنا وقوع هذه الحال كما يفرض وقوع المحال، لا نسلّم تناول ذلك لهذا الشيخ وأمثاله من كبراء العلماء العارفين، ذوي التبحر في علوم الشريعة، والرسوخ في مقامات اليقين، لِما هو معلوم منْ نصوص كبراء الأئمة، الدّالة على خروج هؤلاء عن دائرة التقليد لغير الشارع عليه السلام. وخلوصهم من رِبقته في الأحكام الشرعية العملية، التي هي محضُ نقلٍ ووظيفةُ غالبِ الناس فيها، إنما هو التقليد لمن يختارونه مِن أئمة المذاهب المتبوعة، لعُسر الاجتهاد وجواز التقليد فيها. فكيف بالعقائد العلمية التي هي معقولٌ ومفهومٌ، والتقليد فيها مرجوحٌ أو مذمومٌ، وإنما يرضى به فيها ضَعَفَة العوام، الذين لا أهلية فيهم لنظر خاص ولا عام، وإذا خرج عن تقليد ذلك المذهب، والتزام ربقته حتى في الفروع والأعمال، لم يلزم بالأَحْرَوِيَة أن يحكم عليه بما حكم به على أهله في الأصول والعقائد، على تقدير صحته بوجهٍ ولا بحال"[6].

"وأيضا لو سلّمنا عدم خروجه عنه في الأعمال والفروع، لا نسلّم ذلك في العقائد والأصول، لِما أشرنا إليه مِن الفَرْق بينهما، ولِما تقرر وسُلِّمَ لدى الكافة من شهير ولايته،

1- المسناوي، جهد المقل، و10و-و10ظ.

2- يقصد أبو عبد الله محمد بن قاسم البكي التونسي. ينظر: المصدر نفسه، و11و.

3- مثل يضرب لاستواء القوم في الشر والمكروه، وهو للأضبط بن قُرَيع السعدي الشاعر الجاهلي القديم، أساء قومه إليه فانتقل عنهم إلى آخرين ففعلوا كالأولين فقال: بكل واد بنو سعد؛ يعني قومه. ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص: 54.

4- **السجية**: الطبيعة من غير تكلّف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص: 1948.

5- البيت من بحر الطويل وهو لأبي تمام الطائي. ينظر: أبو تمام الطائي، الديوان، ص: 60.

6- المسناوي، جهد المقل، و49ظ-و50و.

وعلوّ مرتبته ومكانته، وشفوفٍ على قدره على جميع أهل عصره. وذلك نتيجة كمال العرفان/و**72**ظ/ الذي هو نتيجة مقام الشهود والعيان، الفائق بكثيرٍ لما يُستفاد بالنظر من الدليل والبرهان، حتى كانت نسبة أرباب الشهود إلى أهل الدليل، كنسبة البُصَرَاء إلى العُمْيَان، ولِمَا عُلم أيضا وشاع مِن الكرامات العظام، التي كانت تظهر على يده دائما، ونُقلت بالتواتر حتى تَحقّقها، كالحاضر لها مَن كان عنها غائبا. وكيف بجامع كلام العرفان، شيئا من عقائد أهل الزيغ والخذلان. وصاحب هذا المقام قد انجلت له الحقائق على وجهها، و لم تلتبس عليه الطرائق بشُبهها، وصارت له وصفا وحالا، ما لم يحصل للمتكلم الصّرف الاعتقاد أو مقالا، أم كيف تظهر تلك الخوارق العظيمة على من كانت عقيدته سقيمة، وهذا محال في القياس بديع"[1].

وقد تلمّح الكنسوسي نقل "ابن مغيزِل في كتابه «الكواكب الزاهرة»[2]، مِن أنّ الإمام عفيف الدين اليافعي[3]، قال في كتابه «نشر المحاسن»[4]: أنه قد اشتهر عن الشيخ الإمام الشهير، العارف الكبير سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، أنه كان معتقدا للجهة في حقه تعالى. قال اليافعي: وقد استُغرب هذا منه، وعُدَّ شاذا في ذلك عن أئمة المشرق[5]. كما عُدَّ الإمام ابن عبد البرّ رحمه الله، شاذّا في ذلك عن أئمة المغرب. لكن أخبرني الشيخ الكبير، العارف الشهير نجم الدين الأصبهاني رضي الله عنه، أنه رجع آخِرًا عما كان يعتقده أولا/و**73**و/ قال: وهذا الشيخ الأصبهاني كان العراق له وطنا، وكان مِن أهل الكشف والنور، أخبرني بالرجوع عن الاعتقاد المذكور غير واحد من أصحابه، ممّن لا أشكّ في صدقهم"[6]. "ثم قال اليافعي بعد أن ساق كلامه في العقائد: فهذا كلامه رضي الله عنه، محتويا على التوحيد والتّنزيه، مصرِّحا بنفي

1- المسناوي، جهد المقل، و50و.

2- هو كتاب: "الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء بسيد الدنيا والآخرة" لعبد القادر بن الحسين بن علي أبو الفضل الشاذلي المعروف بابن مغيزل وقد فرغ منه سنة 894هـ.

3- **اليافعي (698-768هـ/1298-1367م):** عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي عفيف الدين؛ مؤرخ متصوف من شافعية اليمن. مولده ومنشؤه في عدن ووفاته بمكة. من كتبه: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ونشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 72.

4- هو كتاب: نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 72.

5- جاء على هامش المخطوط: "قف: على من عُدّ شاذا عن أئمة المشرق وأئمة المغرب، واستُغربت منه هذه القولة".

6- المسناوي، جهد المقل، و50ظ.

التجسيم والتشبيه، مُفصِحًا بكون الحق تعالى لم ينتقل إلى مكان، ولم يتغير عما عليه كان. انتهى ما نقله ابن مغيزل على تصحيف فيه"[1].

ولعلّه تلمّح[2] أيضا ما في "«طبقات الحنابلة» للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الشهير بابن رجب البغدادي الحنبلي[3]. فقد ذكر في ترجمة الشيخ عبد القادر[4]، أن له كتاب «الغنية لطالبي طريق الحق والمنية»، قال: وهو معروف، وكتاب «فتح الغيب»، وأنه كان متمسكا في مسائل الصفات والقدَر ونحوهما بالسنّة، مُبالغا في الردّ على من خالفها.

ثم نقل بعض كلامه في «الغنية» فقال: قال في كتاب الغنية[5]: وهو تعالى بجهة العلو مستوٍ على العرش؛ محتوٍ على المُلك يحيط علمُه بالأشياء ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[6]، ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾[7]. ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال إنّه في السماء على العرش، كما قال: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[8]. وذكر آيات وأحاديث/و73ظ/ إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش. قال: وكونه على العرش مذكورٌ في كل كتاب أُنزل على كل نبي أُرسل بلا كيف، وذكر كلاما طويلا، وذكر نحو هذا في سائر الصفات[9]، انتهى كلام ابن رجب"[10].

[**ردّ المسناوي على ابن مغيزل**]: قال المسناوي في «جهد المقل القاصر»: "وما نقله[11] من كلام الشيخ في كتاب «الغنية»، يوهم صحة ما ذكر اليافعي فوقه من الاعتقاد

1- المسناوي، جهد المقل، و50ظ.

2- جاء على هامش المخطوط: "قف: على قول الشيخ في غنيته الذي تلمّحه الكنسوس".

3- **ابن رجب (736-795هـ/1335-1393م):** عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي، حافظ للحديث من علماء الحنابلة. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه: جامع العلوم والحكم، وذيل طبقات الحنابلة. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 295.

4- ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج2، ص ص: 198-199.

5- الجيلاني عبد القادر، الغنية لطالبي طريق الحق، حققه وعلق عليه: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه: حسان عبد المنان، ج1، بيروت: دار الجيل، ط1، 1999، ص: 151.

6- فاطر، الآية 10.

7- السجدة، الآية 05.

8- طه، الآية 05.

9- ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج2، ص ص: 199-200.

10- المسناوي، جهد المقل، و50ظ-و51و.

11- يقصد ابن مغيزل.

المذكور، بل يكاد يكون صريحا فيه، ومَن أحاط[1] علما بما قدّمناه، لم يُشْكَل عليه هـذا ولا في معناه، لعِلْمِهِ بما لا يليق من المعاني حمْلُه عليه، وما يتعيّن من التأويلات ردّه إليه، مما يناسب جلالة الشيخ الطاهرة ومعارفه الباهرة. ومما نزيده تقريرا وشرحا ونذْكُر ما تَجدّد لنا فيه فهْماً وفتحا فنقول: أما ما ذكره اليافعي مِن شهرة الاعتقاد المذكور عنه، فلَنَا في الكلام عليه مأخذان: الأول في تضعيفه وتوهينه؛ والثاني في توجيهه على تقدير تسليمه"[2].

"فأما توهينه: فمن جهةٍ أنه لم يُروَ بسندٍ متّصل على الثقاة، وإنما هو من الحكايات المنقطعة السند المتلفّقة على الألسنة، من غير علمٍ بتحقيق أصلها، ولا خبرةٍ بأحوال روّاتها. وكم مِثْلَها من مسائل الاعتقاد نُقل واشتُهر عن أكابر الأئمة كالقاضي أبي بكر الباقلاني، والأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني[3]، وإمام الحرمين وغيرهم من أكابر محققي أئمة الكلام، فلم يقدح ذلك عند العلماء/و74و/ في مناصبهم العليّة، ولا نقَص شيء من أقدارهم الرفيعة، بل زيّفوه ولم يقبلوه. وعلى فرض صحته تأوّلوه، لِعلْمِهِم بجلالة مَن نقل ذلك عنه علما ودينا، ونزاهته عن القول به أو بما يتبادر من ظاهره.

ويرحم الله الشيخ أبا عبد الله السنوسي[4]، إذ قال في فصل الوحدانية من «شرح كبراه»[5]، بعد حكايته ما نُقل عن الأئمة المذكورين في تأثير القدرة الحادثة: ولقد ابتُلينا بأقوال باطلة تُنسَب لأئمة السنّة، والله تعالى يعلم هل صدرت منهم [أم لا. وعلى تقدير صدورها فعلى أيّ وجهٍ صدرت منهم][6]، وهو سبحانه حسيبُ مَن ينقلُ مثل ذلك، ولا يدفعها عمّن لا تليق به إن أمكنه ذلك، انتهى بمعناه"[7].

1- "أحاطه" في (ب) وهو تحريف.

2- المسناوي، جهد المقل، و50ظ.

3- **الإسفراييني**: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الأصولي الشافعي. أحد المجتهدين في عصره. توفي بنيسابور يوم عاشوراء من سنة 418هـ/1027م. ينظر: الذهبي، السير، ج17، ص ص: 353-354. السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص ص: 256-262.

4- **السنوسي (832-895هـ/1428-1490م)**: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب، عالم تلمسان في عصره وصالحها. له تصانيف كثيرة منها: عقيدة أهل التوحيد ويسمى العقيدة الكبرى، وأم البراهين ويسمى العقيدة الصغرى. ينظر: ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، الرباط، 1973، ص: 121. ابن مريم، البستان، ص: 237.

5- اليوسي الحسن بن مسعود، حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي المسماة عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، تقديم وتحقيق وفهرسة: حميد حماني اليوسي، الدار البيضاء: دار الفرقان للنشر الحديث، ط1، 2008، ص: 146.

6- ساقطة من (ب).

7- المسناوي، جهد المقل، و50ظ.

"وأما توجيهه على تقدير ثبوته، فإما مع إبقائه على ظاهره وإما مع تأويله. فعلى الأول نقول: لعلّ ذلك كان منه في أوائل العمر، ومبادئ الطلب قبل التمكن والرسوخ في العلم والعرفان. فإنه رحل من جيلان[1] إلى بغداد لطلب العلم وهو ابن نحو ثمانَ عشرة سنة. ولا يخفى أنه لا يحصل من العلم في ذلك السنّ وما قاربه لغالب الناس إلا الترر اليسير، ولا سيما علم العقائد الذي هو أغمضُ علمٍ وأعسرُ عسير، وخصوصا نفي الجهة في حقّه تعالى، فإنه عسير التعقّل جدا، لأنّ الإنسان طول عمره لا يَرى ولا يُدرك موجودا إلا وهو في جهة. فاعتقاد موجود [ليس في جهة][2] لا يحصل إلا بعد معرفة دليل[3]، ذلك من العقل/و74ظ/ والنّقل. وإنما تحصل معرفته عادة بعد الترعرع في العلم ومزيدِ التبصر فيه، ولذلك لما ترقّى عن تلك الدرجة السفلى في الطلب، رجع إلى الصواب الذي قاده إليه الدليل، وإن قصُرت عن دركه الألباب"[4].

"وعلى الثاني نقول: تأويله ما ذكره البكّي والإمام السنوسي، وما نقله القاضي عياض أنّ دهماء المحدّثين والفقهاء على الجهة، فليس معناه ما قام القاطع بخلافه إلى آخره. وقول الثاني: وما يوجد في بعض التآليف من تلطيخ بعض السلف به، فَفَاسِدٌ لا يُلتفت إليه، إلى آخره. ويكون معنى ما ذكر من الرُّجوع على أنّ هذا إنْ صحّ، أنّه رجع عما كان عليه من وجوب التفويض في متشابه الكتاب والسنّة، ومَنْع تأويله الذي هو مذهب الحنابلة، كما قدمنا القول بجواز التأويل فيه، الذي هو مذهب غيرهم من الأشاعرة، فتوهّم عليه أنّ السكوت على تأويل نحو ﴿**عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[5] و﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾[6] وحديث السوداء[7]، أو وقوع مثل ذلك في كلامه، كالذي نقلناه من كتاب «الغنية»، قولٌ بظاهرها من الجهة، وأنّ الرجوع إلى التأويل رجوع عن القول بها، وكل ذلك لم يكن.

وكم من عائب ليلى ولم ير وجهها ** فقال له الحرمان حسبك يا فتى[8]"[9]

1- **جيلاَن**: بالكسر، اسم لبلاد كثيرة من وراءِ بلاد طبرستان. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 201.

2- ساقطة من (ب).

3- ساقطة من (ب).

4- المسناوي، جهد المقل، و51ظ.

5- طه، الآية 05.

6- النحل، الآية 50.

7- حديث السوداء رواه مسلم؛ وصححه الألباني. ينظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، ص: 985. وسيأتي ذكره.

8- البيت لم نهتد لقائله، وهو من بحر الطويل.

9- المسناوي، جهد المقل، و11ظ وَ و51ظ.

"وأما كلامه في كتاب «الغنية» الموهم لصحة ما قيل عنه، فلا إشكال فيه أيضا عند التأمّل، ولا مقتضى فيه لصحة القِيلِ المذكور بوجه عند التحقيق. لأن قوله فيه وهو تعالى بجهة العلوّ بمنزلة قوله تعالى/و75و/﴿**وهو القاهر فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾[1] وقوله: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾[2]، لأن الفوقية في لغة العرب التي جاء القرآن بها هي جهة العلوّ، فهو تفسير بما هو معنى اللفظ لغةً، وإن استحال ظاهره عقلا، فيجري فيه الرأيان من التفويض والتأويل. وقوله: بل يقال إنه في السماء بمنزلة قوله: ﴿**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ**﴾[3]، وبمنزلة ما ورد في السنّة من قوله عليه السلام للسوداء: أين الله؟ فأشارت نحو السماء، فقال لسيّدها: أعتِقها فإنها مؤمنة[4]، فيجري فيه أيضا ما جرى في ذلك من الرأيين المذكورين"[5].

"وقد تقدم في كلام ابن رجب، أن الشيخ استشهد على ما قال بآيات وأحاديث، ولعلّ[6] ما استشهدنا به له بعضٌ من ذلك. وقوله: ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، أي أنه لفظ موهم و لم يرد عن الشارع، والموهم غير الوارد عنه يمتنع إطلاقه في حقه تعالى، وهذا هو الفرق بينه وبين ما بعده، لأن ما بعده وإنْ كان موهما أيضا قد ورد كما قدّمنا"[7]. "نعم، إذا قُيّد ذلك بالعِلْم، جاز كما في قول ابن أبي زيد في «الرسالة»[8]: وهو في كل مكان بعلمه. لعدم الإيهام حينئذ، وشاهده قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾[9] وقوله:﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾[10]. لأن سياق الآيتين في بيان/و75ظ/ إحاطة علمه تعالى، فهو دال عليه معنىً وإن لم يقع التقييد به لفظا.

1- الأنعام، الآية 18، الآية 61.

2- النحل، الآية 50.

3- الملك، الآية 16.

4- رواه مسلم؛ وصححه الألباني. ينظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، ص: 985.

5- المسناوي، جهد المقل، و51ظ-و52و.

6- "ولعلّنا" في (ب) وهو تحريف.

7- المسناوي، جهد المقل، و52و.

8- أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد الوارث محمد علي، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ص: 76.

9- الحديد، الآية 04.

10- المجادلة، الآية 07.

وقوله: "وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، أي بل مع التفويض بعد التنزيه عن المعنى المحال، وهو الاستقرار المعهود في الأجسام، بدليل قوله بعده: بلا كيف. وقولـه: وأنـه استواء الذات هو بمنزلة قول ابن أبي زيد في «الرسالة»[1]: وأنه فوق عرشه المجيد بذاته. فيقال في هذا ما قيل في ذلك ما هو[2] معلوم"[3].

"والحاصل أنه رضي الله عنه متّبع في كلامه وعبارته، لِمَا ورد كتابًا وسنّةً مِن مُحْكَـمٍ وتَشَابُهٍ باللفظ أو بالمعنى، على عادة كبراء المحدثين كالإمام أحمد وأضرابه، لما أنَّ أصلهم ثبوت المعتقدات من السمع كما سبق في كلام السبكي. فيقال فيه ما قيل فيهما وليس فيه شيء موهم غير واقع فيهما، حتى يتوهّم عليه الخروج في العقيدة عنهما، حاشاه من ذلك. فـالعلم أغـزرُ والمعارف أوفر، وقد صارت المسألة والحمد لله شمس نهار، واندفع عن جانبه العلي ما عسى أنْ يُتوهَّم عليه مما لا يليق بالصغار، فضلا عن أمثاله الكبار، لشواهد الأحوال الواضحة، وأنـوار العرفان اللائحة:

ومن قال إنّ الشهب أَكْبَرُها السُّهَى[4] ** لغـيرٍ دليـل كذّبتـه ذُكـاء[5]"[6]

حاصله: أنّ هذا الذي نَسَبَ للشيخ عبد القادر والأشاعرة، ما لا ينبغي لهم ممّا يجـب كَتْمُهُ، هو من العلماء المغرورين بما أوتوا مِنْ فهم الظاهر/و76و/ حتى أنكروا ذلك وأعرضـوا بحكم ذلك الغرور عما وراء مفهومهم.

[رأي المشرفي في عقيدة الجيلاني والأشاعرة]: وأما الشيخ عبد القادر والأشاعرة[7]، فالظن الجميل بهم أنهم مبرّؤون من ذلك الذي رُموا به، ولقد ضاقت عليه العبارة عن حقـائق

1- ابن مهنا، الفواكه الدواني، ج1، ص ص: 75-76.

2- "فهو" في (ب) وهو تحريف.

3- المسناوي، جهد المقل، و52و.

4- **السُّهى:** نجم خفيّ في نجوم بنات نَعْش. ينظر: ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن، كتاب جمهرة اللغة، حققه وقدم له: رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1987، ص: 1075.

5- **ذُكاء:** الشمس. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 818. والبيت من بحر الطويل ولم نهتد لقائله. وقد ورد في صبح الأعشى بدون نسبة. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص: 237.

6- المسناوي، جهد المقل، و52و. وفي هذا الموضع ينتهي النقل الحرفي من جهد المقل.

7- جاء على هامش المخطوط: "وكيف لا والإمام الأشعري رضي الله عنه قد أفنى عمره في مناضلة أهل الأهواء والردّ عليهم حتى لقّب بذلك، وله تفسير في خمسمائة مجلد كما للشيخ. راجع سيدي الشيخ مرتضى الحسيني على إحياء الغزالي في سفره الثاني في كتاب قواعد العناية، ففيه ما يثلج صدرك ويطلع به في سماء المجادلة بدرُك. وأما الشيخ الجيلاني فقد ذكر غير واحد أن مقامه في العلوم أكبر من ابن عرفة نفع الله بجميعهم". والخط الذي كتبت هذه الطرّة ليس خط صاحب المخطوط.

صرائح العلم، فأتى بعبارات مهمّة، هذا معتقدنا فيه وفيهم وعند الله الموعد. وقد تكلم أثير الدين أبو حيان[1]، وبرهان الدين البقاعي[2] في جماعة من المتصوفة، منهم ابن (سبعين[3])[4] المكي [ثمّ الغافقي][5]، وتلميذه الششتُري[6]، ورموهم بالحلول الذي هو كفر. فقال بعضهم: ولا التفات إلى كلام أبي حيان فيهم في نصره، والبرهان البقاعي في تأليفه في ابن الفارض[7]، وأشباههما من أهل العلم الظاهر الصِّرف. فإنهم لم يشموا لطريق القوم رائحة حتى يعرفوا أحوالهم ويفهموا مقاصدهم، وإنّما يُرجع في كل صناعة إلى أهلها وذوي الخبرة بها. فأين هو من مقام هذين الشيخين الجليلين، فما أظنه يموت على حُسن الخاتمة، نعوذ بالله من الطعن في أولياء الله. ولا يُغتَرّ[8] بشيخ الإسلام عزّ الدين بن عبد السلام[9]، ففي بعض التأليف[10] للعارفين بالله: كان "الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام يقول: ما وَصَلَتْ إلينا كرامات أحد بطريق التواتر، مثل ما وصلت إلينا كرامات الشيخ عبد القادر الجيلاني[11]، فقيل له: ما عُرِفَ مِن اعتقاده في المسائل

1- **أبو حيان النحوي (654-745هـ/1256-1344م):** الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي. ولد في إحدى جهات غرناطة ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها بعد أن كفّ بصره. واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه ومنها: البحر المحيط. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 535. الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 152.

2- **البقاعي (809-885هـ/1406-1480م):** إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط بن علي بن أبي بكر. مؤرخ أديب أصله من البقاع في سورية؛ توفي بدمشق. من تصانيفه: عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص: 101.

3- **ابن سبعين(613-669هـ/1216-1270م):** أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر، الشهير بابن سبعين، العكي المرسي الأندلسي. من القائلين بوحدة الوجود. من مؤلفاته: رسائل ابن سبعين. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج2، ص ص: 196-204.

4- "سعيد" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 187.

5- ساقطة من (ب).

6- **الششتري(610-668هـ/1213-1269م):** علي بن عبد الله النميري الششتري، متصوف فاضل أندلسي من أهل ششتر (من عمل وادي آش)، توفي بالقرب من دمياط ودفن فيها. من كتبه: العروة الوثقى. ينظر: المقري، النفح، ج2، ص: 185.

7- **ابن الفارض(576-632هـ/1181-1235م):** عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة. من أشعر المتصوفين. من آثاره: تائيته المشهورة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 454.

8- "يغر" في (ب) وهو تحريف.

9- **العز بن عبد السلام (577-660هـ/1181-1262م):** عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي. ولد ونشأ في دمشق وتوفي بالقاهرة. من كتبه: التفسير الكبير، والإلمام في أدلة الأحكام. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج8، ص: 209.

10- يقصد جهد المقل للمسناوي.

11- ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج2، ص: 192. المسناوي، جهد المقل، و1ظ.

التي يخالف فيها الحنابلة، والشيخ منهم الأشاعرة وابن عبد السلام منهم؟ فقال: نعم إذْ لازِمُ القول ليس بلازمٍ"[1] انتهى.

"ومعنى هذا الكلام أن يكون حصول/و76ظ/ الكرامات مع ما عُرف من اعتقاده، يعنى في المسائل التي خالف فيها الحنابلة، والشيخ منهم الأشاعرة مما ينحو منحى التجسيم والتشبيه المستلزم للحدوث في حقّه تعالى الذي القول به كفرٌ، فأجاب ابن عبد السلام: بأنهم وإن قالوا بذلك، فلا يقولون بما يلزم عنه مما هو كُفرٌ، لأن الحق إنْ لازم القول لا يعدّ قولا، أي فلا يمتنع ظهور الكرامات على القائل بشيء من ذلك"[2] انتهى. فقد كان يقول في الشيخ عبد القادر هذه القولة، ولا ينكر على الإمام محي الدين بن عربي الحاتمي كثيرا. فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي[3] رضي الله عنه، وعَرَفَ أحوال القوم صار يترجمهما بالعرفان والولاية[4] والقطبانية. انتهى من كلام المسناوي بلفظه.

[انتصار المشرفي للجيلاني وأدلّته في ذلك][5]: ولقد رماه هذا الإنسان، وما هو مِن أهل ذلك المضمار والشأن، ويحه عدوّ نفسه لقد طأطأ له الرؤوس أبناء جنسِه، وكان الأولياء العظام يتأدّبون معه. "حُكي عن الشيخ شهاب الدين السهروردي[6] قال: دخلت مع عمي أبي النجيب[7] في سنة ستين وخمسمائة[8] إلى الشيخ سيدي عبد القادر فتأدّب عمي معه، وجلس بين

1- المؤلف ينقل عن المسناوي بتصرف. ينظر: المسناوي، جهد المقل، و1ظ. نتيجة التحقيق في بعض أهل النسب الوثيق، مخطوط بمركز آل سعود، الدار البيضاء، رقم: 342، ص: 4.

2- المسناوي، جهد المقل، و1ظ.

3- **أبو الحسن الشاذلي**: علي بن عبد الله الحسني، من أقطاب التصوف. منشؤه بالمغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة قرية على القرب من تونس وإليها يُنسب. توفي في طريقه إلى الحج سنة 656هـ وخلفه على مشيخة الطريق أبو العباس المرسي. ينظر: ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، تحقيق: عبد الحليم محمود، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1999، ص ص: 75-90. الكوهن، طبقات الشاذلية، ص: 19.

4- **الولاية:** المقصود بها حصول الأنس بعد المكابدة، واعتناق الروح بعد المجاهدة، وحاصلها تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حسن الكائنات. ينظر: ابن عجيبة، التشوف، ص: 38.

5- المشرفي في انتصاره للجيلاني سينقل عدة فقرات عن صاحب بهجة الأسرار دون أن يشير إلى ذلك. والغريب ما في الأمر أن صاحب المخطوط راح ينقل فقرات طويلة من هذا الكتاب دون أن ينتبه إلى الطابع الخرافي الأسطوري الذي بنا عليه صاحب الكتاب مؤلّفه.

6- **شهاب الدين السهروردي(549-587هـ/1154-1191م):** ولد في سهرورد من قرى زنجان في العراق العجمي. أفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي وخنقه في سجنه بقلعة حلب. من كتبه: التلويحات و هياكل النور. ينظر: ابن خلكان، ج3، ص: 446.

7- **أبو النجيب السهروردي:** عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه، يرتفع نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد تقديرا سنة 490هـ/1097م، وتوفي سنة 563هـ/1168م. ينظر: ابن خلكان، ج3، ص: 204. السبكي، طبقات الشافعية، ج7، ص: 175.

8- الموافق لـ1165م.

يديه أُذُنًا بلا لسان. فلما رجعنا إلى النظامية[1] قلت له في ذلك، فقال: كيف لا أتأدّب معه وله الوجود التام، وقد صُرّف في وجود المُلك، وبُوهِيَ به في وجود الملكوت، وانفرد في عالم الكون بهذا الوقت. وكيف لا أتأدب مع من صرّفه مَالِكِي في قلبي/و77و/ وحالي، وفي قلوب الأولياء وأحوالهم، إنْ شاء أمسكها وإن شاء أرسلها"[2].

وحُكي عن الشيخ سيدي علي بن (الهيتي)[3] رضي الله عنه، أنه سئل عن الشيخ عبد القادر الجيلي قال: "كان على قدم الموافقة مع التبرّي من الحول والقوة، وطريقة تجريد التوحيد، وتوحيد التفريد مع الحضور، في[4] موقف العبودية بسرٍّ قائمٍ في مقام العَبْدِيَة، لا بشيء ولا لشيء. فكانت عبوديته مستمَدَّةٌ مِنْ لَحْظِ جمال الربوبية، فهو عبدٌ سما عن مصاحبة التفرقة إلى مطالعة الجمع مع أحكام الشرع"[5] انتهى. وقد تخرّج على يديه وبصحبته ما ينيف على مائة ألف.

وعن الشيخ علي الرفاعي[6] قال: "سمعت عمي الشيخ عبد الرحيم يقول: قدمتُ بغداد وحضرت الشيخ سيدي عبد القادر، وما هو عليه وما وصل إليه، فرأيت مِن حاله وفراغ قلبه وخلوّ سرّه ما أذهلني. فلما رجعتُ إلى خالي[7] الشيخ أحمد أخبرته بذلك عنه فقال: يا ولدي ومن يطيق مثل قوة الشيخ عبد القادر، وما هو عليه وما وصل إليه"[8].

وعن "أبي محمد الحسن قال: سمعت الشيخ علياً القرشي يقول لرجل: لو رأيتَ الشيخ عبد القادر، لرأيتَ رجلا فاتت قوته في (طريقه)[9] إلى ربه، قويٌّ أهل الطريق شدّة ولزوما.

1- **النظامية:** المدرسة التي أنشأها الوزير نظام الملك قوام الدين الطوسي ببغداد، وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغّب في العلم وأدرّ على الطلبة الصلات وأملى الحديث. شرع في عمارها سنة 457هـ. ينظر: الذهبي، السير، ج19، ص: 94، في ترجمة الوزير نظام الملك.

2- نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف أبي الفضل الشطنوفي الشافعي، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب القطب الرباني والغوث الصمداني والبحر الزاخر النوراني صاحب المقام العلي سيدي محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلي، تونس: مطبعة الدولة التونسية، 1885، ص ص: 337-338. ومن هذا الموضع سينقل المؤلف عن الشطنوفي عدة فقرات دون التنبيه على ذلك، وسننبه عليها في مواضعها.

3- "هيتا" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 121 وفي مواضع أخرى كثيرة.

4- ساقطة من (ب).

5- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 121.

6- **أبو العباس أحمد الرفاعي(500-578هـ/1107-1182م):** فقيه شافعي أصله من المغرب وسكن البطائح بالعراق بقرية يقال لها "أم عبيدة" بفتح العين. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 171. الكوهن، طبقات الشاذلية، ص: 76.

7- في بهجة الأسرار: "فلما رجعتُ إلى أم عبيدة أخبرت الشيخ خالي أحمد رضي الله عنه بذلك". ينظر: بهجة الأسرار، ص: 121.

8- المصدر نفسه، ص: 121.

9- "قوته" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ص: 122.

كانت طريقه[1] التوحيد وَصْفًا وحُكْمًا وحالا. وتحقيقه الشرع ظاهرا وباطنا، ووصفُه قلبٌ فارغٌ وكونٌ غائبٌ، ومشاهدةُ رَبٍّ حاضرٍ بسريرةٍ/و77ظ/ لا تتجاذبها الشكوك، وسرٌّ لا تُنازعه الأغيار، وقلبٌ لا يفارقه البقايا. فجعل الملكوت الأكبر من ورائه، والملك الأعظم تحت قدمه رضي الله عنه"[2].

"وعن أبي الفتح الهروي[3] قال: خدمت الشيخ سيدي عبد القادر أربعين سنة، وكان بمدّها يصلّي الصبح بوضوء العشاء، وكان إذا أحدث جدّد الوضوء وصلى ركعتين. وكان يصلي العشاء ويدخل خلوته ولا يدخلها أحد معه، ولا يخرج منها إلا بعد طلوع الفجر، وربما طرقه الخليفة بالليل مَرَامًا[4] لقصد الاجتماع، فلا يقدر عليه إلى الفجر"[5]. قال: "وبتّ عنده ليالِيَ، فكان يصلي أول الليل يسيرا، ثم يَذكُر إلى أن يمضي الثلث الأول يقول: (المحيط)[6]، الربّ، الرشيد، الشهيد، الحسيب، الفعّال، الخلاّق، الخالق، البارئ، المصور. فيتضاءل مدّة ويتعاظم أخرى، ويرتَفِع في الهواء إلى أن يغيب عن بصري مدة، ثمّ يصلي قائما على قدميه يتلو القرآن، إلى أن يذهب الثلث الثاني يباشر بوجهه الأرض، ثم يجلس متوجها مراقبا مشاهدا إلى قرب طلوع الفجر. ثم يأخذ في الدعاء والابتهال، ويغشاه نور يكاد يخطف الأبصار، إلى أَنْ يغيب فيه عن النظر. وكنتُ أسمع عنده: سلام عليكم؛ سلام عليكم؛ وهو يرد السلام إلى أنْ يقوم لصلاة الصبح"[7].

[ابتداء أمر عبد القادر الجيلاني]: وكان ابتداء أمره رضي الله عنه، على ما أَخبَرَ به عنه الشيخ علي بن الهيتي، قال: قال لي عبد القادر "كنت صغيرا في بلدنا، فخرجتُ/و78و/ إلى السواد في يوم عرفة وتَبِعْتُ بقرَ حِراثٍ، فالتفتت إلي بقرة وقالت لي: يا عبد القادر ما لهذا خُلقتَ ولا بهذا أُمرت. فرجعت فزعا إلى دارنا وطلعتُ إلى سطح الدار، فرأيت الناس واقفين

1- "طريقة" في (ب) وهو تصحيف.

2- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 122.

3- **الهروي**: أبو الفتح نصر بن أحمد بن إبراهيم الحنفي الهروي. خرّج له شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري فوائد في ثلاث مجلدات، وكان أسند من بقي ببلده وأزهدهم، توفي سنة 510هـ/1117م أو 511هـ/1118م. ينظر: الذهبي، السير، ج19، ص: 391.

4- ساقطة من (ب).

5- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 122.

6- "الحفيظ" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ص: 122.

7- نفسه، ص: 122.

بعرفات، فجئتُ إلى أمي وقلت لها: هِبِنِي لله عز وجلّ، وائذِنِي لي في المشي إلى بغداد، أشتغل بالعلم وأزور الصالحين. فسألتني عن ذلك فأخبرتها بخبري، فسكتت وقامت إلى ثمانين دينار ورّثها أبي، فتركت لأخي أربعين دينارا، وخاطت[1] في (دكتي)[2] تحت إبطي أربعين دينارا، وأذنَت لي في المسير وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي، وخرجَتْ مودّعة لي وقالت: يا ولدي اذهب فقد خرجتُ عنك لله عز وجلّ وهذا آخر العهد، بك لا تراني ولا أراك إلى يوم القيامة"[3].

"فسِرتُ مع قافلة صغيرة بقصد بغداد، فلما جاوزنا همدان وكنا بأرض قريتِكَ[4]، خرج علينا ستّون فارسا من القطّاع، فأخذوا القافلة و لم يتعرض لي أحد، فاجتازني أحدهم وقال لي: يا فقير ما معك؟ قلت أربعين دينارا. قال: وأين هي؟/و78ظ/ قلت: مخاطة في دلقي[5] تحت إبطي، فظنني أهزأ به وانصرف. ومرّ بي آخر وقال ما قال الأول وجاوبته بجواب الأول، وتركني وانصرف. وتوافيَا عند مُقدَّمهم وأخبراه بما سمعا مني فقال: عَلَيَّ به. قال فأين[6] هي؟ قلت مخاطة في دلقي تحت إبطي. ففتق فوجد الأربعين دينارا فقال: ما حملك على الاعتراف؟ قلت: إنّ أمي عاهدتني على الصدق، وإني لا أخون عهدها. فبكى مقدّم القوم وقال: أنت لا تخون وأنت اليوم كذا وكذا، أخون عهد ربي عز وجلّ فتاب على يديَّ. فقال له أصحابه: أنت كنتَ مقدَّمنا في قطع الطريق، وأنت الآن مقدّمنا في التوبة فتابوا كلّهم على يديَّ، وردّوا على القافلة ما أخذوا منهم، فهم أول من تاب على يديَّ"[7].

[كرامات الجيلاني][8]: "وعن الشيخ عثمان (الصريفيني)[9] قال: سمعتُ السيّد[10] عبد القادر يقول: كنتُ أجلس بالخراب بالليل والنهار، ولا آوي إلى بغداد. وكانت الشياطين تأتيني

1- و"أخاطت" في (ب) وهو تحريف.

2- "دلقي" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 125.

3- المصدر نفسه، ص ص: 124-125.

4- يقصد قرية علي بن الهيتي.

5- **الدلق**: ما يخبّأ فيه الشيء كالغمد ونحوه. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 293.

6- "أين" في (ب) وهو تحريف.

7- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 125.

8- المشرفي في ذكره لكرامات الجيلاني سينقل عن صاحب بهجة الأسرار دون أن يشير إلى ذلك.

9- "الصوفي" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 125.

10- "الشيخ" في (ب).

صفوفا صفوفا، رجالا وركبانا بأنواع السلام، في أزعج صور يقابلونني ويرمونني بشهب النار. فأجد في نفسي ثباتا لا يُعبَّر، وأسْمَع مخاطبا من باطني يقول: قم إليهم يا عبد القادر، فقد ثبّتناك تثبيتا وأيّدناك بنصرنا تأييدا. فما هو الآن إلاّ أن أنْهَضْ إليهم وأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فيحترق وأنا أنظر إليهم"[1].

"وأتاني مرة شخص كريه المنظر، مُنتن الريح وقال: أنا إبليس جئت لأخدمك فقد أعييتني وأعييت أتباعي. فقلت: اذهب، فأبى. فضربته ففاض في الأرض. ثم أتاني ثانية وبيده شهاب من نار/و79و/ يقابلني به، فأتى رجل متلثّم راكبا على فرس أشهب فناولني سيفا فنكص إبليس على عقبه. ثم رأيته مرة ثالثة جالسا بالبعد مني، وهو يبكي ويحثّ التراب على رأسه وقال: يئست منك. فقلت: اخسأ يا لعين فإني لا أزال حذرا منك، فقال: هذه أشدّ عليّ"[2].

"ثم كُشف لي عن أشراك كثيرة، ومصائد وحبائل فقلتُ: ما هذا؟ فقال: أشراك الدنيا التي أصيد بها مثلَك، فتوجهتُ في أمرها سنةً حتى انقطعَتْ كلّها، ثم كوشف لي عن أسباب كثيرة من كلّ جهة فقلتُ: ما هذا؟ فقيل لي: أسباب الخلق متّصلة بك، فتوجهتُ في أمرها سنة أخرى حتى انقطع جميعها وتخلّص منها قلبي"[3].

"ثم كُشف لي عن نفسي، فرأيت أدواءَها باقية وهواءها حيّا، وشيطانُها ماردا[4]. فتوجَّهْتُ في ذلك سنة أخرى، فبَرِئْتُ مِن داء النفس، ومات الهوى وأسلم الشيطان، فبقيتُ وحدي والوجود كلّه من خلفي، وما وصلْتُ إلى مطلوبي. فاجتُذبت إلى باب التوكل لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة/و79ظ/ فخرجْتُ، ثم اجتذبتُ إلى باب الشكر لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة فخرجْتُ. [ثم اجتُذبْتُ إلى باب التسليم لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة فخرجْتُ][5]، ثم اجتُذبْتُ إلى باب الغنى لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة فخرجْتُ. ثم اجتُذبْتُ إلى باب القُرب لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة فخرجْتُ، ثم اجتُذبْتُ إلى باب المشاهدة لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة فخرجْتُ. ثم

1- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 123.

2- المصدر نفسه، ص: 123.

3- نفسه، ص: 123.

4- **شيطانها ماردا:** عملاق ضخم وقد تحتمل معنى الطاغي. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2084 وص: 2085.

5- ساقطة في (ب).

اجتُذبت إلى باب الفقر فإذا هو خالٍ، فدخلتُ منه فوجدتُ كلَّما تركتُ وفُتح لي منه الكنز الأكبر، وأوتيتُ فيه العزّ الأعظم والغنى السرمد[1]، والحرية الخالصة، ومُحقَت البقايا ونُسخت الصفات وجاء الوجود الثاني"[2].

"وكان يأتيه الخليفة أو الوزير أو مَن له الحُرمة الوافرة، وهو جالس فيقوم فيدخل دارَه، فإذا جاء خرج الشيخ مِن داره لئلا يقوم لهم، وأنه لا يكلّمهم الكلام الخشن، ويبالغ لهم في العظمة، وهم يقبِّلون يديه ويجلسون بين يديه متواضعين متصاغرين. وكان[3] إذا كتب للخليفة يكتب إليه: عبد القادر يأمرك بكذا وكذا، وأَمْرُهُ نافذٌ عليك وطاعته واجبة عليك، وهو لك قدوة وعليك حجة، فإذا وقف الخليفة على (ورقته)[4] قبَّلها وقال: صدق الشيخ"[5].

وعن مفرج بن نبهان الشيباني قال: "لما اشتهر الشيخ عبد القادر، واجتمع مائة فقيه من أعيان[6] فقهاء بغداد وأذكيائها على أن يرِدُوا عليه، فيسأله كل واحد عن مسألة في فنّ من العلوم، غير مسألة صاحبه ليقطعوه بها، فأتوا مجلسَ وعظه وكنتُ يومئذ به. فلما استقرّ المجلس بمن فيه أطرق الشيخ/و80و/ مليّا فظهرت مِن صدره بارقة[7] لا يراها إلا من شاء الله أن يراها، ومُدّت على صدور المائة، لا تمرّ بصدر أحد منهم إلا وبُهتَ واضطرب، وصاحوا صيحة واحدة، ومزّقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم، وتساقطوا عليه فوق الكرسي يقبّلُون رجليه. فضجّ أهل المجلس ضجّة واحدة ظَنَنْتُ أن بغداد ارتجّت لها، فجعل الشيخ يضمّ إلى صدره الواحد منهم بعد الواحد حتى أتى على آخرهم ثم قال لأحدهم: أمّا أنت فمسألتك كذا وجوابها كذا، حتى أتى على آخرهم، يَذْكُر لكلّ واحد منهم مسألته وجوابها. قال: فلما انقضى المجلس أتيتهم وقلتُ: ما شأنكم؟ قالوا: لما جلسنا فَقَدْنَا ما عندنا من العلم، وقد ذكر لنا المسائل التي هيّأناها له، وأجابنا عليها بأجوبة لا نعرفها"[8].

1- السرمد: دائم متصل لا ينقطع. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1061.

2- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ص: 123-124.

3- ساقطة من (ب).

4- "كتابته" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 124.

5- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 124.

6- ساقطة من (ب).

7- **البارقة:** بريق السلاح. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 51. والمراد بها هنا: اللائحة التي ترد من الجناب الأقدس وتنطفئ سريعاً، وهي من أوائل الكشف ومباديه. ينظر: الجرجاني علي بن محمد الشريف، كتاب التعريفات، بيروت: مكتبة لبنان، طبعة جديدة، 1985، ص: 33.

8- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 138.

وحُكِي أنّ الشيخ رضي الله عنه كان يقول: "أتمنى أن أكون في الصحاري والقفار، كما كنتُ أوّل أمري لا أرى الخلق ولا يروني. ثم قال: إلاّ أن الله عز وجلّ أراد مني منفعة الخلق، فإنه قد أسلم على يدي أكثر من خمسمائة يهودي ونصراني"[1].

"وعن الشيخ محمد بن أبي الفتح الهروي يقول: حضرتُ مجلس الشيخ عبد القادر، فتكلّم حتى استغرق في كلامه فقال:/و80ظ/ لو أراد الله تعالى أن يبعث طائرا أخضر يسمع كلامي لَفَعَل، فلم يتمّ كلامه حتى جاء طائرٌ حسن الصورة ودخل في كمّه وما خرج"[2]. "قال: وتكلم يوما آخر في مجلسه فتداخل بعض الناس فترةً فقال: لو أراد الله سبحانه أنْ يرسل طيورا خُضْرا لِتسمع كلامي لفعل، فلم يتم كلامه حتى امتلأ المجلس طيورا خضرا يراها من حضر"[3]. "قال: وتكلم يوما في قُدرة الله تعالى، وعمّ الناس مِن كلامه هيبة وخشوع، فمرّ في المجلس طائر عجيب الخلقة، واشتغل بعض الناس بالنظر إليه عن سماع كلام الشيخ فقال: وعزّة المعبود لو شئتُ أن أقول لهذا الطائر مُت قِطَعًا قِطَعًا؛ لَمَاتَ قِطَعًا قِطَعًا. فما أتمّ كلامه حتى وقع الطائر إلى أرض المجلس قِطَعًا قِطَعًا"[4].

وعن الشيخ بقاء بن بطو[5] يقول: "حضرتُ مجلس الشيخ عبد القادر مرة، فبينما هو يتكلّم على المرقاة الأولى مِنَ الكُرسي، إذْ قَطَعَ كلامه وسهى ساعة، ونزل إلى الأرض، [ثم صعد][6] الكرسي، وجلس على المرقاة الثانية، فأَشهدَ أن المرقاة الأولى قد اتّسعت حتى صارت مدّ البصر، وفُرشت بالسندس الأخضر. وجلس عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. وتجلّى الحقُّ سبحانه على قلب الشيخ عبد القادر، فمال حتى كاد أن يسقط، فأمسكه رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يقع. ثم تضاءل حتى صار كالعصفور، ثم نما حتى صار على صورة هائلة، ثم توارى عني هذا كلّه. قال: فسُئل الشيخ بقاء عن رؤيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال: أرواحهم/و81و/ تشكّلت، وأن

1- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 138. وقد وردت العبارة كذلك عند الذهبي. ينظر: الذهبي، السير، ج20، ص: 447.

2- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 139.

3- المصدر نفسه، ص ص: 139-140.

4- نفسه، ص: 140.

5- **بقاء بن بطو**: من أعيان مشايخ العراق، ومن أعلام الطريقة القادرية الجيلانية وأوتادها. ينظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 229.

6- ساقطة من (ب).

الله تعالى أيّدهم بقوة يظهرون بها، فيراهم مَن قوّاه الله تعالى لرؤيتهم في صور الأجساد، وصفات الأعيان بدليل حديث المعراج"[1][2].

"وسُئل عن تضاؤل الشيخ عبد القادر ونموّه فقال: كان التجلّي الأوّل بصفة لا يَثْبُتُ لُبُدُوِّها بَشَرٌ إلا بتأييد نبوي، فلذلك كاد الشيخ يسقط لولا تداركه صلى الله عليه وسلم. وكان التجلي الثاني بصفة الجلال مِن حيث موصوفِه فلذلك يتضاءل. وكان التجلي الثالث بصفة الجمال من حيث مشاهده، فلذلك انتعش ونما و﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[3]"[4].

وعن "الشيخين العُمَرَيْن الكُميماتي[5] والبزار قال: سمعنا الشيخ أبا سعيد القيلوي[6] يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، في مجلس الشيخ عبد القادر غير مرّة، وأنّ السيد ليشرّف عبده، وأن أرواح الأنبياء لتجول في السماوات والأرض جولان الريح في الآفاق. ورأيتُ الملائكة يحضرونه طوائف بعد طوائف، ورأيتُ رجال الغيب يتسابقون إلى مجلسه، ورأيت أبا العباس أحمد الخضر يُكثر من حضوره، فسألتُه فقال: من أراد الفلاح فعليه بملازمة هذا المجلس"[7].

وعن عبد الوهاب[8] قال: "كان يتكلّم والدي في الأسبوع ثلاث مرّات بالمدرسة؛ بُكرة/و81ظ/ الجمعة، وعشية الثلاثاء، وبالرباط بُكرة الأحد. وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشائخ وغيرهم، ومدّة كلامه على الناس أربعون سَنةً؛ أولها سنة إحدى وعشرين

1- حديث المعراج رواه الترمذي وصححه الألباني. ينظر: الألباني، صحيح سنن الترمذي، ج3، ص: 279، حديث رقم: 3157. صحيح مسلم، ص: 89، حديث رقم: 164، كتاب الإيمان. صحيح البخاري، ص: 435، حديث رقم: 3207، كتاب بدء الخلق.

2- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص ص: 140-141.

3- الحديد، الآية 21.

4- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 141.

5- "الكمياني" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 137. **والكُميماتي**: هو عمر الكميماتي من الزهاد توفي سنة 593هـ/1197م. ينظر: الذهبي، السير، ج21، ص: 224.

6- "القيلوبي" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 137. **وأبو سعيد القيلوي**: هو عبد السلام بن أحمد بن عبد المنعم بن محمد بن أحمد القيلوي نسبة إلى ميلويه كنفطويه قرية ببغداد، البغدادي الإمام العلامة عز الدين الحنفي. ولد سنة ثمانين وسبعمائة تقريباً، وقيل سنة ست وسبعين. ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص: 128.

7- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 137.

8- يقصد أبو عبد الله عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلاني. ينظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 137.

وخمسمائة[1]، ومدّة تصدّره للتدريس والفتوى بمدرسته ثلاثا[2] وثلاثون سنة، أولها سنة ثمان وعشرين وخمسمائة[3]"[4].

"وكان يقرأ في مجلسه قارئان أحوان بغير ألحان ولا لَحْنٍ، قراءةً مرسلةً مجوّدةً، وكان يقرأ أيضا في مجلسه الشريف سيدي مسعود الهاشمي، وكان يموت في مجلسه الرَّجُلان والثلاثة. وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة مِحْبَرَة عالِمٍ وغيرِه، وكان كثيرا ما يخطو في الهواء في مجلسه على رؤوس الناس، ثم يرجع إلى الكرسي"[5].

[ذكر من أسلم على يد الجيلاني]: وعن الجبّائي قال: قال لي الشيخ سيدي عبد القادر رضي الله عنه "أتمنى أن أكون في الصحاري والبراري، كما كنتُ في الأول لا أرى الخلق ولا يروني. ثم قال: أراد الله عز وجلّ مني منفعة الخلق، فإنه قد أسلم على يدي أكثر من خمسمائة[6] من اليهود والنصارى، وتاب على يدي من العيّارين[7] والمشالحة أكثر من مائة ألف وهذا خير كثير"[8].

وعن الكميماتي قال: "لم تكن مجالس الشيخ عبد القادر تخلوا ممّن يُسْلِمْ فيها من اليهود والنصارى، ولا ممّن يتوب عن قطع الطريق وغير ذلك من الفساد، وممّن يرجع عن معتقد الرافضة[9] وغيرهم. وأتى/و82و/ راهبٌ وأسلم على يده في المجلس، ثم قال للناس: إني رجل من أهل اليمن وأَنّ الإسلام وقع في نفسي، وقويَ عزمي على الإسلام، إلاّ على يد غير أهل اليمن في ظني. فجلستُ مفكّرا فغلب عليّ النوم، فرأيتُ سيدنا عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول

1- 521هـ/1127م.

2- "ثلاثة" في (ب) وهو تحريف.

3- 528هـ/ 1134م.

4- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 137.

5- المصدر نفسه، ص: 137.

6- الذهبي، السير، ج20، ص: 447.

7- **العيارين:** هي تنظيمات تأسست في المدن خلال العصر العباسي، وارتبطت بتنظيمات الحرف، وشكلت ميليشيات للدفاع عن الحوانيت والأسواق من إغارات العسكر السلطوي، واتسمت بفضائل الفروسية وقيم النبالة والشجاعة والدفاع عن الفقراء والمعوزين. كما قامت أحيانا بدور جهادي في مواجهة أخطار البيزنطيين الذي أغاروا على أعالي العراق والشام. ينظر: محمود إسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص: 20.

8- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 138.

9- **الرافضة:** الشيعة الرافضون لإمامة أبي بكر وعمر. وقد كفّروا الصحابة وأبطلوا الاجتهاد، واتهموا القرآن بالتحريف من قِبل الصحابة. ينظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، القاهرة: دار الرشاد، ط1، 1993، ص: 228.

لي: يا سنان؛ اذهب إلى بغداد وأسلِمْ على يد الشيخ عبد القادر، فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت"[1]. "قال: وأتاه مرة أخرى ثلاثة عشر رجلا من النصارى، وأسلموا على يده في مجلس وعظه وقالوا: نحن من نصارى المغرب، وأردنا الإسلام وتردّدنا فيمن نقصده لنسلم على يده. فهتف بنا هاتف نسمع كلامه، ولا نرى شخصه يقول: أيها الرّكب ايتوا بغداد وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر، فإنه يوضع في قلوبكم الإيمان عنده ببركته، ما لم يوضع فيها من سائر الناس"[2] [في هذا والوقت][3].

[خاتمة الترجمة الثانية]:

والكنسوسي راهب زماننا هذا، نسبَ له[4] فساد الاعتقاد، بفساد عقيدة أهل السنّة وهم الأشاعرة، وتقوّل عليه بعض الأقاويل التي نبّهنا على ردّها وتزييفها وتوهينها وتضعيفها. فجلالةُ منصبٍ من تُقُوِّلَ عليه ما فوقها إلا درجة النبوءة، وتَرُدُّ المرتاب لليقين هذه النُّتفة التي ذكرنا آنفا من كراماته؛ وإلا فكراماته وخوارق العادات الواقعة على يديه أكثر مما/و82ظ/ يعدّ، واشتَهَرَ مما يُعرَف ويُحدُّ.

وقد أفردها بالتأليف غير واحد من علماء المشايخ، ويكفي مِنَ الكرامات بقاء ذكره وطريقه، وانتشار صيته في أقاصي البلاد إلى آخر الأبد. وقد توفي رضي الله عنه في حدود (الستين)[5] بعد الخمسمائة. اللهم انفعنا بمحبته، واحشرنا يا مولانا في زمرته، ولا تخالف بنا عن طريقته يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

1- الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 138.

2- المصدر نفسه، ص: 138.

3- زيادة من المؤلف.

4- يقصد الشيخ عبد القادر الجيلاني.

5- "الخمسين" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الذهبي، السير، ج20، ص: 450. ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص: 173. ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص: 419. ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج2، ص: 206. ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، ج5، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1992، ص: 352. الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 47.

الترجمة الثالثة: في مولانا إدريس الأكبر

ابن عبد الله الكامل ضجيع زرهون، فهو الذي يلقّب بمفتاح المغرب، بعد أن كانت دياره ديار كفر، واستقرّ الإسلام بسببه، وأسلم أهله إسلاما كاملا بعد أن تكرر منهم الارتداد، وبه هدى الله أُمَمَ إقليمِه. وفي الحديث الكريم: "لَأَن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من حمر النعم"[1]. وفي رواية: "خير لك مما طلعت عليه الشمس"[2]. فكيف وهو حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم وإمام الفتح والسّول، ومنه تُشمّ رائحة النبوة. قال بعض العارفين بالله [وهو الإمام الحلبي[3]][4]: من أراد أن يشم رائحة النبوة فعليه بزيارة مولانا إدريس الأكبر بزرهون، لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم رابع أجداده الكرام، فلازالت رائحة النبوة تُشمّ منه.

[مقالة الكنسوس في مَقدم إدريس إلى المغرب والردّ عليه]: فقول/و83و/ الكنسوسي: إنّ مولانا إدريس الأكبر قَدِمَ يطلب مُلْكا[5]، وطعن في ولايته بل نفاها رأسا، مردودٌ عليه ومزيّف لا يُرتضى منه، بما لابن غازي[6] في «الروض الهتون» لما تكلم على أولية مكناسة الزيتون ونصه: "لما استولى الفتح على المغرب[7]، شملَ مدينة وليلي[8] وغيرها.

وبها نزل الطاهر التقي النقي إدريس بن عبد الله الكامل رضي الله عنه، على شيخ أوربة[9] حسبما هو مذكور في تاريخه"[10] بعد أن قال: "وكانت البلاد قبل فتحها ديار كفرٍ؛

1- رواه البخاري وصححه الألباني. ينظر: الألباني، صحيح الجامع، ص: 1193، حديث رقم: 7094.

2- الرواية الثانية للحديث ضعّفها الألباني. ينظر: الألباني، ضعيف الجامع، ص: 669، حديث رقم: 4646.

3- **الحلبي تـ(1120هـ/1708م)**: أحمد بن عبد الحي الحلبي ثم الفاسي الشافعي. ولد ونشأته في حلب وتوفي بفاس. من تصانيفه: الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس. ينظر: محمد بن الطيب العلمي، الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، رقم:7249، و9ظ. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص ص: 184-187.

4- ساقطة من (ب).

5- الكنسوس، الجيش العرمرم، ج1، ص ص: 65-68. وقد سمّى الكنسوس في الجيش أمراء الأدارسة بالملوك.

6- **ابن غازي (841-919هـ/1437-1513م)**: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي؛ مؤرخ فقيه من المالكية. له: الروض الهتون في أخبار مكناسة. الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص: 421. مخلوف، شجرة النور، ج1، ص: 276.

7- فتح عقبة بن نافع إفريقية، وأبو المهاجر دينار فتح المغرب الأوسط، ثم استكمل عقبة في ولايته الثانية على إفريقية فتح المغرب الأقصى. وعن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب راجع: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة: كولان وبروفنسال، بيروت: دار الثقافة، ط3، 1983، ص ص: 8، 37. الناصري، الاستقصا، ج1، ص ص: 35-41.

8- **وليلي**: مدينة بالمغرب بطرف جبل زرهون مدينة رومية قديمة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 609.

9- **أوربة**: من أعظم قبائل بلاد المغرب. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 609.

10- ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1988، ص: 24.

مجوس ونصارى، وحاضرتها إذ ذاك مدينة يقال لها وليلي، سميت باسم مَلِكِها وليلي. وآثارها عظيمة باقية لهذا العهد بأرض خيبر من ناحية جبل زرهون، تعرف اليوم بقصر فرعون"[1]. [وأهل هذا الجبل][2] وهم الزراهنة أصلهم رومٌ، "وبأسفله موضع يقال له تازجا أَثَرُ بناء عتيق ضخم يسمى قصر فرعون، وكان بسفح الجبل سوق عمار؛ يجتمع الناس فيه يوم الأربعاء، وتُنسب هذه السوق لوليلي"[3].

[مدينة وليلي وتاريخ دخول إدريس الأكبر إليها]: ويذكر أنّ وليلي كان مَلِك الروم، وكانت له هناك تلك المدينة؛ وكانت هي حاضرة تلك البلاد. كذا ذكره بعض المؤرخين حسبما هو مذكور في النظم المشهور، في تاريخ مجيء مولانا إدريس لهذه المدينة ونصه[4]:

[وعقدت راياته في القصب][5] ** وجاءنا إدريس عام قعب[6]

/و83ظ/إلى وليلي المغرب القصي ** إذ قام صنوه على المهدي[7]

وبعدما سُمّ سما النجل الأب ** واختطّ فاسنا لعام قضب

قال المؤرخون: والمراد بصنو إدريس أخوه محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية[8]. وانظر قول الناظم: على المهدي؛ مع أن المعروف إنما هو قيامه على المنصور[9] لا على ولده المهدي، وهذا شهير بين أهل التاريخ[10].

1- ابن غازي، الروض الهتون، ص: 13.

2- ساقطة من (ب).

3- ابن غازي، الروض الهتون، ص: 13.

4- الأبيات لابن غازي العثماني وهي من بحر السريع. ينظر: محمد بن أحمد بن غازي العثماني، إتحاف ذوي الذكاء والمعرفة بتكميل تقييد أبي الحسن وتحليل تعقيد ابن عرفة، مخطوط بمركز آل سعود بالدار البيضاء، رقم: P1/083، كتاب النكاح الأول، ص: 166.

5- ساقطة من الأصل والزيادة من التكميل والإتحاف. ينظر: ابن غازي، التكميل، ص: 166. ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص: 3.

6- التاريخ بالحروف يشير لسنة 172هـ كما يلي: (ق= 100)+ (ع= 70)+ (ب= 2) = 172 وهو تاريخ قدوم إدريس إلى المغرب.

7- **المهدي العباسي (126-169هـ/743-785م):** محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر المنصور. الخليفة العباسي الذي اتسم عهده بالاستقرار والهدوء والتسامح والصفح، وقد قضى في الحكم إحدى عشرة سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص: 441.

8- **النفس الزكية (93-145هـ/712-762م):** محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب؛ الملقب بالأرقط وبالمهدي وبالنفس الزكية. ولد ونشأ بالمدينة، وكان غزير العلم فيه شجاعة وحزم وسخاء. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 15.

9- **أبو جعفر المنصور (95-158هـ/714-775م):** عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي. نشأ فصيحًا عالمًا بسير الملوك، ودرس النحو والتاريخ والأدب شعرًا ونثرًا وغيره. ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص: 117.

10- يشير صاحب المخطوط إلى ثورة محمد النفس الزكية ضد المنصور سنة 145هـ والتي قُتل فيها. أما الثورة الثانية فكانت سنة 169 والتي تسمى بفخ. والمقصود في النظم أعلاه وقعة فخ سنة 169هـ التي كان العلويين فيها بقيادة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه. راجع: الناصري، الاستقصا، ج1، ص: 66. محمود إسماعيل، الأدارسة حقائق جديدة، ص: 34.

[قدوم إدريس الأكبر إلى المغرب الأقصى]: قال الحافظ السيوطي[1] في «تاريخ الخلفاء»: "وفي سنة خمس وأربعين[2] كان خروج الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فظفر بهما المنصور فقتلهما[3] وجماعة كثيرة من أهل البيت، فإنا لله وإنا إليه راجعون"[4] انظر تمامه.

ثم رأيت في كتاب «القرطاس» لأبي الحسن بن أبي زرع ما معناه: أن الإمام محمد بن عبد الله[5]، لما قام على المنصور في السنة المذكورة، جهّز إليه المنصور جيشا ففرّ إلى بلاد النوبة[6] مهزوما فأقام بها إلى أيام المهدي[7]. فأتى مكة أيام الموسم ودعى بها لنفسه فأجابه إلى ذلك أهل الحجاز، وبعث من إخوته من يدعو له في الأمصار. فلما قويت شوكته خرج من مكة في عسكر عظيم وقد نهر إليه جيش المهدي؛ فالتقى الجمعان على ستة أميال من مكة بموضع يعرف بفخّ[8]، فكانت بينهما حرب عظيمة قُتل فيها الأمير (الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي)[9] وقُتل من جيشه خلق/و84و/كثير، وكانت هذه الحادثة يوم السبت ثامن ذي الحجة سنة 169هـ[10]؛ انتهى[11]. فتبين أنّ إيّاه تَبَع الناظم وإن كان تقديم نَقْلِ مَن ذُكر عند التعارض هو اللازم كما لا يخفى على العالم؛ انتهى.

1- **السيوطي (849-911هـ/1445-1505م):** عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين. نشأ في القاهرة يتيما. ألّف: الإتقان في علوم القرآن، وتاريخ الخلفاء. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص: 65.

2- "يعني ومائة" في الأصل وهي زيادة من المؤلف ويقصد بها سنة 145هـ/ 763م.

3- عن هذه الأحداث راجع: الناصري، الاستقصا، ج1، ص: 66. محمود إسماعيل، الأدارسة حقائق جديدة، ص: 34.

4- السيوطي جلال الدين، تاريخ الخلفاء، بيروت: دار الفكر، 2000، ص: 243.

5- يقصد محمد النفس الزكية.

6- **بلاد النوبة:** أرض واسعة في جنوبي مصر وشرقي النيل وغربيه. ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص: 24.

7- أخطأ المؤلف في هذه الجزئية عند نقله عن صاحب روض القرطاس الذي يخلط بدوره بين ثورة النفس الزكية وثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي في فخ سنة 169هـ. فالثابت أن محمد النفس الزكية إنما قُتل سنة 145هـ زمن المنصور العباسي و لم يبق حيا حتى زمن المهدي. والشخص الذي ذكر صاحب المخطوط أنه فرّ إلى بلاد النوبة ليس محمد بن عبد الله الملقّب بالنفس الزكية، وإنما هو أخوه سليمان. وسليمان هذا لم يفر إلى بلاد النوبة وإنما أرسله النفس الزكية إلى مصر داعيا للبيعة، فلما بلغته أنباء مقتل أخيه النفس الزكية سار إلى بلاد النوبة. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ص: 15-16.

8- **فخ:** بالخاء المعجمة من فوق من فجاج مكة، بينه وبين مكة ثلاثة أميال وقيل ستة أميال. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 436.

9- "محمد" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. لأن الأمير محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية توفي سنة 145هـ زمن المنصور. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 16.

10- 786م/169هـ. وعن هذه الوقعة راجع: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص: 443. في ترجمة المهدي العباسي. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 15. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص: 237. وقد ذكر ابن الأثير الخبر مفصلا في الكامل في التاريخ.

11- من هنا يبدأ نقل المشرفي عن صاحب روض القرطاس فقرات كاملة بتصرفه. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ص: 15-16.

[ثناء المؤرخين على إدريس الأكبر]:

[ثناء ابن غازي وابن أبي زرع]: فقد وصف إمام المغرب ابن غازي مولانا إدريس بالطاهر التقي النقي[1]. وقد اتفق على ولاية مولانا إدريس الجمّ الغفير من علماء هذه الأمة بل ومن أتقيائها، وبولايته قال مؤلف «القرطاس» فيما وصفه به من جميل الأوصاف، وكذا نجله السعيد باني ديار فاس، ونصه: "تولى الخلافة الإمام القطب الشريف الحسني أبو العلاء، مولانا إدريس بن القطب الإمام أبي العلاء مولانا إدريس، بن الإمام الكامل مولانا عبد الله، بن الإمام مولانا حسن المثنى، بن مولانا الإمام الحسن السبط. بن الإمام الأكبر سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه في مدينة وليلي"[2]، إلى آخر كلامه.

فقد وصفه هذا المؤلِّف بالقطبانية، كما وصف ولده بذلك. ويشهد لاتصافه بهذه الأوصاف التي ذكرها أهل العدل والإنصاف، ما نُقل من خط الفقيه النظار أبي عبد الله سيدي محمد القصار[3] رحمه الله ونصه: ظهر جسد إدريس بن عبد الله، بن حسن بن الحسن، بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفنه سنة ثمانية/و84ظ/ عشر وسبعمائة[4]، فازدحم الناس عليه مِن أقطار المغرب حتى خِيفت الفتنة. فبسبب ذلك بعث أمير المؤمنين أبو سعيد بن يعقوب بن عبد الحق[5] جيشا لتفريقهم عنه. وكان بين وفاته رضي الله عنه، وظهوره على الحالة المذكورة خمسمائة سنة وإحدى وأربعين سنة وثمانية أشهر. توفي رضي الله عنه في ربيع الثاني سنة سبع وسبعين ومائة من الهجرة النبوية[6].

1- ابن غازي، الروض الهتون، ص: 24.

2- نقل المشرفي عن صاحب القرطاس بتصرف. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 20.

3- **محمد القصار (1012هـ/1604م)**: محمد بن قاسم القيسي المعروف بالقصار. له: مصنف في مناقب الإمامين إدريس بن عبد الله الكامل الأكبر وولده إدريس. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1114. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص: 72.

4- 718هـ/1318م.

5- يقصد السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، الذي بويع سنة 710هـ/1310م، وتوفي ليلة الجمعة 25ذي القعدة 731هـ/30أوت1330م. ينظر: الناصري، الاستقصا، ج3، ص ص: 103-118.

6- 177هـ/793م. وهو التاريخ الذي أثبته ابن أبي زرع. ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 23. بينما يرى ابن خلدون أنه توفي سنة 175هـ. ينظر: العبر، ج4، ص: 18.

[ثناء صاحب فتح الخبير على إدريس الأكبر]: وقال مؤلف «فتح الخبير في تهـذيب نسب الإمام الأمير»[1] ما نصه: "مولانا إدريس الأكبر، هو سابع أولاد مولانا عبد الله الكامل. وهو الذي حاز بالمغرب رئاسة الدين والدنيا، فارتفعت بسببه كلمة الإسلام، وانخفضت كلمة أهل الشرك اللئام. ففراره إلى المغرب بنفسه فيه نكتة عظيمة، وصَحِبَه مولاه راشد، فلما حـلّ مدينة طنجة[2] لم يجد بها مراده[3]؛ فسار منها إلى بلد زرهون، فنزل على صاحبها المتـولي علـى قبائل أوربة إسحاق بن محمد بن عبد المجيد الأوربي[4] بمدينة وليلي، فأجاره وجمع البربـر علـى دعوته؛ فاجتمعت عليه فبايعوه بأسرهم، واستقام له الأمر بالمغرب إلى أن مات مسموما رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مترلته ومثواه بجاه جده مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم"[5].

[وفاة إدريس الأكبر وما تبعه من أحداث]: ولما مات شهيدا "لم يترك/و85و/ ولـدا ذكرا ولا أنثى، إلاّ حملا بجارية له مولّدة من البربر من نفزة[6] اسمها كنزة. وقام بأمر البربر مـن بعده مولاه راشد القادم معه، فولدت الجارية ولدا ذكرا وسمّاه باسم أبيه مولانا إدريس، وكان أشبه الناس به، فأخرجه إلى رؤساء البربر حتى نظروا إليه فقالوا: هذا إدريس بعينـه فكأنـه لم يمت. فقام بأمره وأمْرِ البربر[7] حتى فُطِم وشبّ، وأدّبه أحسن تأديبٍ، وأقرأه القرآن ولـه مـن السنين ثمانية أعوام، وعلّمه السنّة والفقه والنحو والحديث والشعر وأمثال العـرب وحِكَمِهَـا، وسير الملوك وسياستها، وعرّفه بأيام الناس، ودرّبه مع ذلك على ركوب الخيل والرمي بالسهام ومكائد الحروب"[8].

1- يقصد كتاب فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير؛ تأليف محمد بن محمد الصادق بن ريسون الحسنى العلمي المتوفى سـنة 1234هـ/1819م. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 72.

2- **طنجة**: مدينة على ساحل المغرب مقابل للجزيرة الخضراء. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص: 43.

3- راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 19.

4- صاحب قبيلة أوربة التي آوت إدريس. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 17.

5- بداية النقل الحرفي من فتح الخبير. ينظر: ابن ريسون العلمي، فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمـير، مخطـوط بالخزانـة الحسنية رقم: 1/112، ص ص: 19-20. وقد نقل عنه المؤلف فقرات طويلة. راجع التفاصيل نفسها في: ابن خلـدون، العـبر، ج4، ص: 18. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ص: 16-17.

6- **نفزة:** قبيلة بربرية كان بعضها يقيم قرب سبتة وهم أخوال عبد الرحمن الداخل لأن أمه نفزاوية. ينظر: أبو عبيد البكري، المغرب في ذكـر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ص: 23. ابن عبد الله، معلمة المدن والقبائل، ص: 364.

7- "البربر" في (ب) وهو تحريف.

8- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 20. راجع كذلك: ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 16. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 25.

[**مبايعة إدريس الثاني**]: "فلما تأدب في ذلك كلّه، وكَمُلت له من السنين إحدى عشرة سنة أخذ له مولاه راشد البيعة على قبائل المغرب. فبويع له (بجميع)[1] مدينة وليلي يوم الجمعة سابع ربيع الأول [سنة ثمان وثمانين ومائة[2]. وقيل: إنما أخذ له البيعة رجل يقال له أبو خالد يزيد إلياس العبدي[3] على جميع قبائل البربر يوم الجمعة عشرة ربيع الأول][4] من السنة المذكورة[5] بعد مقتل راشد[6] بعشرين يوما وهو ابن إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر"[7]، انتهى. ففي هذا الكلام: أُخرج للبربر بعد ميلاده، و لم يبايَع إلا بعد موت راشد.

ووقفتُ على كتاب من كتب التاريخ منسوب لأبي عبد الله محمد بن الحسين الشريف الحسني المكي المولد، المدني المنشأ، السمرقندي[8] الأصل، فيه: وعَقِبُ مولانا إدريس بن عبد الله الكامل دفين زرهون هو إدريس وحده/و85ظ/ تركه حملا، فوضع المغاربة التاج على بطن أمه، أي علامة على تمليكهم له. ثم ولدَته بعد أربعة أشهر يعني من موت أبيه. قال: و لم يملك في الإسلام حملٌ سواه. ولله در من قال: [الطويل]

فمهّد مُلك الشمس قبل بدُوّها ** كإدريس في الأرحام قد ملك العصرا
رَضَوهُ لحمل التّاج في بطن أمه ** وما ندموا بعدًا ولا عُدموا خيرا
محاسن أهل البيت للناس أسوة ** وأسوتهم في المَجْد كان بها أحْرَا
بَنَا مجدهم في الغرب حتى ترفّعت ** قباب لهم في الشرف قد لمحت شزْرا[9]

وكان فارسا شجاعا قال: وقال علي الرضى[10]، إدريس بن إدريس بن عبد الله المحضى. كان نجيب أهل البيت وشجاعهم، والله ما ترك فينا مثله. وعلي الرضى المذكور، هو من

1- "بجامع" في الأصل والتصحيح من فتح الخبير. ينظر: ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 20.

2- 7 ربيع الأول 188هـ/23 فيفري 804م. عن هذا الحدث راجع: ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 18.

3- **إلياس العبدي:** أبو خالد بن يزيد بن إلياس، قام بكفالة إدريس الأصغر من بعد مقتل أبيه. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 16.

4- ساقط من الأصل وقد أضفناه حتى يستقيم المعنى والزيادة من فتح الخبير. ينظر: ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 20.

5- يقصد سنة 188هـ/ 804م.

6- عن مقتل راشد؛ راجع: ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 16.

7- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 20. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 27.

8- **سمرقند:** مدينة مشهورة بما وراء النهر قصبة الصغد؛ قالوا: أسسها كيكاوس ابن كيقباذ. ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص: 535.

9- الأبيات لم نهتد لقائلها.

10- **علي الرضى (153-203 هـ/770-818م):** علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، الملقب بالرضى؛ ولد في المدينة. مات في حياة المأمون بطوس فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 269. الذهبي، السير، ج9، ص: 387.

سادات أهل البيت الحُسينيين، وهو خاتمة سلسلة الذهب. ومن مواليه معروف الكرخي[1] أستاذ السّري السقطي[2]، لأنه أسلم على يديه، وهو أيضا أستاذ معروف وعمدته في الطريق. وكانت وفاة علي الرضى في خلافة المأمون[3] بن الرشيد العباسي[4].

[مقتل راشد بن المرشد]: وسبب قتل راشد، قيل: "إنّ إبراهيم بن الأغلب بن عمرو التميمي[5]، كان من قواد هارون الرشيد على قبائل إفريقية. لما اتصل به الخبر أنّ راشدا عزم على أخذ البيعة لمولانا إدريس، عظم ذلك عليه فحاول قتل راشد، فدسّ إليه من بلّغ أموالا كثيرة إلى خدام راشد من البربر، فاستهواهم به فقتلوه، وذلك في سنة ثمان وثمانين ومائة[6]"[7].

وفي ذلك يقول إبراهيم بن الأغلب في بعض ما كتب به إلى الرشيد يعرّفه بخدمته ونصيحته:

ألم تري بالكيد أرديت راشدا ** وأني بأخرى لابن إدريس (راصد)[8]

/و86و/فتاه[9] أخُو عَك بمقتل راشد ** وقد كنت فيها شاهدا وهو راقد[10]

يريد بأخي عك: محمد بن مقاتل العكي[11] والي إفريقية للرشيد أيضا، لأنه حاول بابن الأغلب قتل راشد، فأتاه كتابه يعلِمُه أنه هو الذي قتله، فكتب صاحب (البريد)[12] إلى الرشيد

1- **معروف الكرخي تـ(200هـ/815م)**: معروف بن فيروز الكرخي؛ أستاذ سري السقطي. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص: 231. القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 26. الذهبي، السير، ج9، ص: 339. الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 269.

2- **سري السقطي**: أبو الحسن سري بن المغلس أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة. وهو خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه، وتلميذ الكرخي. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص: 357. القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 28. الذهبي، السير، ج12، ص: 186.

3- **المأمون(170-218هـ/786-833م)**: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع خلفاء العباسيين وأحد أعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه. ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة 198هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 142.

4- **هارون الرشيد (149-193هـ/766-809م)**: بن محمد المهدي بن المنصور العباسي خامس خلفاء الدولة العباسية وأشهرهم. وُلد بالري لما كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170هـ. ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتاب والندماء. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 62.

5- **إبراهيم بن الأغلب (140- 196هـ/757-812م)**: ابن سالم التميمي من أمراء الأغالبة. ينظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص: 92.

6- 804م/188هـ وهذا التاريخ هو الذي اعتمده صاحب روض القرطاس. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 27. ويرى ابن خلدون أنه توفي سنة 186هـ. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 18.

7- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 20.

8- "واجد" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الرقيق، تاريخ إفريقية، ص: 128. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 27.

9- "فمات" عند الرقيق. ينظر: الرقيق، تاريخ إفريقية، ص: 128.

10- البيتان من بحر الطويل. ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم: محمد زينهم، دار الفرجاني، ط1، 1994، ص: 128.

11- **محمد بن مقاتل العكي**: رضيع الرشيد. كان أبوه من كبار أهل دولته. ولاه الرشيد على إفريقية سنة 181هـ. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص: 89.

12- "البربر" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 27.

بأنّ ابن الأغلب هو المتولّي لذلك، فصحّ عند الرشيد كذب العكي عنها وتولية ابن الأغلب. ذكر هذا صاحب «القرطاس»[1].

ثم "قال: قال البكري والبرنسي، إنّ راشدا لم يمت حتى أخذ البيعة لإدريس بالمغرب، وأن الإمام إدريس لما كَمُل له إحدى عشرة سنة ظهر من ذكائه ونبله وفصاحته وعقله وبلاغته، ما أذهل عقول الخاصة والعامة. فأخذ له راشد البيعة على سائر البربر، وذلك يوم الجمعة سابع ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائة[2]. فصعد إدريس المنبر وخطب الناس في ذلك اليوم وقال: الحمد لله أحمده وأستعين به [وأستغفره][3] وأتوكل عليه، وأعوذ (به)[4] من شرّ نفسي وشرّ كل ذي شرّ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله [المبعوث][5] إلى الثقلين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. صلى الله عليه وسلم، وعلى (آل بيته)[6] الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا. أيها الناس: إنّا قد وُلّينا هذا الأمر الذي يَضاعَفُ للمحسن (فيه)[7]/و86ظ/ الأجرَ، وللمسيء الوِزْرَ، ونحن والحمد لله على قصدٍ (جميلٍ)[8]، فلا تمدّوا الأعناق إلى غيرنا[9]"[10]. "ثم دعا الناس لبيعته وحضّهم على التمسك بطاعته، فَعَجِبَ الناس من فصاحته ونبله وقوّة جأشه، وثبات جِنانه على صغر سنّه. ثم نزل فسارع الناس إلى بيعته، وازدحموا عليه يقبّلون يده. فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة[11]، وأوربة

1- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 27. وقد أشار إلى ذلك ابن عذاري. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص: 89.

2- 804م/188هـ. ويرى ابن خلدون أن بيعة إدريس الأصغر كانت سنة 186هـ، وأنّ راشد توفي قبل بيعته، وقام بأمر إدريس من بعده أبو خالد بن يزيد بن إلياس العبديّ. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 18.

3- ساقطة من الأصل والزيادة من: ابن زرع، روض القرطاس: ص: 28.

4- "بالله" في الأصل والتصحيح من روض القرطاس. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 28.

5- ساقطة من الأصل والزيادة من: ابن أبي زرع، روض القرطاس: ص: 28.

6- "آله وأهل" في الأصل والتصحيح من روض القرطاس. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 28.

7- "به" في الأصل والتصحيح من روض القرطاس. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 28.

8- "ذلك" في الأصل والتصحيح من روض القرطاس. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 28.

9- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 28. وقمت بضبط الخطبة حرفيا كما أوردها صاحب القرطاس.

10- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 21. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 29

11- **زناتة:** يعود أصل قبائل زناتة إلى مدغيس الأبتر. ينظر: ابن خلدون: تاريخ العبر، ج7، ص: 2. ابن عبد الله، معلمة القبائل، ص: 216.

وصنهاجة[1] وغمارة[2]، وسائر قبائل البربر، فتمت له البيعة. وبعد بيعته بقليل توفي مولاه راشد والله أعلم، فاستقام الأمر لإدريس بن إدريس بالمغرب وتوطّأ مُلكه وكثر سلطانه، وقويَتْ جنوده وأتباعه، وعظمت جيوشه وأشياعه. (ووفدت)[3] عليه الوفود من البلدان، وقصده الناس من كلّ ناحية ومكان"[4]. "وجاءته العرب من إفريقية وبلاد الأندلس، وجعلهم بطانَتَه دون البربر، فاغترّ بهم لأنه كان فريدا بين البربر ليس معه عربي. فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي[5]، وكان من فرسان العرب وساداتها، ولأبيه مصعب مآثر بالأندلس عظيمة، ومشاهد في غزو الروم كثيرة. واستقضى منهم عامر بن محمد القيسي من قيس غيلان [وإليه ينسب القيسي بن مَحمد المستاري اليوم والله أعلم][6]. وكان رجلا صالحا ورعا، سمع مالكا وسفيان الثوري[7]، وروى عنهما كثيرا"[8]. "ولم تزل الوفود تَقدُم/و87و/ عليه حتى ضاقت بإدريس مدينة وليلي فاختطّ فاسا[9] وانتقل إليها"[10]. وللمؤرخين في ذلك أخبار كثيرة واضطراب عظيم[11]، فمن أراد استقصاء ذلك فعليه بـ«القرطاس» وغيره[12،13].

1- **صنهاجة:** أو بنو صنهاج برانسة؛ وأصل الكلمة صناك أو زناك عُربت فصارت صنهاج. وتنقسم صنهاجة إلى قسمين: صنهاجة الظل بالأطلس وصنهاجة القبلة قرب درعة، ويقسمها ابن خلدون إلى صنهاجة قارة الذين سكنوا شمالا، وصنهاجة الرحّل الذين سكنوا جنوبا وهم الملثمون. ينظر: ابن خلدون: تاريخ العبر، ج6، ص: 201. ابن عبد الله، معلمة القبائل، ص: 296.

2- **غمارة:** من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود، وقيل: غمار بن أصياد من مصيمولان، ويقول بعض العامة: إنهم عرب فروا إلى تلك الجبال فسموا غمارة. وكانوا يعتمرون رحاب الريف. ينظر: ابن خلدون: تاريخ العبر، ج6، ص: 280.

3- "ووفد" في الأصل والتصحيح اقتضاه سياق المعنى.

4- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 21. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 29.

5- **عمير بن مصعب تـ نحو(225هـ/840م):** بن خالد بن هرثمة بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي. كان مع أبيه في الأندلس، ولما صارت خلافة المغرب إلى إدريس بن إدريس؛ وفد عليه عمير مع جماعة من الأزد فاستوزره وولاّه قيادة جيشه، وزوّجه بنتا له اسمها عاتكة؛ توفي بفاس. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج3، ص: 266. الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 89.

6- ساقطة (ب) والفتح والقرطاس؛ وهي زيادة من المؤلف. ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 22. ابن أبي زرع، القرطاس، ص ص: 28-29.

7- **سفيان الثوري (97-161هـ/716-778م):** سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة من مضر. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. من تصانيفه: الجامع الكبير والجامع الصغير. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج8، ص: 492. الذهبي، السير، ج7، ص: 229. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص: 386.

8- ابن ريسون، فتح الخبير، ص ص: 21-22. والنص موجود عند ابن أبي زرع. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ص: 28-29.

9- "فارسا" في (ب) وهو تحريف. وقد ذكر أن ابن خلدون أن تأسيس فاس كانت للسبب نفسه. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 18. وذكر ابن عذاري أن بناءها كان سنة 192هـ. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص: 211.

10- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 29.

11- فيما تعلّق بتأسيس مدينة فاس راجع: الناصري، الاستقصا، ج1، ص ص: 72-74.

12- عن أخبار الدولة الإدريسية راجع: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص ص: 210-216.

13- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 22.

[وفاة إدريس الثاني]: "وأقام إدريس بمدينة تلمسان وأحوازها ثلاث سنين، على ما ذكره أبو مروان عبد الملك الورّاق[1]، ورجع إلى مدينة فاس؛ فلم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة ومائتين[2] وهو ابن (ست)[3] وثلاثين سنة، ودفن بجامع الشرفاء بإزاء الحائط الشرقي منها"[4]. "وقال البرنسي: توفي إدريس بن إدريس بمدينة وليلي من بلد زرهون في اثني عشر من جمادى الأخيرة سنة ثلاث عشرة ومائتين[5]، وسنّه يومئذ (ثمان وثلاثون)[6] سنة، ودُفن إلى جنب قبر أبيه برباط[7] وليلي. وسبب وفاته أنه أكل عنبا فشرِق بحبّة منه فمات من حينها، فكان أيام ملكه بالمغرب ستة وعشرون عاما والله أعلم"[8]، انتهى.

"ونُقل عن العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي[9]، أنه كان يقول حين يحكي ما في «القرطاس»: هذا في شأن مولانا إدريس، مِن أنه دفن مع أبيه رضي الله عنهما، أنّ أهل الكشف من الصالحين والأولياء، مجمعون على أنه هنا بفاس بجامع الشرفاء، وهنا يزورونه ويتبرّكون به، وإجماع الصالحين لا يَعدل به غيره؛ انتهى"[10].

وفي مولانا إدريس الأصغر/و87ظ/ باني فاسا يقول القائل[11]: [الطويل]

أمولانا يا إدريسُ يا ابن نبيّنا ** وملجأ هذا القطر في العسر واليسر

تكانَفَني أُسدٌ ضوارٍ وإنني ** على تلفٍ إن لم تُغثني على الفور

1- **الوراق:** محمد بن يوسف أبو عبد الله التاريخي الوراق، نشأ بالقيروان وتوفي بقرطبة، وله تاريخ فقد كلّه. ينظر: الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج1، القاهرة: دار الكتاب المصري، ط1، 1989، ص ص: 182-183.

2- 213هـ/829م وهو التاريخ الذي اعتمده ابن خلدون وابن أبي زرع. بينما ذكر ابن عذاري أنها سنة 112هـ. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 19. ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص: 211. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 50.

3- "ثلاث" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 50. ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 22. الناصري، الاستقصا، ج1، ص: 75.

4- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 22.

5- الموافق ليوم 29 أوت 828م.

6- "ثمانية وثمانون" في الأصل وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 22.

7- "برابطة" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 50.

8- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 22.

9- **عبد الرحمن الفاسي (1040-1096هـ/1630-1685م):** بن عبد القادر بن علي الفاسي؛ من تصانيفه: مفتاح الشفاء، وغاية الوطر في علم السير. ينظر: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي، الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، تقديم وتحقيق: فاطمة نافع، الدار البيضاء: مركز التراث العربي، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2008، ص: 306. الحضيكي، الطبقات، ج2، ص: 402.

10- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 22.

11- أورد المشرفي هذه الأبيات في مشموم عرار النجد. ينظر: مشموم عرار النجد، ص: 175.

[ذَكَر ذلك الشيخ بدر الدين الفاسي في «شرحه للصلاة المشيشية»][1].

[التوسّل بإدريس الأكبر وابنه]: وكل من توسّل به أو بأبيه، نال مراده وبلغ مراده. ألا ترى أنّ ياقوتة زماننا العارف بالله سيدي قدور العلمي[2]، فقد أشار بل صرّح في غير ما موضع مِن توسّله المعلوم، أنه نال الولاية بمداومة زيارته لضريح مولانا إدريس الأكبر بزرهون، وانعقد الإجماع منذ قرون خلت على أنه كعبة الطالبين للدنيا والآخرة، وسارت بذلك الركبان للمشرق وأقصى المغرب.

[ذكر عبد السلام بن مشيش]: فبسبب ذلك صارت الرّحال تشدّ إلى زيارته من أقاصي البلدان، في كل وقت وأوان، وإلى ضريح ولده بمدينة فاس، إلى أن أظهر الله حفيده الأسنى، الذخيرة الفاخرة الحُسنى، قطب دائرة أهل الله بالمغرب مولانا عبد السلام بن مشيش. فكان ثالثا لهما، وشاع خيره شرقا وغربا، وقبلة وجوفا وذاعْ، وعمّ نَفْعُهُ وانتشر ظِلّ خيره في سائر الآفاق والبقاع، حتى قطعَ بعضُ من شرح «الصلاة المشيشية» بإجابة الدعاء عند قبر إبن مشيش وأنشدوا: [الرجز]

وسل بقبر ابن مشيش ما تريد ** تناله وإن يكن منك بعيد[3]

/و88و/وقد بلغ شيخ شيوخنا أبو المودّة سيدي التاودي بن سودة، بزيارته لهذا الضريح وتردُّدِه إليه مبلغًا، لو سُطّر في الدفاتر ما استُوفيت مناقبه. وفي ذلك يقول رحمه الله ونفعنا بعلومه آمين[4]: [الرجز]

أتيتكم شيخا وكهلا وناشئا[5] ** وفي كلّها أرجو نوالكم الجمّا
فها أنا قد خيّمتُها بفِنائكم ** على وهْنٍ والضَّعف مِنَ قد عمّا
فلا تُرجعوني دون فيض بِحَارِكم ** ولا تحرمني من مواهبك العظمى

قال شارح الصلاة المشيشية: فأجابه ابن الحاضر النجار على لسان الشيخ: [الرجز]

1- ساقطة من (ب).

2- **قدور العلمي تـ(1134هـ/1722م)**: محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف بن أحمد الشريف الوزاني، أديب له شعر؛ توفي بالقاهرة. من كتبه: الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب. ينظر: القادري، نشر المثاني، ص: 1979. كنون، ذكريات مشاهير، ص: 1301.

3- أورد البيت محمد بناني في تقييده على الصلاة المشيشية. ينظر: محمد بن عبد السلام البناني، تقييد على الصلاة المشيشية، مخطوط بمركز آل سعود، المغرب: الدار البيضاء، رقم: 015، و19ظ.

4- أورد المشرفي هذه الأبيات في مشموم عرار النجد. ينظر: مشموم عرار النجد، ص: 176.

5- "وماشيا" في (ب) وهو تحريف.

حباك إله العرش ما قـد أَرَدْتَـهُ ** ونلت مـن الـرحمن مترلـة شمّـا

[قصيدة أبو سالم العياشي في التوسل بإدريس الأكبر]: وأكبر المشايخ الأعلام، رجعوا في زيارته بِنَيْلِ مُرادهم، ومنهم أبو سالم العياشي. ولقد واجه الضريح مخاطبا لصـاحبه بهـذه القصيدة المباركة[1]: [الطويل]

أمولاي عبد السـلام السـلامُ ** عليـك مِـنَ الله وهـو السـلام
ورحمتـه[2] كلمـا هجَـرَتْ ** عيـون أتتـك لذيـذ المنـام
أتـاك الفقـير أبـو سـالم ** بحـوبٍ[3] وعيـب وذُلٍّ احتشـام
يريـد بجاهـك مِـن ربِّـه ** رِضـاه وسـترا وحسـنَ الختـام
ورزقـا حـلالا ومعرفـة ** مِـنَ الله موصـوفة بالـدوام
/و88ظ/وعامل بجودك أولادنـا ** وأصـحابنا الزائـرين الكـرام
وحاشـاك ينقلـب الزائـر ** ولَّـا يفـوز بنبيـل المـرام
فإنك غـوث الزمـان الـذي ** بـه الله يُحْيِـي قلـوب الأنـام
أتيـتُ بقلـب قسـا فعسـى ** يلـين إذ جـاء هـذا المقـام
وما لي شـفيع إليـك سـوى ** أبيـك النـبي عليـه السـلام
فأجزل قِرى زائـر قـد أتـاك ** بإمـدادكَ الحـقَّ لا بالطعـام
بك ائْتَمَّ مَن جاء بعـدك مِـن ** كبـار الشـيوخ فأنـت الإمـام
وإني عيـال عليـك فـلا ** تخيّـب رجـائي وتمّ الكـلام

وكذا أبو علي سيدي الحسن اليوسي، أنشد عند قبره القصيدة التي بلغت بالإشارة إلى ما قصده به مبلغ التصريح، لم تحضرني الآن ومنها هذا البيت[4]: [الكامل]

ومخيِّمًـا ومؤيّـدًا في ذُروةٍ ** قصـواء عاليـة علـى الصـياد

1- أورد المشرفي هذه الأبيات في مشموم عرار النجد. ينظر: مشموم عرار النجد، ص ص: 176-177.
2- "ورحمة" في (ب) وهو تحريف.
3- **حوب:** إثم وذنب. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 576.
4- أورد المشرفي هذا البيت في مشموم عرار النجد. ينظر: مشموم عرار النجد، ص: 177.

[رد المشرفي على الكنسوس]: فأين أنت يا عدو نفسه مِنْ هؤلاء الفحول، أو حيث حَرَمَك الله من زيارته وزيارة جدّه وأولياء الله. نَسبْتَ لشيخك ما لم يَقُلْهُ، فالمسخوط عند الله مَن خالفَ إجماع العلماء العاملين[1]، وأئمة أهل السنة الواصلين. قال تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾[2]/و89و/ فكيف يجحد الجاحد فضائل مولانا إدريس، جدّ الأشراف بمغربنا الأدنى والأقصى، إذْ ما مِن قطب إلا وله اتّصال بمولانا إمام أهل البيت، إمّا مِن ذرّيته أو نال ذلك مِن زيارته. والعجب كل العجب مِن إنكار المُنْكِرِ زيارته، أو ولايته وقطبانيته، وادّعائه أنه جاء يطلب مُلكا وليس بِوَلِيٍّ[3]، ولم يَدْرِ ما مراد الله بمجيئه، لأن الأقدار ساقته[4] لأمور يعلمها الله فيها صلاحٌ لمعشر خلق الله، أعظمها انتشار أهل البيت الذين هم ذُكّارٌ لذوات المؤمنين، وأمان لهذه الأمة المحمدية، وقد أُمِرْنَا في القرآن العظيم بمودتهم ونُهينا [عن[5] بغضهم.

[ذكر الأحاديث الواردة في فضائل آل البيت]: "فعن أبي سعيد الخدري[6] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لا يبغضنا أهلَ البيت رجلٌ إلاّ أدخله الله النار[7]. وعن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال لمعاوية بن حديج[8] رضي الله عنه: يا معاوية: إياك وبغضنا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا إلا ذِيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار[9]. وعن علي كرم الله وجهه قال؛ قال رسول الله

1- جاء على هامش المخطوط ما يلي: "قف: المسخوط عند الله من خالف إجماع العلماء العاملين".

2- النساء، الآية 115.

3- "يولي" في (ب) وهو تصحيف.

4- جاء على هامش المخطوط: "قف: ساق الله مولانا إدريس للغرب لأمور يعلمها، أعظمها انتشار أهل البيت".

5- من هذا الموضع يبدأ البتر في الترجمة الثالثة إلى نهايتها في (ب).

6- **أبو سعيد الخدري (10ق.هـ/74هـ/613-693م):** سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، صحابي كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه 1170 حديثا، وغزا معه اثنتي عشرة غزوة؛ توفي في المدينة. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 87.

7- رواه أبو سعيد الخدري وصححه الألباني. ينظر: الألباني ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة مرتبة على الأبواب الفقهية، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 2004، ص: 668، رقم الحديث: 3611، باب المناقب والمثالب.

8- "خديم" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. **معاوية بن حديج تـ(52هـ/672م):** بن جفنة بن قنبر، الأمير الصحابي، والي مصر. شهد حرب صفين في جيش معاوية. ولي غزو المغرب مرارا آخرها سنة 50هـ. توفي بمصر. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 260.

9- رواه في كنز العمال. ينظر: المتقي الهندي، كنز العمال، ص: 1564، حديث رقم: 34203.

صلى الله عليه وسلم: من لم يَعْرِف حقّ عترتي والأنصار فهو لإحدى ثلاث: إما منافق، وإما لزانية، وإما لغير طَهُور[1]. يعني حملته أمه على غير طهر"[2].

"وعن/و89ظ/ابن عمر رضي الله عنه قال: آخِرُ ما تكلّم به رسول الله صلى الله عليه وسلم: اخلفوني في أهل بيتي[3]. وعن أم سلمة[4] رضي الله عنها قالت؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة عليها السلام: "ائتني بزوجك وابنَيْك، فجاءته بهم فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كساءه كانت تحتي أصبناه من خيبر فقال: اللهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. قالت أم سلمة: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم، فجذبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن يدي وقال: إنكِ على خير"[5،6].

"وقد خرّج ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن صَنع إلى أحدٍ من أهل بيتي بِرًّا كافيته يوم القيامة[7]. وعن عثمان رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن أوتي من بني عبد المطلب معروفا فلم يَقْدِر المطلبي على مكافأته، فأنا أكافيه يوم القيامة[8]. أخرجه أبو نعيم في «الحلية»[9،10].

"وروي عن مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه، أنه لما ضربه جعفر بن سليمان[11] ونال منه ما نال، وحمَّله وحُمل مغشيا عليه، دخل عليه الناس فأفاق فقال: أُشهدكم أني جعلت

1- رواه في كتر العمال. ينظر: المتقي الهندي، كتر العمال، ص: 1564، حديث رقم: 34199.

2- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 12.

3- الحديث خرّجه السيوطي؛ وقال الألباني: حديث ضعيف. ينظر: الألباني، ضعيف الجامع، ص: 35، حديث رقم: 244.

4- **أم سلمة توفيت نحو(30هـ/650م):** أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ثم الإشهلية، مِن أخطب نساء العرب ومن ذوات الشجاعة والإقدام. يقال لها: خطيبة النساء. وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه، وحضرت وقعة اليرموك سنة 13هـ، وتوفيت بعد ذلك بزمن طويل، ولها في البخاري حديثان. ينظر: أبو نعيم، الحلية، ج2، ص: 76.

5- رواه أحمد. ينظر: أحمد بن حنبل أبو عبد الله، المسند، الرياض: دار الأفكار الدولية، 1998، ص: 1970، مسند النساء، حديث رقم: 27041. المتقي الهندي، كتر العمال، ص: 1804، حديث رقم: 37629.

6- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 12.

7- حديث موضوع. ينظر: الألباني، ضعيف الجامع، ص: 818، حديث رقم، 5677.

8- الهندي، كتر العمال، ص:1552، حديث رقم: 33913.

9- أبو نعيم الأصفهاني، الحلية، ج10، ص: 366، في ترجمة سعيد بن عبد العزيز الحلبي.

10- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 12.

11- **جعفر بن سليمان:** قال عنه الذهبي: الشيخ العالم الزاهد محدث الشيعة، أبو سليمان الضُّبَعِيُّ البصري. كان يترل في بني ضبيعة فنسب إليهم. وقد احتجّ به مسلم. توفي سنة 178هـ/794م. ينظر: الذهبي، السير، ج8، ص ص: 197-200.

ضاربي في حِلّ. فسئل بعد ذلك فقال: خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم/و90و/ فأستحي منه أن يدخل بعض أهل بيته النار بسببي[1]. وقيل إن المنصور أعاذه مِن جعفر فقال: أعوذ بالله وإليه ما رفع منها سوط على جسمي إلا جعلته في حلّ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2][3].

"وروى أبو الفرج الأصبهاني من حديث عبد الله بن عمر القواريري قال: حدثنا يحي بن سعيد بن أبان القرشي، قال: دخل عبد الله بن حسن، على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السنّ وله وفرة، فرفع عمر مجلسه، وأقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ بمنكبه فغمزها حتى أوجعه، وقال اذكرها عندك للشفاعة. فلما خرج لامه قومه وقالوا: جعلت هذا بغلام حدَثٍ؟ فقال: إنّ الثّقة حدثني لَكَأَنّي أسمعه مِن فِيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة بَضعةٌ مني يسرني ما يسرها، وأنا أعلم أنّ فاطمة لو كانت حية لسرّها ما فعلت بابنها. قالوا: فما معنى غمزة بطنه وقولك ما قلت؟ فقال: إنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا[4]"[5]. "وعن علي كرم الله وجهه قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدّبوا أولادكم على ثلاثة خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيتي، وعلى قراءة القرآن، فإن حَمَلَة القرآن في ظلّ الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه، مع أنبيائه وأصفيائه[6]. أخرجه الديلمي"[7].

[ما ذكره الشافعي في حب آل البيت]: ففي محبة أهل البيت/و90ظ/ يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه[8]: [السريع]

1- ذكر ذلك القاضي عياض في ترتيب المدارك. ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وأقرب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج2، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1966، ص: 132.

2- المصدر نفسه، ص: 132.

3- ابن ريسون، فتح الخبير، ص ص: 12- 13 .

4- رواه الطبراني بسند ضعيف. ينظر: ابن حجر الهيثمي أبو العباس أحمد، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، استانبول: مكتبة الحقيقة، 2003، ص: 324.

5- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 13.

6- حديث ضعيف جدا. ينظر: الألباني، ضعيف الجامع، ص: 36، حديث رقم: 251. الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ص: 193، حديث رقم: 995.

7- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 13.

8- ورد الأبيات عدا البيت الأخير في المرقي. ينظر: أبو محمد عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي، المرقي في مناقب أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1911د، ص: 167.

أفضل من عود ومـــن ضـــارب ** ومـــن فتـــاتِ ناهـــدٍ كاعـــبٍ[1]
ومن مُدامة خمـــر في قواريرهـــا[2] ** يسعى بهـــا الســـاقي إلى شـــارب
ومن جيـــاد الخيـــل في مَضـــمر ** ومن ضارب يسطو على ضـــارب
أفضـــل مـــن ذاك وهـــذا وذا ** حـــبّ علـــي بـــن أبي طالـــب
لو فتشوا صدري أصـــابوا بـــه ** سطرين قد خُطّـــا بـــلا كاتـــب
العلـــم والتوحيـــد في جانـــب ** وحب أهـــل البيـــت في جانـــب
إن كنتُ فيمـــا قلتُـــه كاذبـــا ** فلعنـــــة الله علـــــى الكـــــاذب

"وفضائل أهل البيت رضوان الله عليهم، لا تحصى ومحاسنهم لا تستقصى. ولله در مـــن قال: [الطويل]

فيا ساكني أكناف[3] طيبة كلّكـــم ** إلى القلب مِنْ أَجْلِ الحبيب حبيب"[4][5]

قال مؤلّف «الفتح»[6]: "فما أعظم موقع هذا البيت في قلوب المومنين، وإذا كان هذا في مطلق الجيران فما بالك بأهل البيت[7]، منهم رزقنا الله رضاهم ومحبتهم، وحشـــرنا في زمـــرتهم آمين"[8].

[ذكر الأخبار الواردة في آل البيت]: "**تتمة**: قال الشيخ أبو العبـــاس في «وُصـــلة الزلفى تقربا بآل المصطفى» ما نصه: وفي تاريخ نيسابور[9]، أنّ علي الرضى، بن موسى الكاظم،

1- **ناهد كاعب:** كعَبَتِ الفتاةُ: نَهَد ثَدْيُها وارتفع، وكعَب الثّديُ: نَهَد وارتفع. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1940.
2- **قوارير:** جمع قارورة؛ وهو وعاء من زجاج يحفظ فيه الشراب والطيب. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1796.
3- **أكناف:** جمع كنف وهو الناحية والجانب والظل. ينظر، المصدر نفسه، ص: 192، هامش: 2.
4- ورد البيت عند: ابن قيم الجوزية شمس الدين، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ص: 192. أبو العباس أحمد بن علي بن محمد البوسعيدي، وصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى، مخطوط بمركز آل سعود، المغرب: الدار البيضاء، رقـــم: 276، ص: 60. ومن هذا الموضع يبدأ المؤلف نقله لعدة فقرات من وصلة الزلفى.
5- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 13.
6- يقصد فتح الخبير في تهذيب نسب الإمام الأمير.
7- البوسعيدي، وصلة الزلفى، ص: 60.
8- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 13.
9- **نَيسَابُورُ:** بخراسان، سميت بذلك لأن سابور مر بها فلما نظر إليها قال: هذه تصلح لأن تكون مدينة فأمر بها فقطع قصبها ثم كبس، وبنيت فقيل لها نيسابور. افتتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان رضي الله عنه 30هـــ. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 588.

بن جعفر الصادق[1]، بن محمد الباقر[2]، بن علي زين العابدين[3]، بن الحسين رضوان/و91و/ الله عليهم أجمعين. لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة بالسقلاط[4] على بغلة شهباء، وقد شقّ سوق نيسابور، فعرض له الإمامان الحافظان للأحاديث النبوية أبو زرعة الرازي[5]، ومحمد بن أسلم الطوسي[6]، ومعهما خلائق لا يُحصون مِن طلبة العلم والحديث وأهل الرواية. فقالا له: أيها السيد الجليل ابن السادات الأئمة، بحقّ آبائك الأكرمين، وأسلافك الأطهرين، ألا ما أريتنا وجهك المأمون، ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نتبرك به. فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكشف المظلّة وأقرّ عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة، فكانت له ذؤابتان[7] مدليّتان على عاتقه، والناس كلّهم على قدر طاقاتهم ينظرون إليه، وهُمْ ما بين صارخ وباكٍ ومتمرّغ في التراب ومقبّل لحافر بغلته. وعلا الضجيج فصاحت الأئمة والفقهاء والعلماء: معاشر الناس؛ اسمعوا وَعُوا، وأنصتوا لسماع ما ينفعكم، ولا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم[8]"[9].

"وكان المستملي أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي. فقال علي بن موسى: حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه علي زين العابدين، عن أبيه الحسين شهيد كربلاء[10]، عن أبيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه/و91ظ/

1- **جعفر الصادق (80-148هـ/699-765م)**: جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 327. الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 126.

2- **محمد الباقر (57-118هـ/677-736م)**: محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، الملقب الباقر. قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم أي توسع. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 174. الذهبي، السير، ج13، ص: 120.

3- **زين العابدين (38-94هـ/658-712م)**: أبو الحسن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، تابعي ثقة. كان من الزهاد الأوائل، فقيهًا أسند كثيرًا من الأحاديث، وسمع من ابن عباس و جابر وغيرهم. ينظر: الذهبي، السير، ج4، ص: 386.

4- **السقلاط:** أو سجلاّط. ضرْب من ثياب الصُوف، وقيل هو النَّمَطُ يُغَطَّى به الهَوْدَجُ. ينظر: ابن منظر، لسان العرب، ص: 1946.

5- **أبو زرعة الرازي(200-264هـ/815-878م)**: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، من حفاظ الحديث. زار بغداد وحدث بها وجالس أحمد بن حنبل. ينظر: الذهبي، السير، ج13، ص: 65. الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 194.

6- **ابن أسلم الطوسي تـ(242هـ/857م)**: محمد بن أسلم الإمام أحد الأبدال الحفاظ، صنف المسند والأربعين. ينظر: الصفدي صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، ج2، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000، ص: 146.

7- **ذؤابتان:** ضفيرتان. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 799.

8- البوسعيدي، وصلة الزلفى، ص: 73. كما ورد القول عند المناوي كذلك. ينظر: المناوي، فيض القدير، ج4، ص: 489.

9- النص منقول حرفيا من فتح الخبير. ينظر: ابن ريسون، فتح الخبير، ص ص: 13-14.

10- **كربلاء:** موضع بالعراق من ناحية الكوفة فيه قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما 61هـ. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 490.

قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: حدثني جبريل قال: سمعت ربّ العزّة سبحانه يقول: لا إله إلا الله حِصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمِن عذابي[1]. ثم أرخى الستر على القبة وسار[2]. قال: فَعَدّ أهل المحابر والرواة الذين كانوا يكتبون ما نافوا على عشرين ألفا. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري[3]: اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية[4]، فكتبه بالذهب وأوصى أن يُدفن معه في قبره. فَرِيءَ في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي بتلفظي لا إله إلا الله، وتصديقي بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم[5][6].

[مدح أبو نواس لآل البيت]: قلت، أهل هذا السَّنَد آباء علي الرضى، هم الممدوحون بقول أبي نواس[7]: [البسيط]

مطهّرون نقية أثوابُهم ** تجري الصلاة عليهم كلما ذُكروا
من لم يكن عَلَوِيًا حين تنسبُه ** فماله في قديم الدهر مُفتخَرُ
أولئك القومُ أهل البيت عندهم ** علم الكتاب وما جاءت به السور

وفي مدحهم يقول الآخر: [البسيط]

أنتم بنو طه ونونٍ والضحى ** وبنو تبارك والكتاب المُحْكَم
وبنو الأباطح والأشاعر والصّفا ** والرّكن والبيت العتيق وزَمزم
وعليكم نزل الكتاب وأنتم ** خيرُ البرية من سلالة آدم

[ذكر الأحاديث الواردة في وجوب محبة آل البيت]: "وذكر الجمال الزرندي[8] في كتاب «معراج الوصول»: أن الحافظ أبا نعيم/و92و/ روى هذا الحديث بسنده، عن أهل البيت

1- حديث ضعيف. ينظر: الألباني، جميع الجامع، ص، 399، حديث رقم: 2700.
2- البوسعيدي، وصلة الزلفى، ص: 73. وورد القول عند المناوي. ينظر: المناوي، فيض القدير، ج4، ص: 489.
3- **أبو القاسم القشيري**: عبد الكريم بن هوزان الفقيه الشافعي. كان علامة في الفقه والتفسير والحديث وعلم التصوف. توفي سنة 465هـ بنيسابور. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 205. ابن عساكر، تبين كذب المفتري، ص: 271.
4- **السامانية:** نسبة إلى سامام وهو جد الملوك السامانية بما وراء النهر وخراسان. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 174.
5- حديث ضعيف. ينظر: الألباني، ضعيف الجامع، ص: 590، حديث رقم: 4047. المناوي، فيض القدير، ج4، ص: 489.
6- ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 14. وقد نقله عن البوسعيدي في وصلة الزلفى. ينظر: البوسعيدي، وصلة الزلفى، ص: 73.
7- القول ينسب لأبي نواس والكميت. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 449.
8- **الزرندي(693-747هـ/1294-1347م)**: محمد بن يوسف بن الحسن شمس الدين الزرندي من أهل المدينة. فقيه حنفي من العلماء بالحديث. من تصانيفه: درر السمطين في مناقب السبطين. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 152.

المذكورين، إلى علي بن أبي طالب سيد الأولياء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء قال: حدثني جبريل سيد الملائكة قال: قال الله تعالى: إني أنا الله لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ، فمن جاءني مُقرًّا بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي"[1][2].

"قال في رواية غير أبي نعيم: قال الله تعالى كلمة لا إله إلا الله حصني، ثم نقل ما قاله الأستاذ القشيري وزاد عليه عقبه قوله: وتصديقي بأن محمدا رسول الله، وكتابتي هذا الحديث بالذهب تعظيما له واحتراما[3]. وقال الحافظ جمال الدين المذكور: وقال أبو الليث عبد السلام بن صالح الهروي: "كنت مع علي بن موسى الرضى، وقد دخل نيسابور وهو على بغلة له شهباء، فغدا في طلبه العلماء من أهل البلد، وهم أحمد بن حرب وابن النضر ويحي بن يحي وعروة من أهل العلم فتعلقوا بلجامه في المربعة وقالوا له: بحق آبائك الطاهرين حدّثنا بحديث سمعته من أبيك. قال: حدّثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر قال: حدثني أبي جعفر الصادق بن محمد قال: حدثني أبي باقر علم الأنبياء محمد بن علي قال: سمعت أبي سيد العابدين قال: حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي قال: سمعت أبي سيد العرب علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم/و92ظ/يقول: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان؛ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: لو قرأتُ هذا الإسناد على مجنون لبرئ من حينه[4]. وروى بعضهم: إن المستملي لهذا الحديث أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي"[5][6] انتهى.

وقد ذكرتُ هذا السند في هذا التأليف محبّة في أهل بيت النبوءة، الذين قال الله في حقهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[7]. "قال ابن عباس رضي الله عنه: لما نزلت ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ**﴾ قالوا يا رسول الله: مَن

1- حديث ضعيف. الألباني، ضعيف الجامع، حديث رقم: 4047، ص: 590.

2- ابن ريسون، فتح الخبير، ص ص: 14-15. وقد نقله عن وصلة الزلفى. ينظر: البوسعيدي، وصلة الزلفى، ص ص: 73-74.

3- البوسعيدي، وصلة الزلفى، ص: 74. المناوي، فيض القدير، ج4، ص ص: 489-490.

4- حديث موضوع. ينظر: الألباني، ضعيف الجامع، ص: 339، حديث رقم: 2309.

5- البوسعيدي، وصلة الزلفى، ص: 74. المناوي، فيض القدير، ج4، ص: 489.

6- نهاية النقل الحرفي من فتح الخبير. ينظر: ابن ريسون، فتح الخبير، ص: 14.

7- الشورى، الآية 23.

قَرابتُك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداهما[1]. وعن ابن عباس أيضا في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**﴾[2]، قال: المودّة لآل محمد صلى الله عليه وسلم[3]. وعن المطّلب بن ربيعة[4] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل قلب مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي[5]. وعن زيد بن أرقم[6] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُذكّركم الله في أهل بيتي[7]"[8]. وعن زيد بن أرقم أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما[9].

"وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحبّوا الله لما يغذّوكم به من نعمه، وأحبوني بحبّكم الله/و93و/ وأحبوا أهل بيتي بحبي[10]. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب[11]، إني سألت الله لكم ثلاثا: سألته أن يثبّت قائلكم، وأن يعلّم جاهلكم، وأن يهدي ضالّكم"[12].

1- أخرجه الطبراني؛ وقال الألباني: باطل. ينظر: الألباني ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ج10، الرياض: دار المعارف، ط1، 1412 هـ/1992 م، ص: 723، حديث رقم: 4974.

2- الشورى، الآية 23.

3- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص: 470.

4- **عبد المطلب بن ربيعة تـ(62هـ/1601م):** بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي جليل، سكن المدينة وانتقل إلى الشام في خلافة عمر بن الخطاب فتوفي في دمشق. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج4، ص ص: 53-55. الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 154.

5- أخرجه أحمد؛ وقال: إسناده ضعيف. ينظر: أحمد بن حنبل، المسند، ص: 1623، حديث رقم: 1777.

6- **زيد بن أرقم تـ(68هـ/687م):** الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي ومات بالكوفة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج8، ص: 140. الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 56.

7- رواه مسلم وصححه الألباني. ينظر: الألباني، صحيح الجامع، ص ص: 286-287، حديث رقم: 1351.

8- ابن ريسون، فتح الخبير ص: 11.

9- رواه الترمذي وصححه الألباني. ينظر: الألباني، صحيح الجامع، ص: 482، حديث رقم: 2558. الألباني، صحيح سنن الترمذي، ج3، ص ص: 543-544، حديث رقم: 3788. وقال في المشكاة: حديث حسن غريب. ينظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، ص: 1753، حديث رقم: 6144.

10- رواه الترمذي وضعفه الألباني. ينظر: الألباني، ضعيف الجامع، ص: 27، حديث رقم: 176. الألباني، ضعيف سنن الترمذي، ص: 434، حديث رقم: 3789.

11- رواه البخاري بلفظ: "ارقبوا محمدا صلى الله عليه و سلم في أهل بيته". ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب قرابة رسول الله، حديث رقم: 3713.

12- ابن ريسون، فتح الخبير ص ص: 11-12.

[ذكر المؤلف السبب في ردّه على الكنسوسي]: قال مؤلفه وجامعه غفر الله لـه، وستر عيوبه بمنّه وفضله آمين: ما ألّفتُ هذا التأليف، وشنّعت في الـردّ علـى الكنسوسـي السوسي، الجاحد لفضائل أهل الله، إلا لِمَا جُبِلَتْ نفسي عليه من الغـيرة علـى أوليـاء الله الصالحين وإن لم أكن منهم، وخصوصا آل بيت النبوة ولمحبتي فيهم أيضا، فهي نعمة أنعـم الله عليَّ بها، نحمده ونشكره ونؤمن به في كل الأحوال ونستغفره. وللعمل بقول الإمام الشـافعي[1] رضي الله عنه[2]: [الوافر]

أُحبّ الصالحين ولسـتُ منـهم ** ولكـني بهـم أرجـو شـفاعه
وأَكرَهُ مَـنْ بِضـاعتُه المعاصـي ** وإن كنـا سـواء في البضـاعه

وقال أيضا[3]: [مجزوء الرجز]

لي سـادةٌ مَـنْ حُـبُّهم ** أقـدامهم فـوق الجبـاه
إن لم أكـن منـهم فلـي ** في حبـهم عـزٌّ وجـاه

قال الإمام محبّ آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم؛ أبو العباس أحمد بن علي بن محمد البوسعيدي رضي الله عنه في كتابه «وُصلة الزلفى/و93ظ/ تقربا بآل المصطفى» ما نصه: "ومِن المُطَالَب ينبغي أن يكون لأهل البيت النبوي، بل ولجميع الأمة غِيرَةٌ على أهل البيت الشريف[4]، حتى لا يتكلم فيهم متكلّم إلا بالحق، كما جرى عليه السلف الكرام، لِتَعَيِّنِ توخّيهم بالإجلال والإعظام"[5] انتهى. قلت: لا يتكلم فيهم بباطل، إلا مَن كانت فيه نزغة شيطانية مقرونة بنسبة رفضية، قبّح الله كل من اعتزل السنة، وتنسّك بالبدعة الذميمة.

[رجع الحديث عن إدريس الأكبر]: وهذا مولانا إدريس الأكبر جـدّ الأشـراف، مُعظَّم ومكرَّم عند علماء الحاضرة، وبَرْقُ نوره لمع في أفئدة أهل القرى، في معمور السـحاري وبَدْوِ البراري، تعظيما نُوِّه به في الدواوين، وطار صيته شرقا وغربا، قبلة وجوفـا، في مجـالس العلماء والسلاطين، فكان كما قيل: [البسيط]

1- الشافعي، الديوان، ص: 74. شرح حدود ابن عرفة، ص: 691.
2- ورد البيتان عند: العروسي، المرقي، ص: 141.
3- ورد البيتان في: العروسي، المرقي، ص: 141.
4- جاء على هامش المخطوط: "قف: ينبغي لجميع الأمة الغيرة على أهل البيت الشريف".
5- البوسعيدي، وصلة الزلفى، ص: 44.

لقد ظهرتُ فلا أخفا على أحـــد ** إلا على أكمه لا يبصـــر القمـــرا[1]

[دعوة المشرفي لهجر الكنسوس]: مُتَنَقِّصُهُ ورامِيه بما لا ينبغي أن يُرمى به، مَشْـــنُوءٌ[2] عند الله وعند عباده، فواجب على معشر المسلمين أن يهجروه ويأمروا بهجرانه، ويسطّر العلماء في الدفاتر هجرانَه، ويأخذْ مؤلّفه معهُم قِسطَه، زيادة على ما لَهُ هنا فيه، ويَشْكُلَ حروفه وينبّه على نكتة تلك النقظة، وينشد في السفيه ما قيل فيه: [الكامل]

/و94و/ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت ** إن الكـــلاب طويلـــة الأعمـــار[3]

والإنشاد بمن قال فأجاد: [الوافر]

أنَظَّام القصـــيد جُزيـــت خـــيرا ** وبُوِّئْـــت الكرامـــة والســـعادة

لقد أحرزت قصب السبق فيهـــا ** وحزت من العـــلا أعـــلا مقامـــه

بـــأن أسمعتـــه هجـــوا شـــنيعا ** يُسَـــاءُ بـــه إلى يـــوم القيامـــه

فلو كان ابن حـــرّ مـــات همـــاً ** وكانـــت موتُـــه عمـــا كرامـــه

ولكـــن الشـــقي دنيٌّ أصـــلٍ ** فلـــيس يمـــوت إلا بالرّزامـــه

وما وفّقنا الله للردّ عليه، حتى علمَ منَّا سبحانه صِدق النية وحسن الطوية، في محبة أهل الله وأهل بيت النبي الأوّاه، والتقت أرواحنا في عالم الملكوت فتألّفت. ولله درّ بعض الأدباء إذ يقول[4]: [الرجز]

أرواحنا في عالم المُلْـــكِ الْتَقَـــتْ ** وتألّفت عـــن كامـــلٍ في الكامـــل

فلأجله الأجسام حاكت فعلـــها ** وتشـــبّهت في آجـــلٍ بالعاجـــل

حتى كان الكـــلّ قُلِّـــد جـــوهرٌ ** متناســـب نظـــم الإمـــام العـــادل

وكأننا في الحـــال بـــين تـــألّف ** وتـــــآنس بمحبـــــة ومســـــائل

نملي أحاديث الحبيـــب دِرايـــةً ** عن عارف وروايـــة عـــن واصـــل

ونخوض من بحر العلوم فنجتلـــي ** مكنون مشكِلِها بصـــدر الســـائل

1- ورد البيت في طبقات السبكي بدون نسبة. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج8، ص: 222.

2- جاء على هامش المخطوط: "قف: متنقّص مولانا إدريس مشنوء عند الله وعند عباده".

3- البيت لأبي زيد العبدي. ينظر: الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبـــد الأمـــير مهنـــا، ج2، بيروت: منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1992، ص: 332.

4- الأبيات لسليمان الحوات.

والعَوْد أحمـــد للأمـــير عمـــره ** في جَمعـــه لفضـــائل وفواضـــل
جمعَ الكـــريمُ جميعنـــا في جُنّـــة ** جمعَ الســـلامة لاقتضـــاء العامـــل
إليكم تذل النفس وهي عزيـــزة ** وليس تذلّ النفس إلا لمـــن تهـــوى

فحب[1] أهل البيت فرض علينا، افترضه الله في القرآن. ولله درّ محمد بن إدريس الشافعي إذ يقول[2]: [البسيط]

يا أهل بيت رسول الله حـــبكم ** فرض مِـــنَ الله في القـــرآن أنزلـــه
يكفيكم مِن عظيم المجـــد أنكـــم ** مَن لم يُصلّ عليكم لا صـــلاة لـــه

/و94ظ/جَعَلَنَا الله من المحسوبين عليهم، والمنخرطين في سلكهم، آمـــين بجـــاه ســـيدنا ومولانا محمد الأمين، صلى الله عليه وسلم.

[خاتمة الترجمة الثالثة]: وأنبّه الغافلين مثلي، بتذكرة تكون خاتمة لهذه الترجمة المباركة فنقول[3]: إنّ مولانا إدريس الأكبر هو ذُكّار المغرب الأقصى من سائر نواحيه، ومولانا سليمان[4] أخوه هو ذُكّار المغرب الأوسط من سائر نواحيه، ومولانا علي الشريف[5] هو ذُكّـــار الكـــورة السجلماسية[6] من سائر نواحيها. وما شَرَفُ الأرجاء إلا برجالها، وإلا فلا فضل لتُـــرْب علـــى تُرْبٍ. ولم يبلُغنا عن نبي خيّم بأرض المغرب، أو صحابي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا خالد بن سنان من أنبياء الرّس[7]، كان بالقيروان[8] وقبره هنالك مشهور. وهو الـــذي

1- جاء على هامش المخطوط: "افترض الله حب آل البيت لعظيم".

2- الشافعي، الديوان، ص: 93.

3- جاء على هامش المخطوط: "قف: الأشراف الثلاثة كل واحد ذُكّار للبلد التي نزل بها".

4- **سليمان تـ(169هـ/875م):** بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب؛ وهو جد أكثر الشـــرفاء في المغـــرب الأوسط. حضر وقعة فخّ واستشهد بها. ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج2، ص: 75. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص: 242.

5- **علي الشريف(762-847هـ/1361-1443م):** علي بن حسن بن قاسم الحسني الفاطمي العلوي المعروف بالشريف؛ جد الملـــوك السجلماسيين في المغرب الأقصى؛ توفي بسجلماسة. ينظر: الزياني أبو القاسم، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تقديم وتحقيق: رشيد الزاوية، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2008، ص: 78.

6- **سجلماسة:** بصحراء المغرب بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة، وهي على نهر يقال له زيز. بينها وبين غانة في الصحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال، يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان، ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون إليها إلا وادي درعة، وبينه وبين سجلماسة مسيرة خمسة أيام. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 305.

7- **خالد بن سنان:** بن عيث بن مريطة بن مخزوم الذي أطفأ نار الحدثان، وكان يقال إنه نبي ضيعه قومه. القلقشندي أبو العباس أحمد، نهايـــة الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1980، ص: 75.

8- **القيروان:** مدينة بإفريقية اختطها وبناها عقبة بن نافع. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص: 420.

دعا على العنقاء –طائرٌ فضّل الله به بني إسرائيل، ريشه ملوّن بألوان مختلفة– "وكانت في زمنه تؤذي الصبيان، فشكوا ذلك إليه فدعى عليها، فأهلكها الله وقطع نسلها"[1]. وذكر الباجي[2] في كتاب «الاستبصار في (عجائب)[3] الأمصار»: "عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم[4] قال: كنتُ بلغتُ قَرْطاجنة[5] ومعي غلام، نمشي في آثارها و(نعتبر)[6] بعجائبها، فإذا بقبر مكتوبٌ عليه بالحِمْيَرية: أنا عبد الله بن الأوْس[7] رسولُ الله صالح. وفي رواية بعضهم: أنا مغيثٌ بُعثتُ إلى أهل هذه القرية أدعوهم إلى الله، أتيتُهم ضُحى فقتلوني ظلما، فحسيبهم الله"[8]/و95و/"وقرطاجنة هذه بينها وبين تونس اثني عشر ميلا"[9] انتهى كلامه.

[ذكر مدينة تطوان]:

قلت: أهل تطوان هم من قرطاجنة هذه، خرجوا مهاجرين وفارّين بدينهم لهذه العُدوة، لما استولى عليها العدو الكافر، حسبما رويناه ورأيناه في بعض التآريخ. ولا زال مَن بها مِن كبار المسلمين يعرف النّفر الذي ينتسب إليه من آل تطوان. وخيّم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في مدائن الزاب[10] الأمير[11] عقبة بن نافع[12] وقبره به مشهور[13]. وولده سيدي

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 102.

2- كتاب الاستبصار مؤلفه مجهول، وهو من أهل القرن السادس الهجري. ينظر: حاجي خليفة، إيضاح المكنون، ج1، ص: 70.

3- "أخبار" في الأصل والصحيح ما أثبتناه.

4- **عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (75-161هـ/694-778م):** المعافري، ولد ببرقة –وهو أول مولود في الإسلام بإفريقية– ونشأ بها، وبها توفي. له مسند في الحديث. ينظر: الخشني، طبقات علماء إفريقية، تقديم: محمد زينهم، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1993، ص: 87.

5- **قرطاجنة:** نواحي إفريقية. بنيت قبل بنيان مدينة روما باثنتين وسبعين سنة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ص: 462-464. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص: 323.

6- "نتعجّب" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشره: ألفرد كريمر، فيينا (النمسا): المطبعة الأميريالية الملكية للمجلس والدولة، 1852، ص: 15.

7- جاء على هامش المخطوط: "قف: عبد الله بن الأوس رسول رسول الله صالح".

8- مجهول، الاستبصار، ص: 15.

9- المصدر نفسه، ص: 11.

10- **الزاب:** إقليم ببلاد المغرب من أهم مدنه بسكرة وطبنة. يبتدئ غربا من تخوم مسيلة ويحده شمالا جبال بجاية ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 113. الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 138.

11- جاء على هامش المخطوط: "قف: من الصحابة بالمغرب عقبة ابن عامر وأبو لبابة".

12- **عقبة بن نافع (1ق.هـ-63هـ/621-683م):** بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري باني مدينة القيروان. ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحبة له. شهد فتح مصر، وولاّه معاوية إفريقية استقلالا سنة 50هـ. تقدم إلى المغرب الأقصى حتى بلغ البحر المحيط. وفي طريق عودته بتهودة سرّح العساكر إلى القيروان وبقي في عدد قليل فحاصره كسيلة وقتله. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 193.

13- قبره اليوم في مكان من ولاية بسكرة يسميه الناس سيدي عقبة.

الحسن بن عقبة، في زماننا كان خليفة لعبد القادر بن محي الدين على تلك النواحي، وله جلالة في العلم والشجاعة وقوة الإقدام، وسار سيرة حسنةً في الناس. كما خيّم في خط الجريد أبو لبابة الصحابي[1]. ذكره ابن ناجي في «اختصار معالم الإيمان» و«روضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان»[2]، وضريحه بقابس[3] مشهور[4]. وقد بنا عليه أمير تونس حمّود بنيانا عظيما[5]، وصرّح كثير بزيارته ومنهم أبو العباس البرنسي[6] وأنشد لنفسه[7]: [الوافر]

نزلنا بقابس وشَفَيْنا منه ** عليل القلب من شوق أصابه
وزرنا به ضريح إمام برٍّ ** وبحرٍ في السخاء أبي لبابه
هو البحر المَعِينُ لوارديه ** فَرِدْ ما شئت من بحر الصحابه
فأيقنّا بنيل القصد حقا ** وصدّقنا بأسرع الإجابه

إلى آخر القصيدة[8].

وذكر الباجي أن مَن لم يذكره في أسماء الصحابة، وأمكنة وفياتهم فلم يبلغه العلم بهم[9]. وما ببلاد المغرب من الصحابة فيما علمنا إلا هذين السيدين، ولهما ثالث بلغ تلمسان، (عبد الله بن أبي سرح)[10] وقيل عبد الله بن جعفر، ولا يُدرى هل رجع إلى المشرق أم مات بالمغرب فليس له قبر يُعرَف.

1- **أبو لبابة:** اسمه رفاعة بن المنذر بن الأوس، كان نقيباً شهد العقبة وشهد بدراً. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص: 1740.

2- يشير إلى كتاب معالم الإيمان للدباغ الذي أتمّه ابن ناجي التنوخي.

3- **قابس:** مدينة من بلاد إفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 450. الاستبصار، ص: 3.

4- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأُسيْدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلّق عليه: ابن ناجي التنوخي أبو الفضل تـ(839هـ)، ج1، تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح، مصر: مكتبة الخانجي، ط2، 1968، ص ص: 12-13.

5- ذكر ذلك العياشي والدرعي في رحلتيهما. ينظر: العياشي، الرحلة، ج2، ص: 532. محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 1954، و34ظ-و35و.

6- يقصد أبا العباس البرنسي الشفشاوني.

7- وردت الأبيات عند: المرزوقي محمد، قابس جنة الدنيا، مصر: مكتبة الخانجي، 1962، ص: 245. وقد نقلها عن رحلة الورثيلاني.

8- القصيدة ذكرها الورثيلاني في رحلته. ينظر: الورثيلاني الحسن بن محمد، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 2008، ص: 164.

9- عن أسماء الصحابة والتابعين الذين كانوا ببلاد المغرب راجع: الناصري، الاستقصا، ج1، ص ص: 39-41.

10- "عبد الله بن صرح" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الناصري، الاستقصا، ج1، ص: 40.

وزاد بعضهم الشيخ[شينكر][1] في وادي تاغية[2] من غريس[3]، وأما من لم يُقبَر منهم بالمغرب، فقد بلغ منهم عدد كثير. وأما موسى والخضر عليهما السلام، فالمشهور عند الجمهور أنهما دخلا تلمسان، وبها الجدار الذي أقامه الخضر عليه السلام، وكثير من الناس يدعونها بمدينة الجدار[4].

ومن الجمهور أبو حيان ولذلك ذمّها فقال[5]: [البسيط]

أبلغ تلمسانَ ذمًّا إن مررت بها ** حول الجدار وما احتوت به الجدر

وقوم إذا استُطعموا لم يُطعِموا أحدا ** أأنت خير أم موسى أم الخضر

ومقابل الجمهور يقول: دخلا أنطاكية[6] بالشام.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. نفعنا الله بذكرهم، وأقرّ عيوننا بالمحبة لجمعهم، وحشرنا في محفل طائفتهم، وأبعدنا عن القوم المجرمين وأهل الضلال الضالين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه أجمعين][7].

1- كلمة غامضة.

2- **وادي التاغية**: إحدى بلديات معسكر بالغرب الجزائري، تبعد عن مقر الولاية بحولي ثلاثين كيلومترا.

3- **غريس**: إحدى دوائر ولاية معسكر بالغرب الجزائري، تبعد عن مقر الولاية بحولي خمسة عشر كيلومترا.

4- الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 44.

5- وردت الأبيات عند المشرفي في فتح المنان. ينظر: العربي المشرفي، فتح المنان، ج2، ص: 147.

6- **أنطاكية**: مدينة بالشام على ساحل البحر. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 38.

7- نهاية البتر من (ب).

/و95ظ/*التَرجمة الرابعة: في أولياء المغرب ومَن الولاية في غيرهم عنقاء مُغرب*[1]

أعني بهم أهل الزوايا المشهورة، لا مَن زاويتُهم على البدع مقصورة، والكلام في طريقة كل زاوية وبمن يتّصل نسبها الديني والطيني، فيقول مؤلفه:

[*زوايا المغرب*]: إن الزوايا بالمغرب كثيرة، وفي حواضره وبوادي معموره شهيرة، وأشهر زواياه مما يلي حاضرة فاس:

[1- *زاوية وزّان وذكر وليها عبد الله الشريف*]:

زاوية وازّان[2] المبنية بسفح الجبل المواجه لمصمودة[3]، وتحفتها وزهر روضتها ونور دوحتها، قطب دائرة أهل الله بمغربنا هذا؛ سيدي مولاي عبد الله الشريف[4]، ومنه تنسّلت أقطابها، وتسلسلت في معرفة الله شبابها وشِيابُها. ففي تلك الزاوية خيّمت سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقيمت على وجهها بمبلغ المنى والسُّول، واهتدت الأطراف بوسيلة الأشراف، ونادى بالدين مناديه في قرى الجبل وبواديه: هلمّ يا من يريد أن يربح ويسعد ويفلح، فيكون تلميذ ومريد النسل الشريف يَمْلح. فبِهِ ازدهى الغرب وزال عنه الغمّ والكرب، واخضرّ بالخصب الفحصُ[5]، ومُحيت ذنوب أهله فتابع المحص[6] فيه المحص. حَضْرَتُهم معمورة[7]، وبالسرّ مصونة ومغمورة.

1- **عنقاء مُغرب**: طائر وهميّ يُضرَب به المثل في طلب المحال الذي لا يُنال. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1603.

2- **الزاوية الوزانية**: زاوية بمصمودة؛ تنتسب إلى مؤسسها عبد الله بن إبراهيم الشريف الحسني اليملحي العلمي. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1602. الكتاني (جفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 107. أحمد الشباني الإدريسي الحسني، مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، ط1، 1987، ص: 117. وقد أفرد الكتاني لهذه الزاوية فصلا خاصا في سلوة الأنفاس والقادري في آخر كتاب نشر المثاني ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 107. القادري، نشر المثاني، ج6، ص: 2290.

3- **مصمودة**: المصامدة هم من ولد مصمود بن يونس بربر، وهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم، من بطونهم: برغواطة وغمارة وأهل جبل درن، ومواطنهم بالمغرب الاقصى. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 275.

4- **عبد الله الشريف (1005-1089هـ/1596-1678م)**: عبد الله بن إبراهيم بن موسى، الشريف الحسني الإدريسي اليملحي بن مشيش المصمودي العلمي الوزاني؛ أبو محمد. شيخ الطريقة الوزانية بالمغرب. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1602. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 107. الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ج2، ص ص: 748-750.

5- **الفحص**: فَحَص المطرُ الترابَ يَفْحَصُه أي قَلَبه ونَحَّى بعضَه عن بعض فجعله كالأُفْحُوصِ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3356.

6- **المحص**: إخلاص الشيء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 4144.

7- "مغمورة" في (ب) وهو تصحيف.

واشتهرت تلك الزاوية شهرة لها بال، فصالِحوها[1] هم نجوم الأرض وبروج تلك الجبال. فسند حديثها متصل بالحواضر/و96و/ والثغور، وعُجْمُ البرابر وأعراب النجد والغور. حَسَبُ أهلها الديني أغناهم عن النسب الطيني، فهم أركان أهل البيت، يُمدح الحي بالفضائل؛ ويُرثى بكثرة المناقب الميتُ. فحيُّهم أطهر من كل حيّ، وجمالهم الديني تهواه دون غانيات غَيْلان[2] حي، ويملكون القلوب بجودهم حتى لا يُسمعَ ذكرٌ لحاتم طي[3]. فالرحال تشدّ دائما لبني يملَح[4]؛ والوافد عليهم يسعد ويفلح، ومِن أجْل ذلك لا يخرج من ساحتهم ولا يبرح، حتى يظفر بمطلوبه، وبمَرامه يربح وينجح، وتحفة الإخوان تنبيك بمناقب آل وزان[5].

[ذكر العربي الوزاني]: وقد أدركْنَا القطب[6] الجامع والغوث النافع وارث السرّ الإلهي، مَنْ يألفه المتنسّك واللاّهي، نبوي النُّطفة والأخلاق، وولي العَطْفَة بغير إملاق. مَن ذِكرُهُ قوتٌ للنفوس يغني عن أكلي وشربي، وقربُه أَنْفَسُ مِنِ اتصالي بالمحبوب، وقربي وسيلتي بيني وبين ربي، سيدي الحاج العربي[7]. قد كان لله ذاكرا ولربه بسائر الجوارح شاكرا، فمع كِبَر سنّه لا يفتر لسانه عن تلاوة القرآن، قاعدا أو قائما أو مضطجعا، في سائر الأوقات والأزمان، فَلَوْحُه بكلام الله مواجهٌ له دائما في حضره وسفره. خوارق كراماته محفوظة، وعين عنايته ناظرة إلى ربها، وبرعايته ملحوظة، إنْ جالستَ العلماء فبكراماته أعلموك، وإن شافهتَ العوام حدّثوك بأعربها وكلموك.

كان للملوك/و96ظ/ مقدّمة الجيش، وتقرّ أعينهم بصحبته ويطيب لهم العيش، فتحٌ يقدُمهم في السير والإقامة، ويتبرّكون بمناخه بين أظهرهم ومُقامه. فمن عابه بتلميح وإشارة،

1- "وصالحوها" في (ب) وهو تحريف.

2- **غانيات:** مفرد غانية وهي امرأة جميلة تستغني بحُسنها عن الزِّينة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1647. والمؤلف يشير إلى شدة تمسّكه بجمال دين أهل هذه الزاوية حتى في وجود الغانيات الحسناوات.

3- إشارة إلى كرم أبناء هذه الزاوية الذي فاق كرم حاتم الطائي الذي تضرب العرب به المثل في الكرم والجود فتقول: أكرم من حاتم. **وحاتم الطائي تـ(46ق.هـ/578م):** بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني؛ أبو عدي: فارس، شاعر، جواد، جاهلي. كان من أهل نجد وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض جبلٍ في بلاد طيئ. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج1، ص: 286.

4- يقصد أبناء الزاوية الوزانية.

5- يشير إلى الكتاب المؤلّف في تاريخ هذه الزاوية وهو: "تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان لمؤلّفه الطاهري حمدون بن أحمد".

6- **القطب:** القائم بحق الكون والمكوِّن وهو واحد، وقد يطلق على من تحقق بمقام، وعلى هذا يتعدّد في الزمان الواحد أقطاب في الأحوال والمقامات والعلوم. ينظر: ابن عجيبة، التشوف، ص: 80.

7- **العربي الوزاني:** أبو محمد الحاج عبد العربي، توفي يوم الثلاثاء آخر يوم من ذي الحجة 1266هـ/1850م ودفن بالمسجد الأعظم بوزان. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 110. القادري، نشر المثاني، ج6، ص: 2291.

وتنقّصه بألطف عبارة مفتون القلب من الخير بعيد؛ كقول الكنسوسي حضر في الفتنة مع مولاي سعيد. فأين ذمّهُ له مع قوله فيه وقول غيره في المدح زُمرا وإفرادا، مادحا له بقصيدة مطلعها هذا[1]: [الكامل]

بغرامِ مَن سَكَنَ الحشا فلتفرحِ ** واترك مناصحة العواذل[2] واطْرَحِ
ومتى يطيق الصبّ[3] كتمان الهوى ** ومتى يَلِذُّ له حديث النصح
وجفونه[4] مقروحة ودموعُه ** مسفوحة يَشْرَحْنَ ما لم يُشرح
والحبّ[5] إن حقَّقْتَ كأسُ مُدامةٍ ** ما عُذر شاربها إذا لم يشطح
وإذا[6] الفتى برح الخفاءُ بحبه ** فهو الذي عند الوفا لم يبرح
فانشر[7] على حكم الصبابة[8] ما انطوى ** واهتف بمحبوب الفؤاد وصرّح
قل يا إمام العصر يا قطب النهى ** يا أيها الشيخ الإمام اليملح
يا سيدي العربي يا من ودُّه ** في كل أرواح الورى لا ينمح
خُلِعَت على علياك من رب العلى ** حُلل الرضى ذات الجمال الأملح
وغدوتَ في ذاك الجناب محبَّبًا ** وحُيّيت من ذاك العطاء الأفيح
لما تجلى فيك نورُ جماله ** أصبحتَ مسرورا بأكرم مُصْبَحِ
/و97و/ونظرْتَ في كل الوجوه برحمة ** نَظَرَ امرئٍ بجلى الكمال موشّح
سَعِدَتْ بعزّتك العوالم وازدهت ** وثوت[9] بظلّك في الجناب الأربح
قد عزّ مَنْ بالعزّ أنت ممدُّه ** فكأنه في قومه ذو أصبح
وأطاعه الأكوان دون تمنّع ** فامنن وبالغ في المواهب وامنح

1- لم نهتد لقائل القصيدة.
2- **العواذل:** من العذل وهو اللوم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2862. الزيات، المعجم الوسيط، ص: 590.
3- "الطب" في (ب) وهو تحريف.
4- غير واضحة في (ب) بسبب البتر.
5- غير واضحة في (ب) بسبب البتر.
6- غير واضحة في (ب) بسبب البتر.
7- غير واضحة في (ب) بسبب البتر.
8- **الصَّبابة:** الشوق أو رقّته و حرارته. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 505.
9- **ثوت:** من الفعل ثوى؛ بالمكان و فيه ثواء أقام واستقر. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 103.

فخـــزائنُ الخـــيرات والبركـــات في ** يُمْنـــاك لـــو أغلقْتَهـــا لم تُفـــتح
يـــا ســـيدا تُجلـــى لنـــا أحوالـــه ** في ملـــبسٍ مســـتبهَم مُستوضـــح
يصـــحو فتحسِـــبُ أنـــه في نشـــوة ** ويجـــدُّ في مـــزح بُعَيْـــدَ المطمـــح
فـــالكون تحـــت جلالـــه متضـــائل ** والشـــمس تلمحـــه بعـــين المُسْـــتَحِ
يـــا أيهـــا الطـــود[1] المنيـــف جلالـــة ** يـــا مـــن إلى غـــير العُلـــى لم يجـــنح
مَدَحَتْكَ أخلاقٌ خُصّصـــتَ بوصـــفها ** فســـواك عنـــد ثنائـــه لم يُمـــدح
لا زلـــت محـــروس الوجـــود مهنّـــأً ** بالسّـــعد في حـــال الممـــر أنصـــح
تُهـــدى إليـــك عـــرائسٌ ميمونـــة ** فأنعِم بهـــنّ وطـــب زمانـــا وامـــرح
وتحيـــةٌ كـــالزهر ينضـــحُهُ النـــدا ** تُنْمـــى إلى ذاك المحيّـــا المفلـــح[2]

[قصيدة محمد بن إدريس في مدح العربي الوزاني]: ولوزير الحضرة المولوية سيدي محمد بن إدريس في مدح جنابه الأرفع، مشيرا إلى سرّ أسلافه الأنفع، أيضا هذه القصيدة: [الطويل]

ألا عُجْ[3] بركب القوم للجانـــب الغـــربي ** وحيِّ بهـــم أهـــل الولايـــة والقُـــرْبِ
هم القوم إنْ وافيـــتَ رَحْـــبَ جنـــابهم ** تلقّـــوك فضـــلا بالبشاشـــة والرّحـــب
/و97ظ/وإن أنت أنْزَلْتَ الرحـــال ببـــابهم ** فلا تخش من ريْـــبٍ يَحُـــلّ ولا عتْـــب
وإن وصـــلوا حبـــل الـــوداد بحبلـــهم ** فعِشْ في هناء نـــاعم الـــذّات والقلـــب
وإن نظـــروا يومـــا إليـــك بنظـــرة ** كسوك بها ثـــوب الســـعادة والتـــوب
فسر في دياجي الليـــل لا تخـــش ضِـــلة ** وصُل في القفار[4] البيدِ لا تخش مِن نَهْب
وقل إن بدت شمسٌ من الشـــرق عنـــدنا ** شموسٌ لعَمري الله تبـــدو مـــن الغـــرب
وإن خَفِيتْ عـــن ذي البِطالـــة والهـــوى ** فمطلعها وازان[5] من ســـيدي العَـــرْبِ[6]
ســـليل علـــي الرضـــى بـــن أحمـــد ** رفيـــع مقامـــات الولايـــة والحـــبّ

1- **الطود**: الثبات والجبل العظيم الذاهب صعدا في الجو ويشبّه به غيره من كل مرتفع أو عظيم. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 569.
2- "اليملح" في (ب) وهو تحريف.
3- **عج**: عجا وعجة وعجيجا رفع صوته وصاح. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 584.
4- **القفار**: جمع قفر وهو الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 750.
5- يقصد الزاوية الوزانية.
6- يقصد العربي الوزاني.

حوى إرث أسـلافٍ لـه قـد تبـوّؤوا ** مقاما سما قدرا على الأنجـم الشـهب
وحازوا العلـى والمجـد والسـر والنـدا ** إلى الشرف الوضاح والكَنَف[1] الرحـب
خيارٌ لهـم تُنضـى[2] الرِّكـاب بمغـرب ** ويقصدهم وفـد الأعـاجم والعُـرْب
فَتْغمُـرُ قُصَّـادَ الحِمـا بركـاتهم ** ويشمل فيّاض النـدا جملـة الرّكـب
يواسون ذا الإقتار مـن فـيض فضـلهم ** ويأسون ذا الداءَ العضالَ مـن العيـب[3]
دعـاني إلى مـديحهم فـيض فضـلهم ** وما لاح في الممدوح من كـرم وهْـبي[4]
فأنزلـتُ أحمـال الرجـاء ببابـه ** وأمّلتُ مـن أفضـاله رحمـة الـربّ
وأسـأل مِـن إقبالـه وقَبولـه ** علـى شـفا ذاتي العليلـة مـع قلـبي
ونيل الذي أرجو مِـن السـتر والعـلا ** بدنيا وأخرى والنجـاة مـن الكـرب
أَجِرْنـي أَجِرْنـي يـا سـليل محمـد ** فإني بـه مستشـفعٌ في قضـا رُعْـب
/و98و/عليـه صـلاة الله ثم سـلامه ** وآلـه أربـاب السـعادة والصـحب
وأتباعـه الأخيـار مـا نَفحـةٌ سَـرَتْ ** إلى قلب أهل الله من حضـرة القُـرْب

وهذا السرّ المصون والنور المكنون، فيهم من لدن جدّهم مولانا عبـد الله الشـريف، يأخذه صالح الخلف من يد صالح السلف. صغيرهم وكبيرهم فيه سواء، خصِيصِية خصّهم بهـا ربّ الأرض والسماء، وقد ورثه من والده مولاي عبد السلام بن العربي[5]، وهو أصغر سنّا مِن عمّه سيدي عبد الله بن علي، كما أشار لذاك قُرْبَ وفاته لما سئل عن استيداع سرّه فقـال: في إبني أَحسَنُ ظنّ العوام وأشراف الزاوية، أنّ سرّه يأخذه واحد من بني حسن القبيلة[6] المعروفـة، فإذا هو يشير به إلى ابنه ويقول: في ابني أحسن من أخي. وأشهر من هذه الكرامـة، قولـه في حياته لأخيه المذكور: اذهب لمراكشة واترك لولدي سَعَة. فذهب لها بعد وفاته ومات بها سنةً،

1- **الكنف:** والكَنَفةُ ناحية الشيء وناحِيتا كلِّ شيء كنَفاه والجمع أكناف. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3940.
2- **تنضى:** أنضى فلان أي كانت دوابه هزيلة، والثوب أبلاه وفلانا أعطاه حيوانا مهزولا. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 929.
3- في (ب): "يواسون ذا الإقتار من فيض فضلهم** وما لاح في الممدوح من كرم وهبي".
4- في (ب): "دعاني إلى مديحهم فيضُ فضلهم ** ويأسون ذا الداء العضال من العيب".
5- **عبد السلام بن العربي الوزاني:** توفي يوم الخميس 7 ربيع الأول 1310هـ/1892م، ودفن بثغر طنجة. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 110.
6- **قبيلة بني حسن:** في جبال بني حسن قرب تطوان، تحدها شمالا بني أوزمر، جنوبا قومارا الخميس، شرقا بني سعيد، وغربا بني إيدر. ينظر: Chatelier, Notes sur les Villes et Tribus Du Maroc, p: 79.

وانفرد بسرّ الوسيلة ولده المذكور مع صغر سنّه، كما انفرد بها مولاي التهامي[1] في صغر سنّه مع وجود مَن هو أكبر منه سنًّا مِن إخوته، وورث القطبانية صغيرا.

[ذكر التهامي الوزاني وتهنئة السلطان سليمان له]:

ومما يدل على أنه ورثها في حداثة سنّه، تهنئة سلطان الوقت مولانا أبي الربيع سليمان بن مولانا محمد[2]، له في مكتوبه الشريف. ونص الكتاب ومطلع فاتحته، هذه الأبيات الثلاثة: [الكامل]

/و98ظ/يهنئ السيادةُ إذْ جَلَوتَ صباحَها ** ومددتَ من نور الهدى أوضاحها

وعقدْتَ عهدك في الوفاء وعهدَها ** ووصلت راحك في العلا وراحَها

ووفّرتَ من حظ الوراثة حظها ** فحمَيْتَ جانبها ورشتَ جناحها

الولد الذي اختاره الله لبابه الحافظ الواقي، والعلَمُ السَمِيّ المراتب والمراقي، والحلي المقلّدُ فوق الترائب[3] والتراقي[4]، والكتر المؤمّل والدّخر الباقي. ذو الخلق السمتي، والخُلُق السني والمجد العلي، أبو محمد سيدي التهامي بن حِبّنا في الله سيدي علي، حَجب الله عن السوء عين كمالك، وصيّر الفلك الدوّار قضية آمالك، وجعل اتّفاق اليُمن مقرونا بيمينك، وانتظام الشمل معقود بشمالك. ولا برِحَ ثوبُ سيادتكم سابغا، وقمر سعادتكم كلّما أَفَلَتْ الأقمار بازغا. أُسلّم بأتمّ السلام عليكم، وقلوبنا شيّقة إليكم، مِن حضرتنا العلية بالله حرسها الله، عن ذكرٍ لكم يتضوّعُ طِيبُهُ[5]، وودّ لا يَذوَى[6] وإن طال الزمان وطيبُه، وبعد:

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأصلّي على خاتم أنبيائه، ومُبلّغ إنبائه وأصحابه الكرام وأبنائه. وأُنهي إليكم أنه وصلنا السادات الإخوة، والعشيرة الحائزةُ قصب السبق في حلبة

1- **التهامي الوزاني تـ(1127هـ/1715م):** محمد التهامي بن عبد الله الحسني الوزاني؛ أبو عبد الله. أديب متصوف من أهل وزان؛ تنسب الطريقة التهامية في المغرب. صنف كتبا منها: المغرب الجاهلي. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 108.

2- **محمد بن عبد الله:** من ملوك الدولة العلوية بالمغرب الأقصى، خلف والده عبد الله سنة 1171هـ/1757م وتوفي سنة 1204هـ/1790م. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 15. ابن زيدان، الدرر الفاخرة، ص ص: 55-65.

3- **الترائب:** عظام الصدر مما يلي الترقوتين وموضع القلادة. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 83.

4- **التراقي:** جمع ترقوة؛ عظمة مشرفة في أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق تكون في الإنسان والحيوان حيث يرتقي فيها النفَس. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 290.

5- **يتضوع طيبه:** ينتشر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2620، مادة: ضوع.

6- **يذوى:** لا يذبل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 1527، مادة: ذوى.

المروءة وكتابكم. وانتهى إلينا جوابكم وخطابكم، وما ذكرتم في شأن كتابنا المتضمن رعي الإخاء، الحافظ المشتمل على سني الفوائد والمواعظ. وغير خافٍ/و99و/عليكم أنّ والدَكم سقاه الله من حوب[1] الرحمة أغدقه[2]، وأهدى إلى روحه الكريمة من نسيم المغفرة أعبقه، كان لنا في هذا الأمر الذي تحمّلنا أمره وتسوّغنا مزّه[3]، أَعْذَبَ مَعين وأفضل ناصر ومُعين، حاز رحمه الله من مكارم الأخلاق، ما لو مُزج به البحر لنفى ملوحته وصفّى كدورته. أخلاقٌ جَمعت المروءةُ أطرافَها، وحرست التقي أكنافها، إلى أن قبضه الله إليه واختاره لما لديه.

نحن في خلال هذا نتأمل أحوالك ونستبريها، ونتتبّع شِيَمَك من بين إخوتك ونستقريها، حتى اتضحت لنا فيك المخائل وأعربت عن فضلك قواطع الدلائل، فرشّحناك لهذا الأمر في قائم حياته، وقلّدناك سني موشّحاته، ورجونا بحول الله أن تكون الخليفة من بعده، وسادّاً ثُلمَةَ[4] فَقْدِهِ. إذْ تَلُوحُ مخائل اللّيث في شِبله، ويكون النجيب فرعا تابعا لأصله، حقّق الله رجاءنا فيك، وخوّلك من خير الدارين ما يشفيك، وجعل الحكمة صادرة أبدا عن فِيكَ، حتى يكون مِن خلّفك في حكم الخالد وإن أصبح فانيا، والمقيم بأهله وإن أمسى بالعراء ثاويا. وإنك بحمد الله وإن جمعتَ إلى شرف الأعراف شرف الأخلاق، فلا تَقِفْ عند ما بَنَتْهُ الأوائل، وتكسل عن الاستكثار من حسن الفواضل والفضائل، وانظر إلى قول القائل[5]: [المتقارب]

إذا أعجبتك خصال امرئ ** فكُنْهَا يكن منها ما يعجبك

/و99ظ/فليس على المجد والمكرمات ** إذا جئتها حاجبٌ يحجُبُك

وإلى قوله[6]: [مجزوء البسيط]

لسنا وإن كَرُمَت أحسابنا ** يوما على الأحساب نتّكل

نبني كما كانت أوائلُنا ** تبني ونفعل الذي فعلوا

1- **حوب**: من الحوب الوحشة والحاجة والمسكنة. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 204.

2- **أغدقه**: أجزله. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1598.

3- **مزّه**: أي مصّه. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 866.

4- **ثلمة**: الصدع أو الثغرة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 326.

5- البيتان لطاهر بن الحسين. ينظر: الماوردي، أدب الدنيا، ص: 364.

6- البيتان لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 148. المبرد، الكامل، ج1، ص: 211. والبيتان ينسبان كذلك للمتوكّل الليثي.

وفرقٌ بين من تناهى في الفضل أمرُه، وعَلِمَ بالضرورة مجده وخيره، وبين ذوي البدايات ومن يروم حصول النهايات. وحافِظْ فإنك اليوم ذو المقام[1] المعلوم وآسي الكُلُوم[2]، تحمّلْتَ أمرا إمراً، وأُرهقتَ فيما تعيّنت له عسرا، فاستعن على ذلك بقول خير القائلين: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[3]، وبالشكر فإنه ترجمان النية ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص وعنوان الاختصاص، وللإخوان عُدّة تشدّهم وتقوّيهم، ونورا[4] يسعى بين أيديهم، وبالحِلم على العشيرة والإخوان، وقابِلهم وإن ساؤوا بجميل البرور والإحسان. ولله درّ من قال[5]: [الوافر]

إذا أَدْمَيْتْ (قوارصهم)[6] فؤادي ** كَظَمْتُ على أذاهم وانطويْتُ

ورُحْتُ عليهم طَلْقَ المُحَيَّا ** كأني ما سمعتُ ولا رأيتُ

وبكل حال، فإن تكن أيدينا بالأمس أمسكت على القلوب خوف/و100و/انصداعِها وانزعاجها، فقد مَسَحَتِ اليوم بك على الصدور عند استراحتها وانفراجها، وإن عَظُمَتْ البلوى بمصرعه فقد سدّدها الله منكم بأعظم خَلَف، ومُنتَهَج نهجِ صالح السلف. ولله در من قال فأنصف[7]: [الطويل]

لئن فُجِعَ الأحشاءُ منا بفقده ** فما فاته مَن أنتَ تعقبُه خيرُ

وإن فقدَتْهُ الخلْقُ شَيْخَ هداية ** فقد طالما أضحت وأنت لها ذخر

جلا وجهُك الليلَ البهيمَ لفقده ** كذاك غروب الشمس يعقبه البدر

1- "كمقام" في (ب) وهو تحريف.

2- **آسي الكلوم:** مبرئ الجروح. ينظر: حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ج2، ص: 90.

3- الأعراف، الآية 128.

4- "نوال" في (ب) وهو تحريف.

5- البيتان لأسامة بن منقذ. ينظر: أسامة بن منقذ، ديوان أسامة بن منقذ، حققه وقدم له: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، بيروت: عالم الكتب، ط2، 1983، ص: 165. المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج3، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ص: 245.

6- "قواضبُهُم" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: أسامة بن منقذ، الديوان، ص: 165. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 198. المحبي، خلاصة الأثر، ج3، ص: 245. والقوارص هي الشتائم.

7- لم نهتد لقائل الأبيات.

والله أسأل أن يحقق فيك الرجاء، ويعطّر من شذا نشرك الأرجاء، ويُبقِي مجدكم يانعة بالفضل أدواحه[1]، مؤيدةً بروح الله أرواحه، ومُشرقا بالسّعد صباحه، ونسيمَ سنائه شهرا غُدُوه وشهرا رواحه، آمين والسلام. في سابع عشر ربيع الثاني عام 1226هـ[2].

[2- ***زاوية أبي الجعد***]: ومن زوايا المغرب زاوية أبي الجعد، مما يلي حاضرة مراكشة. أول من أسّسها الولي الصالح سيدي مَحمد فتحًا الشرقي التادلي[3] نفعنا الله به.

[**التعريف بمؤسسها مَحمد الشرقي**]: "فهو مَحمد بن أبي القاسم الزعري، بن عمر بن معمر، بن مهدي بن صمصامة، بن سعيد ابن عبد العزيز، بن عبد الله بن سليمان، بن سهر بن سعيد، بن عمر بن بحر بن يعقوب، بن فاضل بن محمد، بن مسعود بن موسى، بن مرداس بن هلال، بن محمد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عن جميعهم"[4]. فاتخذها صلحاؤه رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل الجنة متقلبهم ومثواهم، للذكر ولقراءة العلم وهما بمتزل متبوّئهم. فتخرج بها أولياء كاملين وعلماء عاملين، كانت إليهم تُشَدّ الرّحال، ويتسابق لزيارتها وأخذ العلم بها فحول الرجال، وسارت بأخبار صلاح أهلها في البرّ الركبان، وبلّغته لما وراء البحرين المراكب، فكان عند أحبار اليهود والرهبان. وكيف لا يكون/و100ظ/سرّ الله في سلالة عمر رضي الله عنه، وهو قد جالد على الدين وقابل قبائل الشرك أفذاذهم والزَّقْر[5]، وفتوحاته أشهر مِن أَن تُذكَر، وأكثر مِن أَن تُحصَى وتُحصَر. فيه انتشر الإسلام في كور مصر والشام، والعراق واليمن وعُزَّ وانتَصَر. فنسبهم الطيني ينتهي إليه، وحديثهم معنعن في هذا الإقليم وما حواليه.

1- **الدوح**: الدَّوْحةُ الشجرة العظيمة المتسعة من أَيّ الشجر كانت والجمع دَوْحٌ وأَدْواحٌ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 1449.

2- الموافق لـ11ماي 1811م.

3- **محمد الشرقي التادلي تـ(1010هـ/1601م)**: السميري بن الشيخ أبي القاسم الزعري الجابري؛ يرتفع نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. من كبار المشايخ شهير البركة، بعيد الصيت كثير الأتباع. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1109.

4- وهذا النسب أثبته القادري والعروسي ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1109. العروسي، المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي، ص ص: 81- 82.

5- **الزقر**: الصّقر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 1844.

[**طعن الكنسوس في زاوية أبي الجعد**]: وقول الكنسوسي زاويتهم زاوية فسق[1]، وخصهم بهذه المقالة الشنعاء من دون القرى والأمصار، التي شاعت فيها الفاحشة في آخر الزمان، يؤذن بتنقيصهم وشدّة الطعن فيهم، وهم موتى وإياهم يعني بهذه المقالة.

[**رد المشرفي على الكنسوس**]: فنقول في ردّه، تعظيمُ من عظّم الله قدره كسيدي المعطي بن صالح[2]، الذي هو مِن ذرية سيدي محمد الشرقي متعيَّن. إذ هو صاحب «الذخيرة»[3]، ألّفها في فضائل المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي خصائصه، وجمع فيها ما افترق في كتب السيّر النبوّية، وكان ماشيا فيها مع عمره، يقال: إنه بلغ فيها سبعين سِفرًا و لم تكمل. فتعظيمه وتعظيم زاويته واجب بدليل القرآن والسنة، والإجماع والقياس، قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[5]. وأولياء الله من شعائر الله تعالى، وقد صرّحت آيات كثيرة بإكرام الأولياء والتعظيم لهم جملة وتفصيلا، كما في قوله تعالى/و101و/﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[6].

وأما السُنّة: فالأحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام: "من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة"[7]، ومن حارب الله ورسوله ﴿**فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ**﴾[8]. **وأما الإجماع:** فأيضا أمرٌ

1- يبدو أن المشرفي في هذه المسألة قد فهم كلام صاحب الجيش على غير وجه صحيح، فالكنسوس في ذكر هذه الزاوية كتب عن المعطي بن صالح يقول؛ بعد أن نقل كلاما عن صاحب البستان فيه سبّ لشيخ زاوية أبي الجعد: "وقد تركنا من كلامه ما لا يليق، فإنه أطلق لسان الفحش والإيذاء، والسبّ والقدح في سيدي العربي بن المعطي على عادته في أولياء الله تعالى". ومما قاله صاحب البستان في حديثه عن المعطي بن صالح وتأوّله المشرفي وظنّه للكنسوس؛ قوله: "لما عاد السلطان من رباط الفتح، جعل طريقه إلى تادلا ونزل على زاوية أبي الجعد وأمر بهدمها وإخراج السيد العربي بن الشيخ البركة الصالح سيدي المعطي بن صالح هو وأولاده وبنو عمّه من شرقاوة، وقال لهم: أنتم معتكفون في هذه القرية على الفساد وإيواء أهله من كل ظالم وذاعر من جميع القبائل، وكان السلطان قد أعذر لهم المرّة بعد المرة". ينظر: الكنسوس، الجيش العرمرم، ج1، ص: 258.

2- **المعطي بن صالح (تـ1180هـ/1766م):** المغربي المعروف بالشرقي المالكي الصوفي من أحفاد الولي محمد الشرقي ويقال له البجعدي: فقيه مالكي، من متصوفي زاوية أبي الجعد بتادلا في المغرب الأقصى ووفاته بها. من آثاره: ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج6، ص: 2234. الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 106.

3- يقصد كتاب: "ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج". ينظر: حاجي خليفة، إيضاح المكنون، ج2، ص: 541. وتوجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية المغربية تحت رقم: 2782ك.

4- الحج، الآية 30.

5- الحج، الآية 32.

6- الحجرات، الآية 13.

7- رواه أحمد في مسنده باختلاف في اللفظ وكذلك في كتز العمال. ينظر: ابن حنبل، المسند، ص: 1947، حديث رقم: 26721. المتقي الهندي، كتز العمال، ص: 83، حديث رقم: 1157.

8- الجن، الآية 23.

جلي واضح لا شك في تعظيمهم، ولا يخالف فيه أحد لأن المسلمين كافة يوجبون تعظيم أولياء الله لقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا**﴾[1]، وكل من تَنَقَّصهم أو عابهم، يُخاف عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله.

قال في «عمدة الأخبار»: إذ كل من اصطفاه الله وقرّبه وأدناه وشرّفه وزكاه، وأسماه في مراتب القرب وأعلاه، وأثواه في سرادقات[2] الخصوص وآواه كالأنبياء عليهم السلام، وكذا أتباعهم من الصدّيقين والأولياء المتّقين والشهداء والصالحين، والأتقياء الأبرار من المومنين والمسلمين. فحال هؤلاء كلّهم على حسب درجاتهم عند ربهم بعد الموت، أشرف وأعلا وأفضل مما كان قبل ذلك. ثم قال: إن سائر عباد الله الصالحين والأولياء والصديقين، وجملة صالحي المؤمنين، ومَن مات على الإسلام مِن سائر المسلمين، أحياءٌ عند ربهم يرزقون ويتنعّمون، ويسمعون وينطقون ويبصرون، في السرور الدائم والنعيم اللازم. وقد قَصُرت أوهام البشر، وإدراك عقول الأنام عن الوصول إلى كُنْه معرفة ذلك المقام/و101ظ/ فأهل السعادة عند الله أحياء لهم من الله في الجنان ما شاؤوا، جاؤوا إليه فأحياهم، وبوّأهم منه مقاعد صدق.

فمثل هذا السيد المبارك، وأسلافه الصالحين الذين لهم القدم الراسخ، في تقوى الله وعبادته؛ كيف تُوصف زاويتهم التي أسست للتقوى وتدريس العلم، بالفسق وهي مُتبوّأ قوم صالحين. وإنْ صَدَرَ ذنبٌ مِنْ عباد الله في تلك الزاوية وغيرها مِنْ أهلها، أو ممن آوته من الجُناتِ وأهل الجرائم، فربما أورثت تلك المعصية لفاسقهم خشوعا فكانت سببا لتوبته. وفي «الحكم العطائية»: "معْصِيةٌ أورثتك ذلاً (وانكسارا)[3]، خير من طاعة أورثتك عزا واستكبارا"[4]. وما يدريك يا إنسان، أنّ ذلك الولي يشفّعه الله في أهل زاويته، بل وفي أهل بلده؛ بل وفي إقليمه، إذ فضْل الله ما منحه لوليه في حياته ويقطعه عنه بعد مماته، شفّع الله فينا خيارنا بمنّه آمين.

ولا شك أن حرم الولي الكامل، ظِلٌّ ظليل لمن احتدم به ومن دخله كان آمنا، لأنه متبوّأُ نور العبادة، وكثيرٌ من أولياء الله يدعون ربهم بأن يؤمِّن أتباعهم وأهل بلادهم، كما كان شيخ

1- الكهف، الآية 82.

2- **سرادقات:** جمع سرادق وهي خيمة يجتمع فيها الناس في مناسبة عامّة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1055.

3- "واحتقارا" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: البوطي، شرح الحكم، ج3، ص: 149.

4- البوطي، شرح الحكم، ج3، ص: 149.

هذه الزاوية سيدي محمد بن ناصر الدرعي[1] يقول في دعائه: واجعل بلادنا بلاد الدين، وراحة المحتاج والمسكين.

[**توسل صالح بن المعطي بالأولياء حال ظهور الفتن**]: وكان سيدي المعطي بن صالح رضي الله عنه، عند ظهور الفتن في بلده/و102و/ يستصرخ بأولياء الله في إطفائها إشفاقا منه ورحمة. ومن ذلك قوله رضي الله عنه: [الكامل]

بلغ السيل الزبى يا سادتي ** وغدًا السيف على متن الودَج[2]

يرحمُ الرحمن من يرحمنا ** نحن في همٍّ وضيق وحرج

فابسطوا الراح فهذي فتنة ** عمّت الناس ومنّوا بالفرج

وانهضوا نهضة حامٍ للحِمَا ** طال ذا الليل ولا فجر بَلَج[3]

ولما وقف عليها سيدي الطاهر بن عبد السلام ذيّلها بقوله: [الرمل]

أنْقَذَتْ فلْكا جرت فوق الثبج[4] ** بعد عصف الريح والجري العِوج

والتزامي فوق لجّ صاعد ** كجبال سيّرت تلك اللجج

منقذ الغرقا الذي أنقذَهم ** منقذي من كل هم وحرج

فجأة تأتي بلا علم ولا ** حيلة احتالها بشرى الفرج

وعلى الله توكّل واعتمد ** مَن إليه أُسند الأمر نتج

[**جواب التستاوتي لصالح بن المعطي**]: وأجاب الشيخ سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي[5] رضي الله عنه، سيدي صالح بن المعطي عن قوله "بلغ السيل إلى آخره" بهذه الأبيات: [المديد]

1- **ابن ناصر الدرعي (1011–1085هـ/1603- 1674م)**: محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر، أبو عبد الله الدرعي: من صلحاء المالكية وعلمائهم في المغرب وهو أستاذ العياشي صاحب الرحلة؛كانت له زاوية وأتباع كثيرون. له تصانيف منها: الأجوبة الناصرية، سيف النصر لكل ذى بغي ومكر. ينظر: الحضيكي، الطبقات، ج2، ص ص: 319-321. القادري، نشر المثاني، ج4، ص ص: 1583-1586.

2-**الودج**: عرق في العنق وهو الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 1020.

3- **بلج**: بلوجا؛ أسفر فأنار. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 68.

4- **الثبج**: وسط الشيء تجمع و برز. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 93.

5- **أحمد بن عبد القادر التستاوتي تـ(1129هـ/1716م)**: بن مبارك الزعري العياشي التاتوتي، من علماء المغرب الأقصى وصاحب زاوية بسلا. له العديد من المؤلفات منها: جواهر المعاني في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني. ينظر: ابن زيدان الإتحاف، ج1، ص: 329. الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص ص: 841-842. ابن عبد الله، الموسوعة المغربية، ج3، ص: 109.

بلــج الصــبح وفــرّ الليــل في ** خجل يشــتدّ مــن ذاك الــبلج
لطفه في ســرّه حِلمــا ســرى ** سريان النــور في جمــر وَهَــج
فانسب الفعل له إن شــئت أن ** تبرئ الأحشاء مــن داء سمــج[1]
وانتظــر فجــرا قريبــا طالعــا ** مِن سماء العفــو يــأتي بــالفرج

[اللهم طهّر][2] ألسنتنا من سوء الاعتقاد في أولياء الله، وأَطْلِقْ في ذكرهم بالخير.

[**نسب شيوخ زاوية أبي الجعد**]: ونسبُ هؤلاء السادات الديني يتصل بسيدي مَحمد بن ناصر صاحب درعة[3]، إذ وسيلتهم ناصرية، ولم يحضرني الآن اتصالها به رضــي الله عــن جميعهم. [ونسبهم الطيني يتصل بمولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنــه حســبما قيّدناه أوّلاً، وهو جليٌّ الشهرة في هذا الإقليم المغربي][4].

[**3- الزاوية الناصرية بتمكروت**]: ومن زوايا المغرب بالقطر السوسي زاوية تمكروت[5] الناصرية[6]، فنسب أهلها الطيني لم يحضرني الآن. وقد قيل إنّ نسبهم من القبيلة الشبانية، الــتي هي الآن مستوطنة بأرض أزغار، بين الوليين المشهورين سيدي قاسم وسيدي قدّار. فَبِهِ تفتخر على سائر القبائل، وفضلُها بادٍ مسطّر في كتب الأواخر والأوائل.

ووجدتُ التعريف بصاحب الزاوية سيدي أحمد بن مَحمد ما نصه: "هو الشيخ الإمــام قدوة الأنام عالم الأعلام وشيخ الإسلام، مربي السالكين العظام أبو العباس سيدي أحمــد بــن مَحمد، بن محمد بن أحمد، بن محمد بن الحسن بن ناصر بن اعمر الــدرعي ثم الأغــلاني[7]"[8]،

1- **سمج**: سَمُجَ الشيءُ بالضم قَبُحَ يَسْمُجُ سَماجَةً إذا لم يكن فيه مَلاحَةٌ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2087.

2- ساقطة من الأصل والزيادة اقتضاها المعنى.

3- **درعة**: مدينة صغيرة بالمغرب من جنوب الغرب بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، تعرف بواديها الذي يجري من المشرق إلى المغرب وينبعث من جبل درن. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 235.

4- ساقطة من (ب).

5- **تمكروت**: بإقليم وارزازات، كانت مركز إشعاع حضاري. ينظر: ابن عبد الله، معلمة المدن والقبائل، ص: 132.

6- **الزاوية الناصرية بتمكروت**: تبعد زاوية تمكروت الناصرية عن مركز زكورة بنحو اثنين وعشرين كيلومترا إلى الجهة الجنوبية الشرقية. أسسها في النصف الثاني من ق10هـ/16م الشيخ عمر بن أحمد الأنصاري التمكروتي المتوفى 1010هـ/1602م فسميت باسمه. وبعد أن استقر فيها الشيخ محمد بن ناصر الدرعي، وكثر بها آلُه ومريدوه وتلاميذه سميت الزاوية الناصرية، وما تزال حتى اليوم تحمل هذا الإسلام. ينظر: محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط: المطبعة الوطنية، 1964، ص: 57.

7- نسبة إلى أغلان وهي قصبة بلاد درعة. ينظر: ابن عبد الله، معلمة المدن والقبائل، ص: 40.

8- وهذا النسب أثبته القادري. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1583. بينما يرى محمد حجي أن نسبه يتصل بالصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 57.

المرتفع نسبه[1] إلى الصحابي الأمجد مولانا المقداد بن الأسودرضي الله عنه[2]. ونسبها الديني ما في هذه السلسلة الطاهرة: [الطويل]

إلهـــي بالإرســـال مـــن خـــير أمـــة ** بشمس الوجود المصـــطفى مـــن بريـــة
وبـــالآل والأصـــحاب أتباعـــه الآلي ** هـــم أنجـــم زهـــر ســـرات الخليقـــة
أمـــولاي بـــالنّحرير صـــالح درعـــة ** محمـــد نجـــل ناصـــر حَـــبر سُـــنّة
بشـــيخه عبـــد الله نجـــل حُســـيْنهم ** فنجـــل علـــي أحمـــد حـــاج نســـبةِ
بشيخهم الغـــازي أبي القاســـم الرضـــى ** علـــي بـــن عبـــد الله ذي سجلماســـة
بشـــيخه أحمـــد بـــن يوســـف ينتمـــي ** بمليانـــة[3] لا تُلـــقِ سمعـــاً لريبـــة
/و102ظ/بشيخ التقى زروق أحمد شـــيخه ** بأحمد يدعى الحضـــرمي ابـــن عقبـــة
ببـــدر قرابـــةُ علـــي بأحمـــد ** ســـليل عطـــاء تـــاج إســـكندرية[4]
بأحمـــد المرســـي[5] الـــولي بشـــيخه ** أبي حســـن علـــي إمـــام الطريقـــة
لشاذلة انتمى بقطـــب التُّقَـــى الرضـــى ** سليل مشـــيش نجـــل بيـــت النبـــوءة
وبالمـــدني العطّـــار عبـــد لـــراحم ** بجـــاه تقـــي الـــدين قطـــب ســـيادتي
فقيرهـــم بفخـــر ديـــن وقطبـــه ** وبالقطب نور الـــدين كمـــل عنـــايتي
وبالقطـــب تـــاج الـــدين بالقطـــب ** شمسه وبالقطب زين الدين قزوين[6] بلدة
وبالقطـــب إبـــراهيم وانصُـــبْ لبصـــرة ** بأحمـــد المـــرواني قطـــب البصـــيرة
بجـــاه ســـعيد قطبـــهم وفخـــارهم ** بفتح السعود القطـــب جـــبرا لحـــالتي
وبالقطـــب ســـعدهم لغـــزوان[7] ينتمـــي ** وبالقطـــب جـــابر النـــهى والخليقـــة

1- المختار السوسي، المعسول، ج10، ص: 34.

2- **المقداد بن الأسود**: ينسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهري، شهد فتح مصر ومات في أرضه بالجرف فحمل الى المدينة ودفن بها وصلى عليه عثمان سنة 33هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج3، ص: 148. الذهبي، السير، ج1، ص: 385.

3- **مليانة**: مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس والمسيلة وبقرب نهر شلف، وهي مدينة رومية فيها آثار، جددها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلكين، وعلى ثلاثة أميال منها جبل وانشريس. ينظر: البكري، المغرب، ص: 69. الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 34.

4- **الإسكندرية**: من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش -وعند الحموي فيلفوس- فنسبت إليه، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 54.

5- **مرسية**: بالأندلس، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت دار العمال وقرار القواد. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 539.

6- **قزوين**: ببلاد الديلم، بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً، وهي ثغر الديلم. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 465.

7- **غَزوانُ**: وهو الجبل الذي على ظهره مدينة الطائف؛ وغزوان أيضاً محلة بهراةَ. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص: 202.

وبالحَسَن السبطي الـذي هـو قطبـهم ** وأولهـم أَكـرِم بهـا مـن مـزيّتي[1]
فمـن طينـة الزهـر انتشـى وعلَيْهـا ** كلاهما مـن إمـداد شمـس النبـوءة
وكـل مـن الأشـياخ شـيخه قبلَـة ** بسلسـلة صَـعَدَ وصَـوَّبَ برتبـة
وصـح عـن المرسـي قـال طريقنـا ** عن القطـب قطـب هكـذا للنبـوءة
بجـاههم أختـم بالسـعادة صـعدتي ** ومُنَّ علـيَّ بالرضـى واشـفي علـتي
وكـن لي واهـدني وثبـت محاسـني ** وعاملني بالإحسـان في كـل نفحـة
وصلى وسـلم كلمـا ذُكـروا علـى ** نبي الهدى المختـار مـن خـير أمـة

هذه سلسلة الأنوار بالتعريف بالمشايخ الأبرار[2].

[سند محمد بن ناصر الدرعي في الطريقة]: قال العلامة محمد بن عبد الله البكري[3] وفّقه الله: وجدْتُ بخط الصالح سيدي حسين بن ناصر، أخي الفقيه الصالح الشهير بسيدي محمد بن ناصر الدرعي، نفع الله به قال: وجدْتُ هذه السلسلة بخط أخينا وشيخنا سيدي محمد بن ناصر ما نصه: أخذنا طريق التصوف عن الشيخ الرباني سيدي عبد الله بن حسين الرقي[4]، عن شيخه سيدي أبي العباس أحمد بن علي الحـاجي الـدرعي[5]، عـن شـيخه أبي القاسـم الغـازي السجلماسي[6]، عن شيخه أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي[7]، عن شـيخه أبي العبـاس

1- "مريتي" في (ب) وهو تصحيف.

2- أشار إلى هذه السلسلة الكتاني في فهرس الفهارس وهي لمحمد بن أحمد بن علي الوافلاوي، وقد اقتبسها من سلسلة الأنوار لليوسي التي تقع في 34 بيتا. ينظر: الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص: 1058. الحسن اليوسي، سلسلة الأبرار، مخطوط بمركز آل سعود للدراسات الإسلامية، الدار البيضاء: المغرب، رقم: 349، ص ص: 1-4.

3- **محمد بن عبد الله البكري**: فقيه جليل؛ كان خطيبا بجامع الحمراء من المدينة البيضاء. توفي في 12 جمادى الأولى 1089/1678م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1613. الولالي أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب، مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بوعصاب، الرباط: منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء: مطلعة النجاح الجديدة، ط1، 1999، ص: 266.

4- اليوسي أبو علي بن مسعود، الفهرسة، تحقيق: زكريا الخثيري، دبلوم الدراسات العليا المعمقة، الرباط: جامعة الخامس أكدال، بإشراف: جعفر بلحاج السلمي، 2004، ص: 84.

5- **أحمد بن علي الحاجي (تـ 998هـ/1590م)**: تلميذ الشيخ أبي القاسم الغازي، وأحد شيوخ عبد الله بن حسين الرقي، كانت له زاوية يقصدها الفقراء تسمى زاوية سيدي أحمد بن علي. ينظر: الحضيكي، الطبقات، ص ص: 69-70.

6- **أبو القاسم الغازي السجلماسي (تـ 981هـ/1573م)**: بن محمد بن عمر بن أحمد السوسي الدرعي وكنيته أبو القاسم؛ إمام الطائفة الناصرية. ينظر: أبو عبد الله محمد المدعو المكي بن موسى الناصري الدرعي، الدرر المرصعة بأخبار صلحاء درعة، مخطوط بمركز آل سعود، المغرب: الدار البيضاء، رقم: 2، ص ص: 351-352.

7- **أبو الحسن علي بن عبد الله السجلماسي (تـ 940هـ/1534م)**: الولي الصالح القطب المشهور، أخذ الطريقة عن أبي العباس أحمد ابن يوسف الملياني الراشيدي. ينظر: الحضيكي، الطبقات، ص: 465.

أحمد بن يوسف الملياني[1]. عن شيخه أبي العباس أحمد زروق الفاسي، عن شيخه أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي[2]، عن شيخه [أبي الحسن علي العراقي، عن شيخه أبي العباس تاج الدين أحمد بن عطاء الله الإسكندراني. عن شيخه أبي العباس أحمد المرسي[3]][4]، عن شيخه إمام الطائفة أبي الحسن الشاذلي، عن شيخه أبي محمد عبد السلام بن مشيش الحسني، عن شيخه سيدي عبد الرحمن العطار[5] المدني[6]. عن شيخه القطب تقي الدين الفُقَيّر -بالتصغير فيهما- عن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين، عن القطب تاج الدين[7]، عن القطب شمس الدين، عن القطب زين الدين القزويني، عن القطب إبراهيم البصري، عن القطب أحمد المرواني. عن القطب سعيد، عن القطب فتح السعود، عن القطب سعد الدين الغزواني، عن القطب جابر، عن أول الأقطاب الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي: طريقتنا إنما هي قطب عن قطب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

/و103و/سلسلة والله جمعت الصلحاء، وتلاميذهم أهل هذه الزاوية المباركة بالعلم كانوا نصحاء، سَرَى مددُهم في المشرق والمغرب وسائر النواحي، وانتشر ذكرهم في أقصى الأقاليم والضواحي. وسَرَى سرّهم في البدو وأمهات الحواضر، فلم يخلُ قطر من أقطار الدنيا، ولا معمور الأرض من هذه الطائفة السليمة الخواطر، المنوّرة البواطن والظواهر. وناهيك في فضل صاحبها سيدي محمد بن ناصر، أن أبا علي اليوسي مِن نسلها الديني، فَبِهِ تفخر درعة على سائر البلدان، ولله در من قال فيه من الإخوان: [البسيط]

1- **أحمد بن يوسف الملياني الراشدي (ت 927هـ/1521م):** من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين، انتهت إليه رياسة السالكين وتربية المريدين ببلاد الراشدية والمغرب بأسره، وهو من تلاميذ الشيخ زروق. جمع صاحب كتاب بستان الأزهار في ماقب زمزم الأخيار جملة من أخباره. ينظر: العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص ص: 291-293. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص ص: 14-16.

2- **أحمد بن عقبة الحضرمي (824- 895هـ/1421- 1490م):** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عمر بن أحمد بن عقبة اليمني الحضرمي؛ من بيت ولاية وعلم، دفن بتربة البرقوقة. ينظر: العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 292.

3- **أبو العباس المرسي (616-686هـ/1219-1287م):** أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي المرسي الأنصاري العارف الكبير، نزيل الأسكندرية. صحب الشاذلي، وصحبه تاج الدين بن عطاء الله والشيخ ياقوت. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 190. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص: 313. الكوهن، طبقات الشاذلية، ص ص: 61-63.

4- ساقطة من (ب) وكذلك ساقطة من فهرسة اليوسي. ينظر: اليوسي، الفهرسة، ص: 84.

5- "أسطار" في (ب) وهو تحريف.

6- **عبد الرحمن العطار المدني:** المعروف بالزيات لسكناه بحارة الزياتين بالمدينة المنورة. ينظر: اليوسي، الفهرسة، ص: 85.

7- "تاج الدين سعيد" في (ب) وهو تحريف.

من فاته الحسن البصري يصحبه ** فليصحب الحسن اليوسي يكفيه[1]

ودالية[2] في شيخه تريك فضلها، فالأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، والقصيدة مع شرحها في سِفرٍ ضخم، احتوت على المقصد الأعظم من لغة العرب مطلعها[3]:[البسيط]

عرج بمنعرج الهضاب الوُرَّدِ ** بين اللصاب[4] وبين ذات الأرمد[5]

وقد حاول علماء وقته شرحَها فعجزوا وطلبوا منه ذلك، فحلّ ألفاظها بشرح سهل المأخذ تبصرةً وتذكرةً، وإنْ جَهِلْتَ فضائل ولي الله صاحب درعة وشيخ وفودها، طالع تلك القصيدة يُشفَ عليلُك ويبرد غليلك.

[3- *زاوية الغازي بلقاسم*]: ومن زوايا القطر السجلماسي زاوية الشيخ/و103ظ/ سيدي الغازي بلقاسم، أحد الأئمة لإمام درعة المذكور[6]، كان طبيبا لأمراض القلوب. وزاويته أظهرَ الله للعباد فضلها، ونوّر بسرّه حَزنها وسهلها، وانتشرت وسيلته في سائر الآفاق، وسارت بخبر[7] صلاحه الركبان والرفاق، يأوي إليها المريض والصحيح، وتَكلّمَ بمدده الأعجمي والفصيح.

[4- *زاوية أحمد الحبيب*]: ومن الزوايا المشهورة الذكر، المعمورة بالصلاح بلا نُكر، زاوية الشيخ سيدي أحمد الحبيب[8]. فقد كان والله حبيبا، ولأدواء الذنوب طبيبا، وهي في تلك الكورة مذكورة مشكورة. كان رضي الله عنه صاحب أسماء يتصرّف بها، وطَوْعُ يده روحانيتها. ومن كراماته التي شاهدها منه أهل عصره، أنه إذا وردت عليه الضيوف، وتراكمت

1- البيت لأبي سالم العياشي صاحب الرحلة. ذكره الزركلي في ترجمة الحسن اليوسي. ينظر: الزركلي ، الأعلام، ج2، ص: 223.

2- وهي لليوسي عدد أبياتها 540 بيتا؛ توجد نسخة منها بمكتبة مركز آل سعود للدراسات الإسلامية بالدار البيضاء المغربية، تحت رقم: 366، تقع في 27 صفحة. وقد أورد صاحب الدرر المرصعة منها ثلاث عشرة بيتا. ينظر: الدرعي، الدرر المرصعة، ص ص: 423-424.

3- اليوسي، دالية اليوسي، ص: 2.

4- **اللصاب**: الشِّعْبُ الصَّغيرُ في الجَبَلِ أضْيَقُ من اللِّهْبِ وأوسَعُ من الشِّعْبِ جمع لِصابٌ ولُصوبٌ. ينظر: الزيات المعجم الوسيط، ص: 825.

5- **الأرمد**: من الثياب الأغبر والوسخ. ينظر: الزيات المعجم الوسيط، ص: 372.

6- يقصد محمد بن ناصر الدرعي.

7- "بخير" في (ب) وهو تصحيف.

8- **أحمد الحبيب**: الولي الصالح الزاهد الإمام الكبير، كان شيخا في القراءات السبع، أخذ عنه ابن خالته أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي المتوفي سنة 1743 القراءات السبع وشيئا من النحو، وهو شيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي. توفي في 4محرم 1165هـ/1752م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج6، ص: 2133. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص: 228. السوسي، المعسول، ج6، ص: 39.

عليه الوفود والصفوف، وضع أصابعه في جدار داره، فيسيل من أحدها دقيق، ومن غيرها سمن وزيت وعسل. فإذا [أطاع][1] العبد مولاه في السكون والحركة، أطاعه الوجود وتصرف بأسماء البركة.

[5- ***زاوية الطيب بن الماحي***]: وعنه أخذ الشيخ سيدي الطيب بن الماحي، فاتّخذ ببركة شيخه زاوية بتَتْجفايت قريبة من مدينة الأبلق وُجدة[2]. فهو شيخ تلك النواحي، رفيع المكانة عند أعراب/و104و/المداشر، ومِن بَعْدُ مِن أئمة الضواحي. ومن تلامذته علما وعملا، شيخ الشيوخ سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي[3]، فهو القائل عند زيارة شيخه رضي الله عنهما: [الطويل]

بلغنا بحمد الله حضرة من [به][4] ** يُنال جميع السؤل وهو زائر
فحُق لنا إنشاد بيت مرونق ** به مَثَلٌ بين البرية سائر
فألقت عصاها واستقر بها النوى ** كما قرّ عينًا بالإياب المسافر

[قصيدة أحمد بن عبد العزيز الهلالي يمدح أحمد الحبيب]: وللهلالي المذكور يحضّ على كتاب القاموس[5]، بذكر البعض من محاسنه، ثم تخلّص في أثنائه يمدح شيخه سيدي أحمد الحبيب[6]: [مجزوء البسيط]

أقول لطالب اللغة الحفي ** بعزمٍ كالحسام المشرفي
فَدَيْتُكَ لا سبيل لذاك إلاّ ** من القاموس ذي الصنع البدي
متى عَهِدَ اللّبيبُ إليه يهجم ** على طلباته بادي بديّ
حوى القاموس بين الكتب فضلا ** مبيّنا للأريب اللوذعي

1- ساقطة من (ب).

2- **وجدة**: مدينة بالمغرب الأقصى؛ بينها وبين تلمسان ثلاث مراحل. ينظر: البكري، المغرب، ص ص: 87-88.

3- **أحمد بن عبد العزيز الهلالي**: نزيل مدغرة سجلماسة ودفينها، كان عالما بالنحو والبيان والمنطق واللغة والفقه والتفسير، له إجازات كثيرة من المشارقة والمغاربة. وله مقيدات كثيرة في فنون العلوم منها: الراهم في الدراهم. توفي سنة 1175هـ/1761م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج6، ص ص: 2212-2217. الحضيكي، الطبقات، ص: 116 وص: 119. العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 419-423. وقد جعل المشرفي وفاته سنة 1275هـ وهو خطأ.

4- ساقطة من (ب).

5- يقصد شرح خطبة القاموس. ينظر: عبد الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين، ج7، ص: 2377.

6- وردت الأبيات عند المشرفي. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 420.

ومنها[1]:

فإن قيل الصحاح[2] أجلّ منه ** وفضل السبق ليس مِنَ الخفيِّ
فكم متأخر بمُقدَّمٍ قد ** روى واختص بالفضل الوفي
هل القاموس إلا البحر فيه ** غرائب كل شيء عبقري
فبعض البعض مما ضمّنه البحر ** من عجبٍ صحاحُ الجوهري
وما قدرُ[3] الصحاح ولو مضافا ** لتهذيب[4] الإمام الأزهري[5]

/و104ظ/ومنها:

عليك به فكم غَرثانٍ[6] صادٍ ** حباه السؤل من شبح[7] وريِّ
وواضِبْهُ فذو زند شحيح ** يصيد به أخا زَندٍ وريّ
ورتبتما بليدٍ غُصّ منه ** لإيجازٍ يَعِزُّ على الغبي

ومنها:

وإن الجوهري أجاد لكن ** أتى الوادي فطمّ على القَرِيّ
وما القاموس بين الكتب إلا ** كمثل الشيخ في عدم الكفِيّ
إمام حاز سبقا دون ثانٍ ** هُمام فاز بالمجد الصفي
وهل في العصر من قَرْم[8] مُدَان ** لسيدنا الرضى النَدْب السري
هو الغوث المغيث لملجأ قد ** غدا بين الضبا[9] والسمهري[10]

1- وردت هذه الأبيات والتي تليها عند المشرفي. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 420-421.

2- "الصحاح" في (ب) وهو تصحيف. والمقصود هاهنا هو كتاب الصحاح للجوهري.

3- "قدروا" في (ب) وهو تحريف.

4- يريد كتاب التهذيب في اللغة للأزهري الآتي تعريفه.

5- **الأزهري (282- 370هـ/895-981م):** الهروي اللغوي الشافعي. سمع ببغداد من أبي القاسم البغوي وابن أبي داود وإبراهيم بن عرفة وابن السراج وأبي الفضل المنذري. من تصانيفه: تهذيب اللغة، وكتاب التفسير. ينظر: الذهبي السير، ج16، ص ص: 315-316. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 334. السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص: 63. الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص: 2391.

6- **غرثان:** من الغَرَث وهو أَيْسَرُ الجُوعِ؛ وقيل: شِدَّتُهُ؛ وقيل هو الجوع عامة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3231.

7- "شبغ" في (ب) وهو تحريف.

8- **قرم:** من القَرْم وهو السيد المعظم من الرجال. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 730.

9- **الضبا:** من ضبا إليه ضبوا و ضبؤا لجأ، والنار والشمس لفحته وأحرقته وشوته. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 534.

10- **السمهري:** الرمح الصليب العود؛ يقال: هو منسوب إلى سمهر رجل كان يقوّم الرماح. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 452.

هو الغيث[1] المـــوافي عنـــد محـــل ** بوَسْـــــمِيَ هتـــــونٍ[2] أو ولي
هو البـــدر المـــنير لكـــلِّ ســـارٍ ** مـــلأ الآفـــاق مـــن نـــور جلـــي
هـــو الصـــدر المـــبرّأ في المعـــالي ** مُحَلّـــى جيـــدها أبهـــى حُلـــي
هو المسمى الحبيب لأجـــل حِـــبٍّ ** لـــه في الجانـــب الأعلـــى الســـني
متى تقصد حِمـــاه ظَفِـــرْتَ منـــه ** بعطف الوالـــد الحَـــدِبِ الحَبِـــيِّ
وإن تحُـــــــل لمأرَبـــــــهِ ذُراه ** حللـــت ذُرى الكـــريم الأريحـــي
ونِلت[3] قصد (المنى)[4] عفوا وسيقت ** لـــك الآمـــال في سَـــيْرٍ وحَـــيّ[5]
وإن تكُ حالتي تقضي (وتـــدني)[6] ** فكم بُشْـــرَى مـــن بعـــد النّعِـــي

ومنها[7]:

وكم من عادة خُرِقَتْ لمـــن قـــد ** نحـــى معْـــنى الحبيـــب الألمعـــي
/و105و/وكم نلنا به ممـــا طلبنـــا ** مـــن حسّـــي أو مـــن معنـــوي
كرامات له لـــو رُمـــتَ حصـــرا ** لهـــا أفنيـــت أنفـــاس الـــروي

[**طلب الهلالي الإجازة من أحمد الحبيب**]: "ومن ذلك قوله يطلب من الشيخ المذكور الإجازة: [الخفيف]

أيها السيد الـــذي مـــا اســـتجازه ** مجيـــــز النـــــوال إلاّ أجـــــازه
ولتكن بخط يمنـــاك كـــي يجعلـــها ** العبـــــد للعلـــــوم مَجـــــازه
ولـــتكن ســـيدي لســـابق وعـــدٍ ** كـــان قبـــلُ معجّـــلا إنجـــازَه"[8]

1- "العيث" في (ب) وهو تصحيف.
2- **هتون**: الكثير القطر؛ يقال: سحاب هتون وعين هتون الدمع. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 972.
3- "وقلت" في (ب) وهو تحريف.
4- "المنا" في الأصل والصحيح ما أثبتناه.
5- "وحى" في (ب) وهو تصحيف.
6- "تني" في الأصل والتصحيح من نزهة الأبصار للمشرفي. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 421.
7- وردت الأبيات عند المشرفي. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 421.
8- وردت الأبيات كاملة في نزهة الأبصار. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 421.

[6- ***زاوية كرزاز***]: ومن زوايا تلك الكورة المذكورة زاوية كرزاز[1]. ففيها فضلُ الله استقرّ وانحاز، يَرِثُهُ كابر عن كابر، وإلى ذلك السرّ تسير الوفود وتمشي حفاة الأكابر. في كعبة كل زائر يهتدي بها كل جائر، وتهدي كل ضالّ وحائر. طريقة أهلها طريق فتح مشهورة، يأخذها كاملٌ من يد كاملٍ، كفّه للعطاء مبسوطة غير مقبوضة، يمنّون عليك بلا سؤال، ويبتغون العزة لله الكبير المتعال.

[7- ***زاوية القنادسة***]: وقريب منها زاوية القنادسة[2]. فأهلها معهم إخوان وعلى الخير والطاعة أعوان، لهاتين الزاويتين في الولاية خَفَقُ بنود، يتعاقب المريدون إليهما تعاقُبَ أهل الموسم. فقويَتْ الطوائف والجنود، منهم الركبان وأهل القوافل، الوفود تُقبِلُ مِن كل فجّ عميق، كأنها حجاج للبيت العتيق، ولضرائح ساداتها يهرع مَن في بحر ذنبه غريق. وصاحب الزاوية الثانية[3] كبير القدر والشأن، يُدْعَى بطير الصحراء سيدي محمد بوزيان[4]، نفعنا الله ببركاته وأعاد عليّ وعلى المسلمين مِن صالِح دعواته.

[8- ***زاوية المختار الكنتي***]: وبعد سجلماسة وتي ميمون، زاوية المبارك الميمون، إمام التلّ والصحراء، وأستاذ الذاكر برّا وبحرا. شيخ الوسيلة والأوراد، ومقدم الطريقة والشريعة

1- **زاوية كرزاز**: أسسها الشيخ أحمد بن موسى بن خليفة بن محمد الحسني الكرزازي. يرتفع نسبه إلى الولي الكبير عبد السلام بن مشيش. ولد مؤسس هذه الزاوية بكرزاز، أحد القصور الصحراوية جنوب بني عباس على خط وادي الساورة جنوب الجزائر عام 907هـ/1502م وتوفي عام 1016هـ/1607م عن سن تناهز 108سنوات. أخذ عن الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي المليانى، وعن تلميذ الأخير عبد الرحمان السهلي. ينظر: محمد الكرزازي، المناقب المعزية، ص: 152. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص: 298. أحمد مزيان، المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر 1845-1912، ج1، الرباط: دار أبي رقراق، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، ط1، 2007، ص: 160.

Riin Louis ; Marabouts et khouan ; etudes sur lislam en Algerie ; 1884، p: 342.

2- **زاوية القنادسة**: أسسها الولي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي زيان القندوسي بمنقطة القنادسة. ينظر: علي بن عبد القادر التازي، منهل الضمآن ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامات شيخنا العارف بالله سيدي مَحمد بن أبي زيان، مخطوط بالخزانة الزيانية القندوسية ببشار جنوب الجزائر، ص ص: 33-53. الشفشاوني، دوحة الناشر، ص: 96. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص: 298.

3- يقصد زاوية القنادسة.

4- **محمد بن أبي زيان القندوسي تـ(1145هـ/1733م)**: بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي زيان القندوسي الذي يتصل نسبه بالولي المشهور أبي عبد الله محمد بن عجال الغزواني. ينظر: عبد الرحمن بن محمد مزيان اليعقوبي، فتح المنان في سيرة الشيخ مَحمد بن أبي زيان، مخطوط بالخزانة الزيانية القندوسية بالقنادسة؛ بشار جنوب الجزائر، ص: 58. علي بن عبد القادر التازي، منهل الضمآن، ص ص: 33-53. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 505. كما ألف محمد المصطفى بن الحاج البشير البوزياني القندوسي المتوفى سنة 1933 بالقنادسة جنوب الجزائر؛ كتابا يتحدث فيه عن الزاوية القندوسية ومناقب مؤسسها محمد بن أبي زيان القندوسي سماه: "طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية المتمسكة بالشريعة المطهّرة المحمّدية"، وتوجد نسخة منها بالخزانة الزيانية القندوسية ببشار جنوب الجزائر، الملاحظ عليها أن صاحبها ينقل كثيرا عن اليعقوبي في "فتح المنان".

والحقيقة، وأمين القصد والمراد، الذي طار صيته في البدو والحضر، وسرى طـنين[1] ذكـره في أسماع أُولي العلم والنظر، وحاز قصب السبق في التصوف. فله الغاية في كل مضمار وميـدان، وبه لُقِّحَتْ أرض البيض واخضرّ روض السودان[2]. قطب رحى الأقاليم كلها، وإمام الحضـرة الربانية وقاضي محلّتها/و105ظ/ وفي عويصة العلم الظاهر والباطن هو المفتي، إمام الأئمة سيدي المختار الكنتي[3]. وِردُه القادري سقى به التلول والهضاب، وفاض فأَعْمَرَ الجبال الشامخة الذرى[4]، وملأ الوهاد والوطاب، حتى أخصب للمتردّد في روض الذكر المرعى والمسرح. وأزهر لماضـغه ربيع الكُدَيِّ والمطرح، واخضرّ دوح التلاميذ[5] في كل بلاد، وظهر صلاح الثمرة في كل شِعب منه وواد، وأزاح الله عن الدنيا المحلّ والكروب، حتى زحف الشروق عازما لخدمة الغـروب، ونادى[6] منادي الصلاح هلمّوا إلى الخير الكثير في أقصى الغرب يزداد، وهو الـذي كـان في ماضي القرون هناك ببغداد، فتسلْسَلَتْ طريقته، وتناسقت بين الأقطاب حقيقته.

[قصيدة في سند المختار الكنتي]: وها أحاديثه في أنسابه الدينية تُجلى، وتُنشَد عليـك قصيدته وتُملى: [الرجز]

الحمـد لله الـذي مـن اتصـل ** بحبلـه المـتين لابـد وصـل
ومـن بحبـل غـيره تعلقـا ** ففصـلُه وطـردُه تحققـا
ثم صـلاة الله والسـلام مـا ** نـال المـنى مـن ربـه تيمُّمَـا
علـى الـنبي خـاتم الأرسـال ** محمـد وصـحبه والآل
ووارثيـه مـن مشـايخ السـلف ** وصالح الخلـف أربـاب الشـرف
وإنـني أسـأل ممـن أرسـله ** عونا على نظـم رجـال السلسـله

1- **الطنين**: ضربٌ من الأصوات كصوت الناقوس والعود. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 568.

2- **السودان**: بلاد كثيرة وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط. ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص: 24.

3- **المختار الكنتي الكبير**: بن أحمد مولده 1729م ووفاته سنة1811م ومدفنه بجانب بئر أبي الأنوار بأزواد. من مؤلفاته: الجرعة الصافية والنفحة الكافية. ينظر: محمد الكنتي، الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد، مخطوط بخزانة الطالب رمضاني في أولف، و54ظ. وقد قدّم الدكتور الحمدي أحمد أطروحة دكتوراه حول الإسهام العلمي للمختار الكنتي، بإشراف الأستاذ الدكتور بن نعمية عبد المجيد، نوقشت بقسم الحضارة الإسلامية بجامعة وهران سنة 2008.

4- "الدرى" في (ب) وهو تصحيف.

5- "التلاميد" في (ب) وهو تصحيف.

6- "وناذى" في (ب) وهو تصحيف.

/و106و/عساه أن ينظمني في سلكهم ** فلا أحيد الدهر عن مسلكهم
وعلّه يلهمني رشادي ** ولِتِيحَ الفوز بالمراد
أنا وإخواني جميعا فأقول ** والله ذا الإفضال أسأل القَبول
مبتديا بغوث هذا الوقت ** معتصما من موجبات المقت
أخذ شيخ الأمة المختار[1] ** من أشرقت من وجهه الأنوار
وقدَّمَتْهُ الأولياء طُرّا ** فضيلة بها يُخَصُ جهرا
عن شيخه والدُه المجدد ** غوث الوجود سيدي محمد[2]
عن شيخه والدُه المختار ** غوث الورى قطب رحى الأخيار
عن شيخه الشيخ على بن النجيب ** ذي النظر السديد والرأي المصيب
عن شيخه العارف ذي القدر المكين ** عنيتُ ذا النقاب سيدي الأمين
عن شيخه أخيه نجل عُمَرا ** أحمد من حاز المقام الأكبرا
عن شيخه صنو أبيه سيدي ** علي بن أحمد المجدد
عن شيخه أبيه أعني السيدا ** أحمد مَن بالعلم والحِلم ارتدَا
عن شيخه أبيه ذي الرشاد ** محمد المشهور بالرقاد
عن شيخه أبيه أحمد الشهير ** بالفَيْرمي العلامة الحبر الكبير
عن شيخه القطب الكبير المشتهَر ** أعني أباه الشيخ سيدي عمر
عن شيخه ذي المنصب الجليل ** العالم العلامة المغيلي[3]
عن شيخه النحرير ذي التمكين ** أعني السيوطي جلال الدين

1- يقصد الشيخ المختار الكبير الكنتي.

2- **محمد الكنتي تـ(1270هـ/1854م):** بن المختار بن أحمد، بن أبي بكر أبو عبد الله الكنتي؛ فقيه مالكي مؤرخ من شنقيط. له تصانيف منها: الطرائف التالدة من كرامات الشيخين الوالد والوالدة. ينظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا أو تخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك، مصر: المطبعة الحالية، 1920، ص: 356.

Paul Mart, études Sur L'Islam Et Les Tribus Du Soudan, Paris Ernest Leroux, P: 63.

3- **المغيلي تـ(909هـ/1503م):** محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، مفسر فقيه من أهل تلمسان. رحل إلى بلاد السودان وبلاد التكرور لنشر أحكام الشرع وقواعده وتوفي في توات. من مؤلفاته: البدر المنير في علوم التفسير، مصباح الأرواح في أصول الفلاح. ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص ص: 130- 132. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص: 576-579.

/و106ظ/عن شيخه الجامع للمناقب ** ذي الرتبة المنيفة الثعالب[1]
عن شيخه القاضي إمام المغرب ** محمد المعروف بابن العربي[2]
عن شيخه الفاضل ذي القدر الجليل ** التلمساني ابن مرزوق النبيل
عن شيخه الذي حوى كل شرف ** بناصر الدين المنشذّل[3] عُرِف
عن شيخه ذي الرتب العوالي ** أعني أبا حامد الغزالي
عن شيخه القطب الشريف الأجل ** ذي المجد سيدي علي الشاذلي[4]
عن شيخه ذي الشرف القطب الهمام ** نجل مشيش سيدي عبد السلام
عن شيخه ابن العربي الحاتمي ** بحر العلوم جامع المكارم
عن شيخه العدل الرضي النجيب ** السهروردي أبي النجيب
عن شيخه علي بن هيتا ** من حاز عزا شامخا وصيتا
عن شيخه إمام هذا الجيل ** من خصّه الإله بالتبجيل
عن سيدنا الجيلي عبد القادر ** الحسني طاهر السرائر
عن شيخه الهمام شيخ الواصلين ** أبي الوفا الوفي تاج العارفين
عن شيخه أبي محمد الزكي ** العارف الأجلّ ذاك الشنبكي[5]
عن شيخه الحائز كل فضل ** أعني أبا بكر إمام الشبلي[6]

1- يقصد الثعالبي الجزائري وقد تقدمت ترجمته في مقدمة المخطوط.

2- **ابن العربي المالكي (435-543هـ/1044-1149م):** أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد، المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور. كانت ولادته بإشبيلية، وقيل إن ولادته كانت سنة تسع وستين، وقيل إن وفاته كانت في جمادى الأولى على مرحلة من فاس عند رجوعه من مراكش، ونقل إلى فاس، ودفن بمقبرة الجياني. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 296.

3- **المشذالي (631-731هـ/1234-1331م):** منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي؛ فقيه حافظ مشارك في المنطق وعلوم العربية. من آثاره: شرح على الرسالة لم يكمله. ينظر: الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الجزائر: دار البصائر، ط1، 2007، ص ص: 105-106. ابن قنفذ، الوفيات، ص ص: 344-345.

4- **علي الشاذلي (591- 656هـ/1195-1258م):** علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي الضرير، نزيل الإسكندرية. صوفي فقيه، تنسب إليه الطريقة الشاذلية. توفي بصحراء عيذاب. له: الاختصاص من القواعد القرآنية والخواص. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات، ص: 323.

5- **الشنبكي:** أبو محمد؛ من أعيان مشايخ العراق. ينظر: الشطنوفي، بهجة الأسرار، ص: 194. وقد خصّه بترجمة مطولة.

6- **أبو بكر الشبلي تـ(334هـ/946م):** أبو بكر دلف بن جحدر وقيل جعفر. الصالح المشهور الخراساني الأصل البغدادي المولد والمنشأ. مالكي المذهب. صحب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومَن في عصره من الصلحاء. توفي ببغداد عن عمر يناهز 87 سنة. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص ص: 50- 52. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص ص: 273-276. القشيري، الرسالة القشيرية، ص: 71.

عن شيخه شيخهم بلا خفا ** إمامهم أعني الجنيد ذا الصفا
عن شيخه وخاله أبي الحسن ** سري السقطي ذي الخلق الحسن
/و107و/عن شيخه المعروف في السماء ** والأرض معروف أخِ الوفاء
عن شيخه شمس الهدى الصفي ** ذي الكَرامات الحسن البصري
عن الخليفة أمير المؤمنين ** وختن الرسول أحمد الأمين
ليث الكتائب علي بن أبي ** طالب الحائز أعلا الرتب
عن سيد الرسل إمام المتقين ** محمد رسول رب العالمين
صلى عليه ربنا في كل حين ** وآله وصحبه في المُكْرَمين
وهو آخذ عن الروح الأمين ** جبريل ذي المقام الأرفع المكين
عن لوح رب العزة المكنون ** عن قلم اقتداره المصون
فهذه سلسلة الأوراد ** جاءت بلا نقص ولا ازدياد
حررها كذا الخليفة الإمام ** سيدنا محمد[1] بدر التمام
نجل الإمام العارف النظار ** شيخ الشيوخ شيخنا المختار
كهف الأمان معدن السلوك ** وعمدة الوصول للملوك
أبقاه ربي زمنا طويلا ** يجلو الدجى ويوضح السبيلا
ويردع الأعدا ويحمي الدنيا ** ونستقي زلاله المعينا
بجاهه وجاه هؤلاء ** يا باسط اليدين بالعطاء
أدعوك أن تجعلني منخرطا ** في سلكهم ولْتَعْفُ عما فرطا
مني وعمّرني بأنوار الهدى ** قلبي ونجّني مِن أشراك الرّدى
ونق قلبي من الوساوس ** طرًّا ومن هواجم الهواجس
واطْوِ لنا طُرّا مسافة السفر ** ونجّنا غدًا من أهوال سقر
واختم لنا ياربنا بالحسنى ** وبالقرار في المقر الأسنى
ثم على محمد الشفيع ** غدا لدى الإله في الجميع

1- يقصد محمد الخليفة الكنتي.

وآلـــه وصـــحبه الغـــرّ الكـــرام ** ومقتفـــيهم إلى يـــوم الزحـــام
أزكـــى صـــلاة الله مـــا توســـلا ** عبدٌ بهـــم فنـــال مـــا قـــد أمّـــلا

[9- ***زاوية الدلائيين***]: /و107ظ/ومن الزوايا المشهورة زاوية الدلائيين[1]، فقد كانت بِسرِّ المُلك والولاية معمورةٌ. ولقد نص العلامة اليازغي[2] على صولة كل واحد منهم، وما هو عليـــه من العلم والعمل، وتاريخ الوفاة مترجِمًا له من قصيدة رأيتُ أن أثبتها برمّتها في هذا التـــأليف، اعتمادا على صحة تاريخها. وقدّمتُ ذكرهم هنا و لم نذكرهم في ترجمة الملوك، لأنهـــم ليســـوا ملوكا في الحقيقة فلا تعدلهم دولة، بل ذكرناهم تبرّكا بسيادتهم، ودرجة العلم والصلاح هـــي التي قدّمتهم رضي الله عنهم، وشملتنا وذريتنا عنايتهم وبركتهم، مفتتحا بقصـــيدة العلامـــة أبي المواهب سيدي عبد الوهاب[3]، بن العلامة المحقق سيدي العربي الفاسي[4]، يمدح أهل هذه الزاوية الدلائية البكرية بها، وهي عجيبة ونصها[5]: [المجتث]

نهـــج الهـــدى في اســـتقامَه ** لمـــــن يـــــروم مرامـــــه
إن تَبْـــغِ نجـــدا وتهـــوى ** عـــــــرارةً[6] وثمامـــــــه[7]
أهـــل الـــدلا أهـــل نجـــد ** وأرضـــــــهم أرض رامـــــه
لّمـــا ارتقـــوا في المعـــالي ** وخلّفـــــوا كـــــل هامـــــه

1- **الزاوية الدلائية**: هناك زاويتان دلائيتان تبعد إحداهما عن الأخرى بنحو اثني عشر كيلومترا؛ الأولى أسسها الشيخ أبو بكر بن محمد الدلائي حوالي 974هـ/1566م بمرتفعات جبال الأطلس المتوسط. والثانية شيّدها حفيده السلطان محمد بن الحاج الدلائي عام 1048هـ/1638م في موقع زاوية إسحاق بين خنيفرة وقصبة تادلا. ينظر: حجي، الحركة الفكرية، ص ص: 499 -503. وقد خصّ محمد حجي هذه الزاوية بدراسة كاملة تحت عنوان: "الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي". الفضيلي، الدرر البهية، ج2، ص ص: 320-326.

2- **اليازغي**: أبو محمد عبد الكريم بن عليّ بن عمر بن أبي بكر بن إدريس الزهني، نسبة إلى بني زهنة من قبيلة بني يازغة؛ المعروف باليازغي. قدم جده منها لفاس. توفي بفاس سنة 1199هـ/1785م. له: حاشية على المحلى وفهرسة. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 435. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص ص: 128-129. كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص: 209.

3- **عبد الوهاب الفاسي (1009-1079هـ/1600-1668م)**: عبد الوهاب بن العربي بن يوسف الفاسي من القضاة؛ ولد بفاس وولي القضاء بتطوان مدة، له أشعار كثيرة وتآليف. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص ص: 364-365.

4- **العربي الفاسي (988-1052هـ/1580-1642م)**: محمد العربي بن يوسف بن محمد الفهري القصري الفاسي، فاضل من أهل فاس. من آثاره: مرآة المحاسن تناول فيه مناقب والده وتراجم معاصريه. ينظر: الحضيكي، الطبقات، ج2، ص ص: 466-467.

5- القصيدة خاطب بها العربي الفاسي ابنه عبد الوهاب الفاسي مادحا له وللزاوية الدلائية، والقصيدة برمّتها أوردها صاحب البدور الضاوية. ينظر: الحوات سليمان، البدور الضاوية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية، ضمن مجموع مخطوط رقم: Ms Arab 433، بريطانيا: مكتبة جامعة هارفرد، ص ص: 338- 340. ومن هذا الموضع سينقل المؤلف حرفيا من البدور الضاوية دون إشارة، وسننبه على ذلك في مواضعه.

6- **عرارة**: من العرار؛ وهو نبات طيب الرائحة. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 592.

7- **ثمامة**: من الثمام؛ وهو ضرب من الشجر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 508.

واستتبعوا المجد لما ** ألقى إليهم زمامه
وخيّموا في ذُراهُ[1] ** دون الأنام خيامه
جعلتُهم لزماني ** أجلّ درع ولامة
/و108و/وحقِّهم وهو عندي ** أبرّ كل قَسَامَة
لهم على الناس أندى ** من حاتم[2] وابن مامة[3]
وفضلهم ليس يحصى ** ولي على ذا علامة
من حلّ يوما حِماهم ** فدهره في استقامة
لا يَختشي منهم ضيما[4] ** ولا يخاف انتقامه
وليس فيهم عيوب[5] ** غير الندا والشهامة
تخالهم كالبدور ** مكانة ووسامة
وكالسيوف مَضاءً ** وحدّة وصرامة
وكالأسود ولكن ** مهابة وزعامة
وكالبحور ولكن ** سماحة وضخامة
نوالهم كلّ آنٍ ** يحكيه صوب الغمامة
وكيف لا وأبوهم ** مَن قد عرفتم مقامه
قد امتطى الليل ظَهرا ** والصبحُ أمَّ إمامه
ناهيكم بإمام ** صام الزمان وقامه
قد وجد الفضل نشرا ** فكان هو نظامَه
أحرزه وحماه ** وما أباح اقتسامه

1- "داره" في (ب) وهو تصحيف.

2- يقصد حاتم الطائي.

3- **ابن مامة:** كعب بن مامة الإيادي؛ من أجواد العرب. كان مسافراً ورجل من النمر بن قاسط فقلّ عليهما الماء فتصافناه. وهو أنْ يُطرح في الإناء حجرٌ ثم يصب فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا. فجعل النمري يشرب نصيبه، فإذا أخذ كعب نصيبه قال: اسق أخاك النمري، فيؤثره حتى جهد ومات عطشاً. والمؤلف يشير إلى كرم وَجُودِ أبناء الزاوية الدلائية. ينظر: المبرد، الكامل، ج1، ص: 300.

4- **ضيما:** من الضَّيْم وهو الظُّلْمُ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2629.

5- "عبوب" في (ب) وهو تصحيف.

وإذا رآ كـــــم بنيـــــه ** فـــض[1] لـــديكم ختامـــه
/و108ظ/فمن يشـــابه أبـــاه ** فمـــــا عليـــــه ملامـــــه
حُزتم[2] مـــدا الـــدهر فخـــرا ** ورفعـــــــة وفخامـــــــه[3]
لـــن يـــبرح المجـــد فـــيكم ** حـــــتى تقـــوم القيامـــه[4]
قد حســـد الوقـــتَ فـــيكم ** مـــــا خلْفَـــــه وأمامـــــه[5]
كأنمـــــا الـــــدهر وجـــــه ** وجـــــيلكم فيـــــه شـــــامه
قد فـــاخر الغـــربُ شـــرقًا ** حـــــتى العـــــراق وشـــــامه
حـــتى غـــدا لشـــام قـــالٍ ** مروَانَـــــــهُ[6] وهشـــــــامه[7]
خريـــــدة[8] مـــــن محـــــبّ ** أهـــــدت إلـــــيكم ســـــلامه
قد صـــانها عـــن ســـواكم ** محبـــــــــة وكرامـــــــــه
إن ظَفَـــــــرَتْ بقبـــــول ** نـــــال المحـــــب مرامـــــه
أو لوحظـــــت بســـــواه ** فـــــلا أقـــــوال علـــــيَ مـــــه

[قصيدة العربي بن يوسف الفاسي في مخاطبة الدلائيين]: ولوالده العلامة المحقق والنحرير المدقق، سيدي العربي بن يوسف الفاسي نفع الله به، يخاطب أهل هذه الزاوية الدلائية البكريـــة أيضا[9]: [المجتث]

لا ذُقْـــتُمْ طعـــم ضَـــيم ** وذِلّـــــة بعـــــد عـــــزّه
ولا عَـــــرتكُم خُطـــــوبٌ ** مِـــــن أَمْـــــنِكُمْ مســـــتفزّه

1- "فص" في (ب) وهو تصحيف.
2- "حرزتم" في (ب) وهو تحريف.
3- في (ب) حُزتم مدا الدهر فخرا** ورفعة وفخـــــامه
4- في (ب) لن يبرح المجد فيكـــم** ما خلـــفه وأمامـــه
5- في (ب) قد حسد الوقت فيكم**حتى تقوم القيامـــة
6- يقصد **مروان بن الحكم (2-65هـ/623-685م):** بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك: خليفة أموى، وهو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص. ولد بمكة ونشأ بالطائف وسكن المدينة. ينظر: ابن عبد البرّ، الاستيعاب، ص: 1387.
7- يقصد **هشام بن عبد الملك:** أحد خلفاء بني أمية، حكم بين سنتي 105-125هـ/724-743م كان بخيلا شديد البخل، إلا أنه كان غزير العقل حليما عفيفا. ينظر: ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص: 131.
8- **خريدة:** العذراء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 1128.
9- وردت القصيدة عند صاحب البدور الضاوية. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 339.

ولا تنـــــاءت[1] فـــــراخٌ ** عـــــنكم وللـــــبين أزّة
حَـــلَّ حِمـــاكم غريـــبٌ ** قـــد فـــزّه[2] البَـــيْنُ[3] فـــزّه[4]
/و109و/وهو بكم مســتجير ** ممـــــا دهـــــاه وهـــــزّه
لا يُسْـــلِمُ الجـــار فـــيكم ** لضـــــــيقة أو لِحَـــــــزّه
أَيُسْتَضَـــــــامُ مُجَـــــارٌ ** لأهـــــل مَجْـــــدٍ أَعِـــــزَّه
مَـــن حَفِـــظَ الجـــارَ يومـــا ** بـــــالعز[5] يلـــــزم غـــــرزه[6]

ولقد حلاّهم الله بحِلْيَةِ العلم والعمل، وأتحفهم بما أولاهم مِن زينةِ المُلك، فقـــاموا فيـــه بالعدل وحازوا مرتبة تعلوا على المشتري[7] والحمل[8].

[المُلْكُ وشروطه]: وفي «ابن خلدون» ما نصه: واعلم أنّ الشرع لم يذمّ الملك لذاته، ولا حَظَرَ القيام به، وإنما ذمَّ المفاسد الناشئة عنه، من القهر والظلم والتمتع باللذّات. ولا شـــك أنّ في هذه مفاسد محضورة وهي مِن توابعه، كما أثنى على العدل والنّصفة وإقامـــة مراســـيم الدين، والذبّ عنه وأوجب بإزائها الثواب، وهي كلّها من توابع الملك[9]. "فإذًا، إنما وقع الـــذمّ للمُلك على صفة وحال دون حال أخرى، و لم يذمّه لذاته ولا طَلَبَ تركهُ"[10]. "وإذا تقـــرّر أنّ هذا النَّصْبَ وجب بالإجماع، فهو من فروض الكفاية، وراجِعٌ إلى اختيار أهل الحل والعقـــد، يتعيّن عليهم نصبه، ويجب على الخلق جميعا طاعته، لقوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ**﴾[11]"[12].

1- **تناءت:** تباعدت. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2151.

2- "برّه" في (ب) وهو تحريف.

3- "الدهر" عند صاحب البدور الضاوية. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 338.

4- **فزّه:** فزا، أي فزع. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 687.

5- "فالعزم" عند صاحب البدور الضاوية. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 338.

6- "عرره" في (ب) وهو تحريف. والمقصود أمره ونهيه. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1607.

7- **المشتري:** أحد كواكب المجموعة الشّمسيَّة، وترتيبه الخامس قُربًا من الشَّمس، يسبقه المرِّيخ ويليه زُحل، وهو أكبر الكواكب في المجموعة الشّمسيَّة من حيث الحجم، كتلته أكبر من كتلة الأرض بـــ 316 مرّة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1197.

8- **الحمل:** أحد أبراج السَّماء ترتيبه الأوّل، وزمنه من 21 مارس إلى 19 أبريل. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 564.

9- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، بيروت: دار الفكر، ط1، 2003، ص: 190.

10- المصدر نفسه، ص: 190.

11- آل عمران، الآية 32. النساء، الآية 59. الأنفال، الآية 20. النور، الآية، 54. محمد، الآية 33.

12- ابن خلدون، المقدمة، ص: 191.

[**شروط المُلك**]: فله شروط أربعة: "العلم والعدالة والكفاية، وسلامة الحواس والأعضاء، مما يؤثِّر في الرأي/و109ظ/ والعمل. واختُلف في شرط خامس، وهو النسب القرشي. فأما اشتراط العلم فظاهرٌ، لأنه إنما يكون منفِّذا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بها، وما لم يعلمها لا يصحّ تقديمه لها"[1]. "لأنّ التّقليد نقصٌ، والإمامة تستدعي الكمال في الأوصاف والأحوال. وأما العدالة، فلأنه مَنْصِبٌ ديني ينظرُ في سائر المناصب التي هي شرطٌ فيها، (فكان)[2] أولى باشتراطها فيه"[3].

"وأما الكفاية، فهو أنْ يكون جريئا على إقامة الحدود، واقتحام الحروب بصير بها، كفيلا بحمل الناس عليها، عارفا بالعصبية وأحوال الدهاء، قويا على معاناة السياسة، ليصحّ له بذلك ما جُعل إليه من حماية الدين، وجهاد العدو، وإقامة الأحكام، وتدبير المصالح"[4]. "وأما سلامة الحواس والأعضاء من النَّقص والعطلة، كالخرس وما يؤثر فقده من الأعضاء في العمل، فتشترط السلامة منها كلّها، لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جُعل إليه، وإن كان إنّما يشين في المنظر فقط، كفقد إحدى هذه الأعضاء، فشرط السلامة منه شرط كمال"[5]. "ويُلحَق بفقدان الأعضاء المنعُ من التصرف، وهو ضربان: ضربٌ يُلحَق بهذه في اشتراط السلامة منه، شَرْطَ وجوبٍ وهو القهر والعجز عن التصرف جملةً بالأسر وشَبَهِهِ. وضربٌ [لا يُلحَقُ بهذه][6] وهو الحَجْرُ باستيلاء بعض أعوانه عليه"[7]. "فإن جرى على حكم الدين والعدل، وحميد السياسة جاز (قراره)[8]، وإلا استنصر المسلمون/و110و/ بمن يقبض يده عن ذلك، ويدفع علّته حتى ينفّذ فعل الخليفة"[9].

1- ابن خلدون، المقدمة، ص: 191.
2- "مكان" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ص: 191.
3- نفسه، ص: 191.
4- نفسه، ص: 191.
5- المصدر نفسه، ص: 191.
6- ساقط من الأصل والزيادة من مقدمة ابن خلدون. ينظر: نفسه، ص: 191.
7- نفسه، ص: 191.
8- "إقراره" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ص: 192.
9- نفسه، ص: 192.

"وأما النسب القرشي، فلإجماع الصحابة يوم السقيفة[1] على ذلك. واحتجت قريش على الأنصار لَما همّوا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة[2]، وقالوا: منا أمير ومنكم أمير، لقوله صلى الله عليه وسلم: الأئمة من قريش[3]. وبأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أوصانا بأن نُحسِنَ إلى مُحسنكم ونتجاوز عن مسيئكم، ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصية بكم"[4].

إلا أنه لما ضَعف أمر قريش وعجزوا عن "حمل الخلافة، وتغلّبت عليهم الأعاجم، وصار الحلّ والعقد لهم، فاشتبه على كثير من المحقّقين حتى ذهبوا إلى نفي اشتراط القرشية، وعوّلوا على ظواهرٍ في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم: اسمعوا وأطيعوا وإن وُلّيَ عليكم عبد حبشي ذو زبيبة"[5][6]. "ومثلَ قول عمر: لو كان سالم مولى حذيفة[7] حيا لولّيته عليكم، أو: لَمَا دخلتني فيه الظِنّة"[8]. وإن كان "مذهب الصحابي ليس بحجة"[9]، "حِرصا من عُمر رضي الله عنه على النظر للمسلمين، وتقليد أمرهم لمن لا تلحقه فيه لائمة، ولا عليه فيه عُهدة"[10] انتهى.

1- **سقيفة بني ساعدة سنة 11هـ:** لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عليا والزبير ومن كان معهما في بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم. وتخلّف عنها الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار...فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فاذا هم مجتمعون. وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمّل فقلت من هذا: قالوا سعد بن عبادة...فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام؛ وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا...تريدون أن تختزلونا مِن أصلنا وتحضنونا من الأمر...فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب؛ منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش...فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعتُه. ينظر: ابن كثير البداية والنهاية، ج8، ص ص: 81-94.

2- **سعد بن عبادة تـ(14هـ/635م):** بن دليم بن حارثة الخزرجي، أبو ثابت: صحابي من أهل المدينة. كان سيد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام. شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وأحد والخندق وغيرها. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج3، ص: 566.

3- رواه أحمد وصححه الألباني. ينظر: أحمد، المسند، ص: 869، حديث رقم: 12332. وص: 909، حديث رقم: 12931. الألباني، صحيح الجامع، ص ص: 534-535. حديث رقم: 2757 والحديث رقم: 2758.

4- ابن خلدون، المقدمة، ص: 192.

5- رواه البخاري ومسلم وابن ماجة وأحمد باختلاف في اللفظ؛ وصححه الألباني. ينظر: البخاري، الصحيح، ص: 982، حديث رقم: 7142، باب السمع والطاعة للإمام. أحمد، المسند، ص: 2032، حديث رقم: 27809. المتقي الهندي، كنز العمال، ص: 728، حديث رقم: 14799. الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ج2، ص: 409، حديث رقم: 2911، باب طاعة الإمام.

6- ابن خلدون، المقدمة، ص: 192.

7- **حذيفة بن اليمان رضي الله عنه تـ(36 هـ/656م):** بن حسل بن جابر العبسي، واليمان لقب حسل. صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين. روى 225 حديثا. ينظر: الذهبي، السير، ج2، ص: 361.

8- ابن خلدون، المقدمة، ص: 192.

9- المصدر نفسه.

10- نفسه.

[تنبيه المؤلف على أن هذه المقدمة لازمة قبل تحلية أهل الدلاء]: ولقد أتينا بهذه المقدمة، قبل الكلام على تحلية أهل هذه الزاوية بالعلم والعمل به، تنبيها منّا على أنْ لا يظنّ بهم ظانٌ سُوءًا، وأنّهم حازوا شرف الدنيا بالخلافة، حيث قاموا بالعدل، وشرف الآخرة بالقيام بالعلم والعمل به، فلم يكونوا غرضا للقدح فيهم. ومن توفّرت/و110ظ/ فيه هذه الشروط الخمسة، كان أَوْلَى بالمُلك مِن غيره، وبها يُفَضَّل على غيره، فمن ولاّه الله أمر هذه الأمة، وجعله خليفة في أرضه، وأَمَرَ عبادَهُ بطاعته، يُشعِر بتفضيله عليهم.

[مفهوم الخلافة]: إذِ الخلافة في الأصل نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا، فصاحب الشرع متصرّف في الأمرين. وفي الاصطلاح: هي حمل الكافة على أحكام الشريعة. والحكمة في قوله تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾[1]. وسمّاه سبحانه خليفة، ولم يسمّه مَلِكًا لأنه مظنّة للباطل، وتَحِلَّةٌ يومئذ لأهل الكفر وأعداء الدين. وفي الحديث: "الخلافة بعدي ثلاثون، ثم ترجع ملكا عضوضا"[2]، فانظر كيف وصف النبي صلى الله عليه وسلم الملك بالعضّ.

ولا شك أنّ من أفضى إليهم المُلك قبل ذلك، أعطوه حقه من الترفّه والأبّهة، وارتكاب الباطل والظلم والبغي، وسلوك سبله والغفلة عن الله، وانغمسوا في الدنيا، ونبذوا الدين وراءهم ظِهريا. فكانت همّتهم قصد الشهوات، وركوب اللذّات من معاصي الله، جهلا باستدراجه وأمنًا لِمَكْرِهِ، مع اطّراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة، وضعفهم عن السياسة حتى سلبهم الله العزّ، وألبسهم الذلّ ونفا عنهم النعمة.

[قصة عبد الله بن مروان مع ملك النوبة]: ألا ترى إلى قصة (عبد الله بن مروان)[3]، مع ملك النوبة يقام لها ويُقعَد. وذلك أنّ (عبد الله بن مروان)[4] دخل أرضه فارّا أيام السفاح، وأقام

1- ص، الآية 26.

2- أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج9، ص: 503، كتاب المغازي.

3- "أبي جعفر المنصور" في الأصل وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه. لأن الثابت تاريخيا أن عبد الله بن مروان هو الذي فرّ من بني العباس. والقصة الواردة قصّها عبد الله بن مروان في حضرة المنصور، فظنّها المشرفي وقعت للمنصور. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص: 203. وابن خلدون نقل النص عن المسعودي في مروج الذهب. **وعبد الله بن مروان** تـ(نحو 170هـ/787م) من بقايا بني أمية في الشام. شهد زوال دولتهم في أيام أبيه سنة 132هـ وفرّ من عبد الله بن علي العباسي عم السفاح إلى بلاد النوبة، ثم ظفر به الأمير نصر بن محمد بن الأشعث فأخذه وقدم به على المهدي العباسي في بغداد، فحبسه سنة 161هـ ومات في أيام الرشيد. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 137.

4- "المنصور" في الأصل وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه.

بها فأتاه/و111و/ملِكُهم فقعد على الأرض بعد أن (بُسطت له فُرشا)[1] ذات قيمة. قال: فقلت له ما منعك من القعود على ثيابنا؟ فقال: إني مَلِكٌ وحُق لكلّ ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه الله. ثم قال لي: لِمَ تشربون الخمر وهي محرّمة عليكم في كتابكم؟ فقلت: اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا. قال: فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرّم عليكم؟ قلت: فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم. قال: فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم؟ قلت: ذَهَبَ منا المُلك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا، فلبسوا ذلك على الكُره منا. فأطرق ينكث بيده في الأرض ويقول: عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا، ثم رفع رأسه إليّ وقال: ليس كما ذكرتَ؛ بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم الله عليكم، وأتيتم ما عنه نُهِيتُم، وظلمتُم فيما مُلِّكْتُمْ، فسلبكم الله العزّ وألبسكم الذل بذنوبكم. ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم، وأنا خائف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدي فينالني معكم، وإنما الضيافة ثلاث فتزود ما احتجت إليه وارتحِل عن أرضي. فتعجب المنصور وأطرق. وانتهى الكلام بينهما[2].

[ثناء المؤلّف على الدلائيين والعلويين]: وهؤلاء قاموا بأمر الخلافة الدينية والدنيوية، إلى أن ولّى الله أمر هذا الإقليم المغربي لمن هو أولى منهم أدبا، وأعلاهم نسبا وحَسبًا/و111ظ/ أهل البيت الشريف، والحسب الرفيع والنسب المنيف، وهم ساداتنا أولاد مولاي علي الشريف.

[قصيدة اليازغي في الإشادة بفضل الدلائيين]: ولفضل السادات الدلائيين، يشير أبو عبد الله اليازغي[3]، في قصيدته الرجزية في صدرِ مطلعِها هذا: [الرجز]

حمدا لمن أدلى إليه الكلّ ** دلاءه فعمّ منه الفضل

ثم صلاته بغير منتهى ** على الذي لِقابَ قوسين انتهى

وآله وصحبه الأخيار ** ما كُوِّر الليل على النهار

وبعد هذي غادةٌ حسناء[4] ** تودُّها وشاحَها[5] الجوزاء

1- "بسط له المنصور" في الأصل وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه.

2- النص نقله المؤلف بتصرف من مقدمة ابن خلدون، وقد أخطأ بعض الشيء في نقله. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ص: 203-204.

3- **أبو عبد الله اليازغي (1238هـ/1823م):** محمد بن أبي بكر اليازغي؛ أبو عبد الله. مؤرخ من آثاره: حدائق الأزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 173.

4- **الغادة الحسناء:** المرأة الناعمة اللّينة. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 667.

5- **وشاح:** ما يوشح به من قلادة ونحوها. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ج3، ص: 2444.

تخبر عن شموس أهـــل الأرض ** أقطابهـــا في طولهـــا والعـــرض
أهل الدلاء القـــادة الأعـــلام ** حســـنة العصـــور والأيـــام
من سار فضلهم مسير البـــدر ** في الملإ الأعـــلا وكـــل قطـــر
وإذا أتت بكل معـــنى رائـــق ** في وصـــفهم سمّيتُهـــا الحـــدائق
والله مـــن إحســـانه القـــديم ** أسأله مـــن فضـــله العمـــيم[1]

[ذكر نسب أبي بكر بن محمد الدلائي][2]: ثم بدأ بالحديقة الأولى، مُقَدِّمًا لأصلهم الذي تفرّعوا منه، مشيرا لتاريخ ولادته وموته، ومصرّحا بما أخذ عنه وبنسبه وأولاده الأربعة، وهـــو الشيخ سيدي أبو بكر بن محمد الدلائي[3] رضي الله عنه فقال:

[حديقة الورد البهيج في الشيخ سيدي أبي بكر ونسبه الأريح][4]: [مجزوء البسيط]

أصـــــلهم الـــــذي بـــــه تفرعـــــوا ** واســـتوطنوا روض العـــــلا وأمرعـــــوا
وأحـــــرزوا إجمـــــاع كـــــل رتبـــــة ** فاقـــت بهـــا بـــدر الـــدجا وشـــهبه
/و112و/شيخ الشيوخ العارفين من وصل ** لمجمـــــع البحـــــرين علمـــــا وعمـــــل
بحـــــر الهـــــدى وتحفـــــة العصـــــور ** مشـــــفع الإعجـــــاز بالصـــــدور
مَـــــن نَســـــبت إلى اسمـــــه الزاويـــــهْ ** فقيـــــل في تعيينـــــها بكريـــــة[5]
كـــــان بعيـــــد الصـــــيت في البقـــــاع ** عرفانـــــه ثَبَـــــتَ بالإجمـــــاع

1- عن هذه القصيدة ينظر: أبو بكر اليازغي، حدائق الأزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية، ضمن مجموع مخطوط رقم: Ms Arab 433، بريطانيا: مكتبة جامعة هارفرد، و3و.

2- هذا نسب الدلائيين نظما. وأورده صاحب البدور الضاوية قائلا: "أبو بكر بن محمد بن سعيد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر بن علي ابن أبي القاسم بن محمد بن يحي بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحي بن الحسن بن موسى بن يحي بن يعقوب بن نجم بن عيسى بن شعبان بن عيسى بن داوود بن محمد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه". ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 29.

3- **أبو بكر بن محمد الدلائي**: المعروف بحمى بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المحاطي؛ المولود بالدلاء عام 943هـ/1536 المصادف لما سمي وقتها عام بوعقبة، لمقابلة أحمد الوطاسي وجيشه من أهل فاس، مع أبي العباس الأعرج السعدي، ومقاتلة أهل مراكش على مشرع بوعقبة، وهي الواقعة التي أنهت عهد الوطاسيين وبداية عهد السعديين. توفي أبو بكر سنة1021هـ/1612م ودفن في مسجده في الدلاء. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 49. الفاسي محمد المهدي، ممتع الأسماع في الجزولي والتّبّاع وما لهما من الأتباع، تحقيق: عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، الدار البيضاء: مطبعة دار النجاح الجديدة، ط1، 1994، ص: 216. حجي، الزاوية الدلائية، ص: 43.

4- ساقطة من الأصل والزيادة من الأزهار الندية لليازغي قصد تتميم المعنى. ينظر: اليازغي، الأزهار الندية، ص: 3.

5- أي طريقتها بكرية نسبة إلى أبي بكر الدلائي.

ولـــد في عـــام رقـــى للـــدرجات[1] ** وعام قد شـكى الـورا ذاق الممـات[2]
أخذ عـن قطـب الـورى القُسـطُلي[3] ** دفـين مـراكش أُسّ الفضـلِ
عنـه ارتقـى مراتبـا لا تُلحَـقُ ** فيهـا البَطِـيُّ قـد بـدا والأسـبقُ
وهـو تلميـذ[4] الرضـى الغـزواني[5] ** محمـد الفـرد الرفيـع الشـان
كـان وليـا مُفـرَدًا شـهيرا ** وبـدر هُـدًى لائحـا مـنيرا
ابـن الـولي ملجـأ الأتبـاع ** خـير رجـال العـارف التبّـاع[6]
سـعيد[7] مَـن عمّـت بـه سـعودٌ ** واسـتعذَبَتْ منـه النـدا الوفـود
ابـن أبي حفـص الربيـع الممطـر ** وصـاحب القـدر الرفيـع الأشـهر
قـد كـان آيـة مـن الآيـات ** لِـذِكْرِهِ مقـامع الشِـدّات
يـواجر الأهلـين والبَنِينَـا ** وحزبَـه القاصـي والأقربينـا
علـى الصـلاة والسـلام الأكمـل ** علـى الـذي مِـن كـل بـدر أجمـل
ابـن السـيد الحسـن نجـم سـودَدِ ** ابـن محمـد الرضـى ابـن أحمـد
ابـن أبي زيـد سـنا النـواظر ** ابـن محمـد بـن عبـد القـادر
/و112ظ/ابن علـي الطيـب الأعـراق ** نجـل أبي القاسـم ذي الإشـراق
ابـن محمـد السـديد رأيَـا ** ابـن الـذي أحيـا المعـالي يحـي
ابـن عُبيْـد الخـالق المعظّـم ** ابـن سـليل الغـرّ عبـد المـنعم
وهـو ابـن يحـي صـاحب المفـاخر ** ابـن أبي علـي ذي المـآثر

1- يشير إلى تاريخ ولادته بتاريخ الحروف.

2- يشير إلى تاريخ وفاته بتاريخ الحروف.

3- **القسطلي**: أبو عمرو بن أحمد بن أبي القاسم القسطلي الأندلسي المراكشي؛ من وجوه مراكش وأعيانها، توفي عام 974هـ/1566م. ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص ص: 108-109. المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص ص: 117-120.

4- "ابن تلميذ" في الأصل والتصحيح من الأزهار الندية. ينظر: اليازغي، الأزهار الندية، ص: 4.

5- **الغزواني أبو محمد**: عبد الله بن عجال الغزواني؛ من مشايخ التصوف. استقر بمراكش وبها توفي سنة 1529م ودفن بزاويته بمدينة مراكش. ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص ص: 96-99. المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص: 56-66. الكوهن، طبقات الشاذلية، ص: 127.

6- **عبد العزيز التباع**: بن عبد القادر المعروف بالحرّار نسبة إلى صناعته لأنه كان حرّرا -صناعة الحرير- في بداية أمره. من أقطاب التصوف؛ توفي سنة 914هـ/1508م. ينظر: المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص ص: 52-53. العياشي، الرحلة، ج1، ص: 83.

7- يقصد والده سعيد الغزواني الذي لم نقف له على ترجمةٍ إلا إشارة وردت في دوحة الناشر. ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 5.

وهـــو ابـــن موســـى درة الصـــدور ** أعـــني ابـــن يحـــي حليـــة العصـــور
وهـــو ابـــن يعقـــوب عقيـــب الخـــير ** أعني ابـــن نجـــم؛ نجـــم أهـــل الـــذكر
وهو ابـــن عيســـى المرتضـــى المعظـــم ** وهـــو ابـــن شـــعبان الشـــهير الأنجـــم
أعـــني ابـــن عيســـى مِســـكة الجيـــوب ** أعـــني ابـــن داوود غـــني الأريـــب
ابـــن محمـــد بـــن نـــوح الأحمـــد ** المنتـــهى إلى الطريـــق الأحمـــد
أعـــني ابـــن طلحـــة بـــن عبـــد الله ** ابـــن أبي زيـــد بـــن ســـرّ الله
رفيـــق خـــير الرســـل في الطريـــق ** صـــاحبه في غـــارِه الطريـــق
فهكـــذا نسَـــبُهم مجموعـــا ** يُلفـــى لصِـــدّيق[1] الـــورى مرفوعـــا
والأشْـــهَر الـــذي تـــداعى واشـــتهر ** عنـــه الـــورى كمثـــل شـــهرة القمـــر
إنهـــم صـــنهاجة مـــن حِمْـــيرَ[2] ** أهـــل الصِّـــفاح[3] والقضـــيب الأسمـــر
وصـــاحب الترجمـــة البديعـــه[4] ** ســـيرته تابعـــة صـــنيعه
كـــان علـــى منهاجـــه في الســـنّة ** أبلـــى بطاعـــة الكـــريم سِـــنّه
خلّـــف ذا القطـــبَ شموســـا جلَّـــهْ ** حـــازوا مـــن العلـــم العزيـــز كلـــه
/و113و/أربعـــة جملتـــهم في العـــدد ** وكلـــهم طـــود عظـــيم المـــدد
مـــا منـــهم إلاّ ســـراجٌ أنـــورُ ** في جملـــة القـــوم الكبـــار يُـــذكر
محمـــد[5] والحـــارثي[6] والشـــرقي[7] ** مـــع أبي زيـــد عزيـــز الـــذوق

حديقة النسرى الزاهر في سيدي محمد بن أبي بكر ووصفه العاطر: [الرجز]

هو الفتى الشيخ الإمام الكامـــل ** العارف القطب الشهير الواصـــل
ومَـــن لـــه مناقـــبٌ عديـــده ** وكـــفٌّ عـــزٍّ في النـــدا مديـــده

1- في الأبيات الثلاث يقصد طلحة بن عبيد الله وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين.
2- أي أنهم حميريون. وحمير: منازلهم باليمن بموضع يقال له حمير غربي صنعاء. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 307.
3- **الصِّفاح**: يقال لقيه صفاحا أي مواجهة أو مفاجأة. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 516.
4- يقصد أبو بكر الدلائي.
5- **محمد بن أبي بكر الدلائي تـ(1046هـ/1636م)**: عالم مشارك برز في التفسير والحديث. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 117.
6- **الحارثي الدلائي تـ(1051هـ/1641م)**: أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 419.
7- **الشرقي بن أبي بكر الدلائي تـ(1079هـ/1668م)**: أحد أعلام الدلائيين؛ توفي بالدلاء. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 427.

ورتبة من السِّماك[1] أطول ** وطلعة من البدور أجمل
قد درّس المعقول والمنقولا ** وحرر الفروع والأصول
وأحرز الفضل قميصا أوفرا ** وحلّ في العز مقاما أكبرا
له شيوخ قادة أجلّه ** بهداهم يُهدى كما الأهلّة
والده السميدع المذكور ** وابن مبارك الرضى المشهور
وعن أبي مهدٍ وعنه قد سما ** من مترل القرب لأعظم سما
وعن إمام العارفين الكمّل ** والمنتقى من كل أصل أكمل
محمد الشرقي من تشرّفت ** به البقاع كلها وأشرقت
به ثريّا وتابا وارتقى ** مراتبا فيها السواد يُتّقا
وحاز علم الفكر والأنظار ** على الإمام الماهر القصّار
/و113ظ/واغترفت من بحره أعلام ** كان على الغوص لهم أقدام
كالعربي الفاسي وكابن عاشر[2] ** كذا ميارة[3] وغير ماهر
وحاصل الأمر لقد كان علم ** فيه لطالب المعالي مزدَحَم
مُفتٍّ تَوَارَتْ شمسُه في رسمه ** وانصدع القلب لفقد شمسه
في أحد عشر من شهر رجب ** عام مَشَوْ به لروض منتخب
أولاده عدّهم ثمانُ ** في جبهة الدهر نجوما بانوا
وكلهم إلى المعالي يُنسَبُ ** وكلهم فيه القريض يَعْذُبُ
محمد المسناوي[4] عبد الخالق ** كذا الخديم الشاذلي[5] الفائق
والسيد الغزواني[6] المرابط ** كذا أبو عمرو الإمام الرابط

1- **السِّماك**: نجم من النجوم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2099.
2- **ابن عاشر تـ1040هـ/1631م:** عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري؛ فقيه أندلسي الأصل. نشأ وتوفي بفاس. له: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص ص: 310-312.
3- **ميارة (999-1072هـ/1590-1662م):** محمد بن أحمد؛ فقيه مالكي من أهل فاس. ينظر: الحضيكي، الطبقات، ص: 309.
4- **المسناوي:** أبو عبد الله محمد توفي مقتولا خارج الزاوية عام 1059هـ/1649م. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 500-503.
5- الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي تـ1107هـ/1695م. ينظر الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص: 99- 101.
6- **الغزواني بن محمد بن أبي بكر الدلائي تـ1680م:** ولد بالزاوية البكرية؛ توفي مطعونا. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1652.

[رسالة من المقري إلى شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي][1]: وصاحب هذه الترجمة الذي يزهو السماع بذكره ويطيب، هو شيخ الإمام المقري صاحب «نفح الطيب». وقد بعث له رسالةً، العلامة أبو العباس أحمد بن محمد المقري المذكور، عامَ حجَّ قافلا من الحجاز إلى مصر، وذلك عام إحدى وأربعين وألف[2]، تُنبِئُ عن فضلهما رضي الله عنهما نصها[3]، "بعد الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

رب وفقني فلا أعدل عن ** سَنَنِ الماضين[4] في خير سَنَنْ[5]
خليليَّ إنْ جئت الدلا وجرى ذكري ** لدى حضرة الشيخ الرضي بن[6] أبي بكر
نتيجة سرّ الأولياء محمد ** مُعرِّفِ كليات فضلٍ بلا نُكْر
/و114و/فأخبره أنّي لم أَحُلْ عن وداده ** ولم يوهِن البَيْنُ المُلِمُّ قُوى شكري
ولا ما أقاسي في اتقاء غوائل ** يكيد بها ظُلَمًا ذَوُوا الضغن والمكر
أناسٌ نسوا صَدَّ الزمان وفتكَه ** بمن راح من راحِ الغواية في سُكْر
فسل سيدي حُسْنَ الخلاص لحائر ** وختما بحسنى كي يُنير به فكري[7]

يا مُفرِدًا علَمًا اهتدى الجمع السالم بِلَأْلَائِه، وتشتَّتْ في رياض ولائه غصون آلائه، وروى مسدَّدُ رأية عن جابر سعيِه عن علائه، وما يسنده في مجالس إملائه. أهدي إليك يا بركة الزمان وبقية الناس بهذا الأوان، الذي حار فيه من يروم الأمان، وعلِقت فيه الرّهان، ولم يثق لولا وجودُك بضمان من ارتاب في حال غريمه ومان. تحيةً تنافح خلالك وتصافح -أبقى الله جلالك- ظِلالك، وتؤدّي بعض حقّك الذي راق مَرْأى اجتلائه، وأنهى إلى معاهدك الشريفة ومشاهدك المريعة الوريفة، على بعد الديار وجَرْي بعض الأغراض على الاختيار. إنّ العبد المخلص على ما تعهّد من الودّ الذي به القلب يشهد.

1- عن نص الرسالة كاملا ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص ص: 313- 321.

2- الموافق لسنة 1631م.

3- وردت الرسالة كاملة في كناشة المشرفي. ينظر: العربي بن علي المشرفي، كناشة ك471، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالمغرب، ص ص: 47-53. حجي، الزاوية الدلائية، ص: 282. ووردت كل الأبيات إلا البيت الأول في النشر. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1300.

4- "الساعين" عند صاحب البدور الضاوية. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 313.

5- لم يرد البيت الأول عند صاحب نشر المثاني الذي أورد الرسالة كاملة كذلك. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1300.

6- ساقطة من (ب).

7- الأبيات للمقري وهي من بحر الرجز. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 313.

سلوا عن محبـــة الرجـــال قلـــوبَكم ** فتلك شهود لم تكن تقبل الرشـــى[1]

وقد مهّد في ديار الغربة فرشا، وسلّم لأحكام الأقدار في هذه الدار الكثيرة الأكدار، و لم يسلك منهج مَن عاند الدّهر وقصد به/و114ظ/ تحرُّشا، والدهر ذو ألوان ولبعض أفعاله علـــى غيرها عنوان، في إمراره وإحلائه. فأما الشوق إلى سيدي ووليّي فلا يســـتوفي وصـــفَه القلـــم واللسان، وحدِّث عن مسند أحمد، فما شئت مِن طُرقٍ هي مع غرابتها حِسان، وأما الحـــال في الحلّ والترحال؛ فقد لبِستُ من الصبر أحسن بزّة، كِبَرٌ ورِقّةُ حالةٍ وفراق أحبّة أعزّة، يحق لو أن أقلّها يُرمى به جبل لهزّه، اللهم غفرا وشكرا لا كفرا.

حج الفقير[2] مرارا خمسا؛ وأضحى في بعضٍ مجاورا[3] وأمسى، واستجلى من طيبة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام، في سبعِ مرارٍ بَدْرًا وشمسا، وجاور هنالك ودرّس وصنّف وأضاء فكره الحالك، ونطق لسانه في الحضرة النبوية بالمطالب الدنيوية والأخروية همسا. ومما منّ الله به عليه، أنه ألّف بالحضرة «فتح المتعال في مدح النعال» و«أزهار الكِمامة في أخبار العِمامـــة»، وكلٌّ منهما مجلّد كبير فاح عنه عنبر وعبير، وحاز إن شاء الله الشَرَفيْن. والتصنيف في هـــذين الطرفين[4] اللّذين أحاطا بالذات الطاهرة، وكان تصنيف كتاب العمامة تجاه الـــرّأس الشـــريف لمناسبة باهرة، وكان قصْدُ العبد أنْ يُرسل بهما إلى سيّده قبل هذا التاريخ، فقدّر الله أنَّ الكبراء من هذه الدولة أخذهما، و لم يبق والله عندي إلا الأصل/و115و/ فقط، وكانـــت إقامـــة ابـــن سيدي[5] بمصر قليلة لم يمكن في مدّها كتبهما، ولعلّ الله ييسرّ في ذلك بعدُ.

وقد ختمتُ كتاب العِمامة برجز اشتمل على زبدته، وقد وجّهته إليكم صـــحبة هـــذا المكتوب، وهو مكتوب بالمدينة المشرّفة على صاحبهما الصلاة والسلام. ثم زرتُ بيت المقـــدس ثلاث مرات، ومواطن الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان بالشام كرّات، ثم عدتُ في هذا الوقت إلى مصر بقصد الرّحلة بالعيال إلى الشام، واللهُ المسؤول في تيسير الأمر ورفع الإصر. وما ذكرتُ بعض هذا إلا على وجه التحدّث بنعم الله ذي الامتنان، لا على وجه التفـــاخر الـــذي

1- لم نهتد لقائل البيت، وهو من بحر الطويل.

2- يقصد المقري صاحب الرسالة.

3- "مجاور" في (ب) وهو تحريف.

4- "الظرفين" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العربي المشرفي، ك471، ص: 48.

5- يشير إلى محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 447. حجي، الزاوية الدلائية، ص: 283.

ينبغي للموفَّق أن يصرف إلى غيره العنان. نَعم؛ بقلبي يا سيدي سلَّمكُم الله حسرةٌ جلّت وحيرة حلّت، خلَفَتْهُ في كربه في بلاد غربة وخلّت، وهي أمرُ البنت التي بفاس، وقد ضاقت وحُقَّ لها من أجلها الأنفاس، إذ لم يكن إليها الوصول وتعسّر مجيئها إليّ على وجهٍ محكم الأصول. والقصد من بركات سيدي، شمولها بالنظر والإعانة على تزويجها بلائقٍ ممّن حضر، وهذا غايةُ المقدور بل ومُنتهى المرام ونفثه مصدور، وكم حسراتٍ في نفوس كرام.

وقد أرسلتُ لها مع النّجل الأجل، سيدي محمد شكر الله سعيه وأدام صونه ورعيه، سبعة وثلاثين ريالا كبيرة جُهْدَ مقلٍّ، تراكمت عليه لولا/و115ظ/تثبيتُ الله أمورٌ مُبيره[1]، والقصد إرسالها إليها بفوز بلوغه في السلامة[2]، وإذا أبرم القدرُ شيئا فلا عتاب ولا ملامه. وقد أرسلتُ إلى الأصهار والفقيهَيْن سيدي عبد الواحد عاشر وسيدي محمد بن سودة[3]، ببيع الكتب على طريقة الإذاعة والإظهار، والنداء عليها في محلّ الرغبات ومظانّ الطلبات، ودَفْعِ ثمنها في مُؤَن هذه[4] البنت التي بوجودكم عليها أَمِنْتُ. وأما أمها؛ فقد كنتُ ملّكتها أمرها قبلُ فلم ترضَ، والآن قد غلبَ الظن أني لا أقدر على القيام بمالها من فرض، إذْ قدومي متعسّر والعكس غير متيسّر، ولا يليق تأخير العصر إلى الاصفرار، ولا الهروب من مواقف الأبطال والفرار، ولا ضرر ولا ضرار، والحزم عدمُ الاغترار. فلها طلقة مُملَّكَةٌ إن شاءت، وقد صدرَتْ منهم فعلةٌ أحزَنَتْ وفَلتةٌ أساءَتْ، وهي بيع بعض الكتب التي تَعِبْتُ في تحصيلها، وجعلتُ تصحيحها نتيجة العمر، ومن جملتها ابن غازي والعيني[5] على «الألفية»، وغيرهما مما لا يَجهل فضلُه حتى الغمْر[6]. وأخبَرَني بعض الجُورارِيين[7] والتواتيين، بحضرة النجل أنها عنده بتُوات، وذكر لي علامات في هذا الكتاب بخطّي، والدّهر بِردِّها غيرُ مُوَاتٍ، فهل يَعدِلُ الكتُبَ شيء، وما بعد الرّشد غير

1- **المبيرة**: المهلكة، من البوار، والفعل أبار بمعنى أهلك. ينظر: محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص: 283.

2- "بالسلامة" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العربي المشرفي، ك471، ص: 49.

3- **محمد بن سودة (1003- 1076هـ/1595- 1665م):** محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن سودة المري الغرناطي ثم الفاسي، الحافظ، الخطيب الشهير، القاضي بفاس وآخر قضاة العدل بها. توفي رحمه الله يوم الأحد 25من شهر ذي القعدة ودفن بحجر علي بن حرازم. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص ص: 1531-1532. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج3، ص ص: 95-96.

4- "هذا" في الأصل والتصحيح اقتضاه السياق العام للمعنى.

5- **العيني (837-893هـ/1433-1488م):** عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد زين الدين المعروف بابن العيني؛ فاضل من الحنفية له اشتغال بالأدب والنحو، دمشقي المولد والوفاة. من تآليفه: شرح الألفية لابن مالك. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص: 71.

6- **الغمر**: الحقد والغل، والرجل الغمر الذي لم يجرب الأمور. ينظر: الزيات المعجم الوسيط، ص: 661.

7- "الحورارين" في (ب) وهو تصحيف.

الغيّ. وإذا كانت نفائس الكتب تُباع خلسة/و116و/ فبيعها بالملإ العام أنفى للدّلَسَة، وما أظهَرْتُ مثل هذا لسيدي إلا لعِلْمِي أنّه الثّقة الواثق الأَلُوفُ، بل سيدي واحدُ العصر المعدود بالأُلُوف، ولا يُفتَى ومالك بالمدينة.

اللهم مقام سيدي ودينَه، الفقير أحمد بن محمد المقري المالكي وفقه الله، فليكن ما سطّرتُه على شريف علمه، وإن أسأتُ فليحفّني برداء حِلمه، فلا عطر بعد عَرُوس، والمشافهة قد ينوب عنها ما في مسطور الطروس. وقد أوصيناهم أن يكتبوا ما بقي من الكتب في زمامٍ، ويرسلوه لسيدي لعلّه يختار ما يراه، وهو الإمام الذي له به التمام.

لا أبرح البابَ وَهَبْ أنني ** أردتُ[1] أن أبرح أين البراحْ؟[2]

والله المسؤول في الخلاص مِن أَسْرِ النفوس والسراح، حتى نَصرِف الهمّة إلى خدمة ما أُمرنا به، وننقطع لخدمة من يلوذ بجنابه كل خامل ونابِهْ صلى الله عليه وسلم. ولسيدي أن يقول: ما بالُه لا يجاور بالمدينة، ويُكمل بالحُلول فيها دينَه؟ ومالَهُ أَرَبٌ بمصر والشام، وهل يقاس الحنظل[3] بالبشام[4]؟ فأقول في جوابه مهتديا بصوابه: هذا مقام قد رُمتُه وبِعْتُ ما اشتريته بعدما سُمتُه، فإذا به معتذَّرٌ أومتعسَّر، وما لا يعمل فيما قبله لا يُفسِّر، وذلك أنه يحتاج إلى مؤن كثيرة، وما كان يأتي من مصر/و116ظ/إلى طيبة المشرفة الأثيرة، قد مُنع أكثره أو جلّه أو جميعه وكلّه. والأعراب تنهب ما في ذلك المقام جهارا، وتأتي إلى الباب غَلبةَ واستظهارا، والناس يشاهدون هذا متحيّرين وليسوا بمُغِيرين، وللضرورات أحكام معروفة. ويا سعادة مَنْ كانت همّتُه إلى قطع جميع العلائق مصروفة، وأيضا هناك مانع عظيم، وهو أنهم يتحقّقون أن المغربي المجاور هنالك يُصَبُّ المال عليه قطرا، ولو فُرِضَ أنه أعطاهم الألوف، لما قَنِعوا بذلك ولا رأوه وَطَرًا، بل يتفاقم الأمر بالرفع إلى زيدٍ من الحكام وعمرو، فلا ينجو مِن ورطة هذا الوهم ويُرمى بألف سهم.

1- "أردت لا" عند: العربي المشرفي، ك471، ص: 50.

2- لم نهتد لقائله وهو من بحر السريع.

3- **الحنظل**: نبتٌ من الفصيلة القرعيّة، ثماره في حجم البرتقال فيها لُبٌّ شديدُ المرارة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 572.

4- **البشام**: شجر عطر يستاك بفروعه. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 427.

وقد كنتُ يا سيدي أنتقدُ على أبناء سيدنا ولي الله أبي بكر[1]، نفعنا الله ببركاته وأقول: كيف ارتحلوا من ذلك المحل الشريف، ورضوا بالمغرب وحركاته، حتى جاورتُ وعرفتُ العذر الذي فعلوا من أجله ما فعلوا، وأوقدوا نار الفراق وشعلوا، هذا مع كون زمان مجاورتهم كان إلى الخير أقرب. وأما هذا الوقت فالأمر فيه أغرب، ولو تُرك القَطا لنام، وهل يكون ذو دِينٍ معاد لأشياء بسيد الأنام صلى الله عليه وسلم، فهو مع الموانع العرضية مشتاق أيَّ شوق/و117و/وقد صرّح جماعةٌ منهم الشيخ الشعراني، بأن الأَوْلَى عدم القُرب حتى تبقى الهيبة والتّوق.

رجْعٌ إلى ما كنا فيه، من التلذذ بخطاب سيدي ومثبتي في ربقة كرمه ومقيدي، فنقول: بعد أزكى سلام على مَن شملته تلكُمُ الأكناف، مِن ولدٍ وقرابةٍ وصلحاء، وطلبة علم بلّغ الله كُلا آرابَهْ. إننا تشرّفنا بحضور النجل الأجلّ الكبير، وأنبأَنَا بما كان حصل مما لَمْ نسمعْ جُمَلَهْ فضلا عن التفصيل، ولا يُنْبِئُك مثل خبير، والعاقبة للمتقين. ولا يرتابُ في ظهور أرباب اليقين، وتلاشَى أمرُ المستريب، وفي تعبِ مَن يحسد الشمسَ ضوءَها، ويأمل أنْ يأتي لها بضريب، والعَوْدُ أحمد وماء التوكل لنيران الفتنة أخمد، وليس لِمَا تَبْنِي يد الله هادمٌ. إيهٍ وأُهنِّي بتحفة القادم، فقد حصّل من المواهب ما أثمرَتْهُ دعواتكم في الأسحار، وظهر رِفقُه برفيقه عند التوغل في المهامِهِ والأصحار. وظهر له بالحرمين من الخيرات ما لا يُقابَل إلا بالشكر، وما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر، فلو رأيتَ سيدي عطْفَه على التوهّم، وفَهْمَه حاجةَ مَن معه قبل التفهّم، ومبتدئا رفَعَهُ قبل الاستغاثة والندا، لعلِمْتَ أن خبر خيره مسندٌ إلى ذلك/و117ظ/ الجناب الذي لم يكن في مناقب الأريب[2] مفنّدا. وهذا نوع من الاختصاص، والفاعل المختار يخص من شاء بما شاء، ويلهم الإبن الموفّق لاقتفاء آثار الوالد الذي ينجو مَنْ له في مناهجها اقتصاص.

هكذا هكذا تكون المعالي ** طرُق الجد غير طرُق المُزاح[3]

فزده سيدي من نظرك ما يشتد به ساعده، إذْ لكلِّ زمانٍ واحدٌ يُقتَدَى به، وهذا زمانٌ أنت لا شك واحدُه، فهو سهمٌ من كِنانتِك ونتيجة من قضايا ديانتك، وسرّ من أسرار أمانتك.

1- يقصد أبا بكر الدلائي.

2- **الأريب**: الداهية الفطن. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 80.

3- البيت من بحر الخفيف. ذكره المقري دون نسبة؛ وهو لابن العلاف البغدادي تـ318هـ. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج3، ص: 573.

فنتضرع إلى واهب المنح والمنن، أن يطيل له ولإخوته وللمسلمين ولِي عمُرَك، ويوفّق الجميع إلى أقوى وأقوم سَنن، وينفعنا بكل عالِم مثلكم عامل، فكلٌّ ينشد: [الطويل]

بقيتَ بقاء الدهر يا كهف أهلِه ** وهذا دعاء للبرية شامل[1]

والله يبقيك لنا سالما، فَرْدٌ لك تبجيلٌ وتعظيمٌ آمين آمين إنه كريم. ولا يؤاخذني سيدي في مدّ أَطناب الإطناب، وتهويل الأقاويل والإكثار من النّثار، فمثل ذلك الجناب مِمَّنْ أخلص لله وأناب، يعلم أنّ خطاب الأحباب لا سيما ذوو الألباب مما يُفتَح فيه الباب، فأكرِم بذلك الخطاب الذي ملأ الوطاب. ولا يغفلني سيدي مِن دعواته في خلواته وجلواته، بصلاح الأحوال وكفاية الشرور[2] والأهوال، فكم رأيتُ/و118و/ بعد مفارقة سيدي من أمور لم تنسج على منوالْ، في البلاد المختلفة العروض والأطوال، كما قلتُ:

كم رأينا من سرور وشرور مُذْ نأينا ** فكأنما ما سمعنا وكأنّنا ما رأينا

وقد قدّرتُ أشياء فلم يفدني ذلك التقدير، وخالف التعجيز التصدير كما قلت: [الطويل]

أُقدِرُ في ذهني أمورا كثيرة ** أُسلّي بها نفسي فتُعكَس في الخارج

فيا رب مالي غير بابك ملجأٌ ** وليس لباب الهّم غيرك من فارج

وكيف يَقِرُّ قرارُ مَن فارق مَربَعَهْ، وبُلي من الكِبَر [والغربة][3] والحسد وفساد الزمان بأربعه:

إني أُبُثُك مِنْ حديثي ** والحديث له شجون

فارقتُ موضع مرقدي ** لَيْلًا ففارقني السكون

قل لي فأول ليلة ** في القبر كيف تُرى أكون[4]

وقلتُ أخاطب نفسي الأمّارة، وفكري الذي باع الجواهر النفيسة بجُمّاره: [مجزوء البسيط]

بادر إلى التوبة مذ أَمكنتَ ** فالمرء مأخوذ بما قد حباه

وانتهز الفرصة في وقتها ** ما فاز بالكرم سوى من جناه

1- البيت لإبراهيم بن عثمان الغزي. ينظر: النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج7، تحقيق: علي بوملحم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004، ص: 113.

2- "السرور" في (ب) وهو تصحيف.

3- ساقطة من الأصل والزيادة من نشر المثاني. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1303.

4- "تكون" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العربي المشرفي، ك471، ص: 53. والأبيات من مجزوء الكامل وهي للوزير أبي القاسم المغربي المتوفى سنة 418هـ/1027م. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص: 174. المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 120.

/و118ظ/والواصل لسيدي العقيدة التي منّ الله بنظمها؛ وهي «إضاءة الدُّجنة بعقائد أهل السنة»، وقد كُتِب من هذه العقيدة بالحرمين واليمن ومصر والشام أكثرَ من ألفي نسخة، كَتَبْتُ خطي على أكثرها، ودرّستها بمكة وبيت المقدس، ودمشق ومصر الإسكندرية، ورشيد[1] وغزة[2] ولله المنة، والعزم على شرحها الآن متوفر. وأما قصيدة العِمامة الموجّهة مع هذه فهي خاتمة «أزهار الكِمامة»، وأرسلتُها مع ما فيها من الإصلاح، تبرّكا بكونها كُتبت بحضرته صلى الله عليه وسلم، في تلك الأوراق غير الورقة الأولى فإنها كتبت بمصر بدلا مِن التي بالمدينة لعذر اقتضى ذلك، والقصد استمطار الدعاء مِن تِلْكُم الحضرة. عَلِمَ الله لا التبجّحُ بذلك على وجه الرياء والأعمال بالنيات، و لم نر مِن سيدي مكتوبا مع النجل العزيز، ولا ندري ما سبب ذلك.

إذا كان المحب قليلَ سعدٍ ** فما حسناته إلا ذنوب[3]

وكل ما يفعل المحبوبُ محبوبٌ، أستغفر الله؛ فسيدي أجلّ ممن أن يعاتَب، وما الفرق بين العباد في الشهادة والمُكاتَبْ، وقد أكثرتُ على سيدي فليسمح ويصفح، والسلام مُعَادٌ على حضرة مقامه ورحمة الله وبركاته. وكُتب عن عجل أواخر شهر ربيع النبوي، سنة واحد وأربعين بعد الألف[4]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما"[5].

[تتمة قصيدة اليازغي في الدلائيين]/و119و/ثم ثلّث بحديقة السيد الحارثي فقال:

حديقة النرجس[6] الرائق في سيدي الحارث بن أبي بكر الفائق

ثانيهم المحقق النحرير ** شيخ الشيوخ العارف الكبير

الحارثي أحمد المحمود ** ومَن أقرّ فضله الحسود

هو الإمام الفرد ذو الإتقان ** ومركز التحقيق والعرفان

وعنصر الإسرار والفضائل ** ومنبع العلوم والفواضل

قد كان في الفقه وفي الآداب ** يسبي ذوي العقول والألباب

1- **رشيد:** من مدن البلاد المصرية على ضفة النيل. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص: 45.

2- **غزة:** موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البحر. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 428.

3- البيت من بحر الوافر وهو للنيري أبو نصر الخباز المتوفى عام 450هـ. ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص ص: 171-172.

4- الموافق لشهر أكتوبر 1631م.

5- نهاية النقل من البدور الضاوية؛ والنص أورده القادري. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 321. القادري، نشر المثاني، ج3، ص: 1304.

6- **النرجس:** نبت من الرياحين طيب الرائحة وزهرته تشبّه بها الأعين. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 912.

أخـــذ عـــن جماعـــة كـــرام ** وعن أخيـــه الجِهبـــذ الإمـــام[1]

ولم يـــزل في رفعـــة معنـــاه ** حتى ذوى[2] وارتفعت رجـــلاه

ثم ترجم بالحديقة الرابعة في السيد الشرقي فقال: [الرجز]

حديقة (السوسن[3])[4] المُشرق في سيدي الشرقي بن أبي بكر فخر المغرب على المشرق

ثـــانيهم مهـــذّب الأخـــلاق ** وصـــاحب الإدراك والأذواق

السيد الشـــرقي نجـــم الســـاري ** ومَسعَدُ الرائي ويُمْـــنُ الجـــاري

قد كان في العلـــم مـــن الأطـــواد ** ومغـــنم الوفـــود والقُصّـــاد

وكـــان في الإنشـــاد ذو تبريـــز ** وشِعرُه في الشِّـــعْر كـــالإبريز[5]

إلى تـــأليف كمـــا الحـــدائق ** فيها من التحقيـــق بحـــر دافـــق

قد شرح الشفا[6] بشـــرح أحفـــل ** أوضح فيه كـــل معـــنى مُعْفـــل

/و119ظ/وزاحم السيد في المُطوَّلِ[7] ** ولم يـــزل بِتَـــاج عـــزّ وحلـــي

إلى دخولـــــه بخـــــير كانـــــا ** كأنـــه مـــا دخـــل إلاّ مكانـــا

وخلّـــف الكـــلَّ عليـــه آســـفا ** وبِدُرِّ أبكـــار العلـــوم كاشـــفا

في عـــام تســـعة مـــع الســـبعين ** من بعد عشـــرة مـــن المئينـــا[8]

ثم عقد الخامسة في سيدي عبد الرحمن بن أبي بكر[9] رضي الله عنه فقال: [الرجز]

حديقة النرجس البديع في أبي زيد بن أبي بكر الروض المَرِيع

رابعهم روضُ العلـــوم العـــاطر ** ومقصـــد الأعـــلام والأكـــابر

1- يقصد أخاه محمد بن أبي بكر الدلائي.

2- **ذوى**: شاخ وضعف. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 830.

3- **السَّوْسَن**: نَبت أَعجمي معرّب وهو معروف وقد جرى في كلام العرب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2150.

4- "السوسان" في الأصل والتصحيح من الأزهار الندية. ينظر: اليازغي، الأزهار الندية، ص: 7.

5- **الإبريز**: الذهب الخالص. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 53.

6- يقصد كتاب الشفا للقاضي عياض. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 251.

7- يقصد الحاشية التي وضعها الشرقي بن أبي بكر على المطول للتفتازاني في البلاغة. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 251.

8- يشير إلى تاريخ وفاة الشرقي بن أبي بكر الدلائي عام 1079هـ/1668م.

9- **عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي تـ(1020هـ/1611م)**: من العلماء النابغين في العهد الأول للزاوية الدلائية. انقطع آخرَ حياته للعبادة في خلوة خارج الزاوية حتى توفي بها. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 114- 117. حجي، الزاوية الدلائية، ص ص: 81-82.

أعني أبا زيد طراز العصر ** وحِلية النادي ودُرّ الصدر
كان إماما عارفا وأوحدا ** برأيه في كل عِلم يقتدا
نفّاعة على عُلاه مجمَع ** وفضلُه من البحار أوسع
علاّمة درّاكة شهير ** وقدْرُه عند الورى كبير
أخذ عن والده النظّار ** وعن إمام الجملة القصار
وبأبيه وأخيه رتَعا ** معرفة الحي جنانا أيْنعا
حتى ثوى وحل خير مقعد ** ونام حيث لم يفق من مرقد

ثم بدأ بحديقة أول أولاد سيدي محمد بن أبي بكر رضي الله عن جميعهم فقال: [الرجز]

حديقة الياسمين النفيس في أول أولاد سيدي محمد وهو الإمام الرئيس

أولهم مَحمدٌ[1] بالفتح ** مِنْ أشهرِ العزِّ وأهل الفتح
/و120و/كان إماما بارعا مقدَّمًا ** حاز السباق في العلا مسلما
أَمِنْ قريض يسرق الأفكارْ ** يرشفه سامعه عقارْ
وفِقَرٌ على الطروس تَسحر ** كالدرّ في جِيد مَهَاتٍ يُنثَر
تعلَّقَتْ بحبّه الخواطر ** وابتهجت بوجهه النواظر
وانعقد الجمع عليه والْتَأَمْ ** ما كان قبلُ بالتفرق وانفصم
وسلَّموا عليه بالخلافه ** وما ابتغى الجمعُ لهم خلافه
وتمّ أمر المغرب النضير ** له بلا هرْج ولا نكير
من بعد خمسين مضت وألف[2] ** وما بقي في نصره من خُلف
حتى استقل السيد الرشيد[3] ** في عصبة قائدها رشيد

1- **مَحمد الحاج بن محمد بن أبي بكر**: أحد أكبر أولاد الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي. ولد بالزاوية الدلائية عام 997هـ/1588م ومنهم من يجعله سنة 1000هـ/1592. بويع أميرا على الدلاء عام 1046هـ/1636م. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 447.

2- يشير إلى تاريخ مبايعة محمد الحاج بالخلافة بمدينة فاس سنة 1641. وقد أخطأ حجي حينما جعله سنة 1651. واعتمد في تبرير ما ذهب إليه على ما ذكره القادري والحوات موهما أن ذلك هو الصحيح. لكن وبرجوعنا إلى القادري والحوات نجد أن التاريخ الذي ذُكر وهو الأصح سنة1641. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 154. القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1404. الحوات، البدور الضاوية، ص: 451.

3- **الرشيد العلوي (1040-1082هـ/1630-1672م):** بن محمد الشريف بن علي الحسني العلوي، من سلاطين الدولة السجلماسية بالمغرب الأقصى. بويع له سنة1075هـ. ينظر: ابن زيدان، الدرر الفاخرة، ص : 11-29. الإتحاف، ج3، ص: 28.

فســـلّم الأمـــر إليـــه وارتحـــل[1] ** بعد تعانق الصِّـــفاح والأســـل[2]
وحل من بعد القصـــور والقبـــاب ** أرض تلمسان بغير ما حجـــاب[3]
مـــع أهلـــه وجملـــة مـــن قـــوم ** وفيـــه عـــبرة لأهـــل النـــوم
في عـــام أفشـــا لافتقـــاد شمســـه ** أهل العقول الدمع عند رمســـه[4]
خلّـــف نجلـــه الفقيـــه المتقنـــا ** من فاق في المجـــد ســـناء وســـنا
عبـــد الإلـــه[5] ولـــه نجـــلان ** محمـــد أحمـــد[6] ذو الإتقـــان
كلاهمـــا إن تبتغـــي الإنصـــافا ** وتتـــرك الجـــدال والخلافـــا
أعجوبـــة الزمـــان روضُ الفكـــر ** في صنعة النثـــر وعلـــم الشـــعر
/و120ظ/إلى علوم كالبحار تزخرُ ** ودرّهـــا لـــيس بِعَـــدٍّ يُحصـــر
ولمحمـــد حفيـــدٌ وولـــدُ ** محمـــد بـــن عمـــر تمّ العـــدد

ثم ترجم بحديقة المسناوي بن سيدي محمد بن أبي بكر رضي الله عنه فقال: [الرجز]

حديقة الأقحوانة الزاهرة في شمائل المسناوي بن محمد الباهره

ثـــانيهم بحـــر العلـــوم الزاخـــر ** وعنصـــر الكمـــال والمفـــاخر
السيد المســـناوي أعـــني الأكـــبرا ** مِنِ ارتقـــى مـــن العـــلا وأقـــبرا
قد كان صـــدرا بارعـــا محمـــودا ** في كـــل علـــم فائقـــا مُجيـــدا
قـــد طـــار صـــيته إلى الأقطـــار ** وامـــتلأت عنـــه مـــن الأســـرار
ولاح بـــدره بـــلا كســـوف ** وامتـــدّ منـــه أبحـــر المعـــروف
وانفلقـــت لـــه العلـــوم الكُثُـــر ** لـــيس بقِلِّهـــا يحـــيط الفِكْـــرُ

1- يشير إلى الهزيمة التي حلّت بالدلائيين من طرف الرشيد العلوي في 1078هـ. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1552.

2- **الأسل**: نبات ذو أغصان كثيرة تصنع منه الحصر والحبال والرماح والنبل. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 18.

3- ذكر صاحب البدور الضاوية، أن الرشيد لما قدم الزاوية الدلائية بقصد الاستيلاء عليها، لقيه محمد الحاج الدلائي وكان كبير السنّ فقال له: ما تريد؟ فقال له الملك؛ فقال له: هو الآن في محلّه فبايعه وذهب بأهله وحشمه إلى تلمسان. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 477. وعن دخولهم تلمسان ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 492.

4- **رمسه**: من الرمس وهو القبر. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 942. والناظم يشير إلى تاريخ وفاته.

5- **عبد الله بن محمد الحاج**: بن محمد بن أبي بكر الدلائي، إمام فقيه وعالم مشارك. توفي بتلمسان أواخر سنة 1086هـ/1675م وأوائل 1087هـ/1676م. ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج4، ص ص: 511-512.

6- أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج، ذكره صاحب الإتحاف عرضا؛ ولم نجد له تعريفا وافيا. ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج4، ص: 512.

أخـــذ عـــن والـــده[1] والفاســـي ** العـــربي أعـــني الإمـــام الراســـي
قُبِـــر في الزاويـــة البكريـــة ** وعَظُمَـــتْ بقـــدره الرزيـــة
في عـــام تســـعة مـــع الخمســـينا ** قد عقبـــت عشـــرا مـــن المئينـــا
خلّـــف شـــبلين بغـــابِ العلـــم ** كـــل إمـــام مُفـــرد في القـــوم
الطيـــب[2] الـــذي ارتقـــى سمـــاءً ** مِـــن العلـــى سمـــا بـــه الجـــوزاء
بحـــر خضـــمّ لافـــظ مَحَجّـــهْ ** لكـــلّ خـــير نـــاطق بالحجـــه
علّامـــة الزاويـــة البكريـــة ** وواحـــد القـــوم بغـــير مِريـــه
/و121و/أخذ عن جماعـــة أكـــابر ** سُمُوُّهم علـــى السِّـــماك ظـــاهر
وعنـــه تَـــرْوِي قـــادةٌ أعـــلامُ ** علـــى علاهـــا يَقْصُـــرُ الكـــلام
كالعالم الفـــرد الشـــهير الفاشـــي ** مقامـــة الرحّالـــة العياشـــي
في عـــام ســـبعة مـــع الســـبعينا ** والألـــف صـــار مفـــردا مكينـــا[3]
والثـــاني أحمـــد[4] الفريـــد ذوقـــا ** الواسع[5] الصـــدر البـــديع خلقـــا
قـــد كـــان في الإتقـــان للتنزيـــل ** مـــن آيـــة الإلـــه ذي التنزيـــل
إذا تلـــى يشـــفق القلوبـــا ** تكـــاد بـــالتحيير أن تـــذوبا
خلّـــف بعـــده الإمـــام الأكـــبرا ** مَنْ برياض العلم أجـــرى أبْحُـــرَا
محمـــدا[6] عـــالم أهـــل فـــاس ** وواحـــد القـــوم بـــلا التبـــاس
شـــيخ كـــبير كوكـــب وقّـــادُ ** صـــدْر الصـــدُور حجـــة نقّـــادُ
أشـــياخه اليوســـي والمـــرابط[7] ** والقـــادري[8] يالـــه مِـــن فـــارط

1- يقصد محمد بن أبي بكر الدلائي وقد تقدمت ترجمته.

2- **الطيب بن المسناوي**: كان إماما كبيرا. توفي سنة 1077هـ/1666م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص ص: 1540- 1545

3- يشير إلى تاريخ وفاة الطيب بن المسناوي وهو 1077هـ.

4- **أحمد بن المسناوي**: أحمد بن محمد المسناوي بن مَحمد بن أبي بكر الدلائي؛ توفي 1705. ينظر: القادري، نشر المثاني،ج5، ص: 1904.

5- "الواصع" في (أ) و(ب) وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه.

6- يقصد محمد بن أحمد بن المسناوي (1072-1136هـ/1661-1724م) بن محمد بن أبي بكر؛ أبو عبد الله الدلائي.

7- **المرابط الدلائي(1021- 1089هـ/1612-1678م)**: محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الدلائي عم والد محمد بن أحمد المسناوي وشيخ الأخير؛ أديب من علماء المالكية. من كتبه: الدرة الدرية في محاسن الشعر وغرائب العربية. ينظر: الحضيكي، الطبقات، ص ص: 305-307.

8- **القادري**: عبد السلام بن الطيب؛ ولد1648؛ اختص بعلم الأنساب، توفي 1698. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج5، ص: 1847.

وغيرهـــم مِـــنْ كـــل لـــوذعي ** كالشيخ عبـــد القـــادر الفاســـي
لـــــه تلامـــــذ كبـــــار غـــــرّ[1] ** لـــيس بفعلـــهم يحـــيط الفِكْـــر
فمنهم جسُّوس[2] وابـــن زكـــري[3] ** كلاهمـــا عنـــه روى مـــن بحـــر
لـــه تـــآليف كزهـــر الـــروض ** منها الذي سمّـــاه نصـــر القـــبض[4]
وضـــف لـــه نتيجـــة التحقيـــق[5] ** كـــذا كتـــاب النصـــرة العتيـــق
وطُـــرَرٌ قـــد مـــلأت دفـــاترْ ** قد قَطَفَتْ مِـــن زهرِهـــا الأكـــابر
/و121ظ/تعطلت بعقده الخطابـــه ** واستغرب مـــن بعـــده الإصـــابه
تضعضـــعت لفقـــده المنـــابر ** واســـتعبرت بـــدمعها المحـــابر
عام لشـــوق طـــار كـــل لـــبّ ** لعلمـــه في مشـــرقٍ والغـــرب

حديقة البَهَارِ[6] الأحمد في سيدي عبد الخالق بن محمد[7]: [الرجز]

والثالـــث العلاّمـــة المشـــارك ** مَن وَضَـــحَتْ بوجهـــه المســـالك
وأينعـــت بذوقـــه الحقـــائق ** مُزْنُ[8] رياض العلم عبـــد الخـــالق
قد كان صـــدرا أكـــبرا ذا همـــه ** وكوكبـــا في ليلـــة المهمَّـــه
تخـــاف مِـــن جُرْأتـــه الأســـود ** ومِـــنْ نَـــدَاهُ تَغـــرَف الوفـــود[9]
وفي العلـــوم كـــان لا يُجـــارَى ** في أمـــره أهـــل الحِجَـــا حُيـــارى
قد صال منـــهما علـــى البـــديع ** برائـــعٍ مِـــن نُكَـــتِ البـــديع
بعلمـــه قـــد نشُـــط الجَنـــان ** وصـــار عـــام نَشْـــطِ الجنـــان

1- "عرّ" في (ب) وهو تصحيف.

2- **جسوس تـ1768م:** محمد بن قاسم بن محمد؛ فقيه فاسي من المالكية. له: شرح مختصر خليل. ينظر: مخلوف، شجرة النور، ص: 355.

3- **ابن زكري تـ(1144هـ/1731م):** محمد بن عبد الرحمن بن زكري أبو عبد الله؛ فقيه مالكي من أهل فاس. له: حاشية على الجامع الصحيح للبخاري، وشرح النصيحة الكافية. ينظر: الكتاني(جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص ص: 171- 173.

4- يقصد كتاب "نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض". ينظر: الكتاني، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 60.

5- يقصد كتاب "نتيجة التحقيق في بعض أهل النسب الوثيق". ينظر: الكتاني(جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 60.

6- **البهار:** كل شيء حسن منير. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 73.

7- **عبد الخالق بن مَحمد:** بن أبي بكر الدلائي المتوفى سنة 1059هـ/1649. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

8- **مزن:** مفرده مزنة؛ سَحابٌ يُمطر أو يمكن أن يؤدِّي إلى سقوط مطر. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2094.

9- "الموفود" في (ب) وهو تحريف.

ولم يخلّف من وليد يُذكَر ** وللمُهَيْمِنِ البقا مُقرَّرْ

حديقة البنفسج[1] الأنيق في المرابط بن محمد منبع التحقيق: [الرجز]

والرابع الحبر الإمام الضابط ** محمد نجم الهدى المرابط

كان إماما في علوم حُجّة ** ومنبع التحقيق في ذا الأمة

إذا جرى في مهمة لا يُسبَق ** وليس دونه حجاب يُغلَق

تفجّرت من علمه عيون ** وخرجت منها الغواني العِينُ

/و122و/يشهد باطلاّعةَ الجليلِ ** نتائجُ التحصيل للتسهيل[2]

قرّب فيه كلّ معنى يبْعُد ** وفيه قد صال على من يجحد

من غرقت فيه بحار البدر ** وللجمال فيه أيّ سحر

إلى تقشفٍ وعُظْم زهد ** وحبه في الآل أهل الرشد

قد غرقت شموسه في تسعة ** بعد ثمانين وعشر مائة[3]

وترك النجل الفقيه البارع ** محمد الطود الشهير الجامع

كان أديبا لوذعيا حافظ ** علاّمة درّاكة ولافظ

حديقة النرجس البسيم في محمد بن محمد المدعو الخديم[4]: [الرجز]

والخامس السَّميدَع[5] الخديم ** ومَن لأبكار العلا نديم

قد كان في العلم من الأجبال ** يُهدى به في ليلة الإضلال

ضمّ الحقيقة إلى الشريعه ** وفيها قد حمدوا صنيعه

أخذ عن والده الإمام ** وعن جماعةٍ من الأعلام

له محمد الشهير الأوحد ** ومن له لواءُ علمٍ يُعقَد

كانت له من الفنون عدّه ** وكم له في نيلها من عُدّه

1- **البنفسج**: نبات زهريّ من الفصيلة البنفسجيّة، أزهاره عَطِرة الرَّائحة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 249.

2- يقصد شرح كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ينظر: اليوسي، الفهرسة، ص: 61 وص: 63.

3- يشير إلى تاريخ وفاة المرابط وهو سنة 1089هـ/1678م.

4- **الخديم الدلائي**: العلامة النحرير. له تأليف في التصوف وقصائد شعرية. توفي سنة 1649. ينظر: الحوات، البدور الضاوية، ص: 443.

5- **السميدع**: السيد الكريم السخي والرئيس والشجاع والخفيف السريع في حوائجه. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 448.

سـار إلى روضـته عـام شَـبَعْ ** من العلا وفي الجنـان قـد طمـع
ولمحمـد أبـو بكـر الرضـى[1] ** ضجيع سـيدي اليمـاني المرتضـى
كـان وليـا عالمـا مجابـا ** لَّمـا دعـاه ربّـه أجابـا
/و122ظ/آياته كالبدر حـين يَظهَـرُ ** على لسان العصـر قَطعًـا تُـذكرُ
و لم يـزل بـدرا مـنيرا يبـهر ** حتى غـدا في الحـي عنـه يُخبَـرُ
في عـام سـبعة وأربعينـا ** ومائـة وعشـرةً المئينـا

حديقة النيلوفر[2] في ابن محمد سيدي أبي عمر[3]: [الرجز]

والسـادس البكّـاء والفيـاض ** ومَـن لـه مـن ذوقـه حِيـاض
أعني أبـا عَمـر الأديـب المـاهر ** مَن شِـعرُه كـل العقـول بـاهر
شمـس العـلا وكعبـة الوفـود ** بعلمـه مناهـل الـورود
كـان نسـيج وحـده في عصـره ** جيـد الزمـان طُوّقـت بفخـره
قد ذاق مـن كـأس المنايـا خمـرا ** و لم أجـد لـه لسـبطٍ ذَكَـرَا

حديقة الشقيق القاني[4] في ابن محمد السيد الغزواني[5]: [الرجز]

والسـابع الموفّـق الربـاني ** شيخ الطريـق العـارف الغـزواني
كـان إمامـا عالمـا وعـاملا ** يُعـدّ في أهـل الطريـق كـاملا
قد واضب الـنفس علـى المجاهـدة ** فـآل حالُـه إلى المشـاهدة
في الألـف والواحـد والسـبعينا[6] ** صـار لجنـة العـلا يقينـا
خلّـف نجلـين كلاهمـا ارتقـى ** إلى العـلا مـن المعـارف اسـتقى
محمـد[7] واسـطة العقـود ** ومركـزُ القـبض غزيـر الجـود

1- يقصد أبا بكر بن محمد الخديم المتوفى سنة 1047هـ/1637م. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.
2- **النيلوفر:** أو النينوفر؛ جنس نباتات مائية تنبت في الأنهار والمناقع. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 967.
3- **أبو عَمر الدلائي:** بن محمد الحاج بن مَحمد بن أبي بكر الدلائي المتوفى سنة 1659م. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.
4- **القاني:** الأحمر. ينظر: حبنّكه الميداني، البلاغة العربية، ج2، ص: 243.
5- **ابن محمد الغزواني:** بن أبي عبد الله محمد بن أبي بكر. توفي بمكناس بالطاعون 1680. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1652.
6- المصادر التي تم اعتمادها في الترجمة لهذا العلَم تتفق على أن وفاته سنة 1091هـ خلافا لصاحب النظم والذي جعله سنة 1071هـ.
7- عنه راجع: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

والثاني منهما أبو بكر[1] بدا ** بِعِلْمِ المجد الأصيل أوحدا
/و123و/علاّمة وعارف رباني ** رمى بعقله عن الأكوان
ولمحمد فقيه أمجدُ ** سيدي عبد الخالق الممجّد
ولأبي بكر الفقيه الأحمد ** ومحمد نجله محمد
كلاهما علاّمة وصالح ** في الدين منهما بدت صالح

حديقة الريحان[2] والآس في ابن محمد الشاذلي[3] عطر الأنفاس: [الرجز]

والثامن الشيخ الإمام الحافظ ** الحُجّة الصدر المكين اللافظ
الشاذلي كاسمِه في الحال ** وفي العلوم منتهى الآمال
أخذ عن جماعة أطواد ** سُمُوُّهم على السِّماك باد
والده وعاطر الأنفاس ** أحمد أعني ابن علي الفاسي
وعنصر الكمال والمفاخر ** شيخ شيوخ الدين عبد القادر
وكان في الشعر يُصيغ الجوهرا ** وينثر السحر حلالا كوثرا
له رسائل كمثل الزُّهر ** معنًى وفي اللفظ كمثل الدرّ
قد خُتِمَتْ به علوم جمّه ** لَمَّا نَعَوْا وقالوا كان أُمَّه
وسَفَحَ الجفْنُ عليه وانجرح ** في عام تصحيفٍ لِقولِكُم سَفَحْ
خلّف أولادا ذكورا أربعا ** كلهم روضَ العلوم رتَعا
فمنهم البكّاء مَن قد أقبلا ** لطاعة الإله جلّ وعلا
وترك الفاني لنيل الباقي ** ومصّ كأس الحب قبل الساقي
/و123ظ/الطيب[4] الأخلاق طبعا كاسمه ** وكاشف الدعوى بنور شمسه
ذاق الحِمَامَ بعد كأس الحب ** فاستوجب الرضى وعزّ القرب

1- عنه راجع: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

2- **الريحان**: نبات طيب الرائحة. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 381. **الآس**: شجر دائم الخضرة بيضي الورق أبيض الزهر. المعجم الوسيط، ص: 1.

3- يقصد الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي وقد مرت ترجمته.

4- **الطيب بن الشاذلي**: ولد بالزاوية الدلائية، توفي بمكناسة الزيتون عام 1695م. ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج3، ص ص: 79-80.

وخلّف النجل الفقيه الخاشع ** من سدّ عنه في السوى المطالع
محمد[1] جوّال أرض الله ** نادرة الأقران والأشباه
له أبو بكر إمام يُقتدى ** في علمه وفي الضلال يهتدى
علاّمة مشارك فَيْقانُ ** بصنعة الشِّعر له إتقان
قد سكنت أنفاسه لما بَرَدْ ** ولم يخلّف بعده قط وَلَد
ومنهم عبد السلام[2] الصدر ** العالم الأعلى الهُمام الحَبر
الحافظ البحر الفقيه الحجة ** الظاهر المكين في المحجة
قد صار مستورا بثوب اللطف ** في عام تسعين بعد الألف
ولم يخلف من وليد يُذكر ** وللمهيمن البقا مقرّر
ومنهم ذو الضبط والتحصيل ** وصاحب الإكرام والتبجيل
أحمد[3] محمود الورود والصدر ** ونزهة النفس وروضة الفِكَرْ
أخذ عن جماعة أعلام ** وعن أبيه قدوة الإسلام
وبعد أن ضمّ سناءه الثّرى ** خلّف نجله الهلال الأزهرا
محمدا[4] حديقة القُطّاف ** وجدول اليُمن العزيز الصافي
كان إماما في الفنون جمله ** وعند طلاب المعالي قِبْلَه
/و124و/إلى قريض يشرب الأفكارا ** قد طلعت أغراضه أقمارا
أبدع فيه مترعا رقيقا ** ومذهبا مهذّبا أنيقا
يشير معناه إليك عذرا ** مِن قَبل أنْ تُعمِل فيه الفِكَرَا
فاجأه حِمامُه المحتَّم ** وهو دُرّ مفرد لا يُقسَمُ
في عام سبعة وأربعينا ** ومائة والألف باليقين[5]

1- محمد بن الطيب بن الشاذلي. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.
2- **عبد السلام بن الشاذلي**: فقيه عالم علامة. توفي رحمه الله مطعونا عام 1679. ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص ص: 356-357.
3- **أحمد بن الشاذلي**: أبو العباس أحمد بن الشاذلي الدلائي؛ توفي عام1694. ينظر: الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص: 109.
4- محمد بن أحمد بن الشاذلي المتوفى عام 1149هـ/1736م. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.
5- يشير إلى تاريخ وفاة محمد بن أحمد بن الشاذلي.

وتـــرك الســـبط التريـــه الأسمـــا ** محمدا[1] مَـــن طـــاب خلقـــا وأسمـــا
العـــالم الـــذي حـــوى مِـــن علمـــه ** لُـــبَّ اللطـــائف بســـيف فهمـــه
وَسَـــنَةَ فـــارقَ فيهَـــا منشـــأَه ** ســـتٌّ وخمســـون وألـــف مائـــة
ولمحمـــــد قريـــــب الـــــذكر ** نجـــلانِ كـــلٌّ للمعـــالي يجـــري
عبـــد الســـلام[2] الطيـــب الأخـــلاق ** كـــالزهر عنـــد فُجـــأة الإشـــراق
وهـــو فقيـــه المراقـــي ســـامِ ** لخطّـــة الأحكـــام ذو إحكـــام
قـــام بخطـــة القضـــاء فَحَمِـــدْ ** كـــل طريـــق صـــنَعَهُ ومـــا مجّـــد
وهـــو شـــهير في الحيـــاة يُـــذكر ** ونجلـــه الطيـــب[3] بـــدرٌ أنـــور
والطيـــب الأخـــلاق والأعـــراق ** ومجمـــع الأســـرار والأعـــلاق
محمـــد[4] نجـــل الكـــرام الغـــرّ ** وقبلـــة الـــيُمن وكَعْـــبِ الخـــير
كـــان فقيهـــا زاهـــدا صـــوفيا ** ومُفـــرَدا في الزهـــد لوذعيـــا
خلّـــف نجلـــه الفقيـــه الأسمـــا ** من حـــاز حـــدًّا في العـــلا ورَسْـــما
/و124ظ/محمد المكي[5] خـــير مُرتقِـــي ** إلى العلـــى وفيهـــا خـــير مشـــرقي
عـــدل أديـــب مـــاهر مـــبرَّزُ ** لكـــلِّ ســـعي في الكمـــال محـــرز
لـــه صـــبيان لكـــل يرتجـــى ** خـــير ويمـــن وإلى الله اللّجـــا
ومنـــهم علاّمـــة الأعـــلام ** ومركـــز الإجـــلال والإعظـــام
محمـــد بـــن الشـــاذلي[6] المقـــدّم ** مَن حـــاز في العلـــوم أســـنى قـــدم
في عـــام شـــوق صـــار للمرضـــات ** مجـــرّع الكـــأس مـــن الممـــات
وخلّـــف الـــنجلين نجـــل ســـودد ** وعُنصـــرَيْ فـــيض طويـــل المـــدد

1- **محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي**: المولود سنة 1131هـ 1719م. كان فقيها مشاركا عارفا بفنون الأدب. توفي سنة 1743. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص: 110. وجعل حجي وفاته سنة1753. ينظر: الزاوية الدلائية، ص: 255.

2- عبد السلام بن الشاذلي بن محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي المتوفى عام 1822. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

3- الطيب بن عبد السلام بن محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

4- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

5- محمد المكي بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي المتوفى عام 1247هـ/1831م. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

6- **محمد بن الشاذلي**: أديب بالغ عالم علامة مشارك؛ توفي رحمه الله 1107هـ/1695م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج5، ص: 1837.

محمـــــد الحـــــارثي[1] الطـــــودُ ** الشـــامخ الفَضِـــل الشـــهير الفـــرد
صـــــار إلى الله بعـــــام أقشـــــعا ** غمامـــــة وكـــــان روضـــــا أينعـــــا
ثانيهمـــــا سَـــــمِيُّهُ السَّـــــمِيُّ ** العـــــالم المحقـــــق البكـــــري[2]
ســـــنة أربـــــع مـــــع الســـــبعينا ** ومائـــــة ألـــــف ذاق حَيْنًـــــا
خلّـــف أحمـــد[3] الفقيـــه القاضـــي ** مطهّـــر[4] الأفعـــال والأعـــراض
لـــــه فقيـــــه في المعـــــالي يَـــــدْرُج ** وفي أصـــيل المجـــد يُمْـــنٌ يخـــرج
قـــــد رشـــــقَتْه للمنايـــــا أســـــهُمُ ** ولم يخلّـــف بعـــده مـــا يُرسَـــمُ

وقد انتهت هذه الحدائق في تاريخ هؤلاء السادات الدلائيين. ثم ختم هذه الحدائق الغرّ، بحديقة أولاد الشيخ سيدي عبد الرحمن بن سيدي أبي بكر رضي الله عنه فقال: [الرجز]

/و125و/له إمام كالسحاب يسبل ** في كـــل مـــا عِلْـــمٍ إليـــه المَعْـــدِلُ
محمد[5] الصدر الهِزَبْـــرُ[6] الكامـــل ** العارف البحـــر الخِضَـــمُّ الواصـــل
ولمحمـــــد الســـــرّاج الأقمـــــرُ ** محمـــد[7] مـــن مِنْـــهُ تجـــري أبحـــر
قد كـــان عارفـــا بمـــن ســـواه ** لـــيس يَـــرى بفكـــره ســـواه
لـــه كرامـــات كَعَـــدِّ القطـــر ** في حالـــة الـــروح وبعـــد القـــبر
عـــام الثمـــانين مـــع الثمـــان ** قد عَقِبَـــتْ ألفـــا مـــن الزمـــان[8]
صـــار إلى رحمـــة مَـــن أولاه ** وبعـــده قـــد قـــام في عُقبـــاه
ولـــده الخطيـــب و النقّـــادُ ** ومـــن لـــه مكـــارم تُعتـــاد
محمد[9] القَـــدَمُ الأديـــب البـــارع ** حديقـــة الرّائـــي وروح الســـامع

1- **محمد الحارثي بن محمد بن الشاذلي**: المتوفى سنة 1171هـ/1758م. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

2- **محمد البكري (1174هـ/1760م)**: بن محمد الشاذلي بن أبي بكر الدلائي؛ قاض مالكي. حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

3- **أحمد بن محمد البكري بن محمد بن الشاذلي**: المتوفى سنة 1194هـ/1780م. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

4- "مظهر" في (ب) وهو تصحيف.

5- محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي المتوفى سنة 1022هـ/1613م. ينظر: حجي، الزاوية الدلائية، ص: 255.

6- **الهزبر**: الأسد الكاسر والضخم الصلب. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 984.

7- **محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي**: توفي سنة 1088هـ/1677م. ينظر: الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص: 10-12.

8- يشير إلى تاريخ وفاة محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي.

9- **محمد بن عبد الرحمن الدلائي تـ1729**: مؤرخ من خطباء المالكية. له: درة التيجان. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج5، ص: 2015.

لـــه تـــآليف كمـــا الجُمـــان ** منـــها المســـمى درة التيجـــان[1]
واللؤلؤ النفيس[2] والزهـــر النـــدي ** وضـــعَه في الخُلُـــق المحمـــدي
في عـــام تســـعة مـــع الخمســـينا ** ومائـــة والألـــف مســـتبينا
قد ترك النجل الشـــهير البركـــه ** ذا الـــيمن في ســـكونه والحركـــه
العارف البكّاء خوفا مِـــن زَلـــل ** محمـــد[3] مجمـــع علـــم وعجـــل[4]
عَـــدْلٌ فقيـــه عـــالم نحريـــر ** إليـــه يُعـــزى في الـــورى التحريـــر
وهو لـــه أربعـــة مـــن الـــذكور ** كلـــهم يُـــرزَقُ مـــن رب غفـــور
فمنهم الفقيه ذو السمت الحســـن ** والغض عن كـــل أمـــور يُمتـــهن
/و125ظ/محمـــد ثـــانيهم محمـــد ** مَن أَلِف التنسّـــك بشـــيخ يُحمـــد
ثـــانيهم عبـــد الإلـــه الأكـــرم ** وفي أبي بكـــر الكـــلام يُختـــتم
والحمـــد لله العظـــيم الفضـــل ** ثم صـــلاته لخـــير الرســـل
وآلـــه وصـــحبه الكـــرام ** أهـــل الوفـــاء الســـادة العظـــام

هذا آخر القصيدة في تاريخ أهل هذه الزاوية.

[10- ***زاوية أولاد البقال***]: وأما زوايا الجبال، فأشهرها زاوية أولاد البقال. فإليها تسير الرواحل، وفضلها بادٍ في معمور الريف والثغور والسواحل، وبشرف أهلها في الحواضر والبوادي يخطُب الخطيب، وبسرّهم يتوسّل المتوسّل وينادي، والسائر في البرّ والبحر والمشارق والمغارب وسبل المحاجّ. إنْ مسّه ضِيمٌ أو ضاق عنه الحال، يتسع إنِ استغاث بسيدي علال الحاج[5]، والزائر لمحلّه الرائق يسعد، إن تمرّغ في زاوية الحدائق. ولا زال مَحَلًّا للجذب والسلوك، ومأوًى تتبرّك به الأقبال والملوك. ولا زاوية تعدل هذه في صدق النية وصفاء الوداد، أهلها

1- عنوان النظم كاملا هو: "درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان". وهي عبارة عن أرجوزة في أنساب أشراف المغرب. وقد وقع اضطراب كبير عند بعض المصادر-خاصة القادري والكتاني- في نسبتها إليه أو لأبيه. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج5، ص ص: 2015-2016. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص ص: 10-12.

2- "انفيس" في (ب) وهو تحريف.

3- **محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدلائي**: توفي رحمه الله سنة 1783. ينظر: الكتاني، سلوة الأنفاس، ج2، ص: 112.

4- "عمل" في (ب) وهو تحريف.

5- **علال الحاج**: من الأولياء المدفونين بالقصبة الجديدة بفاس والمعروفة بقصبة الأنوار بإزاء باب الشريعة عن يمين المطالع وهي من بناء الرشيد العلوي. والمترجم له مدفون بدرب السراج. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج3، ص: 440 وص: 442.

يتَلَقَّوْنَ الزائر بالترحيب وشوقهم إليه يزداد[1]، فلا يرجع إلا وهو صافي السريرة طاهر الفؤاد. يزوّدونه بإحسانهم وطيب لسانهم، وعليه أسرارهم متوالية الأمداد، وببرهان دعائهم تبلغ كل مراد، إذ هُمْ منتهى كل آمال وسول، نالوا ذلك بوصية مولانا الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولاحت على وجوههم شيمٌ[2] الإقبال والقبول، لما جَلَبُوا لآل البيت العافية فتجلببوا بها من ابن العافية[3]، وحما الله مِن كل سوءٍ مَن احتمى بحِمَاهُم، وصانَهم الله صونُ الجُمانة، حيث صانوا دم النبوءة بدِماهم، وهذا هو الجاري على الألسنة، وإلا فبأيديهم ظواهر الملوك أنهم من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن سلالة مولانا الحسن بن مولانا علي وسيدتنا فاطمة البتول رضي الله عنهم.

ولا شك أنّ كل شرف بهم مكمول، وحبل الأدارسة[4] وهذه الدولة العلوية[5] بهم موصول، إنْ حَنَثَتِ الخلافة الإسماعيلية[6] فهم لها كفارة يمين، وإنْ أظلم جوّ الأفلاك الجبالية فهم بُدُورُها وأركان للدولة وجناحها اليمين. إذْ ضمائر تلك الجبال إليهم عائدة، وطوابع مولانا إسماعيل[7] السعيدة في ذلك بأيديهم شاهدة، وهذه الدولة المحمدية[8] رجعت لِمَا كانت عليه أسلافها من منادمة[9] أهل الخير، والفضل وحسن السيرة في الناس والعدل، والرجوع للأصل أصلٌ. فحينئذ كمُلَت محاسنها بمُهَذَّبِ الأخلاق، جميل المُحَيَّا، نظرةُ النعيم في وجهه تطرد ما يُخشى من سوء الإملاق، ذي العفّة الربانية، والخشية الرحمانية، والرأفة المحمدية والسيرة الأحمدية. لا تُملّ[10] مُجالسته وتطيب مع الطول مؤانسته، آية السلامة في ذاته مكتوبة، سَطَّرَتْ

1- "بزداد" في (ب) وهو تصحيف.

2- "سيم" في (ب) وهو تصحيف.

3- يقصد موسى بن أبي العافية مؤسس دولة آل ابن أبي العافية سنة 313هـ/925م. عنه راجع: ابن خلدون، العبر، ج4، ص ص: 21-22. مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 226.

4- **الأدارسة:** تأسست دولة الأدارسة سنة 172هـ/789م على يد إدريس الأكبر. أكثر تفصيل عن هذه المسألة ينظر: محمود اسماعيل، الأدارسة حقائق جديدة، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1991، ص: 55. مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 221.

5- عن موضوع الدولة العلوية راجع: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 266.

6- عن الإسماعيلية راجع: إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، لاهور (باكستان): إدارة ترجمان السنة، ص ص: 167-251.

7- يقصد السلطان إسماعيل أحد سلاطين الدولة العلوية. عنه راجع: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 278.

8- **الدولة المحمدية:** دولة محمد بن عبد الرحمن بن هشام. أكثر تفصيل عن هذه الدولة راجع: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 91.

9- **المنادمة:** المجالسة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2187.

10- "يُملّ" في (ب) وهو تصحيف.

حروفها أقلام القدرة فاستكملت محاسنه المحبوبة، يَنثُر من كلامه الدرر واللآلي، سيدي عبد السلام البقالي[1].

[**ذكر الزاوية الدرقاوية**]: ولا زاوية في مغربنا الأقصى أشهر من هذه الزوايا المذكورة في القديم والحادث، إلا الزاوية الآتية قريبا للطائفة الدرقاوية[2]. فقد كادت أن تنسخ الجميع، لقيام أهلها على ساق الجد والاجتهاد، فطريقة غيرها في اضمحلال وهي في ازدياد، والمُجدّون للسير فيها من أهل العلم. فانشرحت صدور العامة للاقتداء بهم، حتى صارت العامة مِن أهل هذه الوسيلة همُ الخاصة من سائر الناس، والآخذون لوِردها عن قريب تكمل لهم المآرب، وفحولها صدورٌ في المشارق والمغارب. نظرة شيخهم شاذلية[3] ونقشبندية[4] وملامتية[5]، وإن كانت الشاذلية منشؤه ومختاره.

1- **عبد السلام البقالي**: الولي الصالح أبو محمد عبد السلام البقالي؛ ويقال إنه علمي في الأصل وإنما اشتهر بالبقالي فقط. توفي عام1873. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج3، ص: 481-482. الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص: 1162.

2- **الدرقاوية**: أبناء الولي الكبير أبو عبد الله محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة. يُرفع نسبه إلى إدريس الأصغر. ينظر: أبو زيان الغريسي، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار، مخطوط ضمن مجموع بالخزانة الحسنية، رقم: 12813، ص: 15.

3- **الشاذلية**: مؤسسها أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي المتقدم ذكره. ينظر: محمود عبد الرؤوف القاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، بيروت: دار الصحابة، ط1، 1987، ص ص: 358-359.

Riin Louis، Marabouts et khouan، p: 211.

4- **النقشبندية**: أسسها بهاء الدين محمد بن محمد البخاري المتوفى سنة 791هـ/1389م؛ على صورة ثورة صوفية ألغت كثيرا من تقاليد التصوف من ذكر وخلوة وكرامات. ينظر: محمود عبد الرؤوف، الكشف عن حقيقة الصوفية، ص ص: 360-361.

Riin Louis، Marabouts et khouan، p: 283.

5- **الملامتية**: مذهب في التصوف انتشر من نيسابور، قيل إن صاحبه هو حمدون القصار المتوفى سنة 271هـ/885م. وهو أن يظهر للناس كما لو كان لا يقصد إلى الخير وهو في نفس الوقت لا يضمر أي شر. ينظر: الحفني، الموسوعة الصوفية، ص: 372.

"قال قطب الدائرة شمس الدين الحنفي[1]: اختصت الشاذلية بثلاثة أشياء لم تكن لأحد قبلهم ولا بعدهم: **الأولى** أنهم مختارون من اللوح المحفوظ. **الثانية** أنّ المجذوب منهم يرجع إلى الصّحو. **الثالثة** أنّ القطب منهم دائما أبدا إلى يوم القيامة"[2]/و126و/"وقال الشيخ الشاذلي رضي الله عنه: سألتُ الله تعالى أنْ يجعلَ القطب في بيتي فإذا النداء عليّ يُقال لي: قد استجبنا لك"[3]. وطريقته متّصلة بالأقطاب، معنعنة برجل عن رجل إلى الحسن بن علي. وطريقة مولاي العربي عريقة في هذه، لأنها هي المعروفة في القُطر المغربي، والنقشبندية والملامِتية من الطرق الموصلة أيضا إلى الله تعالى. وهما بهذا الاسم عند أهل المشرق كالطريقة الشاذلية عندنا، فلم يقع عندنا الاختلاف بين هذه الطرق إلا في الاسم واصطلاح كل قوم.

[ذكر العياشي وتصوفه]: وممن جمع بين الثلاثة ولا أحفظ لها رابعا، إمام العارفين أبو سالم العياشي. قال في «رحلته»: "فلما كان يوم الأربعاء[يعني وهو بالحرم المكي][4] اجتمعتُ بالشيخ جمال الدين الهندي[5] بالمدرسة الداوُودية، جمعني به شيخنا وصاحبنا الشيخ علي بَاحَاجْ اليمني[6]، بعدما سألته عمّن هو اليوم في الحرمين أفضل هذه الطائفة النقشبندية، فدلّني على الشيخ جمال الدين وعلى رجل آخر من أصحاب الشيخ تاج الدين، إلا أنّ الشيخ جمال أكثر منه عبادة وزهادة وإقبالا على الطريق. وكنت كثير التشوف إلى لقيا أحد من هذه الطائفة، لِما كنتُ أرى من محاسن أصحابها وجِدِّهم واجتهادهم في الكتب المؤلفة في طريقهم. فلما اجتمعتُ بالشيخ جمال الدين أخذتُ عنه طريق السادات النقشبندية/و126ظ/ببيته، وذلك ظهر يوم الأربعاء المذكور. وشيخنا هذا من أعبد أهل زمانه، مقبلٌ على شأنه، مراقب للحقّ في سره وإعلانه، منقطع بالحرمين الشريفين لعبادة ربه، لا مال ولا أهل إلا أصحابه المشتغلون بالطريق على يده.

1- **شمس الدين الحنفي(847هـ/1443م):** محمد بن حسن بن علي التيمي البكري الشاذلي، صوفي مصري من أهل القاهرة. من مصنفاته: الروض النسيق في علم الطريق شَرَحَ به كلام شيخه محمد العجان. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 88.

2- المؤلف ينقل من تحفة أهل الصديقية للمهدي الفاسي دون أن ينبه على ذلك. ينظر: المهدي الفاسي أبو عبد الله، تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية من أهل الطريق، مخطوط بمركز آل سعود، المغرب: الدار البيضاء، رقم: 299، و3ظ.

3- المهدي الفاسي، تحفة أهل الصديقية، و3ظ.

4- ما بين المعقوفين زيادة من المؤلّف وليست من رحلة العياشي. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 333.

5- **جمال الدين الهندي:** النقشبندي، عالم متصوف توفي بالمدينة المنورة يوم الجمعة 26 جمادى الأولى سنة 1076هـ/1665م ودفن بالبقيع. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص ص: 1532-1533.

6- **علي بَاحَاجْ اليمني:** الشافعي، عالم راوية، جاور بمكة لطلب العلم أعواما. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 333.

ولهم سِيمًا[1] وبهجة لا تخفى على ذي بصيرة، وطريقهم طريق جدّ واجتهاد، قريب فتحها كثير خيرها، بعيدة عن الرياء والسمعة، إلا أنها تحتاج كغيرها من الطرق إلى مرشد عارف ناصح، وسنذكر بعد هذا نبذة من اصطلاح أهلها لغرابتها بمغربنا. وفي يوم (الأربعاء)[2] [المذكور][3] ذهبت إلى شيخنا زين العابدين الطبري[4]، فوجدتُه بداره وسلّمت عليه ورحّب بي كثيرا"[5]، "ولقنني وأجاز لي الخرق الثلاثة: القادرية والسهروردية[6] والكُبروية[7]"[8].

وقبله "يوم الجمعة لقيت شيخنا الشيخ عيسى الثعالبي[9] بمترله بباب حزورة، وتلقّيت[10] منه الذكر على طريق السادات النقشبندية رضي الله عنهم، وألبسني الخُرق الثمانية التي ضمّنها الشيخ أحمد بن أبي الفتوح[11] رضي الله عنه كتابَه[12]"[13]. "وقد قيّدتُ في مسوّدات عقب الإلباس ما نصه: لبست الخُرق الثمانية التي اشتمل عليها كتاب أحمد بن أبي الفتوح، من يد شيخنا مسند العصر وعلاّمة الدهر، سيدي أبي مهدي عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي رضي الله عنه، بمترله بباب حزورة أحد أبواب المسجد الحرام. وأجازني بها عن الشيخ/و127و/الأجلّ قطب وقته، شيخنا أحمد بن محمد المدني القشاشي، عن الشيخ الكامل العارف أبي العباس أحمد

1- "سيم" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 333.

2- "السبت" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 333.

3- ساقطة من الأصل والزيادة من رحلة العياشي. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 333.

4- **زين العابدين الطبري**: الحسني المكي الشافعي، إمام المقام الإبراهيمي، توفي بمكة 1078هـ/1667م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1548.

5- العياشي، الرحلة، ج1، ص: 333.

6- **السهروردية**: نسبة إلى السهروردي شهاب الدين يحي بن حبش، العلامة الفيلسوف، مات جوعا سنة 586هـ/1190م بقلعة حلب. ينظر: الذهبي، السير، ج21، ص ص: 207- 211. ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص: 268.

7- "الكبرونية" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص:334. **والكُبروية**: نسبة إلى نجم الدين الكبرى؛ أحمد بن عمر الخيوقي البغدادي المتوفي سنة 618هـ/1221م. ينظر: البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص: 90.

8- العياشي، الرحلة، ج1، ص: 334.

9- **عيسى الثعالبي**: هو عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، من فقهاء المالكية الكبار، جاور بالمدينة المنورة مدة، وتوفي في 24 رجب 1080هـ الموافق لـ 18 ديسمبر 1669م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص ص: 1561-1562.

10- "تلقنت" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص:335.

11- **أحمد بن أبي الفتوح**: أحمد بن عبد الله بن أبي الفتوح الطاوسي الحنفي الصوفي، له كتاب جمع الفرق لرفع الخرق. ينظر: الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص: 914.

12- الكتاب هو: "جمع الفرق لرفع الخرق". ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص:335.

13- العياشي، الرحلة، ج1، ص:335.

بن علي الشناوي[1]، عن السيد غضنفر بن جعفر الحسني، عن الخطيب الكازروني جدّ هبة الله بن عطاء الله الحُسَيْني الحسني، عن جده أحمد بن أبي الفتوح فيما له. قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى الله تعالى أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي كان الله له آمين. ثم كتب الشيخ بخط يده بإثر هذا ما نصه: الحمد لله، صحّ ذلك وكتب العبد الفقير عيسى بن محمد الجعفري المالكي وفقه الله"[2].

ومنها أيضا ما نصه أن: "الشيخ العالم الشيخ عيسى بن محمد المالكي، دخل بتوسط العبد المفتقر إلى رحمة الله الملك القيوم، محمد المعصوم العُمَري[3] غفر الله ذنوبه وستر عيوبه، في سلك إرادة الشيوخ النقشبندية الذين هم أحقّاء للاقتداء، وأخذوا الوسيلة لما أنهم أدرجوا [النهاية في البداية][4] والتزموا متابعة السنّة، وجنّبوا عن ارتكاب البدعة، كثّر الله سبحانه سوادهم ودمّر [سبحانه][5] حُسّادهم"[6].

"وكان شيخه والده القطب الرباني والمجدد للألف الثاني، قدوة الأولياء المحققين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الأحد قدّس الله سرّهما، وشيخه ومعلم طريقته مؤيد الدين الرضى الشيخ محمد الباقي. وشيخه مولانا خواجكي الأمكنكي[7]، وشيخه مولانا محمد درويش[8]، وشيخه مولانا محمد الزاهد[9]، وشيخه قدوة الأحرار مولانا عبيد/و127ظ/ الله، وشيخه مولانا يعقوب الخرجي[10]. وشيخه قبلة هذه الطريقة وإمامها بهاء

1- **الشناوي**: أحمد بن علي بن عبد القدوس القرشي العباسي الشناوي المصري ثم المدني، عارف متصوف له مؤلفات في التصوف. ولد بمصر سنة 975هـ/1567م، وتوفي بالمدينة المنورة سنة 1028هـ/1619م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص ص: 1244-1245.

2- العياشي، الرحلة، ج1، ص:336.

3- **محمد المعصوم العُمَري**: متصوف عارف ولد سنة 1007هـ/1598م، وتوفي سنة 1099هـ/1688م. ينظر: الخاني عبد المجيد بن محمد، الحدائق الوردية في حقائق أجلاّء النقشبندية، أربيل: دار ثاراس، ط2، 2002، ص ص: 262- 271.

4- "البداية في النهاية" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 337.

5- ساقطة من الأصل والزيادة من رحلة العياشي. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 337.

6- العياشي، الرحلة، ج1، ص: 337.

7- **خواجكي الأمكنكي**: محمد خواجكي الأمكنكي السرمقندي المتوفى سنة 1605م. ينظر: الخاني، الحدائق الوردية، ص: 245.

8- **محمد درويش**: من أئمة القوم وفضلائهم. ينظر: تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية، ص: 103، نقلا عن رحلة العياشي، ص: 338، هامش:2.

9- **محمد الزاهد القاضي**: من أئمة الصوفية له كتاب "سلسلة العارفين وتذكرة الصادقين". ينظر: تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية، ص: 101، نقلا عن رحلة العياشي، ص: 338، هامش:3.

10- "الجرجي" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 338.

الحق والدين المشتهر بنقشبند[1]، وشيخه ومعلم طريقته وآدابه الأمير[2] كلال[3] [وشيخه مولانا محمد بابا السماسي[4]. وشيخه علي الراميتني[5] المشتهر بعزيزان][6] وشيخه مولانا محمود [أنجيرا الفغنوي[7]][8]، وشيخه مولانا عارف الريو كري[9]، وشيخه رئيس هذه الطريقة عبد الخالق الغجْدُواني[10]، وقد ربّى بالروحانية هذا الرئيس الشيخ النقشبندي وشيخه[11] الإمام الرباني أبو يعقوب يوسف الهمداني[12]، وشيخه شيخ الطريقة أبو علي الفارمدي[13] الطوسي، وشيخه قطب الزمان الشيخ أبو الحسن الخرقاني[14]. وشيخه ومربي روحانيته الإمام الأجلّ جعفر الصادق، وشيخه وجدّه من قبل الإمام قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وهو من كبار التابعين [ومن فقهائهم السبعة المشتهر فيما بين التابعين][15]، وشيخه سلمان الفارسي الذي شرّفه عليه الصلاة والسلام بتشريف: سلمان منا أهل البيت[16]. وشيخه مع درك فضيلة صحبته خير البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات، أمير المؤمنين أبي بكر الصديق، وشيخه وإمامه أفضل الأنبياء

1- "نقشبندة" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 338. **ونقشبند**: هو محمد بهاء الدين ولد في محرم 717هـ/1317م والمتوفى سنة 791هـ/1389م. ينظر: الخاني، الحدائق الوردية، ص ص: 180-199.

2- "الأمين" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 338.

3- **الأمير كلال**: ولد في قرية سوخار. ينظر: الخاني، الحدائق الوردية، ص ص: 177-179.

4- **محمد بابا السماسي**: شيخ عارف ولد بقرية سماس. ينظر: الخاني، الحدائق الوردية، ص: 176.

5- **علي الراميتني**: من شيوخ الطريقة النقشبندية. توفي سنة 1315م أو 1321م. ينظر: الخاني، الحدائق الوردية، ص ص: 172- 175.

6- ساقطة من الأصل والزيادة من رحلة العياشي وذلك لإتمام نص السند. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 338.

7- **محمد الأجير فغنوي**: مرشد عارف. عن ترجمته يُرَاجَع: الخاني، الحدائق الوردية، ص: 171.

8- "إنجيرُ البغنوي" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 338.

9- **الريو كري**: ولد في قرية ريو كر، أخذ عن حضرة العزيزان. عن ترجمته يُرَاجَع: الخاني، الحدائق الوردية، ص: 170.

10- "العجدواني" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 338. عن ترجمته رَاجع: الخاني، الحدائق، ص: 160.

11- "شيخنا" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 338.

12- **يوسف الهمداني**: إمام عارف ولد في همدان سنة 1049م، وتوفي سنة 1141م. ينظر: الخاني، الحدائق الوردية، ص ص: 155-157.

13- **الفارمدي**: الفضل بن محمد الفارمدي الخراساني، ولد سنة 407هـ/1017م، أخذ عن عبد القاهر البغدادي، وصحب القشيري. توفي سنة 477هـ/1085م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 18، حققه: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، ص: 565.

14- زاد المؤلف في الأصل الجملة التالية :" وشيخه ومربيه ورحانيته سلطان العارفين الشيخ أبو زيد البسطامي". وقد تم حذفها من الأصل لأنها ليست من نص الرحلة. والخرقاني هو أبو الحسن علي بن أحمد الخرقاني البسطامي من قرية خرقان بالتحريك. توفي يوم عاشوراء سنة 425هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، تحقيق: محمد شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، ص ص: 421-422.

15- ساقطة من الأصل. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 339.

16- رواه الطبراني وقال الألباني حديث ضعيف جدا. ينظر: الألباني، ضعيف الجامع، ص ص: 480-481، حديث رقم: 3272.

وقدوة الرسل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبارك ﴿**أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾[1]"[2] انتهى.

وهو من الرحلة المذكورة ما نصه: "قلت: مما ينبغي أن يُنتبه إليه في السند المتقدم، ما ذكره الشيخ أبو الحسن الكاشفي/و128و/في كتاب «الرشحات»[3]، بعد أن ساق السند المتقدم إلى أبي علي الفارمدي قال: وهو عن الشيخ أبي القاسم الكرّكاني[4]. وانتساب الشيخ أبي القاسم في علم الباطن إلى جانبين، أحدهما إلى الشيخ أبي الحسن الخرقاني، وهو عن[5] أبي زيد، وولادته بعد وفاته بزمان، فتربيته من روحانيته، وكذلك تربية أبي يزيد[روحانية][6] الإمام جعفر"[7].

"قال الشيخ أبو طالب المكي[8]: إن للإمام جعفر نسبتين، نسبة من والده عن[9] أسلافه الأكرمين، والنسبة الثانية للإمام جعفر من جده لأمه قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ وله نسبة الباطن من سلمان الفارسي. قال: ثم النسبة الثانية للشيخ أبي القاسم الكرّكاني إلى الشيخ أبي (عثمان)[10] المغربي[11]، عن أبي علي الرودباري[12]، عن الجنيد، عن السري، عن معروف. ولمعروف نسبتان: أحدهما وهي لداوود الطائي وهي معروفة، والأخرى لعلي بن موسى الرضى عن أسلافه"[13] انتهى إلى آخره.

1- التوبة، الآية 33. الفتح، الآية 28. الصف، الآية 09.

2- العياشي، الرحلة، ج1، ص ص: 337-339.

3- **رشحات عن الحياة**: فارسي في مناقب مشايخ النقشبندية ورسوم طريقهم ضمنا لحسين بن علي الواعظي الكاشفي البيهقي. ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص: 903.

4- **أبو القاسم الكرّكاني**: عبد الله بن علي بن عبد الله الطوسي الطابراني الكركاني، كان شيخ الصوفية والمشار إليه بالأحوال والمجاهدة، توفي في ربيع الأول سنة 469هـ/1077م. ينظر: الذهبي، السير، ج18، ص: 405. الخاني، الحدائق الوردية، ص: 101.

5- "من" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 340.

6- "بعد وفاة" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 340.

7- العياشي، الرحلة، ج1، ص: 340.

8- **أبو طالب المكي تـ(386هـ/996م)**: محمد بن علي بن عطية الحارثي. واعظ زاهد فقيه من أهل الجبل بين بغداد وواسط. نشأ واشتهر بمكة ورحل إلى البصرة فاتُّهم بالاعتزال؛ توفي ببغداد. من تآليفه: قوت القلوب. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص: 303.

9- "ونسبة من" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 340.

10- "عشر" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ص: 341.

11- زاد المؤلف قوله: "عن أبي علي الكاتب" وليست من نص الرحلة. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 341. **وأبو عثمان المغربي**: هو سعيد بن سلام المغربي القيرواني نزيل نيسابور، توفي سنة 373هـ/984م. ينظر: الذهبي، السير، ج16، ص ص: 320- 321.

12- "الروباذاري" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 341.

13- المصدر نفسه، ج1، ص ص: 340-341.

ومن الرحلة أيضا ما نصه: "لطيفة: ولما كانت طريق ساداتنا النقشبندية -مع نفاستها وظهور محاسنها (ولطيف أسلوبها)[1] بها، وجريانها مع الكتاب والسنة- قلّما توجد في أرض المغرب، بل لا يعرفها أهله حتى بالاسم لبعد[2] مشائخها، فلم تصل تآليفهم إليه ولا دخل هذه البلاد أحد من أهلها فيما نعلم، مع اكتفاء أهل المغرب منها[3]، وعن غيرها من الطرق بالطريق/و128ظ/التي بان رشدها، واتضح أمرها وأمِنَتْ غائلتها واستقامت أصولها، وجرت مع ظواهر[4] الكتاب والسنّة فصولُها. طريق القطب الجامع وشمس المحافل والمجامع، الإمام أبي الحسن الشاذلي وأتباعه أئمة الهدى والحق، وأصحاب الإخلاص والصدق رضي الله تعالى عن فريقهم، وجعلنا من سالكي طريقهم. ولعَمري وما عُمري عليَّ بهيّنٍ ما طريق السادات النقشبندية منها ببعيد، وما أصولها إلا كأصولها عند كل موفّق سعيد.

فـــإن لا يكُنْهـــا أو تكُنْـــهُ فإنـــه ** أخوها (أرضـــعته)[5] أمـــه بلِبانِهـــا[6]

ومن تأمَّل رشحات النقشبندية، وحِكَم الشاذلية، لم يجد بينهما اختلافا إلا في بعض الاصطلاحات الراجعة إلى الأعمال الظاهرة. وأما الأعمال القلبية والمنازلات العرفانية، فلا فرق أصلا"[7] انتهى.

ومنها أيضا ما نصه: "وقد طال ما بحثتُ عن طريق الإمام حجة الإسلام الغزالي، وسنده في طريق القوم لما لاح لي [ما ذكرت أولا][8] فيما اشتهر، مِنْ أنَّ شيخه في الطريق إمام الحرمين. ثم رأيتُ شيخ مشايخنا سيدي العربي الفاسي في كتاب «مرآت المحاسن»، بعد ما ذكر [ما][9] في الطريق المذكورة من الانقطاع، أشار إلى نحوٍ مما ذكرنا، فتحققتُ حينئذ أن لحجة الإسلام في طريق القوم شيخا غير إمام الحرمين، إلى أن حصلت على ما ذكرنا عن الأسنوي والشعراني من

1- "لُطف السلوك" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 343.

2- "لبعد بلاد" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 343.

3- "عنها" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ج1، ص: 343.

4- "خواص" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: نفسه، ج1، ص: 343.

5- "غذّته" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: أبو الأسود الدؤلي، ديوان الدؤلي، صنعة: أبي سعيد الحسن السكّري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط2، 1998، ص: 162.

6- البيت من بحر الطويل وهو لأبي الأسود الدؤلي. ينظر: الدؤلي، الديوان، ص: 162.

7- العياشي، الرحلة، ج1، ص: 343.

8- ساقطة من الأصل والزيادة من رحلة العياشي. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 342.

9- ساقطة من الأصل والزيادة من رحلة العياشي. ينظر: المصدر نفسه ، الرحلة، ج1، ص: 342.

أخذه[1]/و129و/ عن الكرّكاني. فتطلّبتُ إسناد الكرّكاني فلم أجده، حتى حصلتُ على طريق ساداتنا النقشبندية وشرح أحوال مشائخها، فظفرتُ بذلك مستوفىً، فاتَّصَلَتْ الطرق بحمد الله اتصالا ينشرح به الصدر، ويطمئن له القلب من غير عارض مخدش فيه، ولله الحمد والمنّة على ما ألهم، والشكر على ما علّم"[2][3] انتهى. وشيخنا مولاي العربي ممن جمع بين سرّ هذه الطرق الثلاثة، وإن لم يأخذها بالسند فقد أخذها ولُقّنَها من كتب التربية. ولا غرابة أنّه كلَّ الرجال معرفة وأكمل العارفين تربية، وفي بقاء النظرة في أولاد الأشباح كبقائها في الأرواح، إذ الإسم الذي أدرك به التربية لقّنه لسائرهم. ففي «تسهيل الفوائد» لجمال الدين بن مالك ما نصه: "إذا (كانت العلوم)[4] منحا إلهية ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يُدّخر لبعض المتأخرين ما عَسُرَ على كثير من المتقدمين"[5] انتهى.

وطويت الكلام على الزاوية[6] التي واعدتُ في أول الترجمة، بأنها مقصورة على البدع ومنها ترك زيارة الصالحين، اكتفاءً بالردّ على صاحب الترجمة الأولى[7] إذ هو قيِّمُها، والردّ على الواحد من الطائفة ردّ على الجميع. واتّكالا على ما سطّره إمام العارفين سيدي أحمد البكاي الكنتي في كتاب «بغية الإلف في الرد على ابن يركى تلف»، من البدع التي عليها أهل هذه الزاوية، وقد نقلناه بجملته فانظره إن شئت في ترجمة صاحبها[8].

[11- ***زاوية العربي الدرقاوي***]: وها أنا أختم هذه الزوايا بزاوية الشيخ المبارك رضي الله عنه وأرضاه[9]، ومتّعنا جميعا برضاه فنقول/و129ظ/ومِن الزوايا التي اشتهرت بمغربنا في آخر الزمان، وغطّت شهرتها كل زاوية نُصِبَتْ للذكر في أي مكان من الأمكنة أو قطر من الأقطار،

1- زاد المؤلف في هذا الموضع ما يلي: "الفارمدي، فتطلبت إسناد الفارمذي وعمن أخذ فلم نجده حتى رأيت في الإحياء ومنارات السائرين". وهو ليس من نص رحلة العياشي. ينظر: العياشي، الرحلة، ج1، ص: 343.

2- "أنعم" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 343.

3- العياشي، الرحلة، ج1، ص ص: 342- 343. وفي هذا الموضع ينتهي المؤلف من النقل الحرفي عن الرحلة العياشية.

4- "كان العلم" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، مكة المكرمة: المطبعة الأميرية، ط1، 1319هـ/1901م، ص: 6.

5- ابن مالك، تسهيل الفوائد، ص: 6.

6- يقصد الزاوية التيجانية.

7- يقصد محمد الكنسوس.

8- يقصد الترجمة الأولى من المخطوط.

9- جاء على هامش المخطوط: "قف: على زاوية أستاذنا الشيخ المربي مولاي العربي الدرقاوي أماتنا الله محبّته ومحبة أوليائه آمين".

زاوية الشيخ المربي مولاي العربي الدرقاوي[1]. قال العارف بالله مؤلّف مناقب هذا الشيخ المبارك، وهو سيدي بوزيان الغريسي[2] ثم المعسكري: "إنّ الله قد أحيا به ملّة التصوف، وأزاح به عن أهل الجدّ والاجتهاد التثبط والتشوف، وقطع به عن قلوب المريدين إلى غير الله التطلع والتشوف، فكان لا يقطف من روض كلام الصوفية إلا الأزاهر، ولا يعتبر منهم إلا المحرر الظاهر"[3]. ويقول: "قد اشتهرت التربية بمغربنا بثلاثة كتب[4]: «الحكم العطائية»، و«الرائية الشريشية»[5]، و«المباحث الأصلية»، ويتكلّم على جميعهم، ولكن كل وقت وما يناسبه. وغاية ما كان يستفيد منهم تحقيق ما قاله شهودا وذوقا وعلما، ونازِله حالا ومقالا ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾[6]"[7] إلى آخر كلامه.

[***نسب العربي الدرقاوي***]: والكلام في نسبه الديني والطيني[8]. أما نسبه الطيني كما قال مؤلف «مناقبه»: "فهو من ذرية الشريف المنيف مولانا أحمد بن إدريس بن إدريس، بن عبد الله المحضر، بن حسن المثنى، ابن الحسن السبط، بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء البتول بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشرفٌ وكرمٌ ومجدٌ وعِظمٌ، يتصل بالعالم العارف الكامل ولي الله تعالى أبي عبد الله سيدي محمد ابن يوسف الملقّب بأبي درقة رضي الله عنه، فهو منه أبا وأما، وصار هذا/و**130**و/اللقب على أبنائه كنية واسمًا"[9].

1- خص المشرفي العربي الدرقاوي بكلام مهم في نزهة الأبصار. ووصف الدرقاوية بأنها نسخت غيرها من الطرق. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 123-126.

2- **أبو زيان بن أحمد الغريسي**: العارف المحقق الصوفي المدقق. كان رحمه الله من أجلّة أصحاب العربي الدرقاوي وكبرائهم، وكان له أصحاب وأتباع أخذوا عنه وانتسبوا إليه. له "طبقات" في مناقب شيخه العربي الدرقاوي وبعض أصحابه، توفي قبل إكمالها 1854م. ينظر: العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 231. الحسام المشرفي، و149و-و150و. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص: 405.

3- الغريسي، كتر الأسرار، ص: 7.

4- جاء على هامش المخطوط: "قف: على الكتب التي اشتهرت بها التربية في مغربنا".

5- الرائية الشريشية المسماة بأنوار السرائر لأبي العباس أحمد بن خلف البكري المعروف بالشريشي وتوجد منها نسخة مخطوطة بمركز آل سعود بالدار البيضاء بالمغرب تحت رقم: 387.

6- سورة هود، الآية 120.

7- الغريسي، كتر الأسرار، ص: 7.

8- جاء على هامش المخطوط: "قف: نسب مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه".

9- الغريسي، كتر الأسرار، ص: 13.

"والدرقاويون رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم كثيرون[1]، فالذي نعرف منهم فرقة بسوس الأقصى[2]، وفرقة بسوس الأدنى[3] بساحل دكالة[...][4]، وبعضهم بمدينة فاس بحومة العيون، يُعرفون بأولاد سيدي عبد النبي الدرقاوي. وبعضهم بجبال الزبيب، وكثيرهم هناك بقبيلة بني زروال[5] التي هي منشأ أستاذنا صاحب الترجمة، وموضع استقراره وضريحه"[6]. إلى أن قال ناقلا عن الشيخ السهروردي في كتاب «التحقيق في النسب الوثيق»، في جدّ صاحب الترجمة الأوسط الذي يتصل نسبه به: "فهو محمد بن يوسف، بن جنون، بن عمران، بن عبد الرحمن، بن سليمان، بن الحسن، بن عمران، بن محمد، بن أحمد، بن جنون، بن أحمد، بن إدريس، بن إدريس[7]، بن عبد الله الكامل، بن حسن، بن الحسن السبط، بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه"[8].

قال غيره: "أما نسبه الطيني، فلبعض العارفين بالله من تلامذته: أستاذ هذه الطائفة ونقيّها ومقدمها في العرفان ونجيبها، آية الله في التصوف الكبرى، وفاتحة مَن يُذكر من طبقاتها الأولى والأخرى. الصدرُ الأوحد في الدراية والرواية كالأماني، سيدي عبد الرحمن الرحماني ما نصه بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبعد: فيقول كاتبه عبد ربه عبد الرحمن بن محمد بن احميدة البربوشي[9] أصلا، الرحماني قبيلة[10]، كان الله ولطف به: اعلم أنّي

1- ساقطة من (ب).

2- **السوس الأقصى**: المنطقة الواقعة إلى اليمين من نهاية جبل درن ويقال لها بلاد ماسة، وتتصل بلاد السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى السودان وهي بلاد الزهج. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص ص: 5-6.

3- **السوس الأدنى**: المنطقة الممتدة من سلا إلى ناحية الجنوب تاركا مغرب الشمس يُمنة، ثم تأخذ منها قافلا إلى قبلةٍ فتسمى تلك البلاد تامسنا ويقال لها أيضاً بلاد السوس الأدنى وحدّها إلى جبل درن. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص: 5.

4- النقاط ليست موجودة في الأصل المخطوط وإنما هي من وضعنا للدلالة على وجود كلام محذوف.

5- **بنو زروال**: من أكبر وأقوى قبائل المغرب في جبالة بين غمارة ومثيوة والحياينة. وهم بطن صنهاجي اندمج في قبيلة أهل ستيتن قرب البيض بالصحراء، ومعظمهم يقطن على عدوتي وادي ورغة شمالي حوز فاس. ينظر: ابن عبد الله، معلمة المدن القبائل، ص: 109 وص: 213.
Chatelier, Notes sur les Villes et Tribus Du Maroc, p: 100.

6- الغريسي، كتر الأسرار، ص: 13.

7- ساقطة من (ب).

8- الغريسي، كتر الأسرار، ص ص: 14-15. وهذا النسب تثبته الكثير من المصادر. ينظر: التليدي، المطرب، ص: 205.

9- **البربوشي**: علي بن حمو الرحماني البربوشي المراكشي، تولى قضاء الرحامنة في عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام، وتوفي آخر دولة ابن هشام. وقد جعلها ابن عبد الله في معلمته سنة 1270هـ/1854م. ينظر: الغريسي، كتر الأسرار، ص: 75. عباس بن براهيم، الإعلام، ج6، ص: 289. أحمد متفكر، قضاة مراكش عبر العصور، الرباط: مطبعة الأمنية، ط1، 2010، ص ص: 86-87.

10- **قبيلة الرحامنة**: عشيرة من الجبورية من قبائل البلقاء وهي قبائل منطقة مراكش. ينظر: ابن عبد الله، معلمة المدن والقبائل، ص: 206.

تأملت فرأيت الفنون كلها لابد فيها من واسطة، ومَن لا واسطة له في فنّه لا بركة له فيه ولو حصل فيه على الغاية. فبركة الفنون وسائطها، فمن رُزق/و130ظ/رضى واسطتهم رُزق الفن، ومن حُرم رضاه حُرم بركة الفن ولو أحاط بجميع الفنون، وهذا الأمر مشاهَدٌ بالعيان في كل وقت وأوان"[1]. "هذا، وإن التصوف أوْلَاهَا بذلك وأحقّها بما هنالك، فمَن لا شيخ له في التصوف لا يُعبَأُ به ولا يُلتَفَتُ إليه[2]، بل هو عندهم لقيط لا نسب له، وسقيط[3] لا طعم له. وَهَبْ أنّ الفنون كلها حصلت لأحد بلا واسطة، فالكمال في حقّه والمطلوب منه أن ينتمي إلى واسطة، إذ في انتماء الكامل إلى الوسائط خروج عن رعونة الأنانية، والدعوى إلى رفعة التواضع والتقوى، وتنَزُّلٌ من الحرية إلى العبودية، وناهيك بالعبودية شرفا، بل العبودية هي الحرية، كما أنّ الحرية هي العبودية"[4].

"ولقد كان لسيّد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام، واسطة وهو جبريل عليه السلام مع شرفه على المقدَّم. فتقديم المفضول على الفاضل رفعٌ لمرتبة الفاضل، وتنويهٌ وبيانٌ لعبودية الكامل، فافهم سرّ الخطاب إن كنت من ذوي الألباب. وفي أمرِ الله جميع ملائكتِه بالسجود لآدم عليه وعليهم الصلاة والسلام مع كونهم ﴿**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[5]، تذكرةً لمن تبصّر وعبرة لمن اعتبر. فما عظُمت الحرية في أحدٍ إلاّ وعظمت العبودية أكثر منها، وما شَرَفُ مَن شُرِّفَ إلا بالعبودية، وما طَرْدُ مَن طُرِد إلا بالأنفة عنها والركون إلى الحرية، وفي الحديث: خديم القوم سيدهم[6]، فافهم ذلك والله يتولى هداك"[7].

1- عبد الرحمن بن محمد بن احميدة البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة العامة بتطوان بالمغرب رقم: 458/4، ص: 4. وقد نقل المؤلف رسالة البربوشي في العربي الدرقاوي -التي تقع في ست صفحات- حرفيا، وسننبه على ذلك في مواضعه.

2- جعل الصوفية من اتخاذ الشيخ فرض عينٍ؛ لأن التحقق بالإخلاص والعبودية الحقة واجب، ولا يصح ذلك إلا مع شيخ عارف. ينظر: التليدي، المطرب، ص: 18. وإلى هذا المعنى يشير ابن عجيبة قائلا: "إن سلوك طريق التصوف وخصوصا لمريد الكشف والتحقيق لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد لشيخ محقق مرشد؛ جامعا بين حقيقة وشريعة، لأن الطريق عويص وأدنى زوال يقع عن المحجة يؤدي إلى غاية البعد عن المقصود". واستطرد في الاستشهاد ببعض أقوال كبار المتصوفة في هذا الجانب. ينظر: ابن عجيبة، الفهرسة، حققها وقدم لها وعلق عليها: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة: دار الغد، ط1، 1990، ص ص: 60-62.

3- **سقيط**: الثلج. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 2038.

4- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص: 4.

5- سورة التحريم، الآية 06.

6- رواه الديلمي وأبو نعيم عن أنس بن مالك باللفظ الآتي: "خادم القوم سيدهم، وساقيهم آخرهم شربا". قال الألباني: إسناده ضعيف جدا. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، ج4، ص: 10.

7- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص ص: 4-5.

فلما كان الأمر هكذا، "وجب إذًا علينا أنْ نَذْكُرَ نسبنا، ونبيّن عقدنا وننتمي لأصلنا، إذ في نسبتنا إليهم فخرُنا/و131و/وفي تعلّقنا بأذيالهم شَرَفُنَا فأقول: شيخنا في هذا الشأن وقدوتنا في هذا الفن، نور الملّة والدين ورحمه الله في العالمين، معدِنُ الصدق والتصديق، والحامل لواء الحق والتحقيق. بحْرُ الصفا وولد المصطفى، أبو المعاني سيدنا ومولانا العربي الدرقاوي بن مولانا أحمد بن الحسين، بن علي، بن محمد، بن يوسف، بن أحمد، بن علي، بن محمد، بن علي، بن الحسين، بن أحمد، بن الحسن، بن سعيد، بن إسماعيل، بن عبد الله، بن محمد، بن يوسف الملقب بأبي درقة، وبهذا اللقب يعرف شيخنا الآن. وأبو درقة هو ابن جنون، بن عمران، بن عبد الرحمن، بن سليمان، بن الحسن، بن عمران، بن محمد، بن محمد، بن أحمد، بن جنون، بن أحمد، بن إدريس، ابن إدريس، بن عبد الله الكامل، بن حسن، بن الحسين، بن علي بن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم. هذا سنده الطيني رضي الله عنه كما وجدته بخط بعض الإخوان"[1].

"أخذتُ عنه رضي الله عنه الطريقة الشاذلية يوم الأحد مفتتح ذي الحجة الحرام عام أربعة ومائتين وألف[2]، وصحبته إلى الآن وما زلتُ ولا أزال، بل إلى لقاء الله عز وجلّ. فلا ننتسب إلاّ إليه ولا نعوّل في أمرنا إلا عليه، ولا رأَيْنَا جميع الخير إلا على يديه، فهو بفضل الله الذي أَخْرَجَنَا مِن سجن نفوسنا إلى فضاء ربنا، ومن رعوناتنا إلى كمالاتنا، ومن الظلمة إلى النور، ومن الغفلة إلى الحضور، ومن الحجبة إلى كشف الستور، فمن نَسبَنَا إلى غيره فهو بأمرنا جاهل أو مكابر غافل"[3].

[***سند العربي الدرقاوي***]: "وأما سنده (الطيني)[4]: فعن بحر/و131ظ/الكيميا وزلال الحميا، بحر البحور ومنبع الخمور، أبي الحسن سيدنا ومولانا علي الملقب بالجمل[5]. بن عبد الرحمن، بن محمد، بن علي، ابن إبراهيم، ابن عمران، بن عبد الغفار، بن الحسن، بن سليمان، بن عبد الرحمان، بن عبد الله، ابن إدريس، بن إدريس. بن عبد الله الكامل، بن حسن المثنى، بن

1- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص: 5.

2- الأحد 1 ذي الحجة 1204هـ/ 12 أوت 1790م.

3- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص ص: 5-6.

4- "الديني" في الأصل والتصحيح اقتضاه السياق العام للمعنى.

5- **علي الجمل**: هو القطب الرباني الشيخ الجليل؛ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن العمراني الملقب بالجمل، وهو شيخ العربي الدرقاوي. ينظر: ينظر: التليدي، المطرب، ص: 207. المكودي، سلوك الطريقة، ص: 60. الكوهن، طبقات الشاذلية، ص: 197.

الحسن السبط، بن مولانا علي ابن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنه أجمعين. هذا نسبه الطيني رضي الله عنه كما نقلته من بعض الظواهر التي بأيديهم"[1].

"وأما نسبه الديني[2]: فعن أبي المعالي سيدي العربي الشهير بابن عبد الله، عن والده أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الله من أهل المخفيّة بفاس، وهما عن سيدي أحمد اليماني عن الشيخ البرناوي[3]. لكن عمدة الأول أبوه، وعمدة الثاني أبو الفضل سيدي قاسم (الخصاصي)[4]. فابن عبد الله أخذ الجيلانية[5] عن الشيخ اليماني، وأخذ الشاذلية عن أبي الفضل الخصاصي وهو عمدته كما تقدم وعليه عوّل، وأخذه عن الشيخ اليماني بعهدٍ من شيخه الخصاصي وإذنِهِ. وأخذ الشيخ الخصاصي عن عدة مشائخَ ذَكَرَ هو أنه لقي ستة وعشرين شيخا، لكن عمدته ثلاثة وإليهم سُلِبَ الإرادة كما قال هو واحدا بعد واحد. أوّلهم سيدي مبارك بن عبابُ عن أبي العباس دفين تازروالت من سوس عن التبّاع. صحب سيدي مبارك المذكور، ثم بعد وفاة سيدي مبارك المذكور أخذ عن أبي زيد الفاسي[6] الشهير بالعارف بالله، وبقي في صحبته عشر سنين وتوفي. ثم أخذ عن وارث شيخه وأخيه في الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن معْن[7]، وبقي في صحبته ستا وعشرين سنة"[8].

"وأخذ أبو عبد الله/و132و/المذكور آنفا عن أبي المحاسن الفاسي، وبقي في صحبته أربع سنين. وتوفي أبو المحاسن، فأخذ عن أخيه في الشيخ أبي زيد العارف بالله المتقدم، وبقي في صحبته مدة تزيد على الثلاثين سنة، فهو عمدته وعليه عوّل. وأخذ أبو زيد العارف بالله المذكور عن أخيه في الطين، وشيخه في الدين أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، وهو عن أبي

1- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص: 6.

2- وقد أثبت هذا السند ابن عجيبة وغيره. ينظر: ابن عجيبة، الفهرسة، ص: 62. فقد فصّل في ذكر جميع الأسانيد المتصلة بالشاذلية تفصيلا شافيا. الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص ص: 197-198.

3- "البرموني" في فهرس ابن عجيبة. ينظر: ابن عجيبة: الفهرسة، ص: 62.

4- "الاخصاصي" في الأصل والصحيح ما أثبتناه، وسيتم تصحيحها في كل ما يأتي. ينظر: ابن عجيبة: الفهرسة، ص: 62. الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس، ص: 604. الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 178.

5- نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني.

6- **أبو زيد الفاسي (1040-1096هـ/1631-1685م):** عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي. له: تحفة الأكابر في أخبار الشيخ عبد القادر. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج4، ص: 1682-1685. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص: 357- 358.

7- **محمد بن معن:** محمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بمعن، من أكابر الصوفية الأعلام. ولد سنة 948هـ وتوفي عام 1062هـ. ينظر: الفاسي (محمد المهدي)، ممتع الأسماع، ص: 178 وص: 181 وص: 182 وص: 197. التليدي، المطرب، ص ص: 184-185.

8- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص ص: 6-7.

زيد سيدي عبد الرحمن المجذوب[1] وهو عمدته وعليه عوّل"[2]. "وأخذ تبرّكا واستفادةً عن مشايخ كثيرين، لكن لا معوّل له إلا عن شيخين يتصلان بالشاذلي رضي الله عنه، لكن اتصالهما به ليس من طريقة واحدة، بل كل واحد منهما يتصل به من طريق مخصوصة، وهما عمدتاه في الولادة والتربية. ولنذكر سبب اتصالهما بالقطب المذكور"[3].

"فأما اتصاله في الولادة: فعن أبي المحاسن الصنهاجي الشهير بالدوّار[4]، عن أبي إسحاق أفحّام[5] عن أبي العباس زروق، عن أبي العباس الحضرمي[6]. عن أبي زكرياء الشريف القادري، عن أبي الحسن علي بن وفا، عن والده أبي عبد الله سيدي محمد وفا[7]، عن أبي سليمان سيدي داوود الباخلي، عن ابن عطاء الله، عن أبي العباس المرسي، عن القطب الشاذلي رضي الله عنه؛ فهذا سندنا المجذوب في الولادة"[8].

"وأما في التربية: فعن أبي حفص سيدي عمر الحطاب الزرهوني، عن التبّاع عن الجزولي[9] الحسني، عن أبي عبد الله سيدي امغار الصغير الحسني، عن أبي عثمان الهرثاني، عن أبي زيد الرجراجي، عن أبي الفضل الهندي، عن عنوس البدوي، عن أبي العباس القرافي[10]، عن أبي عبد الله سيدي محمد المغربي/و132ظ/عن أبي الحسن الشاذلي الحسني. وهذا السند الثاني هكذا

1- **عبد الرحمن المجذوب:** عبد الرحمن بن عياد بن يعقوب بن سلامة ثم الفرجي الدكالي المعروف بالمجذوب؛ من مشاهير أولياء الدولة السعدية. توفي رحمه الله سنة 976هـ/1569م. ينظر: عبد الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين، ج2، ص: 920. التليدي، المطرب، ص: 167-173.

2- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص: 7.

3- المصدر نفسه، ص ص: 7-8.

4- **علي الدوّار تـ(947هـ/1540م):** علي الصنهاجي شريف صنهاجة؛ دفين باب الفتوح. من أكابر العارفين ومن عباد الله الصالحين. ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 81. المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص ص: 131-135. الكوهن، طبقات الشاذلية، ص: 198.

5- **إسحاق أفحّام:** قطب الأبحال والأبدال؛ من تلاميذ الشيخ زروق. ينظر: الكوهن، طبقات الشاذلية، ص: 198.

6- **أبو العباس الحضرمي:** تاج الدين أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني الشاذلي الوفائي. ولد بحضرموت. توفي يوم 8 ربيع الثاني 857هـ/18 أفريل 1453م؛ ودفن بمشهد أسلافه بني الوفا بجانب أخيه. ينظر: الكوهن، طبقات الشاذلية، ص ص: 114-115.

7- **محمد وفا الشاذلي (702-765هـ/1302-1364م):** الملقب بوفاء بن محمد النجم بن محمد السكندري؛ رأس الوفائية ووالدهم بمصر. مغربي الأصل، مالكي المذهب. له مؤلفات منها: نفائس العرفان من أنفاس الرحمن. ينظر: الكوهن، طبقات الشاذلية، ص ص: 100-101.

8- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص: 8.

9- **الجزولي (807-870هـ/1404-1465م):** محمد بن سليمان بن داود بن بشر الجزولي السملالي الشاذلي صاحب دلائل الخيرات، من أهل سوس. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص: 196. أحمد بن القاضي، لقط الفرائد من لفاظة حُقق الفوائد، ج2، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ص: 777. المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، ص ص: 16-52. المهدي الفاسي، تحفة أهل الصديقية، و40ظ.

10- **القرافي تـ(684هـ/1285م):** أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن شهاب الدين الصنهاجي القرافي؛ من علماء المالكية ونسبته إلى قبيلة صنهاجة وإلى القرافة المحلة المجاورة لقبر الامام الشافعي بالقاهرة. له: أنوار البروق في أنواء الفروق. ينظر: مخلوف، شجرة النور، ص: 188.

هو عند جمهور الطائفة الجزولية، كالشيخ أبي الحسن علي صالح، والشيخ أبي عبد الله الزروالي[1] وغيرهما، أنّه مَجمع الطرق وأصلها -أعني الشاذلي- وهو أخذ عن أبي محمد عبد السلام بن مشيش الحسني، عن أبي زيد عبد الرحمن المدني الحسني"[2].

"قال سيدي المهدي الفاسي[3] في «التحفة»[4]: وذكر غير واحد أنه وجد بخط ابن عطاء الله بن سيدي عبد الرحمن المدني، أخذ عن القطب تقي الدين الفُقيّر -بالتصغير فيهما- وهو من أرض العراق، عن القطب فخر الدين، عن القطب نور الدين أبي المحاسن[5] الحسن علي، عن القطب تاج الدين محمد، عن القطب شمس الدين محمد بأرض بلاد الترك. عن القطب زين الدين محمد القزويني، عن القطب أبي إسحاق إبراهيم البوصيري، عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني، عن القطب أبي محمد سعيد، عن القطب سعد، عن القطب أبي محمد فتح السعودي بياء النسب. عن القطب سيدي سعيد الغزواني، عن القطب سيدي أبي محمد جابر، عن أول الأقطاب سيدي الحسن بن علي وفاطمة رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم[6]. قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: طريقتنا هذه متصلة بالأقطاب، معنعنة برجل عن رجل إلى الحسن بن علي. قال: وهو أول الأقطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[7] انتهى"[8].

"ومن أراد تحلية هؤلاء الرجال ومناقبهم، والتعريف بهم فليطالع المطولات. اللهم يا ربّ بحقهم عندك وبحقّك عندهم، طهّرنا مما لا يعني/و133و/ظاهرا وباطنا كي نذوق لذة ما يعني كذلك، وأغرِقْنَا في عين بحر الوحدة حتى لا نرى ولا نسمع، ولا نَجد ولا نحس إلا بها، نحن

1- **الزروالي**: محمد بن عمرو الاغصاوي من بني زروالي المتوفى سنة 1229هـ/1814م. ينظر: المحدوب، تذكرة المحسنين، ج7، ص: 2492. الغريسي، كنز الأسرار، ص: 64 وص: 69.

2- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص: 8.

3- **المهدي الفاسي**: أبو عبد الله محمد المهدي. ولد في 27 رجب 1033هـ/15 ماي 1624م. كان من الأعلام الكبار، وقد صحب الإمام الشيخ معن الأندلسي. توفي في 9 شعبان 1109هـ/ 20 فيفري 1698م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج5، ص: 1842-1844.

4- يقصد تحفة أهل الصديقية.

5- ساقطة من (ب).

6- المهدي الفاسي، تحفة أهل الصديقية، و38ظ. والقول ورد كذلك عند محمد العربي بن الطيب القادري في اختصاره على تحفة أهل الصديقية. ينظر: محمد العربي بن الطيب القادري، الطرفة في اختصار التحفة، مخطوط بمركز آل سعود، المغرب: الدار البيضاء، رقم: 108، ص: 15. وقد أثبت ابن عجيبة هذا السند كاملا. ينظر: ابن عجيبة، الفهرسة، ص: 63.

7- ورد القول عند: ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص: 88. المهدي الفاسي، تحفة أهل الصديقية، و38ظ-و39و. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 22.

8- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص ص: 8-9.

وجميع إخواننا وأهلينا وأحبائنا، ووالدينا وأولادنا وجميع المؤمنين. آمين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انتهى"[1].

فانظر لكمال هذا المريد بكمال شيخه، حتى أَطْلَعَهُ الله على نسب شيخه الديني والطيني، فحققهما غاية التحقيق. وما ذلك إلا لكونه كان مع ربه "على حالة شريفة، ومرتبة عالية منيعة، ذو قوّة ويقين، ورسوخ وتمكين. قد تمكّن من الاكتفاء بعلم الله رُبْوَة ذات قرار مكين، فاق بها جميع المجذوبين والسالكين. قد منحه الله بفضله القلب الجِداري، والنية الصالحة والظن الحسن، والمحبة والصدق، والشوق والعشق فيه سبحانه وتعالى، وسعة الصدر وحسن الخلق، والتأني والتوكل، والإقبال والصبر على الله، والانحياش والانقطاع والتفويض إلى الله. والحياء والخوف، والخشية والهيبة منه وسلب الإرادة له، وترك التدبير والاختيار معه، والاستسلام لقهره والغيبة في شهوده، والتحقق بعلم اليقين وعينه وحقّه، والفناء عن كل شيء والبقاء بالله والقناعة بعلمه. والاكتفاء بشهوده والمشاهدة والمجالسة له، والمحادثة والمكالمة معه والأُنس والاطمئنان به، والسكون إليه في جميع الأحوال المتدفقة من عنصر الجلال والجمال على مرّ الأيام والليال. واختلاف/و133ظ/الآثار وتنقل الأطوار، إلى غير ذلك مما لا يعدّ ولا يحصى، أو يحاط به أو يستقصى من المقامات السمية، والخلال الجميلة السنية. فهو وافر العلم ثابت القدم، جَبَلًا شامخا في معرفة الله راسخا، لا يتزلزل ولا يتبدّل، ولا ينقلب عما هو عليه ويتحول"[2]. ولعمري أنّ هذه الأوصاف التي وصفتُ بها هذا المريد، هي أوصاف شيخه بعينها التي وصفه بها مؤلف مناقبه، إذ هذه اللبابة من تلك الخبزة.

كما وصفه أيضا في موضع آخر من كتابه وقال: "هذا الإمام الحائز لمقامات الأولياء على التمام، كهفُ الأنام وملجأ الخاص والعام، قبلة الراكع والساجد، ومحراب القانت والعابد في جميع المساجد. صَدْرُ مقدّمة الأئمة الأماجد، ومحيي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم التي يجب العضّ عليها بالنواجذ، آية الرحمن ونادرة الزمان، كلمات الله اللّدنية ومجمع تجلّياته العلية.

1- البربوشي، رسالة في الشيخ الدرقاوي، ص: 9. وفي هذا الموضع ينتهي نقل المؤلف لرسالة البربوشي كاملة.
2- الغريسي، كنز الأسرار، ص ص: 48-49.

فلك شروق أوصافه الأسنى، وعين كمالات أسمائه الحسنى، قرّة العين أبا المكارم أستاذنا وملاذنا الشيخ المربي سيدي ومولاي العربي بن مولاي أحمد الدرقاوي الحسني"[1].

كما وصفه قبلَ هذا بقوله: "ولم يغيّب عن (شهود)[2] هيكله وصورته التي كرّمها الله، وفضّلها على كثير من خلقه. فهو برزخ بين ملكه وملكوته، وجوهرةٌ قد انطوت عليها أصداف مكنوناته، فلا يعادله ولا يماثله شيء. إنْ قلتَ: يشبه البدر أقول فوق ذلك، وإن قلتَ: الشمس أقول أكبر من ذلك، وإن قلتَ: ليلة القدر قلتُ أحسن منها، أو قلتَ: الماء فهو أصفى وأروى، أو الهدى/و134و/فهو أسنى وأضوا، أو الصفا والمروة، والحرم وزمزم وعرفة، والبيت والركن والحجر، والمقام والشعائر والمناسك العظام، فإنْ أُمِّمَ بهم وطُوف، فهم به يطوفون ومن عينه يغترفون.

وكذلك ﴿**وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾[3]، فهم مشكاة وهو لهم نور، والطير والوحش والنحل والثقلين، وما دبّ أو نَمَا في برّ أوبحر أو أرض أو سماء، فالكل منه يستمدّون وفي امتثال أمره مجدّون. ومجمل القول فيه: أنه كلمات الله التي لا حصر لها ولا نفاد، ولو كانت الأشجار أقلاما والبحار تَمُدُّهُ من بعدها أبحرٌ بمَدَاد، والخلائق كتابا ومدة الخلد والأبد، لا تُحصي شمائله ولا (تنتهي)[4] فضائله"[5].

هذا وقد قال رضي الله عنه مؤلف مناقبه في طالعة كتابه: "مع ضعفي وقصر باعي، وعدم معرفتي بحقيقته واطّلاعي، وإنْ كنتُ قد صحبتُه والحمد لله مدة مديدة، وأعواما عديدة تزيد على العشرين سنة، ومعها لم نستوف معرفة اسمه ورسمه. فإحدى غَيابات سرّه وعلمه، وأنّى لمثلي أنْ يحيط بمثله أو يدري كُنهَ حقائق محلّه، مع أن العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول، فإنْ كانت حقيقةٌ لا يطيق أنْ يصفها هو بوصف أو يكيفها بكيْف، فما بالك بأمثالنا الذين لم يحظوا بعُشر[6] العلم والعمل، فضلا عن مقامات الراسخين الكمّل. غير أنّ عمل المُقلّ يُذكر وسعيه لدى أهل الكمال يستحسن ويُشكر، وإني أجد نفسي كأَكْمَهٍ أراد أن ينعت

1- الغريسي، كتر الأسرار، ص: 61.

2- "شهوده أبى الله" في الأصل وهي زيادة من المؤلف وغير موجودة في كتر الأسرار. ينظر: الغريسي، كتر الأسرار، ص: 59.

3- الطور، الآيات: 1-6.

4- "تتناهى" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: الغريسي، كتر الأسرار، ص: 59.

5- الغريسي، كتر الأسرار، ص: 59.

6- "قشر" في (ب) وهو تحريف.

السهى/و134ظ/أو جاهل غمرٍ[1] رام مناظرة أُولي النُّهى، مع أنّ الشمس إذا طلعت لا تحتاج إلى وصف الواصف، والجبل الشامخ في غنىً عن مِرساتٍ، خِيفَةَ الرياح العواصف. وإنما أردنا أن نذكر نزرا قليلا من سيره وسيرته، وشيئا يسيرا من سريرته[2] ليكون منّا على بال، ورجاء بركاته أن يخلّصنا الله من جميع الوبال"[3].

ومؤلف الحسام المشرفي يقول في وصف هذا الشيخ المربي مثل قوله، وإنْ لَمْ يبْلُغْ في التقى وهضم النفس كُنْهَ فضله: أنّ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه، كان أوحد زمانه زهدا وورعا وعلما وحِلما. له الأسرار الظاهرة والبركات المتواترة، والمكاشفات والأحوال والأقوال الزكية والأعمال. وكان شيخنا كاملا واصلا عاملا، له كرامات ظاهرة وأحوال بهية باهرة، وتصاريف ممتدة انتشرت عنه في حياته وبعد وفاته، أكثر مِن أنْ تُذكَر وأشهر مِن أن تُنشر، أعماله مؤسسة وأحواله سَنِيَّةٌ مقدّسة، مُنفقا في ذات الله تعالى على سعةٍ في ذات يده أو عيلة. عمّر الزوايا في الحواضر والبوادي، فكان مأوًى لكل رائح وغادي، فعظم مدده في المغرب والمشرق، وانتشرت عنه الحكمة الربانية ما لم تنتشر عن بيت من بيوت الولاية مثله، إلا أنْ يكون من بيت مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. فكان من بيت علي النّفسُ الرضية وليٌّ عالِمٌ، وأبوه عبد الله كذلك وليٌّ عالم، وأبوه جعفر الصادق كذلك وليٌّ عالم، وأبوه الحسين رضي الله عنه سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد شباب أهل الجنة، وأبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مدينة العلم.

ولم ينتشر الخير مثل ما انتشر عن بيت يعقوب بن إسحاق[4]، وبيت مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما روي. فقد كانت منهما سلسلة الذهب، مثل المذكورة في نسلَيْ سيدنا علي. وقد تنسّل مِن شيخنا صاحب الترجمة، ذرية صالحة وأولياء نجباء خرجوا من صلب أولاده. فقد كان سيدي عبد السلام من صلب مولاي علي، يقيم الحضرة ويجمع للذّكْرِ النفر

1- **الغمر**: الحقد والغل، والرجل الغمر الذي لم يجرب الأمور. ينظر: الزيات المعجم الوسيط، ص: 661.

2- "سريرة" في (ب) وهو تحريف.

3- الغريسي، كنز الأسرار، ص: 4.

4- **يعقوب بن إسحاق (117-205هـ/735-821 م):** بن زيد الحضرمي البصري؛ أحد القراء العشرة. مولده ووفاته بالبصرة التي كان إمامها ومقرئها، وهو من بيت علم بالعربية، له في القرآت رواية مشهورة. له كتب منها: الجامع. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص: 195.

الجمّ من صغره/و135و/ إلى أنْ مات، وهو جادّ في طريقة جدّه مولاي العربي، وكل واحد من أولاده وأولاد أولاده له استقامة مع ربه وهي الكرامة الحقيقية.

[مفهوم الكرامة]: "كما قال صاحب كتاب «عوارف المعارف»[1]: الكرامة الحقيقية هي حصول الاستقامة. والوصول إلى كمالها ومرجعُها إلى أمرين: صحة الإيمان بالله عز وجلّ، واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا. فالواجب على العبد أنْ لا يحرص إلا عليها، ولا تكون له همة إلا في الوصول إليها. وأما الكرامة بمعنى خرق العادة، فلا عبرة بها عند المحققين، إذْ قد يُرزَق ذلك من لم تكمل له الاستقامة. قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: إنما هي كرامتان جامعتان محيطتان؛ كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء، والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة إلى آخره[2]. وقال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه: ليس الشأن مَن[3] تطوى له الأرض، فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان، إنما الشأن مَن تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند ربه، انتهى المراد منه"[4].

وقال الشيخ زكريا الأنصاري[5] في «شرح المنفرجة»: "الكرامة أمرٌ خارق للعادة على يد وليٍّ، غير مقارن لدعوى الولاية فيه وفيما يثبت له. ولهذا ربما وجدها أهل البدايات وفقَدها أهل النهايات في نهاياتهم، لأن ما هم عليه من الرسوخ والتمكين، لا يحتاجون معه إلى تثبيت، ولذلك قلّ ظهورها على يد السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم" انتهى[6].

"وقال الشيخ زروق في شرح هذا النص من الشرح السابع عشر: الكرامة أمرٌ خارق للعادة غير مقرون بالتحدي، ولا خَلى عن الاستقامة وهي الاستواء في اتباع الحق ظاهرا وباطنا، على منهج السداد بلا علّة. فإذا هي توبة بلا إصرار، وعمل بلا فتور، وإخلاص بلا

1- هو كتاب عوارف المعارف لمؤلفه شهاب الدين السهروردي.

2- ورد القول عن ابن عطاء الله في لطائف المنن. ينظر: ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص: 66.

3- "أن" في (ب) وهو تحريف.

4- نقل المؤلف عن المسناوي في جهل المقل عدة فقرات سننبه عليها في مواضعها. ينظر: المسناوي، جهد المقل، و38ظ-و39و.

5- **زكريا الأنصاري (823-926هـ/1420-1520م):** زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي؛ أبو يحيى. شيخ الإسلام، قاض مفسر من حفاظ الحديث. ولد في سنيكة بشرقية مصر وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة 906هـ. له تصانيف كثيره منها: فتح الرحمن، وتحفة الباري على صحيح البخاري، وتحفة نجباء العصر. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص ص: 46-47.

6- زكريا الأنصاري، الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة، الإسكندرية: مطبعة محمد يحي، 1871، ص: 43.

التفات، ويقين بلا تردد، واستسلام بلا منازعة، وتفويض بلا تدبير، وتوكل بلا وهن، مُلازِمُها واصلٌ قطعا، وهي الكرامة الحقيقية لا غيرها. ثم قال: والحاصل أنّ ظهور الكرامة وإنْ دلّ على الاستقامة فلا يدلّ على كمالها، فلا يغترّ بها إلا مخدوع، ولا يُهمل فضل الله فيها إلا مغرور، انتهى"[1].

[ولاية الطيب بن العربي الدرقاوي]: وهذه الكرامة بهذه المثابة، هي لمن ورث مولاي العربي في الطريقة والحقيقة مِن أصغر/و135ظ/أبنائه وهو مولاي الطيب[2]. فقد انعقد الإجماع على ولايته وعبادته وزهده وتنسّكه، فهو وحيد زمانه وأهل عصره وأوانه. فالآن هو الشيخ القدوة والعلامة الأسوة، ذو الأعراف المشذّبة[3] والأخلاق المهذّبة، والأنفاس الطيبة، والعلوم الوهبية الدالة على التربية. يتردّد لزيارة الإخوان في الله كل عام، وينذرها على نفسه مِنْ غير أنْ يقبض درهمًا ولا دينارا عدَا أكل الطعام، فلم ينشب[4] أنِ انتشر صيته وحُفظ بين الناس اسمه وعلمه، وتمكّنَ في طريق القوم ومقام الولاية الكبرى قَدَمُه، فلا يشكّ في ولايته إلا غبي فإنه فرعٌ فيها عن أبيه، وقد قيل: إن الفرع يفوق الأصل؛ لأن فيه ما في الأصل وزيادة.

[ولاية العربي الدرقاوي]: ووالده رضي الله عنه كان قدوة الأولياء المحققين، ووارث علوم الأنبياء والمرسلين، ومِنْ أهل الوجدان والكشف وهم الصوفية، ومبادئه مبادئ أهل النظر والحديث في البداية، والكشف والإلهام في النهاية. أُلقيت إليه مقاليد الولاية فلُقّب بولي الله، ولا يلقّب بهذا اللقب في عرف المغاربة بل وفي عرف غيرهم، إلاّ مَن جمع بين علم الظاهر والباطن فيهما يكون شيخ تربية. وشيخنا رضي الله عنه كان عالما بأحكام الشريعة، عاملا بها متوغّلا في علم الحقيقة الذي هو تنوير الباطن، بحيث لو انقطع علماء الأرض لوُجِد عنده ما كان عندهم.

"قال الإمام أبو إسحاق إبراهيم المالقي في «شرح الإرشاد»، لما تكلّم على شروط الولي الثاني، يعني من الشروط: أن يكون عالما بأحكام الشريعة نقلا وفهما، ليكتفي بنظره عن التقليد في الأحكام الشرعية، كما اكتفى عن ذلك في أصول التوحيد. فلو أذهب الله تعالى علماء

1- المسناوي، جهد المقل، و39و.

2- **الطيب بن العربي الدرقاوي:** ولد في 19 جمادى الثانية من سنة 1228هـ/19 جوان 1813م بفاس، وهو وارث سرّ أبيه بعد وفاته، كان خيّرا ديّنا صالحا، أخذ عنه طريقة والده جمّ غفير من الناس وله رسائل شهيرة متداولة بين اتباعه. توفي ليلة الجمعة 7 جمادى الأولى سنة 1287هـ/4 سبتمبر 1870 ودفن بزاويتهم ببني رزوال. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2643.

3- **الأعراف المشذّبة:** المهذّبة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1179.

4- **فلم ينشب:** فلم يلبث. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2209.

الأرض لوُجِد عنده ما كان عندهم، ولأقام قواعد الإسلام مِن أولّها إلى آخرها، فإنه لا يُفهَم من قولنا: ولي الله إلا الناصر للدين، وذلك ممتنِعٌ في حق مَن لا يحيط به/و136و/علما بدين الله أصوله وفروعه"[1] انتهى.

قال المسناوي: "والظاهر أنّ هذا الشرط لا يشترط في مطلق الولي، وإنما يشترط في الكُمّل منهم كالأقطاب ونحوهم، كما هو صريح [ما][2] في الشعراني وغيره. وفي بعض رسائل العالم الكبير الولي الشهير، أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي مِن إنشاء ولده أبي العباس أحمد. بعد أَنْ ذكر أنه لا خلاف بين القوم، أنّ السالك أو المجذوب الصِرفين، لا يؤهّل واحد منهما للمشيخة لما بيّنه، وأنّه إنما يؤهَّلُ لها مَنْ جمع بين الأمرين وصار برزخا بين بحرين، بحر التشريع وبحر الحقيقة، يعطي كل ذي حقّ حقّه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، إلى آخر ما نصّه: ومعنى الجمع بين الشريعة والحقيقة، أن يكون قد أشرق باطنه بأنوار اليقين، قائما بشعائر الدين أي مجذوبا سالكا، لا أنّ معناه التغلغل في علم الظاهر، فإنه لا يشترط في شيخ الهمة، ولا يُطلبُ فيه من العلم الظاهر، عدا ما تقوم[3] به فروض الأعيان. وقد قال اليافعي[4] رضي الله عنه: لا خلاف بينهم أنّ جميع السالكين العارفين بالله تعالى يجوز الاقتداء بهم، سواء حصل السلوك قبل الجذبة[5] أو بعدها، وسواء عرفوا جميع علوم الشرع المفروضة والمندوبة أم لم يعرفوا، سِوَى فرض العين الذي لابدّ لكل مكلّف منه. بل قال أبو زيد رضي الله عنه: صحبتُ أبا علي السندي، فكنت ألقّنه ما يقيم به فرضَه، وكان يعلّمني التوحيد والحقائق صِرفا" انتهى[6].

"وقال ولده أبو العباس المذكور[7]، في شرحه على «قصيدة الشريشي في السلوك»، في شرح قول الناظم[8]: [الطويل]

وللشيخ آيات إذا لم تكن له ** فما هو إلا في ليالي الهوى يسري

1- المسناوي، جهد المقل، و19و.

2- ساقطة من الأصل والزيادة من جهد المقل. ينظر: المسناوي، جهد المقل، و19و.

3- "تقدم" في (ب) وهو تحريف.

4- يقصد عفيف الدين اليافعي صاحب نشر المحاسن الغالية.

5- "الجذوبة" في (ب) وهو تحريف.

6- المسناوي، جهد المقل، و19و-و19ظ.

7- يقصد أحمد بن يوسف الفاسي.

8- البيتان للشريشي. ينظر: الشريشي، الشريشية، ص: 2. ووردا عند ابن عسكر في دوحته. ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص: 98.

إذا لم يكن علم لديه بظاهر ** ولا باطن فاضرب به لجج البحر

اعلم أنّ ما شرط الناظم وجوده في الشيخ من علم الظاهر والباطن، هو ما يتوقّف إلى الله بالقلب عليه. فأما العلم الباطن فالمطلوب منه فيه التبحر التام، إذ هو/و136ظ/المقصود بالذّات منه لتسليك المريد وتعليمه علم الطريقة والحقيقة، فيكون عنده علم تام بالله وصفاته وأسمائه وما يتبع ذلك. ويتعلّق به من الأحكام والحِكم، وعلمٌ بآفات الطريق ومكائد النفس والشيطان، وطريق المواجيد وتحقيق المقامات، قد حصل له ذلك على سبيل الذوق والوجدان، وحصلت له مع ذلك قوّة، وتمكّن مِنْ رفع الموانع وقطع العلائق الظاهرة والباطنة، وبصيرة نافذة يعرف بها قابليه أصحابه، واستعدادهم ليحمل كل أحدٍ على شاكلية قابليته واستعداده"[1].

"وأما العلم الظاهر، فالمطلوب منه فيه أنْ يكون عنده ما يحتاج إليه في خاصة نفسه، ويحتاج إليه المريد في سلوكه، وهو القدر الذي لابدّ منه من فروض الأعيان، وعلى هذا يُحمل كلام الناظم. إذ كثير من العلوم الظاهرة لا مدخل لها في السَّيْر والسلوك إلى حضرة ملك الملوك، وإلا لزم الحطّ من مرتبة كثير من فحول الطريق، وأعلام الوجود والتحقيق. فقد كان كثير منهم غير متضلّعين بعلوم الشريعة، وكثير منهم ليس عنده إلا ما يخصّه مما لابد منه. ثم نقل من كلام الشيخ زروق في «قواعده» ومن كلام الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد الساحلي، ومن كلام الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رضي الله عنهم، ما يشهد لِمَا ذكرنا فانظره"[2].

"وفي هذا العلم الوهبي، يقول شرف الدين البوصيري في «داليته» التي مدح بها الشيخين الكاملين أبا المحاسن الشاذلي، وتلميذه أبا العباس المرسي رضي الله عنهما: [الكامل]

قل للذين تكلّفوا زِنَ التُّقى ** وتخيّروا للدرس ألف مجلد

لا تحسبوا كحَل العيون بحيلة ** إنّ المها[3] لم تكتحل بالإثمد"[4]

1- المؤلف ينقل عن الفاسي في شرحه للشريشية. ينظر: أحمد بن يوسف الفاسي، إزالة الخفاء وكشف الأستار عن وجوه أنوار السرائر وسرائر الأنوار، مخطوط بمركز آل سعود، الدار البيضاء، رقم: 301، ص: 46. وورد القول عند المسناوي. ينظر: جهد المقل، و19ظ.

2- المؤلف ينقل عن الفاسي في شرحه للشريشية. ينظر: أحمد بن يوسف الفاسي، إزالة الخفاء، ص: 47. وورد القول كذلك عند المسناوي في جهده. ينظر: المسناوي، جهد المقل، و19ظ-و20و.

3- **المها:** بقرةٌ وحشيَّة إفريقيّة ذات قرون مستقيمة أو منحنية قليلاً، يُشبَّه بها في حُسن العينين. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2135.

4- المسناوي، جهد المقل، و20و.

[ذكر نُتفٍ من رسائل العربي الدرقاوي]: ومولاي العربي رضي الله عنه، كان متبحّرا في العلوم الوهبية، ومتضلّعا في الفنون ما يفوت به الظنون. وقد رأيتُ بيد والدي صاحب وسيلته رحمه الله/و137و/رسالة من رسائله تشهد لما قلناه آنفا، وأنا يومئذ صغير السن، نص ما أحفظه منها: إلى كافة كلّ أخ لنا في الله بأرض المشرق وبأرض المغرب، أهل الحواضر وأهل البوادي المنتسبين والمتجرّدين.

وبَعْدَ هذا الكلام حيّاهم بالسلام وذكّرهم الله، وانجرّ الكلام فيها إلى نفسه رضي الله عنه فقال: "واعلموا يا إخواني أنّي تبحرت في العلم تبحّرا عظيما، حتى أني لو سُئلت عن ألف مسألة لأجبت عنها جوابا بالغا والله على ما نقول وكيل. وقال في تأليف رسائله[1]: "ومِنَ المذاكرة أني أحبّ مَن يتعلق بي أنْ يقوم بالمفروض وبما تأكّد من المسنون"[2]، "فإنْ شِئْتَ أَنْ تُطوى لك الطريق وتحصل في ساعة على التحقيق، فعليك بالواجبات وبما تأكد من نوافل الخيرات، وتَعْلَمَ مِن عِلْمِ الظاهر ممّا لابد منه، إذ لا يُعبد ربنا إلاّ به ولا تَتْبَعُه، إذ لا يُطلب فيه التبحر وإنما يطلب التبحر في العلم الباطن"[3].

فدلّ كلامه في هذه المذاكرة، أنّ تبحرّه رضي الله عنه كان في علم الباطن، وهذا لا يَشكّ فيه عاقل، إذْ قد انعقد الإجماع على ولايته ومشيخته والتربية بنظرته. فمنذ أدركنا وميّزنا بعقولنا، لم نجد أحدا من مشايخنا يختلف في سيدنا مولاي العربي أنه المربي المبعوث على رأس القرن الثالث عشر، المشار في الحديث النبوي. فإنه أستاذ زمانه علما ودينا، والحديث عام في كل مائة حتى يكون المهدي وعيسى بن مريم في المائة الأخيرة.

[ضمن الكنسوسي في العربي الدرقاوي]: ووصْفُ ابن الكنسوسي له بالزندقة، وما لا يليق بجنابه في قوله: إنّ مولانا سليمان المرحوم بكرم الله الحي القيوم، بعثه لإطفاء نار الفتنة التي أثارها على الأتراك مريدُه الشريف الغطريف، سيدي عبد القادر بن الشريف الغريسي[4]

1- يقصد رسائل العربي الدرقاوي.

2- العربي الدرقاوي، مجموعة الرسائل، الرسالة الأولى، ص: 69.

3- المصدر نفسه، الرسالة الثانية، ص: 70.

4- **عبد القادر بن الشريف الغريسي**: العالم السني الشريف الولي الصالح الناسك. كان رحمه الله عالما بعلمي الظاهر والباطن. توفي بالوباء سنة 1233هـ/ 1817م بجبل الكواكب ببني يزناسن، ودفن قريبا بداره التي نزل بها حين تأخر عن قتال الأتراك. ينظر: الغريسي، كتر الأسرار، ص: 82- 83. وقد أخطأ كحالة في معجمه بأن جعله من أعيان القرن السادس الهجري ونسب له مؤلّفا حول العربي الدرقاوي الذي هو من أهل القرن الثالث عشر الهجري. ينظر: المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص ص: 302-303. كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص: 90.

بالواسطة[1] فأضرمها[2]، إمّا جهلا منه بحقيقة الأمر لبُعده عنه –وما كان له أن يمزّق عرض ولي الله في حياته/و137ظ/فضلا بعد مماته بسماع لم يثبت– وإما عنادا وهو يعلم أنه من الكمّل الذين سرى وِردُهم في المشرق والمغرب، وبلغ بالتواتر أهل الآفاق كمالُهم.

قل للمعاند لا تعاند إنه ** ما شك في فضل الدرقاوي مسلم[3]

فهو الذي كان في الحقيقة يقال له سلطان الأولياء في زمانه، مع ما كان عليه مِن متانة الدين، والتحقيق بكثير من مقامات اليقين كالورع والزهد، والقيام بنصرة الحق بمبلغ الطاقة ومنتهى الجهد، حتى ظهر على يديه كثير من الكرامات المؤذنة ببلوغ سَنِي المقامات، وهذا مما لا يكاد يختلف فيه اثنان، ولا يجهله من له أدنى خبرة بأحوال الأعيان. لكن سنّة الله في خلقه ما هو بأوّلَ مُنكِر على أولياء الله، ومولاي العربي ما هو بأول مُنكَرٍ عليه، وفي الحكمة: "الداخل على الله منكور، والداخل على الناس مبرور"[4].

[**ذكر من وقعت إذايته من العلماء**]: "وقد وقعت الإذاية لجماعة من الأئمة، بإطلاق الألسنة والضّرب والقتل، ولكثيرٍ من أهل الفضل لا سيما مَنْ ثبتت ولايتهم كهذا الشيخ المبارك، المجدّد للدين بعد اندراسه. فمنهم الشيخ تقي الدين أبو الفتح [محمد][5] بن علي

1- يقصد المغرب الأوسط.

2- وفي هذا الصدد يقول الكنسوس في جيشه: "عام 1220هـ/1805م؛ وقعت الفتنة بين الترك والأعراب أهل الواسطة بسبب قتل الباي لبعض فقراء درقاوة، وأمر بقبض مقدمهم السيد عبد القادر بن الشريف خليفة شيخه مولاي العربي الدرقاوي ففر المقدّم المذكور و لم يتمكن منه الباي، فاجتمع عليه طوائف درقاوة بمحلّة الأحرار وأنفوا من قتل المقتول منهم، ومن خروج المقدم المذكور من محلّه واستغاثوا بعشائرهم فانتصروا لهم وقاموا لحرب الأتراك فقتلوا كل من وجدوا منهم في قبائلهم. وفي فصل الربيع خرجت محلّة الترك من الجزائر إلى الباي بوهران؛ فقصدوهم ووقع الحرب فانهزم الترك، ونهب الأعراب محلتهم ففروا لوهران فحصروهم فيها، فكتب الباي للسلطان مولانا سليمان يعرّفه بخبر درقاوة وطلب منه أن يوجه شيخهم مولاي العربي الدرقاوي لإطفاء نار هذه الفتنة. ينظر: الكنسوس، الجيش، ج1، ص ص:283-285. وقد لمح الغريسي إلى هذه الحادثة تلميحا بسيطا. ينظر: الغريسي، كتر الأسرار، ص: 69. مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص ص: 52-55. وأكثر تفصيل عن حروب الترك مع درقاوة ببلاد الجزائر والتي كانت في عهد باي وهران محمد بن عثمان المقلش والباي محمد بن عثمان بوكابوس؛ هذا الأخير هو الذي استأصل شأفة الدرقاوية؛ راجع: المازراري، طلوع سعد السعود، ج1، ص: 308 وص ص: 328-330. الفصل الثالث من قسم الدراسة.

3- البيت من بحر الكامل، و لم نهتد لقائله.

4- ورد القول عند ابن عجيبة في تفسيره. ينظر: ابن عجيبة أحمد، البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد، ج1، تحقيق: أحمد عبد الله قرشى رسلان، نشر: حسن عباس زكي، القاهرة، 1419، ص: 284.

5- ساقطة من (ب).

بن وهب القشيري الغوصي الشهير بابن دقيق العيد[1]، ذو الباع الواسع في استنباط المسائل والأجوبة الشافعية لكل سائل، والتضلّع في العلوم المنطوق منها والمفهوم. الذي قال فيه التاج السبكي في «طبقاته»[2]: أنه العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار إليه في الحديث الكريم: على رأس كل مائة يبعث الله للأمة من يجدد لها دينها[3]، فإنه لما اشتهر وادّعى ذلك، قامت عليه الغوغاء وأطلقت فيه الألسنة، وفي ذلك يقول[4]: [الكامل]

ذنبي إلى البُهَمِ الكواذب أنني ** غَلستُ في طلب العلى وتصبحوا
نظروا بعين عداوة ولو أنها ** عين الرضى لاستحسنوا ما استقبحوا

/و138و/ومنهم جلال الدين السيوطي. فغير قليل ما لقي من أهل زمانه وفقهاء عصره من الإذاية حين ادّعى ذلك أيضا، وأنّه المجدد على رأس المائة التاسعة، حتى ألّف في ذلك كتابه [المذكور][5][6]. ومنهم بل أعظمهم في المعرفة بالله، رأس الأقطاب بمغربنا هذا مولانا عبد السلام بن مشيش، فقد صرّف الله فيه أبو الطواجين[7] بالمثل، كي يجمع الله له بين السعادة والشهادة لحوقا بنبيّه صلى الله عليه وسلم، قال: "لا زالَتْ أكْلَة خيبر تعادني فالآن قطعت أبهري"[8].

1- **ابن دقيق العيد (625-702هـ/1228-1302م):** محمد بن علي بن وهب بن مطيع تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد. قاض من أكابر العلماء بالأصول؛ ولي قضاء الديار المصرية سنة 695هـ. له: إحكام الأحكام وشرح الأربعين النووية. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج9، ص: 309. الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص ص: 442-450. الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 283.

2- ورد القول عند السبكي في طبقاته. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج9، ص: 309.

3- رواه البيهقي وأبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ باللفظ التالي: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". والحديث صححه الألباني. ينظر: الألباني، صحيح الجامع، ص: 382، حديث رقم: 1874. الألباني، السلسلة الصحيحة، ص: 176، حديث رقم: 985.

4- البيتان للشريف الرضي البغدادي المتوفى سنة 406هـ/1015م. وقد أوردها المؤلف ببعض الخلط والصحيح كما يلي:

ذنبي إلى البُهَمِ الكواذب أنني ** الطُرف المطهّم والأغرّ الأقـــــــرح
يولونني خُزر العيون لأننـــي ** غَلستُ في طلب العلى وتصبحـــــوا
نظروا بعين عداوة ولو أنهـــا ** عين الرضى لاستحسنوا ما استقبحوا

5- بياض في الأصل والزيادة من جهد المقل، والكتاب هو "تفسير الاستِناب في تيسير الاجتهاد". ينظر: المسناوي، جهد المقل، و21ظ.

6- المسناوي، جهد المقل، و21و-و21ظ.

7- **ابن أبي الطواجين الكتامي:** ساحر متنبئ؛ أرسل جماعة لقتل الولي عبد السلام بن مشيش؛ فقتلوه ومات شهيدا. ينظر: الكوهن، طبقات الشاذلية، ص: 60. الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 9.

8- رواه ابن السني وأبو نعيم عن أبي هريرة باللفظ التالي: "ما زالت أكلة خيبر تعاودني كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهري"؛ والحديث صححه الألباني. ينظر: الألباني، صحيح الجامع، ص: 984، حديث رقم: 5629.

وكل هؤلاء السادات الأعيان القادات، لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في الإنكار عليهم حال الحياة، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ**﴾[1]. وربما تاب من يُنكِر عليهم في قائم حياتهم رضي الله عنهم أو يستسمحهم، فما بالك بمن قدح في أموات قَدِمُوا إلى ما أفضوا إليه، وطعن في أمّة مختاره والله تعالى يقول: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2]. وفي الحديث الكريم: "لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات"[3]، وفي حديث آخر: "اذكروا موتاكم بخير"[4].

وقد أُمرنا بأن نكفّ ألسنتنا عن مطلق موتانا، فما ظنّك بمن كان يَعبُد الله على قدم المصطفى صلى الله عليه وسلم كهذا الشيخ المبارك، فإنه كان من العلماء العاملين والمشايخ العارفين. شهد له بذلك غير واحد من الأكابر، ومن العلماء المعتبَرين وأرباب البصائر، ويدلّ على ذلك كتابه الذي ألفه وصنّفه في طريق التصوف[5]. فكل رسيلة من رسائله، احتوت على علوم تؤذن بأنه شيخ جامع لمعاني المشيخة. وإذا تأملت «رسائل ابن عباد الكبرى» وَجَدْتَ رسائل شيخنا متوغّلا في علوم الحقيقة توغّلا عظيما، دلّت على عظم مرتبته وعلو منزلته، وأنه جامع للتربية والترقية وشيخ/و138ظ/همّة وحرفية.

[**الشيخ في اصطلاح الصوفية**]: "قال اليفراني في مقدمة «نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن بالمغرب من أعيان القرن الحادي»، لما تكلّم على معنى الشيخ في اصطلاح الصوفية ما نصه: وهو ينقسم إلى خمسة أقسام: شيخ الإرشاد، وشيخ التربية، وشيخ الترقية وهو شيخ الهمة، وشيخ الحرفية، والشيخ الجامع. فشيخ الإرشاد عالم قَصد بعلمه وجه الله، وشيخ التربية ذو البصيرة والتجربة والمعرفة بعلم المعاملة. وشيخ الترقية هو ذو البصيرة النافذة، والنور التام والهمة العالية، بحيث يغني بالنظرة لمن هُيّئ لذلك. وشيخ الحرفية هو العارف باسم الله الأعظم

1- الفرقان، الآية 31.

2- البقرة الآية 134 والآية 141.

3- رواه الهندي في كتر العمال. ينظر: الهندي، كتر العمال، ص: 1783. حديث رقم: 37417. والحديث ضعفه الألباني. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، ج13، ص: 506، حديث رقم: 6234.

4- الحديث بهذا اللفظ لم نجد له أثرا في كتب الحديث ولعله الحديث الوارد باللفظ التالي: "اذكروا محاسن موتاكم وكفّوا عن مساويهم"؛ وقد سبق تخريجه في مقدمة المخطوط.

5-يقصد كتابه "بشور الطوية في مذهب الصوفية". ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 223.

الممدّ لغيره بمعرفته. والشيخ الجامع هو المحصل لهذه المراتب كلها (المتصرّف)[1] بجميعها[2] انتهى"[3]. وشيخنا هو القسم الخامس متقدِّمًا في علم التصوف، وإليه انقطع وعليه عوّل وبِه ختَم وفيه صنف ونظم.

ومعنى البيت الأول (الذي هو)[4] مطلع قصيدة الشريشي الرائية[5] فيه وهي: [الطويل]

إذا [ما][6] بدا من باطن حالة الزجر ** فما هو إلا البر من مِنح البر[7]

ولو لم يكن هذا حاله لسلّم له في حاله.

ففي «الرسالة القشيرية»: "قال أبو عبد الله بن خَفيف: اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلّموا لهم حالهم: الحارث بن أسد المحاسبي[8]، والجنيد بن محمد، وأبو محمد (رُويم)[9]، وأبو العباس بن عطاء، وعمر بن عثمان المكي. لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق[10]، انتهى. أي بين الشريعة والحقيقة"[11]. ومولاي العربي كان جامعا بين الشريعة والحقيقة فكان أهلا للاقتداء، وكل من اقتدى به تمكّن من مقصوده، فلم يمت حتى ترك أضعافا مضاعفة من شيوخ التربية في حواضر واسطة المغرب[12]، وأَعرِفُها أَزْيَد مما تترك إمام العارفين بالله أبي مدين الغوث دفين العبّاد

1- "المتصف" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: القادري، نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن كان بالمغرب من أهل القرن الحادي، تقديم وتحقيق: خالد الصقلي، الرباط: دار الأمان، 2010، ص: 93.

2- القادري، نزهة النادي، ص: 93.

3- المسناوي، جهد المقل، و23ظ.

4- "التي هي" في الأصل والتصحيح اقتضاه المعنى.

5- هي قصيدة أنوار السرائر وسرائر الأنوار المعروفة بالشريشية لناظمها البكري الصديقي المعروف بالشريشي وعدد أبياتها 139 بيتا. والناظم ولد بمدينة سلا سنة 581هـ/1185م واستوطن مراكشا. ينظر: المسناوي، جهد المقل، و24و-و24ظ.

6- ساقطة من الأصل والزيادة من جهد المقل ورائية الشريشي. ينظر: أبو العباس البكري الصديقي السلوي الشهير بالشريشي، أنوار السرائر وسرائر الأنوار المعروفة بالشريشية، مخطوط بمركز آل سعود، المغرب: الدار البيضاء، رقم: 387، ص: 1. المسناوي، جهد المقل، و24و.

7- المسناوي، جهد المقل، و24و.

8- **المحاسبي تـ(243هـ/857م):** الحارث بن أسد المحاسبي، من أكابر الصوفية. ولد ونشأ بالبصرة ومات ببغداد. كان عالما بالأصول والمعاملات واعظا مُبكيا. من كتبه: آداب النفوس، وشرح المعرفة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص: 57.

9- زاد المؤلف :"بن أحمد" وهو غير موجود في الرسالة القشيرية. ينظر: القشيري، الرسالة، ص: 33. **رويم تـ(330هـ/941):** بن أحمد بن يزيد بن رويم، صوفي شهير من أجلّة مشايخ بغداد. من كلامه: الصبر ترك الشكوى، والرضى استلذاذ البلوى. ينظر: السلمي أبو عبد الرحمن، الطبقات الصوفية، تحقيق: أحمد الشرباصي، مطبعة: كتاب الشعب، ط2، 1998، ص: 147. الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 37.

10- القشيري، الرسالة، ص: 33.

11- المسناوي، جهد المقل، و25ظ.

12- ذكر العلاّمة أحمد بن الخياط رحمه الله عن شيخه عمر بن سودة الذي أدرك العربي الدرقاوي وكان في سن 21 عند وفاته 1839: "ما توفي الشيخ مولاي العربي حتى خلّف نحو الأربعين ألف تلميذ، كلهم متأهلون للدلالة على الله تعالى". ينظر: التليدي، المطرب، ص: 208.

من تلمسان. قال شارح «سينية ابن باديس»[1]: لم يمت أبو مدين الغوث حتى ترك ألف مربّ فيهم سبعة أقطاب[2].

[حروب الترك مع درقاوة] [3]: وهذا المغرور[4]/و139و/ الذي سوّد القراطيس، بسبّ هذا الشيخ المبارك وسبِّ أمثالِه، جنى على نفسه بلسانه جناية تُؤَدِّهِ إلى الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله، وما درى أنّ الله تعالى رحمَ بقدومه لواسطة المغرب أُمَمًا مختلفة الألسن.

وذلك أنه لما اشتدّت شوكة الأتراك، ومالت الناس من كثرة الظلم والعياذ بالله إلى الإشراك، دعوا الله في سواد الليل أن ينجّيهم من ذلك الويل. فسلّط الله عليهم بسبب الظلم الواقع -الذي يترك الديار ويذرها بقايع- شخصا من هذه الطائفة الدرقاوية، من الزاوية الغريسية الشرقاوية، قام عليهم في شرذمة من أهل وسيلته قليلة، ولمتانة دينها ووثوق عهدها فئة جليلة، فشتّت بها شمل المِحال، ونحو السبعين رجلا تُعِدّ مقابلتها للعدد الكثير العدد من المَحَال، والجيش من أربعين، والنصر من شديد القوة الكبير المتعال. وهي أول هزيمة وقعت للأتراك يومئذ[5]، ففرّ المِلك بمن معه من الجنود، وورث القائمُ الأخبية[6] والفساطيط[7] وأثاث السلاح، ونصَب الألوية[8] والبنود، وتمسك بالمدافع وتولى المُلكَ، وصار يذود عن حوضه ويدافع، وأسس له القواعد وبنى بنيانه ووشى و﴿**الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ**﴾[9]. فاستولى على الأعراب وجبال البرابر، وملّكه الله البوادي والحواضر، وزحف بمن معه للثغور وتصرف في النجد والغور،

1- هي القصيدة السينية لابن باديس وتسمى كذلك "بالنفحات القدسية"، وقد شرحها الأديب أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحاج شرحا سماه "أنس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس". ينظر: المسناوي، نتيجة التحقيق، ص: 3.

2- **الأقطاب السبعة هم**: أبو يعقوب يوسف بن علي؛ عياض بن موسى اليحصبي؛ أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي؛ محمد بن سليمان الجزولي؛ وتلميذه عبد العزيز التباع؛ عبد الله الغزواني؛ وأبو القاسم السهيلي. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 60-61.

3- عن ثورة درقاوة ضد السلطة العثمانية راجع: العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن أخبار الدول، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 2956، ص: 17. العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 502. والفصل الثالث من قسم الدراسة.

4- يقصد الكنسوس صاحب الجيش العرمرم.

5- يشير إلى انهزام الأتراك ضد الدرقاوية في معركة فرطاسة سنة 1804م. ينظر: المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص: 304. العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر، ص: 17.

6- **الأخبية:** مفردها خِباء؛ وهي خيمة تُنصب على عمودين أو ثلاثة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 604.

7- **الفساطيط:** مفردها فسطاط؛ وهو الخيمة، أو هو ضَرْب من الأبنية في السَّفر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3413.

8- "الولاية" في (ب) وهو تحريف.

9- الأعراف، الآية 128.

فحُصِرَ المَلِكُ في ثغر وهران، ونِصفُ محاله بين كرمة مسولان بمر الظهران، وانسدّت طرق البرّ للجزائر، فلم يأته إلا في البحر الخبر والزائر، وانقطع عليه المدد[1].

وكانت مدة الحصار سبع سنين في العدد، مع قوة عساكر صاحب الجزائر ومدده الذي يأتيه في البحر من قِبَل العثماني، لكن لأعراب الواسطة شوكة عظيمة يحفظها ملوك الأتراك، مدوّنة في دواوينهم ومسطورة في تاريخ إيوانهم. فلم/و139ظ/يصلوا أم العساكر[2] ومرسى مستغانم[3]، وثغر وهران[4] بعد تصريفهم في الجزائر[5] وما حواليها، مع امتداد البحر شرقا وامتداده غربا، وما امتدّ بين أيديهم قبلة لناحية مدينتي المدية[6] ومليانة ومدائن الزّاب[7] حتى مضت لهم سنون عديدة وأيام أعوامها مديدة.

ولقد وقف في نحرهم أعراب المَحال[8]، ومنهم سُويد[9] وصُبيح[10]، وبنو زغبة[11] عرب امجاهر[12]، وقبائل بني عامر. فكانت الوقائع بين الأتراك وبين مَن ذُكر تنيف على الألوف، وفصحاء العرب تنشد في كل وقعة وقعت بينهم الأشعار التي فيها التحريض وشكر الأبطال، حتى أَلِفَتْ القوم النضال والقتال، وصار لهم عادة كأنهم يخرجون لوليمة عرس. وما استحوذ عليهم الأتراك إلا بعسر شديد ومشقة فادحة[13]، مع نصب حيلٍ وبذلِ مالٍ لأعيانهم مقرون

1- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 18.

2- **أم العساكر**: عرّفها العربي المشرفي قائلا: "مدينة عامرة الديار، واسعة الأقطار، ذات هواء طيب لا وخم فيه، قليلة العلل، كثيرة الغلل، لا تجتمع بها السفل...". ينظر: العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر، ص: 52. ويرى الأمير عبد القادر أن اسمها الأصلي هو أم العساكر. ينظر: الأمير عبد القادر، المذكرات سير ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تحقيق: صغير بناني وآخرون، الجزائر: شركة دار الأمة، 1994، ص: 27.
Shaw Tomas, Voyage Dans La Regence D'Algérie, Traduit de l'Englais par Mac- Carty, p: 250.

3- **مستغانم**: بناها الأفارقة على ساحل المتوسط على بعد نحو ثلاثة أميال شرقي مدينة مزكران. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 32.

4- **وهران**: بناها الأفارقة على ساحل المتوسط، بعيدة بنحو مائة وأربعين ميلا عن تلمسان. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 30.

5- **الجزائر**: معناها الجزر؛ سميت بذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة ومنورقة واليابسة. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 37.

6- **المدية**: بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد نحو ثلاثين ميلا من البحر المتوسط. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 41.

7- **إقليم الزاب**: يبتدئ غربا من تخوم مسيلة ويحده شمالا جبال بجاية ويمتد شرقا إلى الجريد. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 138.

8- يشير إلى خيانة القبائل للدرقاوي. ينظر: مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، ص: 53.

9- **سويد**: بطن من زغبة، من هلال بن عامر، من العدنانية، وهم: بنو سويد بن عامر بن مالك بن زغبة. كانوا يقطنون إفريقية الشمالية، منهم أفخاذ عديدة، كشبابة ومجاهر. ينظر: كحالة، معجم قبائل العرب، ج2، ص: 475.

10- **صبيح**: فخذ من سويد، من مالك، من زغبة، من بني هلال بن عامر. ينظر: كحالة، معجم قبائل العرب، ج2، ص: 632.

11- **زُغبة**: قبيلة من هلال بن عامر من قيس بن غيلان من العدنانية. من بطونهم: يزيد، حصين. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 54.

12- **مجاهر**: فخذ من بني سويد بن عامر بن مالك بن زغبة، من هلال بن عامر، منهم: بنو سليمة بن مجاهر. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 61. كحالة، معجم قبائل العرب، ج3، ص: 1039.

13- كانت نهاية الدرقاوية على يد الباي حسن بن موسى الباهي سنة 1232هـ/1817م. راجع الفصل الثالث من قسم الدراسة.

برئاسة دائمة، ولا زال هذا الطبع في أعراب واسطة المغرب إلى الآن، فلم يميلوا إلى الدّعة مثل أعراب المغرب.

[ذكر الاحتلال الفرنسي للجزائر]: ألا ترى إلى مَلك الافرنج[1] لم يستقرّ لهم، وإنْ ملكوا الواسطة[2] هذه المدة التي تنيف على ثمانية وثلاثين سنة بقليل[3]، بعد الحروب المتوالية، اليوم بعد اليوم والشهر بعد الشهر. أولها ست وأربعين سنة[4] إلى تسع وخمسين سنة[5]، وضف إليها ثلاث سنين توالت حروبها مع الإفرنج، بعد خروج أعراب الواسطة من بلادهم إلى فيفاء الصحاري أرض الشيح والريح، والقوت يؤخذ نهبا من ساحة العدو، وكان غالب القوت في السنة الثالثة اللّحم وشيء من التمر.

وتوالت موت الجوع على المسلمين/و140و/فتمرّ على جماعة الصبيان موتى متعانقين في الموضع الواحد ما يزيد على العشرة، وربما وجدت في بعض المواضع الموتى منهم تنيف على العشرين صبيا، ولا تجد واحدا أو اثنين إلا في النادر. ومع ذلك ما وهنوا عن[6] قتال العدو ولا ضعُفوا، حتى فشا الجوع وماتت الخيل من قلّة العلف، فتفرقت الناس فِرقًا منهم مَن سلك خط الجريد مشرقا لتونس، ومنهم من غرّب للمغرب الجوّاني[7] فاستوطن الريف[8] وحاضرة فاس، ومنهم من رجع للبلاد وهو الجمّ الغفير[9]. والعدد الكثير دخل تحت طاعة العدو، فوظّف عليه الوظائف، ورضي بها مع إصراره على البغض وإضماره على قتال عدوه إن وجد مندوحة[10]،

1- "فرنج" في (ب) وهو تحريف.

2- يقصد المغرب الأوسط (الجزائر).

3- من سنة 1830 إلى سنة 1868 وهو تاريخ تأليف مخطوط الحسام.

4- 1246هـ/1830م.

5- 1259هـ/1843م وهي السنة التي انهزم فيها الأمير في معركة عين طاقين. ينظر: المازاري، طلوع سعد السعود، ج2، ص: 207. إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1980، ص ص: 231-249. Bruno Etienne, Abdelkader, Paris, 1994, p: 192.

6- "على" في (ب) وهو تحريف.

7- يقصد المناطق الداخلية من المغرب الأقصى. وعن هجرات الجزائريين إلى المغرب الأقصى ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص ص: 486-489. محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب، ص ص: 37-49.

8- **الريف**: أحد أقاليم مملكة فاس؛ يبتدئ من تخوم مضيق أعمدة هرقل ويمتد شرقا إلى أعمدة النكور وينتهي شمالا إلى البحر المتوسط، ليمتد جنوبا نحو الأربعين ميلا حتى الجبال المحاذية لنهر ورغة بمنطقة فاس. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص: 324.

9- جاء على هامش المخطوط: "قف: أهل الواسطة منهم من هاجر لتونس ومنهم من هاجر للمغرب الجواني، والجمهور رجع للبلاد راضيا بالإقامة بين أظهر الشرك مع نية الخروج منها إن وجد مندوحة".

10- **مندوحة**: إنْ وَجَدَ مخرجا أو سبيلا. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2185.

وهذه نية كبيرهم وصغيرهم إلى الآن وحتى الآن، ويشهد لذلك قيام الثوار عليهم من المسلمين المرة بعد المرة[1].

[ذكر الثورات التي قامت ضد الاحتلال الفرنسي بالجزائر][2]: فقد ثار عليهم في حدود الستين[3] السيد محمد بن غزالة، وقَتَل القتلى وأَسَر الأَسْرَى، ورَفَع الإفرنج يد المغرم على مَن تَحتَ يدِه خوفا مِن أن يرجعوا لقتاله، إلى أَنْ مضت لذلك ثلاث سنين أو أربع، ثار عليهم السيد عبد القادر بوطالب الغريسي بناحية كاشرو[4]، وثار عليهم ثائر بناحية جبل بوسعادة، وثار عليهم ثائر بناحية جبال ازواوة[5]. فضيّق عليهم الساحة وحصل لهم التعب في مقابلته، وذهبت عن عسكرهم الراحة إلى أَن اخْتَرَمَتْهُ المَنية، فتصوّروا في الأحكام على غير أشكالهم الدِّنية، واتخذوا لعبة/و140ظ/المسابقة، في كل عام تجتمع فيها رعاياهم بإذن رئيسهم الأعيان والطغام[6].

[ذكر ثورة أولاد سيدي الشيخ][7]: فوافق سابق القضاء والقدر حضور السيد حمزة[8]، ولد السيد أبي بكر من سلالة قطب المشايخ سيدي عبد القادر بن محمد، الملقب بالشيخ ابن الدين صاحب «الياقوتة» في سلسلة أشياخه العارفين بالله. وكان رئيسا على أعراب الصحراء، من مدينة اسْتيتَن وقصر بوعلام إلى مدائن تيميمون المعروفة بتوات من حياة أبيه. إذْ لهم الرئاسة يأخذها الخلف من يد السلف، وشاهدنا أباه متوليا عليها في زمن دولة الأتراك، فبقي على حاله

1- جاء على هامش المخطوط: "قف: على الثوار الذين ثاروا على الإفرنج بعد دخوله لأرض المسلمين وتملّكه لها".

2- عن الثورات والمقاومة التي قادها الشعب الجزائري ضد الاستدمار الفرنسي؛ ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992، ص ص: 99-188.

3- 1260هـ/1843-1844م.

4- **كاشرو**: إحدى مناطق ومنارات العلم بالوطن الراشدي؛ تقع إلى الجنوب منه وهي مدفن الولي العالم قادة بلمختار.

5- **جبال زواوة**: هي جبال القبائل الكبرى عرب بجاية. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 102. وعن الثورات التي قامت ببلاد زواوة راجع: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص ص: 341-354.

6- **الطغام**: أرذال الناس وأوغادهم. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 558.

7- المؤلف يشير إلى مقاومة أولاد سيدي الشيخ التي كان من معاصريها. عنها راجع: بوعلام بلقاسمي: "خصائص ومميزات ثورة أولاد سيدي الشيخ"، عصور، ع1، ص ص: 7-15. عبد الحق شرف: "رسالة أخوية من العربي المشرفي إلى السيد عبد القادر بن حليمة نهاية العقد الثامن من القرن التاسع عشر"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع5، 2008، ص ص: 175-176. العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر، ص: 46-48.

8- **حمزة بن أبي بكر:** سي حمزة بن بو بكر زعيم الفرع الشرقي من أولاد سيدي الشيخ، عينته فرنسا سنة 1850 خليفة على الجنوب الجزائري بعد أن نجحت في استمالته. ينظر: أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص ص: 152-153.

ولدُه المذكور مع الإفرنج إلى أنْ بعث له كبير الجزائر، فأجابه لحضور هذه اللّعبة[1] المسماة عند الروم بالفيشطة[2].

يُحكى أنه أنزله وحده بموضع رفيع البساط وأكرم نزله، وبعد انقضاء مدتها سقاه –بعد أن كساه وكسى أصحابه– فاعلٌ بالشّكية، ووافته في الحين المنية وإلى المقابر حملوه[3]. فآبت الرفقة بأمتعته وبالغمّ الذي حمّلوه إلى أولاده وأهله، فأخبرهم بوصف حال الموت ونعتِه، فتجرّع أكبر ولده وقتئذ القصة و لم يمكّنه حينئذ انتهاز الفرصة، إلى أن دخل وقت المصيف؛ بعث لكبير الإيالة مكتوبا يخبره فيه بأن أعراب الصحراء عصوا أمره، يمدّه بمحلة تشدّ عضده ذات عدد وعُدد ومدد، مُؤَنُها تبيع المدد. فشنّ عليها يوما الغارة وأخذها برُمّتها بعد مقتل عُلوجها[4]، واستوفى دم أبيه وثأره، واستشهد في الجهاد الأحمد ولده الكبير السيد محمد، فقام بالأمر بعده/و141و/صنوه سليمان[5]، و لم يسالمهم إلى أنْ لقي المولى الرحمن[6]، ثم تولّى أصغرهم وما رامى البلوغ، فأخذ بثأر الجميع وضم إليه الأعراب ففارق الكلب الوَلوغ[7]. وها هو إلى الآن في عين العدو كالقذى[8]، وطُهِّرَ من الكفر وطَهّرَ غيره من رجس الأذى، فأصبح جوابا في الآفاق،

1- جاء على هامش المخطوط: "قف: على حضوره اللعبة بالجزائر وبها مات".

2- **الفيشطة:** من الألفاظ الدارجة التي نادرا ما كان يستعملها المؤلف. وكلمة الفيشطة أصلها إيطالي يُقصد بها الاحتفالات التي كانت تقيمها السلطات الاستعمارية وتدعو لها عملاءها وعمالها.

3- أظهر سي حمزة الولاء لفرنسا ووضع نفوذه في خدمتها، إلا أنها لم تطمئن إليه لما له من مكانة بين القبائل الصحراوية، فاستدعته إلى الجزائر العاصمة، للتحقيق معه متذرعة بشكاوى بعض سكان المنطقة، غير أنه لقي حتفه يوم 15 أوت 1861م؛ وادّعى الفرنسيون أن زوجته دسّت له السم، وولت مكانه ابنه الأكبر بوبكر برتبة "باش آغا" لكنه قتل هو الآخر مسموما مِن قبل أتباعه في 22 جويلية 1862م. ينظر:
De Lamartiniere et La Croix, Documents pour servir a l'etude du nord Africain, Tom 2, 1896, pp: 802-810.

4- **علوج:** جمع علج وهو الرجل الشديد الغليظ، ويراد به كذلك: الرجل من كفّار العجم. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3065.

5- نصّبت فرنسا سي سليمان بن حمزة مكان شقيقه سي بوبكر، وعزلت القائد سي الزبير من آغاوية ورقلة بذريعة مرضه المزمن، وقامت بتعيين شقيقه سي الأعلى بن بوبكر مكانه. وكان هذا الأخير متأكدا مِن أن وفاة سي حمزة وابنه بوبكر إنما هو عمل دبّرته السلطات الفرنسية، فأخذ يحرض ابن أخيه سي سليمان على مقاومة الاستعمار، بعد أن وافقه شيوخ الزاوية واستجاب له عدد معتبر من الأتباع والأنصار. وفي يوم 08 أفريل 1864 اندلعت المقاومة بالإغارة على مخيم للجيش الفرنسي في هضبة عوينة بوبكر شرق البيض، مما أثار الارتباك والهلع في صفوف القوات الفرنسية، كما انقض سي سليمان على العقيد بوبريط وقتله. ينظر:
De Lamartiniere et La Croix, Documents pour servir a l'etude du nord Africain, pp: 802-928.

6- جاء على هامش المخطوط: "قف: على موت الأخوين القائمين من أولاد سيدي حمزة في الجهاد وعلى أصغرهم الأخذ بثأر الآن".

7- **الكلب الولوغ:** أن يشرب الكلب ما في الإناء بطَرَفِ لسانِه أو يُدخل فيه لسانَه ويحرّكه. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2494.

8- يتحدث المؤلف عن ثورة أولاد سيدي الشيخ في حدود سنة 1868 تاريخ تأليف الحسام. **والقذى:** ما يتكوّن في العين من وسخ أبيض جامد يتجمّع في مجرى الدّمع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3562. أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1788.

يحشد ويستنجد، ويدعونه بالمجاهد أحمد. وهذا شأن أعراب الواسطة فلا يملّون الحروب وإن توالت.

[**وقائع قبائل الحشم مع الأتراك**]: فلقبائل الحشم وقائع كثيرة مع الأتراك[1]، وربما كانت كل سنة تتكرر الوقائع بينهم، وما مِنْ وقعة إلا تكون فيها الكرّة على الأتراك، ولا يَحجُبُهم من الاستيلاء على جميع الأخبية والفساطيط إلّا حصن المدينة، ويدخل في الصلح بعد ذلك بينهم وبين الباي سلطان الأتراك أشرافُهم وأعيانُهم، فيردّون ما أخذوا لهم من الخيل الألف والألفين[2]. ومَن طَالَع[3] «كتاب الوقائع» لمؤلفه العلاّمة شيخ الجماعة بأم العسكر، سيدي مصطفى بن عبد الله الدحاوي[4]، وكتاب «درء الشقاوة في حروب درقاوة»[5]، لمؤلّفه الشيخ أبي راس الناصري المعسكري[6]، وكتابنا «طرس الأخبار بما جرى للمسلمين أواسط القرن الثالث عشر، مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار»، يعلم ما للحشم وأعراب الواسطة مِن شدّة الشوكة، فقد احتوى كتابنا هذا على ما ينيف على الستمائة وقعة في الثلاث سنين الأخيرة، التي خرج المسلمون فيها من البلاد واستولى العدو على مدائنها[7].

[**ذكر عبد القادر بن الشريف الدرقاوي ووقائعه مع الأتراك**][8]: ولنرجع إلى ما كان بين الأتراك وبين الدرقاوي/و141ظ/ولي الله سيدي عبد القادر بن الشريف فنقول: لما اشتدّ حصارهم في وهران[9]، وانسدّت عليهم سبل البرّ، بعث ملك الجزائر يومئذ للشريف الغطريف، أبي الربيع مولاي سليمان سلطان المغرب، يستعطفه في مكتوبه ويقول له فيه: إنّ

1- جاء على هامش المخطوط: "قف: لقبائل الحشم وقائع مع الأتراك وهم أشد شوكة من أعراب الواسطة".

2- عن بعض صور هذه الوقائع؛ تآمُر الحشم مع التيجاني ضد الباي حسن سنة 1826 بفروحة ضواحي غريس. ينظر: المازاري، طلوع سعد السعود، ج2، ص ص: 355-356.

3- جاء على هامش المخطوط: "قف: على من ألّف في الوقائع التي كانت بين ملوك الأتراك وحشم الراشدية، وبين أهل الشرك والرئيس يومئذ الحاج عبد القادر بن محي الدين".

4- **مصطفى بن عبد الله الدحاوي تـ(1215هـ/1800م)**: بن عبد الرحمن المعروف بابن زرفة؛ ناظم له اشتغال بالتاريخ، تولى الكتابة للباي محمد بن عثمان بمعسكر، ثم قضاء وهران. له: الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية. ينظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 158.

5- من أهم المصادر التي أُلّفت عن حروب الأتراك مع درقاوة، والمخطوط في حكم المفقود.

6- **أبو راس الناصر المعسكري**: محمد بن عبد أحمد بن عبد القادر الراشدي، الجليلي المعسكري الجزائري. مؤرخ من العلماء بالحديث ورجاله توفي 1824، له نحو خمسين مؤلّفا. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص: 18. وقد حقق له الدكتور بوركبة محمد مخطوط عجائب الأسفار.

7- العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص: 217-224.

8- عن ثورة ابن الشريف الدرقاوي مع الأتراك؛ راجع: المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص ص: 308-328.

9- جاء على هامش المخطوط: "قف: على قيام ابن الشريف على الترك وحصاره لوهران".

أسلافكم ملوك الدولة العلوية، مع ملوك الدولة التركية كانوا يدًا واحدة لَا تَشَاجُرَ بينهم، غير أن هذا القائم علينا درقاويّ الوسيلة، وشيخه مِن إيّالتكم بجبال الزبيب ببني زروال[1]، وهو الذي يمدّه بطائفته، فرأسُ الحيّة عندكم وذَنَبُهَا عندنا.

فغلبَه الحياء يومئذ رضي الله عنه، وتكلّم مع الشيخ الجليل مولاي العربي، فذهب بنفسه رضي الله عنه ممتثلا لكلام السلطان، الذي أوجب الله طاعته على العباد، فلقي مريدَه وكفّه عنهم، بعد أن وجده قائما بالعدل تابعا للسنّة تاركا للبدعة. حافظا للطاعة مجانبا للمعصية، لا يمنع رِفْدَه ولا يترك وِرده، ملازما للبس الخرقة التي هي شرط في مذهب القوم، غير ملتَفِتٍ لحديث النفس الأمّارة بالسوء، مَعْرِضٌ عن هواه مُقْبِلٌ على شؤون أُخراه. يحب مجالسة المساكين ومُحَبٌّ إلى الفقراء والنّاسكين، لا يرضى أن يقال له سلطان وإن أذعنَتْ لطاعته مَن في أقاصي الأوطان. يحكُم حُكْمَ عُمر، وتمتثل الناس لِما عنه نهى وما به أَمر، بالغ في قهر النفس أول بدايته؛ فحلّ فحصل له الإشراق في منتهى نهايته، طالما خرق العادة ونهر وساوس النفس المعتادة. فكان يتخذ من عظام الحلزوم سبحة، ويجعل بين رجليه عُودًا/و142و/يركبُه فرسا يسابق عليه الصبيان، وهو في العلوم أدرك الغاية والشأن، واتصل به الجذب واستغرقه حتى كان لا يعرف الحسنة من الذّنب.

وأعقبه بعد ذلك السلوك، فظفّره الله بدولة الملوك، وما بغى في الحكم ولا طغى، ولا فارقه الخضوع والخشوع، فأسرّ حصْوا[2] في ارتقاء، وحين خاطبه شيخه لم يُظهر تمنّعا في ابتغاء، بل صدّ عن الدنيا وهي تطلبُه، وراودته عن نفسها وداعي الخير يصرفه عنها ويغلبُه، ففرّق المحال وفارق المحال، وأناخ[3] مطيته بجبل الدقيق واشتغل بالتهجد وعوارف التحقيق، إلى أن لقي الله تعالى على الحالة المحمودة، فتوفي بجبل يزناسن في حدود آخر العشرين من القرن الثالث عشر[4].

فويح ابن الكنسوسي الذي تعرّض لسخط الله، وسخط رسوله صلى الله عليه وسلم. حيث تعرض لسبّ هذا الشيخ المبارك، وقال أنّه لما بعثه السلطان المرحوم لإطفاء نار الفتنة

1- **جبل بني زروال**: بالمغرب الأقصى؛ أرضه طيبة صالحة للزيتون وغيره من الأشجار المثمرة. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص: 331.

2- "حسوا" في (ب) وهو تحريف. والحصو المقصود به المنع، أي أخفى تمنّعه في الرقي والارتقاء.

3- **أناخ:** أقام واستقرّ وحطّ. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2301.

4- جاء على هامش المخطوط: "قف: على ابن الشريف مات بجبل بني يزناسن بعد أن امتثل كلام شيخه وترك القيام على الأتراك".

أَوْقَدَها[1]، فمعاذ الله أن يوقدها ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]. بل السبب الذي حرّكه الله لأجله، هو تلقين الإسم المفرد للخاصة من أهل تلك الأرض، وما يناسب ضَعَفَة العامة من الأوراد. فكان دخوله لأرض الواسطة[3] رحمة ومنّة منّ الله عليهم، إذْ ألقى في قلوبهم محبّته، حتى أدخل ربقة الوسيلة في أعناق كهولهم وشبّانهم، وقوّى مدده هنالك. وبَانَ فضل الله على كثير منهم حتى كانوا شيوخ تربية، وألّفوا في الطريقة والحقيقة مجلّدات عظيمة، وانتشر علم التصوف وأحيا الله بهم طريقة/و142ظ/الجنيدي التي اندرست أو كادت[4].

[**شيوخ التصوف بمدينة المعسكر**]: فكان متصديا للتربية بمدينة المعسكر، الولي الصالح وقطب الدين الفالح، العارف بالله الزاهد، جنيدي النظير سيدي أحمد الخضر[5]، بن البركة سيدي البشير[6]. وفي ساحة المعسكر من رجال التشوف وأقطاب التصوف، ولي الله سعيد الممات والمَحيا، سيدي عبد القادر بن يحي السلطيوني رفيق الوالد المرحوم بكرم الله الحي القيوم، وأخوه في الوسيلة وصديقه الملاطف في المعرفة بالله، ومِن طبقته الآخذة في الوِرْدِ المبارك في آن واحد، على شخص واحد وهو الشيخ المذكور. وكلاهما مُقدَّم ومُعظَّم بتقديم الشيخ، وتعظيم أهل الوسيلة له كسيدي عبد الله بن ديدة، وسيدي محمد بن عدلة[7] من نسل بني زيان[8] ملوك تلمسان. وسيدي محمد بن عبد الله، وكان بمعنى فارض وقته سيدي عبد الله بن حوّاء[9]، فلقد دوّن في علم التصوّف ما لم يدوّنه ابن الفارض، مات شهيدا بوهران، قتله مَلِكُ الوقت حسن

1- عن هذه المسألة ينظر: التعليق السابق عند و137و من المخطوط.

2- البقرة، الآية 113.

3- جاء على هامش المخطوط: "قف: من منن الله على أهل الواسطة أن دخلها مولاي العربي فتسابق الناس إليه في أخذ الأوراد".

4- "بادت" في (ب) وهو تحريف.

5- **أحمد الخضر:** الغريسي؛ الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن الخضر الغريسي الحسني. كان رحمه الله فقيها مدرّسا، وكانت له ببلاد المعسكر من الطوائف ما لا تحصى كثرةً. توفي رحمه الله يوم 18 رمضان 1292هـ/18 أكتوبر 1875م. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص ص: 124-125. الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص ص: 365-366. الغريسي، كتر الأسرار، ص: 84.

6- **البشير بن محمد المعسكري:** مقرئ قاضٍ. ينظر: الغريسي، كتر الأسرار، ص: 84.

7- **عبد الله بن ديدة ومحمد بن عدلة:** من الشيوخ الذين تتلمذ لهم المشرفي في مسقط رأسه الكرط. ينظر: المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

8- **بنو زيان:** استقلوا في تلمسان بالمغرب الأوسط بقيادة زعيمهم يغمراسن بن زيان سنة 633هـ/1235م بعد الضعف الذي بدأ يدب في جسد الدولة الموحدية. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 102. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2000، ص: 289.

9- يقصد عبد الله بن الطيب بن حوا الغريسي. ينظر: الغريسي، كتر الأسرار، ص: 14. العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 125.

باي[1] خوفا منه، فكان يُتخيّل[2] له أنّ كل مَن يُرمى بالخير ويشار له به، ربما يقوم عليه وينازعه في الملك، مثل سيدي عبد القادر بن الشريف، وخصوصا مِن هذه الطائفة الدرقاوية.

[رسالة العربي بن عطية الطويل إلى بعض إخوانه]: وكان بجبل ونشريس[3] متصدّيا للتربية، ولي الله العارف بالله، شيخ الوقت والطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة، يلقّن الأوراد في زاويته المعمورة؛ بسفح الجبل مبنية، سيدي العربي بن عطية. وله رسائل في علم التصوف تفوق رسائل ابن عباد، فمَن وقف عليها يعرف قدره/و143و/إذ المرء يُعرف من كلامه. فمنها رسالته التي راسل بها إخوانه في الله ونصها:

"الحمد لله وحده، من عبد الله سبحانه العربي بن عطية الله المكنى بالطويل، إلى كافة إخواننا في الله، وأحبائنا مِنْ أجلّة الحضرة المنوّرة والأمداد الروحانية، والمعاني الرائقة والعلوم الفائقة، والأذواق التي هي عن شهود وعيان، لا عن دليل وبرهان، خصوصا ولي الله تعالى سيدي أحمد بن (زرغيل)[4] الأغزاوي[5]، وولي[6] الله تعالى أبو العباس سيدي أحمد البداوي الفاسي[7]، وولي الله تعالى سيدي الحاج أحمد الغماري[8]، وولي الله تعالى سيدي محمد الحراق

1- **الباي حسن**: بن موسى المعروف بأهج حسن؛ ثامن بايات وهران وآخرهم، تولى في منتصف ذي الحجة سنة 1232هـ/1817م. ينظر: المازاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص: 347.

2- "يتحيل" في (ب) وهو تصحيف.

3- **جبل ونشريس**: جبل شاهق من جبال مملكة تلمسان؛ كانت تسكنه قبيلة بنو توجين التي حاربت ملوك تلمسان عدة مرات ودامت هذه الحروب أكثر من ستين عاما. ينظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص: 45.

4- "زرعيل" في (أ) و(ب) في هذا الموضع، وسيثبتها المؤلف في موضع آخر فيما يأتي من رد الغريسي على رسالة العربي بن عطية بـ (زرغيل) وهو الصحيح. ينظر: و144ظ من المخطوط. وقد اعتمدنا في تصحيحها على ما جاء في كتز الأسرار للغريسي. ينظر: الغريسي، كتز الأسرار، ص: 73 (نسخة الخزانة الملكية). وص: 75(نسخة الخزانة العامة رقم: 2339)

5- **أحمد بن زرغيل الاغزاوي**: توفي يوم الأربعاء 3ذي الحجة 1245هـ/26ماي 1830م بزاوية العربي الدرقاوي. ينظر: الغريسي، كتز الأسرار، ص: 75 (نسخة الخزانة العامة).

6- "ولي" في (ب) وهو تحريف.

7- **أحمد البداوي الفاسي**: المتوفى سنة 1275هـ/1859م. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2612.

8- **الحاج أحمد الغماري**: الفقيه الصوفي الشيخ الجليل القدر محمد بن أحمد بوزيد الغماري السليماني الحسني، من كبار أصحاب العربي الدرقاوي؛ من آثاره: الآداب المرضية. توفي 10محرم 1229هـ/2 جانفي 1814. ينظر: الغريسي، كتز الأسرار، ص: 88-93.

التطواني[1]، وولي الله تعالى سيدي أبي زيان الغريسي بن أحمد، وولي الله تعالى سيدي محمد بن قدور الزواق[2]، وغيرهم مِن إخواننا أهل المغرب جميعا خصوصا وعموما.

السلام على ساداتنا وقرّة أعيننا، والرحمة والبركة تعمّكم في السكون والحركة وبعد: فإن سألتُم عنّا فنحن بخير كبير، ولا خير إلّا خيركم، ولا سرّ إلا سرّكم، ولا بَرَكَةَ إلا بركتكم. وذلك ما نال مَنْ نال خيرا، ولا سرّا ولا بركة منّا ومِن غيرنا إلّا على يديكم ومِنْ مِنَحِ فضلكم وعطاياكم، واللهِ ما رأينا على وجه الأرض مَن هو أكرم منكم ولا أجود منكم، فالمنّة لله ولكم، ونطلب منكم الزيادة والترقّي دائما بفضلكم، ومَنْحِ عطاياكم في الأسرار الأزلية التي لا نهاية لها أبدا سرمدا[3]، والدعاء الصالح منكم دائما سرمدا، بأن يحفظنا الله من شياطين الإنس والجن، لأنّنا بأرض خبيثة تكينةٍ[4]، لا خير فيها ولا في ملوكها ولا في حكامها. ونحن في غاية الشوق/و143ظ/إلى لقائكم، والله يجمع بيننا وبينكم قريبا غير بعيد، إذْ هو على جمع الأحبة إذا يشاء قدير، سبحانه لا إله إلا هو، ونحبّكم أَحبَّكم الله ألاّ تقطعوا رسائلكم عنا ولو بالتزبال، لأن كل ما يأتي من المليح مليحٌ.

وقد سمعتُ يا ساداتنا فيما مضى من أستاذنا الشريف[5] رحمه الله، كلاما في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فلم أفهمه، وقد مَنَعَنَا في التفنّ معه في ذلك الوقت الحياء منه والهيبة. والآن أذكره لكم إن شاء الله لتُكاتِبُونا فيه بما ظهر لكم، وهو قوله رحمه الله حين ذكر حكايةً عن مولاي التهامي صاحب وازّان وذلك: قال مولاي التهامي رحمه الله كنا نستغرب في قول أبي العباس المرسي "لو غاب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين، ما عددت نفسي من

1- **محمد الحراق التطواني**: العلامة الصوفي، محمد بن محمد بن عبد الواحد الحراق الحسني العلمي دفين مدينة تطوان. أخذ طريق التصوف عن العربي الدرقاوي، وصار من أكبر تلامذته. توفي سنة 1261هـ/1845م. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2574-2575.

2- **محمد بن قدور الزواق**: محمد بن عبد القادر بن مَحمد بن عبد القادر بن علي بن موسى الصبيحي الزرهوني؛ عُرف بابن قدّور وبالزواق. له نظم في العقائد. توفي في منتصف ذي الحجة 1231هـ/نوفمبر 1815م. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2498.

3- **سرمدا**: الدائم الذي لا ينقطع. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 428.

4-**تكينة**: مُذِلّة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3790.

5- يقصد العربي الدرقاوي.

المسلمين"[1]، فإذا بنا وجدنا الأمر أقرب من ذلك؛ قال [قبيح][2] صار هو؛ هو. والشيخ أبو العباس[3] يا ساداتنا ما قال هذه الكلمات حتى صار هو؛ هو. فأي امرئ يكون أقرب من هذا؟

وأيضا سمعت الفقراء[4] يتكلّمون مع سيدي بن علي القرافلي رحمه الله، في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم حسًّا ومعنا أيها أفضل؟ فالفقراء قالوا: رؤية المعاني أفضل. والقرافلي قال بخلاف ذلك؛ يعني رؤيته صلى الله عليه وسلم حسًّا أفضل. وأيضا قد وَجدتُ كلاما عند القيصري في تعليقه على «تائية ابن الفارض»: قد انختمت الولاية المحمدية[5] بابن العربي الحاتمي، و لم تبق الولاية المطلقة[6].

"ويعني بالولاية المطلقة: أنّ مِن الأولياء مَن هو قدمُه على قدم سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، ومنهم/و144و/من هو قدمُه على قدم سيدنا موسى عليه السلام، ومنهم من هو قدمه على قدم سيدنا نوح عليه السلام وهكذا. وأما مَن كان قدمُه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد انقطع من زمن ابن العربي الحاتمي"[7]، ونَسَبَ هذا الكلام إلى شيخه ابن العربي والسلام.

[رد بوزيان الغريسي على رسالة العربي بن عطية]: فقدْرُ هذا السيد صاحب الرسالة عند الله جليل، ولقد وصفه بعض المكتوب إليهم في جوابه، وهو سيدي بوزيان بن أحمد الغريسي الحمدي الشريف الحسني، بأوصاف وحلاّه بتحلية تدلّ على رفعة شأنه ومقامه عند الله، ستقف عليها صدرَ جوابه عن هذه الرسالة المذكورة. ونص الجواب: الأخ في الله والحِبُّ في ذات الله، صادق العهد والأخوة، وخالص الودّ والفُتوة[8]. السيد العظيم الخُطى الكريم القدر، المرشد المعين، المنهل العذب الصافي المعين، السالك المجذوب الحبيب المحبوب، الطالب المطلوب، الراغب وفيه مرغوب، الصوفي المحقّق المتدارك الموفَّق، المقام الأوفى والمشرب الصافي

1- ورد القول في كتز الأسرار والفتوحات الإلهية. ينظر: الغريسي، كتز الأسرار، ص: 25. ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص: 6.

2- كلمة غامضة.

3- يقصد أبي العباس المرسي.

4- **الفقير:** عند أهل التصوف "هو الذي افتقر ما سوى الله، ورفض كل ما يشغله عن الله". ينظر: ابن عجيبة، التشوف، ص: 78.

5- جاء على هامش المخطوط: "قف: انختمت الولاية المحمدية وبقيت الولاية المطلقة".

6- القيصري الرومي، تعليق على تائية ابن الفارض، مخطوط بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية، بدون رقم، ص ص: 98-99.

7- القيصري، تعليق على تائية ابن الفارض، ص: 99.

8- **الفتوة:** يقصد بها مرحلة الشباب. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1967.

الأصفى، الشيخ البركة المحفوف بالعناية في السكون والحركة. أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن عطية الله، أبقاكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وعلى جميع مَن لاذ بكم وكان منكم وإليكم وبعد:

لازلنا على عهدكم ومحبتكم إلى لقاء الله، إن شاء الله متعلّقين القلب بكم، راغبين بالإلحاح في الدعاء لكم، قد أورثَتْنَا[1] رؤيتُنا إيّاكم، الاشتياق إليكم والاهتمام بأمركم، وقد وجدناكم على أحسن حال، ولا نسمع عنكم إلا ما يسرّ البال، والله حسبنا ونعم الوكيل. قد أثنى على جميعكم/و144ظ/الثناء الجميل سيدي عبد القادر الاغزاوي، ونحبّكم ألا تقطعوا عنا مراسلاتكم ولو ببسم الله، إذ هي من العارف بالله بمنزلة "كن" من الله، لأنها اسم الله العظيم الأعظم، ولا تُقبِّحوا مترلا، ولا تسبّوا محلا، عوض ما نقول الريبة نقول الشقير[2]. وأنتم ببلدة طيبة وربّ غفور، وقد كتبنا لكم مراتب لا ندريها، ولا نعلم هل وصلكم منها شيء أم لا، لأننا بمحلٍّ ليس بطريق تاجر ولا حاجّ، ولا صادر ولا وارد، إلا مَن [سميعُه][3] محبة في الله وتقربا إلى الله. يريد: من نظر في وجه مغفور غفر له، [الحديث][4]. ومَن نظر في وجه أخ له على غبٍّ، أفضل ممّن اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة[5]، الحديث. أيضا ولو وجدنا مع مَنْ نبعث لكم، لكَتبْنا لكم كل يوم محبَّةً وتعظيمًا وتعرّضا للنفحات، واستزالا لمطر الرحمة من قلوبكم وألسنتكم الصالحة.

هذا، ولتعلم سيدي أننا وصلَنَا كتابٌ بخطكم فما قرأناه حتى قبّلناه، وأتانا مِن عند الأخ الصالح ولي الله تعالى، الشيخ الأجلّ البركة المبجّل أبي العباس سيدي أحمد البداوي الفاسي رضي الله عنه. والله أعلم إذْ أتونا به الخطار[6] من يدٍ إلى يدٍ، وسلَّمْتَ فيه على السادات الأجلّة من إخواننا أهل هذه الناحية قوّاهم الله، وسلَّمْتَ علينا مِن جملتهم وذكرتَ فيه مسائل سنذكر

1- "أورتثنا" في (ب) وهو تحريف.

2- **الشقير**: ضرب من الحرابي أو الجنادب. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 488.

3- ليس بحديث وإنما ينسب لبعض الصالحين أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت وذكره؛ قال: نعم ومن نظر إلى مغفور غفر له. ينظر: العامري أحمد بن عبد الكريم الغزي، الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1997، ص: 220.

4- كلمة غامضة.

5- لم نجد له أثرا في الكثير من مظان الحديث والتخريج.

6- **الخطار:** يقصد به المسافرون. وهي من الألفاظ التي لا زالت شائعة عندنا بالناحية الغربية للجزائر كقولهم: أنا خاطر؛ أي مسافر.

ما ظهر لنا إن شاء الله فيها. ووجدنَني مَن مكَّنَني فيه بجنب الأستاذ الأكبر، العارف المحقق الأشهر، ولي الله تعالى سيدي أحمد بن زرغيل الاغزواوي، وولد أستاذنا الفقيه النبيه سيدي مولاي محمد وبعض الإخوان، فقرأتُه عليهم مرّة وفهموا معناه والله أعلم.

ونحن على نية إرساله للمكتوب إليهم، لكن نقول ما ظهر/و145و/لنا فيه وانتقش عن صحيفة قلوبنا من معانيه، لئلا ينسونه و لم يجاوبوك أو يجاوبونك، ويحصل البعض بيدك دون البعض دون الجميع، فتأخذ مِن كل واحد ما يوافق الحقّ، ونعلمَ هو مشربُك وتترك الباقي، وإنْ لم نصادف شيئا فادع الله لنا أنْ يحقّقنا الله بحق على الوجه الأحق، فأقول:

لما قرأتُ الكتاب قبل ختمه، انتقش فِيَ قول الشيخ رضي الله عنه: [قبيح][1] صار هو؛ هو. لما ذكر بحضرته قول الشيخ الجليل، الشريف الأصيل مولاي التهامي الوزاني رحمه الله ورضي عنه، كنا نستبعد قول الشيخ المرسي رضي الله عنه: لو حُجِب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، منذ أربعين سنة طرفة عين، ما عددت نفسي من المسلمين[2]، فإذا بنا وجدنا الأمر أقرب من ذلك. أنّ مراد أستاذنا رضي الله عنه: أي صار مولاي التهامي المذكور هو الشيخ المرسي على وجه الاستبعاد له والله أعلم، لكونه ليس هو مِن خَيْل هذا الميدان، ولا مِمَّن بُسطت له في هذا الشأن اليَدَان، وسكنتُ حين فهمتُ ما فهمتَ حتى ختمت الكتاب.

قال الأستاذ المذكور[3]: ما قلت وتفنّن معنا في ذلك مرات، وأنت رحمك الله ورضي عنك تعلم يقينا، أنّ هذه المرتبة الثانية السامية السانية، التي هي رؤية خير البرية صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وأكثر أو أقلّ على الحال الموصوفة، رؤية واحدة متّصلة متّحدة حتى لو غاب عن صاحبها طرفة عين، في هذه المدة المديدة والسنين العديدة، ما عدّ نفسه من المسلمين. ولو خطر على قلبه غيرُه لقضى على نفسه بالرّدة/و145ظ/لم تكن لأهل المجاهدة الكبيرة مِنْ أهل الصيام والقيام والتلاوة وكثرة الأذكار باللّيل والنهار، وتوزيعها الذين يرونه صلى الله عليه وسلم مناما أو يقظة، أو تحصُل لهم في بعض الأوقات مشاهدة نوره في الأشياء لكثرة صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم وامتلاء الباطن بحبّه.

1- كلمة غامضة.

2- المهدي الفاسي، تحفة أهل الصديقية، و2ظ.

3- يقصد العربي الدرقاوي.

بل هذه حالُ عبدٍ اصطفاه مولاه، ولحضرته اجتباه، وبمشاهدة ذاته حيّاه، فعنه وعن الكائنات أفناه وأَذْهَبَ اسمَه باسمِه، ووَصْفَه بوصفِه وذاتَه بذاتِه، فكان: هو؛ هو. كما كان سبحانه وهو كائن على ما كان، ولكن الوهم أثبت شيئا لم يكن، فإنْ أراده الله للكمال وشهود الجلال والجمال، وإثبات ما لم يكن شيئا مذكورا، ولا هو كتابا مسطورا، ردّه نحو عالم التحويل، وعبّروا عن ذلك بالنزول: حتى إذا ردّ عليه منه أدرك فَرْقًا حيث لم يُكنه، كما قال الشيخ ابن البنا رضي الله عنه[1].

فيتّسع حينئذ عِلمه في الكتر المدفون، والسرّ المصون والغيب المكنون، العزّ الأحمى واحَدية العمى وواحدية المرتبة العظمى، عين المسمّيَاتِ والأسما، مولانا محمد الشاهد المشهود وبيت القاصد من المقصود. فرآه صلى الله عليه وسلم حسًّا ومعنًى ظاهرا وباطنا، ذاتا وصفاتا، اسما ورسما، وعلما وحُكما، فكانت هذه مشاهدة له دما ولحما وعروقا وشعرا وعظما. فهذا يدلّ على سبيل الترقّي والتدلّي على طريقةٍ أيضا، فهذا اعتقاده[2] وبه أدين ربي وعليه، أُشهد أحبّتي، إذْ هم أحق وأولى بالشهادة. وقد أشهد سيدنا هود عليه السلام الأعداء، فأحرى الأحباء كما حكى الله/و146و/عنه ﴿**قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ**﴾[3].

ومولاي التهامي[4] لا يُحكَم له بهذا الحكم والله أعلم، ربما عبّر عن المقام مَن وصل إليه أو استشرف عليه، وذلك ملتبِسٌ إلا على صاحب بصيرة، كما قال في «الحكم»[5]، فلذلك قال الشيخ تلك المقالة، وهي بلسان البربر وعَنَى بها الاستبعاد، وهيهات هيهات شتّان ما بينهما، ولو جعلناها على بابها كما فهمت فلا غرابة في ذلك، إذ القربُ والمعرفة لا نهاية لهما. فالأولياء

1- يشير إلى قول ابن البنا في المباحث الأصلية: حتى إذا رُدّوا عليه منه ** أدرك فرقا حيث لم يَكُنْهُ.

ينظر: ابن البنا أبو عبد الله محمد بن محمد التجيبي، المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية، مخطوط بمركز آل سعود، الدار البيضاء: المغرب، رقم: 146، ص: 24. ابن عجيبة أحمد بن محمد، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، راجعه وحققه وقدم له: عبد الرحمن حسن محمود، القاهرة: عالم الفكر، ص: 258.

2- "اعتقادي" في (ب) وهو تحريف.

3- سورة هود، الآية 54 – 55.

4- يقصد التهامي الوزاني.

5- ابن عجيبة، إيقاظ الهمم شرح الحكم، ص: 410.

يترقّون فيهما كلّ حين أبد الأبد، بلا انتهاء ولا نفد، لأنّ منازل العارفين في هذا المقام متفاوتة، وفضيلة البعض على البعض، قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[1].

وقد سمعتُ ما حكم به أستاذنا في فضل أستاذه على سيدي المرسي المذكور رضي الله عنه، في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لاستغراقه في العبودية، ونعْتِه له نعتًا بيانيا في جميع أوقاته، ولا شكّ أنّ التفاوت بين العارفين لا يكون إلا في العبودية، فمن كانت عبوديته أتمّ كان أمكنَ تحقّقا في رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ هو جلال الظاهر، كما أنه جمالي الباطن صلى الله عليه وسلم. وقد أشار الشيخ المرسي رضي الله عنه لهذا في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾[2]، قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كمال العبودية، فأُسري بروحه وجسده، والأولياء لهم قَسمٌ من ذلك، فيُسرَى بأرواحهم دون أجسادهم.

وأما قول سيدي محمد القرافلي رضي الله عنه: رؤية رسول/و146ظ/الله صلى الله عليه وسلم حسًّا، أفضل من رؤيته معنى. يعني به والله أعلم الحسّ الملازم للمعنى. وأما هو فليس بجاهل بهذا المعنى، إذ هو رجل كبير القدر جليل الخطر، ملامتي لا يُظهِر للناس وفاقا كما تعلم ذلك منه، وليس مراده والله أعلم رؤية حسّية منفردة محصورة مقيّدة غير مطلقة، وهذا هو الظن به. وقد كانت هذه المذاكرة بحضورك مع الشيخ[3]، وسيدي محمد بوزيد وسيدي بن علي[4] المذكور، وغيرهم من أهل طريقتنا رضي الله عنهم وشرّفنا بذكرهم.

وقال الشيخ[5] رضي الله عنه، في وصف هذه الحسّية المتقدمة الذكر: إنّما هي ياقوتة من الكتر. وأما الكتر فهو ما ذكرناه مِن رؤيته صلى الله عليه وسلم حسّا ومعنى، ذاتا وصفاتا، وقال الفرد الجليل، سيدي محمد البوزيدي صاحب هذا المقام: إنْ أراد النبي صلى الله عليه وسلم فلا يرى إلاّ هو، وإن أراد سيدنا جبريل عليه السلام، فلا يرى إلا هو وهكذا، إذ الذات واحدة والصفة متحدة، وإن (كانت)[6] الأسماء متعددة.

1- البقرة، الآية 253.

2- الإسراء، الآية 1.

3- يقصد العربي الدرقاوي.

4- يقصد القرافلي.

5- يقصد العربي الدرقاوي.

6- "كان" في الأصل والتصحيح اقتضاه سياق المعنى.

وأما قول الفقراء لسيدي بن علي[1]: رؤيته[2] معنى أفضل من رؤيته حسّا، أرادوا بهذا المعنى المطلق والمشرَبَ المحقَّقَ، يعني المعنى عين الحسّ، فتبارك الله ولا مشاحنة في الألفاظ. وقولهم حقٌّ وصدقٌ، وإنْ أرادوا به معنىً خلافَ الحسّ كما يُتخيّل لكثير من الناس في رؤيته صلى الله عليه وسلم في الوجود، من نور البصر والسمع والكلام، وإشراق الآفاق وغير ذلك وصفا واحدا. والوصف لا يقوم بنفسه والصفة لا تُعقل بدون الذات، فهو لا يُقبَل من قائله/و147و/ لكنه أفضل من رؤيته شخصا مقيّدا حسًّا في بعض الأحيان.

قال شيخ أشياخنا سيدي محمد بن عبد الله مَعَن[3]، لشيخه سيدي عبد الرحمن –الشهير بالعارف بالله– بن محمد الفاسي[4] رضي الله عنهم: يا سيدي، إنّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يَغيبُ عني. فقال له: ما الذي تشاهد؛ روحانيته أو جسمانيته؟ فسكت. ثم بعد مدة كرّر مقالته عليه فأعاد الشيخ سؤاله فقال يا سيدي: الصفة لا تفارق الموصوف، أو كما قال.

[ختم الولاية المحمدية والولاية العامة][5]: وأما قول الشيخ الحاتمي رضي الله عنه، الذي حكاه عنه تلميذه القيصري الرومي رضي الله عنه، قد رأيناه عنده مستوفيا على شرح «تائية الشيخ ابن الفارض» رضي الله عنه حاصله: أن الشيخ محي الدين الحاتمي، قال في أجوبته الحافظ الترمذي[6] رضي الله عنه: "الختم ختمان، ختم يختم الله به الولاية مطلقا، وختم يختم به الولاية المحمدية. فأما ختم الولاية على الإطلاق: فهو لروح الله سيدنا عيسى عليه السلام، وأنّه يَنزل في

1- يقصد القرافلي.

2- الكلمة مكررة في (أ).

3- **محمد بن عبد الله معن:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله مَعَن، كان رجلا زكيا خيّرا مرضيا. توفي رحمه الله في 1010هـ/1601م، ودفن بروضة داخل باب الجيسة. ينظر: الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج1، ص ص: 222-223.

4- **عبد الرحمن بن محمد الفاسي:** المشهور بالعارف، المحقق الصوفي. ولد بالقصر الكبير يوم الأحد 19 محرم 972هـ/27أوت1564م. من تآليفه: حاشية البخاري والجلالين. توفي يوم 27ربيع الأول سنة 1036هـ/1626م. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج3، ص ص: 1273-1275. الكتاني (جعفر بن إدريس)، سلوة الأنفاس، ج2، ص ص: 341-345. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص: 196.

5- عن هذا الموضوع راجع: الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي، ختم الأولياء، وضع حواشيه: عبد الوارث محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ص: 28-31. عبد الرحمن الوكيل، هذه هي الصوفية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1979، ص: 127.

6- **الحكيم الترمذي تـ(حوالي 320هـ/932م):** محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، صوفي عالم بالحديث وأصول الدين. من أهل ترمذ التي نفي منها بسبب تصنيفه كتابا خالف فيه ما عليه أهلها فشهدوا عليه بالكفر. من تصانيفه: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، والمحاجة والمجادلة. ينظر: السبكي، الطبقات، ج2، ص: 245. السلمي، الطبقات الصوفية، ص: 70.

آخر الزمان وارثا خاتِمًا لا وليٌّ بعده، فكان أَوّلُ هذا الأمر نبيٌّ وهو آدم عليه السلام، وآخرُه نبي وهو عيسى عليه السلام؛ أعني نبوءة الاختصاص"[1].

"وأما ختم الولاية المحمدية: فهوّ لرجل من العرب أكرمِها أصلا، وهذا في زماننا اليوم موجود عُرفت به سنة خمسة وتسعين وخمسمائة[2]. رأيت العلاَمة التي أخفاها الحق فيه عن عيون عباده وكشفها لي بمدينة فاس، حتى رأيت خاتم الولاية، وهو خاتم النبوءة المطلقة لا يعلم به كثير من الناس، وقد/و147ظ/ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق سبحانه في سيره. وكما أن الله ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم نبوءة التشريع، كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الإرث المحمدي، لا التي تحصل من سائر الأنبياء. هذا معنى خاتم الولاية المحمدية. وأما خاتم الولاية العامة الذي لا يوجد بعده ولي فهو عيسى عليه السلام"[3]. هذا محصل كلامه رضي الله عنه والله أعلم.

وابن العربي الحاتمي كما علمت، رجل كبير القدر عظيم الخطر، صدر المشايخ جبل راسخ، غامض الكلام بين المرام ملامتيٌّ حقيقةً، وعند مضغ[4] كلامه يجد المُجِدُّ لذة طعامه، دُوّنت الكتب بمقالاته، ومُلئت الدفاتر بغريب منازلاته.

وانظر رحمك الله قول دائرة الأولياء: الولاية أفضل وأوسع من دائرة النبوءة. فَفَهِمَ منه بعض الناس أنه يفضل الولي على النبي، وعلِمَ العارفون بالله مرادَه، وصرّح به هو في بعض المواضع أيضا أنّ كل نبي وليّ، ودائرة ولايته التي هي الدهش في شهود كبرياء عظمة ذات الله، أفضل وأوسع من دائرة نبوءته التي تتعلق بالتشريع والإخبار عن الله. إذ العلم بالله أعظم من العلم بأمر الله، إذ العلم فضيلته على حسب معلومه، والتبليغ والإِخبار عن الله ينقطع بانقطاع أجَله. وولايةُ باطنِه لا ينقطع مددها أبد الآباد، في البقاء الطويل الأخروي، فما بالك بعُمر الدنيا ومع ما فيه من التناهي والقصر بتفتير، وينقطع بعض الأحيان/و148و/الخبر، والمعرفة لا تحول ولا تزول.

1- القيصري، التعليق على تائية ابن الفارض، ص: 99.

2- الموافق لـــ1199م.

3- القيصري، التعليق على تائية ابن الفارض، ص ص: 99-100.

4- "مضع" في (ب) وهو تصحيف.

فهكذا: إنْ كان مُراده رضي الله عنه، ختم الولاية المحمدية بشيخه رضي الله عنه، بلوغُه الدرجة العلية في سلّم الولاية، إذ للولاية ذروة[1] وسنام وانتهاء وختام، وهو الخلافة للنبي صلى الله عليه وسلم. فإنْ كان وارثا تلك المرتبة الشريفة والمنزلة العظيمة المنيفة، خصوصية له دون أولياء زمانه، من غير حصر لها بعده يُمْكِنْ. لأن الوارث الغوث الكامل، واحدا بعد واحد من غير تعدّد، لأنّ ذلك المقام لا يتعدّد وغيره من الأولياء رضي الله عنهم، وورثة الأنبياء عليهم السلام يتعددون، وكل وارث على قدم موروثه من الأنبياء في مرتبته ومكانته عند الله، كما قال الشيخ الجليل سيدي عُمر ابن الفارض رضي الله عنه في «تائيته»[2]: [الطويل]

فعالمنا منهم نبي ومَن دعا ** إلى الله منا قام بالرُّسُلِية

وعارفُنا في وقتنا الأحمدي مِن ** أُولي العزم منهم آخذٌ بالعزيمة

إلى آخره. ووارث الرسول صلى الله عليه وسلم، مولانا محمد هو الذي يمدّ الجميع، فعظّموه وقدّموه بالاتفاق، فأمّهم واخترق بهم السبع الطباق، حتى زاد فوق السدرة التي إليها ينتهون، وختم السلّم الذي إليه يعرجون ويصعدون، ولو زاد أحدهم قدر أنملة لاحترق جملة. فإن انتقل هذا الوارث استخلف أقربهم إليهم البكري الصديقي، وأما إنْ أراد ذلك المقام ينقطع ولا يبلغه أحد من أولياء الله، فهيهات هيهات حتى تطلُع ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[3]، والظن/و148ظ/به رضي الله عنه ما قدّمناه.

وتأمّل هذا اللفظ وهو ختم "الولاية المحمدية"، تجده يترجمون أشياخهم به كما قال محي الدين في شيخه، وبه ترجم القيصري أيضا شيخه محي الدين. وقد ذكر الشيخ سيدي مصطفى البكري الصديقي المصري[4] وغيره رضي الله عنهم، وإنْ كان قال تلك المقالة في حال البداية، غلُوٌ[5] في تعظيم الشيخ ومدحه، كما يقع لكثير من المريدين، فيُسلَّم للمريد غلوُّه في شيخه ما لم

1- "دروة" في (ب) وهو تصحيف.

2- ابن الفارض عمر، الديوان، مصر: المطبعة الميمنية، 1322هـ/1904، ص: 73. خليل سلمان، السيل العارض في نقض تائية ابن الفارض، بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1998، ص: 185.

3- الأنعام، الآية 158.

4- **البكري الصديقي تـ(1048هـ/1638م):** أحمد بن زين العابدين بن محمد بن علي البكري الصديقي المصري الشافعي؛ صوفي أديب شاعر، من آثاره: روضة المشتاق وبهجة العشاق، حسن الوصف في تفسير سورة الصف. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص: 143.

5- جاء على هامش المخطوط: "قف: قائل الولاية اختمت بابن عربي، عظّم بها وسلّم للمريد غلوه في شيخه ما لم ينسبه لمحذور ".

يَنسبه لمحذور، كأن يخرجه عن دائر البشرية ويقول باللاهوت[1] دون الناسوت[2]، كقول النصارى في المسيح عليه السلام، أو يزعم نزول كتابه وتشريع عليه، أو خروج من غير تفصيل، أو بلوغ مرتبة ينقص بها المشايخ ونحو ذلك. فهذا لا وجه له، على أنه كلّ كلام يؤخذ منه ويردّ إلاّ كلام خير البشر صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه: [ما أتانا عن الله وعن الرسول قبلناه، وعلى الرأس والعين جعلناه][3]، وما أتانا عن الصحابة نأخذ ونترك، وما أتانا عن التابعين هم رجال ونحن رجال. قالوا: ونقولوا إلى آخره. لكن إنْ وقَعَتْ من الرجال المعتبَرين، كهذا الإمام الصدر الهمام الشيخ ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه، ينبغي تأويلها أو تسليمها إلى أهلها، هم أدرى بكنهها رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم.

هذا ونسلم أضعافا مضاعفة وآلافا على كافة إخوتي، وبيتُ القصيد من أهلي وأحبّتي، ويسلّم عليكم بسلامنا مَن هنا مِنَ الأحبّة في الله جملة، ويسلّم على جملتكم الشجرة/و149و/ الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، الشرفاء ساداتنا أولوا القدر العالي، مولاي مَحمد ومولاي علي ومولاي الطيب. ولا ينبغي لكم أن تتركوهم سُدًى، لأنهم مجدّون في الروضة الشريفة المباركة، وأسأل منكم صالح الدعاء لله والسلام، انتهى. مُجِلٌّ قدركم محمد بوزيان بن أحمد الغريسي المعسكري خرطه الله في زمرة الشهود والعيان؛ آمين بمنّه وكرمه يا رب العالمين.

[ترجمة بوزيان الغريسي]: ومنهم الولي الناسك العارف السالك، الذي حباه بصحبة[4] هذا الشيخ المبارك الملك الديان، سيدي محمد بوزيان بن أحمد الغريسي، صاحب هذا الجواب المذكور، وكاتبٌ للشيخ مشكور، وأسّ الطريقة الدرقاوية غير منكور. له فضيلة الصحبة، وإمامة الحضرة العلية الجناب، الفسيحة الرِّحبة، حَسنُ السيرة، صفي القصد والسريرة، ميمون الناقبة محمود العاقبة، عليّ القدر كبير الشأن والخطر. شفاء القلوب من الأحزان والهموم، وبقية الخصوص والعموم، ثابت القدم وافر العلم المفيد، سواء صَمَتَ أو تكلّم. المبجَّل المعظّم عند مَنْ تأخّر ومَنْ تقدّم، خاتمة أهل التصوف والعرفان، مِنَ الطبقة العلية القدر والشأن عند الله وعند

1- **اللاهوت**: عبارة عن أسرار المعاني، ومرجعه للملكوت. ينظر: ابن عجيبة، التشوف، ص: 63.

2-**الناسوت**: عبارة عن حسّ الأواني، ومرجعه للملك. ينظر: ابن عجيبة، التشوف، ص: 63.

3- ساقطة من (ب).

4- "بمحبة" في (ب) وهو تحريف.

الشيخ وكافة الإخوان، يجيب ويُجَاب، وحاجبٌ وحِجاب. ارتضاه الشيخ رضي الله عنه كاتبا عليه ونائبا عنه في كل الأسئلة الواردة والأمور التي تستند إليه. إنْ حدّث الشيخ فهو راويه، وإن رَبّى باللّحظة فهو حَبْرٌ يساويه. ألّف في وفاة شيخه تأليفا حسنا[1]/و149ظ/وضمّنه من المعارف والعوارف ما يعجز عن مثله صاحب «المباحث الأصلية».

مات فجأة صبيحة يوم الجمعة[2]، وكان في حاضرة فاس إذ ذاك وباءٌ[3] تمكن منه بعد صلاة الظهر[4] في مسجد جامعها الأعظم الكائن بعدوة القرويين. وأحسّ مِن نفسه ضررا كبيرا، فراودوه بعض الحاضرين مِن إخوانه في الله، أَنْ يحملوه لداره فأبى إلا أن يُصلِّيَ العصر، فأُغمي عليه قُرْبَ صلاتها. ولم يشعر أَنْ حملوه فمات في تلك الليلة -أي صباحها- ودفن خارج باب الفتوح، وما أظنّ أحدًا تخلّف عن جنازته مِنْ أهل فاس، إلاّ عاجزَ القُدرة عن المشي رأسا. حُمِل لقبره بالذكر صفوفا محفوفة بجنازته، وأقيمت الحضرة على قبره بعد دفنه ساعة فلكية، وتمزّقت قلوب العارفين وأهل العلم على فقده، نفعنا الله بمحبته ومحبة أهل الله من بعده.

وقد أرّخنا وفاته في تأليفنا المسمى بـــ«أقوال المطاعين في الطعن والطواعين»، ونص الكلام فيه: "ومات بهذا الوباء، أبو البركات العارف بالله الواقف عند حدود الله، المتمسك بسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلميذ القطب الرباني والفرد الصمداني، شذولي الزمان المربي سيدي ومولاي العربي الدرقاوي، ألا وهو سيدي أبو زيان الحمدي الغريسي. فاجتمع في جنازته خلق كثير وجمٌّ غفير، وأُقيمت الحضرة على قبره أياما. ومن صفاته السنية وشمائله المحصية بالله تعالى، أنه كان ملازما للجلوس بمسجد جامع القرويين، معتكفا على الصلاة فيه، بحيث لا تفوته صلاة من الصلوات الخمس يوما ما، ولا يترك زيارة/و150و/إخوانه وأولاد شيخه وأحفاده مع كِبَر سِنِّه. وكان متواضعا لسائر عباد الله، خاشعا ذاكرا لله تعالى سرًّا وعلانية. له أخلاق حسنة انفرد بها في وقته وعن أبناء جنسه، وَعّاظٌ لمن خالطه، لا يحبّ إلا في الله ولا يبغض إلا في الله، لا يخشى سطوة ظالم ولا تأخذه في الله لومة لائم، طُعن يوم الخميس

1- التأليف هو: "كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار" وهذا المؤلّف ما زال مخطوطا قابعا في الخزائن المغربية لم يحقق بعد، وتوجد منه نسختان؛ نسخة بالخزانة الحسنية المغربية ضمن مجموع مخطوط وأخرى بالمكتبة الوطنية المغربية.

2- يوم الجمعة 5 ربيع الأول عام نيف وسبعين وألفين/حوالي 1854م.

3- توفي أبو زيان الغريسي بوباء الكوليرا الذي ضرب المغرب ما بين سنتي 1854-1855م والذي توفي فيه ما بين 300 و400 ضحية في اليوم الواحد. ينظر: العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 231.

4- جاء على هامش المخطوط: "قف: على سيدي بوزيان المعسكري كاتب الشيخ، مات بوباء كان بمحروسة فاس".

قبل صلاة العصر بشيء قليل، وأرادوا حمله لبيته فأبى إلا إذا صلّى العصر، فلما غُشي عليه حُمل ومات صباح يوم الجمعة"[1].

[**ترجمة محمد بن إبراهيم**]: ومن أهل التربية في وطن الراشدية غريس، رفيقهم في ذلك الحال، ورئيس الحازم المشمّر عن ساق الجّد؛ المدرك حقيقة الفقد والوجد، حسنُ الخُلُق والشمائل، وَسَمِيُّ المحامد والفضائل، مَنْ يستشهد الإخوان بكلامه، ويتمنّون إدارك حاله ومقاله. كثير الفائدة كريم المائدة، صاحب قريحة وعلم وذوق صريح وفهم، خادما لإخوانه في الله، ومُنْفِقًا عليهم ابتغاء مرضات الله. كان كثير الجولان والوقوف في الزيارة على الإخوان، يجعل عامًا مع أولاده وعاما يزور فيه ضريح شيخه وأحفاده، مَنْ بُحُبِّه أَهيمُ؛ سيدي محمد بن إبراهيم[2]. مات زائرا في أثناء الطريق بمدينة تلمسان، ودفن بضريح الغوث أبي مدين في مدينة العبّاد، نفع الله ببركاته الحاضر والباد.

[**تفضيل المؤلف للطريقة الدرقاوية على غيرها**]: وكل هؤلاء السادات الذين ذكرناهم، لهم القدم الراسخ في التربية والطريق الشاذلية، وكل واحد له تلامذ وأتباع، ظهر بهم الانتفاع في لبس الخرقة والانقطاع إلى الله، والملاذة[3] مِن عنصر/و150ظ/قوي. إذْ ما في البحر يظهر في جداوله وأنهاره، ومَن أراد استفاء عددهم فليطالع كتاب العارف بالله سيدي محمد بوزيان الحمد الغريسي المذكور آنفا[4]، فقد ذكر منهم عدّة الخاصة الذين قاموا مع الشيخ ولازموا صحبته، فمنهم مَن سبقَهُ في الموت ومنهم مَنْ تأخّر عنه.

وأما عامة أصحاب الشيخ، وعامة أصحاب أصحابه، فلا يحويهم ديوان منصوص، ولا يأويهم مكان مخصوص. بل مردُّ هذه الطائفة سَرى في سائر البلدان فلا يختص به إقليم البيضان[5] ولا أقاليم السند[6] والهند والصين والسودان، فقد نَسخت هذه الطريقة الطريقيتين[7] النقشبندية

1- العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 231.

2- ذكره المشرفي في نزهة الابصار وقال بأنه كان مقيما ببلاد غريس. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 125.

3- "الملادة" في (ب) وهو تصحيف.

4- الغريسي، كنز الأسرار، ص ص: 63-100.

5- **البيضان**: فرع من بني عمرو، من حرب يقيمون بنجد. ينظر: كحالة، معجم قبائل العرب، ج1، ص: 114.

6- **السند**: بلاد كبيرة فيما بين ديار فارس وديار الهند. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص: 327.

7- جاء على هامش المخطوط: "قف: الطريقة الدرقاوية نسخت ما عداها من الطرق في الإسم لا في الرسم".

والشاذلية -أعني في الاسم لا في الرسم- لا نرى مِن محاسن أصحاب هذه الطائفة وجِدّهم واجتهادهم.

ولهم سَيَمٌ وبهجة لا تخفى على ذي بصيرة، وطريقُهم طريق جدٍّ واجتهاد، قريب فَتْحُها كثير خيرها، بعيدة عن الريّاء والسمعة، وكانت ناسخة للطريقتين وتُعرَف بالطائفة الدرقاوية، من بين سائر الطوائف. فهي أحقّ للاقتداء بأهلها، لأنهم التزموا متابعة السُنّة وجُنّبوا عن ارتكاب البدعة. وبذلك كثّر الله سبحانه سوادهم ودمّر حسّادهم، فإذا قلتَ: الطائفة الدرقاوية صارت عِلْمًا على المتمسك بالطريقتين معا، والله يفضل من شاء على من شاء بمحض جوده وكرمه، ولا تَقُلْ لي بماذا نلت جيّدها، فما يقال لفضل الله: ذا بكم؛ لولا العناية كان الأمر فيه على حدّ السواء، فذو نُطْقٍ كَذِي بُكْمٍ[1].

[***الدرقاوية في معسكر ووهران ومستغانم***]: وحواضر واسطة المغرب مشحونة بأهل هذه الطريقة/و151و/وكذا ثغورها. ففي المعسكر رجال أبرار من هذه الطائفة، أخيارٌ لا يفترون عن الهَيْلَلَةِ[2] آناء الليل وأطراف النهار. وفي غريس وطن الراشدية لا يَخْلُ منهم دَوّار، وإنْ وصفتَهم تجدهم أهل إيثار متمسكين بسنّة النبي المختار صلى الله عليه وسلم، لا يحيدون عن السُنّة والآثار، يعرفُهم وينعتُهم مِن سِماهم، ولبس الخرقة من سيماهم كثير. وفي ثغر وهران ودِيرِه مَنْ تجده منهم مُجِدًّا في سيره، يُعرَف الدرقاوي بالمرقّعة مِن دون غيره. وحول ثغر مستغانيم أفراد وأقطاب، اتّصل جذبهم بالسلوك وسلوكهم بالجذب، ولكل واحد تعتريه[3] أحوالٌ وأسبابٌ، مع كثرة العلماء العاملين، وتسليمهم الأمر لكلّ مَنِ انتمى لهذه الطائفة، فإنهم من أولياء الله الكاملين.

[ذكر ابن حوا المستغانمي]: فسيدي عبد الله بن حوا[4]، انعقد إجماع العلماء على صلاحه وولايته، وكونه من أهل الكشف الرباني والسرّ الصمداني، فلقد قال لأبيه يوم قَدِمَ

1- وكما أكد صاحب المخطوط بأن الدرقاوية نسخت غيرها من الطرق الأخرى. فإننا نجده في نزهة الأبصار يقر بالنتيجة نفسها. ينظر: العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص: 125.

2- **الهيللة:** المقصود بها قولهم لا إله إلا الله، وما زالت إلى يوم الناس هذا منتشرة بين أبناء المنطقة خاصة في البوادي.

3- "تعتريهم" في (ب) وهو تحريف.

4- **ابن حوا المستغانمي (كان حيا 1167هـ/1754م):** محمد بن قدار بن الجيلاني بن عبد الله بن أحمد التوجيني نسبا، المستغانمي منشأ ودارا؛ أديب، ناظم، نحوي، مؤرخ. من آثاره: غوثيته الكبرى في الشدائد، منظومة سبيكة العقيان. ينظر: الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص ص: 363-365. عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور، المطبعة العلاوية، ط1، 1996، ص ص: 43-44.

لوهران في نفرٍ مِن إخوانه في الله وأهل طريقته درقاوة ومنهم الوالد رحمه الله: إنكم قَدِمْتُمْ لتسريحي من السجن، وأنا وافد على ربي غدا إن شاء الله أو[1] بعد غد ولو تبذلون الأموال الكثيرة، لأني ختمت صحيح البخاري في السجن البارحة، وحضر المصطفى صلى الله عليه وسلم[2] وقال لي: يا عبد الله، إنّي ضيفك اليوم وأنت غدا إن شاء الله ضيفي. هذا الذي سمعته من شفتَيِ الوالد المرحوم بكرم الله الحي القيوم ورَوَيْتُه عنه.

[قصيدة ابن حوا المستغانمي في ذكر علماء عصره][3]: رأيتُ أن أثبت هذه الكرامة لهذا العالم الحَبر، كرامةً لصاحب الترجمة وهو شيخ هذه الطائفة الدرقاوية/و151ظ/ولهذا العالم شَرَفُ أعراق وشرفُ أخلاق. فمِن شرف أعراقه أنّ جدّه ابن حواء الرقَيِقْ بالتصغير، كان من فحول العلماء العاملين، وله قصيدة ذَكر فيها علماء وقته المشاهير بالصلاح والسرّ والخيرات[4]. رأيتُ أنْ أثبتها هنا تبرّكا بمن ذُكر فيها[5]، لعلّ الله يأخذ بيدنا في معاشنا وسفرنا وحضرنا ومعادنا، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير. وفاتحة مطلعها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. يقول العبد الحقير، المعترف بالذنب والتقصير، الراجي عفو ربه القدير، محمد بن محمد الشهير بابن حواء، بن قدّار بن الجيلاني، بن عبد الله بن أحمد غفر الله ذنبه[6] وستر عيبه آمين: [الرجز]

يقول عبد الكريم مذنبُ ** سليلَ مَنْ للأُمّ حوّا يُنسَب
مِن بعد حمد الله ذي الجلال ** سبحانه المنعم ذي الافضال[7]

1- "و" في (ب) وهو تحريف.

2- جاء على هامش المخطوط: "قف: على حضور النبي صلى الله عليه وسلم لختم البخاري في سجن وهران ومقالته للذي خَتَمه".

3- جاءت هذه المنظومة ثرية وغنية بأعلام الجزائر خلال القرن الثاني عشر الهجري؛ ولم نوفق لتخريج كامل من ذُكِر فيها من الأعلام والتعريف بهم، نظرا لقلة الأخبار وشحها عنهم أحيانا، وانعدامها أحيانا أخرى.

4- القصيدة هي: "سبيكة العقيان فيمن في مستغانم وأحوازها من العلماء الأعيان"؛ وقد ذكرها القاضي حشلاف كاملة في سلسلة الأصول وعليها سيكون معتمدنا في مقارنتها بما أورده صاحب المخطوط وتصحيح البعض كلما دعت الضرورة. ينظر: حشلاف عبد الله بن محمد بن الشارف بن علي، كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، تونس: المطبعة التونسية، 1929، ص ص: 103-109. وقد قدم للسبيكة الصادق بن قادة وعرّف بها. ينظر: الصادق بن قادة: "الشيخ بن حواء المستغانمي ومنظومته سبيكة العقيان-مكانتها في إنتاج المناقب الجهوية"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2-3، ص ص: 73- 83. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 352.

5- جاء على هامش المخطوط: "قف: لخبر سيدي عبد الله بن حواء هذه القصيدة الآتية عدّد فيها علماء مستغانم وأحوازها المشاهير بالصلاح والخير، ومنهم صاحب الحاشية مصطفى الرماصي التي حذا حذوها بناني الفاسي".

6- ساقطة من (ب).

7- "الافصال" في (ب) وهو تصحيف.

ثم على خير الأنام الخاتم ** أزكى الصلاة والسلام الدائم
محمد وآله وصحبه ** والمقتدي بهديه وحزبه
يا مخبر[1] الناظم عن مثواه ** وما به الزمان قد رماه[2]
ذكرت من عيوبه أنواعا ** تملأ[3] من كثرته الأسماعا
لا سيما قلّة أصل[4] العلم ** وأهله وذا أشدّ واصْم[5]
فها أنا مناظل عن وطني ** ومولدي ومَرضَعي وسكني
/و152و/بما يراه مُنْصِفٌ إنْ سمعا ** حالتَها الأولى جوابا مُقنعا
فإن أَرْدَتْ عيبها قديما ** وحادثا فإنَّ ذا التعميما
يَردُّهُ عليك أهل القِدم ** بما رأوا من جيشها العرمرم
أعني جيوش الله أهل العلم ** والعمل الذاهب قبل اليوم
وإنْ أردتَ شِينَها بالحادث ** في هذه الأزمنة الكوارث
فإنني أقول في جوابك ** صدقتَ يا أُخَيِّ في خطابك
فالصادق المصدوق حقًّا أخبرا ** بكل ما ذكرتهُ وأكثرا
مَن قلّة العلم وفيض الجهل ** وغيرها مِنْ موجبات الهول
وأنصِتْ الآن إليَّ واستفِدْ ** مينَ ما أدركتُ فيها وفُقِد
وها أنا أقول في أَعْلاَمِك ** فحالها السابق عن أيامك
عهدي بذاك الوادي فيه جُلّه ** مِنْ علماء الدين نُور الملّة
أعني بذلك الوادي مستغانم ** مَنْ أُبدلت أفراحُها مآتم
أدركتُهم جماعة مُسنّة ** جمًّا غفيرا تابعا للسُنَّة
قد أخذوا العلوم عن مشايخ ** لهم أساس في الصلاح راسخ

1- "المخبر" وليس "يا مخبر" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 103.
2- فيه بيت ساقط عند المشرفي يلي هذا البيت مباشرة وقد أورده حشلاف وهو: أطنبت في ازدرائه وشينه **بما يرى عموشة في عينه ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 103.
3- "تمج" عند حشلاف. ينظر: المصدر نفسه، ص: 103.
4- "أهل" عند حشلاف. ينظر: نفسه، ص: 103.
5- "وصم" عند حشلاف. ينظر: نفسه، ص: 103.

فاقتبسوا من نورهم أنوارَا ** وورثوا من سرّهم أسرارا
بِحَسَبِ التطهير للطّوية ** مِن مُفسدات ثمرات النّية
لِمَا انْطَوَوا على خصالٍ جَمّة ** كانوا بحقٍّ أُمناء الأمة
/و152ظ/أولّهم في السِنِّ والشيوخ ** والأخذ والتعليم والرسوخ
العالم الجليل شيخ الملّة ** شهرته في الناس بابن قلّة
وابن سعيد (المالفي[1])[2] الصالح ** وناصر الشريعة ابن السائح[3]
والعالم المنسوب[4] للحميدي ** والشيخ محي الدين صافي الودّ
وفرعُه المبارك الميمونُ ** محبنا السنوسي[5] المصون
وصنوه العلاّمة الكبير ** لا سيما الحديث والتفسير
وفرع هذا العالم القيزاني ** أعني الفقيه عابد الرحمان
وشيخنا الخطيب نجل يدّر ** أكرم به من حافظ محرّر
واللؤلؤي شيخنا المنوّر ** سليل حوى الصالح المعتبرُ
وشيخنا قاضي القضاة الماهر ** خاتمة الموثقين الطاهر
وشيخنا المنقبض الشريف ** بالدايجي نعته معروف
وشيخنا المولوع بالتفسير ** وكُتُبَ الصفة والتذكير
شهرته بجده الشهير ** فقل سليل الصالح الكبير
وفارس الأصول والبيان ** والنحو والعروض[6] والميزان
والمنطق الأصعب والكلام ** الفائق المشايخ العظام
محي العلوم الدارسات بالبلد ** شيخي المحقق الإمام المعتمد

1- "الحلفي" في الأصل والتصحيح من حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 104. المستغانمي، مستغانم وأحوازها، ص: 53.

2- **ابن سعيد المالفي المستغانمي**: من أولاد مالف الواقعة بالجنوب الغربي لمدينة مستغانم التي نشأ بها وتعلم. من آثاره: تفسير القرآن الكريم (المطول والمختصر)، تحفة الألباب. توفي في ق13هـ/19م. ينظر: المستغانمي، مستغانم وأحوازها، ص: 53.

3- **محمد بن السائح**: كان ضريحه تحت باب الجراد بمستغانم الثكنة قديما ونقل إلى حي تيجديت. ينظر: المستغانمي، مستغانم، ص: 94.

4- "المشهور" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 104.

5- لعله يقصد السنوسي عالم تلمسان المتوفى سنة 895هـ/1490م. ينظر: المستغانمي، مستغانم وأحوازها، ص: 37.

6- "والتصريف" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 104.

محمد المشهور جده بتا ** زرولةٍ أكرم[1] بذاك مخبتا[2]
/و153و/وفارس الخلاصة المشهور ** بين الورى بجده جنفور
والعالم المنسوب للمغراوي ** لجملة من الفنون حاوي
والعالم المبارك اليقضان ** شهرته بجَدّه دحمان
وشيخنا المحقق المهذِّب ** مسائل الخلاف وهو الطيب
والعالم المصطبر المحتاط ** شهرته بجده زنطاط[3]
والعالم المحبب المحمود ** شهرته بجده جليد
وشيخنا الجامع للعلوم ** الثاقب الإدراك والفهوم
أعني بذاك شيخنا النحريرا ** التادلي الصالح الشهيرا
(ودرة)[4] الأسلاك والعقيان[5] ** محقق العلوم والقرآن
خاتمة الجهابذ والنقاد ** العابد المعدود في الأفراد
الفائق التجويد والرواية ** بالسبع (والعشر)[6] والدراية
سيدنا وشيخنا محمد ** ابن علي المغربي الأوحدُ
والحنفي اللازم التعبد ** نجل عليوة الفقيه المهتدي
قلت: وقد أدركت (بذا الوادي)[7] ** وغيرها بحوز هذا الوادي
مشايخا أئمة حفّاظا ** متّبعين علمهم أيقاظا
أولهم شيخ شيوخ العصر ** غرّة جمع علماء القطر
خاتمة الحفّاظ والنقّاد ** شمس بدور الأقويا الأفراد

1- "أعظم" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 104.
2- **مخبتا:** من الفعل أخبت بمعنى: خضع وخشع وتواضع له؛ اطمأنَّ وسكن. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 605.
3- "نرنطاط" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 104.
4- "ودروة" في الأصل وهي لاتناسب المعنى والتصحيح من سلسلة الأصول. ينظر: المصدر نفسه، ص: 105.
5- **العقيان:** الذهب الخالص. ينظر: الزيات، معجم اللغة، ص: 618.
6- "والعشرين" في الأصل والصحيح ما أثبتناه لأن الناظم يقصد تضلّع مترجمه في القراءات السبع والعشر وليس العشرين؛ لأن القراءات معروفة على أنها سبع أو عشر. وقد وردت عند حشلاف "العشر". ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 105.
7- "بالبوادي" في الأصل وهي لاتناسب العام لمعنى القصيدة؛ والتصحيح من سلسلة الأصول. ينظر: المصدر نفسه، ص: 105.

/و153ظ/فاتح قفل المشكلات الصمُّ ** سراج غَبِشَ[1] الظلمات الدُهَم[2]
رؤيس جمْع علما الغواص ** المصطفى محمد الرماص[3]
والعالم المشهور بالزقاق ** المتقن القرآن باتفاق
والعالم المحبب الصوفي ** العابد المجتهد الولي
بركة العُبّاد والبقاع ** عبّاسها المشهور[4] بالوزّاع
والعالم الزاهد في دنياه ** العابد الخائف من مولاه
الصالح المشتهر الوليُّ ** أحمد نجل عامر البرجيُ
والعالم العامل ذو الإجلال ** محمد نجل أبي جلال
والعالم المنتخب المشهور ** بالعلم والولاية المبرور
محمد المنعوت بالمختار ** وهو بالشليل ذو اشتهار
ونحوهم ممّن له مقاربه ** من حالهم تكسبه مناسبه
ولنجعل الختام للأعيان ** بالمخلص[5] المجتهد اليقضان
العالم المحدّث الأستاذ ** العابد المعروف[6] في الأفذاذ
الوالد المشهور بابن حوّا[7] ** أتحفَ ربيَ الجميع عفوا
فهؤلاء العلماء السُبّاق ** وغيرهم ممن له التحاق
كانوا شموس الأرض والبدورا ** فأكسبوها زينة ونورا
حتى عرا[8] شموسها الكسوفُ ** وخال في بدُورِها الخسوف

1- **غبش:** خالط بياضُ الفجرِ بقيَّةَ ظُلمَتِه. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1592.

2- **الظلمات الدهم:** من الدهمة وهي الظلمة الشديدة السواد. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 300.

3- **مصطفى الرماصي:** مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي القلعي المستغانمي؛ تعلم على أشهر علماء وقته كالعالم عمرو التراري المشرفي. له: حاشية على شرح التتائي. توفي رحمه الله سنة 1136هـ/1724م. ينظر: الزاوي الجيلالي والمشرفي بن عبد الكريم: "نافذة على بعض علماء معسكر رثاء الرماصي لشيخه عمرو التراري المشرفي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2-3، ص ص:89-90.

4- "المنسوب" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 105.

5- "المخصص" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 105.

6- "المعدود" عند حشلاف. ينظر: المصدر نفسه، ص: 105.

7- وهو والد الناظم والذي لم نعثر له ترجمة فيما وقع بين أيدينا من كتب التراجم.

8- **عرا:** يَعرو، اعْرُ، عَرْوًا، فهو عارٍ؛ أصابه وغشيه. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1490.

/و154و/صِيحَ[1] بِدُورِ هؤلاء الأكابر ** الرحلة الرحلة للمقابر
فارتحلوا وسَدَلُوا الحجابا ** عن سرّهم وغلقوا الأبوابا
فانقرضوا ومالهم من خالفِ ** يحوز إرثَ تالد[2] وطارفِ
إلا قليلا من نُسيس يُرتشف ** من غير نفع مِن بحور مَن سلف
وانقلبت بعدهم الرسوم ** مظلمة ينوح فيها البُوم[3]
يقول في نواحه الحنين ** المُهطل الدمع من العيون
مفتّت القلوب والأكباد ** آهاً على الجهابذ النقاد
آها على ورثة الرسول ** آها على الخلائق[4] العدول
آهاً على أشياخها الحُمّال ** ألوية العلوم والأعمال
آهاً على أوعية العلوم ** آهاً على ثواقب الفهوم
آهاً على أخيارها الذين ** كانوا على المنهاج سالكين
آهاً على حكامها الذين ** كانوا بحق الله عادلين
لا سيما قاضي القضاة الهُدهدي ** سليل منصور سراج البلد
إذْ كان في العدل الغريب آية ** كُبرى وفي الورع والولاية
حتى [حكى][5] أشياخ هذا الأفق ** بأنه ختام أهل الحق
آهاً على سيوفها الذينا ** كانوا لطريق الزيغ طامسينا
آهاً على عمالها الذينا ** كانوا ببعض الخير عاملين
/و154ظ/آهاً على عُبّادها الذين ** كانوا على السلوك دائبينا
آهاً على طلابها الذين ** كانوا على الإخاء مجمعينا
آهاً على دُرّاسها الذين ** كانوا على الإخلاص عاملين

1- "أضحى" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 105.
2- **تالد:** قديم موروث غير مكتسب، عكس طارف. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 297.
3- **البوم:** طائر يضرب به المثل في التشاؤوم. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 1430.
4- "الحقائق" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 106.
5- ساقطة من الأصل والزيادة من سلسلة الأصول. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 106. بن قادة، الشيخ بن حواء، ص: 78.

بالصدق في الطلب والقريحة ** والحب والأدب والنصيحة
آهاً على قرّائها الذين ** كانوا على التجويد قائمينا
آها على قوامها[1] الذين ** كانوا لِثْنِ الليل راكبين
آهاً على صوامها الذين ** كانوا لنار النفس مطفئينا
قد لحقوا بالله أجمعونا ** إنّا إلى الإله راجعونا
سبحان من له الوجود الدائم ** الباقي بعد مَهلَك[2] العوالم
فرحمة الله تعالى الباقية ** عليهم والبركات الساميّة
أما شيوخ هذه الجماعه ** فحبذا عصابة البراعه
في العلم والتحقيق والدراية ** وشهرة الصلاح والولاية
والنصح والتعليم[3] والتحصيل ** وسردُهم يفضي إلى التطويل
لأنهم في قوة الإشهاد[4] ** كالشمس في رابعة النهار
فالشمس لا تحتاج للمصباح ** والبحر لا يحتاج للإيضاح[5]
أسأل ربي الكريم الرحمة ** لي ولهم ولجميع الأمة
آهاً على انقراضهم وفقدهم ** آهاً على على تخلّفي من بعدهم
/و155/آهاً على الغربة والتوحش ** من أهل هذا (الجيل)[6] والتشوش
لله در العامري الشاعر ** وهو من صحب الرسول الطاهر
في قوله قد ذهب الذين ** أنشد لما صادف الفُتونا
وكانت السيدة الجليلة ** عائشة البكرية النبيلة
تنشد[7] هذا البيت لما طالا ** عمرها وصادفت أهوالا

1- يقصد قيامهم الليل.
2- "هلك" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 107.
3- "في التعليم" في (ب) و عند حشلاف. ينظر: المصدر نفسه، ص: 107.
4- "قصوة الاشتهار" عند حشلاف. ينظر: نفسه، ص: 107.
5- "والفجر لا يحتاج للصباح" عند حشلاف. ينظر: نفسه، ص: 107.
6- "الجيش" في الأصل وهي لا تناسب المعنى والصحيح ما أثبتناه اعتمادا على سلسلة الأصول. ينظر: نفسه، ص: 107.
7- "تشهد" عند حشلاف. ينظر: نفسه، ص: 107.

وإنني أقول يا نفسي اصبري ** على زمان يرتمي كسقر
بشرر كالقصر[1] غير فاتر ** كما جرى للسادة الأكابر
في سالف الأزمنة السوالف[2] ** مع وفور الخير والمواقف
فكيف في هذا الزمان المفضع ** قد نُشرت فيه بنود البدع
وصارت المناكر الشنيعه ** كأنها شريعة متبوعه
وانهمك الأنام في الإهمال ** واعتلقوا[3] بطرق الضلال
وأُسكتت السنة الشريفة[4] ** مخافة الإيقاع والوقيعة
فلا يُرى لمنكَر مغيّرٌ ** ولا لحقٍّ مُهمَلٍ منتصر
ومن يرد لدينه السلامه ** وخفة الهموم والندامه
فلينفرد ببيته مصطبرا ** مقتنعا بما له قد قُدِّرا
وليترك العوالق[5] اللواتي ** تشغل عن تزود الممات
وليلزم الصمت إذا لم يقدر ** وليقتصر على النفور المضمر
/و155ظ/أسأل ربي الكريم العونا ** على وما المطلوب شرعا منا
فإن أحطتَ بالذي تقدما ** مِن حالها بهؤلاء العلما
فلا تكن بعدُ عليها عائبا ** وكن عليها باكيا ونادبا
إذْ لا تُعاب مرأة الجمال ** بموت مالها من الرجال
وإنما تعاب بالطلاق ** بسبب النشوز[6] والشقاق
وهذه المدينة المصابة ** بفقدها لهذه العصابة
حُقّ لها النحيب والبكاء ** على خميسٍ عَمَّه الفناء

1- **بشرر كالقصر**: الشَّرَرُ: وَاحِدَتُهُ شَرَرَةٌ. وَالشِّرَارُ: وَاحِدَتُهُ شَرَارَةٌ، وَهُوَ مَا تَطَايَرَ مِنَ النَّارِ فِي كُلِّ جِهَةٍ، وَالْقَصْرُ الْبِنَاءُ الْعَالِي. وَقِيلَ: الْقَصْرُ جَمْعُ قَصْرَةٍ وهي اَلْقَصْرَةُ: الْوَاحِدَةُ مِنْ جَزْلِ الْحَطَبِ الْغَلِيظِ. ينظر: القرطبي، الجامع، ج21، ص: 509.

2- "السوابق" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 107.

3- "وأعلنوا" عند حشلاف. ينظر: المصدر نفسه، ص: 107.

4- "الشريعة" في (ب) وهو تحريف.

5- "العلائق" عند حشلاف. ينظر: المصدر نفسه، ص: 108.

6- "النشور" في (ب) وهو تصحيف.

كانت كأنها العروس تجلى ** بهم فصارت أيما[1] وثكلى[2]
فَعزِّها عن موت هذا السلف ** وابكِ عليهم معها وانصرف
يا أسفا على زمان سلفا ** لنا بها مع كرام حنفا
فنسأل الكريم ذا الجلال ** تفريجه عنها بخير الحال
يا أسفا على قرار باسِم ** قد لقبوه مسكة الغنائم
لجمعه شرائط[3] التديّن ** ومؤون العيش والتفطن
كان لها بقطرها مناقب ** سارت بها الركبان والركائب
كانت قرارا طيبا مباركا ** تَغبِطُه إلى الممات داركا
رافلة[4] في حلل الفلاح ** كالعلم والعمل والصلاح
حتى اعتفاها[5] عاصف الدهور ** فابتز[6] ما بها من الحبور[7]
/و156و/كانت مهادا نومُه هنيّ ** وعيشه ميسّر رخيّ
معتوقة لمن رآها آخذه ** بلبّه وللقلوب جابذه
كانت معشش علوم وطلبْ ** وأولياء ومَن بدينه هرب
كانت رياضا ظلّها ظليل ** والآن فهي عن لظى بديل
مشحونة بالبدع القواصم ** والظلم والمناكر العظائم
مرفوعة أشرارها ارتفاعا ** أكسب أهل خيرها اتضاعا[8]
ليس لها في العقلا خليل ** قد عِيف منها الشم والتقبيل
حتى يقول مَن له طبع: أبِي ** يا ليتني منها كعنقا مُغرب

1- **أيما**: أرملة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 145.
2-**ثكلى**: الفاقدة لابنها. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 322.
3- "شرائع" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 108.
4- رافلة: مفتخرة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 921.
5- "اعتكفها" عند حشلاف. ينظر: حشلاف، سلسلة الأصول، ص: 108.
6- "فاهتز" عند حشلاف. ينظر: المصدر نفسه، ص: 108.
7- **الحبور**: السرور والكرامة. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 434.
8- **اتضاعا**: ذلّة وخضوعا. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2456.

وإنما جعلها قراره ** لموجبات تُثبت اضطراره
فنسأل الكريم ذا الجلال ** تفريجه عنها بجبر الحال
قد انتهت سبيكة العُقيان ** في ذكر مَن أدركت من أعيان
بالبلد المحروس مستغانم ** وحوله مِن سادة أعاظم
فالحمد لله على إتمامه ** والشكر لله على إنعامه
أبياتها تُضبط خوف الزيد ** فيها أو النقص لبعد قصد
أسأله عز وجل رشدا ** يزجي إلى طرق النجاة العبدا
وأن يُنيل عبده الذليلا ** مع ذويه سِتره الجميلا
وأن يكون ختمُه تكليما ** مستحضرا معتقدا تصميما
/و156ظ/بقول لا إله إلا الله ** محمد رسوله الأواه
محتجبا مِن فتن الشيطان ** ملتحفا بالعفو والرضوان
بجاهه العظيم عند الله ** وكل ذي وجاهة وجاه
صلى عليه الله ذو الجلال ** وآله وصحبه الأبطال
ما سجعت في إيكها[1] الأطيار ** وقلست[2] أمواجها البحار

[انتقال الطريقة الدرقاوية إلى إفريقية ومصر]:

فلمولاي العربي الدرقاوي جنود عديدة بواسطة المغرب من تلمسان إلى إفريقية، وزحف وليّ الله سيدي محمد المدني من تلاميذه إلى ما وراءها[3]، فاتخذ هنالك زاوية تصدى بها للتربية بالإذن، فتسلسلت الطوائف بذلك الإقليم تِلًّا وسحرا إلى مدينة ابن لقمان[4] وهي مصر. فذهب إليها تلميذه ولي الله الصوفي، سيدي الشعبيني بعد وفاته[5]، واتخذ بها زاوية للذكر حتى اشتهر بها شهرة عظيمة. وتصدى للتربية فظهرت على يديه النتائج العظام، وفاض سرُّ الله من

1- **إيكها**: جمع أَيْكَة، وهي الشجر الملتفّ الكثير. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 3191.
2- **قلس**: يقال قلس البحر بالزبد قذف به. ينظر: الزيات، المعجم الوسيط، ص: 754.
3- جاء على هامش المخطوط: "قف: المدني من تلامذة الشيخ كانت له زاوية وراء القيروان".
4- **ابن لقمان (612-693هـ/1215-1294م)**: إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني الأسعردي ثم المصري. أصله من إسعرد وتتلمذ للبهاء زهير بمصر، وولي ديوان الإنشاء بها للأيوبيين وكان رئيس الموقعين. ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج6، ص: 324.
5- جاء على هامش المخطوط: "قف: الشعبيني من تلامذة سيدي محمد المدني اتخذ زاوية بمصر النيل المبارك".

مدده، حتى ملأت الطائفة الدرقاوية مدينة مصر وسائر عملها النيلي والريفي، الذي يُسلَك منه لخط الشام.

[ما وقع بين الباجوري والشعبيني]:

وسبب ظهور الطريقة به وانتشارها، أنه غاب يوما فذهبت طائفته وعمّرت الحضرة في الحسنين، أي في مقامهما. فاتفق ذلك أن شيخ الجماعة بمصر الإمام (الباجوري)[1] الشافعي، جاء زائرا للمقام الشريف فوجدهم يتواجدون قيّاما، ومُنشدهم يتلو الإنشادات على حسب العادة المألوفة، فجعل يضربهم بالدرّة حتى قطع/و157و/لهم الحضرة، وما تركوها حتى أوجعهم ضربا؛ مُستَنَدُ علمِه: أنها بدعة. ولما قدم أستاذهم الشعبيني[2] من غَيْبَتِهِ شَكَوْا إليه الفقراء بما وقع لهم مع الباجوري، عالم أهل السنة وإمامهم بالحضرة الأزهرية. فرفع الدعوة به لسلطان الوقت (مَحمد علي[3])[4]، وأمره بإحضار علماء تلك الحضرة، بحيث لم يبق منهم من هو موسوم بالعلم، فاجتمعوا بأمر الأمير لمناظرته، فلقّنه الله الحُجّة حتى اعترفوا بأنه على الحقّ، وأنه على الطريق الشاذلية التي هي دائرة على السنّة. وخرج لقوّاد عسكره الأمر المولوي، أنّهم إذا وجدوا في طوافهم ليلا شعبيني مِن هذه الطائفة الدرقاوية، لا يقبضون عليه ولا يسجنونه. كما خرج الأمر من عند السلطان أنه لا يدخل من طائفته جند العسكر كرها ولا عن رضى، فهم ملازمون لخدمة مولاهم هو وليّهم ومولاهم.

انظر لتلامذة الشيخ المبارك ومريدي مريده، فقد أخذ الله بأيديهم ونالوا بوسيلته الحظ الأوفر وجلّهم علماء، فلا ينكر طريقته وولايته العظمى، إلا أكمه البصر والبصيرة، وبمجرد اجتماع العالم معه ونظرته فيه، يجذبه لحضرة ربه ويصير صديقا؛ فهو الحجر المغنطيس[5]، فو الله

1- "البجوري" في (أ) و"اليجوري" في (ب) والصحيح ما أثبتناه؛ وسيتم تصحيحها فيما يأتي دون الإشارة لذلك. ينظر: مبارك علي باشا، الخطط التوفيقية، ج4، ص: 40 وج9، ص ص: 2-3. كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص: 57. الزركلي، الأعلام، ج1، 71.

2- جاء على هامش المخطوط: "قف: على ما وقع بين شيخ الجماعة بمصر وبين الإمام الشعبيني الدرقاوي".

3- "محمد وعلي" في الأصل والصحيح ما أثبتناه.

4- **محمد علي (1184-1265هـ/1770-1849م):** باشا بن إبراهيم آغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر. ألباني الأصل مستعرب، أصبح واليا على مصر سنة 1220هـ/1805م، وقد جعلت له الدولة العثمانية حكم مصر وراثيا سنة 1257هـ/1841م. ينظر: محمد درى بك الحكيم، كتاب النخبة الدرّية في مآثر العائلة المحمدية العلوية، بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، 1307هـ/ 1889م، ص ص: 10-16، ووفاته فيه سنة 1266هـ/ 1850م، ينظر: ص: 19. محمد بك فريد، البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، 1307هـ/ 1889م، ص ص: 3- 183.

5- جاء على هامش المخطوط: "قف: على تلامذة الشيخ مولاي العربي أخذ الله بأيديهم لكمال شيخهم".

لو أتاه أعرابيا يبول على ساقه لأوصله مِن حينه، فشقيّ الإيمان هو الذي يُكذّب في ولايته أو يقول بزندقته، فمَن حرَمه الله منَعه مِن شمّ رائحته وجعَله مزكوما.

[فضل الولي الصوفي]:

قال يحي بن معاذ: الولي ريحان الله لا يشمّه إلا الصديقون، وتصل الرائحة إلى قلوبهم فيشتاقون/و157ظ/إلى مولاهم[1]. قال أبو عثمان المغربي: يجوز للولي أن يكون مشهورا، ولكن لا يكون مفتونا[2]، قيل: الصالحون في الناس قليل، والصادقون في الصالحين قليل. قال حجة الإسلام ابن السبكي رضي الله عنه: نعتقد أن طريق الشيخ الجنيد وصحبه طريقٌ مقوّم[3]. وقال أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: الصوفية أفضل من العلماء الراسخين. قال سيدي زروق: نقلتُ عن بعض شيوخي، أنه قد اختُلف في حقيقة التصوف في نحو ألفي قول[4]، كلها راجعة لصدق التوجه إلى الله بما يرضى.

وتصوُّفُ كل أحد على قدر صدقه، وتصوف كل زمان على قدر أهله، والصادق مَن أفرد قلبه وقالبه لربه. قيل: إنّ نسبة التصوف من الدين كنسبة الروح من الجسد. قال ابن الجلاب: مَن عامَلَ الخلق والخالق بالحقيقة فهو زنديق، ومن عامل الخلق والخالق بالشريعة فهو سُنّي، ومن عامل الخلق بالشريعة والخالق بالحقيقة فهو صوفي. والصوفي أخص من السني لأنه قد تحقق، انتهى.

ومولاي العربي رضي الله عنه، كان مع الخلق بظاهر الشريعة، ومع الخالق بباطن الحقيقة فهو صوفي كامل، فلا يؤذيه بلسانه إلا جاهل بحقيقته، وإذاية الولي مع الجهل به مثل إذايته بعد المعرفة به بل أولى من ذلك. قال بعض العارفين: واعلم أن إذاية الولي مع الجهل به، أهون من إذايته بعد المعرفة، وإن الله تعالى يقول لوليه: قد استخلفتك في خلقي وشققت لك شِقَّ رحمتي، فكن أرحم بهم من أنفسهم.

1- القشيري، الرسالة، ص: 295.

2- المصدر نفسه، (بتحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة: دار الشعب، 1989)، ص: 438.

3- البناني، حاشية العلامة البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي على متن جمع الجوامع للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي، ج2، بيروت: دار الفكر، 1972، ص: 423.

4- زروق، القواعد، ص: 13. وقد نقلها المؤلف بتصرف.

[ما وقع للشاذلي مع ابن البراء]: وانظر حكاية أبي/و158و/الحسن الشاذلي[1] مع ابن البراء[2]، وأبو الحسن[3] قطبُ زمانه وفريد عصره ووقته وأوانه. وسلّط الله عليه لما قدم إفريقية قاضي الجماعة بتونس[4]، وذلك أنه سكن بها الشيخ، وكان له دارا ومسجد يسمى مسجد البلاط[5]، وأظهر الله على يده الجمّ الغفير من الأولياء، فسعى بهم القاضي أبو القاسم بن البراء إلى السلطان أبي زكرياء[6] وقال له: إنّ هنا رجلا مغربيا يدعو الشّرف، والناس يرون أنه الفاطمي، وقد خرّب إفريقية وادّعى في دين الله بأشياء باطنية فَتِنَ الناس بها وشوّش اعتقاداتهم، وإنْ لم ننظر فيه خرّب البلاد وشتت العباد[7].

وكان أخو السلطان، أبو عبد الله اللحياني من أجلّ تلامذة الشيخ، وكان حاجب السلطان أبو عبد الله بن الحسن من أعيان أصحابه، فأمر السلطان بإحضاره وإحضار القاضي والعلماء، فأُحضروا واجتمع أهل البلاد على باب السلطان. فتكلّم الشيخ وأفاض الله على لسانه من الحقائق ما بهر المجلس، وصار السلطان يقول مِن وراء الستارة: هذا ولي الله لا طاقة لكم به خلّوا سبيله. فقال ابن البراء: والله إنْ خرج هذا على الناس في هذا الوقت حتى يقومُ عليّ وعليك، لكن ليُقِم هنا إلى غدٍ، فأخذ جارية السلطان التي كان مشغوفا بها، رجع وماتت.

مِن حينها فأمر السلطان بخروجه، فباع الشيخ داره وتوجّه للمشرق في سفينة، فكتب فيه ابن البراء إلى السلطان والي أمير إسكندرية، أنّه قد توجه إليكم رجل يدّعي أنّه الفاطمي، وهو يخرّب/و158ظ/البلاد؛ احبسوه[8]. فلما وصل الشيخ الإسكندرية، حُبس إلى أن أُعلم بالعقد الذي كُتب لهم وعليه شهادة عدول إفريقية. فقام من حينه ولم يقدر أحد على حبسه وخرج

1- جاء على هامش المخطوط: "قف: على ما وقع لأبي الحسن الشاذلي مع قاضي تونس".

2- **ابن البراء:** قاضي الجماعة بتونس على عهد أبي زكرياء الحفصي. ينظر: الصباغ محمد بن القاسم الحميري، درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب ذي الكعب العلي والفخر الشامخ الجلي القطب الأكبر والغوث الأشهر سيدي علي أبي الحسن الشاذلي، ص: 9.

3- يقصد أبا الحسن علي بن مخلوف الصقلي. ينظر: الصباغ، درة الأسرار، ص: 9. وسينقل المؤلف عن هذا الكتاب عدة فقرات بتصرف دون أن ينبه عليها؛ وسنشير إليها في مواضعها.

4- يقصد ابن البراء.

5- مسجد بمدينة تونس. ينظر: الصباغ، درة الأسرار، ص: 9.

6- **أبو زكريا الحفصي(598-647هـ/1202-1249م):** يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي الحفصي؛ أبو زكريا. أول من استقل بالملك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية بتونس. وكانت الخطبة لبني عبد المؤمن فقطعها، واستقل بدولته سنة 626هـ/1228م وخطب لنفسه. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص: 380-385. الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص ص: 293-295.

7- ابن الصباغ، درّة الأسرار، ص ص: 9-10.

8- المصدر نفسه، ص ص: 9-12.

من الإسكندرية إلى مصر، ثم دخل على السلطان وقال له: أنت أمرت بحبسي، فأخرج له السلطان كتاب ابن البراء قاضي تونس وشهادة عدولها، فتغير الشيخ وقام مغضبا يريد الخروج فلم يمش عشرين خطوة، حتى أخذ السلطان وجع شديد وكادت روحه تقبض، فأمر برجوعه وإكرامه، وشفّعه في تلك الساعة في كل مَن تشفَّع به، وصرفه حيث شاء مكرّما، ولم يردّ له شفاعة بعدها[1].

فرجع الشيخ إلى الإسكندرية، وتزوج بها وسكن بها مدة سنين إلى أنْ كان له بها ولدان وبنتان. ولم يَدْعُ على البراء قطّ بسوء إلى أن حجّ بعض السنين؛ بينما هو بعرفة إذ هو يقول لأصحابه: قد أذن الله لي بالدعاء على ابن البراء فأمِّنوا؛ قال: اللهم طول عمره ولا تنفعه بعلمه، واجعله في آخر عمره خادما للظلَمَة. فنفذت دعوة الشيخ فيه وفي كل مُنكِرٍ على المنتسبين إلى الله بذلك إلى يوم القيامة[2]، انتهى[3].

[إذاية الأولياء]: فسنّة الله في خلقه تسليط الخلق على الأولياء بالإذاية ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾[4]. لكنّ أكثر ذلك غالبا إنما يكون في البداية والنهاية، وقد يكون في النهاية دون البداية. قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: ولقد سلّط الله عليّ الخلق مدّة حتى ضاق ذرعي، فكنتُ أشكو إلى الله ذلك، فسمعت هاتفا يقول/و159و/في النوم: مِن علامة الصدّيقية كثرة الأعداء وقلة المبالاة بهم[5]. فقيل: إنّ صيحة العدو بسوْط الحق، يسوق بها القلوب الغافلة إليه، ومِن سِتر الله الذي يستر به أولياءه، أن يسلّط عليهم أنواع الأمراض[6] والبلاء، والناس يستشفون بهم من كل علّة ومرض[7]. وقد كان بالشيخ أبي العباس المرسي، بَرْدُ الكِلى وداء الحصى، وبجسدِه اثني عشر باسورا ولم يعلم بذلك أحد[8].

1- ابن الصباغ، درّة الأسرار، ص ص: 11-12.

2- المصدر نفسه، ص: 12.

3- انتهاء المؤلف من النقل بتصرف عن صاحب درة الأسرار.

4- الأحزاب، الآية 62. الفتح، الآية 23.

5- ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ص: 118. وقد نقل عنه المؤلف بتصرف دون التنبيه على ذلك.

6- جاء على هامش المخطوط: "قف: من سِتر الله الذي يستر به أولياءه أن يسلط عليهم أنواع الأمراض".

7- ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ص: 118.

8- المصدر نفسه، ص: 118.

[**ذكر أبي يعزى وبعضاً من أخباره**]: وقد وُشي بالشيخ أبي يعزى[1] للسلطان[2] غير ما مرّة[3]، حتى أنّه عزم عليه السلطان أن يقتله. وكان أخو السلطان يحبّ الشيخ، فلما نَزَلَ في بعض أسفاره بظاهر سلا أمر بإحضار الشيخ فقال أخو السلطان: أنا أمشي إليه وآتيكم به، وكان بينه وبين الشيخ نحو العشرين ميلا، فما خرج عن المحلّة حتى لقي الشيخ قد أتى للخليفة فلما رآه قال: أرسلك؟ قال: نعم، قال إنه يريد أن يقتلني؛ الحُكم لله لاَ لَه، سِرْ بنا إليه. فلما دخلوا على الخليفة سلّم الشيخ عليهم وقال: يا أمير المؤمنين، قال لك فلان كذا وفلان كذا يوم كذا، في موضع كذا حتى أوقعوا في قلبك منّي شيئا. وإنّ قُدرة الله لا يُعجزها شيء، وإن شئتَ أخبرك ببعض المغيبات قال: نعم. قال: تحت بساطك خريطة فيها ألف دينار، وقد قلتَ في نفسك لا أدري لبيت المال أم لا؟ وقلتَ أكتبُ له كتابا لما أردتَ إحضاري، ثم قلت أوفّر الكتاب وقد خطر ببالك الساعة إن قلتَ هل يستطيع آخر أن يسقي زرع تلك الكُدية من ذلك الوادي. قال الخليفة:/و159ظ/كان ذلك كلّه، قال: فالله تعالى قادر أن يسقيه بغير وادٍ، ثم أشار بشفتيه نحو السماء وإذا بالريح والسحاب والمطر حتى روى الزرع من فوره[4].

وكان للشيخ حمار قد تركه ببعض الأودية بقرب المحلّة فقال: يا أمير المؤمنين، وإنّ حماري الليلة يأكله السبُع. فأمر الخليفة الرجال[5] أن يربطوا حماره، وأن يحرسوه تلك الليلة كلّها ففعلوا، فلما جنّ الليل جاء السبُع فدفع عليهم فهربوا فعَقر الحمار فقتله، فلم يمض إلا قليلا من موضعه وحبَسه الله تعالى. فأُعلم الخليفة بأمر الحمار، فجاء الشيخ إلى الموضع فوجد الأسد محبوسا لا يستطيع النهوض، فضربه بيده فسقط ميتا. فلما أُعلم الخليفة قال لهم: كأنّه يضرب لكم المثل عن نفسه، وأنه إن قتلناه فالله يأخذ بثأره كما أخذ هو الثأر من الأسد. وإذا ببعض الأجناد قد لبسه جان، وأخذ رُمحا وخرج يعقر الناس وهم يفرّون منه، فلقيَه الشيخ وقال له:

1- **أبو يعزى**: يلنور بن ميمون؛ من هزمير إيروجان نواحي مراكش، وقيل: من بني صبيح من هسكورة. مات وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين سنة، ودفن بجبل إيروجان في أول شهر شوال عام 572هـ/أوائل أفريل سنة 1177م، وكان قطب عصره وأعجوبة دهره. ينظر: أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بالزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط2، 1997، ص ص: 213-222. التليدي، المطرب، ص: 282. وقد أفرد له أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الهروي الصومعي تأليفا سماه: "المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"، وخصه أبو العباس العزفي بمؤلف سماه: دعامة اليقين في زعامة المتقين.

2- ربما يقصد السلطان الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن المتوفى سنة 580هـ/1184م.

3- جاء على هامش المخطوط: "قف: على ما وقع بالشيخ أبي يعزى المغربي مع سلطان وقته".

4- التادلي، التشوف، ص ص: 213-220. والمؤلف ينقل عنه بتصرف دون أن يشير إلى ذلك وسننبه عليها في مواضعها.

5- "الرحال" في (ب) وهو تصحيف.

أَلْقِ الرّمح فألقاه. فقال: اجلسْ فجلس، فقال: اضطجع فاضطجَع، فمسح بيدِه على نفسه وقال اخرج أيها الجانّ، فخرج من فوره وبرئ الرجل. ثم نظر الشيخ فرأى بعض الواشين للسلطان به فقال: أمّا أنا فقد خلاّ الله سبيلي، وأما أنت فستُحبس في السجن حتى تموت، فكان كذلك والله يفعل ما يشاء[1].

وقد صحّ عنه بالتواتر على لسان الجمّ الغفير/و160و/ممّن يستحيل الشكّ فيهم، وفي خصوص من أخباره بالمغيبات على سبيل المكاشفة وفضيحة أسرار الخلق، وبُرء المجانين والمرضى وإشفاء ذوي العاهات والزَّمْنا[2]، والاقتيات بشجر الدفلى، وما أشبَهَ هذا مما لا يقطع بصحته إلا من رآه أو رُزِق التصديق بخرق العوائد للأولياء. فكتب له الشيخ أبو شعيب أيوب المعروف مِنْ بلاد أزمور إلى موضعه بتاغيت من بلاد أركّان مِن عمل مكناسة، والشيخ أيوب ينهاه عن هتك أستار المسلمين وكشف سرائرهم[3] وفضيحة عيوبهم. وكانت سمة الشيخ أبي يعزى ألا يستر على أحد[4].

وكتب له الشيخ أيوب[5] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ ستر مسلما ستر الله عيوبه في الدنيا والآخرة[6]. فاتقّ الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأجابه بأن قال: ليس هذا من قدرة البشر أنْ يسع أحد معرفة أسرار العباد، وإخراج عيوبهم من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، وإنما هو شيء يُلقى إليّ ويقال لي: قل واسمع الخطاب أنت آية من آيات الله، والمراد منك أن يتوب الخلق على يدك، فتأخذني غلبة وتستولي عليّ ملَكَة لا أقدر معها على الكفّ على القول: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا يا أرحم الراحمين[7]، انتهى.

فشِرار هذه الأمة من يُطلِق لسانه في خيارها وهم الصوفية رضي الله عنهم: [الطويل]

1- التادلي، التشوف، ص ص: 213-242.

2- ربما يقصد بها الأمراض المزمنة.

3- جاء على هامش المخطوط: "قف: كثير من الأولياء يكاشفون عن عيوب الناس ولا يتكلمون بها، وأبو يعزى كان لا يستر على أحد ليتوب الناس على يده، فكان ذلك جبريا لا اختياريا".

4- التادلي، التشوف، ص ص: 213-218. والمؤلف ينقل بتصرف.

5- **الشيخ أيوب**: أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري التادلي. ينظر: التشوف، ص: 214.

6- رواه المتقي الهندي في كنزه وأحمد في مسنده باختلاف في اللفظ؛ وصححه الألباني. ينظر: الهندي، كنز العمال، ص: 338، حديث رقم: 6393، والحديث رقم: 6394. ابن حنبل، المسند، ص: 1218، حديث رقم: 17084. الألباني، صحيح الجامع، ص: 1119، حديث رقم: 6577.

7- التادلي، التشوف، ص ص: 213-214. وفي هذا الموضع ينتهي النقل بتصرف من التشوف للتادلي.

/و160ظ/رجال لهم حال مع الله صادق ** فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا
تحوم على الدنيا وتبغي تزهُّدا ** فما أنت معدود هناك ولا هنا[1]

ومن تأليف الشيخ العارف بالله، المحدث الحافظ أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي رحمه الله، المسمى بـــ«تشنيف المسامع ببعض فرائد الجامع»، في كتاب تفسير القرآن العظيم في سورة البقرة قبل قوله تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[2]:

"والنقباء اثنا عشرة[3]: سعد بن عبادة، وسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وسعد بن خيثمة، والمنذر بن عمْر، وعبد الله بن رواحة، والبراء بن معرور، وأبو الهيثم بن التيهان، وأُسيد بن حُضير، وعبد الله بن عمرو بن حازم، وعبادة بن الصامت، ورافع بن مالك رضي الله عنهم، فهم الخيار من خيار هذه الأمة التي وصفها الله بالفضل.

قال القشيري في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[4] الوسط: الخيار. فجعل هذه الأمة خيار الأمم، وجعل هذه الطائفة -يعني الصوفية- خيار هذه الأمة فهم خيارُ الخيار. وكما أنّ هذه الأمة شهداء على الأمم في القيامة، فهذه الطائفة هم الأصول وعليهم المدار، وهم القطب وبهم يحفظ الله جميع الأمة، وكل مَن قَبِلَتْه قلوبهم فهو المقبول، ومن ردّته قلوبهم فهو المردود. فالحكم لهم، والصادق فراستهم، والصحيح حكمهم، والصائب نظرهم، عصم جميع الأمة عن الاجتماع عن الخطإ، وعصم/و161و/ هذه الطائفة عن الخطإ في النظر، والحكم والقَبول والردّ. ثم بناءُ أمرِهم مستندا إلى سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل ما لا يكون اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، فهم عندهم ردٌّ وصاحبه على لا شيء"؛ انتهى[5].

[**خاتمة الترجمة الرابعة**]: عاملنا الله بتصديق أوليائه، وأماتنا على حبّ أتقيائه وأصفيائه، وإلا فذنوبنا عظيمة نسأل الله المولى العظيم أن يشفّع خيارنا فينا.

من قال لي مولايَ لست له مولاً ** ولكنّما مْن جُودِه حَسَّنَ القَوْلا

1- البيتان من بحر الطويل، و لم نهتد لقائلهما.

2- البقرة، الآية 143.

3- **النقباء**: الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الأولى في السنة الثانية عشر بعد البعثة/621م. عن تفاصيل بيعة العقبة ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج1، ص: 187. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص: 351-360. ابن هشام، السيرة، ج2، ص: 56.

4- البقرة، الآية 143.

5- الفاسي عبد الرحمن بن محمد، تشنيف المسامع ببعض فرائد الجامع، مخطوط بمركز آل سعود، المغرب، رقم: 305، ص: 232-233.

وما أنا إلاَّ أصغر الخلق خِلْقَةً ** وأعظمهم ذنبا وأقبحهم فعلا[1]

ومِن نِعم الله التي أَنعمَ بها عليّ أني اعترفت لِمَنْ فوقي بالفضل ولِمَنْ دوني بالحِلم، ولنظيري بالأُخُوّة. "وقد حكي عن ابن قيس[2] أنه قال: ما عاداني أحد قطّ إلاّ أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى مني عرفتُ [له][3] قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان نظيري تفضلت عليه. فأخذه الخليل بن أحمد[4] ونظمه شعرا فقال[5]: [الطويل]

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ** وإن عظمت منه إليّ الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة: ** شريف ومشروف ومثلٌ مُقَاوِم

فأما الذي فوقي فأعرف قدره ** وأتْبَعُ فيه الحقَّ والحقَّ لازم

وأما الذي دوني فأحلم دائما ** أصون به عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا ** تفضّلت إن الفضل بالفخر حاكم"[6]

/و161ظ/والكلام في أولياء الله من أقبح الذنوب والمعاصي، لا سيما لمن لم يبلغ درجتهم، ولم يشم رائحتهم ولم يشقّ لهم غبارا. فينبغي لمن لم يصل لحقيقتهم، ولا خرج من سجن نفسه، ولا سلك سبيلهم أن يسلّمها لأهلها، ويحسم مادة الإنكار من أصلها، ويَدخل في حيّز: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"[7].

1- البيتان من بحر الطويل، ولم نهتد لقائلهما.

2- يقصد الأحنف بن قيس وقد تقدم التعريف به في الترجمة الأولى.

3- ساقطة من الأصل والزيادة من الماوردي. ينظر: الماوردي، أدب الدنيا، ص: 263.

4- **الخليل بن أحمد (100-170هـ/718-786م):** بن عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي اليحمدي. من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه، وُلد ومات في البصرة. من تصانيفه: كتاب العين، وكتاب العروض. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 314.

5- الأبيات تنسب كذلك لمحمود الوراق؛ وقد وردت عند الماوردي والطرطوشي وغيره. ينظر: الماوردي، أدب الدنيا، ص: 263. الطرطوشي أبو بكر محمد بن محمد، سراج الملوك، 1319هـ/1901م، ص: 83. محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص: 181. الغزالي، الإحياء، ج9، ص: 1662. كما وردت الأبيات ببعض الاختلاف في بعض الألفاظ وترتيب الأبيات عند صاحب العقد الفريد. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص: 142.

6- الفقرة كاملة نقلها المؤلف حرفيا عن الماوردي. ينظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص: 263.

7- رواه البخاري ومسلم وصححه الألباني. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، حديث رقم: 6019، وطرفا الحديث: 6135، 6476. مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، حديث رقم: 48. الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: 2586، ج2، ص: 692.

ومِن حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، وينتفع بالتسليم إن شاء الله كما ينتفع بالإيمان بالغيب، وبآيات الصفات من غير تأويل، كما كان أهل الصدر الأول رضي الله عنهم. وقد تكون الزلّة والسقطة من الرجل المعروف بالإصابة، ومن أمثالهم قول الأصمعي: "لا تعدم الحسناء ذامّا"[1]؛ أي عيبا. ومنها قولهم: "لكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة[2]، ولكل عالم هفوة"[3]؛ انتهى.

ومَن الذي تُرضى سجاياه كلَّها ** ولو كان حاش المصطفى فائقَ النبل[4]

وهو في ذلك معذور، فإنّ مَنْ لم يتغلغل في طريق القوم، ربما خفي عليه كثير من أحوالهم السنِية، وتواجدهم وأذواقهم الوهبية. لا جعلنا الله من المحرومين مِنَ السيْر إلى حضرة الرب جلّ جلاله، ومن التصديق والتسليم لأهله.

وإذا لم تر الهلال فسلّم ** لأناس رأوه بالأبصار[5]

"وأما من أراد الإنكار عليهم، والتكذيب لهم تفقُّهًا وفهمًا، فقد دخل/و162و/حتما في قوله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾[6]. إذ لا يَعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، ومبنى طريق القوم رضي الله عنهم كلّه على التسليم والانقياد، وتصميم الإيمان والاعتقاد، لا على الإنكار والانتقاد. قال شيخ الشيوخ ومن له القدم الثابت في كل العلوم والرسوخ، أبو العباس زروق رضي الله عنه: مبنى (العلم)[7] على البحث والتحقيق، ومبنى (الحال)[8] على التسليم والتصديق[9،10].

1- مثلٌ يُضرب لاستحالة خُلُوّ الإنسان من العيب. ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص: 213. أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 833 وص: 1469.

2- **نبوة**: تجاف عن الضريبة. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص: 19. أحمد مختار، معجم اللغة، ص: 2163.

3- ابن عبده ربه، العقد الفريد، ج3، ص: 19. ابن منظور، لسان العرب، ص: 3815.

4- البيت من بحر الطويل؛ ولعله اقتباس من قول يزيد بن محمد المهلبي: ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ** كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه. ينظر: النويري، نهاية الأرب، ج3، ص: 90. والبيت كما ذكره صاحب المخطوط لم نهتد لقائله.

5- البيت من بحر الخفيف و لم أقف على قائله وقد ذكره ابن عجيبة وغيره. ينظر: أحمد بن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح متن الحكم، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله، القاهرة: دار المعارف، ص: 73.

6- يونس، الآية 39.

7- "الفقه" في الأصل وفي كتر الأسرار؛ والصحيح ما أثبتناه. ينظر: زروق، القواعد، ص: 55. الغريسي، كتر الأسرار، ص: 60.

8- "التصوف" في الأصل والصحيح ما أثبتناه. ينظر: زروق، القواعد، ص: 55.

9- زروق، القواعد، ص: 55.

10- الغريسي، كتر الأسرار، ص: 60.

"وقال ابن البنا رضي الله عنه في «مباحثه»[1]: [الرجز]

إياك أن تطمع أن تحوزه ** من دفتر أو شِعر أو أرجوزه

وإنما تعرف منه وصفا ** لست تراه وهو ليس يخفا"

انتهى[2]. وبيان ذلك: "إذا امتثل الإنسان الأوامر، واجتنب النواهي المذكورة بين أهل التصوف، على يد شيخ كامل ناصح، أو أخٍ واعظ صالح، وتقرّب إلى الله تعالى بالنوافل حتى أَحَبَّه، فإذا أحبّه كان سمعَه وبصره وفؤاده، ويده ورجله وبعضه وكلّه، بل يعوّضه في نفسِه نفسَه، ويمنحه قربَه الحقيقي وأُنسه، فحينئذ يرى مالا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[3]"[4].

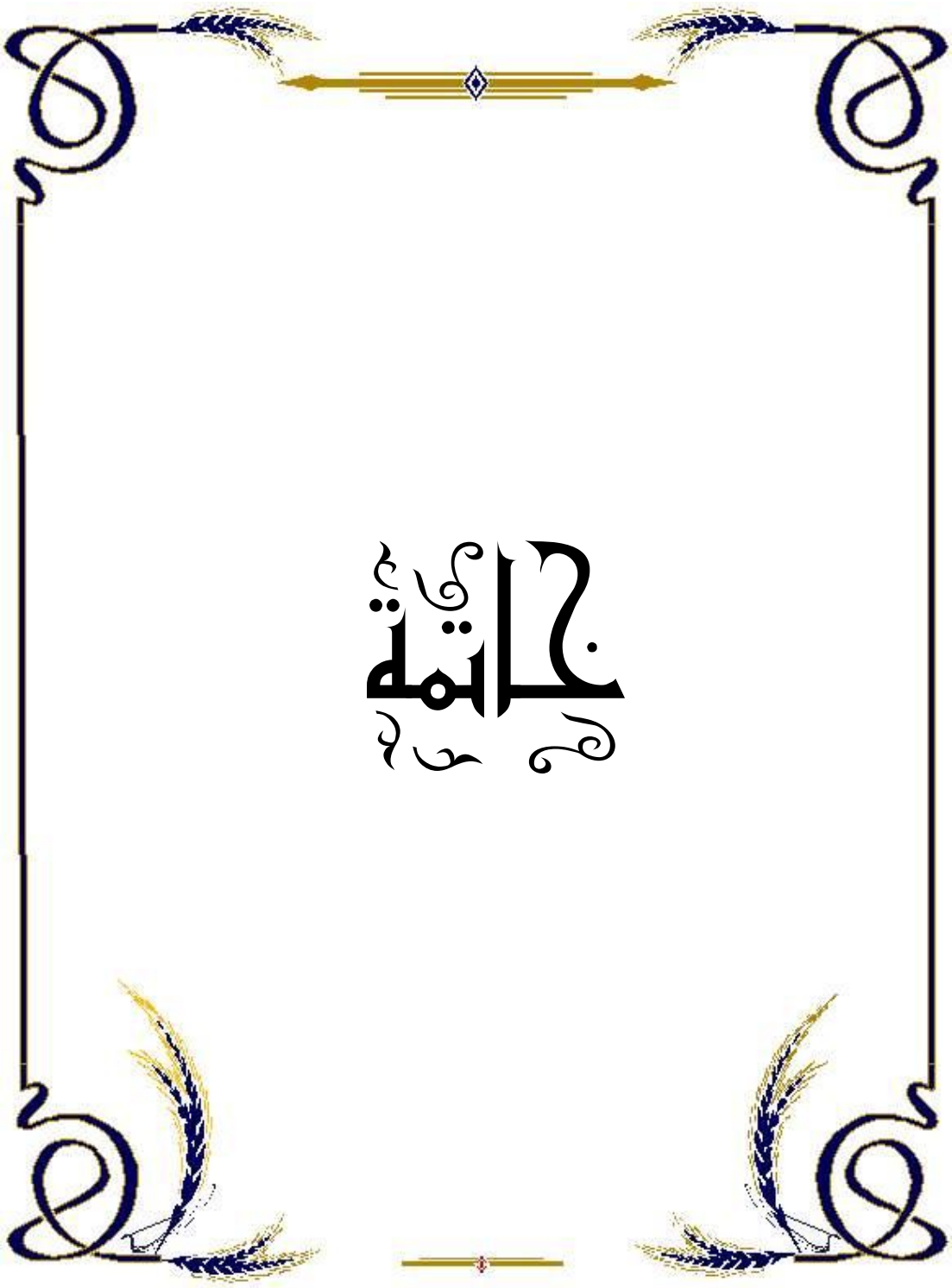
نفعنا الله بمحبّة أولياء الله عموما، وخصوصا بهذا الشيخ المبارك، وجعله حُجّة لنا تَنْفَعُنا عند الممات وبعد الممات، ووسيلة واستعدادًا عند احتياجنا للشفاعة، وأمْنًا لنا/و162ظ/يوم الفزع الأكبر آمين، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة لمن دعاه جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

1- ابن البنا، المباحث الأصلية، ص: 3. ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص: 27 وص: 29.

2- الغريسي، كنز الأسرار، ص: 60.

3- الأعراف، الآية 54.

4- الغريسي، كنز الأسرار، ص: 60.


خاتمة

تناولت هذه الأطروحة بالدراسة والتحقيق مخطوط الحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس إلى نهاية الترجمة الرابعة، من تأليف العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي دفين مدينة فاس.

ومخطوط الحسام هو عبارة عن ردّ ألّفه صاحبه لمناقشة محمد بن أحمد الكنسوسي في بعض المسائل التي عارضه فيها في كتابه الجيش العرمرم الخماسي، حيث عابها وردّها عليه بطريقة مَزج فيها بين طريقة القدامى وطريقة المحدثين في التأريخ. فجاء المخطوط مقسما في شكل منهجي إلى مقدمة وسبعة تراجم وخاتمة، أبدع فيها المشرفي إبداعا كبيرا، وأظهر أسلوبه المتين والسهل في الوقت ذاته. حيث كان يتنقل بين المصدر والآخر، مستدلا أو معللا أو متبنّيا لرأي معين، وذلك قصد ضرب خصمه الكنسوس في الصميم.

ويتضح جليا من خلال ما طرقه المشرفي من مواضيع في الجزء المحقق من مخطوط الحسام أنه كان يتمتع بحاسة تاريخية وأدبية قوية، فجاء أغلب أسلوبه التاريخي مليئا بالاستطرادات الأدبية التي تناسب توجّه عصره.

ومن خلال ردّه على الكنسوس وانتصاره للجيلاني، نجد صاحب المخطوط ينقل الكثير من المعلومات التاريخية من بعض المصادر دون أدنى تمحيص وتحقيق، خاصة في الترجمة الثانية التي نقل فيها فقرات طويلة عن الشطنوفي في بهجة الأسرار. هذا الكتاب ذكر صاحبه بين دفّتيه أخبارا غريبة وفي بعض الأحيان كانت تأخذ الطابع الخرافي الأسطوري الذي يتنافى والموضوعية التاريخية.

ويبدو أن اتهام الكنسوس للعربي بإذكاء نار الفتنة مع الأتراك سنة 1805، كان محفزا كبيرا للمشرفي في أن يشفي غليله من خصمه الكنسوس. واعتبر هذا الاتهام "إما جهلا منه بحقيقة الأمر لبعده عنه، وما كان له أن يمزّق عرض ولي الله في حياته فضلا بعد مماته بسماع لم يثبت وإما عنادا، وهو يعلم أنه من الكُمّل الذين سرى وِردُهم في المشرق والمغرب، وبلغ بالتواتُر أهل الآفاق كمالُهم".

وتدل العبارات التي أوردها المشرفي، أن الجدال الفكري بينه وبين الكنسوس قد طبعه كثيرا الانتماء الطرقي للرجلين. فالمشرفي درقاوي الطريقة التي تكنّ عداء كبيرا للتيجانية

والكنسوسي من شيوخها. فاعتبر المشرفي الردّ عليه ردٌّ على الطائفة التيجانية كلّها بقوله: "والرد على الواحد من الطائفة ردٌّ على الجميع".

إلا أن المشرفي لم يقف بردّه عند هذا الحدّ، فتنقّص من قدر شيخ الطريقة التيجانية وحطّ من قيمته إذ يقول: "فالشيخ أحمد التيجاني رضي الله عنه في علم الظاهر شيء كبير وهو سيد هذه الطائفة التيجانية، معدود مِن علماء الظاهر لا من علماء الباطن؛ إذ ليس له في علم الحقيقة وهو مطلوب حتى في علوم الشريعة".

وفي المقابل عمد إلى مدح الدرقاوية، ورَفَع من شأنهم واعتبر زاويتهم "من الزوايا التي اشتهرت بمغربنا في آخر الزمان، وغطّت شهرتها كل زاوية نصبت للذكر في أي مكان من الأمكنة أو قطر من الأقطار" والتي "كادت أن تنسخ الجميع لقيام أهلها على ساق الجدّ والاجتهاد".

ثم قدح في مدينة مراكش التي كان الكنسوس من نزلائها فقال: "الفقيه السوسي المدعو الكنسوس نزيل حمراء مراكش التي معناها بلغة المصامدة إمش مسرعا، لأنها كانت مغارة تأوي إليها اللصوص".

وما ميّز حدة الخصام بين الرجلين سبُّ المشرفي لخصمه قائلا: "وأقبح المواضع المسكونة بهذ الخط المعمور إداوْكنسوس وإداوْزكري، فأرضهم رقيقة فارغة من أوعار الجبال لها شبه بأرض الصحراء ذات شيح وفجاج ريح، أعظم كسبهم الضأن والمعز. وجلّ نبتهم القيصوم والزقوم وشوك السعدان، وغالب طباعهم مركبة من طباع جيرانهم إيلالة من كونهم لا يقرون ضيفا. ومنذ خلقهم الله لم يسلّوا والله أعلم في الجهاد سيفا...وأقبح من هذا كلّه أنّ إداوْكنسوس إذا أراد أحد الأخوين مثلا بقرة يأخذ الآخر في نظيرها جارية تخدمه مدة عمره، أو أخذ أحد الإخوة بغلة مثلا ويأخذ الآخر أباه نظيرها مثلا...فالأبوان يورثان عندهم بمنزلة المال والعبيد والأرقّاء، فما أقبحها عادة وما أشنعها إرادة".

ومن خلال دراستنا للمخطوط إلى نهاية الترجمة الرابعة، ووقوفنا على أهم مواده خَلُصْنَا إلى ما يلي:

أنه كتاب ضمّ بين طيّيه الكثير من الفوائد والأخبار، حيث أبدع فيه صاحبه وتبحر في عدة مواضيع، في التاريخ والتصوف والأدب، وطَرَقَها بأسلوب بسيط سلس لا تكلّف فيه. واعتمد فيه على مصادر سابقة له لمؤرخين وفقهاء وأدباء وشعراء ومتصوفة، إضافة لكونه كان مصدرا للكثير من الأحداث التي رواها لنا من موقع الشاهد على عصره.

كما أنه جاء قليل الأخطاء التاريخية، وكذا مادته التي جاءت عبارة عن نقول من مصادر كثيرة أشار إلى البعض وأهمل ذكر الباقي. ثم إن العديد من أحكام المشرفي على الكنسوس لم تكن موضوعية خاصة تلك التي لها علاقة بزاوية أبي الجعد.

وقد خصص المشرفي الحصة الأكبر من المخطوط للحديث عن الدولة العلوية وملوكها، وأفرد حيزا أقلّ من سابقه للحديث عن وطنه الأم الجزائر. وهو يجعلنا نركن إلى القول أن المشرفي وفي جلّ فترات المخطوط كان يكتب ويؤلف بنبرة فيها شيء من التزلّف والتودّد والتقرب إلى سلطان المغرب وقتها وهو محمد بن عبد الرحمن بن هشام، وهي السمة الغالبة على أغلب مؤلفاته.

ومع أنه كان كثير الكتابة من أجل التزلّف والتقرّب، فإن ذلك كان نتيجة واقع أَمْلَتْهُ الظروف الاجتماعية والاقتصادية للرجل. حيث عانى كثيرا من فقد المسكن والملبس والمأكل والمشرب وهو ما عبّر عنه بنفسه في الكثير من المناسبات في مخطوط الحسام وغيره من المخطوطات الأخرى.

وعلى الرغم من أن الحسام المشرفي جاء ذا نزعة صوفية قوية، فإن ذلك لم يمنعه من أن يبحر في محطات كثيرة، أظهر من خلالها براعة كبيرة في النقل والاستدلال، بل وحتى انتقاء الأقوال المناسبة التي تخدم توجهه الطرقي.

كما أمدّنا المشرفي في حسامه بمعلومات غاية في الأهمية عن الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، خاصة ما تعلق بثورات الدرقاوية ضد السلطة العثمانية، والتي تعوزنا فيها المصادر كثيرا، فجاء كلام المشرفي على اقتضابه مهما في بابه.

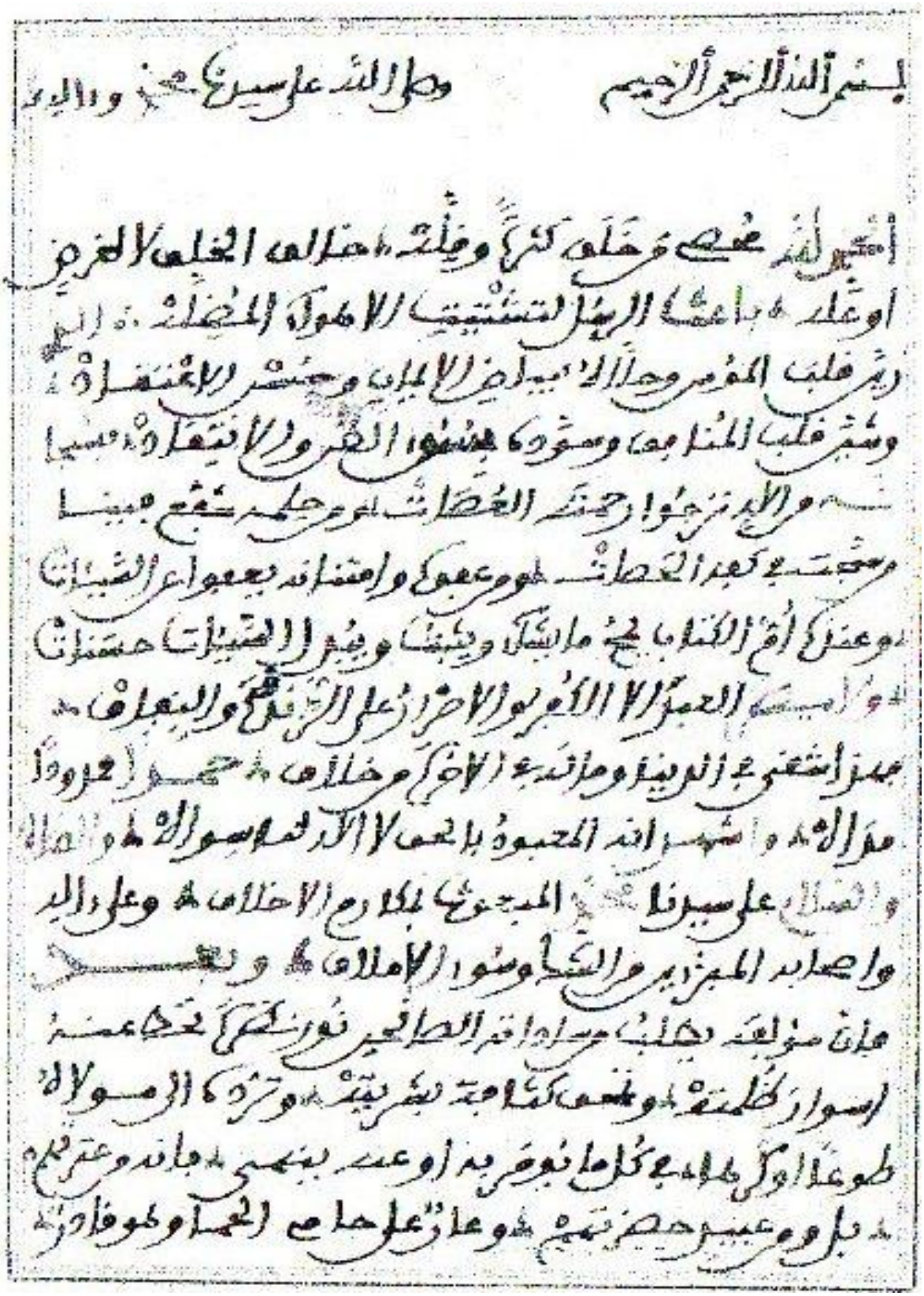
كما أنه لم يشحّ علينا في حديثه عن بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر ووصفه للمعارك الدائرة في المنطقة الغربية بين الأمير والفرنسيين، فأشار إليها إشارة عابرة لكنه استنفذ الحديث عنها قبل تأليف الحسام في كتابه طرس الأخبار.

وصفو الكلام:

إن مخطوط الحسام المشرفي يعدّ من أبرز وأجود ما ألّف المشرفي، حيث بين فيه قوة عارضته الأدبية وتمكّنه من مختلف التوجهات والتخصصات. فجاء كتابه مليئا بالاستطرادات التاريخية والأدبية والشعرية الرائعة، أكسبَتْهُ رونقا خاصا وجعلته مصدرا متميّزا في بابه.

كما أن اللغة التي كتبه بها لتدلّ دلالة واضحة على تمكّنه من اللغة العربية نحوا وبلاغة وعَروضا، وتجلّى ذلك في قلّة الأخطاء اللغوية والنحوية واستعمال الألفاظ العامية في مناسبات نادرة جدا، وهو ما جعله كتابا سهل التناول خفيفا على القارئ.

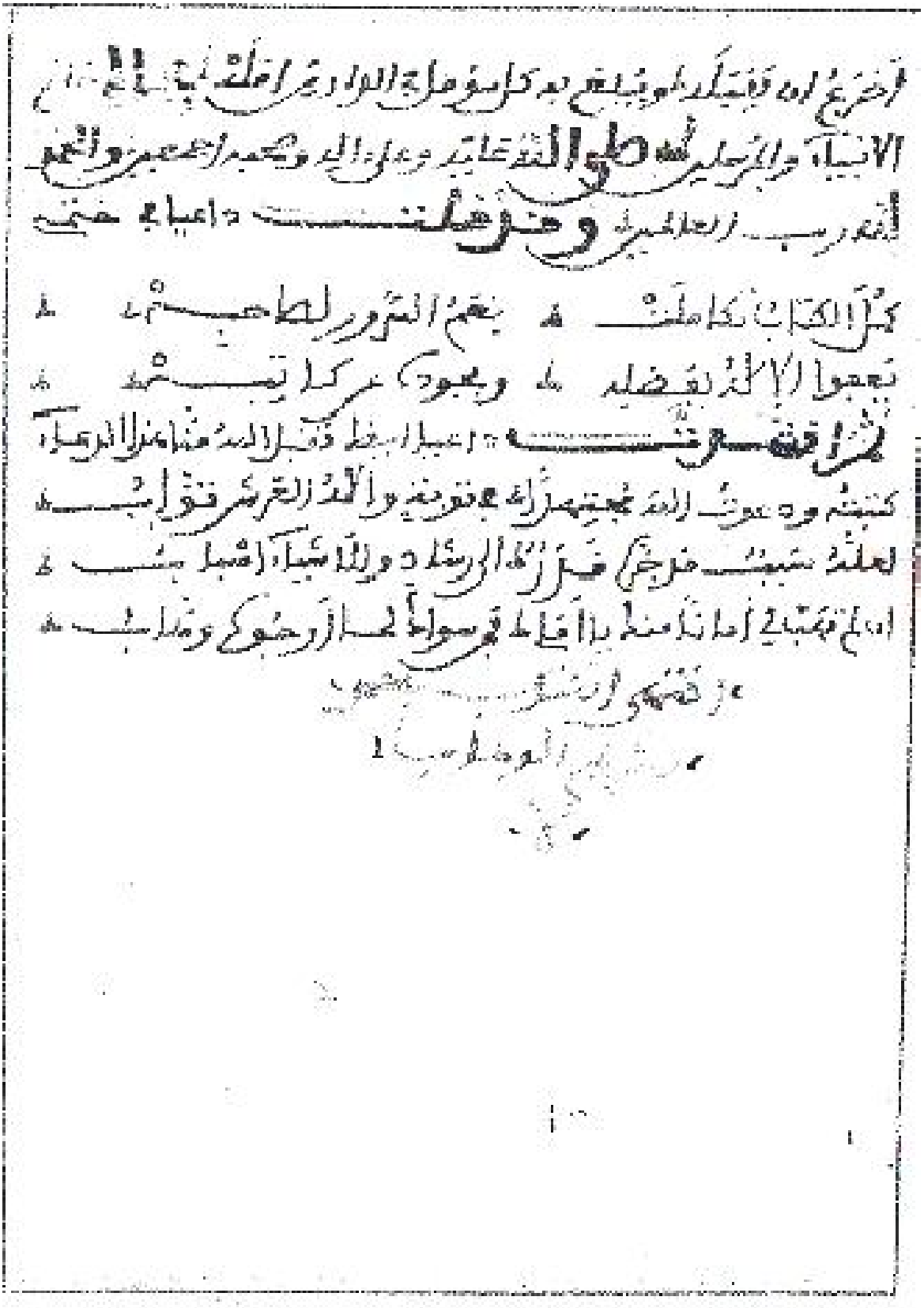
الملاحق



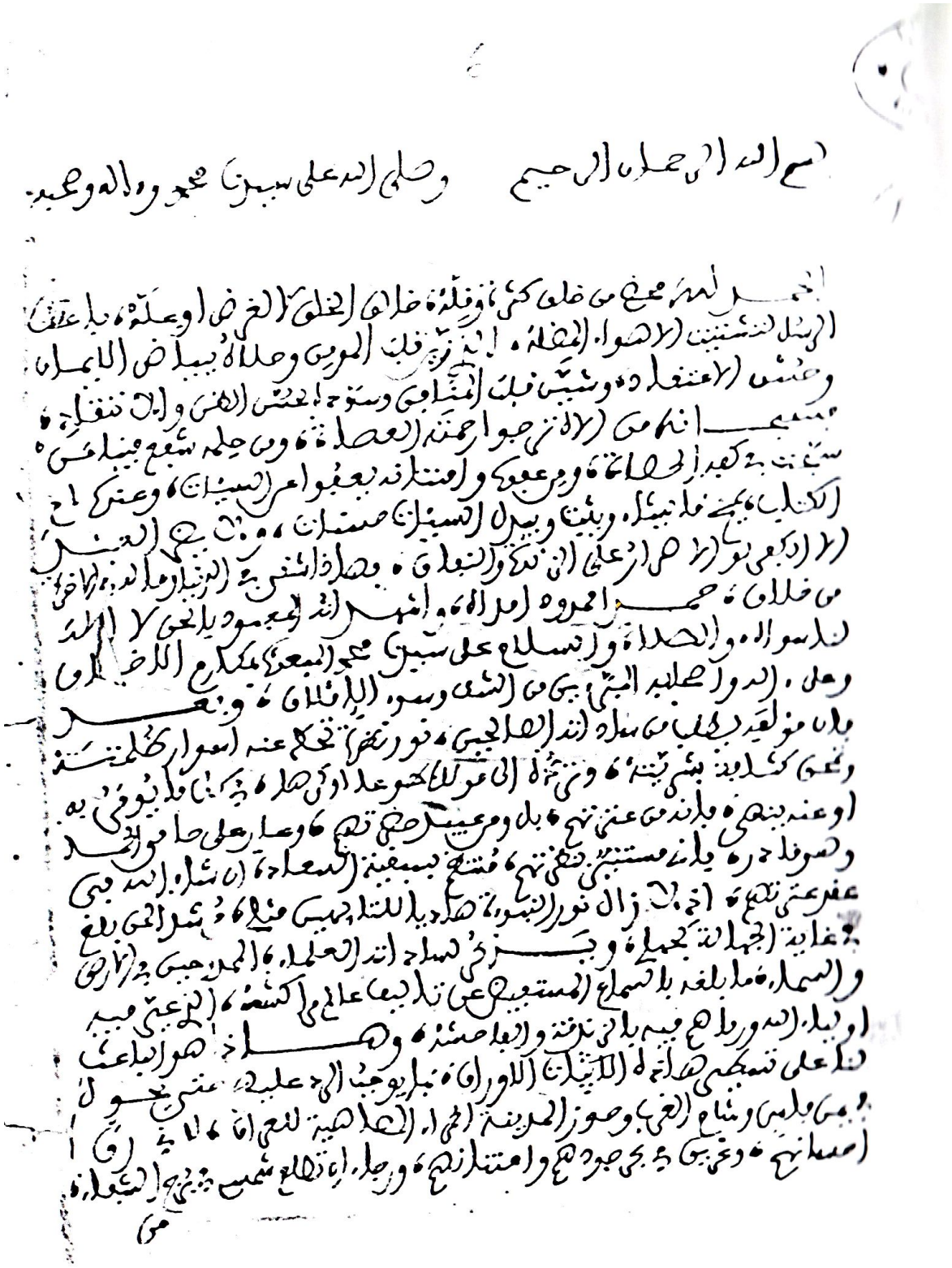
وجه الورقة الأولى من النسخة "أ" لمخطوط الحسام



وجه الورقة 16 من النسخة "أ" التي ورد فيها عنوان المخطوط.

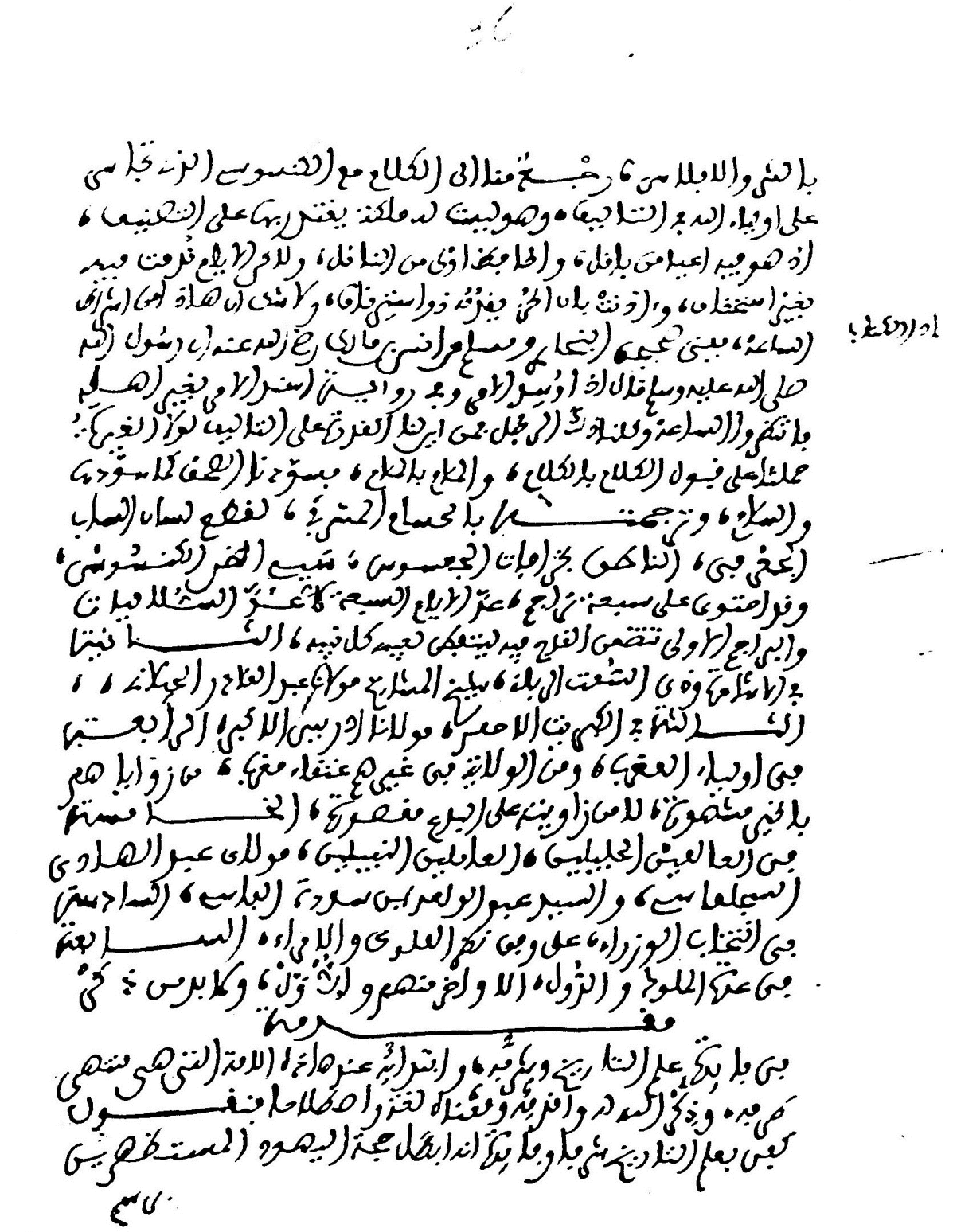


ظهر الورقة الأخير من النسخة "أ" لمخطوط الحسام



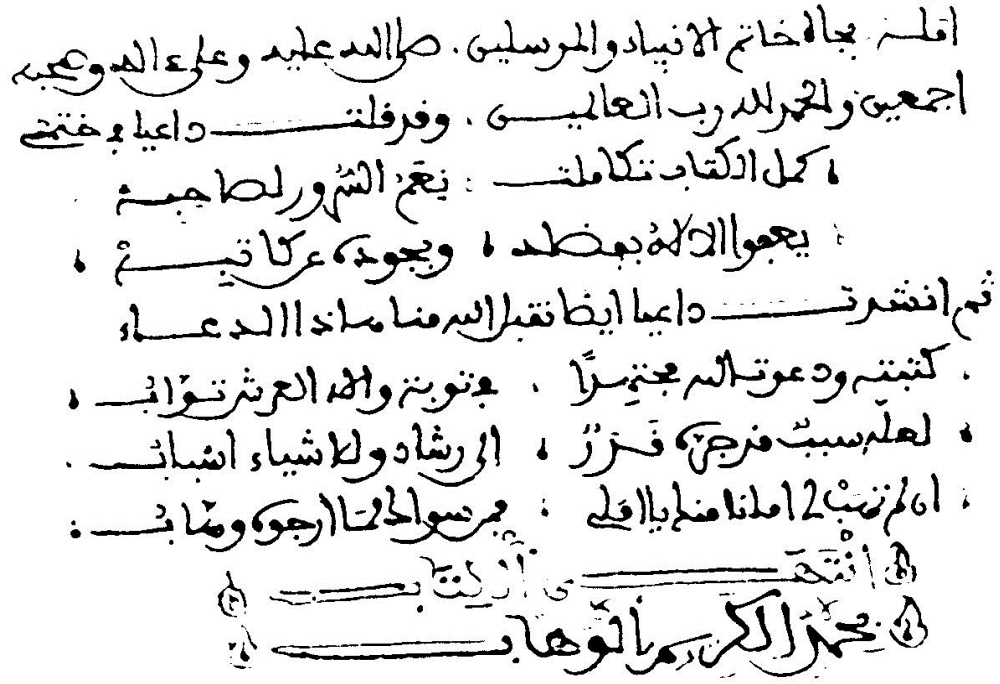
الصفحة الأولى من النسخة "ب" لمخطوط الحسام

وهي بخط الناسخ الأول



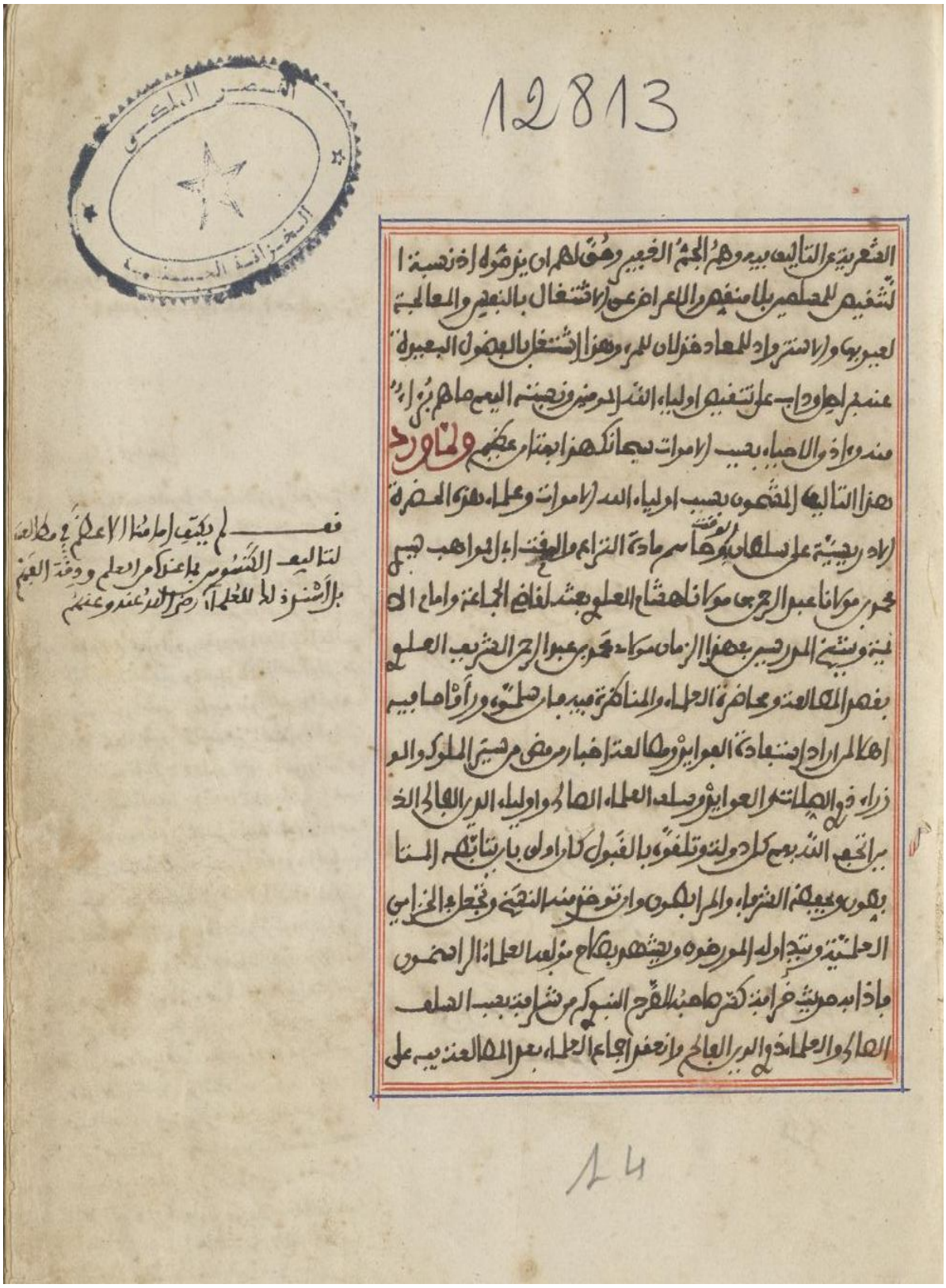
الصفحة 26 من النسخة "ب" التي ورد فيها عنوان المخطوط

وهي بخط الناسخ الأول

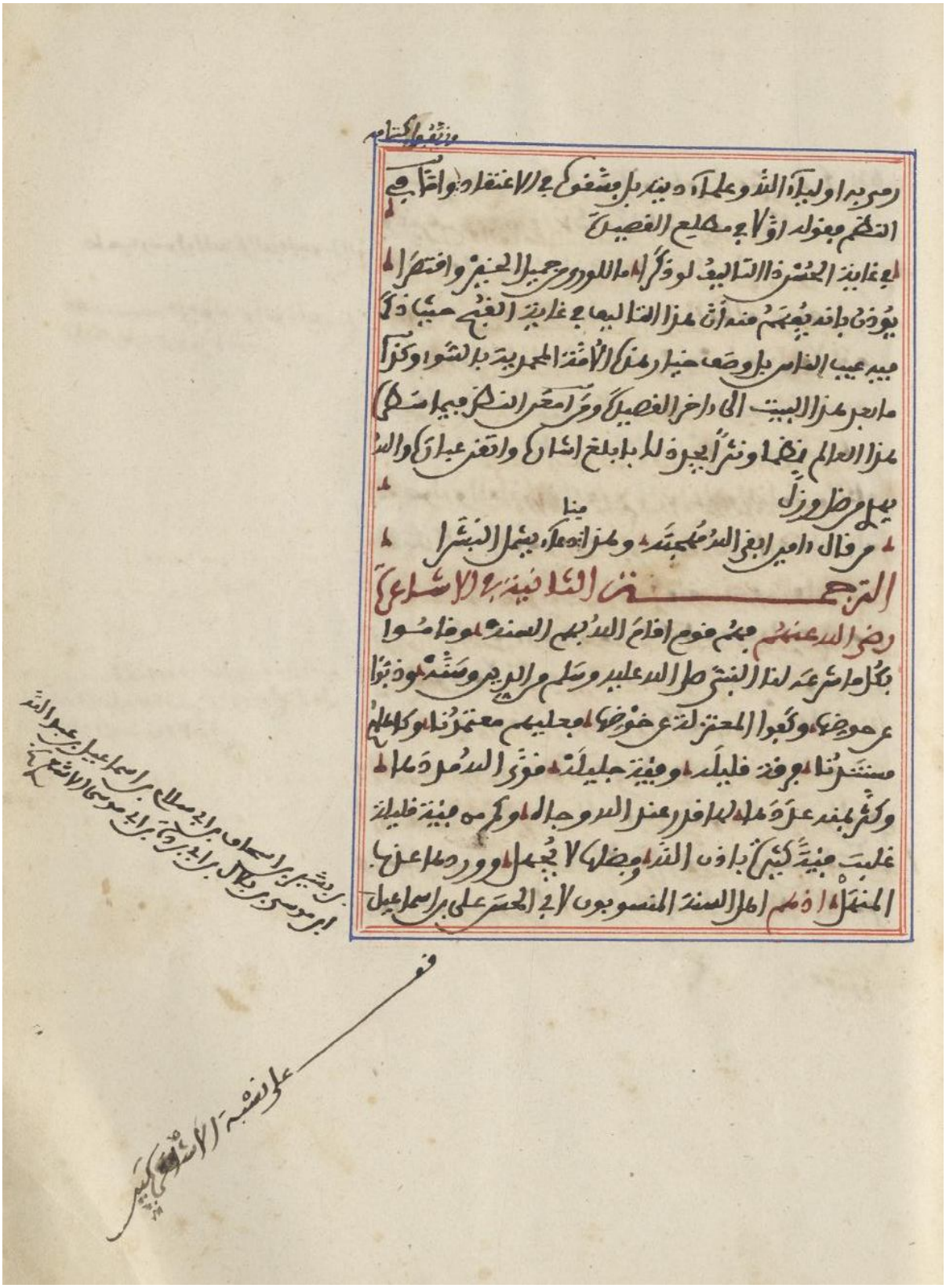


الصفحة الأخيرة من النسخة "ب" لمخطوط الحسام

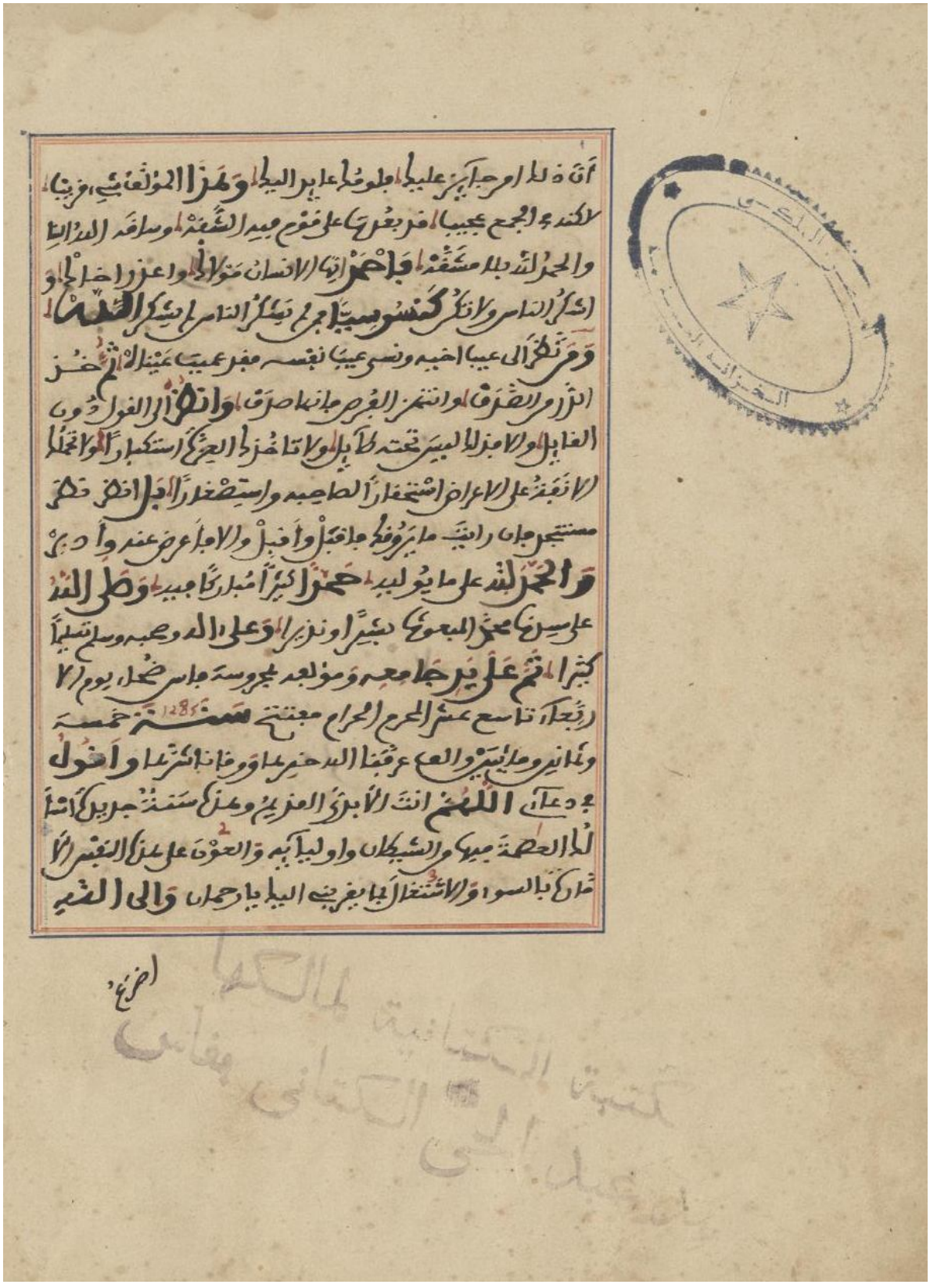
وهي بخط الناسخ الثاني



نموذج رقم 1 من الأصل المفقود رقم: 12813



نموذج رقم 2 من الأصل المفقود رقم: 12813



نموذج رقم 3 من الأصل المفقود رقم: 12813



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام والجماعات

فهرس الأماكن والقبائل

فهرس الكتب الواردة في المخطوط

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	68	الحج	136
﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾	29	فصلت	138
﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	104	الكهف	139
﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾	49	الكهف	141
﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	199	الأعراف	155
﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾	127	طه	160
﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾	157	البقرة	161
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾	155	البقرة	162
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾	155	البقرة	162
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾	189	البقرة	168
﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾	36	التوبة	170
﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾	108	التوبة	172
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾	47	الأنبياء	190
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾	30	آل عمران	190
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾	39	الشورى	192
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾	38	ق	200
﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾	81	الزخرف	202
﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾	47	الحج	203
﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾	193	آل عمران	205
﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾	102	التوبة	208
﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾	95	الأنفال	212
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾	56	القصص	219
﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾	03	الزمر	222
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ	60	الكهف	225

﴿حُقُبًا﴾			
﴿فبهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾	90	الأنعام	226
﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	249	البقرة	253
﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾	173	الصافات	257
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾	10	فاطر	263
﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾	05	السجدة	263
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	05	طه	263/ 265
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾	50	النحل	265
﴿وهو القاهر فَوْقَ عِبَادِهِ﴾	18و61	الأنعام	266
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾	50	النحل	266
﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾	16	الملك	266
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾	04	الحديد	266
﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾	07	المجادلة	266
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	21	الحديد	276
﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾	115	النساء	291
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾	23	الشورى	297
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	128	الأعراف	312
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾	30	الحج	314
﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	32	الحج	314
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	13	الحجرات	314
﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾	23	الجن	314
﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾	82	الكهف	315
﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾	32	آل عمران	333
﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾	26	ص	336

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾	33	التوبة	367
﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾	120	هود	370
﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	06	التحريم	372
﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾	6-1	الطور	378
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾	31	الفرقان	387
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	134	البقرة	387
﴿الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ﴾	128	الأعراف	389
﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	113	البقرة	396
﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ﴾	55-54	هود	402
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	253	البقرة	403
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾	01	الإسراء	403
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾	158	الأنعام	406
﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	62	الأحزاب	424
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	143	البقرة	427
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾	39	يونس	429
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	54	الأعراف	430

الحديث	الصفحة
"يؤتى بصاحب القلم يوم القيامة في تابوت من نار مقفل عليه بأقفال من نار فـــإن كان أجراه في طاعة الله ورضوانه فك عنه التابوت وإن كان أجراه في معصـــية الله هوى به في التابوت سبعين خريفا حتى باري القلم ولائق الدواة".....	139
"قال عيسى عليه السلام لعالم: يا ملح الأرض لا تفسدوا فإن الأشياء إذا فسدت إنما تداوى بالملح، وإذا فسد الملح لم يداوى بشيء".....	140
"ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عـــاد في شر منه".....	153
"من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان".....	156
"أنا عند ظن عبدي".....	163
"إذا وُسِّد الأمر".....	164
"إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة".....	165
"جزاؤك الجنة يا حسان".....	195
"أشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لم يُنفِّعه الله بعلمه".....	207
"لا يكون العالم عالما حتى يكون بعلمه عاملا".....	207
"أخوف ما أخاف عليكم أئمة مضلّين".....	208
"يُجاء بالرجل يوم القيامة فيطحن به كطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله".....	208
"كسؤال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام فقال: تواضع".....	223
"ألا أخبركم عن القوم؟ أمّا أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحيا؛ فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض؛ فأعرض الله عنه".....	225
"أن رجلا زار أخًا له في قبره فأرصد الله على مدرجته ملكا".....	227
"كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها".....	227

"زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزورها فأذن لي؛ فزوروا القبور فإنها تذكر الموت"..... 227

"لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى"..... 230

"اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم فاسقنا، قال: فيُسقوْن"..... 234

"كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"..... 236

"نحن الآخرون السابقون"..... 237

"فمن رآني فقد رأى الحق"..... 239

"هم مني وأنا منهم"..... 253

"افترقت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة الناجي منها واحدة"..... 256

"ائذن لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ"..... 258

"أين الله؟ فأشارت نحو السماء، فقال لسيّدها: أعتِقها فإنها مؤمنة"..... 266

"لَأَن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"..... 279

"إياك وبغضنا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا إلا ذِيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار"..... 291

"والله لا يبغضنا أهلَ البيت رجلٌ إلاّ أدخله الله النار"..... 291

"ائتني بزوجك وابنَيْك؛ فجاءته بهم فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كساءه كانت تحتي أصبناه من خيبر فقال: اللهم هؤلاء آل محمد؛ فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدي وقال: إنكِ على خير"..... 292

"اخلفوني في أهل بيتي"..... 292
"مَن صَنع إلى أحدٍ من أهل بيتي بِرًّا كافيته يوم القيامة"..... 292
"من أوتي من بني عبد المطلب معروفا فلم يَقْدِر المطلبي على مكافأته فأنا أكافيه يوم القيامة"..... 292
"أدّبوا أولادكم على ثلاثة خصال: حبّ نبيكم وحبّ أهل بيتي، وعلى قراءة القرآن فإن حملة القرآن في ظلّ الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه مع أنبيائه وأصفيائه"..... 293
"دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السنّ وله وفرة، فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ثم أخذ بمنكبه فغمزها حتى أوجعه وقال اذكرها عندك للشفاعة، فلما خرج لامه قومه وقالوا: جعلت هذا بغلام حدَثٍ؟ فقال: إن الثقة حدثني لكأني أسمعه من فِيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة بَضعةٌ مني يسرني ما يسرها، وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرّها ما فعلت بابنها. قالوا: فما معنى غمزة بطنه وقولك ما قلت؟ فقال: إنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة فرجوت أن أكون في شفاعة هذا"..... 293
"حدثني جبريل قال: سمعت رب العزّة سبحانه يقول: لا إله إلا الله حِصني، فمن قالها دخل حصني؛ ومن دخل حصني أمِن عذابي"..... 296
"ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي بتلفظي لا إله إلا الله وتصديقي بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم"..... 296
"الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان"..... 297
"أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحبكم الله وأحبوا أهل بيتي بحبي"..... 298
"أُذكّركم الله في أهل بيتي"..... 298
"ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب"..... 298
"إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما"..... 298
"لا يدخل قلب مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي"..... 298

"من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداهما"..... 298
"من لم يعرف حقّ عترتي والأنصار فهو لإحدى ثلاث: إما منافق وإما لزانية وإمـــا لغير طَهُور"..... 298
"من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة"..... 314
"الأئمة من قريش"..... 335
"الخلافة بعدي ثلاثون ثم ترجع ملكا عضوضا"..... 336
"سلمان منا أهل البيت"..... 366
"خديم القوم سيدهم"..... 372
"على رأس كل مائة يبعث الله للأمة من يجدد لها دينها"..... 386
"لا زالَتْ أكْلَة خيبر تعادني فالآن قطعت أبهري"..... 386
"لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات"..... 387
"من ستر مسلما ستر الله عيوبه في الدنيا والآخرة"..... 426
"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"..... 428

-الآباء-
أبو بكر بن الطيب253
أبو تمام 157
أبو حنيفة141
أبو درقة370-373
أبو راس الناصر المعسكري394
أبو الطواجين386
أبو عبد الله بن الحسن423
أبو عبد الله بن خَفيف388
أبو عبد الله بن النعمان234
أبو لبابة الصحابي303
أبو مدين شعيب158
أبو نعيم292
أبو نواس296
أبو الهيثم بن التيهان427
أبو يعزى425-426
-الأبناء-
ابن الأسْلَت156
ابن البراء423
ابن البنا402-430
ابن بهيج الأندلسي151
ابن التلمساني عبد الله بن محمد 186
ابن حجر العسقلاني231-232
ابن خلدون333
ابن خلكان189
ابن دقيق العيد386
ابن رجب الحنبلي263-266
ابن أبي زرع281
ابن زكري353
ابن سبعين268
ابن سعيد المالفي المستغانمي413
ابن سودة التاودي 289
ابن سودة عبد الواحد165
ابن سودة المهدي143-248-249
ابن سودة محمد بن عبد الواحد137-198
ابن سودة محمد344
ابن الشطي172
ابن أبي الشكر173
ابن أبي العافية361
ابن عاشر الأنصاري341
ابن عباد193-198-246-387-397
ابن عباس رضي الله عنهما167-297-298
ابن عبد البرّ194-262
ابن عبد ربه الأندلسي195

ابن العربي الحاتمي229-232-399-405-407
ابن العربي المالكي328
ابن عرفة التونسي142
ابن عساكر168-196-258-292
ابن عطاء الله السكندري138-375-376
ابن عُمر رضي الله عنهما292
ابن غازي279-344
ابن الفارض268-396-404-406
ابن قتيبة188
ابن لقمان420
ابن ليون232
ابن مامة331
ابن المبارك194-227
ابن المبلط178
ابن مرزوق الحفيد142-150-328
ابن مغيزِل262
ابن ناجي303
ابن وضاح141
-أ-
إبراهيم البصري320
إبراهيم التازي233
إبراهيم الكردي260
إبراهيم المالقي381
إبراهيم باشا184
إبراهيم بن الأغلب 285
إبراهيم عليه السلام158-168-170-292-399
الأبي230
أثير الدين أبو حيان 268
أحمد البداوي الفاسي397-400
أحمد البداوي(مصر)228
أحمد البكاي الكنتي136-209-210-214-219-241
أحمد الحبيب321-322-324
أحمد الخضر أبو العباس 276
أحمد الخضر الغريسي396
أحمد الغرديسي149
أحمد بن حنبل260-297
أحمد بن زرغيل الأغزاوي397-401
أحمد بن أبي الفتوح364
أحمد المرواني318-376
أحمد الهشتوكي الصنهاجي208
أحمد اليماني374
أحمد بن الشيخ عبد الأحد365
أحمد بن عبد العزيز الهلالي322
أحمد بن عقبة الحضرمي320-375

أحمد بن عبد القادر التستاوتي316
أحمد بن علي الحاجي الدرعي319
أحمد بن محمد البكري 359
أحمد بن محمد المدني القشاشي364
أحمد بن المسناوي352
الأحنف بن قيس196-428
إدريس الأكبر137-157-165-
228-279-280-282-283-
289-291-299-301-373
إدريس الثاني284-285-286-287-
288-370-371-373
إدريس عليه السلام206
آدم عليه السلام138-158-167-
168-176-199-218-236-
237-296-372
الأديب المكناسي342
أروى بنت كريز188
الأزهري الهروي الشافعي323
أسامة بن زيد208
إسحاق الأوربي283
الإسفراييني264
الإسكندر169-171-173-176
إسماعيل(السلطان العلوي)165-361
الأسنوي368
الأشاعرة136-165-192-241-
265-267-268-269-278
الأشعري أبو موسى 253
الأصمعي169-429
الأعشى154
آغ بيك 173
أفحّام 375
الأقرع بن حابس 166
آل كُريز 188
آل وزان 306
الأمدي 154
امغار الصغير الحسني375
الأمير كلال 366
أنجيرا الفغنوي366
أنس بن مالك 164-194-257
الأوزاعي 141
أولاد البقال 360
أولاد الدرقاوي 371
أيوب عليه السلام 206

-ب-

الباجوري421
الباجي أبو الوليد 151
الباجي151-302-303
الباقلاني253-264

البخاري 164-166-208-231-233-411
بختنصر 158-169-173
بدر الدين الفاسي289
البربوشي371
البرزلي230
البرناوي374
البسطامي أبو يزيد 201
البشير بن محمد المعسكري396
بصرة الغِفَاري231
بطليموس173-174
البغدادي أبو بكر166
بقا بن بطو275
البقاعي برهان الدين268
البكري(الجغرافي)286
البكي التونسي261
بوزيان الغريسي370-398-407-408-409
البوسعيدي299
البوصيري201-376-383
البيروني176

-ت-

التجاني أحمد 204-205-206-209-210-211-219-220-225-228
التفتازاني256
تقي الدين الفُقَيّر320
التهامي الوزاني401

-ج-

جالوت158
الجبّائي256-277
الجبرية257
الجزولي375
جعفر الصادق295-297-366-379
جعفر بن سليمان292
جلال الدين شاه175
جمال الدين العصامي180
جمال الدين الهندي363
الجمال الزرندي296
الجمل شيخ الدرقاوي373
الجنيد201-218-329-388
جهم بن صفوان256
الجوهري169-189
الجويني إمام الحرمين231-368
الجيلاني عبد القادر165-220-241-268-411

-ح-

حاتم الطائي331
الحاج أحمد الغماري397

الحاج لحسن قنبور161-162
الحارث بن أسد المحاسبي388
حسن باي397
حسان بن ثابت155-195
الحسن البصري139-207-321-329
الحسن السبط282-370-371-374
حسن الشامي184
الحسن بن عقبة بن نافع303
الحسن بن علي رضي الله عنهما188-281-291-320-363-376
الحضرمي320-375
الحفصي أبو زكريا 423
الحلبي أحمد عبد الحي الشافعي279
حمدون بن الحاج199
حمزة بن أبي بكر(أولاد سيدي الشيخ)392
حمود أمير تونس303
الحنابلة254-255-259-260-263-265-269
الحنفية228-254
-خ-
خالد بن سنان301
الخدري أبو سعيد 291
الخرقاني366-367
الخِضر عليه السلام193-226-304
الخطيب الكازروني365
خواجكي الأمكنكي365
الخوارج257
الخير الرملى الحنفي186
-د-
داوود الباخلي375
داوود عليه السلام206
الدرقاوي أحمد الحسني378
الدقاق205
الدلائي أبو بكر بن محمد338
الدلائي أبو عَمر355
الدلائي أحمد بن الشاذلي357
الدلائي الحارثي أحمد340
الدلائي الخديم354
الدلائي الشاذلي بن محمد بن أبي بكر341-356
الدلائي الشرقي بن أبي بكر340
الدلائي الطيب بن الشاذلي356
الدلائي المرابط352-354
الدلائي عبد الخالق بن مَحمد بن أبي بكر 353
الدلائي عبد الرحمن بن أبي بكر349
الدلائي عبد الله بن محمد الحاج بن أبي بكر351

الدلائي مَحمد الحاج بن محمد بن أبي بكر350
الدلائي محمد الحارثي بن محمد 359
الدلائي محمد الحارثي بن محمد بن الشاذلي359
الدلائي محمد بن أبي بكر340
الدلائي محمد بن الشاذلي358
الدلائي محمد بن عبد الرحمن359
الدلائي محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر359
الدلائي محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن360
الدلائيين330-337-359
الدمشقي ابن أبي الطيب 181
الدوّار375
الديلمي293

-ذ، ر-

ذي القرنين173
ذي النون المصري139
الرازي أبو زرعة 295-297
راشد بن المرشد283-284-285-286-287
الرجراجي375
رِسْلان181
الرُّشاطي257
الرشيد العلوي350
الرمادي138
الرماصي415
الرودباري أبو علي 367
رُويم أبو محمد 388

-ز-

زاوية أبي الجعد137-191-244-313
الزروالي376
زروق البرنسي192-193-209-232-233-318-320-375-380-383-422-429
الزهري بن شهاب 167
زيد بن أرقم298
زين الدين القزويني320-376
زين العابدين الطبري364

-س-

الساحلي أبو عبد الله محمد 383
السبكي189-258-261-267-386-422
السخاوي139
سري السقطي285-329
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه168
سعد بن الربيع رضي الله عنه427

سعد بن خيثمة رضي الله عنه427
سعد بن زرارة رضي الله عنه427
سعد بن عبادة رضي الله عنه427
سعد بن معاذ166
سعيد العلوي307
سفيان الثوري287
سفيان بن عيينة140
سلمان الفارسي رضي الله عنه366-367
سليم العثماني178
سليمان بن محمد العلوي384
سليمان عليه السلام158-167
السندي أبو علي 382
السنوسي264-413
السهروردي أبو النجيب 269-328
السهروردي شهاب الدين269-328-371
السهروردية364
السهيلي172
السيوطي158-281-386

-ش-

الشاذلي أبو الحسن 269-320-368-375-376-380-383-423
الشاذلية362-363-368-373-374-409-410-421
الشارمساحي229
الشافعي محمد بن إدريس156-227-232-293-299-301
الشافعية231-254-255-258-260-386
الشبلي328
الشريشي382-388
الششتري232-268
الشعبيني420-421
الشعراني158-194-346-368
شمس الدين الحنفي363
الشناوي365
الشهاب الخفاجي186
شهر بن حوشب231
الشيعة257

-ص، ط-

صالح عليه السلام302
الصديق أبو بكر رضي الله عنه166-188
صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم165
طُويُس187
الطيب بن الماحي322
الطيب بن المسناوي352

-ع-

عارف الريو كري366

عارف بيك182
عامر بن الطفيل العامري196
عامر بن عبد الله الصحابي188
عامر بن محمد القيسي287
عائشة البكرية417
عائشة رضي الله عنها153-196
عبد الخالق الغجْدُواني366
عبد الرحمن الثعالبي الجزائري163-328
عبد الرحمن العطار المدني320
عبد الرحمن الفاسي288
عبد الرحمن المجذوب375
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم302
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه166
عبد الرحمن بن هشام163-250
عبد السلام البقالي164-362
عبد السلام بن الشاذلي357
عبد السلام بن العربي الوزاني309
عبد السلام بن مشيش202-228-289-318-320-328-376-386
عبد العزيز التباع339-374-375
عبد الغني النابلسي177
عبد القادر بن الشريف الدرقاوي394-397
عبد القادر بن الشريف الغريسي384
عبد القادر بن يحي السلطيوني396
عبد القادر بوطالب الغريسي392
عبد الله الشريف الوزاني305-309
عبد الله الكامل279-283-284-371-373
عبد الله المحضى284
عبد الله بن أبي السرح303
عبد الله بن أسعد اليافعي383
عبد الله بن الفاطمي209
عبد الله بن جعفر303
عبد الله بن حسين الرقي319
عبد الله بن حوا396-410
عبد الله بن ديدة396
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه427
عبد الله بن عمر القواريري293
عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما313
عبد الملك الورّاق أبو مروان 288
عبد الهادي السجلماسي137-165
عبد الوهاب الفاسي330
العبدوسي232
عثمان الصريفيني272
عثمان بن عفان رضي الله عنه167-175-188-292

عدي بن حاتم195
العراقي أبو الحسن علي 320
العربي الدرقاوي137-191-192-198-205-207-248-370-373-385-394-408-420
العربي الفاسي330-341-368
العربي الوزاني306-308
العربي بن عطية الطويل397
عزّ الدين بن عبد السلام286
عصام بن شهير196
عفيف الدين اليافعي262-382
عقبة بن نافع213-320
علال الحاج360
علي الراميتني366
علي الرضى284-285-294-296-308
علي الرفاعي270
علي الشاذلي328
علي بَاحَاجْ اليمني363
علي بن أبي طالب رضي الله عنه166-188-191-294-295-297-320-370-371-379
علي بن الهيتي271
علي بن عبد الله السجلماسي319
علي بن وفا236-375
علي زين العابدين295
عمر الحطاب الزرهوني375
عمر بن عبد العزيز293
عمر رضي الله عنه162-167-171-201-313-335
عمير بن مصعب الأزدي287
عنترة بن شداد144
عنوس البدوي375
العياشي أبو سالم260-290-352-363-365
عياض اليحصبي231-258-265
عيسى الثعالبي364
عيسى بن محمد الجعفري أبو مهدي 364
عيسى بن محمد الجعفري المالكي365
عيسى عليه السلام158-167-206-277
العيني344

-غ، ف-

الغازي السجلماسي319
الغازي بلقاسم321
الغالي اللجائي161
الغزالي أبو حامد 230-328-368-422

الغزواني أبو محمد339
الغزواني بن محمد بن أبي بكر341
الغزواني سعد الدين320
غضنفر بن جعفر الحسني365
الفارمدي أبو علي 366-367
الفاسي أبو زيد 374
الفضيل بن عياض142
الفقيه بن دَحُّ241

-ق-

القادري أبو زكرياء الشريف
القادرية211-212-364
قاسم الخصاصي374
قدور العلمي289
القرافلي399-403
القرافي375
القَرَني أُوَيْس187
القسطلاني167
القسطلي339
القشيري233-296
القيرواني ابن أبي زيد 266
قيس بن معد يكرب154
القيسي بن مَحمد المستاري287
القيصري399-404-406
القيلوي276

-ك، ل-

الكاشفي367
الكُبروية364
كبريت أفندي181
الكرّكاني367
الكُميماتي276
الكنسوسي محمد بن أحمد136-159-164-165-187-198-207-209-210-219-241-252-254-255-259-262-278-279-299-307-314-384-395
اللحياني423

-م-

مالك بن المرحّل150
مالك بن أنس138
المالكية254-258
المأمون285
مبارك بن عبابُ374
المبرد138
مجير الدين بن تميم143
المحبّ الطبري171
محمد الباقر295
محمد الباقي365
محمد البكري359

محمد البوزيدي403
محمد الحراق التطواني398
محمد الزاهد365
مَحمد الشرقي التادلي313
محمد الصفار137
محمد القصار282
محمد الكنتي327
محمد المدني247-364-420
محمد المعصوم العُمَري365
محمد النفس الزكية280
محمد بابا السماسي366
محمد بن إبراهيم الراشدي409
مَحمد بن أبي القاسم الزعري313
محمد بن أحمد بن المسناوي352
محمد بن أسلم الطوسي295-297
محمد بن الحسين الشريف الحسني المكي284
محمد بن السائح413
محمد بن سليمان المغربي173
محمد بن عبد الرحمن القاضي164
محمد بن عبد الرحمن بن هشام241-243-248
محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي327
محمد بن عبد الله البكري319
محمد بن عدلة396
محمد بن غزالة392
محمد بن قدور الزواق398
محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي358
محمد بن معْن374
محمد بن مقاتل العكي285
محمد بن ناصر الدرعي316-319
محمد بن واسع194
محمد بوزيان القندوسي325
محمد جسوس353
محمد درويش365
محمد صلى الله عليه وسلم139-140-141-143-158-164-165-166-167-168-170-171-172-185-188-189-194-195-200-201-202-203-204-206-207-208-211-221-222-223-224-227-228-229-230-231-232-233-234-235-236-237-238-239-249-253-255-256-257-258-259-260-275-276-279-282-283-286-291-292-293-295-

-296-297-298-301-302
-305-314-320-335-336
-342-345-346-348-361
-367-370-371-373-376
-377-379-380-386-387
-395-398-399-401-402
-403-404-405-406-407
-408-410-411-426-427
محمد عبد الله عياش140
مَحمد علي421
محمد غريط138
محمد وفا الشاذلي375
المختار الكنتي326
المرجئة257
المرسي318-319-320-375-
398-401-403-424
مروان بن الحكم332
مِسْحَل بن أُثاثة154
مسعود الهاشمي277
المسناوي أبو عبد الله محمد341
المشذالي328
مصطفى البكري الصديقي406
مصطفى بن عبد الله الدحاوي394
مصطفى سلامه183
المطّلب بن ربيعة298
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه166-
168
معاوية بن حديج291
معبد المغني189
المعتزلة247
معروف الكرخي285
المعري159
المعطي بن صالح314-316
المغربي أبو عثمان 367-422
مفرج بن نبهان الشيباني274
المقداد بن الأسود318
المقدسي143
المقري257-342-345
المكّي أبو السعود 179
المكي أبو طالب 367-407
المكي بن جريْدَ162
الملامتية362
المليانى 320
المنجور257
المنصور(الخليفة العباسي)280
المهدي العباسي280
موسى الرضى297-367
موسى الكاظم232-294-295-

موسى عليه السلام158-176 -185-193-206-223-226-304-399
ميارة341

-ن، هـ-

النجارية257
نجم الدين الأصبهاني262
النقشبندي366
النقشبندية362-368-369-409
نوح عليه السلام150-168-175-206-237-399
هارون الرشيد285
هبة الله بن عطاء الله الحُسَيْني الحسني365
الهرثاني أبو عثمان 375
الهروي أبو الليث عبد السلام 297
الهروي271-275
هشام بن عبد الملك332
الهندي أبو الفضل 375
هود عليه السلام402

-ي-

اليازغي أبو عبد الله 337
اليازغي أبو محمد عبد الكريم 330
يحي بن سعيد بن أبان القرشي293
يحي بن معاذ رضي الله عنه207-422
يحي عليه السلام206
يزدجرد174
يزيد بن مسهر154
يعقوب الخرجي365
يعقوب عليه السلام206
اليفراني387
يوسف الفاسي228-374
يوسف الهمداني أبو يعقوب 366
يوسف بن محمد القصري228
يوسف عليه السلام206
اليوسي الحسن بن مسعود290-320-321-352
يونس الحاكمي المصري172

فهرس الأماكن والقبائل

-أ-

إدَاوْكْنْسُوسْ197

أزغار 317

أزمور 241-426

اسْتيتَن 392

الإسكندرية348-423-448

أغلان317

إفريقية285-287-420-423

إقليم البيضان409

الأندلس151-226-287

أنطاكية173-304

أوربة279

-ب-

باب الفتوح408

بجاية158

البصرة258

بغداد166-270-272-274-278-326

بلاد أركّان426

بلاد الترك184-376

الترك389

بلاد النوبة281-336

بلاد قيس155

بنو زغبة390

بني زروال371-395

بني قريظة 166-168

بنو مخزوم188

بيت المقدس167-176

-ت-

تازروالت374

تاغيت 426

تطوان 205-302-398

تلمسان186-288-303-304-351-396-409-420

توات344-392

تونس142-302-303-391-423-424

تي ميمون325-392

-ج، ح، خ-

جامع الشرفاء288

جبال ازواوة392

جبال الزبيب371-395

جبل بوسعادة392

جبل ونشريس397

جبل يزناسن395

الجزائر390-393

جيلان265

الحجاز171-281

حضرموت154
خيبر166-168-280-292- 386
-د، ر، ز-
درعة317-318-320-321
دكالة 241-371
الراشدية(الوطن الراشدي)409-410
الريف المغربي391
الزّاب302-390
زرهون228-283-284-288-289
-س، ش-
سبتة150
سجلماسة318-325
السند409
السودان224-326-409
سوس374
سوس الأدنى371
سوس الأقصى371
سُويد390
السويداء189
الشام173-181-189-304
-ص، ط-
صُبيح390
صنهاجة287-340
الصين173-409
طنجة283
ع-غ-
العبّاد(تلمسان)388-409
عدوة القرويين408
العراق173-179-262-313-
332-376
عرب امجاهر 390
غريس304-409-410
غَزوان318
-ف، ق-
فاس135-143-162-163-289-
371-408
قابس303
قبائل بني عامر390
قبيلة اسلاس164
قبيلة الرحامنة371
قبيلة الزراهنة280
القبيلة الشبانية317
قبيلة بني حسن309
قبيلة لجاية162
قبيلة مصمودة305
قَرْطاجنة302
قزوين318
قصر بوعلام392

قصر فرعون280
القنادسة325
القيروان301-303
-ك، م-
الكرخ258
كرزاز325
المدائن175
المدية247-390
المدينة المنورة 138-167-171-189-
343-345-348
مراكش162-187-309-313-339
مرسية318
مَرْو175
مستغانم390-410-412-420
مصر176-178-181-184-247-
248-342-343-345-348-
420-421-424
معسكر396-410
المغرب الأقصى 225-301
مكة170-281-348-380
مكناسة143-279-426
مليانة247-318-390
-ن، هـ-
نفزة283
النوبة281-336
نيسابور294
همدان193-272
الهند173
-و، ي-
وادي تاغية304
وجدة322
وزان305-306
وليلي279-280-282
ونشريس246-397
وهران246-390-394-396-
410-411
اليمن154-171-278

عنوان الكتاب	المؤلف	الصفحة
الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز	السجلماسي	140
إحياء علوم الدين	الغزالي	230-232-234
اختصار رسالة الششتري	ابن ليون	232
أزهار الكِمامة في أخبار العِمامة	المقري	343-348
أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض	المقري	257
الاستبصار في عجائب الأمصار	الباجي	302
إضاءة الدُّجنة بعقائد أهل السنة	المقري	348
الأغاني	الأصفهاني	188-189
أقوال المطاعين في الطعن والطواعين	العربي المشرفي	408
الإكليل في شرح مختصر الخليل	محمد بن محمد بن أحمد السنباوى	167
أنس الجليس في جلو الحناديس	ابن الحاج	389
بذل المناصحة في فعل المصافحة	أحمد بن علي السوسي الهشتوكي	208
بغية الإلف في ابن يركى تلف	البكاي الكنتي	209-219-241-369
تاريخ الخلفاء	السيوطي	281
تاريخ الصوفي	الصوفي	173
تائية ابن الفارض	ابن الفارض	399-404
تحفة أهل الصديقية	المهدي الفاسي	376
التحقيق في النسب الوثيق	السهروردي	371
ترتيب المدارك	القاضي عياض	258
تسهيل الفوائد	جمال الدين بن مالك	369
تشنيف المسامع ببعض فرائد الجامع	عبد الرحمن بن محمد الفاسي	427
تعليق على تائية ابن الفارض	القيصري	399
التمهيد	ابن عبد البرّ	194

جهد المقل القاصر	المسناوي	263
الحكم العطائية	ابن عطاء الله السكندري	220-315
الحلية	أبو نعيم	292
دالية البوصيري	البوصيري	383
درء الشقاوة في حروب درقاوة	أبو راس الناصري المعسكري	394
ذخيرة المحتاج	المعطي بن صالح	314
الرائية الشريشية	الشريشي	370
الرحلة العياشية	العياشي	259-363
الرسالة القشيرية	القشيري	388
الرسالة القيروانية	القيرواني	266
رسائل ابن عباد الكبرى	ابن عباد	198-387-397
رشحات عن الحياة	الكاشفي البيهقي	367
روض القرطاس	ابن أبي زرع	281-282-286-287
الروض الهتون	ابن غازي	279
سعود المطالع	الأزهري	167
سفينة النجا لأهل الالتجا	أبو عبد الله بن النعمان	234
شرح ابن غازي على الألفية	ابن غازي	344
شرح الإرشاد	أبو إسحاق إبراهيم المالقي	381
شرح الخريدة الغيبية	الآلوسي	179
شرح الصلاة المشيشية	بدر الدين الفاسي	289
شرح العيني على الألفية	العيني	344
شرح الكبرى	السنوسي	264
شرح المباحث الأصلية	ابن عجيبة	207-370-

		408
شرح ديوان الأعشى	الآمدي	154
شرح صحيح مسلم	الأبي	230
شرح قصيدة الشريشي في السلوك	أحمد بن يوسف الفاسي	388-383
الصحاح	الجوهري	189-169
الطالع المنحوس في الرد على الكنسوس	محمد بن عبد الواحد بن سودة	198
طبقات الحنابلة	ابن رجب البغدادي الحنبلي	263
طبقات الشافعية الكبرى	السبكي	255
طرس الأخبار	العربي المشرفي	394
عمدة الأخبار	العباسي	228-226
عوارف المعارف	شهاب الدين السهروردي	380
الغنية لطالبي طريق الحق	عبد القادر الجيلاني	263
الفتاوى الخيرية لنفع البرية	خير الدين الرملي	186
فتح الباري بشرح صحيح البخاري	ابن حجر العسقلاني	167
فتح الخبير في تهذيب نسب الإمام الأمير	ابن ريسون العلمي	283
فتح القدوس	البكاي الكنتي	241
فتح المتعال في مدح النعال المقري	المقري	343
فرائد القلائد	_____	177
الفيض	_____	173
كتابه نشر المحاسن	عفيف الدين اليافعي	262
كتر الأسرار	الغريسي	370
كتر المطالب في فضل البيت الحرام	حسن بن العدوي الحمزاوي	182
الكواكب الزاهرة	ابن مغيزِل	262
لقط المرجان في أخبار الجان	السيوطي	155
المبادئ والغايات	_____	173

المختزن في التفسير	الأشعري	258
المدخل	ابن الحاج	233
مرآت المحاسن	العربي الفاسي	368
مصطفى البكري الصديقي	شرح البديعية	177
المعارف	ابن قتيبة الدينوري	188
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان	الدباغ الأُسيْدي	303
معراج الوصول	الجمال الزرندي	296
معيد النعم ومبيد النقم	التاج السبكي	254-189
مفاتيح العلوم	الخوارزمي	169
مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون	333
المنقذ من الضلال	الغزالي	191
المنهاج	ابن البنا	173
النجم الثاقب	ابن صعد	159
نزهة الأبصار	العربي المشرفي	197
نزهة النادي وطرفة الحادي	اليفراني	387
نشر المثاني	القادري	190
نصر من الله وفتح قريب	كبريت أفندي	181
نفح الطيب	المقري	342-245
وُصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى	البوسعيدي	299
الوقائع	مصطفى بن عبد الله الدحاوي	394
اليواقيت والجواهر	الشعراني	158

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولا: المخطوطات

1. الأزهري عبد الهادي نجا المصري: **سعود المطالع لسعود المطالع**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، ضمن مجموع رقم: 1428د (و262و-و316و).

2. البربروشي عبد الرحمن بن محمد بن حميدة: **رسالة في الشيخ الدرقاوي**، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة العامة بتطوان بالمغرب، رقم: 458/4(05ص).

3. البكاي أحمد الكنتي: **بغية الإلف في جواب يركى تلف**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، تحت رقم: 3713 (81ص).

4. // : **فتح القدوس في الرد على ابن الكنسوس**، مخطوطة بالمكتبة الوطنية، المغربية تحت رقم: 2455ك.

5. البكاي والكنسوس: **رسائل البكاي والكنسوس**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1071د مكرر (21 ورقة).

6. ابن البنا أبو عبد الله محمد بن محمد التجيبي: **المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية**، مخطوط بمركز آل سعود، الدار البيضاء: المغرب، رقم: 146 (36ص).

7. البناني محمد بن عبد السلام: **تقييد على الصلاة المشيشية**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 015 (31 ورقة).

8. البوسعيدي أبو العباس أحمد بن علي بن محمد: **وصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 276 (47 ورقة).

9. التازي علي بن عبد القادر: **منهل الضمآن ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامات شيخنا العارف بالله سيدي مَحمد بن أبي زيان**، مخطوط بالخزانة الزيانية القندوسية ببشار (256ص).

10. التوجيني عبد الرحمن: **عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3323 (04 ورقات).

11. الحوات سليمان: **البدور الضاوية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية**، ضمن مجموع مخطوط رقم: Ms Arab 433، بريطانيا: مكتبة جامعة هارفرد (ص ص: 21-506).

12. الدرعي الناصري أبو عبد الله محمد: **الدرر المرصعة بأخبار صلحاء درعة**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 2 (572ص).

13. // : **الرحلة الناصرية**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 1954 (170 ورقة).

14. ابن ريسون محمد بن محمد الصادق الحسنى العلمي: **فتح العليم الخبير في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير**، ضمن مجموع مخطوط بالخزانة الحسنية بالمغرب، رقم: 1/112 (ص ص: 2-62).

15. الشريشي تاج الدين أبو العباس البكري الصديقي السلوي: **أنوار السرائر وسرائر الأنوار المعروفة بالشريشية**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 387 (07ص).

16. الطاهري حمدون بن أحمد: **تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان**، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، رقم: 5331.

17. العربي المشرفي: **الآيات والحوادث**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 3013 (11 ورقة).

18. // : **الحسام المشرفي لقطع لسان السابّ الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1207ك (330 ورقة)، ونسخة الخزانة الحسنية بالمغرب رقم: 13208 (35 ورقة).

19. // : **الرد على أبي راس الناصر المعسكري**، مخطوط بمكتبة بلقرد بوكعبر بولاية معسكر (24 ورقة).

20. // : **الرسالة في أهل البصبور الحثالة**، مخطوط ضمن مجموع بالخزانة الحسنية بالمغرب، تحت رقم: 13919 (ص ص: 553-560).

21. // : **الفتح والتيسير في شرح قصيدة حوت من هم على قدم البشير النذير**، مخطوط بالخزانة الحسنية بالمغرب، رقم: 5271 (69 ورقة)، ونسخة خزانة علال الفاسي (97ص).

22. // : **تمهيد الجبال وما وراءها من المعمور وإصلاح حال السواحل والثغور**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1347 (62 ورقة).

23. // : **حاشية على شرح المكودي**، مخطوط بالخزانة الصبيحية بسلا (المغرب)، رقم 312، (129ورقة).

24. // : **ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن**، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 5310 (116 ورقة).

25. // : **ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن أخبار الدول**، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط، رقم: 2956 (58ص).

26. // : **رحلة إلى نواحي فاس**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1264ك (10ص)

27. // : **فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونّان**، مخطوط بالخزانة الحسنية بالمغرب، في مجلدين، رقم: 12427 (مج1: 371ص- مج2: 344ص).

28. // : **كناشة المشرفي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: ك204 (151ص).

29. // : **كناشة المشرفي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: ك471 (465ص).

30. // : **مشموم عرار النجد والغيطان المعدّ لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان**، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 12082 (289ص).

31. // : **نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده الحسن**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 579. ونسخة الخزانة الحسنية رقم: 5616 (543ص مبتورة الآخر).

32. // : **ورقات في رواج السكة بالزيادة**، مخطوط بقسم المحفوظات بالمكتبة العامة في تطوان بالمغرب، رقم: 343/1 (15ص).

33. // : **ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة**، مخطوط بخزانة البشير المحمودي بالبرج معسكر (38ص).

34. العروسي أبو محمد عبد الخالق بن محمد بن أحمد: **المرقي في مناقب أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي**، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1911د(279ص).

35. العلمي محمد بن الطيب: **الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب**، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، رقم: 7249 (204 ورقة).

36. العمراوي محمد بن إدريس: **قصيدة دالية في الحث على الجهاد**، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم: 1388د(ص ص: 362-365).

37. ابن غازي العثماني محمد بن أحمد: **إتحاف ذوي الذكاء والمعرفة بتكميل تقييد أبي الحسن وتحليل تعقيد ابن عرفة**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 083 (قطعة من السفر الثاني تقع في 204 صفحة).

38. الغريسي أبو زيان بن أحمد: **كتر الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار**، مخطوط ضمن مجموع بالخزانة الحسنية بالمغرب، رقم: 12813 (100ص). ونسخة المكتبة الوطنية المغربية رقم: 2339 (103ص).

39. الفاسي أحمد بن يوسف: **إزالة الخفاء وكشف الأستار عن وجوه أنوار السرائر وسرائر الأنوار**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 301 (مخطوط مبتور الآخر: ص ص: 1-127)

40. الفاسي المهدي أبو عبد الله: **تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية من أهل الطريق**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 299 (75 ورقة).

41. الفاسي عبد الرحمن بن محمد: **تشنيف المسامع ببعض فرائد الجامع**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 305 (489ص).

42. القادري محمد العربي بن الطيب: **الطرفة في اختصار التحفة**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 108 (19ص).

43. القيصري الرومي: **تعليق على تائية ابن الفارض**، مخطوط بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية، بدون رقم (34 ورقة).

44. الكرزازي محمد بن محمد: **المناقب المعزية في مآثر الأشياخ الكرزازية**، مخطوط بمكتبة الحاج بوفلجة عبد الكريم بكرزاز بجنوب الجزائر (311ص).

45. الكنتي محمد الخليفة: **الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد**، مخطوط بخزانة الطالب رمضاني بالمنصور أقبلي في أولف، بدون رقم (524ورقة).

46. المسناوي محمد بن أحمد: **جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 342 (52 ورقة).

47. // : **نتيجة التحقيق في بعض أهل النسب الوثيق**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 342 (25ص).

48. اليازغي أبو بكر: **حدائق الأزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية**، ضمن مجموع مخطوط رقم: Ms Arab 433، بريطانيا: مكتبة جامعة هارفرد (ص ص: 3-20).

49. اليوسي أبو الحسن: **دالية اليوسي**، مخطوط بمركز آل سعود بالمغرب، رقم: 366(27 صفحة).

50. // : **سلسلة الأبرار**، مخطوط بمركز آل سعود للدراسات الإسلامية بالمغرب، رقم: 349 (مبتورة الآخر: 04ص).

ثانيا: المصادر

51. ابن إبراهيم عباس: **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، المغرب: المطبعة الملكية، 1999م، ج9(425ص).

52. الأتابكي بن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1992 (الأجزاء: 2، 3، 5، 6، 7).

53. ابن الأثير أبي الفتح ضياء الدين: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، قدمه وحققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، ج3 (310ص)

54. أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة: **المذكرات**، تعريب وتعليق محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1973م (202ص).

55. أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا الأزهري المالكي: **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد الوارث محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ج1(653ص).

56. الأصبهاني الراغب: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة (702ص).

57. الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988، ج7(400ص)، ج10 (415ص).

58. الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله: **كتاب ذكر أخبار أصبهان**، القاهرة: مطابع الفاروق الحديثة.

59. الأمير عبد القادر: **المذكرات سير ذاتية كتبها في السجن سنة** 1849، تحقيق: صغير بناني وآخرون، الجزائر: شركة دار الأمة، 1994.

60. الباجوري إبراهيم: **شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية للبوصيري**، حققها وضبطها وعلق عليها: عبد الرحمن حسن محمود، القاهرة: مكتبة الآداب، 1991(142ص).

61. الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب: **إعجاز القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصر: دار المعارف، (549ص).

62. البحتري: **الديوان**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة: دار المعارف، ط3، (3171ص).

63. البخاري محمد بن إسماعيل: **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، اعتنى به أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ط2، 2006 (1316ص).

64. ابن عبد البرّ أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري: **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ، ج3، (422ص).

65. // : **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط1، 1992 (2089ص).

66. // : **جامع بيان العلم وفضله**، مصر: المطبعة المنيرية، د ط، (418ص)

67. البرنسي أحمد بن أحمد المغربي الشهير بزروق: **قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة**، ضبطه وعلق عليه: محمد بيروتي، دمشق: دار البيروتي، ط1، 2004 (303ص).

68. البغدادي إسماعيل باشا: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، طبع باستانبول سنة 1951، ج1 (842ص).

69. البغدادي عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط4، 2000، (الأجزاء: 1، 3، 7، 8، 9).

70. البغدادي عبد القاهر: **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1995(384ص).

71. البكري أبو عبيد: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، (213ص).

72. البناني: **حاشية العلامة البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي على متن جمع الجوامع للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي**، بيروت: دار الفكر، 1972 (440ص).

73. التادلي المعروف بالزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي: **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد التوفيق، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط2، 1997(543ص).

74. التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب: **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1979 (1987ص).

75. التنبكتي أحمد بابا: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الله عبد الحميد الهرامة، طرابلس: منشورات كلية الدعوة، ط1، 1989 (659ص).

76. ابن التهامي الحاج مصطفى: **سيرة الأمير عبد القادر وجهاده**، تحقيق وتقديم: يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995 (408 صفحة).

77. الثعالبي النيسابوري أبي منصور عبد الملك: **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، شرح وتحقيق: محمد مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ج2 (512ص).

78. الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر: **البيان والتبيين**، شرح وتحقيق: محمد عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7، 1998، ج1، (438ص).

79. الجبرتي عبد الرحمن بن حسن: **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1997، ج4، (587ص).

80. الجرجاني عبد القاهر: **كتاب دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه: محمد محمود أبو شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2000 (716ص).

81. الجرجاني عبد الله بن عدي: **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ج2 (543ص).

82. ابن الجوزي أبو الفرج: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1992، (الأجزاء: 3، 14، 16، 18).

83. الجوهري إسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط3، 1984 (2563ص).

84. الجيلاني عبد القادر: **الغنية لطالبي طريق الحق**، حققه وعلق عليه: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه: حسان عبد المنان، بيروت: دار الجيل، ط1، 1999، ج1(406ص).

85. حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، تصحيح: محمد شرف الدين يالتقايا ورفعة بيلكه الكليسي، ج1(622ص).

86. ابن حجة الأموي تقي الدين: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، 1304هـ/1886م، (466ص).

87. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي: **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1998 (550ص).

88. // : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، اعتنى به: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض: دار طيبة، ط1، 2005، ج8(752ص)، ج9(743ص).

89. ابن حجر الهيثمي أبو العباس أحمد: **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة**، استانبول: مكتبة الحقيقة، 2003 (466ص).

90. حسان بن ثابت الأنصاري: **ديوان حسان**، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: عبدا مهنا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1994 (260ص).

91. الحضيكي محمد بن أحمد: **طبقات الحضيكي**، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2006 (750ص).

92. الحفناوي أبو القاسم محمد: **تعريف الخلف برجال السلف**، الجزائر: مطبعة فونتانة، 1906، ج1(207ص)، ج2(624ص).

93. الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي: **ختم الأولياء**، وضع حواشيه: عبد الوارث محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية (93ص).

94. حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1982 (310 صفحة).

95. ابن حنبل أبو عبد الله: **الزهد**، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999 (327ص).

96. // : **المسند**، الرياض: دار الأفكار الدولية، 1998 (2106ص).

97. الخشني: **طبقات علماء إفريقية**، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1993(109ص).

98. ابن خلدون عبد الرحمن (تـــ:808هـــ/1405م): **المقدمة**، بيروت: دار الفكر، ط1، 2003 (638ص).

99. // : **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر وأخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2000.

100.ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(تـــ:681هـــ/ 1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1994، (الأجزاء: 1، 2، 3، 4، 5، 6).

101.الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب(تـــ:387هـــ): **مفاتيح العلوم**، قام بطبعه وتصحيحه وترقيمه: عثمان خليل، مصر، ط1، 1930 (161ص).

102.الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأُسيْدي (تـــ:696هـــ): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلّق عليه: ابن ناجي التنوخي أبو الفضل (تـــ:839هـــ)، تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح، مصر: مكتبة الخانجي، ط2، 1968، ج1(346ص).

103.ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن: **كتاب جمهرة اللغة**، حققه وقدم له: رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1987(1781ص).

104.الدؤلي أبو الأسود: **ديوان الدؤلي**، صنعة: أبي سعيد الحسن السكّري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط2، 1998 (480ص).

105.الذبياني النابغة: **ديوان النابغة الذبياني**، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، بيروت: دار المعرفة، ط2، 2005 (131ص).

106. الذهبي شمس الدين (تـــ:748هـــ): **سير أعلام النبلاء**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط11، 1996(الأجزاء: 1، 3، 6، 7، 8، 9، 12، 13، 14، 16، 17، 18، 19، 20، 21).

107. ابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ج2(391ص)، ج3(376ص)، ج6(378ص).

108. ابن رجب الحنبلي عبد الرحمن بن أحمد: **الذيل على طبقات الحنابلة**، حققه وقدم له وعلق عليه: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2005، ج2(555ص).

109. الرصاع أبو عبد الله الأنصاري: **شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية**، تحقيق محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993 (743ص).

110. الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1، 1994 (162ص).

111. زكريا الأنصاري: **الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة**، الإسكندرية: مطبعة محمد يحي، 1871 (47ص).

112. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر: **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت: منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1992 (488ص).

113. الزهري محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري: **الطبقات الكبرى**، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 2001م (الأجزاء: 8،6،3،2،1).

114. الزياني أبو القاسم: **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق: رشيد الزاوية، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2008 (176ص).

115. ابن زيدان عبد الرحمن: **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، الدار البيضاء: مطابع إديال، ط2، 1990م (الأجزاء: 5،4،3،2،1).

116. // : **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، الرباط: المطبعة الاقتصادية، 1937 (358ص).

117. // : **معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين**، دراسة بيبليومترية وتحقيق: حسن الوزاني، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط: دار أبي رقراق، ط1، 2009، ج2 (530ص).

118. السبكي تاج الدين عبد الوهاب: **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، (الأجزاء: 2، 3، 4، 7، 8، 9، 10).

119. السبكي تاج الدين عبد الوهاب: **معيد النعم ومبيد النقم**، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد علي النجار وآخرون، القاهرة: دار الكتاب العربي، ط1، 1948 (196ص).

120. السجلماسي أحمد بن المبارك: **الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2002 (486ص).

121. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت: دار الجيل، ط1، 1992، (الأجزاء: 1، 4، 6، 11)

122. // : **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، ترجمة صالح أحمد العلى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1986 (422ص).

123. سكيرج الحاج أحمد بن الحاج العياشي: **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب**، تصحيح وتقريظ: عبد الكريم بنيس، ط3، 1961 (560ص).

124. السلمي أبو عبد الرحمن: **الطبقات الصوفية**، تحقيق: أحمد الشرباصي، مطبعة: كتاب الشعب، ط2، 1998 (180ص).

125. ابن سودة أبو عبد الله محمد التاودي: **الفهرسة الصغرى والكبرى**، دراسة وتحقيق: عبد المجيد خيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002 (168ص).

126. ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر: **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، بيروت: دار الفكر، ط1، 1997م (414 صفحة).

127. // : **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996، ج7(397ص)، ج8(402ص).

128. سيمون بفاير: **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974 (135 صفحة).

129. السيوطي جلال الدين: **الإتقان في علوم القرآن**، حققه وخرج أحاديث: شعيب الأرناؤوط، اعتنى به وعلق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2008 (832ص).

130. // : **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق أبو الفضل محمد ّإبراهيم، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1964، ج2(607ص).

131. // : **تاريخ الخلفاء**، بيروت: دار الفكر، 2000، (488ص).

132. // : **لقط المرجان في أحكام الجان**، دراسة وتحقيق: مصطفى عاشور، القاهرة: مكتبة القرآن، 1988 (240ص).

133. // : **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، حرره: فليب حتي، بيروت: المكتبة العلمية، 1927 (212ص).

134. شارل هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، 2004 (419 صفحة).

135. الشافعي محمد بن إدريس: **ديوان الشافعي**، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، بيروت: دار المعرفة، ط3، 2005 (158ص).

136.الشطنوفي الشافعي نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف أبي الفضل: **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب القطب الرباني والغوث الصمداني والبحر الزاخر النوراني صاحب المقام**

العلي سيدي محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلي، تونس: مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، 1885، (367ص).

137. الشعراني عبد الوهاب: **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية**، تحقيق: طه عبد الباقي سرور والسيد محمد عيد الشافعي، بيروت: مكتبة المعارف، 1988، ج1(207ص) .

138. // : **اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر**، مصر: المطبعة الميمنية، 1306هـ/1888م ج1(154ص).

139. الشنتريني بن بسام أبو الحسن علي: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1997، القسم الأول(1069ص)، القسم الرابع(713ص).

140. الشنقيطي أحمد بن الأمين: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، القاهرة: مطبعة الخانجي، ط4، 1989م (542ص).

141. الصباغ محمد ابن القاسم الحميري: **درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب ذي الكعب العلي والفخر الشامخ الجلي القطب الأكبر والغوث الأشهر سيدي علي أبي الحسن الشاذلي**، (179ص).

142. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000 ج1(284ص)، ج2(302ص)، ج15(325ص).

143. الضبي(تـــ599هـــ): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1989، ج1(376ص).

144.الطائي أبو تمام: **الديوان**، (276ص).

145.ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي: **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، حققه وضبطه وشرحه: عبد القادر مايو، مراجعة: عبد الله فرهود، ط1، سوريا: دار القلم، 1997م.

146. الطبري محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1968م ج2(643ص)، ج3(632ص)، ج4(584ص).

147. الطرطوشي أبو بكر محمد بن محمد: **سراج الملوك**، 1319هـ/1901م (207ص).

148. طرفة ابن العبد: **ديوان طرفة بن العبد**، اعتنى به عبد الرحمن المصطفاوي، بيروت: دار المعرفة، ط1، 2003 (88ص).

149. الطيب بن المختار الغريسي: **القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم ضمن مجموع النسب للهاشمي بن بكار**، تلمسان: مطبعة ابن خلدون، 1961 (440 صفحة).

150. عامر بن الطفيل: **ديوان عامر بن الطفيل رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب**، بيروت: دار صادر، 1979 (146ص).

151. العباسي عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد: **كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص**، مصر: المطبعة البهية، 1316هـ/1898م، ج1(265ص).

152.العبدري المالكي بن الحاج أبو عبد الله محمد: **المدخل**، القاهرة: مكتبة دار التراث، ج1(317ص).

153. العِجْلِي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح: **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم بترتيب الهيثمي والسبكي مع زيادات ابن حجر**، دراسة وتحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مصر: مطبعة المدني.

154. ابن عجيبة أحمد بن محمد: **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مصر: عالم الفكر، (382ص).

155. // : **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله قرشي رسلان، نشر: حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ.

156. // : **الفهرسة**، حققها وقدم لها وعلق عليها: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة: دار الغد، ط1، 1990 (136ص).

157. // : **إيقاظ الهمم في شرح متن الحكم**، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله، القاهرة: دار المعارف، (653ص).

158. // : **كتاب شرح صلاة القطب ابن مشيش ضمن روائع ابن عجيبة**، جمع وتقديم: العمراني الخالدي عبد السلام، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، (415ص).

159. // : **معراج التشوف إلى حقائق التصوف**، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي (112ص).

160. ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: كولان وبروفنسال، بيروت: دار الثقافة، ط3، 1983، ج1(318ص).

161. ابن عساكر الدمشقي أبو القاسم علي بن الحسن: **تنبيه كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، دمشق: مطبعة التوفيق، 1928 (447ص).

162. ابن عسكر الشفشاوني: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، الرباط، ط2، 1977 (196ص).

163. العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال: **كتاب جمهرة الأمثال**، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه: أحمد عبد السلام، خرج أحاديثه: أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988 (475ص).

164. ابن عطاء الله السكندري: **لطائف المنن**، تحقيق: عبد الحليم محمود، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1999 (212ص).

165. علي حرازم بن العربي برادة: **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني**، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997(455ص).

166. عنترة بن شداد: **ديوان عنترة**، بيروت: مطبعة الآداب، 1893(96ص).

167. العياشي عبد الله بن محمد: **الرحلة العياشية**، حققها وقدم لها: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ج1(639ص)، ج2(709ص).

168. عياض اليحصبي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، المغرب: وزارة الأوقاف، 1966، ج2(264ص).

169. ابن غازي العثماني: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1988 (73ص).

170. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله: **عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، الجزائر: دار البصائر، ط1، 2007 (192ص).

171. غريط محمد: **فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان**، تحقيق: عبد القادر سعود وعبد المجيد خيالي، بيروت: دار ابن حزم، الرباط: دار الأمان، ط1، 2010 (386ص).

172. الغزالي أبو حامد: **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال**، ترجمه إلى الفرنسية وقدم له وعلق عليه فريد جبر، بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ط2، 1969 (55ص).

173. // : **إحياء علوم الدين**، دار الشعب، د ت، (الأجزاء: 1، 6، 8، 9، 12).

174. ابن الغزي شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن: **ديوان الإسلام**، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990، ج4(502ص).

175. الغزي العامري أحمد بن عبد الكريم: **الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1997 (319ص).

176. ابن الفارض عمر: **الديوان**، مصر: المطبعة الميمنية، 1322هـ/1904(144ص).

177. الفاسي الفهري أبو حامد محمد العربي بن يوسف: **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب**، دراسة وتحقيق: الشريف محمد بن حمزة بن علي الكتاني، (356ص).

178. الفاسي بن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط: دار المنصور للطباعة، 1972 (449ص).

179. الفاسي عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير: **معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب**، صححه وخرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003 (278 صفحة).

180. الفاسي عبد الكبير بن المجذوب: **تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ج2(468ص).

181. الفاسي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن: **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق: فاطمة نافع، الدار البيضاء: مركز التراث العربي، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2008 (382ص).

182. الفاسي محمد المهدي: **ممتع الأسماع في الجزولي والتّبّاع وما لهما من الأتباع**، تحقيق وتعليق: عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، الدار البيضاء: مطبعة دار النجاح الجديدة، ط1، 1994(252ص).

183. ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996 (503ص).

184. الفضيلي إدريس: **الدرر البهية والجواهر النبوية**، مراجعة ومقابلة: أحمد المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، الرباط: وزارة الأوقاف، 1999، ج1(329ص).

185. القادري محمد بن الطيب: **نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن كان بالمغرب من أهل القرن الحادي**، تقديم وتحقيق: خالد الصقلي، الرباط: دار الأمان، 2010 (151ص).

186. // : **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، القسم الأول، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ج3(368ص).

187. ابن القاضي أحمد: **جذوة الاقتباس في ذكر بمن حل من الأعلام بمدينة فاس**، 1975م، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، (693ص).

188. // : **ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار التراث، تونس: المكتبة العتيقة، ط1، 1971، ج1(309ص)، ج2(349ص).

189. // : **لقط الفرائد من لفاظة حُقق الفوائد**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج2 (468ص).

190. ابن قتيبة محمد عبد الله بن مسلم: **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة: دار المعارف، ط4، (817ص).

191. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر: **الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، ج13(536ص)، ج14(459ص)، ج18(522ص).

192. // : **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، تحقيق ودراسة: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الرياض: مكتبة دار المنهاج (1539ص).

193. القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر: **الإيضاح في علوم البلاغة**، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003 (415ص).

194. القزويني زكرياء بن محمد بن محمود: **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت: دار صادر، (669ص).

195. القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان: **الرسالة القشيرية**، بتحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة: دار الشعب، 1989 (639ص).

196. // : **الرسالة القشيرية**، وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002 (440ص).

197. القلقشندي أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق: يوسف علي طويل، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط1، 1922، ج2(477ص)، ج4(506ص)، ج6(585ص).

198. // : **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، 1980(495ص).

199. ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن علي بن الخطيب: **الوفيات**، حققه وعلق عليه عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة (397ص).

200. // : **شرف الطالب في أسنى المطالب**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق وتنسيق محمد حجي وأحمد التوفيق، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ج1 (567ص).

201. ابن قيم الجوزية شمس الدين: **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995 (344ص).

202. // : **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1999(1213ص).

203. الكاشاني عبد الرزاق: **معجم اصطلاحات الصوفية**، تحقيق وتقديم: عبد العادل شاهين، القاهرة: دار المنار، ط1، 1992(430ص).

204. الكتاني جعفر بن إدريس: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، الدار البيضاء: دار الثقافة، 2004، ج1(452ص)، ج2(438ص)، ج3(574ص).

205. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، باعتناء: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982 (1621ص).

206. الكتاني محمد بن جعفر: **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة**، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط4، 1986.

207. الكتبي محمد بن شاكر: **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1974، ج3(458ص)، ج4(406ص).

208. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل: **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر، 1997، ج7(690ص)، ج8(704ص)، ج16(782ص).

209. الكردودي عبد القادر: **كشف الغمة ببيان أنّ حرب النظام حق على هذه الأمة**، طبعة حجرية، المكتبة الوطنية المغربية، رقم: C13972n(104ص).

210. الكنسوس محمد بن أحمد: **الجواب المُسكت في الردّ على من تكلّم في طريق الإمام التجاني بلا تثبت**، (21ص).

211. // : **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، ج1(346ص)، ج2(232ص).

212. ليون الإفريقي الحسن ابن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط2، 1983م، ج1(383ص)، ج2(339ص).

213. المازاري الآغا بن عودة: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، دراسة وتحقيق: يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ج1(405ص)، ج2(427ص).

214. ابن مالك جمال الدين أبي عبد الله محمد: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، مكة المكرمة: المطبعة الأميرية، ط1، 1319هـ/1901م (88ص).

215. الماوردي أبي الحسن: **أدب الدنيا والدين**، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، بيروت: دار إقرأ، ط4، 1985 (367ص).

216. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: **الفاضل**، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1995 (167ص).

217. // : **الكامل**، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: محمد أحمد الدالي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1997، ج1-3(1504ص).

218. متفكر أحمد: **قضاة مراكش عبر العصور**، الرباط: مطبعة الأمنية، ط1، 2010، (175ص).

219. المتقي الهندي أبو الحسن علاء الدين: **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، اعتنى به: إسحاق الطيبي، الرياض: دار الأفكار الدولية، ط2، 2005 (2961ص).

220. المتنبي أبو الطيب: **الديوان**، بيروت: دار بيروت للطباعة، 1983(583ص).

221. مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1985، (82ص).

222. المجي محمد: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ج3(495ص).

223. محمد الأخضر: **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية 1664-1894**، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ط1، 1977 (502ص).

224. محمد الصالح العنتري: **سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة**، منشور تحت عنوان: "مجاعات قسنطينة" من طرف رابح بونار، الجزائر، 1974م.

225. محمد بن الأمير: **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، شرح وتعليق: ممدوح حقي، بيروت: دار اليقظة، ط2، 1964م (947 صفحة).

226. محمد بن سعد بن منيع الزهري: **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي.

227. محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978 (301 صفحة).

228. المختار السوسي: **المعسول**، الرباط: مطابع الشمال الإفريقي، 1961، ج6(340ص)، ج10(314ص).

229. مخلوف محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، القاهرة: المطبعة القاهرة: المطبعة السلفية، 1349هـ، ج1(564ص)، ج2(231ص).

230. ابن مرزوق التلمساني محمد: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981 (506ص).

231. ابن مريم التلمساني: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1908 (290ص).

232. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**، إشراف: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض: دار طيبة، ط1، 2006 (1523ص).

233. مصطفى المشرفي محمد بن محمد: **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ مفاخرها غير المتناهية**، تحقيق ودراسة: إدريس بوهليلة، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2005، ج1(330ص)، ج2(371ص).

234. المعري أبو العلاء: **الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ**، ضبطه وفسر غريبه: محمود حسن زناتي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، (478ص).

235. // : **سقط الزند**، بيروت: دار صادر، 1957 (340ص).

236. ابن معصوم الحسني: **سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر**، (623ص).

237. المقري أبو العباس أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1988، (الأجزاء: 1، 2، 3، 5).

238. // : **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1939، ج1(378ص)، ج3(368ص).

239. // : **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تحقيق: محمد بن معمر، الجزائر: مكتبة الرشاد، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بجامعة وهران، 2004 (264ص).

240. ابن الملك الأنصاري: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس ومحمد بن شريفة، بيروت: دار الثقافة، ج4(313ص).

241. المناوي عبد الرؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، بيروت: دار المعرفة للنشر، ط2، 1972 (الأجزاء: 1، 2، 4).

242.ابن منقذ أسامة: **ديوان أسامة بن منقذ**، حققه وقدم له: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، بيروت: عالم الكتب، ط2، 1983 (416ص).

243. الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم: **مجمع الأمثال**، حققه وفصّله وضبط غرائبه وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1955، ج1(447ص)، ج2(462ص).

244. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي: **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1954.

245. النبهاني يوسف بن إسماعيل: **جواهر البحار في فضائل المختار**، ج3(872ص).

246. النميشي أحمد، **تاريخ الشعر والشعراء بفاس**، فاس: مطبعة أندري، 1924 (114ص)

247. أبو نواس: **ديوان أبي نواس**، مصر: المطبعة العمومية، 1898 (439ص).

248. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: علي بوملحم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004، ج3(358ص)، ج7(236ص).

249. النيسابوري البغدادي أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين السلمي: **المقدمة في التصوف وحقيقته**، تحقيق وتقديم: يوسف زيدان، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (138ص).

250. الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، حققه وخرج أحاديثه: حسين سالم أسد الدّاراني، دمشق: دار المأمون للتراث، د ط، ج2(480ص).

251. الورثيلاني الحسن بن محمد: **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 2008.

252. الولاتي البرتَلّي أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1981(299ص).

253. الولالي أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب: **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بوعصاب، الرباط: منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء: مطلعة النجاح الجديدة، ط1، 1999 (342ص).

254. الوهراني مسلم بن عبد القادر: **أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م، (127 صفحة).

255. اليوسي الحسن: **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط1، 1981، ج2(316ص).

ثالثا: المراجع باللغة العربية

256. إبراهيم بك حليم: **تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بالتحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية**، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1988(267ص).

257. إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، لاهور (باكستان): إدارة ترجمان السنة(757ص).

258.أحمد تيمور باشا: **تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر**، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط1، 2002(164ص).

259. أحمد مختار عبد الحميد عمر وفريق عمل: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مصر: عالم الكتب، ط1، 2008 (3367ص).

260. أفا عمر: **تاريخ المغرب المعاصر دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد**، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2002(399ص).

261. الألباني محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة مرتبة على الأبواب الفقهية**، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل حسن، الرياض: مكتبة المعارف مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2004(884ص).

262. // : **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة مرتبة على الأبواب الفقهية**، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 2009(2430ص).

263. // : **صحيح الترغيب والترهيب**، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ج2(788ص)، ج3(863ص).

264. //: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1988(1368ص).

265. // : **صحيح سنن الترمذي**، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 2000، ج2(651ص)، ج3(622ص).

266. // : **ضعيف الترغيب والترهيب**، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ج1(680ص)، ج2(756ص).

267. // : **ضعيف سنن الترمذي**، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 2000(756ص).

268. // : **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ج10، الرياض: دار المعارف، ط1، 1412 هـ/1992م، ج10(946ص).

269. // : **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1988(942ص).

270. أمطاط محمد: **الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962 مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر**، تقديم: محمد كنبيب، الرباط: دار أبي رقراق، ط1، 2008(455ص).

271. أندري نوشي وآخرون: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة: اسطمبولي رابح ومنصف عاشور، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984(427 صفحة).

272. برادة ثريا: **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1997 (516ص).

273. بروفنسال ليفي: **مؤرخو الشرفاء**، تعريب: عبد القادر الخلادي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977(319ص).

274. بروكلمان كارل: **تاريخ الأدب العربي**، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، القاهرة: دار المعارف، ط4، ج2(293ص).

275. البزاز محمد الأمين: **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1992 (430ص).

276. بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م(624ص).

277. البوطي محمد سعيد رمضان: **الحكم العطائية شرح وتحليل**، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2003، ج3(518ص)، ج4(520ص).

278. بوعزيز يحي: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995م، ج2(270ص).

279. // : **الموجز في تاريخ الجزائر الجزائر الحديثة**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ج2(257ص).

280. // : **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ج1(368ص).

281. // : **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985م(159ص).

282. التليدي عبد الله بن عبد القادر: **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، الرباط: دار الأمان، ط4، 2003(256 صفحة).

283. التمسماني محمد بن محمد المهدي: **الإمام مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية ترجمته وبعض آثاره**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007 (200ص).

284. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، 1994م، ج3، ج4.

285. حجي محمد: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط: مطبعة فضالة، سبتمبر1978م (جزآن: 744ص).

286. // : **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، الرباط: المطبعة الوطنية، 1964(301ص).

287. حركات إبراهيم: **المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية**، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ط1، 1985، ج3(592 صفحة).

288. حشلاف عبد الله بن محمد بن الشارف بن علي: **كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، تونس: المطبعة التونسية، 1929(168ص).

289. الحفني عبد المنعم: **الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية**، القاهرة: دار الرشاد، ط1، 1992(427ص).

290. // : **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، القاهرة: دار الرشاد، ط1، 1993(439ص).

291. الحموي ياقوت: **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993.

292. // : **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، 1977.

293. الحميري محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984(745ص).

294. الخاني عبد المجيد بن محمد: **الحدائق الوردية في حقائق أجلاّء النقشبندية**، أربيل: دار ئاراس، ط2، 2002(400ص).

295. خليل سلمان: **السيل العارض في نقض تائية ابن الفارض**، بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1998(240ص).

296. روبير شنيرب: **تاريخ الحضارات العام**، نقله إلى العربية: يوسف أسعد داغر وفريد داغر، بيروت: عويدات للنشر والطباعة، 2003، ج6.

297. روجرز. ب.ح: **تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900**، ترجمة ودراسة وتعليق: يونان لبيب رزق، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط1، 1981(352 صفحة).

298. روجي لوتورنو: **فاس قبل الحماية**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج1.

299. الزركلي خير الدين: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002، 8أجزاء.

300. أبو زهرة محمد: **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، القاهرة: دار الفكر العربي(688ص).

301. الزيات أحمد وآخرون: **المعجم الوسيط**، إشراف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004(1097ص).

302. السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس**، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2000.

303. سعد الله أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1990، ج1(408 ص)، ج2(396ص).

304. // : **الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1992، ج1(524 صفحة).

305. // : **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م، (الأجزاء:1، 2، 4، 5، 7).

306. // : **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى** 1850 **صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1990(146ص).

307. // : **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1982(194 صفحة).

308. سعيدوني ناصر الدين: **الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من قضايا ومفاهيم تاريخية**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000(520ص).

309. // : **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800- 1830**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م(344ص).

310. // : **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م(423ص).

311. الشابي مصطفى: **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، المحمدية: مطبعة فضالة، ط1، 1995.

312. الشباني الإدريسي الحسني أحمد: **مصابيح البشرية في أبناء خير البرية**، ب د ط، ط1، 1987(327 صفحة).

313. صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830م**، دار هومة، 2004(422ص).

314. ابن عبد الله عبد العزيز: **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية معلمة القبائل**، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1977(389ص).

315. // : **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية معلمة الصحراء**، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1976(220ص).

316. عدي الهواري: **الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830– 1960م**، ترجمة: جوزيف عبد الله، بيروت: دار الحداثة، ط1، 1983(224ص).

317.العربي إسماعيل: **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1980(327 صفحة).

318. غلاب عبد الكريم: **قصة المواجهة بين المغرب والغرب**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003(367 صفحة).

319. فركوس صالح: **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى**، الجزائر: دار الفجر للطباعة والنشر، ط1، 2005(570 صفحة).

320. فوزي عبد الرزاق: **المطبوعات الحجرية بفاس فهرس مع مقدمة تاريخية**، الرباط: دار نشر المعرفة، 1989(208ص).

321. قنان جمال: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994(325 صفحة).

322. كحالة عمر رضا: **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1993، (الأجزاء: 1، 2، 3).

323. // : **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1997، (الأجزاء: 1، 2، 3).

324. كنون عبد الله: **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، قدم له: محمد بن عزوز، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغرب، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2010(1622ص).

325. الكوهن أبو علي الحسن بن محمد بن قاسم: **طبقات الشاذلية الكبرى المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية**، وضع حواشيه: مرسي محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2005(247ص).

326. لويس شيخو: **تاريخ الآداب العربية 1800-1925**، بيروت: دار المشرق، ط3، 1991(542ص).

327. مبارك علي باشا: **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، مصر: مطبعة بولاق الأميرية، ط1، 1305هـ/1887م، ج4(130ص)، ج12(148ص).

328. محمد بك فريد: **البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية**، بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، 1307هـ/1889م(220ص).

329. محمد درى بك الحكيم: **كتاب النخبة الدرّية في مآثر العائلة المحمدية العلوية**، بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، 1307هـ/1889م(58ص).

330. محمود إسماعيل: **الأدارسة حقائق جديدة**، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1991(188ص).

331. // : **المهمشون في التاريخ الإسلامي**، القاهرة: رؤية للنشر، ط1، 2004(208ص).

332. محمود عبد الرؤوف القاسم: **الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**، بيروت: دار الصحابة، ط1، 1987(896ص).

333. المدني أحمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (247ص).

334. المرزوقي محمد: **قابس جنة الدنيا**، مصر: مكتبة الخانجي، 1962(329ص).

335. مزيان أحمد: **المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر 1845-1912**، الرباط: دار أبي رقراق، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، ط1، 2007، ج1(271ص).

336. // : **فجيج فكيك مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن التاسع عشر1845م-1903م**، المغرب: مطبعة فجر السعادة، 1988(592صفحة).

337. المستغانمي عبد القادر بن عيسى: **مستغانم وأحوازها عبر العصور تاريخيا وثقافيا وفنيا**، مستغانم: المطبعة العلاوية، ط1، 1996(317ص).

338. معريش العربي: **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873– 1894م**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1989م(310ص).

339. مناصرية يوسف: **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832–1847م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990.

340. ابن منظور الأفريقي محمد بن مكرم: **لسان العرب**، القاهرة: دار المعارف، (5004ص).

341. المنوني محمد: **المصادر العربية لتاريخ المغرب الفترة المعاصرة 1730 – 1930**، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1989م، ج2(464ص).

342. // : **قبس من عطاء المخطوط المغربي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999، مج2.

343. // : **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1985م ج1(520ص).

344. الميداني عبد الرحمن حسن حبنّكه: **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد**، بيروت: الدار الشامية، دمشق: دار القلم، ط1، 1996، ج2(584ص).

345. نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر**، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1983(430ص).

346. هلال عمار: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين03-14هـ**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995(484ص).

347. الوكيل عبد الرحمن: **هذه هي الصوفية**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1979(188ص).

رابعا: الوثائق

348. **الوثائق:** مجموعات وثائقية دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، المجموعة2، الرباط: المطبعة الملكية، 1976.

خامسا: المراجع باللغة الأجنبية

349. Bruno Etienne, **Abdelkader**, Paris, 1994(500pgs).

350. C.R. AGeron, **Histoire de l'Algérie contemporaine**, P.E.F, Paris, 1964.

351. Charl André Julien, **Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation**, Paris, 1964.

352. Chatelier, **Notes Sur Les Villes Et Tribus Du Maroc En 1890**, Angers: imprimerie A. burdin ; 1902(112 pgs).

353. De Lamartiniere et La Croix, **Documents pour servir a l'etude du nord Africain**, Tom 2, 1896 .

354. Eisenbeth. M : **les Juifs en Algérie esquisse Historique de puis les origines jusqu'a nos jours.**

355. G.L. Miége, **le Maroc et l'Europe 1830 – 1894**, édition la port, Rabat, 1996, tome2.

356. J. Berque, **L'intérieure du Maghreb 18- 19 siècle**, édite galimard, Paris, 1978.

357. Moulay Belhmissi , **Marine et marins d'Algerie 1518–1830**, tome3, grandeur et décadence, bibliothèque nationale d'Algerie, 1996.
358. Paul Marty, **études Sur L'Islam Et Les Tribus Du Soudan**, Paris: Editions Ernest Leroux، 1920(335 pgs).
359. Riin Louis, **Marabouts et khouan études sur l'islam en Alger**, 1884(552 pgs).
360. Shaw Tomas, **Voyage Dans La Régence D'Algérie**, Traduit de l'Englais par Mac- Carty.

سادسا: الرسائل الجامعية

361. بلبراوات بن عتو: **الباي محمد بن عثمان الكبير ومشرعه الحضاري 1779- 1797م**، رسالة ماجستير، جامعة وهران 2002(359ص).

362. بونقاب مختار: **تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر**، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002(179 صفحة).

363. حمدادو بن عمر: **أبو راس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2003(202ص).

364. شويتام أرزقي: **نهاية الحكم العثماني بالجزائر وعوامل انهياره 1800- 1830**، رسالة ماجستير، كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، 1988(213ص).

365. ابن صعد التلمساني: **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، دراسة وتحقيق: بلحاج محمد، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2008، ج1.

366. العربي المشرفي: **أقوال المطاعين في الطعن والطواعين**، دراسة وتحقيق: الحسين الفرقان، دكتوراه، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003(485ص).

367. // : **طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجّار**، دراسة وتحقيق: يوسف أخليص، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، الدار البيضاء المغرب، 1999- 2000 (282ص).

368. العماري أحمد: **مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب من حوالي 1830 إلى حوالي 1902 من خلال رحلة السوسي**

منتهى النقول القسم الخاص بالحدود مع تحقيق النص، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب أكدال، جامعة محمد الخامس، 1981م، ج4.

369. الناصري أبو راس: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، دراسة وتحقيق: بوركبة محمد، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2008.

370. اليوسي أبو علي الحسن بن مسعود: **الفهرسة**، تحقيق: زكريا الخثيري، دبلوم الدراسات العليا المعمقة، الرباط: جامعة الخامس أكدال، بإشراف: جعفر بلحاج السلمي، 2004(131ص).

سادسا: المجلات باللغة العربية

371. بلقاسمي بوعلام: "**خصائص ومميزات ثورة أولاد سيدي الشيخ**"، عصور، مجلة علمية محكمة تصدر عن مخبر مصادر وتراجم، جامعة وهران، ع1، (ص ص: 7-15).

372. بوعزيز يحي: "**الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالجزائر**"، مجلة الحضارة الإسلامية، تصدر عن المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، ع2، 1996.

373. // : "**المجاعات في الجزائر أواخر عقد الستينات من ق19**"، الأصالة، ع 32، (ص ص: 7- 29).

374. // : "**تاريخ مدينة معسكر الثقافي وجهاد الأمير عبد القادر**"، ملتقى الفكر الإسلامي، 1987، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2005.

375. بوعناني مختار: "**الشيخ مولاي العربي بن عطية تـــ:1272هـــ الملقب بالطويل سيرته ومؤلفاته**"، مقال ألقي بجامعة الشلف يومي 2 و3 فيفري 2009.

376. بوهليلة إدريس: "**أصول الحركات الاستقلالية في المغرب المعاصر- الجزائريون في المغرب وحرب تطوان**"، ضمن مؤلف جماعي تحت عنوان: المغرب والأندلس دراسات وترجمات، تقديم وتنسيق: مصطفى بنسباع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي بالمغرب، تطوان: مطبعة الخليج العربي، 2011، (ص ص: 67-88).

377. // : "**أصول الحركات الاستقلالية في المغرب المعاصر- موقف العلماء والمثقفين من احتلال الجزائر**"، ضمن مؤلف جماعي تحت عنوان: المغرب والأندلس دراسة في التاريخ

والأكريولوجيا، ع3، تقديم وتنسيق: محمد حبيبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي بالمغرب، تطوان: مطبعة الخليج العربي، 2009، (ص ص: 85-95).

378. الزاوي الجيلالي والمشرفي بن عبد الكريم: "**نافذة على بعض علماء معسكر رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو التراري**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2-3، 2005/2004، (ص ص: 85-100).

379. الزبيري محمد العربي: "**المقاومة في الجزائر 1830-1848**"، مجلة الأصالة، عدد 30/29، 1976(ص ص: 02 - 20).

380. سعد الله أبو القاسم: "**مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر**"، الثقافة، عدد 75، سنة 13، 1983، تصدر عن وزارة الثقافة.

381. سعيدوني ناصر الدين: "**الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827-1830**"، مجلة الثقافة، ع28، السنة الخامسة، رجب شعبان 1395هـ/أوت- سبتمبر 1975م.

382. شرف عبد الحق: "**رسالة أخوية من العربي المشرفي إلى السيد عبد القادر بن حليمة نهاية العقد الثامن من القرن التاسع عشر**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلة علمية محكمة تصدر عن مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بجامعة وهران، ع5، 2008.

383. العافية عبد القادر: "**لمحات تاريخية عن مدينة شفشاون**"، دعوة الحق، ع5، جويلية 1977.

384. ابن قادة الصادق: "**الشيخ بن حواء المستغانمي ومنظومته سبيكة العقيان-مكانتها في إنتاج المناقب الجهوية**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2-3، (ص ص: 73- 83).

385. القادري عبد القادر: "**السلطان مولاي عبد الرحمن والأمير عبد القادر الجزائري**"، دعوة الحق، تصدرها وزارة عموم الأوقاف بالمغرب الأقصى، ع4-5، 1957، (ص ص: 39-40).

386. قنان جمال: "**معركة اسطاوالي**"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر: معهد التاريخ، ع2، 1986م، (ص ص: 54-61).

387. لونيسي إبراهيم: "**مصطفى بن التهامي 1788- 1866 العالم ورجل الدولة**"، عصور، ع3، 2003، تصدر عن مخبر مصادر وتراجم، قسم التاريخ جامعة وهران، (ص ص: 95-103).

388. المنوني محمد: **"المصادر التاريخية للمغرب الشرقي في القرن التاسع عشر"**، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر الوسط الطبيعي التاريخ والثقافة، وجدة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول(ص ص: 361 - 409).

389. // : **"وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس"**، دعوة الحق، مجلة تُصدرها وزارة عموم الأوقاف المغربية، ع2، السنة العاشرة، ديسمبر 1966 (ص ص: 104 - 106).

390. هلال عمار ، **"العلماء الجزائريون في فاس"**، مجلة الدراسات التاريخية، ع09، مجلة علمية تصدر عن معهد التاريخ بالجزائر(ص ص 07 - 60).

سابعا: المجلات باللغة الأجنبية

391. André Delpech**," Résumé Historique sur le soulèvement des Derkaoua dans la province d'Oran"**, R.A, N 18, 1874, (pp : 38 – 58).

392. Henri Pérès : **"l'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877–1878"**, R.A, N76, 1935. (pp : 259 – 270).

393. Michaux Béllaire, **"les Algériennes au Maroc et en Syrie"**, Revue de monde Musulman, tom2, 1907. (pp : 499-512).

394. PH. de Cossé Brissac : **"la France et le Maroc Pendant la conquête d'Algérie"**, Herspérise, Tom 13, 1931. (35-115).

الفهرس العام

الموضوعات	الصفحة

مقدمة..... أ-ز

القسم الأول: دراسة مخطوط الحسام المشرفي

الفصل الأول: حياة العربي المشرفي

أولا: نشأة المشرفي وتكوينه..... 3

1- اسمه ومولده..... 3

2- نسبه..... 5

3- دراسته وتكوينه..... 8

ثانيا: هجرة المشرفي إلى المغرب والاستقرار بفاس (1844-1895):..... 12

1- ظروف الهجرة..... 12

2- اعتقاله وسجنه..... 19

3- استقراره بفاس..... 24

4- علاقاته بعلماء فاس..... 36

5- تلاميذه وإجازاته العلمية..... 38

6- وفاته..... 39

الفصل الثاني: الإنتاج العلمي للعربي المشرفي

أولا: في التاريخ..... 41

ثانيا: في الردود والاعتراضات..... 54

ثالثا: في الأدب..... 59

رابعا: في الطب..... 64

خامسا: في النوازل الفقهية..... 65

الفصل الثالث: عصر المشرفي

أولا: الأوضاع السياسية..... 70

1. ثورة درقاوة..... 70

2. المساعي المغربية لإنهاء ثورة الدرقاوية..... 73

3. ثورة التيجانية..... 75

4. الحصار البحري..... 76

5. الاحتلال الفرنسي للجزائر..... 77
6. موقف المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر..... 80
7. مقاومة الأمير عبد القادر..... 82
8. تأرجح مواقف المغرب من مقاومة الأمير عبد القادر بعد هزيمة إيسلي..... 84
ثانيا: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية..... 86
1- **الأوضاع الاجتماعية**..... 86
- الأوضاع الاجتماعية مع نهاية العهد العثماني..... 87
- الاستعمار الفرنسي وسياسة التفكيك الاجتماعي للجزائريين..... 88
- الأوضاع الاجتماعية للمهاجرين الجزائرين بالمغرب..... 89
- الحالة الصحية بالجزائر والمغرب خلال عصر المشرفي..... 90
2- **الأوضاع الاقتصادية**..... 92
- الزراعة..... 92
- الحرف..... 93
- التجارة..... 93
ثالثا: الحياة الثقافية..... 94
الباي محمد بن عثمان وإحياء الحركة العلمية أواخر العهد العثماني..... 94
الوضع الثقافي بالجزائر غداة الاحتلال الفرنسي..... 96
الهجرات الجزائرية إلى المغرب ومميزات الوضع الثقافي الجديد..... 97
الفصل الرابع: وصف المخطوط ومنهجه ومصادره
1- تاريخ تأليف المخطوط وعنوانه ونسبته إلى المشرفي..... 100
2- النسخ المعتمدة في التحقيق..... 103
3- مناسبة تأليف مخطوط الحسام المشرفي..... 108
- **التعريف بمحمد بن أحمد الكنسوسي وكتابه الجيش العرمرم الخماسي**..... 109
- **سبب تأليف مخطوط الحسام المشرفي**..... 111
4- دراسة مخطوط الحسام المشرفي..... 112
- **وصف مخطوط الحسام**..... 113

- **أسلوب المشرفي في مخطوط الحسام**..... 113
- **منهج المشرفي في مخطوط الحسام**..... 115
5- مصادر مخطوط الحسام..... 117
- **القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع**..... 117
- **مصادر التفاسير**..... 118
- **مصادر الأحاديث النبوية الشريفة**..... 119
- **المصادر الفقهية**..... 119
- **مصادر الأدب واللغة وعلومها**..... 120
- **المصادر التاريخية وكتب التراجم**..... 121
- **مصادر الرحلات والجغرافيا**..... 125
- **مصادر التصوف**..... 126
- **مصادر علم الكلام**..... 128
6- وقفات منهجية مع مخطوط الحسام..... 129
7- وضع الرموز والعلامات..... 132
القسم الثاني: تحقيق مخطوط الحسام المشرفي إلى نهاية الترجمة الرابعة 133
مقدمة المخطوط 135
ذكر المؤلِّف سبب تأليف الكتاب..... 135
ذكر محمد الكنسوسي المعني بهذا التأليف..... 136
وصف مجالس اللهو في عصر المشرفي..... 140
ذكر كتاب الجيش العرمرم وذمّ مؤلّفه..... 152
ذكر ما كان للأعشى مع مِسحل بن أثاثة..... 154
تشنيع المشرفي على الكنسوس في سبّ أولياء الله..... 156
ذكر الغالي اللجائي وما كان منه تجاه لحسن قنبور..... 161
شكاية لحسن قنبور إلى بعض تلاميذه إذاية قبيلة لجاية..... 162
رجع الحديث عن الكنسوسي..... 164
مقدمة في فائدة علم التاريخ وشرفه..... 165

ابتداء التأريخ..... 166
ابتداء تاريخ الإسلام..... 167
أول من أرّخ..... 168
مفهوم التاريخ في اللغة والاصطلاح..... 169
أنواع التواريخ..... 169
تاريخ العرب..... 170
تاريخ الروم..... 173
تاريخ الفرس القديم والجديد..... 174
تاريخ القبط..... 176
تاريخ بنو إسرائيل..... 176
التاريخ الحرفي..... 177
أنواع التاريخ الحرفي..... 179
الترجمة الأولى: في الفقيه السوسي محمد الكنسوس 187
التنبيه على ما في كتاب الكنسوس من الأغاليط..... 187
تشبيه المشرفي الكنسوس بطويس..... 188
سبب معارضة المشرفي للكنسوسي..... 190
طعن الكنسوس في الجيلاني والعربي الدرقاوي وصلحاء أبي الجعد والأشاعرة.. 191
تبرير المشرفي لطعنه في الكنسوس..... 194
قدح المشرفي في مروءة وعدالة الكنسوسي..... 195
نسب الكنسوس..... 197
ذكر العربي الدرقاوي وأحمد التيجاني..... 198
سؤال ابن حمدون وجواب أحمد التجاني..... 199
شروط التصوف..... 206
المشيخة الصوفية ومن يصحّ الأخذ عنه..... 207

أقسام العلماء..... 208
نصيحة أحمد البكاي للكنسوس..... 209
رسالة الشيخ البكاي إلى الكنسوس..... 210
رد الكنسوسي على رسالة البكاي..... 213
رد البكاي على جواب الكنسوس..... 214
النصائح التي احتواها جواب البكاي..... 219
نفي المشيخة الصوفية عن التجاني..... 219
الردّ على التيجانية ونفي ولايتهم..... 220
تحريم التجانية زيارة الأولياء والردّ عليهم..... 223
حكم زيارة الأولياء وأدلتها..... 225
تحقيق يوسف بن محمد القصري الفاسي لمسألة الزيارة..... 228
ذكر بعض من ردّ على الكنسوس..... 240
قصيدة الأديب المكناسي في هجو الكنسوس..... 242
قصيدة المشرفي في ذمّ الكنسوس..... 244
إعراض العلماء عن الكنسوس..... 248
تورّع المهدي بن سودة الفاسي في الردّ على الكنسوس..... 248
ذكر محمد بن عبد الرحمن بن هشام..... 250
قصيدة المهدي بن سودة في الرد على الكنسوس..... 250
رأي المشرفي في رد المهدي بن سودة على الكنسوس..... 252
الترجمة الثانية: في الأشاعرة 253
التعريف بالأشاعرة..... 253
رد المشرفي على الكنسوس..... 255
مناظرة أبي الحسن الأشعري للجبائي المعتزلي..... 256
مؤلفات أبي الحسن الأشعري ومناقبه..... 258

الرد على اتهام الكنسوس للجيلاني بفساد الاعتقاد..... 259
ذكر أبي سالم العياشي ورحلته..... 259
رأي المشرفي فيما طرقه العياشي..... 261
ردّ المسناوي على ابن مغيزل..... 263
رأي المشرفي في عقيدة الجيلاني والأشاعرة..... 267
انتصار المشرفي للجيلاني وأدلّته في ذلك..... 269
ابتداء أمر عبد القادر الجيلاني..... 271
كرامات الجيلاني..... 272
ذكر من أسلم على يد الجيلاني..... 277
خاتمة الترجمة الثانية..... 278
الترجمة الثالثة: في مولانا إدريس الأكبر 279
مقالة الكنسوس في مَقدم إدريس إلى المغرب والردّ عليه..... 279
مدينة وليلي وتاريخ دخول إدريس الأكبر إليها..... 280
قدوم إدريس الأكبر إلى المغرب الأقصى..... 281
ثناء المؤرخين على إدريس الأكبر..... 282
وفاة إدريس الأكبر وما تبعه من أحداث..... 283
مبايعة إدريس الثاني..... 284
مقتل راشد بن المرشد..... 285
وفاة إدريس الثاني..... 288
التوسّل بإدريس الأكبر وابنه..... 289
ذكر عبد السلام بن مشيش..... 289
قصيدة أبو سالم العياشي في التوسل بإدريس الأكبر..... 290
رد المشرفي على الكنسوس..... 291
ذكر الأحاديث الواردة في فضائل آل البيت..... 291

ما ذكره الشافعي في حبّ آل البيت..... 293
ذكر الأخبار الواردة في آل البيت..... 294
مدح أبو نواس لآل البيت..... 296
ذكر الأحاديث الواردة في وجوب محبة آل البيت..... 296
ذكر المؤلف السبب في ردّه على الكنسوس..... 299
رجع الحديث عن إدريس الأكبر..... 299
دعوة المشرفي لهجر الكنسوس..... 300
خاتمة الترجمة الثالثة..... 301
ذكر مدينة تطوان..... 302
الترجمة الرابعة: في أولياء المغرب ومن الولاية في غيرهم عنقاء مغرب 305
زوايا المغرب..... 305
1- **زاوية وزّان وذكر وليها عبد الله الشريف**..... 305
ذكر العربي الوزاني..... 306
قصيدة محمد بن إدريس في مدح العربي الوزاني..... 308
ذكر التهامي الوزاني وتهنئة السلطان سليمان له..... 310
2- **زاوية أبي الجعد**..... 313
التعريف بمؤسسها مَحمد الشرقي التادلي..... 313
طعن الكنسوس في زاوية أبي الجعد..... 314
رد المشرفي على الكنسوس..... 314
توسل صالح بن المعطي بالأولياء حال ظهور الفتن..... 316
جواب التستاوتي لصالح بن المعطي..... 316
نسب شيوخ زاوية أبي الجعد..... 317
3- **الزاوية الناصرية بتمكروت**..... 317
سند محمد بن ناصر الدرعي في الطريقة..... 319

4- زاوية الغازي بلقاسم..... 321
5- زاوية أحمد الحبيب..... 321
6- زاوية الطيب بن الماحي..... 322
قصيدة أحمد بن عبد العزيز الهلالي يمدح أحمد الحبيب..... 322
7- زاوية كرزاز..... 325
8- زاوية القنادسة..... 325
9- **زاوية المختار الكنتي**..... 325
قصيدة في سند المختار الكنتي..... 326
10- **زاوية الدلائيين**..... 330
قصيدة العربي بن يوسف الفاسي في مخاطبة الدلائيين..... 332
المُلْكُ وشروطه..... 333
تنبيه المؤلف على أن هذه المقدمة لازمة قبل تحلية أهل الدلاء..... 336
مفهوم الخلافة..... 336
قصة عبد الله بن مروان مع ملك النوبة..... 336
ثناء المؤلّف على الدلائيين والعلويين..... 337
قصيدة اليازغي في الإشادة بفضل الدلائيين..... 337
ذكر نسب أبي بكر بن محمد الدلائي..... 338
رسالة من المقري إلى شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي..... 342
تتمة قصيدة اليازغي في الدلائيين..... 348
11- **زاوية أولاد البقال**..... 360
ذكر الزاوية الدرقاوية..... 362
ذكر العياشي وتصوفه..... 363
12- **زاوية العربي الدرقاوي**..... 369
نسب العربي الدرقاوي..... 370

سند العربي الدرقاوي..... 373
مفهوم الكرامة..... 380
ولاية الطيب بن العربي الدرقاوي..... 381
ولاية العربي الدرقاوي..... 381
ذكر نُتفٍ من رسائل العربي الدرقاوي..... 384
طعن الكنسوس في العربي الدرقاوي..... 384
ذكر من وقعت إذايته من العلماء..... 385
الشيخ في اصطلاح الصوفية..... 387
حروب الترك مع درقاوة..... 389
ذكر الاحتلال الفرنسي للجزائر..... 391
ذكر الثورات التي قامت ضد الاحتلال الفرنسي بالجزائر..... 392
ذكر ثورة أولاد سيدي الشيخ..... 392
وقائع قبائل الحشم مع الأتراك..... 394
ذكر عبد القادر بن الشريف الدرقاوي ووقائعه مع الأتراك..... 394
شيوخ التصوف بمدينة المعسكر..... 396
رسالة من العربي بن عطية الطويل إلى بعض إخوانه..... 397
رد الغريسي على رسالة العربي بن عطية..... 399
ختم الولاية المحمدية والولاية العامة..... 404
ترجمة بوزيان بن أحمد الغريسي..... 407
ترجمة محمد بن إبراهيم..... 409
تفضيل المؤلف للطريقة الدرقاوية على غيرها..... 409
الدرقاوية في معسكر ووهران ومستغانم..... 410
ذكر ابن حوا المستغانمي..... 410
قصيدة الشيخ بن حوا المستغانمي في ذكر علماء عصره..... 411

انتقال الطريقة الدرقاوية إلى إفريقية ومصر..... 420
ما وقع بين الإمام الباجوري وشيخ الدرقاوية الشعبيني..... 421
فضل الولي الصوفي..... 422
ما وقع للشاذلي مع ابن البراء..... 423
إذاية الأولياء..... 424
ذكر الشيخ أبي يعزى وبعضاً من أخباره..... 425
خاتمة الترجمة الرابعة..... 427
خاتمة..... 431
الملاحق..... 436
الفهارس..... 446
قائمة المصادر والمراجع..... 475
فهرس الموضوعات..... 510